مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء السادس عشر
٢٦٣ - ٣١٧ هـ

حقق هذا الجزء وعلق عليه

زاهر إسحاق　　فادي المغربي　　عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان

في تواريخ الأعيان

(١٦)



بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625

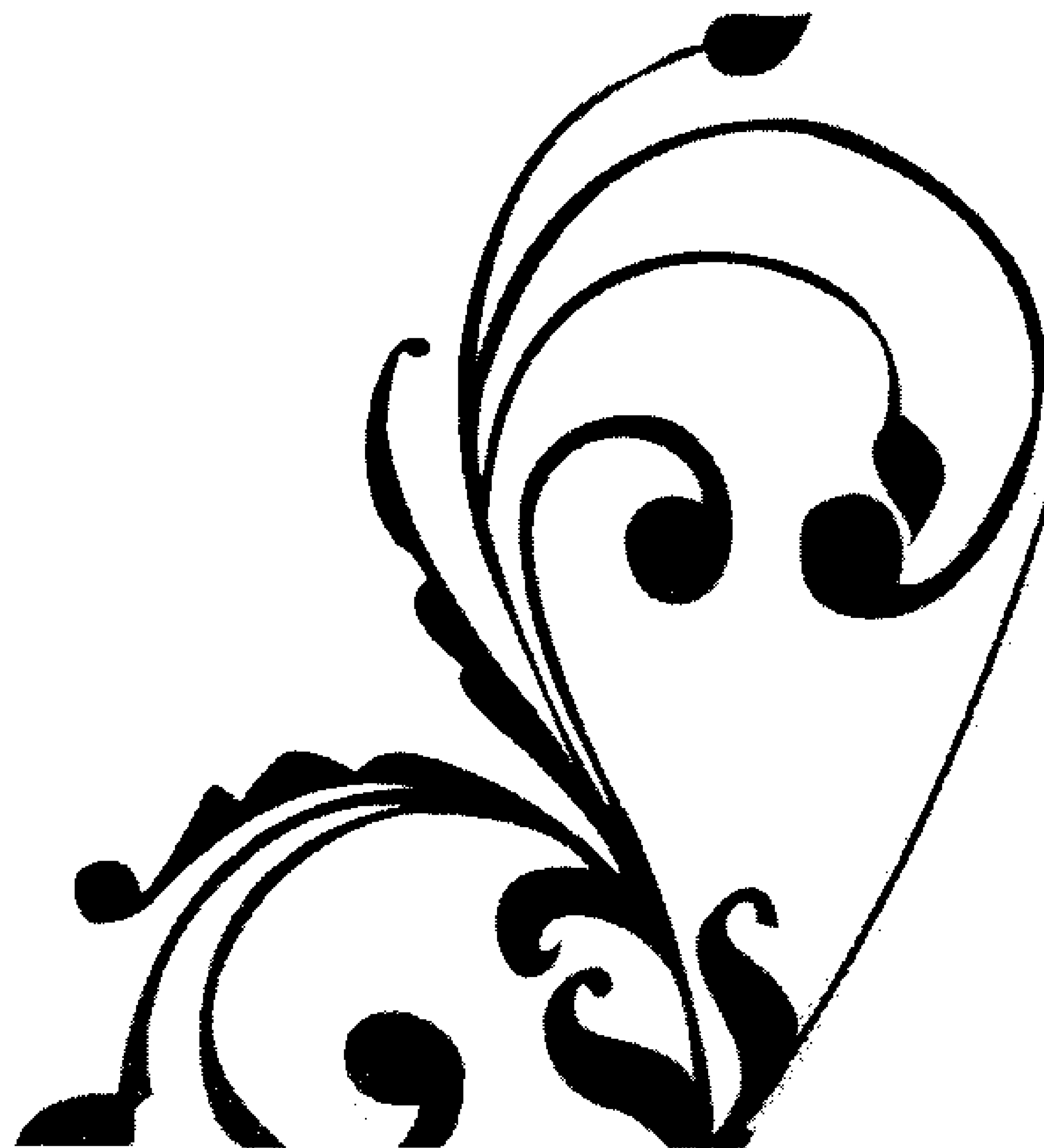
(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



السنة الثانية والستون بعد المئتين[1]

فيها وافى يعقوبُ بن اللَّيث الصفَّار رامَهُرْمُز[2] في المحرَّم، وقيل: في ربيع الأوَّل، فأطلق المعتمدُ مَن كان في حبسه من أصحابه، لأنَّه لما حبس محمَّدَ بن طاهر حبس المعتمدُ مَن كان عنده ممَّن يلوذ بيعقوبَ؛ مثل غلامه وَصيف وغيرِه.

وولَّى المعتمدُ يعقوبَ خُراسان، وطَبَرِستان، وجُرجان، والرَّيّ، وفارس، والشُّرطةَ بمدينة السلام، وبلغ يعقوبَ، فقال: لا أرضى بهذه الولايات حتَّى أصيرَ إلى باب أمير المؤمنين، وأضمرَ في نفسه الحُكمَ على الخليفة، والاستيلاءَ على العراق والأموال، مضافاً إلى ما كان بيده من المشرق كلِّه ومن وراء النَّهر، وعلم المعتمدُ قَصْدَه، فارتحل من سُرَّ مَنْ رأى يوم السَّبت لثلاثٍ خلون من جمادى الآخرة، واستخلف على سامراءَ ابنَه جعفراً المفوَّض، وضمَّ إليه محمداً الموَلَّد.

ووافى بغدادَ يوم الأربعاء لأربع عشرةَ خلت منه ولم ينزلها، ونزل بالزَّعْفَرانيّة، وقدَّم أخاه أبا أحمد الموفَّق، وسار يعقوبُ بجيش لم يُرَ مثلُه، وأموالٍ وخزائنَ لم يَحوِها مَلِك، فيقال: كان جيشُه سبعين ألفاً، وخزائنُه وأموالُه على عشرة آلاف جَمَل. ووافى واسِطاً، فدخلها لستٍّ بقين من جمادى الآخرة.

وارتحل المعتمدُ من الزَّعْفَرانيَّة يومَ الخميس لليلة بقيتْ منه حتَّى صار إلى سِيْب بني كُوما، فأقام أياماً حتَّى جاءه مَسْرور البَلْخيُّ والعساكر، وزحف يعقوبُ من واسِط إلى دَيْر العاقول نحو المعتمد، فأقام المعتمد في السِّيْب على حاله، ومعه عبيدُ الله بن يحيى ابن خاقان، وجهَّز أخاه الموفَّق إلى حَرْب يعقوب، فجعل الموفَّقُ موسى بنَ بُغا على ميمنته، ومَسْروراً البَلْخيَّ على مَيْسرته، ووقف هو في القلب، والتقى العَسْكران لثلاثٍ خَلَون من رجب بمكانٍ يقال له: إضطربد؛ بين سِيْب بني كُوما ودَيْر العاقول. فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الهزيمةُ أوَّلاً على الموفَّق، ثمَّ صارت على يعقوب، فكره أصحابُه قتالَ أصحاب المعتمد فولَّوا مُدْبِرين.

(١) حقق من هذا الجزء الصفحات ٥-٣٨٥ زاهر إسحاق، والصفحات ٣٨٦-٤٥٤ فادي المغربي، والصفحات ٤٥٥-٥٦٢ عمار ريحاوي.

(٢) في النسخ: وامهروز، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥١٦ .

وانهزم يعقوبُ في نَفَرٍ من أصحابه، فذكروا أنَّه أُخذ من عسكره عشرةُ آلاف فرسٍ، ومن العَيْن ألفا ألف دينار، ومن الدَّراهم ما يعجزون عن حَمْلِه، وعدَّةُ أحمالٍ من الجواهر والمِسْك والعَنْبر، وعشرةُ آلاف خيمة، وثلاثون ألف سرك[1]، وخلَّصوا محمد بنَ طاهر، وكان مع يعقوب مُثْقلاً بالحديد وخَلع عليه الموفَّقُ، وأعلى مرتبتَه، وكتب المعتمد كتاباً مضمونُه:

ولم يزل المَلْعون المارقُ المسمَّى يعقوب بنُ اللَّيث الصفَّار يَنتحل الطَّاعة، حتَّى أحدث الأحداثَ المُنْكَرةَ؛ من مصيره إلى صاحب خُراسان، وغلبتِهِ إيَّاه عليها، وتقلُّدِه الصَّلاةَ والإحداثَ بها، ومصيرِه إلى فارس مرَّةً بعد مرَّة، واستيلائه على أموالها، وإقباله على أمير المؤمنين مُظْهراً لطاعته، وفي قلبه الغشُّ بعد أنْ فوَّض إليه أمير المؤمنين خُراسانَ وطَبَرِسْتان وغيرها، فما زاده ذلك إلا طُغياناً وبَغْياً، فذاق وَبَال أمرِه، وأخذه اللهُ أخْذَ عزيز مقتدر، فولَّى هو وأصحابُه مهزومين مجروحين مَسلوبين، وذكر بمعناه.

ثمَّ عاد المعتمد إلى سُرَّ من رأى، وقيل: إلى المدائن، وصار يعقوبُ إلى فارس، وقدم محمد بنُ طاهر إلى بغداد، ورُدَّ عليه عملُه، فلم يَعزِلْ أحداً، وأمر له المعتمد بخمس مئة ألف درهم.

وقال محمَّد بن علي الطَّائي يمدح الموفَّق ويذمُّ الصفَّار: [من الكامل]

ولقد أتى الصَّفار في عَدَدٍ له ... رَهَجٌ فوافَقَهُنَّ[2] نَكْبَةُ ناكبِ
جلب القضاءُ عليه حَتْفاً عاجلاً ... سَقْياً ورَعْياً للقضاء الجالبِ
أغواه إبليسُ اللَّعينُ بكَيْده ... واغترَّه منه بوَعْدٍ كاذبِ
حتَّى إذا اختلفوا وظنَّ بأنَّه ... قد عزَّ بين عَساكرٍ وكتائبِ
دَلَفتْ إليه عساكرٌ مَيمونةٌ ... يَلْقَونَ زَحْفاً باللِّواءِ الغالبِ
في جَحْفَلٍ لَجِبٍ[3] تُرى أبطالُه ... من دارعٍ أو رامِحٍ أو ناشِبِ

(١) السَّركسي بالتركية: نوع من البُسُط. تكملة المعاجم العربية لدوزي ٦/ ٦٧ (سرك).
(٢) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥١٩: حُسْنٌ فوافتهنَّ. والرَّهْجُ والرَّهَج: الغبار. اللسان (رهج).
(٣) في (خ) و(ف): بجيث؟! والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٢٠. واللَّجَب: صوت العسكر، وعسكر لَجِبٌ: عَرَمْرَمٌ ذو لَجَب وكثرة. اللسان: (لجب).

لـمـا الـتـقَـوْا بـالـمَـشْـرَفـيَّـةِ والـقَـنـا ضَـرْبـاً وطَـعْـنَ مُـحـارِبٍ لـمـحـاربِ
ثـار الـعَـجـاجُ وفـوقَ ذاك غـمـامـةٌ غـرَّاءُ تَـسْـكُـبُ وَبْـلَ صَـوْبٍ صـائـبِ
فـلَّ الـجـمـوعَ بـرأيِ حَـزْمٍ ثـابـتٍ مـنـه وفَـرَّق صـاحـبـاً عـن صـاحـبِ
يـا فـارسَ الـعَـرَب الـذي مـا مـثـلُـه فـي الـنَّـاس يُـعْـرَفُ مـثـلُـه لـنَـوائـبِ
من فادِحِ(١) الزَّمَن العَضوض ومِن لُقا جـيـشٍ لـذي غـدْرٍ خَـؤُونٍ غـاصـبِ

وفيها بعث الخبيثُ جيوشَه إلى ناحية البَطِيحة، وسببُه اشتغالُ المعتمد بقتال يعقوب، وخلوُّ كُوَرِ دجلةَ من عساكره، فطمع الخبيث، وبعث عسكره إلى البَطِيحة فنهبها، وأفسدوا، وقتلوا، وأسروا، وأخذوا من البقر والغنم والدَّوابِّ شيئاً كثيراً.

وفيها ولي القضاءَ عليُّ بن محمد بن أبي الشَّوارب بسُرَّ مَنْ رأى، وولي قضاء الجانب الشرقيِّ من بغداد إسماعيلُ بن إسحاق، ثمَّ جُمع له الجانبان(٢).

وفيها تعرَّض رجلٌ لامرأة ببغداد، وأمر مَن يَسحبُها إلى مكانٍ معيَّن، وهي تصيح اتَّقِ الله [اتَّقِ الله](٣)، وهو لا يلتفتُ، فقالت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ الآية[الزمر: ٤٦] ثمَّ رفعتْ رأسها إلى السَّماء، وقالت: اللهمَّ إنْ كان قد ظلمني فخُذْه إليك، فوقع الرجلُ ميتاً، وانصرفت المرأة. قال أبو عون الفرائضيُّ(٤): فأنا والله رأيتُ الرَّجل مَيتاً، فحُمِل على نعشه والناس يهلِّلون ويكبِّرون.

وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس، وهرب عاملُ المعتمد ابنُ(٥) واصل إلى الأهواز.

وفيها كانت وقعة بين الزَّنْج وأحمدَ بنِ لَيْثَوَيْه صاحبِ مَسْرورٍ البَلْخي، فقتل من الزَّنْج خلقاً كثيراً، وأسر قائدهم، ويقال له: الصُّعْلوك.

---

(١) في (خ) و(ف): فارس. والمثبت من «تاريخ الطبري».
(٢) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ب).
(٣) هذه الزيادة وما سيأتي بين معكوفين من (ب).
(٤) في (ب): وقد حكى الحكاية ابن عون الفرائضي وقال... والخبر في «المنتظم» ١٢/ ١٧٤ .
(٥) في النسخ: من؟! والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٢٧ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٣ ، وهذا الخبر ليس في (ب).

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن إسحاق(١) الذي حجَّ بهم عام أوَّل. [والله أعلم].

وفيها توفي

خالد بن يزيد

أبو الهيثم، التميميُّ، الخُراسانيُّ، الكاتبُ، أحدُ كُتَّاب الجيش ببغداد، وكان فاضلاً شاعراً، وله [حكايات و] نوادرُ، قَصَده إلى داره إبراهيمُ بن المهدي، فطرق عليه الباب، فخرج وإبراهيمُ راكبٌ على حمار وعليه طَيْلَسان، ومعه خادم، فقال له: أنت القائل: [من المنسرح]

أقولُ للسُّقمِ عُدْ إلى بَدَني حبًّا لِشَيءٍ يكونُ من سَبَبكْ

قال خالد: نعم، فقال له: أحبُّ أن تنزل عنه، فقال: وهل ينزل الرَّجل عن ولده؟ فتبسَّم وأعطاه ثلاث مئة دينار.

ولقيه أبو تمَّام على بغلة فقال له: أنت القائل: [من المتقارب]

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للسَّاهرِ وليلُ المحبِّ بلا آخرِ
ولم تَدْرِ بعد ذهابِ الرُّقادِ ما فعل الدَّمعُ بالنَّاظرِ

فقال: نعم.

ومن شِعره أيضاً(٢): [من السريع]

يا تاركَ الجِسْم بلا قَلْبِ إن كنتُ أهواكَ فما ذَنْبي(٣)
يا مُفْرَداً بالحُسْن أفْرَدْتَني منكَ بطُولِ الهَجْر والعَتْبِ
إنْ تكُ عيني أبصرتْ فتنةً فهلْ على قلبيَ من ذَنْبِ
حسيبُكَ اللهُ لما بي كما ألقاهُ في فِعلكَ بي حَسْبي

وقد نادم المعتصمَ والمتوكِّلَ وغيرَهما، ولمَّا بنى المعتصم قصرَه بسامُرَّاء قال خالد: [من مجزوء الكامل]

(١) في (ب): الفضل بن العباس، وهو الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد، انظر الطبري ٩/ ٥٢٩.

(٢) من قوله: وله نوادر إلى هنا سقط من (ب).

(٣) في (ب): وذكر الخطيب مقتطفات من شعره منها: يا تارك... وهذه الأبيات ليست في «تاريخ بغداد»، وهي في «الأغاني» ٢٠/ ٢٨٦، و«المنتظم» ١٢/ ١٧٦.

عــزمَ الــسُّــرورُ عــلــى الــمُـقــا ... م بــسُــرَّ مَــنْ را لــلإمــامْ
وتــراه أشــبــهَ مــنــزلٍ ... فــي الأرضِ بــالــبَــلَــد الــحــرامْ
فــاللهُ يَــعْــمُــرُهُ بــمَــنْ ... أضــحــى بــه عِــزُّ الأنــامْ

فأعطاه خمسة آلاف درهم.

[وقال الخطيب:][1] عُمِّر خالد دهراً طويلاً [وكان كاتباً لجيش المعتمد وغيره ببغداد، وعاش إلى أيام المعتمد]، واختلط في آخر عُمُره، وكان الصِّبيان يَعْدُون خلفه ويصيحون: يا بارد، يا بارد، وهو يقول: وَيْحَكُم، كيف أكون بارداً وأنا الَّذي أقول: [من الخفيف]

سيِّدي [أنتَ] لم أقلْ سيِّدي أنتَ ... لِخَلْقٍ سواكَ والصَّبُّ عَبْدُ
خُذْ فؤادي فقد أتاك بودٍّ ... وهو بِكْرٌ ما افْتَضَّه قطُّ وَجْدُ
كَبِدٌ رَطْبةٌ[2] يفتِّتُها الوَجْـ ... ـدُ وخدٌّ فيه من الدَّمع خَدُّ

[قلت: من نَسب صاحب هذا الشِّعر إلى الاختلاطِ، فقد ضلَّ عن سواء الصِّراط.]

وقيل: إنَّ سبب تغيُّره في آخر عمره أنَّه كان يهوى جاريةً لبعض الأكابر، ولم يَقدرْ عليها، فسمع يوماً قائلاً يُنشد ويقول: [من البسيط]

مَنْ كان ذا شَجَنٍ بالشَّام يَطلُبُه ... ففي سوى الشَّام أمسى الأهلُ والوطَنُ

فبكى بكاءً شديداً، ووقع إلى الأرض فخولط، واتَّصل به حتَّى وَسْوَس، ومات رحمةُ الله عليه.

سَعْدان[3] بن يزيد

أبو محمد، البزَّاز[4]، كان فاضلاً، توفِّي في رجب ببغداد، وروى عن يزيدَ بن هارون وطبقته، وروى عنه محمدُ بنُ نصرٍ الصَّائغ.

---

(١) في «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٥٠_٢٥٢ ، وما بين معكوفين من (ب).
(٢) في النسخ: كبد هائم. والمثبت من «تاريخ بغداد»، و«المنتظم» ١٢/ ١٧٧ ، وما سلف بين معكوفين منهما.
(٣) هذه الترجمة ليست في (ب).
(٤) في (خ): البزار، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٢٨١ ، و«المنتظم» ١٢/ ١٨٠ ، و«السير» ١٢/ ٣٥٨.

وقال أبو بكر بن أبي معمر: أنشدنا سَعدان: [من الطويل]

ألا في سبيلِ الله عُمرٌ رُزِئْتُه وفَقْدُ ليالٍ فاتَ منها نعيمُها
أأُغْبَنُ أيَّامي ولا أستقيلُها وتَذْهب عنِّي ليلةٌ لا أقومُها
وتنقطعُ الدنيا ويذهب غُنْمها ويغتنمُ الخيراتِ منها حكيمُها(١)

[وفيها توفي]

عبد الله بنُ منير(٢) المَرْوَزيُّ

كان من الأبدال، مقيماً بقَزوين، فإذا كان يوم الجمعة، رأَوه بآمِد، وبينهما مسافة بعيدة، وكان يمشي على الماء، ويقف له جَيْحون، فكان يجمع الأُشنان ويتقوَّتُ بثمنه، وإذا رآه السَّبُع خشع له وبَصْبَصَ(٣) بين يديه.

[وفيها توفي]

يعقوب بن شيبة(٤)

ابن الصَّلْت بن عُصْفُور، أبو يوسف، السَّدوسيُّ البصريُّ.

[قال الخطيب: حدَّثني الأزهريُّ قال:] صنَّف المسند معلّلاً؛ إلا أنَّه لم يُتِمَّه(٥)، وكان فقيهاً على مذهب مالك، وكان في منزله أربعون لِحَافاً أعدَّها لمَن يبيتُ عنده من الورَّاقين الذين يُبَيِّضون المسند، ولزمه في تصنيفه عشرةُ آلاف دينار لمن يُبيِّضه، ووقع منه بمصرَ نسخة [من مسند] أبي هريرة فكانت مئتي جزء.

وسمع يزيد بنَ هارون، [وهاشمَ بنَ القاسم، وعليَّ بن عاصِم، وعَفَّانَ بنَ مسلم وغيرهم]، وكان ثقةً إلَّا أنَّه كان يقول بالوَقْف في القرآن، فهجره النَّاس. [انتهت ترجمته](٦).

(١) هذا البيت زيادة من (ف).

(٢) في (ب): بن فقير. وفي (ف): بن معتز، وكلاهما خطأ، وليست في (خ)، والمثبت من كرامات الأولياء للالكائي ٩/ ٢٨٩، و«المنتظم» ١٢/ ١٨٢.

(٣) بصبص السَّبُع: إذا حرَّك ذَنَبه طمعاً أو خوفاً. «اللسان»: (بصص).

(٤) في (خ): اشبه، وفي (ب) ـ وما بين معكوفين منها ـ و(ف): شبة؟! والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٦/ ٤١٠، و«المنتظم» ١٢/ ١٨٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٥١.

(٥) في (خ) و(ف): لا يتَّهمه. وليست في (ب)، والمثبت من المصادر السالف ذكرها.

(٦) ما بين معكوفين من (ب)، ومعنى أنه يقول بالوقف بالقرآن: لم يقل بمخلوق ولا غير مخلوق.

السنة الثالثة والستون بعد المئتين

فيها بعث يعقوبُ بن اللَّيث عُزيزَ بن عبد الله الأسَدي[١] إلى ابنِ واصل عاملِ المعتمد على فارس، فأخذه عُزيزٌ أسيراً، وقدم به على يعقوب، ودخل يعقوبُ الأهوازَ واستولى عليها، وهرب من بين يديه [ابنُ][٢] لَيْثَويْه نائبُ الموفَّق.

وفيها مات عُبَيْد[٣] الله بن يحيى بنِ خاقان، واستوزر من الغَدِ الحسن بن مَخْلَد، ثمَّ قدم موسى بنُ بُغا سامرًّا، فهرب الحسنُ إلى بغداد، واستوزرَ مكانه سليمان بن وهب في ذي الحِجَّة.

وفيها أخرج [أخو] شركب[٤] الحسينَ بنَ طاهر عن نَيْسابور، وغلب عليها، وصار الحسينُ إلى مَرْو، وبها ابنُ[٥] خُوارِزم شاه يدعو لمحمَّدِ بنِ طاهر، وضارَّ أخو شركب أهلَ خُراسان، وأخذ ثُلُثَ أموالِهم[٦].

وفيها سلَّمت الصَّقالبةُ حِصنَ لُؤلؤة إلى ملكِ الرُّوم.

وحجَّ بالنَّاس الفَضْلُ بنُ إسحاقَ الذي حجَّ بهم عامَ أوَّل [والله أعلم][٧].

وفيها توفي

عُبَيدُ الله بنُ يحيى

ابنِ خاقان بن عُرطوج[٨]، أبو الحسن[٩]، الوزير التُّركي.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٠ : عُزيز بن السَّريّ، وهو الأشبه.

(٢) ليست في النسخ، والمثبت من «تاريخ الطبري».

(٣) في النسخ: عبد. وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٢ ، و«الكامل» ٧/ ٣١٠ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٦٦ . وسيأتي ذكره قريباً.

(٤) في (خ) و(ف): أخرج شركت. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٢ ، و«الكامل» ٧/ ٣١٠ .

(٥) في «تاريخ الطبري»: أخو. والمثبت موافق لما في «الكامل».

(٦) من أول السنة إلى هنا ليست في (ب).

(٧) في (ب): حج بهم في السنة الماضية. وما بين معكوفين منها.

(٨) في (ب): بن خاقان، وخاقان هو ابن عرطوج.

(٩) في النسخ: أبو الحسين. والمثبت من «تاريخ مدينة دمشق» ٤٤/ ٤٤٧ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٦٧ .

وَزَر [عبيد الله] للمتوكِّل، وقَدِم معه الشَّام، ونفاه المستعينُ إلى بَرْقة سنةَ [ثمانٍ وأربعين ومئتين، ثم عاد إلى بغدادَ في سنة][١] ثلاثٍ وخمسين ومئتين.

ذكرُ طرفٍ من أخباره:

كان جَوَاداً سَمْحاً، ذا مروءةٍ ظاهرةٍ، يفكِّر في العاقبة، و[كان ممدَّحاً،] مدحه البحتريُّ بقصيدته الَّتي يقول فيها: [من الكامل]

يا عارضاً مُتَلَفِّعاً بِبُرُودِهِ   يَختالُ بين بُرُوقه ورُعُودِهِ
لو شئتَ عُدْتَ بلادَ نَجْدٍ عَوْدَةً   فنزلْتَ بين عَقِيقهِ وزَرُودِهِ
وإلى أبي الحسنِ انصرفْتُ بهِمَّتي   عن كلِّ منْزُور النَّوالِ زَهيدِهِ
الدَّهرُ يَضحكُ عن بَشاشةِ بِشْرِهِ   والعيشُ يرطُبُ من نضارةِ عُودِهِ
أعلى بنو خاقانَ مجداً لم تزلْ   أخلاقُهم حُبُساً على تَشييدِهِ
إنْ أوقفَ الكُتَّابَ أمرٌ مُشكِلٌ   في حَيْرةٍ رجعوا إلى تسْديدِهِ
فاللهُ يُبْقيه لنا ويُعزُّه   ويحوطُه ويزيدُ في تأييدِهِ

من أبيات[٢].

وقال ابن عساكر: قَدِمَ دمشقَ مع المتوكِّل، وقدمها [مرَّةً أخرى مُكرهاً]حين نفاهُ المستعينُ إلى بَرقة، [وحجَّ وعاد إلى بغداد في سنة ثلاثٍ وخمسين ومئتين، واستوزره المعتمدُ في شعبان سنةَ - ستٍّ - وخمسين ومئتين] وكان يَتَقلَّد[٣] دمشقَ عيسى بنُ الشيخ، فلقيه عيسى، وترجَّل له، وأعظمه، وأكرمه، وخَدَمه، ووصله، حتَّى كان عبيدُ الله يسيرُ في قُبَّةٍ له طول اللَّيل، وعيسى يسيرُ بين يديه على فرسِه اللَّيلَ كلَّه، وعبيدُ الله لا يشكُّ أنَّ عيسى في قُبَّة، فقيل له: مازال عيسى يسيرُ بين يديك طولَ اللَّيل على فرسه، فحفظ له ذلك، فلمَّا قُلِّد الوزارةَ المرَّة الثانية، قلَّد عيسى بلادَ بكر وأرْمينية.

وحجَّ وعاد إلى بغدادَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين، وأقبل يوماً فأنشدهُ عاصمُ بنُ وهبٍ البُرْجُميُّ: [من الطويل]

---

(١) ما بين معكوفين من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٧ .

(٢) من قوله: بقصيدته . . . إلى هنا ليس في (ب)، وما سلف بين معكوفين منها، والأبيات في ديوان البحتري ٢/ ٦٩٣-٦٩٦ ، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٥٢ .

(٣) من هنا إلى ذكر وفاته ليست في (ب).

نظرتُ إلى يحيى بنِ خاقان مُقْبلاً فشبَّهْتُه في المُلْكِ يحيى بن خالدِ
ومرَّ عبيدُ الله يُشْبه جعفراً فأكْرِمْ بمولودٍ وأكْرِمْ بوالدِ
جمعتُ بذا المعنى معانٍ كثيرةً ولم أفسدِ المعنى بطولِ القصائدِ(١)

ولما ولي المعتمدُ الخلافةَ سمَّوا له جماعةً من الوزراء، فلم يُعجِبْه إلَّا عبيدُ الله فاستوزرهُ، فقام بأمر الخلافة أحسنَ قيام وأتمَّ نظامٍ، مع كثرة المتغلّبين على البلاد، وكان أحمدُ بنُ طولون قد تغلَّب على مصرَ والإسكندرية وبَرقة، وأماجور(٢) على الشَّام ودمشقَ، وسيما الطَّويل على العَواصم وقِنَّسْرين، وأيوبُ بنُ أحمد ديارَ ربيعة والموصلَ وشَهْرَزُور، وعمر بن علي(٣) أَذْرَبِيجان، وابن أبي دُلَف على أَصْبَهان وهَمَذَان ونَهَاوَنْد، ويعقوب الصفَّار على خُراسان وفارس وسِجِسْتان وكَرْمان، وكيغلغ على الرَّيِّ وقُمّ وقَزْوين، والحسنُ بنُ زيد على طَبَرستان وجُرْجَان والدَّيْلَم، وصاحبُ الزَّنْج على البَصْرة والأهواز والبحرين والأُبُلَّة وعبَّادان، وكَنْجور على سَقْيِ الفراتِ، ومُساوِر الشَّاري على دَقوقا وطريقِ خُراسان، فدبَّر الدُّنيا حكاية.

وقال محمدُ بنُ أحمد بن الخصيب: قال لي عبيدُ الله يوماً: اخرج إلى الباب ترَ شيخاً من صفتِه كذا وكذا. فقل له: أبْرَمْتَني(٤)، وأنت ثقيلٌ على قلبي، انصرفْ فليس لك عندي عمل، وإلَّا فعلتُ وفعلتُ، وحبستُكَ سنةً، فخرجتُ إلى الشَّيخ وإذا به قائمٌ، فأدَّيتُ إليه الرسالةَ، فقال لي غيرَ مكْترثٍ بما سمع منِّي: قل له: والله ما أتيتُك قاصداً لكَ، ولا راغباً فيك، ولكنَّك جلستَ في طريقِ أرزاقنا، ولابُدَّ من الاجتياز بك، وإن كان رجاءُ العاقل منوطاً بالله دونَك، وليس(٥) الملكُ منعٌ ولا عطاء، ثمَّ تضاحك، وقال: يحبسني سنةً! يا وَيْحه، من ملَّكه الزمانَ المستقبلَ حتَّى يستحكمَ هذا التحكُّمَ، ويتوعَّدَ هذا التوعُّد؟ قال محمد: فدخلتُ على عبيد الله فأعدتُ عليه ما قال، فقال: صدق والله، ولقد ابتُلِيتُ به، ثمَّ ركب عبيد الله فتلقَّاه بمثل ما كان يتلقَّاه به من السَّلام،

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٤٥١، ٤٥٤.
(٢) في (خ): اباجور، وفي (ف): ناجور، والمثبت من «تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٠١، وسيأتي.
(٣) في (خ): وعمرو بن كذا علي. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٥١٠.
(٤) في تاريخ ابن عساكر ٤٤/ ٤٤٩: ألححت عليّ. وأَبْرَمَهُ: أملَّه وأضجره. مختار الصحاح (برم).
(٥) في (خ) و(ف): وكيس. والمثبت من «تاريخ دمشق».

وكان من عادته إذا رأى عبيد الله ترجَّل.

وسار عبيدُ الله إلى دار الخليفة، ثم خرج غلامٌ فاستدعى الشيخَ، فدخل، فغاب ساعةً، وخرج وبيده ثلاثُ تواقيع، فعجبتُ منه، فلمَّا خرج عبيدُ الله سايرتُه، وسألته عن الشَّيخ فقال: دخلتُ على الخليفة وقد غلب عليَّ الغيظُ من رسالة الشَّيخ، فقال: دخلت على الخليفة فبعضُها يحرِّكني على مَساءته، وبعضُها يوقفني عنه، فقال لي الخليفةُ: قد مات عاملُ الخَراج على الثُّغور، فمن ترى أنْ نولِّي، فقلتُ: شيخاً على الباب يصلحُ إن قَبِلتَه، قال: فأَحضِرْه، فأحضرتُه، فلمَّا دخل عليه تأمَّله وقال: ما أحسنَ ما اخترتَ، قد قَبِلَتْه نفسي، قال: فقلتُ في نفسي: جاء والله معنى الرسالة، فكلَّم الخليفة فقال: والله يا أمير المؤمنين البطالةُ قد ضعَّفتْ حالي، فقال: توقّع له بألفِ دينار، وتكتب بأرزاق من يجيء معي، فقلتُ: نكتب بها، فقال: وتوقيعاً بالولاية، فكتب له بالجميع، قال عبيدُ الله: فلم أرَ في نفسي انحطاطاً ولا تذلُّلاً، وشكراً لله تعالى وحدَه، فلم أرَ رجلاً استصغر مواردَ أمورِنا ومصادِرَها مثلَ الشَّيخ.

وقال أحمدُ بنُ إسرائيل: قال لي عبيدُ الله: قد فكَّرتُ في أمور الدُّنيا وصلاحها، ودُرور الأموال، وأَمْنِ السُّبُل، وعلمتُ أنَّ الدُّنيا أمكنُ وأنكرُ وأنكدُ من أن يدومَ صفاؤُها لأحد، فما مضتْ بعد ذلك أربعون ليلةً حتَّى قُتل المتوكِّل، ونُفي عبيدُ الله[1].

قال الصُّولي: ركب يوماً وهو وزيرٌ، فوقف له بعضُ الهاشميين، فأخذ بِلِجام فرسِه وقال له: يا زنديقُ، يا فاسقُ، يا كذَّابُ، فقال: أمَّا زنديق؛ فوالله ما كفرتُ بعد إسلامي، وأمَّا فاسق؛ ففي الحلال مندوحةٌ عن الحرام، وأمَّا كذَّاب؛ فوالله ما تعمَّدتُ الكذبَ ولا استَحْسَنتُه، خلِّ اللِّجامَ، فعجب النَّاسُ من حِلمه وعفوه[2].

ولمَّا دخلت الزَّنجُ البصرةَ في أيام المعتمد، أكثر الناسُ الضَّجيجَ على الوزير فملَّ وضَجِر، فقال: ذهبت البصرةُ فمَهْ!؟ وسمعها النَّاس، فقال عمرو بن إبراهيم العدويُّ:

[من المنسرح]

---

(١) ذكر هذا الخبر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤٥١ .

(٢) ذكر الخبر مختصراً الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٩/ ٤١٨ .

قال الوزيرُ المعاونُ الظَّلَمَهْ ... الأخرسُ اللَّفْظِ مُشْبِهُ الرَّخَمهْ[١]
وقد شكونا ذهابَ نُصرتِنَا ... إن ذهبتْ نصرةُ الغريب فَمَهْ
إنْ ذهبتْ زالَ مُلكُ بني العبَّاس أهلِ الفَخَار والعَظَمهْ
كَلْمة سُوءٍ زلَّ اللِّسانُ بها ... ورُبَّ حَتْفٍ تسوقُه كَلِمهْ
هانَتْ عليه دماءُ سادَتِنا ... أسأل ربِّي بما جناه دَمَهْ

وبلغ أبا يعلى كاتبَه فقال: والله لا يُفنه من الدنيا، فقال العدويُّ: أمَّا من الدُّنيا فلا يلي من سُرَّ مَنْ رأى فنعم، ثمَّ قال فيه: [من الخفيف]

نعمةُ الله لا تُعاب ولكنْ ... رُبَّما استُقْبِحَتْ على أقوامِ
لا يليقُ الغِنى بوجه أبي يَعْـ ... ـلى ولا نورُ بَهْجَةِ الإسلامِ
وَسِخُ الثَّوبِ والقَلانسِ والبِرْ ... ذَون والوَجْهِ والقَفَا والغُلام
لا تمسُّوا أقلامَه فتمسُّوا ... من دماء الحُسين في الأَقلام[٢]

ومعناه أنَّهم لما أتَوا برأس الحسين عليه السَّلام إلى ابنِ زياد، طلب من يقوِّره، فلم يتجاسرْ عليه أحدٌ، فقام طارقُ بنُ المبارك فقوَّره على ما أراد ابنُ زياد[٣]، وأبو يعلى من ولد طارق. وكان عبيد[٤] الله مشغولاً بالوزارة ليس عنده أدبٌ ولا رواية، وابنُه موسى صاحبُ القصيدة الخاقانيَّةِ في تجويد القراءة وهي مشهورة.

ذكر وفاته:

[قال الصُّولي:] دخل عبيدُ الله ميداناً في داره يوم الجمعة لعشرٍ خلون من ذي القعدة [في سنة ثلاث وستين ومئتين] على ثلاث ساعات ليضرب بالصَّوالِجَة، فصدمه خادمُه رَشيق، فسقط من دابَّته فلم يَنْطق بحرف، وجرى من أذنيه دمٌ كثير، وبلغ الموفَّق فجاء مُبادراً، فوضع رأسَه على فخذِه، وكلَّمه فلم يتكلَّم، فقال ابنُ راسبة[٥] [الطبيبُ] طبيبُ

(١) الرَّخَمة: طائر أبقع على شكل النَّسْر خلقةً، إلا أنه مبقَّع بسواد وبياض. اللسان (رخم). ويضرب بها المثل بأنها ألأمُ طير وأقذرها طعماً؛ لأنها تأكل العذرة، يقال أموقُ من الرَّخمة. «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٢٣.

(٢) ذكر هذه الأبيات العكبري في شرح ديوان المتنبي ٢/ ٣٧٠، وابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ٤١٧، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ٢٢/ ٤١٠-٤١١. دون ذكر البيت الأخير.

(٣) ذكر هذا الخبر القرطبيُّ في «التذكرة» ص ٥٦٧.

(٤) في (خ) و(ف): عبد، وهو خطأ.

(٥) في (ب) و(ف): راشته.

أبي أحمد: هذا الدَّمُ الخارجُ من أذنيه؛ انقطع بعضُ الشّريانات الَّتي في رأسه، فمات بعد ثلاثِ ساعاتٍ عند صلاة الجمعة، فحزن عليه الموفَّق، ومشى في جنازته، وصلى عليه، وحُمِل في جنازته أعلامٌ احتراماً له، ولم تُحمل في جنازة غيره، ودفن بسُرَّ من رأى، ورثاه الشُّعراء؛ فقال[1] يحيى بنُ عليّ: [من الطويل]

أبا حسنٍ لا تَبْعَدَنَّ فقد مضى   من الأرض لما أن مَضيتَ بهاؤُها
وهى المُلكُ وانحلَّتْ عُرى الدِّين بعدَه   وأظلم من أرض العراقِ ضياؤُها
لقد فارق الدُّنيا حَميداً وأَلْسُنُ البَرِيَّة مصروفٌ إليه ثناؤُها
يُسَكِّن نفسي أنَّني لستُ باقياً   ولستُ أرى نفساً يَدومُ بقاؤُها
عزاءً أميرَ المؤمنين لنفسك البقاءُ طويلاً والنُّفوسُ فداؤُها
ولا تُحْبِطَنْ أجرَ المصيبةِ إنَّه   على قَدْرِ أحزانِ النُّفوس جزاؤُها

وفيها توفي

محمد بن محمد[2] بن عيسى

أبو الحسن البغداديُّ، ويعرف بابن أبي الوَرْد، وبـ: حَبَش؛ لأنَّه كان أسمرَ اللَّون، وإلى جدِّه أبي الوَرْد تُنسب [سُويقة أبي الورد][3] ببغداد.

واسم جدِّه أبي الورد: (محمد)[4] بنُ محمدِ بنِ عيسى، مولى سعيدِ بنِ العاص مولى عَتاقة، وكان في صحابة المنصور.

و[قال الخطيب:] مازال ـ محمَّدٌ هذا ـ مشهوراً بالزُّهد والوَرَع والخلوةِ [والعبادة] حتَّى توفِّي في رجب من هذه السَّنة ببغداد[5].

---

(١) من قوله: فقال يحيى... إلى آخر الأبيات، ليست في (ب)، وبدلها: وهذا ما انتهى إلينا من سيرته. وما سلف بين معكوفين منها. والأبيات ذكرها الصَّفدي في «الوافي بالوفيات» ١٩/ ٤١٩ . وفيه: يحيى بن عبيد الله بن المنجّم، بدل: يحيى بن علي.

(٢) جاءت هذه الترجمة في (ب) في آخر السنة، وذكرها ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ١٨٥ ، في وفيات سنة (٢٦٢هـ).

(٣) ما بين معكوفين من (ب).

(٤) هذه الزيادة من «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٣٠ .

(٥) ما سلف بين معكوفين من (ب).

صحب بِشراً الحافيَّ، وسَريًّا السّقَطيَّ، والحارثَ المُحاسِبيَّ، وأسند الحديثَ عن هاشم[١] بنِ القاسم وغيرِه، وروى عنه عبدُ الله بنُ محمدٍ البغويُّ وغيرُه[٢].

ومن حديثه عن ابنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أوحى اللهُ إلى نبيٍّ من أنبياءِ بني إسرائيل: قل لفلانٍ العابد: أمَّا زهدُك في الدُّنيا فقد تعجَّلت الراحةَ لنفسك، وأمَّا انقطاعُكَ إليَّ فتعزَّزتَ بي، فماذا عملتَ فيما لي عليك؟ فأخبره النبيُّ بذلك فقال: سَلْه: يا ربُّ، ومالك عليَّ؟ فقال: قل له: هل عاديتَ فيَّ عدوًّا، أو واليتَ فيَّ وليًّا؟»[٣].

وقال محمَّد بنُ هلال: النَّاس في حرفين؛ اشتغالٍ بنافلةٍ وتضييعِ لفريضة، وعملٍ بالجوارح بغير مواطأة القلب، وإنَّما مُنعوا الوصول بتضييع الأصول[٤].

وأخوه **أحمدُ بن محمد** أبو الحسن أيضاً كان من كبار الزهَّاد، مات قبلَ أخيه محمد، وصحب أحمدُ مَنْ صحب أخوه محمَّد، وله الرِّياضاتُ والمجاهداتُ والكلامُ الحسنُ. قال: وليُّ الله كلَّما زاد جاهُه زادَ تواضعُه، وإذا زاد مالُه زاد سخاؤُه، وإذا زاد عمرُه زاد اجتهادُه.

وقال: إنَّما وصل القومُ بخمسٍ: بلُزوم الباب، وتركِ الخلاف، والنَّفاذِ في الخدمة، والصَّبرِ على المصائب، وصيانةِ الكرامات[٥].

وكان هو وأخوه قد صحبا أبا عبد الله السَّاجي، فكان يقول: مَن أراد أن يخدمَ الفقراءَ فلْيخدِمْهم خدمةَ ابنَي أبي الوَرْد؛ صَحِباني عشرين سنةً ما سألاني مسألةً قطُّ، ولا رأيتُ منهما ما أكره.

وقال ابنُ حُميد: أحمد ومحمد ابنا أبي الوَرْد من كبار المشايخ العراقيين، وأقاربِ

---

(١) في (خ) و(ف): الهيثم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٢١-٤٢٢ .

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة ليست في (ب).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٦ ، والخطيب في «تاريخه» ٤/ ٣٣١ ، وفيه حميد الأعرج؛ قال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث. «تهذيب التهذيب» ص ٥٠١ .

(٤) ذكر الخبر أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٦.

(٥) ذكر الخبر أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٥ .

الجُنيد وجُلسائه، وطريقتُهما في الوَرَع قريبةٌ من طريقة بِشر الحافي.

وقال محمد: مَن كانت نفسُه لا تحبُّ الدنيا فأهلُ الأرض يُحبُّونَه، ومَن كان قلبُه لا يحبُّ الدُّنيا فأهل السماء يُحبُّونه.

وقال: الوليُّ مَن يوالي أولياءَ الله، ويعادي أعداءَه.

وقال أحمد: بِساطُ المجد بُسِط لأولياء الله ليأنَسُوا به، ويرفعَ عنهم حِشمةَ البَديهة، وبِساطُ الهَيبة بُسط للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، ولا يشاهدوا ما يستريحون إليه في المشهد الأعلى[1].



(١) ذكره أبو نعيم في «الحلية».

السَّنة الرابعة والسّتون بعد المئتين

فيها[١] في المحرَّم خرج أبو أحمد الموفَّق إلى قتال الزَّنج ومعه موسى بن بُغا، فعسكرا بالقائم[٢]، وشيَّعهما المعتمدُ، فلمَّا نزلا بغداد مات موسى بنُ بُغا، فُحمِل إلى سامراء فدُفن بها.

وفي شهر ربيعٍ الأوَّل ماتت قَبيحةُ أمُّ المعتزِّ، وكان المعتمد قد أعادها من مكَّة إلى سامرَّاء.

وفيها أسرت الرُّوم عبدَ الله بن رُشَيد بن كاوس، وكان قد دخل الرُّوم في أربعة آلاف فارسٍ، فأوغلَ فيها، فأَسر وقتل وغَنم، وقَفل عنها، فلمَّا نزل البَذَنْدُون[٣] أقام به، ثمَّ رحل، وكانت البطارقة قد تتبَّعته بطريق سَلُوقية، وبطريق قديدة[٤]، وبطريق قُرَّة، وبطريق كوكب، وبطريق خَرْشَنة[٥] فأَحْدقوا به، فنزل جماعةٌ من المسلمين فَعَرْقَبوا[٦] دوابَّهم، وقاتلوا إلَّا خمس مئةٍ من المسلمين انهزموا، فقتلوا الرُّومُ مَن قتلوا، وأسروا عبد الله بنَ رُشيد بعدما جُرح جِراحات، وحُمل إلى لُؤلؤة، ثمَّ حُمل إلى ملك الرُّوم على البريد.

وفيها ولَّى المعتمدُ محمداً المولَّد واسِطاً، فحاربه سُليمان بن جامع قائد صاحب الزَّنج، وكان قد ولَّاه تلك النَّواحي، فهزمه محمدٌ عن واسِطٍ ودخلها، ثمَّ دخلت الزَّنج واسِطاً، فهرب أهلُها حُفاةً عُراةً، فأحرقها الزَّنجُ بعدما أخذوا من الأموال والسَّبايا ما أرادوا[٧].

---

(١) من أول السنة إلى ترجمة أماجور التركي ليست في (ب).

(٢) في (خ) و(ف): بالغنائم، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٣ .

(٣) في (خ): الريدون. وفي (ف): الربدون. ووقع في «تاريخ الطبري» و«الكامل»: بَدندون. والمثبت من «تاريخ الإسلام»، و«معجم البلدان» ١/ ٣٦١ .

(٤) في «تاريخ الطبري»: قذيذية.

(٥) في (خ) و(ف): درشنة. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٣ ، و«معجم البلدان» ٢/ ٣٥٩ .

(٦) عَرْقَبَ الدَّابة: قطع عرقوبها؛ وهو في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. اللسان: (عرقب).

(٧) «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٤ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٤ .

وفيها خرج سليمانُ بن وهب من بغداد إلى سُرَّمن رأى ومعه أخوه الحسنُ، وشيَّعه أبو أحمد الموفَّق، ومَسْرور البَلْخيُّ، وعامَّة القوَّاد، فلمَّا صاروا بسامرَّاء، غضب المعتمدُ على سليمانَ بنِ وهب، وقيَّده، وحَبَسه، وانتهب أموالَه ودُورَ أهله.

واستوزر الحسنَ بنَ مَخْلد في ذي القَعدة، فبلغ الموفَّق، فشخص من بغداد ومعه عبدُ الله بنُ سليمان بنِ وهب، فلمَّا قَرُب من سامرَّاء، تحوَّل المعتمدُ إلى الجانب الغربيِّ فعسكر به، ونزل أبو أحمد بظاهر سامرَّاء في جزيرة المؤيَّد، وهذا أوَّلُ ما بدا من الموفَّق في حقِّ المعتمد، ثمَّ تراسلا واصطلحا في ذي الحجَّة، واجتمعا في حرَّاقة في دجلة، خلع عليه المعتمدُ وأطلق سليمانَ بنَ وهب، واجتمع العَسكران، ورجع المعتمدُ إلى الجَوْسَق، وهرب الحسنُ بنُ مَخْلد، وأحمدُ بنُ صالح بن شيرزاد(١)، فقبضَ على أسبابهما، وشَخصَ القوَّاد الذين كانوا بتَكْريت إلى الموصِل، فوضعوا أيديَهم في جبَايةِ الخَراج.

وحجَّ بالناس هارونُ بنُ محمد بنِ إسحاق بنِ موسى بنِ عيسى الهاشميُّ الكوفيُّ.

وفيها توفي

أحمدُ بنُ حَمْدون

ابنِ إسماعيلَ بنِ داودَ، أبو عبد الله، الكاتبُ.

كان فاضلاً شاعراً كثيرَ الأدب، كان يحضر مجالسَ الخلفاء؛ الواثقِ والمتوكِّلِ(٢).

ومِنْ شعرِه يعاتبُ أبا الحسن عليَّ بنَ يحيى المنَجِّم: [من الرمل]

مَـنْ عَـذيـري مِـنْ أبـي حَـسَـنٍ ... حـيـنَ يـجْـفـونـي ويَـصْـرِمُـنـي
كـان لـي خِـلًّا وكـنـتُ لـهُ ... كـامـتـزاجِ الـرُّوحِ بـالـبَـدَنِ
فـوَشَـى واشٍ فـغـيَّـرهُ ... وعـلـيـه كـان يَـحْـسُـدُنـي
إنَّـمـا يـزدادُ مـعـرفـةً ... بـوِدادي حـيـن يَـفْـقِـدُنـي

(١) في (خ): ومحمد بن صالح من شيراز، وفي (ف): ومحمد بن صالح بن شيراز، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٤١، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٤. وما سلف بين معكوفين منهما.

(٢) «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٦٢.

وكان أحمد مُمدَّحاً، مدحه البُحتريُّ وغيرُه[١].

أماجور التركيُّ

ذكره أبو الحسين الرَّازيُّ في أمراء دمشقَ في أيَّام المعتمِد على الله، وكان[٢] مَهيباً شجاعاً، أَمِنَت الطُّرق في أيَّامه والحُجَّاج، وجعل الشَّامَ مثلَ المَهْد.

[وحكى الحافظ[٣] عن أبي الحسين الرَّازي قال:] بعث [أماجورُ] مرَّةً جنديّاً إلى أذرِعات في رسالةٍ، فنزل اليرموكَ، فصادف أعرابياً في قرية، فجلس الجنديُّ [إليه، فمدَّ الأعرابي يدَه، فنتف من سِبال[٤] الجنديِّ] خَصلتين، وعاد الجنديُّ إلى دمشقَ، وبلغ الخبرُ أماجورَ التركيَّ، فدعاه وسأله عن القصَّة فاعترف، فأمر بحبسه، ثمَّ استدعى بمعلِّم الصِّبيان، فأعطاه مالاً وقال له: اذهبْ إلى المكان الفلانيِّ وأَظْهِرْ أنَّك تعلِّم الصِّبيان، ولابدَّ أن ترى الأعرابيَّ هناك، فإنْ رأيتَه فشاغِلْه، وأعطاه طيوراً، وقال: عرِّفني الأخبارَ يوماً بيوم، فخرج الرجلُ وأتى إلى القرية، فجلس يعلِّم الصِّبيان ستَّة أشهر، ويبحث عن الأعرابي حتَّى عرفه، وجاء الأعرابي، فقال المعلِّم لأهل القرية: شاغلوه، وأطلق الطيورَ إلى دمشقَ، فركب أماجورُ بنفسه من دمشقَ إلى اليرموك [في] يومٍ واحد، وأحاط بالقرية، وأخذ الأعرابيَّ مَكتوفاً معه، فلمَّا دخل دمشقَ أحضره وقال: ما حملك على أنْ رأيت رجلاً من أولياء السُّلطان في قريةٍ، ما تعرَّض لك أن تنتفَ سِباله؟ قال: كنتُ سَكراناً لم أعقل، فأمر بنتفِ كلِّ شعرةٍ فيه من أجفانه [وحاجبيه] ولحيته ورأسه، فما ترك عليه شعرة [إلا نتفها]، وضربه ألف سوط، وقطع يديه ورجليه، ثمَّ صلبه، وأخرج الجنديَّ من الحبس، فضربه مئةَ سوطٍ، وطرده عن الخدمة، وقال: أنت ما دافعتَ عن نفسكَ، فكيف تدافعُ عنِّي لو احتجتُ إليك؟

[قال الرازيُّ:] ولمَّا مات أماجور رُئيَ في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقيل: بماذا؟ قال: بحفظي طُرُقات المسلمين والحُجَّاج.

---

(١) ذكر الأبيات ابنُ العديم في بغية الطلب ٢/ ٧٠٦، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ٦/ ٢١٠.

(٢) في (خ) و(ف): أماجور التركي: أمير دمشق في أيام المعتمد كان...، والمثبت من (ب).

(٣) في تاريخ دمشق ٣/ ٨٩.

(٤) السِّبال: ما ظهر من مقدَّم اللحية بعد العارضين. اللسان (سبل).

و[قال ابنُ عساكر:] بنى بدمشقَ خاناً بالخوَّاصين، وكتب على بابه: مئةُ سنةٍ وسنةٍ، فعاش بعد ذلك مئة يومٍ ويوم، [والله العالم بما في الغيب][١].

[وفيها توفي]

أبو زُرْعَة الرَّازي

واسمه عُبيد[٢] الله بنُ عبد الكريم بنِ يزيد بنِ فَرُّوخ، مولى[٣] عيَّاشِ بن مُطَرِّف القُرشيُّ، وُلِدَ سنة مئتين بالرَّيِّ، وكان إماماً، حافظاً، مُتقناً، صَدوقاً، [وكان] من كبار الحفَّاظ، وسادات أهل التَّقوى.

[وذكره الخطيب[٤] فقال: هو] أحدُ الأئمَّة المشهورين الرَّاحلين لطلب العلم، [وقال:][٥] قدم بغدادَ غيرَ مرَّة، وحدَّث بها، وجالس الإمامَ أحمدَ بن حنبل رحمة الله عليه، وكان الإمامُ أحمد يحبُّه ويُثني عليه، ويقدِّم الجلوسَ معه على النَّوافل.

وقال عبدُ الله بنُ أحمد: لما ورد أبو زرعةَ بغداد نزل علينا، فقال لي أبي: يا عبد الله، قد اعتَضْتُ بنوافلي مُذاكرةَ هذا الشَّيخ، وفي رواية: ما صلَّيتُ اليوم غيرَ الفرض، استأثرتُ بمذاكرته على نوافلي. وما جاوز الجسرَ أحفظُ منه.

وقال محمَّدُ بنُ مسلم بنِ وَارةَ: كنتُ عند إسحاقَ بن إبراهيم بنيسابور، فقال رجلٌ من أهل العراق: سمعتُ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبل يقول: صحَّ من الحديث سبعُ مئة ألف حديثٍ وكسور، وهذا الفتى ـ يعني أبا زرعةَ ـ قد حفظ ستَّ مئة ألف حديث، فقيل للإمام أحمد: مِنْ أين لك هذا؟ فقال: ذاكَرْتُه الأبوابَ. قال البيهقيُّ: معنى قولِ أحمدَ أنَّه يحفظ ستَّ مئة ألف حديث؛ فإنَّما أراد ما صحَّ من الحديث وأقاويلِ الصَّحابة وفتاويهم، لا مجرَّدَ الأحاديثِ المرفوعة.

---

(١) ما بين معكوفين من (ب)، والخبر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٨٩ـ٩٠ .

(٢) في النسخ: عبد. والمثبت من مصادر الترجمة الآتي ذِكرُها.

(٣) في (خ) و(ف): عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرازي مولى...، والمثبت وما بين معكوفين من (ب).

(٤) ما بين معكوفين من (ب)، ولم نقف على نص قول الخطيب في تاريخه.

(٥) في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٣٣ .

وكان أبو زُرعةَ يقول: كتبتُ عن إبراهيمَ بنِ موسى الفرَّاء مئةَ ألفِ حديثٍ، وعن أبي بكر بن أبي شيبةَ مئةَ ألف حديثٍ، وأحفظ مئتي ألفِ حديثٍ كما يحفظُ أحدُكم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وفي روايةِ ابن منده: وأحفظ ثلاثَ مئةِ ألفِ حديث.

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ الصنعانيُّ: أبو زُرعة يشبه أحمدَ بنَ حنبل.

وقال الإمامُ أحمدُ رحمةُ الله عليه: ما رأيتُ أحفظَ من أبي زُرعة.

وقال إسحاقُ بن رَاهُويه: كلُّ حديثٍ لا يعرفه أبو زُرعةَ فليس له أصلٌ.

وقال أبو يعلى المَوصليُّ: ما سمعنا أحداً يُذكر من الحُفَّاظ إلا كان اسمُه أكبرَ من رؤيته، إلّا أبا زُرعة؛ فإنَّ مشاهدتَه كانت أعظمَ من اسمه.

وحكى [الخطيبُ عن] أبي زُرعة قال: إنَّ في بيتي ما كتبتُه منذ خمسين سنة ولم أطالِعْه منذ كتبتُه، وإنِّي لأعلمُ في أيِّ كتابٍ هو، في أيِّ وَرَقٍ هو، وفي أيِّ صفحةٍ هو، وما سمعتُ بأُذُني شيئاً إلا وعاهُ قلبي، وإنِّي لأمشي في أسواق بغدادَ فأسمعُ من الغُرَف صوتَ المغنِّيات، فأضعُ أصبعي في أُذني مخافةَ أن يعِيَه قلبي[1].

وقال محمَّد بنُ إسحاق الثقفيُّ: لما انصرف قتيبةُ بنُ سعيد إلى الرَّيِّ، سألوه أن يحدِّثهم، فامتنع وقال: أحدِّثكم بعد أن حضر مجلسي أحمدُ بنُ حنبل وابنُ معين وابنُ المديني؟! وعدَّ جماعة، فقالوا: إنَّ عندنا غلاماً يسردُ ما حدَّثتَ به مجلساً مجلساً، ثم قال: قم يا أبا زُرعة، فقام فسرد كلَّ ما حدَّثهم به قتيبة، فعجب، ثمَّ حدَّثهم حينئذٍ.

وحكى ابن باكويه عن أحمد بن سعيد الدَّارميِّ قال[2]: صلَّى أبو زُرعة عشرين سنةً وفي مِحْرابه كتابةٌ فيها اسمُ الله تعالى لم ينظر إليها، فقدم عليه جماعةٌ من المحدثين، فقالوا: ما تقول في الكتابة على المحاريب؟ فقال: قد كرهها قومٌ، قالوا: فهذه كتابة في محرابك! فرفع رأسه إليها فرآها[3]، وقال: والله ما رأيتها قبلَ اليوم، أيدخل الداخلُ على الله ويَدري ما بين يديه؟

---

(١) في (خ) و(ف): وقال أبو زرعة: إن في...، والمثبت من (ب). والكلام في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤١.

(٢) في (خ) و(ف): وقال محمد بن سعيد الدارمي، والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٣١٧.

(٣) في (خ) و(ف): وقرأها. والمثبت من (ب).

وكان أبو زُرعة يدعو للإمام أحمدَ بنِ حنبل رحمة الله عليه، ويقول: إنِّي لأكون في شدَّة، وأسأل الله ببركات أبي عبد الله؛ فيرفعها عنِّي وعن أهل بلدي.

وقال[١]: اِلتقاني رجلٌ فقال: ليكوننَّ لك شأنٌ من الشأن، فلا تقربنَّ أبوابَ هؤلاء -يعني الأمراءَ- [قال]: فخُيِّل إليَّ أنَّه الخَضِرُ، فقبلتُ وصيَّته.

[ذكر وفاته:]

قال الخطيب بإسناده إلى أبي جعفر التُّسْتري: حضَرْنَا[٢] أبا زُرعة وكان في السَّوْق وعنده أبو حاتم، ومحمَّد بنُ مُسلم بنُ وارة، والمنذر بنُ شاذان، وجماعةٌ من العلماء، فذكروا حديث التَّلْقين، وقولَه ﷺ: «لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٣] فاستحيَوا من أبي زُرعة، وهابوا[٤] أن يلقِّنوه، فقالوا: [تعالوا][٥] نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم ابن وارة: حدَّثنا الضَّحَّاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكوت، فقال أبو زُرعة وهو في السَّوق: حدَّثنا بُندار، حدَّثنا أبو عاصم، حدَّثنا عبدُ الحميد بنُ جعفر، عن صالح بن أبي عَريب، عن كثير بن مُرَّة الحَضْرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله دخلَ الجنَّةَ»[٦]، وتوفِّي رحمه الله.

[وقال الخطيب: توفي] بالرَّيِّ يوم الاثنين سَلْخ ذي الحجَّة وقد بلغ أربعاً وستين سنة[٧].

[ذكر ما رُئيَ له من المنامات:]

روى الخطيب بإسناده إلى أحمدَ[٨] بنِ محمد المُرادي [قال:] رأيتُ أبا زُرْعَة [في

(١) في (ب): وحكى ابن باكويه عنه قال:...

(٢) في (خ) و(ف): وقال أبو جعفر التستري: حضرنا...، والمثبت من (ب) والكلام في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٥.

(٣) أخرجه مسلم (٩١٦) من حديث أبي سعيد الخدري، و(٩١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، والسَّوق: الاحتضار.

(٤) في (خ) و(ف): وتهابوا، والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٥ .

(٥) ما بين معكوفين من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد».

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٠٣٤)، وأبو داود (٣١١٦).

(٧) «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٦ ، وما سلف بين معكوفين من (ب).

(٨) في (خ) و(ف): وقال أحمد...، والمثبت من (ب)، وما بين معكوفين منها، والكلام في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٧.

المنام فقلت له: يا أبا زرعة، ما فعل الله بك؟ قال: لقيتُ ربِّي تعالى فقال لي: يا أبا زُرعة،] إنِّي أوتى بالطِّفل فآمر به إلى الجنَّة، فكيف بمَن حفظ السُّننَ على عبادي؟ تبوَّأ من الجنَّة حيثُ شئتَ.

وقال يزيد[1] بن مَخلد الطَّرَسُوسي: رأيتُه في المنام فقلت: يا أبا زُرعة، إنَّ الجهمية قد آذونا. فقال: اسكت، فإنَّ أحمد بن حنبل قد سدَّ عليهم الماءَ من فوق.

[قال:][2] ورآه محمَّد بنُ مسلم بن وارة في المنام، فقال [له:] ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: ألحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله [وأبي عبد الله وأبي عبد الله] فقيل [لابن] وارة: فسِّر لنا هذا، فقال: أبو عبد الله الأوَّل؛ سفيانُ الثَّوري، والثاني: مالكُ بن أنس، والثالثُ: الشافعي، والرابع: أحمدُ بن حنبل.

وحكى الحافظُ ابنُ عساكر عن حفصٍ[3] بن عبد الله قال: رأيت أبا زُرعة في المنام وهو في السَّماء يصلِّي بالملائكة، فقلت له: بِمَ نلتَ هذا؟ فقال: كتبتُ بيدي ألفَ ألفِ حديث، في كلِّ حديث إذا ذكرتُ النبيَّ ﷺ أصلِّي عليه، وقد قال ﷺ: «من صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّى الله عليه بها عشراً»[4].

أسند أبو زُرعة عن[5] خلقٍ كثير، منهم[6]: الإمام أحمدُ بن حنبل رحمة الله عليه، والفضلُ بن دُكين، والقَعْنَبيُّ، والطَّيالسيُّ، وأبو سَلَمة، والبخاريُّ، ويحيى بنُ بُكَيْر المصريُّ وغيرهم، وروى عنه: أبو زُرعة الدمشقيُّ، ومسلمُ بنُ الحجَّاج، وأبو حاتم الرَّازيُّ، وعبدُ الله بنُ أحمد وغيرهم[7].

ودخل أبو زُرعة على الإمام أحمد، فحدَّثه أحمدُ عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن

---

(١) في (ب): وقال الخطيب: ورآه يزيد...، وليست في «تاريخ بغداد».

(٢) ما بين معكوفين من (ب)، والخبر بنحوه في «تاريخ بغداد».

(٣) في (خ): وقال أبو حفص...، وفي (ف): وقال حفص...، والمثبت من (ب)، والكلام في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٣٢٥.

(٤) أخرجه أحمد (٦٥٦٨)، ومسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٥) في (خ) و(ف): أسند الحديث عن...، والمثبت من (ب).

(٦) من هنا إلى آخر السنة ليست في (ب)، وأتى مكانها: والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(٧) «تهذيب الكمال» ٥/ ٤٦ـ٤٧، و«السير» ١٣/ ٦٦.

منصور، عن سالم، عن جابر: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سجدَ جافى جنبيه[(١)]، ومَجْمَجَ[(٢)] أحمدُ عليه في الإسناد، فقال أبو زُرعة: في أيِّ خبرُ هذا الحديث؟ فقال الإمام أحمد: أخاف أن يكون فيه غلط، فقال أبو زُرعة: حدثنا محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ، عن رضوان البخاريِّ، عن الفضيل بن عياض، عن منصور، عن سالم، عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا سجد جافى بين جنبيه. فقال الإمام أحمد رحمه الله: هاتِ القلم، وكتب: صحّ صحّ صحّ، ثلاثَ مرَّات[(٣)].



(١) مصنف عبد الرزاق (٢٩٢٢)، ومن طريقه أحمد (١٤١٣٨)، وأخرجه الطحاوي في «معاني الآثار» ١/ ٢٣١، والخطيب البغدادي في «تاريخه» ١٢/ ٣٤ من طريق هشام بن يوسف الصنعاني عن معمر عن منصور عن سالم عن جابر...

(٢) المجمجة: تغيير الكتاب وإفساده عمَّا كتب. اللسان (مجج).

(٣) ينظر ما سلف من الأخبار في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٣٣-٤٧، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٩٢-٣٢٥، و«المنتظم» ١٢/ ١٩٣-١٩٥، و«تهذيب الكمال» ٥/ ٤٦-٥٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٦٥-٨٥، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٦٠-٣٦٦.

السنة الخامسة والستون بعد المئتين

فيها خرج ابن طولون من مصرَ إلى الشام في المحرَّم، فحصر سيما الطَّويل بأنطاكية، ولم يزلْ مقيماً عليها [حتى افتتحها][(١)]، وقَتَل سيما.

وفيها في المحرَّم لحق محمد المولَّد[(٢)] بيعقوب بنِ اللَّيث، وصار من خواصِّه، فأمر المعتمد بقَبْضِ أمواله.

وفيها أمر أبو أحمد الموفَّق بحبس سليمانَ بنِ وهب وابنِه عُبيد[(٣)]، فحُبسا، وقَبَضَ أموالَهما وعقارَهما، ثمَّ صُولحا على تسعِ مئةِ ألف دينار.

وفيها استوزر إسماعيل بن بُلْبُل، ومات يعقوب بنُ اللَّيث بالأهواز، وخلفه أخوه عمرو بنُ اللَّيث، وكتب إلى المعتمد بأنَّه سامع مطيع.

وفيها بعث ملك الرُّوم بعبد الله بنِ رُشيد بن كاوس الذي كان عاملَ الثُّغور إلى أحمد ابنِ طولون مع عدَّة أسارى [ومصاحف] كان أحدُها مع أهل أَذَنَة، فبعث بذلك إلى أحمد هَديَّة[(٤)].

وفيها وصلت الزَّنج إلى جَبُّل، فأخذوا سُفُناً فيها طعام.

وفيها لحق العبَّاسُ [بنُ] أحمدَ بن طولون ببَرْقة مخالفاً لأبيه، وكان أبوه قد استخلفه على مصر لمَّا توجَّه إلى سيما محاصراً بأنطاكية، وحمل معه ـ العبَّاسُ ـ ما في بيت مال مصرَ من الأموال، وما كان لأبيه من الأثاث وغيرِ ذلك، ثمَّ مضى إلى بَرْقة، فوجَّه أبوه أحمد خلْفه جيشاً، فظفروا به، فردُّوه إلى أبيه، فحبسه، وقتل جماعةً من القوَّاد الذين كانوا مع ابنه، وكانوا قد تركهم في خدمة العبَّاس، [فأشاروا عليه] بالعصيان[(٥)]، فعصى وأخذ العساكر والأموال وتوجَّه نحو بَرْقة إلى إفريقية، فوصل إلى لَبْدة، فخرج

---

(١) ما بين معكوفين من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٤٣.

(٢) في (خ): المؤيد. والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري ٩/ ٥٤٣، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٥.

(٣) في (خ) و(ف): عبد، والمثبت من «تاريخ الطبري»، و«الكامل في التاريخ» ٧/ ٣٢٧، و«تاريخ الإسلام».

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ٥٤٣، وما بين حاصرتين استدرك منه.

(٥) انظر «الكامل» ٧/ ٣٢٤.

إليه عاملُها وأهلُها، وتلقَّوه بالإكرام، فأمر العبَّاس بنهْبِهم على غِرَّة، فنُهبوا، وقتل رجالَهم وسبى نساءَهم، وبلغ ذلك إلياسَ بنَ منصور النَّفُوسيَّ رأسَ الإباضيَّة ـ وهو يومئذ بجبل نَفوسة ـ فسار إلى العبَّاس في اثني عشر ألفاً، وبعث إبراهيم بنُ أحمد بنِ الأغلب العجليُّ صاحبُ إفريقية جيشاً كثيفاً مع غلام له، فأطبق الجيشان على العبَّاس، فباشر الحربَ بنفسه، فقُتلت صناديدُه، ونُهبت أموالُه، فعاد إلى بَرْقة، فبعث إليه أبوه جيشاً، فهرب أصحابُه، وأسروه، وحملوه إلى أبيه مقيَّداً، فحبسه، وقتل مَنْ بقي معه من الَّذين أشاروا عليه بالعِصيان(١).

وفيها(٢) دخل الزَّنج النُّعمانية، فأحرقوا أسواقَها وأكثرَ منازل أهلها، وقتلوا وسبَوا، ووصلوا إلى جَرْجَرايا، فانهزم أهلُ السَّواد، ودخلوا إلى بغداد، وعاد الزَّنج إلى مواضعهم.

وفيها ولَّى أبو أحمد الموفَّقُ عمرَو بنَ الليث خُراسان، وكِرْمان، وفارس، وأَصبهان، وسِجِسْتان، والسِّند، وأشهد عليه الشُّهودَ بذلك، وبعث بعهده مع أحمدَ بنِ أبي الأصْبَغ، وبعث معه بالخِلَع.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمَّد بنِ إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميُّ(٣).

[فصل] وفيها توفي

إبراهيمُ بنُ هانئ

أبو إسحاق النَّيسابوريُّ، رحل في طلب العلم إلى العراق والشَّام ومصرَ والحجاز، ثمَّ استوطن بغدادَ.

[قال الخطيب:] واختفى أحمدُ [بن حنبل] في داره أيَّام المحنة، وكان [أحمد] يُثني عليه ويقول: أبو إسحاق أقوى منِّي على العبادة، إنِّي لا أُطيق ما يُطيق، وإنَّ [أبا إسحاق من الأبدال، وفي رواية: إنْ] كان ببغدادَ أحدٌ من الأبدال فإبراهيم(٤).

---

(١) «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٤٥، و«تاريخ دمشق» ٣٢/ ٦٧-٦٨، و«الكامل» ٧/ ٣٢٤، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٥-٢٤٦، وما سلف بين معكوفين منها.

(٢) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ب).

(٣) ذكر هذه الأخبار الطبري في «تاريخه» ٩/ ٥٤٥، وابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ١٩٧، وابن الأثير في «الكامل» ٧/ ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٨.

(٤) «تاريخ بغداد» ٧/ ١٦٠-١٦٣، و«المنتظم» ١٢/ ١٩٧-١٩٨، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ب).

[وروى الخطيب عن أبي بكر النَّيسابوريِّ قال:] لما احتُضر أبو إسحاق قال لابنه: أنا عطشان، فجاءه بماء، فقال: يا بُني، غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فردَّه، ثمَّ قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[الصَّافات: ٦١]. ثمَّ خرجتْ روحُه، وذلك في ربيع الآخر من هذه السَّنة، وفي رواية: فقال له ابنُه: قد رُخِّص لك في الإفطار وأنت متطوِّع. فقرأ الآية ومات.

سمع خَلْقاً كثيراً منهم: أحمد بن حنبل ببغداد، وأبا اليَمان، وقَبيصة، ومحمدَ بن بكَّار، وأبا نُعيم الفضلَ بن دُكَين، وعفَّانَ بن مسلم وغيرهم. وأجمعوا على صدقِه، وثِقتِه، ودينه، وعبادتِه[١].

سَعْدَان[٢] بن نَصْر

ابن منصور، أبو عثمان، الثَّقفيُّ، البزَّاز، واسمه سعيد، ولد سنةَ اثنتين وسبعين ومئة، رحل في طلب العِلم، وسمع الشُّيوخ، وتوفِّي في ذِي الحجَّة وقد جاوز تسعين سنةً.

سمع سفيانَ بنَ عُيينة وغيرَه، وروى عنه ابنُ أبي الدُّنيا وغيرُه.

وكان شاعراً، فمن شعره: [من السريع]

أيا غريمَ الموتِ يا ابْنَ[٣] الخُطى ... أنتَ بأنفاسك مَلْزومُ
يا مُغْفِلَ الموتِ تناسيتَهُ ... حتَّى كأنَّ الموتَ مكتومُ
قد ماتَ مَنْ كانت له فارسٌ ... حيناً ومَنْ كانت له الرُّومُ

وكان ثقةً[٤].

صالح ابن الإمام أحمدَ

ابن محمد بن حَنْبل، أبو الفَضْل، الشَّيباني، ولد سنةَ ثلاثٍ ومئتين في ربيع الآخر، ولي القضاءَ بأصبهان، فلمَّا دخلها بدأ بالجامع، فصلَّى ركعتين، فاجتمع النَّاس

(١) هذه العبارة أتت في (خ) و(ف) بعد قوله: سمع خلقاً كثيراً، مختصرة.
(٢) ترجمة سعدان بن نصر، وصالح ابن الإمام أحمد، وعبد الله بن محمد بن أيوب، ليست في (ب).
(٣) في المصادر: أين الخطى.
(٤) «تاريخ بغداد» ١٠/ ٢٨٣-٢٨٤ - والأبيات فيه -، و«المنتظم» ١٢/ ١٩٩، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٣٥.

والشُّيوخ، فقرأ عهدَه عليهم وهو يبكي، فبكَوا وقالوا: والله كلُّنا نحبُّ أبا عبد الله، فازداد بكاؤه وقال: وددتُ أبي أن يراني في مثل هذه الحالة، وكان عليه ثيابٌ سواد وقال: كان أبي إذا جاءه رجلٌ مُتَقَشِّفٌ يبعثُ خلفي لأنظرَ إليه؛ يُحبُّ أن أكون مثلَه، وكان إذا انصرف مجلسُ الحُكْم يخلعُ سَوادَه ويقول: ترى أموتُ على هذا؟ والله ما دخلتُ فيه إلا لِدَيْن رَكِبَني، وعجزتُ عن وفائه مع كثرة العيال.

وقال الخطيب[١]: قدم دمشقَ، وحدَّث بها، وولي القضاءَ بطَرَسوس، ثمَّ قدم إلى بغداد، وكان يجلس للفقه وعلى رأسه طويلةٌ[٢]، فجاءت عجوزٌ فوقفت عليه وقالت: أعرف أباك وهو يخرج من بيته ولا شيءَ على رأسه، ما رفعه الله بهذه الطَّويلة، وإنَّما رفعه من فَوق.

سمع أباه الإمامَ أحمد، وعفَّانَ بنَ مسلم، وابنَ المديني وغيرَهم، وروى عنه ابنُه زهير، والبغويُّ، والحسنُ بن حبيب وغيرُهم.

وتوفِّي بأصبَهان في رمضان سنةَ خمسٍ وستين ومئتين، وقيل: سنةَ ستٍّ، أو ثلاثٍ أو أربعٍ وستِّين، وله ثلاثٌ وستون سنة، ودُفن ببابِ بيرة، وكان صدوقاً، كريماً، جواداً، صالحاً، كما سُمِّي[٣].

عبد الله بن محمد بن أيوب

أبو محمد، المُخَرِّمي، الزاهدُ، الورِعُ.

قال محمد بن محمد بن سليمان الباغَنْدي: كنتُ بسُرَّ مَن رأى، وكان عبد الله المُخَرِّمي يَقْرب إليَّ، وكان مُقيماً ببغداد، فخرج توقيعُ الخليفة بتَقْليده القضاء، فانحدَرْتُ في الحال إلى بغداد، فطرقتُ الباب عليه فخرج، فقلت له: البُشرى. فقال: بشَّرك الله بخير، وما هو؟ قلت: خرج توقيعُ الخليفة بتقليدكَ القضاءَ لأحد البَلَدَين؛ إمَّا بغداد وإمَّا سُرَّمَن رأى. فأطبق الباب، وقال: بشَّرك الله بالنَّار، وجاء أصحابُ السُّلطان، فلم يَظهر لهم، فانصرفوا.

---

(١) في «تاريخه» ١٢/ ٤٣٣.

(٢) يعني: قلنسوة طويلة.

(٣) «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٣٣_٤٣٤، و«المنتظم» ١٢/ ١٩٩، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٤٣.

وتوفِّي في جمادى الأولى(١) وقد جاوز السبعين.

سمع سفيان بن عُيينة وغيره، وروى عنه أبو حاتم الرَّازي وغيره، وكان ثقة.

[وفيها توفي]

عليُّ بن المُوَفَّق

[أبو الحسن] العابد، صاحبُ(٢) الكرامات والمقامات.

حكى الخطيبُ بإسناده عن محمد بن أحمد المهتدي(٣) قال: سمعت عليَّ بن الموفَّق يقول: أضَقْتُ إضاقةً شديدة، فخرجتُ يوماً لأؤذِّن، فأصبتُ قرطاساً فيه مكتوب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، يا عليَّ بن الموفَّق، تخشى الفقرَ وأنا ربُّك.

قال: وسمعتُه يقول ما لا أُحصيه: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلم أنِّي أعبدكَ خوفاً من نارِكَ فعذِّبْني بها، وإن كنتَ تعلم أنِّي أعبدكَ حُبًّا لجنَّتك وشوقاً إليها فاحْرِمْنيها، وإن كنتَ تعلم أنَّما أعبدكَ حبًّا منِّي لك، وشوقاً إلى وجهِكَ الكريم، فأبحْنيه وافعلْ بي ما شئتَ.

وحكى الخطيب عنه أنَّه قال(٤): لمَّا تمَّ لي ستُّون حجَّة خرجتُ من الطَّواف، وجلستُ حِذاءَ المِيزاب، وجعلتُ أفكِّر لا أدري ما حالي عند الله، وقد كثُر تردُّدي إلى هذا المكان، فغَلَبتْني عيناي [فنمتُ]، فكأنَّ قائلاً يقول: يا عليّ، أتدعو إلى بيتك إلَّا من تحبُّه؟ فانتبهتُ وقد سرِّي عنِّي ما كنتُ فيه.

و[في رواية عنه أنَّه] قال: كنتُ في الموقف، فسمعتُ ضجيجَ النَّاس، فقلت: اللَّهمَّ إن كان في هؤلاء مَن لم يُقبل حجُّه فقد وهبتُ حجَّتي له، [قال:] ونمت، فرأيت ربَّ العزَّة سبحانه في المنام وهو يقول: يا عليّ، يا ابنَ الموفّق، أتتسخَّى عليَّ وأنا الملكُ،

---

(١) في (خ) و(ف): الآخرة. والمثبت من «تاريخ بغداد» ١١/ ٢٨١، و«المنتظم» ١٢/ ٢٠٠.

(٢) قبلها في (خ) و(ف): كان.

(٣) في (خ) و(ف): والمقامات قال أحمد بن محمد المهتدي، والمثبت وما سلف بين معكوفين من (ب). والكلام في «تاريخ بغداد» ١٣/ ٦٠٠.

(٤) في (خ) و(ف): وقال ابن الموفق، والمثبت وما سيأتي بين معكوفين من (ب)، والكلام في «تاريخ بغداد» ١٣/ ٥٩٩-٦٠٠، و«صفة الصفوة» ٢/ ٣٨٦-٣٨٧.

قد غفرتُ لأهل الموقف، وشفَّعتُ كلَّ واحد منهم في أهل بيته وذرِّيته وعشيرته(١).

وقال [الخطيب(٢) بإسناده إلى] أبي العبَّاس محمَّدِ بنِ إسحاق الثقفيِّ: سمعتُ ابنَ الموفَّق يقول: حَجَجْتُ على قدمي ستِّين حجَّة، منها عن رسول الله ﷺ [ثلاثين حجَّة، قال أبو العبَّاس الثقفيُّ: فاقتديت بابن الموفَّق، فحججتُ عن النبي ﷺ] سبع حِجَج، وضحَّيْتُ عنه مئةً وسبعين أضحية، وقرأتُ القرآن عنه اثنتي عشرة مرَّةً، وجعلتُ أعمالي كلَّها له.

[قلت: رسولُ الله ﷺ مستغنٍ عنهما، فلو جعلاه لأنفسهما لكان أولى.]

[وقال أبو الحسين بن المنادي:] مات عليُّ بن الموفق رحمه الله ببغداد [سنة خمسٍ وستين ومئتين،] ولما خرجوا بجنازته رأى الفَتْحُ بن شَخْرف الأُزُر تُطرح على تابوته فقال: ما أحسن هذه المُزاحَمات لو كانت على الأعمال.

[وحكى الخطيب عن] أحمدَ بن عبد الله الحفَّار(٣) [قال:] رأيتُ الإمام أحمدَ بن حنبل رحمة الله عليه في المنام، فقلت: ما فعل الله بكَ؟ فقال: حَبَاني وأعطاني، وقرَّبني إليه وأدناني، قلت: فما فعل عليُّ بنُ الموفَّق؟ قال: السَّاعة تركتُه في زَلّالٍ وهو يريد العَرْش(٤).

حدَّث [عليُّ بنُ الموفَّق] عن منصور بن عمَّار، [وأحمدَ بن أبي الحَواري] وغيرهما، وروى عنه أحمدُ بن مسروق الطُّوسيُّ وغيرُه، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وفَضْله رضي الله عنه.

[وأخرج له الخطيب حديثاً عن يعلى بن مُنْية، أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ النار لَتقول يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن، فقد أطفأ (نورُك لهبي)(٥)». انتهت ترجمة ابن الموفَّق، والحمد لله وحده.]

---

(١) ذكر الخبر أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٢، وابن الجوزي في «صفة الصفوة»، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ٢٢/ ٢٦٥.

(٢) في (خ) و(ف): وقال أبو العباس بن محمد...، والمثبت وما بين معكوفين من (ب) والكلام في «تاريخ بغداد» ١٣/ ٥٩٩.

(٣) في (ب): محمد بن عبيد الله الحفار.

(٤) «تاريخ بغداد» ١٣/ ٦٠٠-٦٠١. والزلّال: بفتح وتشديد اللام، مبالغة اسم الفاعل من زلّ، بمعنى انزلق، وكان يطلق أيام العباسيين على زورق كبير طويل سريع الانزلاق في الماء. تكملة المعاجم ٥/ ٣٤٤.

(٥) «تاريخ بغداد» ١٣/ ٥٩٩، وما بين حاصرتين منه. وفي إسناده: منصور بن عمار، وهو منكر الحديث. كما في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٨٥.

[وفيها توفي]

عمرو بن مُسلم(١)

أبو حَفْص، الزَّاهد، النَّيسابوريُّ، كان من الأبدال، مُجابَ الدعوة، [ذكره أبو عبد الله الحاكم في «تاريخ نيسابور»، وأثنى عليه، وذكر له حكايةً فقال: سمعتُ أبا الحسن ابن إسحاق المزكي يقول: سمعت جعفر الخير يقول: سمعت أبا عثمان سعيدَ بن إسماعيل [يقول:] قال أبو حفص: اذهب فاقترضْ لي من بعض إخواننا ألفَ درهم إلى شهر، [قال:] فاقترضتُها وحملتها(٢) إليه، فوضع لعياله منها قوتَ سنة، ثمَّ خرج إلى الحجِّ، [قال:] فتحيَّرتُ في أمري، وجعلتُ أعدُّ الأيام وأقول: قد قرُب الأجل، فمِنْ أين أؤدِّي هذه الألف وهو غائب، [قال:] فلمَّا كان اليوم التَّاسعُ والعشرون خرجتُ لصلاة الصُّبح، فرأيت السِّكَّة من أوَّلها إلى آخرها جُوالقات(٣) مطروحةٌ، والحمَّالون عليها قُعود، فقلت في نفسي: تُرى لمن هذه؟ وإذا بحمَّال يقول لي: بِعْ هذه الحِنطةَ واقضِ بها دينَ فلان. [قال:] فبعتها بألف درهم، وقضيت دَين أبي حفص(٤)، فلمَّا جاء من الحجِّ لقيتُه، فقال لي في أوَّل كلمة: لِمَ شَغَلتَ فكرك شهراً؟ هلَّا وثقتَ بربِّك.

وقال أبو عثمان: دخلت معه على مريضٍ، فقال المريض: آه، فقال أبو حفص: ممَّن؟ فسكت، فقال: مع مَنْ؟.

وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعة لاثنتي عشرةَ ليلة خلتْ من ربيعٍ الأوَّل، وقيل: توفِّي في سنة أربع وستين، أو سبع وستين، أو سبعين ومئتين، والأوَّل أصحّ(٥).

[وفيها توفي]

---

(١) في «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٣٣، و«السير» ١٢/ ٥١٠، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٧٨: عمرو بن سَلْم، والمثبت موافق لما في «المنتظم» ١٢/ ٢٠٣.

(٢) في (خ) و(ف): وبعثتها، والمثبت من (ب).

(٣) قال في اللسان (جلق): هو وعاء من الأوعية معروف، ولم يقولوا جُوالقات، استغنوا عنه بجواليق.

(٤) في (خ) و(ف): وقضيت بها دينه.

(٥) «المنتظم» ١٢/ ٢٠٣ـ٢٠٤.

يعقوب بن اللَّيث [الصَّفَّار]

الخارجيُّ المتغلِّب على سِجستان، وطَبَرِسْتان، وخُراسان، وفارس وغيرها، وكان قد طغى وبغى، وتجبَّر وتكبَّر، وقصد المعتمد ليَحكم عليه، فالتقاه أبو أحمد الموفَّق، فكسره فانهزم، وقد ذكرناه.

وكانت وفاتُه بالأهواز، وحُمل تابوته إلى جُنْدَيْسابور، وخلَّف في بيت ماله مئة ألف ألف دينار، وخمسين ألف ألف درهم، وكتب على قبره: [هذا قبر] يعقوب المسكين، وتحته هذين البيتين: [من البسيط]

أحسنْتَ ظنَّكَ بالأيَّام إذ حسُنَتْ ... ولم تَخَفْ سُوءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالمتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بها ... وعند صَفْوِ اللَّيالي يحدُث الكَدَرُ[1]

[فولَّى أبو أحمد الموفَّقُ أخاه عمرَو بنَ اللَّيث ما كان إلى أخيه، وقد ذكرناه، والله أعلم.]



---

(١) قوله: هذين البيتين؛ من (ب). والخبر مع البيتين في «المنتظم» ١٢/ ٢٠٦، و«وفيات الأعيان» ٦/ ٤٢٠، والبيتان نُسبا لأبي العتاهية، وهما في ديوانه ص٥٣٦.

السنة السادسة والستون بعد المئتين(١)

فيها كتب عمرو بن الليث [صاحب خُراسان] إلى عبيد(٢) الله بنِ عبد الله بنِ طاهر بأن يكون نائبَه على الشرطة ببغداد(٣)، وكان في عهد عمرو بن الليث ذلك، وبعث إليه [عمرو] بخِلعة وعمودٍ من ذهب، وخلع الموفَّقُ أيضاً على عبيد الله.

وفيها وصلت سرايا الرُّوم إلى ديار ربيعة، فقتلتْ جماعةً من المسلمين، وهرب أهلُ الجزيرة والموصل.

ومات في المحرَّم سليمانُ بنُ عبد الله بنِ طاهر، وكان على شرطة بغداد.

ومات أبو السَّاج بجُنْدَيْسابور في ربيع الأوَّل.

وولَّى عمرو بنُ اللَّيث أحمدَ بن عبد العزيز [بن] أبي دُلَف أصبهان.

وولَّى الموفَّق محمدَ بن أبي السَّاج الحرمين وطريقَ مكة.

وفيها دخل عليُّ بن أبان مُقَدَّم الزَّنج الأهوازَ، فقاتله أغرتمش التركيُّ، وجرى بينهم قتال شديد، فهزمه عليُّ بن أبان ووجَّه بالرؤوس إلى الخبيث، فنصبها على سور مدينته، وكانت الحربُ بين عليِّ بن أبان وأغرتمش سِجالاً، وابنُ أبان يَظهر في كلِّ مرَّة عليه.

وفي شوَّال قتل أهلُ حمص عاملَهم الكرخيَّ.

وفيها دعا الحسن بنُ محمد بنِ جعفر بنِ عبد الله بنِ حسين(٤) الأصغر أهلَ طَبَرِسْتان إلى نفسه، وكان أحمدُ بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ قد خرج على الحسن بن زيد، فاستحلف الحسن بن محمد أنَّ الحسنَ بنَ زيد قُتِل، فحاربه الحسنُ بنُ محمد، فاحتال له الحسنُ

(١) جاءت هذه السنة مختصرة في (ب) لا تتجاوز سبعة أسطر، وما سيأتي بين معكوفين منها.

(٢) في (خ) و(ف): عبد، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٤٩، و«الكامل» ٧/ ٣٣٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٦.

(٣) في (خ) و(ف): على شرطة بغداد، والمثبت من (ب).

(٤) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٢: حسن، والمثبت موافق لما في «الكامل» ٧/ ٣٣٥.

ابن زيد حتَّى ظفر به فقتله[١].

وفيها حارب الخُجُستانيُّ عمرَو بن اللَّيث، فظهر على عمرو، فهزمه ودخل نيسابور، فأخرج عاملَ عمرو منها، وقتل جماعةً ممَّن كان يميل إلى عمرو.

وفيها كانت وقعةٌ بالمدينة ونواحيها بين الجَعافِرَة والعلويِّين، وسببُها: أنَّ العاملَ على المدينة ووادي القُرى ونواحيها إسحاقُ بنُ محمد بنِ يوسف الجَعْفَريّ، فولَّى وادي القُرى عاملاً من جهته، فوثب أهلُ الوادي على الغُلام فقتلوه، وقتلوا أخوين لإسحاق، فخرج إسحاقُ لوادي القرى ليقاتِلَهم، فمرض ومات، فقام بأمر المدينة أخوه موسى بنُ محمد، فخرج عليه الحسنُ بن موسى بن جعفر، فأرضاه بثمان مئة دينار، ثمَّ خرج عليه أبو القاسم أحمدُ بنُ محمد بنِ إسماعيل بنِ الحسين[٢] بن زيد، [ابنُ] عمِّ الحسن بن زيد صاحب طَبَرِسْتان، فقتل موسى، وغلب على المدينة فضَبَطها، وكان قد غلا بها السِّعر، فرفع الجبايةَ عنهم، وجلب الغلَّة، فرخصت المدينةُ، وسكنت الفتنةُ، فأقام بها إلى أن قدم إليها ابنُ أبي السَّاج.

وفيها وثب الأعرابُ على كسوة الكعبة[٣]، فانتهبوها، وصار بعضُها إلى صاحب الزَّنج، وأصاب الحاجَّ شدَّةٌ شديدة.

وفيها دخل إسحاقُ بن كنداج [نَصِيبين]، فاستنجد عليه إسحاقُ بن أيوب عيسى[٤] ابنَ الشَّيخ صاحبَ آمِد، فأنجده، فظهر على ابن كنداج، وبعث المعتمدُ إلى ابن كنداج بخِلَع ولِواء، وولَّاه الموصلَ وديارَ ربيعة وأرمينيةَ، فبعثوا يطلبون الصُّلح وبذلوا مالاً.

وفيها وافى محمَّدُ بن أبي السَّاج مكَّةَ وبها المخزوميُّ[٥]، فحاربه، فهزمه ابنُ أبي

(١) كذا في (خ) و(ف). والذي في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٢، و«الكامل» ٧/ ٣٣٥: وذلك أن الحسن بن زيد عند شخوصه إلى جرجان كان استخلفه بسارية، فلما كان من أمر الخُجُستاني وأمر الحسن ما كان بجرجان، وهرب الحسن منها، أظهر العقيقي - وهو الحسن بن محمد - بسارية أن الحسن قد أسر، ودعا من قبله إلى بيعته، فبايعه قوم، ووافاه الحسن بن زيد فحاربه، ثم احتال له الحسن حتى ظفر به فقتله.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٣: الحسن. وما سيأتي بين معكوفين منه.

(٣) في (خ) و(ف): على كسوة الأعراب. وهو خطأ.

(٤) في (خ) و(ف): العبسي. وهو خطأ، والمثبت من الطبري ٩/ ٥٥٣ وما بين معكوفين منه.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٣: ابن المخزومي، وانظر «الكامل» ٧/ ٣٣٦.

السَّاج، واستباح مالَه، وذلك يوم التَّروية.

وفيها دخل أصحاب قائد الزَّنج رامَهُرْمُز، فاستباحوها.

وفيها كانت لأكراد الدَّاربان[(١)] وقعةٌ مع الزَّنج عظيمة، ظهر الزَّنج على الأكراد في أوَّلها، وكان قائدَ الزَّنج عليُّ بنُ أبان، وكان الأكراد بمكان يقال له: الدَّاربان قريباً من رامَهُرْمُز، وكان ابن أبان لمَّا دخل رامَهُرْمُز صالحه محمَّد بن عبيد الله بن أزامَرْد[(٢)] على ثمانين ألف درهم؛ على أن يكفَّ عنه، وأن يكونَ عند عليِّ بن أبان عسكر من محمَّد، فأجابه، فلمَّا قصد ابنُ أبان الأكرادَ طلب من محمَّد جنداً، فبعث له، فلمَّا قصد ابن أبان الأكراد خذله أصحابُ محمَّد، فانهزم الزَّنج، وعمل فيهم السَّيف فقُتِل أكثرُهم.

وكتب الخبيث إلى محمَّد يقول: قد علمت أنَّ الذي جرى على أصحابي إنَّما كنتَ سبَبَه، وتهدَّده، فخاف محمَّد منه، فبعث إليه بخيل وعدَّة، وكتب يعتذر ويتضرَّع للخبيث، وكاتب أصحابَ الخبيث وأهدى لهم؛ مثل: عليِّ بن أبان وبَهْبُوذ والكِرْماني وغيرهم، فكلَّموا الخبيث فيه فقال: لا أرضى عنه حتَّى يخطب لي على منابرِ أعماله، فكتبوا إليه فطاولهم، وكان مقيماً بمكانٍ يقال له: مَتُّوث، من كُوَر الأهواز، فقصده عليُّ بن أبان ومعه المجانيق والسَّلالم.

وكان أبو أحمد قد قدَّم في مقدمته إلى الزَّنجي مَسْروراً البَلْخيَّ، فصار يقصد الأهواز، ولم يعلم بحصار الخبيث وعليِّ بن أبان محمدٌ، فوافاهم وهم يقاتلون، فلمَّا رأوا أوائل خيلِ مَسْرور انهزم عليُّ بن أبان أقبح هزيمة، وترك ما كان معه من الآلات، فقتل منهم مسرورٌ جمعاً كثيراً وأسر، وبعث بالرؤوس إلى الموفَّق، وشاعت الأخبار بوصول الموفَّق إلى قتال الزَّنج، فطابت قلوب الناس واطمأنُّوا، وقيل: إنَّما شاعت الأخبار بوصول المعتمد.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الذي حجَّ بهم في السَّنة الماضية[(٣)].

---

(١) في (ف): الداربار، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٤_٥٥٥، وفي «الكامل» ٧/ ٣٣١: الدارنان.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٥: أزارمرد.

(٣) «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٥_٥٥٦.

وفيها توفي

إبراهيم بن أُوْرمة

ابن سياوش بن فَرُّوخ أبو إسحاق، الأصبهانيُّ.

سكن بغداد، وكان يُشَبَّه بالإمام أحمدَ بنِ حنبل، وابنِ معين، وابن المديني وطبقتِهم، وكان حافظاً، مُتقناً، ثَبْتاً، ثقة، توفِّي يوم السبت لأربعٍ خلَون من ذي الحجَّة، وله خمس وخمسون سنة، والله أعلم[١].



(١) «تاريخ بغداد» ٦/ ٥٤٠-٥٤٤، و«المنتظم» ١٢/ ٢٠٨-٢٠٩.

السَّنة السَّابعة والستُّون بعد المئتين

فيها دخل الزَّنج واسِطاً، فقتلوا وأحرقوا، وبلغ الخبرَ الموفَّقُ وهو ببغداد، فجهَّز ابنَه أبا العبَّاس إلى الزَّنج في عشرة آلاف فارس في أحسن زيٍّ وأكمل عُدَّة، ومن الرَّجَّالة ما لا يُحصى، ومعهم المعابرُ والسُّفن قد أُحكمت، فرحل أبو العبَّاس فنزل المدائن، وشيَّعه أبوه، ثمَّ رحل فنزل دَيْرَ العاقُول، وكان قد قدَّم في السُّميريَّات والشَّذا نُصيراً ـ المعروف بأبي حمزة ـ بين يديه، وأمره أن يكشف خبر قائد الزَّنج هو وسليمان ابن جامع، وكان قد وافى في خيل ورجَّالة وسُميريات، وكذا الجبَّائي[1] وسليمان بن موسى، وأنَّهم قد أخذوا المضايق، ثمَّ عادوا فاجتمعوا، ونزل أوَّلهم بفم الصِّلْح وآخرُهم ببستان موسى بن بُغا أسفلَ واسِط.

فأرسل أبو العبَّاس طائفةً من عسكره، وتأخَّر بفم الصِّلْح، ثمَّ التقَوْا في الظَّهْر والسُّفُن، واقتتلوا، فمنح الله أبا العبَّاس أكتافَهم، فانهزموا لا يَلْوُون على شيء؛ وأبو العبَّاس في أكتافهم، حتَّى أدرك آخرَهم بقرية عبدالله، وهي ستَّة فراسخ كثيراً[2]، وكان ذلك أوَّلَ الفتح.

وأشار أصحاب أبي العبَّاس عليه بأن يعسكر بالصِّلْح؛ المكانِ الذي كانت الوَقْعة فيه، إشفاقاً عليه من الزَّنج، فقال: ما أنزل إلا واسِطاً، فنزلها.

واجتمع أصحاب الخبيث: سليمانُ بن موسى الشَّعرانيُّ، وعليُّ بن أبان، وسليمانُ ابن جامع، وأداروا الرّأي، وقالوا: هذا فتًى حَدَثٌ، لم يُمارِس الحرب، والرَّأيُ أن نرميه بحدِّنا وحديدنا في أوَّل مرَّة؛ فلعلَّه أن يَرتدعَ فيرحلَ إلى موضع جاء منه، أو نَظفر به، فاجتمعوا وحشدوا.

ودخل أبو العبّاس واسطاً في أحسن زيٍّ، واستأمن إليه خلقٌ كثير، ثمَّ انحدر إلى العُمْر[3] ـ وهو على فرسخ من واسط ـ فأقام به، ورتَّب غلمانه في السّفن يراوحونهم

(١) في (خ) و(ف): الحاني، وفي «الكامل» ٧/ ٣٣٨ : الحياتي، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٨ .

(٢) كذا، وانظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٩ .

(٣) في النسخ: القم. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٩ .

القتالَ ويغادونهم.

واستعدَّ سليمان بنُ موسى الشَّعراني للقاء أبي العبَّاس، وفرَّق أصحابه ثلاثَ فرق في ثلاث نواحٍ، وجاؤوا بحدِّهم وحديدهم وفارِسِهم وراجِلِهم، فلقيهم أبو العبَّاس، فانهزموا وتفرَّقوا في كلِّ موطن، ثمَّ ورد الخبر على أبي العبَّاس بأنَّهم على عزم كَبْس عسكرِه، وأنَّهم قد أقاموا كميناً فيه عشرةُ آلاف، وساروا في السفن والبَرِّ، والتقاهم أبو العبَّاس، فمنحه الله أكتافهم، وانهزم سليمان والجبَّائي وحدهما راجِلَين، وغنم أبو العبَّاس الجميع، وكان سليمان قد حفر حفائرَ وجعل فيها سَفافِيد[١] الحديد قياماً، وغشَّاها بالبَواري[٢] ليتهوَّر فيها الفرسان، وعلم أبو العبَّاس فاحترز.

ثمَّ كتب سليمان إلى صاحب الزَّنج يستمدُّه، فأمدَّه بأربعين سُميريَّة فيها أربعون مجذافاً[٣]، وفيها الرِّجال والعُدَد والسِّلاح، فأقاموا شهرين يقاتلونهم، فرتَّب أبو العباس أصحابَه وخواصَّه في السُّميريات، ونزل هو في سُميرية، والتقَوا، فقذف الله الرُّعب في قلوب الزَّنج فانهزموا، وأخذ منهم ثلاثين سُمَيْرية، وانهزم الجبَّائيُّ في ثلاث سُمَيْريات، ورمى أبو العبَّاس بقوس حتَّى دَمِيت أصبعه، وانهزم الزَّنْج، وعاد أبو العبَّاس إلى معسكره، وخلع على أصحابه وقوَّاده الخِلَع والأطواق والأساور، وأمر أن تُصلَح السُّمَيْريات المأخوذة من الزَّنج.

وأما قوَّاد الزَّنج فإنَّ سليمان بنَ جامع تحصَّن وعسْكَرَه في مكان يقال له: طَهيثا[٤]، وتحصَّن الشعرانيُّ بمكانٍ يقال له: سوق الخميس، وجعلوا يخرِّبون ويحرِّقون ويحملون المِيْرة والغلَّات، وواقعهم أصحابُ أبي العباس، وأخذوا جميعَ ما كان معهم قد حمل إليهم من الغلَّة والمِيْرة، وقصد مكاناً يقال له: الصينيَّة، وكان بها منهم جمع كثير فغنمهم، وعاد إلى عسكره، فاستنقذ أبو العبَّاس يومئذٍ من النِّساء اللَّواتي كنَّ في أيدي الزَّنج خَلْقاً كثيراً، فردَّهن إلى أهليهنَّ، وغنم ما جمع الزَّنج، ثمَّ عزم على

(١) السفافيد: جمع سفود، وهو حديدة ذات شُعَب معقَّفة. «اللسان»: (سفد).

(٢) قال الزبيدي في «تاج العروس» (بور): البواري: الحصير المنسوج، وفي «الصحاح»: التي من القصب.

(٣) في (خ) و(ف): مقذافاً. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٦١ .

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٦٣ .

دخول مكانٍ يقال له: سوقُ الخميس فيه قوَّاد الزَّنج، فقال له أصحابه: نحن نسير إليه عوضكَ. فقال: لا بدَّ لي من ذلك، قالوا: فلا تُكثر العدد في السُّميريات، فسار في خمس عشرة سُميرية، وقدَّم أصحابه بين يديه في السُّميريات.

وكان سليمان بن موسى الشَّعراني قائد الخبيث قد بنى مدينةً بسوق الخميس وسمَّاها المَنيْعَة، وبَثَق حولها الأنهار، ووعَّر طريقها، فجاء أبو العبَّاس فأخذ فوهة النَّهر الذي يصل إليها، وخرج إليه خلقٌ كثير من الزَّنج فقاتلوه، وحالوا بينهم وبين المنيعَة وسورِها مقدارَ فرسخين، وكان قد قدَّم بين يديه نُصيراً القائد، فخالفه في بعض الأنهار والبُثوق، ومضى نُصير فوقع بمدينة الزَّنج فقاتلهم، وأسر منهم جماعةً.

وصاح الزَّنج بأبي العبَّاس: قد أسَرْنا نُصيراً، فضاق صدرُه، وإذا بنُصير قد وافاه بالأسارى والغنيمة على فوهة النَّهر، فسُرَّ به، ثمَّ وقع القتال، وقاتل أبو العبَّاس قتالاً شديداً والزَّنج يرمونه من السُّفن والبرِّ بالنُّشَّاب والآجرّ، فنُزِع من دِرعه خمسٌ وعشرون نُشَّابة، ومن لُبَّادٍ كان عليه أربعون نشّابة، ونصره الله عليهم، فانهزموا، فغنم سفنَهم وسلاحَهم.

ورجع أبو العبَّاس إلى معسكره بالعُمر[1] سالماً غانماً، وخلع على الملَّاحين ووصلهم، وأخذ سُمَيْريَّات الزَّنج مشحونة بالسِّلاح، فكان من غرق مَن الزَّنج أكثرَ ممن قُتل وأُسر، وكتب إلى أبيه الموفَّق بالفتح، ويخبره بما جرى، ويُطمعه في الزَّنج.

وكان الخبيث قد أمر قوَّاده بالاجتماع على حرب العبَّاس، فسار الموفَّق من بغداد بجيوشه والسُّفن والمعابر والشَّذا والسُّميريات في هيئةٍ لم يُرَ مثلُها إلى واسِط، فتلقَّاه ولدُه أبو العبَّاس في وجوه قوّاده وجنده، فوصف له بلادَهم ونصحهم، فخلع عليهم وأحسنَ إليهم، فسار ونزل عند عسكر ابنه بالعُمْر، ثمَّ رحل فنزل قريةَ عبد الله، ثمَّ قدَّم بين يديه ولدَه أبا العبَّاس إلى المدينة التي سمَّاها صاحبُ الزَّنج المنيعة من سوق الخميس، فقيل لأبي أحمد: ابدأ بمدينة الشَّعراني ولا تجعلها خلفك، فبدأ بها، وهجمها أبو العبَّاس، فقتل من الزَّنج خلقاً كثيراً، واستولى على ما كان فيها، وهرب

(١) في (خ) و(ف): بالغنم، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٦٦ .

الشَّعراني، وتبعهم أصحابُ أبي العبَّاس في السميريات إلى البطائح فقتلوهم، وغرق منهم أكثرُ مما قتل.

واستنقذوا من المسلمات زُهاء خمسة آلاف، فبعث بهنَّ أبو أحمد إلى واسط، وأمر بتسليمهنَّ إلى أهاليهنَّ، وهدم المدينةَ، وطمَّ خنادقَها، وأحرق جماعةً من الزَّنج كانوا بها، ثم نازل مدينة الشَّعراني فدخلها، وانهزم الشَّعرانيُّ في نَفَرٍ يسير، وسلب ولده، ومالَه، وأهلَه، ووصل إلى المذَار، وكتب إلى الخبيث بخبره، فتردَّد الخبيث إلى الخلاء مراراً في ساعة، ورجف فؤادُه، وتقطَّع كبده، وأيقن بالهلاك.

ثمَّ إن الموفَّق سأل عن أصحاب الخبيث فقالوا: معظمهم مع سليمان بنِ جامع في مدينة يقال لها: طَهيثا، فسار الموفَّق إليها في ربيع الآخر، وزحف عليها بجنوده، فتلقَّاه سليمانُ بن جامع وأحمدُ بنُ مهدي الجبَّائي في جموع الزَّنج، ورتَّبوا كميناً في مواضعَ شتَّى، ونشبت الحرب، فرمى أبو العبَّاس أحمدَ بنَ مهديٍّ الجبَّائي بسهم في إحدى منخريه[1]، فخرقه ووصل إلى دماغه، فحُمل إلى معسكره فأقام أياماً ومات، وكان أبو العبَّاس رامياً.

ثمَّ أصبح الموفَّق يوم السبت لثلاثٍ بقين من ربيع الآخر، فعبَّأ أصحابه، وجعلهم كتائبَ يتلو بعضُها بعضاً فُرساناً ورجَّالة، وأمر بالسُّميريات والسُّفن أن يشقَّ بها في النَّهر الذي يأخذ إلى مدينة طَهيثا؛ ويُعرف بنهر المنذر، وسار هو نحو الزَّنج حتَّى انتهى إلى سور المدينة، فرتَّب قوَّاده في الأماكن التي يُخاف خروجُ الزَّنج منها، وقدَّم الرجَّالة أمام الفرسان، ونزل فصلَّى أربعَ ركعات، وابتهل إلى الله تعالى في الدُّعاء، وسأله النَّصر، ثمَّ لبس سلاحَه، وأمر ابنَه أبا العباس بالتقدُّم إلى المدينة ففعل.

وكان سليمانُ بنُ جامع قد أعدَّ أمام سور مدينتِه التي سمَّاها المنصورة خندقاً عريضاً، فلمَّا وصل إليه عسكرُ أبي العبَّاس هابوه، فترجَّل القوَّاد بأسرهم، واقتحموا الخندق، ودخلوا البلد فوجدوا له خمسة أسوارٍ، وراء كلِّ سور خندق، فجعلوا يقتحمون خندقاً خندقاً والقتال يعمل، وشقَّت السُّميريات النَّهر الذي يدخل البلدَ، فما

---

(١) في (خ) و(ف): بسهم واحد منخريه، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٧٢ .

كانت إلا ساعة وانهزمت الزَّنج، وعمل فيهم السَّيف، فغرق أكثرهم، وأجلوهم عن المدينة. وأفلت سليمانُ بن جامع في نفرٍ من أصحابه، واستحرَّ القتلُ في الزَّنج والأسر، واستنقذ أبو أحمد من المدينة زُهاءَ عشرة آلاف امرأة، فأمر بحملهنَّ إلى واسط، ودفعهنَّ إلى أهاليهنَّ، واحتوى على ما كان في المدينة من الأموال والذَّخائر والأطعمة والمواشي ما لا يُحدّ ولا يحصى، واستغنى عسكرُه وشبعوا، وفرَّق فيهم ذلك.

وأقام أبو أحمد في المدينة سبعةَ عشر يوماً، ثمَّ أمر بهدم سورها وطمِّ خنادِقها، وكان قد لجأ من أعيان الزَّنج جماعةٌ إلى آجام حول المدينة، فبعث أبو أحمد أصحابه، فأتوا بهم إليه، فخلع عليهم وأحسن إليهم، وقصد صَرْفهم عن الخبيث، ومَنَّ عليهم، ولم يقتلْ من الأعيان أحداً.

ولما كان يوم الجمعة لليلةٍ خلت من جمادى الآخرة توجَّه الموفَّق إلى الأهواز ليصلحَ أمورها، ووكَّل عساكره بفوهة نهر أبي الخَصيب الذي فيه مدينة الخبيث [و]قوَّادُه، وشحنها بالسُّميريات والفرسان.

وكان المهلبيُّ مقيماً بالأهواز في ثلاثين ألفاً من الزَّنج، فلمَّا قصدها الموفَّق انهزم المُهَلَّبيُّ وتفرَّق أصحابُه، وكان بَهْبوذ الزَّنجي مقيماً في أطراف البلاد، فهرب إلى الخبيث، وترك أموالَه، ومن الطعام والتَّمر شيئاً عظيماً، فاحتوى عليه الموفَّق.

ولما تفرَّق عن المهلبيِّ وبَهْبوذ أصحابهما كتبوا إلى الموفَّق يسألونه الأمان؛ لِمَا انتهى إليهم [من] عَفوِه عمَّن ظَفِر به من أصحاب الخبيث، فأمَّنهم، وهرب بَهْبوذ والمُهَلَّبيُّ إلى الخبيث إلى نهر أبي الخَصيب.

وأقام الموفَّق حتَّى أحرز ما ترك المهلَّبيُّ وبَهْبوذ، وفتح السُّكور التي كان الخبيث أحدثها في دِجْلة، ورحل الموفَّق من السُّوس إلى جُندَيسابور، ثم سار إلى تُسْتَر فنزلها، ثمَّ أمر عاملَ الأهواز [بإحضار مَن معه][1] من الموالي والغِلمان والجند ليعرضَهم، وأمر بإعطاء أرزاقهم، وجُمعت أموالُ الأهواز وحملت إليه، ففرَّقها في العساكر.

(١) ما بين معكوفين من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٧٧ .

ثمَّ رحل إلى عسكر مُكْرَم، فجعله منزلاً، وانقطعت عنه المِيْرةُ ثلاثة أيام، فساءت أحوال العسكر وكادوا يتفرَّقون، فبحث الموفَّق عن السَّبب، فقيل له: هاهنا قنطرةٌ من بناء الأكاسرة بين سوق الأهواز ورَامَهُرْمز يقال لها: قنطرة أربُك، وكان الخبيث قد قطعها، فركب أبو أحمد في ساعته، وهي على فرسخين من سوق الأهواز، وجمع العساكر والرجَّالة والسودان، فنقلوا الحجارةَ والصخور، وبذل لهم الأموال، فلم يَرِمْ من مكانه حتى أعادها إلى ما كانت عليه، فوافت القوافل وحمل النَّاس المِيْرةَ، فحسُنت أحوال عسكره.

وأمر الموفَّق بجَمْع السُّفن لعقد الجسر، وجاءه ألف رجل من أصحاب المهلّبيِّ يسألونه الأمان، فأحسن إليهم، ووصلهم، وضمّهم إلى قوّاده، وأجرى أرزاقَهم، ولما عقد الجسر على دُجَيل عَبَر عليه، وعسكر بالجانب الغربيِّ من دُجَيل بمكان يقال له: قصر المأمون.

وكان قد قدَّم ابنه أبا العباس إلى نهر المبارك من فُرات البَصرة، وكان ابنه هارون قد خلفه بواسط، فكتب إليه ليسير بجيشه إلى نهر المبارك، ليجتمع العساكر ثَمَّ، ورحل أبو أحمد عن قصر المأمون، وسار حتَّى نزل نهر المبارك يوم السَّبت منتصف رجب، وتلقَّاه ابناه أبو العباس وهارون، وبعث ابنَه أبا العبَّاس إلى نهر أبي الخَصيب لقتال الخبيث، فبعث إليه الخبيث سُميريَّات وسُفناً، فاقتتلوا، فهزمهم أبو العبَّاس، واستأمن إليه قائد من قوَّاد الزَّنج يقال له: منتاب، فأحسن إليه ووصلَه.

ولما نزل الموفَّق بنهر المبارك يريد قتالَ الخبيث؛ كان أوَّل ما بدأ به أن كتب إلى الخبيث كتاباً يدعوه فيه إلى التَّوبة، والإنابة إلى الله تعالى ممَّا ركب من سفْكِ الدماء، وانتهاكِ المحارم، وإخرابِ البلدان والأمصار، واستحلالِ الفروج والأموال، وانتحالِ ما لم يجعلْه الله له أهلاً من النبوَّة والرسالة، ويعطيه الأمان، [فإن هو][1] نزع عمَّا هو عليه، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظّ الجزيل، وبعث به مع رجل من أصحابه، فلم يصل الرَّسول إلى الخبيث،

(١) زيادة من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٨١.

وأخذوا منه الكتاب، فلمَّا قرأه ما زاده ذلك إلا نفوراً وإصراراً واستكباراً، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره، ويقال: إنَّه قتل الرسول.

فسار أبو أحمد في جيوشه وعُدَدِه إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخَصيب، فأشرف عليها ـ وكان قد سمَّاها المختارة ـ فتأمَّلها، ورأى حصانتَها وأسوارَها وخنادقَها، وما وعّر[١] من الطُّرق المؤدِّية إليها، وما أعدَّ عليها من المجانيق والعرَّادات[٢] وآلاتِ القتال شيئاً لم يُرَ مثله في مدينة، ورأى من كثرة المقاتِلة[٣] ما استعظمه، ورفعوا أصواتهم فارتجَّت الأرض، فأمر الموفَّق ابنَه أبا العباس برَشْقِهم بالسِّهام فرماهم، ورمَوه عن يدٍ واحدة بالمجانيق والعرَّادات والمقاليع والآجُرّ والنُّشَّاب، فأذهلوا أبا أحمد والعسكر، فرجع عنهم، ولم يبق مكان إلَّا وفيه حَجرٌ أو سَهْم، وثبت أبو العبَّاس، واستأمن جماعةٌ من أصحاب الخبيث إليه، فأحسن إليهم ووصلهم، فلمَّا رأى أصحاب الخبيث ذلك استأمن منهم خلقٌ كثير، فخلع عليهم وأحسن إليهم.

ولما كان في اليوم الثاني جهَّز الخبيث بَهْبوذ في السّميريات، فالتقاه أبو العبَّاس واقتتلوا، فأصاب بَهبوذ طعنتان، وجُرح جراحات بالسِّهام، وهرب إلى الخبيث.

وعاد الموفَّق إلى معسكره بنهر المبارك وقد تبعه خلقٌ كثير من أصحاب الخبيث مستأمنين، فخلع عليهم وضمَّهم إلى ولدِه أبي العباس.

ولما كان في شعبان خرج الخبيثُ في ثلاث مئة ألف مقاتل ما بين فارس ورَاجِل، وركب أبو أحمد في خمسين ألفاً، وبينهم النَّهر، فنادى أبو أحمد بالأمان لأصحاب الخبيث، فاستأمن إليه خلقٌ كثير، فأحسن إليهم، وانفصلوا عن غيرِ قتال[٤].

وفيها بنى الموفَّق مدينة بإزاء مدينة الخبيث على جانب دجلة، وسمَّاها الموفَّقية، وذلك لأنَّه فكر ونظر، فرأى أنَّه لابُدَّ من مصابرته وحصاره، وتفريق جماعته عنه بالإحسان إليهم، فشرع في بناء المدينة، وكتب الكتب إلى عمَّاله بإنفاذ الصُنَّاع والمِيْرة

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٨١، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٢ : عور.

(٢) العرّادات: شبه المنجنيق صغيرة. اللسان: (عرد).

(٣) في (خ) و(ف): القتال. والمثبت من «تاريخ الطبري»، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٩ .

(٤) من أول السنة إلى هنا ليس في (ب).

وما يصلح [له]، فورد عليه ذلك، وقدم التُّجَّار بالأموال والأمتعة، وبنى الموفَّق الجامع والأسواق والمنازل، وشاع خبر الموفَّقية، فقدم إليها النَّاس من كلِّ مكان واستوطنوها[1]، وتتابع قوَّاد الزَّنج إلى أبي أحمد بالأمان، فكان عددُ من وافاه منهم من رجب إلى رمضان خمسةَ آلاف رجلٍ ما بين أبيضَ وأسود.

وفي شوَّال كانت وقعة بين أبي العبَّاس والخبيث قَتل منهم خلقاً كثيراً، وذلك لأنَّ الخبيث انتخب من قوَّاده خمسة آلاف، وأمرهم أن يعبروا فيبيِّتوا عسكر الموفَّق، فاستأمن إلى الموفَّق غلام من الملَّاحين، فأنهى إليه خبرَهم، فأمر الموفَّق ابنَه أبا العباس بالنُّهوض إليهم، وكان لهم كمين، فبعث إليه قوماً آخرين، واقتتلوا، فنصره الله عليهم، فركب أكتافهم، فكانوا بين قتيل وأسير وغريق، وأخذ أبو العبَّاس الأسارى، فصلبهم على السُّفن، ورمى برؤوس القتلى في المجانيق إلى مدينة الخبيث؛ وسببه: أنَّ أصحاب الخبيث لمَّا رأوا من الأمان والإحسان جعلوا يهربون إلى الموفَّق، فأيقن الخبيثُ بالهلاك، فوكَّل بكلِّ ناحية من المدينة مَن يمنعهم الهربَ، فأرسل جماعةٌ من قوَّاده إلى الموفَّق يسألونه الأمان، وأن يعبرَ إلى المدينة ليكون قريباً منهم، وكان الزَّنج قد ظهروا على أبي العبَّاس قبل ذلك بيومين، وقتلوا من أصحابه جماعة، فعبر إليهم الموفَّق في جميع أصحابه وجيوشه، وكان يوماً مشهوداً، ودار حول المدينة وأصحاب الخبيث يرمونهم بالمجانيق وغيرها، وجاء أبو العبَّاس من مكان آخر، فاقتحم الخنادق، وثلم السُّور ثُلْمة اتَّسع منها الدخول، وانهزم أصحاب الخبيث وهو معهم، وأصحابُ الموفق يتبعونهم إلى الليل، وعاد الخبيث إلى المدينة، وعبر الموفَّق إلى معسكره، وتراجع أصحاب الخبيث، واستأمنَ إلى الموفَّق خلقٌ كثيرٌ من قوَّاده وفرسانه، فأحسن إليهم، وخرجت هذه السَّنة والقتالُ بينهم والحرب قائمة، ورمَّ الخبيث ما كان وَهَى من الأسوار والخنادق.

وفيها استولى أحمد [بن عبد الله] الخجستانيُّ على خُراسان وكِرْمان وسِجِسْتان، وطرد عنها نوَّاب عمرِو بن اللَّيث، وعزم على المسير إلى العراق، وضَرَب الدنانير

(١) من هنا إلى قوله: وفيها استولى أحمد الخجستاني؛ ليس في (ب).

والدراهم باسمه، وجعل وزنَ الدينار عشرة دوانيق، والدِّرهم ثمانية دوانيق، وكتب على جانبٍ منه: المعتمد بالله، وعلى الجانب الآخر: أحمد بن عبد الله.

وقيل: إنَّه كتب على وجهٍ: المُلْك والقُدرة [لله]، والحولُ والقوَّة بالله، لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، وعلى الجانب الآخر: اسم المعتمد واسمه [والله أعلم](١).

وفيها وثب أحمد بن طولون على أحمد بن المدبّر، وكان متولِّي خراج دمشق والأردن وفلسطين، فحبسه وأخذ أموالَه، ثمَّ صالحه على ستِّ مئة ألفِ دينار(٢).

وحجَّ بالنَّاس هارون بنُ محمد بنِ إسحاق بنِ موسى بنِ عيسى الهاشميُّ.

فصل [وفيها توفي]

العبَّاس بن عبد الله

ابن أبي عيسى أبو محمد التَّرْقُفِي(٣).

كان زاهداً [عابداً] عالماً، [وروى الخطيب عن] ابن مخلد قال: ما رأيته يضحك قطُّ، قيل: ولا تبسم؟ قال: لا.

وأثنى عليه الخطيب، وروى عنه أنَّه قال: قيل لبعض العرب(٤): لم لا تتزوَّج؟ فقال: مُداراةُ العِفَّةِ أيسرُ من الاحتيال لمصالح المرأة.

[قال الخطيب:] توفي بسُرَّمن رأى [في] هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثمانٍ وستين [ومئتين].

سكن بغداد، وحدَّث بها عن محمد بن يوسف الفريابيّ وغيره، وروى عنه ابنُ أبي الدنيا وغيره، وكان ثقةً صالحاً صدوقاً.

---

(١) هذا الخبر في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٩٩-٦٠٠، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) هذا الخبر ليس في (ب). وانظر «المنتظم» ١٢/ ٢١٣.

(٣) في (خ) و(ف): الرفقي، وفي (ب): البرنقي، والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٨، و«تاريخ دمشق» ٣٢/ ١٠٠، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٤.

(٤) في (خ) و(ف): وقال العباس: قيل لبعض العرب...، والمثبت من (ب)، ولم نقف على نص كلام الخطيب في «تاريخ بغداد»، ورواه عن الخطيب ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ١٠١.

[فصل وفيها توفي]

عليُّ بن الحسن

ابنِ موسى بن مَيْسرة، الهلاليُّ، النَّيْسابوريُّ، الدَّرابْجِرْدي، ودَرابْجِرْد محلَّةٌ بنَيْسابور، وكان من أكابر علماء نيسابور، وابنَ عالمهم، وله مسجد بهذه المحلَّة يُتبرَّك بالصلاة فيه.

واختلفوا في وفاته؛ فقيل: إنَّه زَبَر عامل نيسابور وزجره عن ظُلمه، فأوقد له ناراً في تِبْنٍ، وأدخله في بيت، فمات من الدُّخان، وقيل: إنَّه وُجد ميتاً في مسجده بعد أسبوع [من وفاته] ولم يعلموا به، وقيل: أكله الذِّئب.

سمع أبا عاصم النَّبيل وغيرَه، وروى عنه البخاريُّ ومسلم وغيرهما، وكان سيِّداً، عالماً، فاضلاً، صدوقاً، ثقة[١].

محمد بن حمَّاد

ابن بكر، المقرئ، صاحب خَلَف بن هشام.

كان أحدَ القرَّاء المُجَوِّدين، وعباد الله الصَّالحين، وكان الإمامُ أحمد رحمة الله عليه يُجلُّه ويُكرمه، ويصلِّي خلفَه في شهر رمضان وغيره، وكانت وفاتُه ببغداد في يوم الجمعة لأربعٍ خلون من ربيع الآخر.

سمع يزيدَ بن هارون وغيرَه، وروى عنه القراءات خلقٌ كثير، وانتفعوا به، وكان صالحاً ثقة[٢].

[وفيها توفي]

يحيى بن محمد بن يحيى

أبو زكريا الذُّهْليُّ، [ويلقب حَيْكان[٣]].

---

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢١٣ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٧٢ ، و«تقريب التهذيب».

(٢) هذه الترجمة ليست في (ب)، وانظرها في «تاريخ بغداد» ٣/ ٧٦ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٥ .

(٣) ما بين معكوفين من (ب)، ووقع فيها: حكمان. والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣١٩ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٥ .

وكان يحيى] إمامَ أهل نيسابور في الفتوى والرِّياسة وابنَ إمامها، [وقد اختلف هو وأبوه في مسألة، فحكَّما محمد بن إسحاق بن خزيمة، فحكم ليحيى على أبيه.

وذكره أبو عبد الله في «تاريخه» وأثنى عليه، وقال: قتله] أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ الخارجيُّ، [وكان] جبَّاراً ظالماً عنيداً، تغلَّب على نيسابور مدَّة، ثمَّ خرج عنها، واستخلف إبراهيمَ بن نصر رئيس البلد مع أصحابه، فشرع أصحابُ الخُجستانيِّ في الفساد، فنهض يحيى بن محمد وأصحابُه فقاتلوهم وأخرجوهم من البلد، فلمَّا عاد الخجستانيُّ إلى البلد أخذ يحيى بن محمد، فبنى عليه حائطاً، وقيل: إنَّه قتله في جمادى الآخرة.

وقال [الحاكم: سمعت الحسن بن يعقوب المُعَدَّل يقول: سمعت] أبا عمر وأحمد ابن المبارك المستملي [يقول:] رأيتُ يحيى بن محمد في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. قلت: فما فعل الخُجستانيّ؟ فقال: هو في تابوت من نار ومفتاحُه بيدي.

أسند يحيى عن الإمام أحمد [بن حنبل] وغيره، وروى عنه أبوه إمام نيسابور صاحب الواقعة مع البخاريِّ، وكان يقول: أبو زكريا ولدٌ، وهو والد، وروى عنه محمد بنُ إسحاق بنِ خزيمة وغيرُه، وخلقٌ كثير.

[وفيها توفيت]

عابدة يمنية

[لم يذكر اسمها، ولها قصَّة رواها أبو الفضل محمد بن ناصر بإسناده إلى] محمد بن سليمان القرشيِّ [قال:] بينا أنا أسير في بلاد اليمن، إذا أنا بغلام واقف على الطَّريق في أذنيه قُرطان، في كلِّ قُرط جوهرة يضيء وجهه منها(١)، وهو يمجِّد ربَّه تعالى ويقول: [من الوافر]

مَليكٌ في السماءِ به افتخاري　　　عزيزُ القَدْر ليس به خفاءُ

فسلَّمتُ عليه فقال: ما أنا رادٌّ عليك حتَّى تؤدِّي [من] حقِّي الذي يجب عليك،

---

(١) في (ب): يضيء وجهه بين تلك الجوهرة، والمثبت في (خ،ف)، والخبر في المنتظم ١٢/ ٢١٦.

قلت: وما حقُّك؟ فقال: أنا غلام على مذهب الخليل عليه السلام، لا أتغدَّى ولا أتعشَّى كلَّ يوم حتى أسيرَ الميلَ والميلين في طلب الضَّيف، فسرتُ معه حتَّى قربنا من خيمة شَعَر، فصاح: يا أُختاه، فأجابته جاريةٌ من الخيمة: يا لَبَّيْكاه، فقال: قومي إلى ضيفنا، فقالت: حتَّى أبدأ بشكر المولى الذي سبَّبَ لنا هذا الضَّيف، فقامت فصلَّت ركعتين، ثمَّ أخذ الغلامُ شَفرةً، ومال إلى عَناقٍ فذبحها، وأدخلني الخيمة، وقامت أختُه لتُصلحَ العَناق، فنظرتُ إلى أحسن النَّاس وجهاً، فجعلتُ أُسارقُها النَّظر، ففطنت لبعض لَحظاتي إليها، فقالت: مه، أما علمتَ أنَّ ساكنَ يثرب ﷺ قال: «زنى العيون النظر»[(١)]، [وفي رواية: أما علمت أنَّه قد نُقل إلينا عن صاحب يثرب... وذكرته،] ثمَّ قالت: أما إنِّي ما قصدتُ توبيخَكَ، ولكن أردتُ أن أؤدِّبك لكي لا تعود إلى مثلها.

فلمَّا جاء اللَّيل خرجت أنا والغلام فبِتنا خارجَ الخيمة، وباتت الجارية في الخيمة، فكنتُ أسمع دَوِيَّ القرآن اللَّيلَ كلَّه من الخيمة بأحسن صوتٍ وأرقِّه، فلمَّا أصبحتُ سألتُ الغلام عن ذلك الصَّوت فقال: هي أختي؛ تحيي الليلَ كلَّه إلى الصَّباح، فقلت: فأنت يا غلام أحقُّ[(٢)] بهذا العمل منها! فتبسَّم وقال: أما علمتَ أنَّه موفَّقٌ ومَخذول.



(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وهو عند أحمد (٧٧١٩) من حديث ابن عباس عن أبي هريرة ﷺ، بلفظ: «العَين» وهو في مسند الشهاب (٦٦) كما أورده المصنف.

(٢) في (خ) و(ف): فأنا أحق...، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «المنتظم» ١٢/ ٢١٨.

السنة الثامنة والستون بعد المئتين(١)

فيها في المحرَّم استأمن إلى الموفَّق جعفر بن إبراهيم، ويُعرف بالسَّجَّان، صاحبُ الخبيث، وكان صاحبَ أسراره، قد اطَّلع على أحواله، وهو أحدُ ثِقاته، فلمَّا استأمن إلى الموفَّق خلع عَليه ووَصَله، وأعطاه مالاً كثيراً، وأمر بحمله في سفينة إلى قريب مدينة الخبيث، فلمَّا حاذى قصرَ الخبيث صاح بهم: وَيْحكم إلى متى تصبرون على الخبيث الكذَّاب، وأخبرهم بما وقف عليه من كَذِبه وفُجوره، وأنَّهم في غُرور منه، فاستأمن في ذلك اليوم إلى الموفَّق خلقٌ كثير من قوَّاد الزَّنج، وأحسن إليهم، وتتابع النَّاس في الخروج من عند الخبيث.

وفي ربيع الأوَّل زُلْزِلت بغداد زلزلةً هائلة، وجاء بعدها مطرٌ شديد وصواعقُ، فخاف النَّاس.

وفي ربيع الآخر عبر الموفَّق إلى مدينة الخبيث بعد أن ضيَّق عليه ومنعه المِيرة، فزحف إليها، وهدم من السُّور أماكنَ كثيرة، ودخل أصحابُه من كلِّ ناحية واغترُّوا، فخرج عليهم أصحابُ الخبيث من مواضعَ كانوا قد كَمَنوا فيها، فتحيَّروا في الخروج، وبعضُهم قصد الشَّطَّ فغرق، وأصابوا من أصحاب الموفَّق أسلحة وأسلاباً(٢)، وثبت جماعةٌ من غلمان الموفَّق ومن الدَّيلم نحواً من ثلاثين فقُتلوا، ورجع الموفَّق فعبر إلى المدينة الموفَّقيَّة، وكان قد أمر أصحابه بأن يَنْقُبوا السُّورَ لا غير، ولا يدخلوا المدينة، فخالفوه، فجرى ما جرى، فلمَّا عبر إلى الموفَّقية جَمَعَ الناسَ، وعَذَلهم على ما كان من مُخالفته، والالتفات(٣) عليه في رأيه، وتوعَّدهم بالعقوبة إن عادوا إلى الخلاف، وأمر بتسمية مَن قُتل، فانتسبوا أسماءهم، فأقرَّ ما كان جارياً لهم على أولادهم وأهاليهم، فحَسُن موضعُ ذلك، ومالت قلوب النَّاس، ومنع المِيرة عن الخبيث، وضاق بهم الأمر حتَّى أكلوا لحوم الكلاب، ونبشوا الموتى من القبور فأكلوا لحومَهم، واستأمن منهم

(١) جاءت هذه السنة مختصرة في (ب).
(٢) في (خ) و(ف): أسباباً، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٠٣.
(٣) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٠٣ : والافتيات.

خلقٌ كثير، فسُئلوا عن الخبز؟ فقالوا: لنا سنة ما أكلناه.

وواصل الموفَّق القتال عليهم والتضييق إلى رجب، فقُتل بَهْبوذ قائد الزَّنج، وكان من أكبرهم وأعزِّهم على الخبيث، وكان صاحبَ أموالٍ جليلة، وكان يخرج فيقاتل في السُّمَيريات الخفاف، فيخترق الأنهار المؤدِّية إلى دجلة، فإذا صادف سفينة للموفَّق أخذها فأدخلها النَّهر الذي خرج منه، فركب يوماً شَذاةً وشبَّهها [بشَذَوات][1] الموفَّق، وجعل عليها مثلَ أعلام الموفَّق، وسار بها في دِجْلة، فإذا ظفر بغرَّةٍ من أهل العسكر أوقع بهم، فقَتل وأَسر، وكان يخترق الأنهار؛ نهرَ الأُبُلَّة، ونهر مَعْقِل، وبَثْق شيرين، ونهر الدّير[2]، ويقطع السُّبُل، ويعبث في أموال السَّابلة ودمائهم، فبلغ الموفَّق، فأمر بسكر الأنهار[3] التي يَخرجُ منها، وأقام السُّميريَّات على رؤوس الأنهار، فخرج من نهرٍ لم يسكر، فقَتَل وسَبى ونَهب، فبعث الموفَّق ابنَه أبا العباس في شذًى وسُميريَّات يسبقه إلى النَّهر الذي يأخذ إلى مدينة الخبيث، فسبقه.

وأقبل بَهْبوذ في شذاه وسُمَيرياته وأصحابه، فالتقَوْا، فقتل أبو العبَّاس من أصحابه جمعاً كثيراً، وأسر جمعاً، وأفلت بَهْبوذ في جمع يسير.

ثمَّ خرج بَهبوذ بعد ذلك يعترض أهلَ القرى ليمتارَ منها، وعلم به أبو العبَّاس فخرج في طلبه، فاعترضه في طريقه غلامٌ لأبي العبَّاس في سُميرية، وطمع بَهبوذ في السُّميرية، فطعنه بعض غلمان السُّميرية السُّود في بطنه فأنفذه، فهوى إلى الماء، فحمله أصحابه إلى مدينة الخبيث، فلم يصلوا به إليها حتَّى عجَّل الله بروحه الخبيثة إلى النَّار، فعظم ذلك على الخبيث وأصحابه، وكان قتْلُه من أعظم الفتوح.

وخفي على الموفَّق هلاكُه، ثمَّ علم من ملَّاح كان مع بَهبوذ واستأمن إلى الموفَّق، فسُرَّ بذلك، وأحضر الرِّجال الذين كانوا في تلك السُّميرية والغلامَ الذي طعنه، فوصلهم وزاد في أرزاقهم، وخلع على الغُلام الذي قتله وطوَّقه وسوَّره، وأمر لكلٍّ من كان في السَّفينة بخِلَع وصِلات وجوائز.

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٠٩ .

(٢) في (خ) و(ف): السيل. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٠٩ .

(٣) في (خ) و(ف): الأموال. وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ الطبري».

قال الطبريُّ[(١)]: وفي هذه السَّنة اتَّفق أنَّ أوَّل رمضان كان يوم الأحد، وكان الأحد الثَّاني السَّعانين[(٢)]، والأحد الثَّالث الفِصْح، والأحد الرَّابع النَّيروز، والأحد الخامس انسلاخ الشَّهر.

وفيها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشميّ بالشَّام[(٣)]، وبعث إليه لؤلؤ ابن أبان بن طولون قائداً يقال له: يوذر، في جيش[(٤)]، فهزمه الهاشميُّ، ورجع وليس معه كثير أحد.

وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون، وكاتب الموفَّق بالقدوم عليه، ولؤلؤ مولى ابن طولون.

وفيها عبر الموفَّق لقتال الخبيث، فجاءه سهمٌ في صدره رماه غلامٌ به روميٌّ اسمه قُرطاس، فتجلَّد ولم يُظهر شيئاً، وأقام أيَّاماً وبرئ، وقيل: بل قُتل في السَّنة الآتية[(٥)]، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وجاء لؤلؤ فنهب بالِس والرَّقَّة، وافتتح قرْقِيسياء، وسار إلى العراق.

ولما قُتل بَهْبوذ حبس الخبيث غلمانه على المال، وأخرب دورَه فلم يجد شيئاً، فزهد فيه أصحابُ بَهبوذ، واستأمنوا إلى الموفَّق، وبلغ الخبيث أنَّ ابنه يريد اللَّحاق بالموفَّق فقتله[(٦)].

وفيها قُتل أحمد بن عبد الله الخُجستاني المتغلِّب على خراسان[(٧)]، قتله غلمان له في ذي الحجَّة.

---

(١) في «تاريخه» ٩/ ٦١١.

(٢) السَّعانين: عيد للنصارى. اللسان: (سعن).

(٣) بعدها في (خ) و(ف): فهزمه الهاشمي، وهي زيادة مقحمة، انظر الطبري ٩/ ٦١١.

(٤) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦١١: ووجه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف.

(٥) ذكر هذا الخبر وما بعده الطبري ٩/ ٦١٤، وابن الجوزي ١٢/ ٢٢٤، وابن الأثير ٧/ ٣٧٦، والذهبي ٦/ ٢٥٢ في حوادث سنة (٢٦٩هـ).

(٦) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦١١: وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزنج، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبي أحمد.

(٧) بعدها في (ب): وفعل ما فعل، وقتل عثمان الحمكي.

وفيها غزا الصَّائفةَ خلف الفرْغانيُّ عاملُ ابن طولون على الثُّغور الشَّامية، فقتل من الرُّوم بضعة عشر ألفاً، وغنم الغنائم، فبلغ السَّهم أربعين ديناراً.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد بن إسحاق [بن موسى][1] الهاشميّ.

وفيها توفي

أحمد بن سيَّار[2]

ابن أيوب أبو الحسن المَرْوَزيُّ،

إمام أهل الحديثَ بمَرْو، جمع بين الحديث، والعلم، والزُّهد، والفقه، والوَرَع، وكان يقاس بعبد الله بن المبارك في عصره.

ورد بغداد فحدَّث بها، ورحل إلى الشَّام ومصر وغيرها، وصنَّف كتاباً في أخبار مرو، وصنَّف «فتوح خراسان»، وكانت أمُّه من موليات المأمون، وتوفِّي في ربيع الأوَّل.

سمع إسحاقَ بن راهويه والأئمَّة، وروى عنه أئمَّة خراسان؛ البخاريُّ وغيره، واتَّفقوا على صلاحه وصدقه وثقته.

أنس بن خالد

ابن عبد الله[3] بن أبي طلحة بن موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، صاحبِ رسول الله ﷺ.

كان فاضلاً، توفِّي ببغداد في جمادى الأوَّل، أسند عن سفيانَ بنِ عُيينة[4] وغيره، وروى عنه عبد الله ابن الإمام أحمد وغيره، وكان ثقة.

محمد بن عبد الله

ابن عبد الحكم أبو عبد الله، فقيه أهل مصر ومحدِّثُهم.

---

(١) ما بين معكوفين من (ب)، وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٦١٢، والمنتظم ١٢/ ٢٢٠.

(٢) في (خ) و(ف): سنان، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٠٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٦٥.

(٣) بعدها في (خ): بن عبد الحكم، وهو انتقال نظر، والمثبت موافق لما في «تاريخ بغداد» ٧/ ٥١٨، و«المنتظم» ١٢/ ٢٢٠.

(٤) ولد سفيان بن عيينة سنة (١٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٩٨هـ). كما في «تهذيب الكمال» ٣/ ٢٢٨.

ولد سنة اثنتين وثمانين ومئة، وتوفِّي بمصر منتصف ذي القعدة، وصلَّى عليه بكَّار ابن قتيبة، ويعرف بصاحب الشافعيِّ، وكان مالكيَّ المذهب، حُمل إلى بغداد، وامتحنه ابن أبي دؤاد، فثبت على السُّنَّة، ولم يُجب إلى ما أراد منه، وكان فقيهاً بارعاً زاهداً عابداً ورعاً.

أسند عن الإمام الشَّافعيِّ رحمة الله عليه، وروى عنه أبو حاتم الرَّازيُّ وغيره، وأجمعوا على فضله ودينه وثقته(١).



(١) «المنتظم» ١٢/ ٢٢٠، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤١٠، و«السير» ١٢/ ٤٩٧.

السَّنة التَّاسعة والسّتون بعد المئتين(١)

وفي شهر المحرّم(٢) اجتمع كسوفان؛ كسوفُ القمر وكسوفُ الشَّمس، [فكسوف القمر] في ليلة أربعة عشر [منه] وغاب منكسفاً، وكسوف الشَّمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه وقتَ المغيب. وغابت منكسفة، وهذا نادر كسوفُهما في شهر(٣).

وفيها في المحرَّم قطعت الأعرابُ الطَّريق على قافلة الحاجِّ قريباً من سَميراء، فأخذوا نحواً من خمس مئة جمل(٤) بأحمالها وأناساً كثيراً [والله أعلم بالصواب](٥).

وفيها وثب خَلَف الفَرْغانيُّ صاحب ابن طولون على يازمان خادم الفتح بن خاقان ومولاه، وكان بالثُّغور بأَذَنة وطَرَسوس، فحبسه خَلَف، فوثب أهل الثَّغر فخلَّصوا يازمان، وأرادوا قتل خلف، فهرب إلى دمشق، ولعنوا ابن طولون على المنابر، وبلغه فخرج من مصر إلى دمشق، ثمَّ نزل أَذَنة وبها يازمان الخادم، فتحصَّن بها، وسدَّ أبوابها سوى باب الجهاد وباب البحر، وبَثَق المياه حولها، وفعل ذلك أهل طَرَسوس، فأقام ابن طولون على أَذَنة، فلم يظفر منها بطائل، فعاد إلى أنطاكية، ثمَّ إلى دمشق فأقام بها.

قال الطَّبريُّ(٦): وفي هذه السَّنة خالف لؤلؤ، وسار إلى قَرْقِيْسياء وبها ابن صفوان العُقيلي، ففتحها عَنوةً، وسلَّمها إلى أحمد بن مالك بن طَوْق، وهرب ابنُ صفوان، وكاتَب لؤلؤ الموفَّقَ، وشرط عليه شروطاً فأجابه، فسار يريد العراق.

وفيها دخل الموفَّقُ مدينةَ الخبيث عَنوةً، وكان الخبيث لما هلك بَهْبوذ طمع في أمواله، وكان قد صحَّ عنده أنَّه قد ملك مالاً عظيماً وجوهراً، فجمع أصحاب بَهْبوذ وأقاربَه، وسألهم عن المال، فأنكروا، فضربهم بالسِّياط، وهدم دوراً من دُوره فلم

---

(١) جاءت هذه السنة مختصرة في (ب) مع اختلاف في ترتيب الأحداث.

(٢) في (خ): فيها، وفي (ف): في المحرم، والمثبت من (ب)، وما سيأتي بين معكوفين منها أيضاً.

(٣) في (ب): وهذان نادران اجتمع في شهر واحد كسوفان.

(٤) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦١٣، و«المنتظم» ١٢/ ٢٢٢، و«الكامل» ٧/ ٣٩٦: خمسة آلاف بعير.

(٥) من هنا إلى قوله: وفيها عبر الموفق إلى الخبيث... بعد صفحات ليس في (ب)، وما بين معكوفين منها.

(٦) في «تاريخه» ٩/ ٦١٤.

يجد فيها شيئاً، ففَسَدت قلوبُهم.

وعَبَر الموفَّق إلى المدينة، ونادى في أصحاب بَهْبوذ بالأمان، فسارعوا إليه من كلِّ وجه، فأجازهم، وأحسن إليهم، ووصلَهم، ثمَّ زحف على المدينة فدخلها بعد قتالٍ جَهيد، وقصد الدَّارَ التي كان الخبيث اتَّخذها مسجداً وسمَّاه الجامع، فقاتل أصحابُه دونَه قتالاً شديداً لما كان يعظِّمه الخبيث، فقُتل عليه خلقٌ كثير منهم.

وبذل الموفَّق الأموالَ والأَطْوِقَة والأَسْوِرة لمَن سارع إلى هدم كمار[1] الخبيث، وهدموا المسجد، وأتَوا بالمنبر إلى الموفَّق، فسُرَّ سروراً عظيماً، وعاد إلى مدينته وقد أنكى في الزَّنج نِكاية عظيمة، ونهب خزائنَ الخبيث، وأُحرقت عامَّة دُوره ودُور أصحابه، وأحرقوا الأسواق.

وظهر في ذلك اليوم للموفَّق تباشير الفتح، وبينا هو واقف إذ رماه غلامٌ روميٌّ ـ كان مع الخبيث، يقال له: قرطاس ـ بسهم، فأصابه في صدره، وذلك يوم الاثنين لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، فستر الموفَّقُ ما ناله من السَّهم، وانصرف إلى الموفَّقيَّة، فعُوْلج في تلك اللَّيلة، ثمَّ باكر الحرب على ما به من ألم الجراح؛ ليشدَّ قلوب أوليائه، فزاد عليه الألم بسبب الحركة، وعَظُم أمره حتَّى خِيف عليه، واضطرب العسكر والرَّعيَّة، وخافوا قوَّة الخبيث عليهم، وأشار عليه أصحابه بالرَّحيل إلى بغداد، فأبى ذلك، وخاف أن يكون فيه ائتلافُ ما قد تفرَّق من شَمْل الخبيث، فأقام على مَضَض من الألم، ثمَّ منَّ الله عليه بالعافية، فظهر للنَّاس بعد احتجابه، فقويت نفوسُهم وتباشروا، وعادوا إلى ما كانوا عليه من حرب الخبيث.

ولما بلغ الخبيثَ حديثُ السَّهم [جعل][2] يَعِد أصحابه العِدَات، ويمنِّيهم الأماني الكاذبة، ويحلف على منبره أنَّ أبا أحمد قتله السَّهم، وما يُرى في السُّميريات والحروب مثالُه؛ ليموِّهوا على النَّاس بحياته.

وقال الصُّولي: أصاب الموفَّقَ سهمٌ في ثُنْدوَته[3] اليسرى، فكادَ يَتْلَف، وتصدَّقت

(١) الكَمَر: اسم لكل بناء فيه العقد، كبناء الجسور والقناطر. «معجم الألفاظ الفارسية المعربّة» ص ١٣٧.

(٢) ما بين معكوفين من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٢٠-٦٢١.

(٣) الثندوة: اللحم الذي حول الثدي. اللسان: (ثند).

عنه أمُّه بَوْزِنِه وَرِقاً فبرئ، وأقام الخبيث مدَّة مرض الموفَّق في إصلاح ما تشعَّثَ من مدينته.

وفي يوم السَّبت نصف جمادى الأولى شَخَصَ المعتمدُ من سُرَّمن رأى يريد اللَّحاق بابن طولون لأمرٍ تقرَّر بينهما.

وقال أبو جعفر أحمد[1] بن يوسف بن إبراهيم الكاتب: خرج أحمد بن طولون من مصر في آخر سنة ثمانٍ وستين ومئتين، وحمل معه ابنَه العبَّاس معتقلاً في قُبَّة، فأقام بدمشق، وخرج المعتمد من سُرَّمَن رأى على وجه التنزُّه[2]، وقصْدُه دمشق لاتِّفاقٍ جرى بينه وبين ابن طولون، وخرج مع المعتمد أخوه أبو عيسى، وإبراهيم بن المدبّر، وأحمد بن خاقان، وخطارمِش وغيرهم، فلمَّا بلغ الموفَّق وهو بالبصرة في مقابلة الزَّنجيِّ، كتب إلى إسحاق بن كُنْداج يقول له: قد عزم المعتمد على قصد ابن طولون، وإن دخل مصر تغلَّب على دار السُّلطان، ومتى استولى ابن طولون على المعتمد لم يبقَ منكم يا معاشر الموالي اثنين، فاجتهد في ردِّه.

وكان ابن كنداج في نَصِيبين في أربعة آلاف فارس، فصار إلى المَوْصِل، فوجد حرَّاقات[3] المعتمد وحشَمَه بموضع يقال له: الدَّواليب، فوكَّل بهم هناك وسار، فلقي المعتمد بين المَوْصل والحَديثة[4]، فخرج إليه نحرير الخادم، فسلَّم عليه واستأذن، فأذن له، فدخل إسحاق ومعه ابنُه محمد وجماعة يسيرة، فسلَّم على المعتمد، ووقف بين يديه، فقال له: يا إسحاق[5]، لِمَ منعتَ الحشَم من الدُّخول إلى الموصل؟ وكان بين يدي الخليفة أحمد بن خاقان، وخطارمش، وتينك[6]، فقال:

يا أمير المؤمنين، أخوك في وجه العدوّ، وأنت تخرج من مُستقرِّك ومدينةِ آبائك

(١) في (خ) و(ف): محمد. والمثبت من «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٢.
(٢) في (خ) و(ف): الميرة. والمثبت من «تاريخ الإسلام».
(٣) الحرَّاقات: سفن فيها مرامي النيران. «اللسان»: (حرق).
(٤) في (خ) و(ف): المدينة، والمثبت من «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٢.
(٥) في (خ) و(ف): يا أبا إسحاق، والمثبت من «تاريخ الإسلام».
(٦) في «الكامل» ٧/ ٣٩٤: نيزك، والمثبت موافق لما في الطبري ٩/ ٦٢٠.

ودار مُلكك، ومتى صحَّ عنده هذا رجع عن مقاومة الخارجيِّ، فتغلَّب عدوُّك على دار ملكك، وهذا كتابُ أخيك يأمرني بردِّك. فقال: أنت غلامي أو غلامُ أخي؟ فقال: كلُّنا غِلمانك ما أطعتَ الله، فإذا عصيتَه فلا طاعة لك علينا، وقد عصيتَ الله بما فعلتَ من خروجك، وتسليط عدوِّك عليك وعلى المسلمين.

ثمَّ خرج من المَضرب، ووكَّل به جماعة، ثمَّ بعث إلى المعتمد يطلب ابنَ خاقان وخطارمِش وتينك ليُناظرهم، فبعث بهم إليه، فقال لهم: ما جنى أحدٌ على الإسلام وعلى الخليفة ما جنيتُم، أخرجتموه من دار مُلكه في عدَّة يسيرة، وهارونُ الشَّاري بإزائكم في جمع كبير، فلو حضركم وأخذ الخليفة لكان عاراً وسُبَّة على الإسلام.

ثمَّ وكَّل بهم، وبعث إلى الخليفة يقول: ما هذا بمُقامٍ والشَّاري بإزائنا، فارجع. فقال الخليفة: فاحْلِف لي أنَّك تنحدر معي ولا تُسلمني، فحلف له، وانحدر إلى سُرَّمن رأى، فتلقَّاه صاعد بن مَخْلد كاتبُ الموفَّق، فسلَّمه إسحاق إليه، فأنزله في دار أحمد بن الخَصيب، ومنعه من نزول الجَوْسَق[1]، ووكَّل به قائداً معه خمس مئة رجل يَمنعون من الدُّخول إليه.

وقيل: كان ابن طولون بمصر، وإسحاق بن كنداج عامل الموفَّق على الموصل والجزيرة، فبعث إليه الموفَّق مع صاعد بن مَخْلد كاتبه بالقبض على المعتمد وعلى من معه، وردِّهم إلى سُرَّمن رأى، وكان المعتمد قد أقام بالكُحَيْل يتصيَّد، ومعه من القوَّاد: أحمد بن خاقان وخطارمش وجماعة، فلمَّا وصلوا إلى الموصل أظهر إسحاق أنَّه مع المعتمد موافقٌ غيرُ مخالف، وكان مَن مع المعتمد قد حذَّروه إسحاق وقالوا: لا حاجةَ لنا إلى المرور به، فخالفهم وقال: هو غلامي، وفي الطَّريق إليه صَيْد كثير.

وكان ابن طولون قد بعث قائداً إلى الرَّقَّة أسيراً في خدمة المعتمد، فلمَّا بقي بين المعتمد وبين عمَّال ابن طولون منزل؛ أمر برحيل الغِلمان والأثقال والأتباع، فخلا ابنُ كنداج بالقوَّاد الذين مع المعتمد، وقال لهم: إنَّكم إذا صرتم إلى ابن طولون فالأمر أمرُه، وأنتم تحت يده، أفترضَون بذلك، وإنَّما هو مثلُ واحد منكم؟

---

(١) الجوسق: الحصن. والقصر. «اللسان»: (جسق).

وجرى بينهم مناظرات حتَّى ارتفع النَّهار، ولم يَرتَحِل المعتمد لاشتغال القوَّاد بالمناظرة، ولم يجتمع رأيُهم على شيء، فقال لهم ابن كنداج: قوموا بنا حتَّى نتناظر في غير هذا المكان، وأكرِموا مجلسَ أمير المؤمنين عن ارتفاع الأصوات فيه، فأخرجهم من مَضْرب المعتمد وأدخلهم مضرب نفسه، وأمر قوَّاده وأصحابَه وفرسانه فدخلوا عليهم، فقيَّدوا الجميع، ثمَّ عاد إسحاق فدخل على المعتمد، وعَذَله في شخُوصه عن دار مُلكه، وفراقِ أبي أحمد على الحال الَّتي هو بها من مُحاربة الخبيث، وما في ذلك من الفساد، ثمَّ حمله ومَن كان معه إلى سُرَّمَن رأى في شعبان، وبعث أبو أحمد بِخِلَع [إلى] إسحاق، وقلَّده سيفين، وتُوِّج وطُوِّق وسُوِّر، وأفضى عليه من الخِلَع والأموال ما لا يحصى، وأُقطِع ضياعَ القوَّاد الذين كانوا مع المعتمد[١].

وقال الصُّولي: كان المعتمد قد تخيَّل من أخيه الموفَّق، فكاتَبَ ابنَ طولون، واتَّفقا على أنَّه يتوجَّه إلى مصر، فلما خرج من سُرَّ من رأى قال لقُوَّاده خطارمش وأحمد بن خاقان وغيرهما: لا حاجة لنا إلى العبور على الموصل؛ فإنَّ ابن كنداج مائلٌ إلى أبي أحمد فلا آمنه، فاعدلوا عنه، فقالوا: هو أخونا ومعنا ويُساعدنا على ما نريد، فقال: سوف ترون، فلمَّا قيَّدهم صاح بهم المعتمد بالله: قيِّدْهم وزِدْهم قيداً آخر، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّك أخوهم وتُساعدهم على ما يريدون[٢]، وسلَّم ابنُ كنداج المعتمدَ إلى صاعد، فأنزله في دار ابن الخَصيب، وحجر عليه، فقال: [من الوافر]

أليس من العجائب أنَّ مِثلي ... يرى ما قَلَّ مُمْتَنعاً عليه

وتُؤكَل باسمه الدُّنيا جميعاً ... وما من ذاك شيءٌ في يديه[٣]

ولُقِّب ابن كنداج ذو السَّيفَين، وصاعد ذو الوزارتين، وأقام صاعد في خدمة المعتمد، والمعتمد يجور عليه ليس له أمرٌ ولا نهي.

حكاية جرت لصاعد:

قال الصُّولي: سعَوْا بصاعد إلى الموفَّق، ورمَوه بمال عظيم، فأمر بحمله إليه إلى

(١) «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٣ وما بين معكوفين منه.

(٢) بعدها في (خ) و(ف): وسلم ما يريدون.

(٣) ذكر الأبيات الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٣.

واسط، وجعلوا الرُّقعة التي فيها السِّعاية بالمال العظيم تحت ذَنَب طائر، وانتُظر به مسير صاعد إلى واسِط. قال صاعد: وكان عندي مئتا ألف درهم، فقلت: أحملها إلى الموفَّق، ثمَّ قلتُ: والله لا فعلتُ، ولأتصدَّقنَّ منها بمئة ألف درهم. قال: فتصدَّقت بمئة ألف في اليوم الذي حُملت فيه إلى واسط، ونزلتُ في سفينة، فبينا أنا أسير إذ سقط بين يديَّ طائر، فأخذتُه، فوجدتُ الرُّقعة الَّتي سُعي بي فيها تحت ذَنَبه، فعلمتُ أنَّ الله كفاني ذلك لأجل صدقتي، فلمَّا دخلتُ على الموفَّق أريتُه الطَّائر والرُّقعة، وعرَّفتُه الصَّدقةَ وما فعلتُ، فعظمتُ في عينه، وارتفعتْ منزلتي عنده، وقال: ما فعل الله بك هذا إلَّا لخيرٍ رَادَكَ له، وخصَّك به(١).

ولما بلغ أحمدَ بن طولون ذلك جمع القُضاةَ والأشرافَ والعدول، وفيهم العمريُّ وأبو حازم وبكَّار، وقال: قد نَكَث أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد، فخلعوه إلا القاضي بكَّار فإنَّه قال: أنت أوردتَ عليَّ كتاباً من المعتمد بولاية العهد للموفَّق، فأورِدْ عليَّ كتاباً ثانياً منه بخلعه، فقال: إنَّه مَحْجورٌ [عليه و]مقهور، فقال: لا أدري، فقال ابن طولون لبكَّار: غرَّك النَّاس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكَّار، وأنت شيخٌ قد خَرِفتَ، وأنا أحبسك حتَّى يَرِد عليَّ كتابٌ بإطلاقك، فحبسه وقيَّده، واستردَّ منه جميع ما كان قد أعطاه من الجوائز في مدَّة ولايته، فكانت عشرة آلاف دينار، فوجدها في بيت بكَّار بحالها وبختمها.

وكتب ابن طولون كتاب الخَلْع وفيه: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا ما أجمع عليه القُضاة، والعلماء، والأولياء، ووجوهُ الأمصار؛ أنَّ ابن طولون أحضرهم إلى مَجْلسه بدمشق، وسألهم عن ما يوجبه ما أقدم عليه النَّاكث أبو أحمد في أمر أمير المؤمنين المعتمدِ على الله؛ من احتياله على الحَجْر عليه، وقبضِ أمواله، وتشريد جماعته، وأنَّه دسَّ إليه السُّمَّ، واحتال في اغتياله، فخاف أمير المؤمنين على نفسه فأجمع المسيرَ إلى أحمد بن طولون ليَعتصمَ به؛ إذ هو ثقتُه، وعدتُه، وسيفُه، وحصنُه، وإنَّ إسحاقَ بن كنداج عرض له بأمر أبي أحمد وكتابه، فردَّه قهراً إلى سُرَّمن رأى، وسلَّمه إلى صاعد

(١) ذكر هذا الخبر عن الصولي ابنُ الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ٢٢٣ .

فحبسه، ومنع أهلَه وحشَمه عنه، وقد أصبح أسيراً بعيدَ النَّاصر، عُرضةً لسُوء القول، وقبيحِ الفعل، يَخاف على نفسه ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجَهاراً، فرأى كلُّ مَن حضر من القضاة والعلماء خَلْعَ أبي أحمد ممَّا فوَّضه إليه أمير المؤمنين من ولاية عهده، والتبرِّي منه، وأفتَوا بجهاده لوجوهٍ؛ أحدها: أنَّه منع حقَّ إمامه، والثاني: حقَّ الأخوّة، والثالث: حقَّ النِّعمة، وأوقع مَن حضر من الحكَّام شهاداتهم عليه، وفتياهم به، وكتب في سنة تسعٍ وستِّين ومئتين، شهد عُبيد الله بن محمد العمريُّ، وعبدُ الحميد بن عبد العزيز قاضي دمشقَ والأردن وفلسطين، وكتبوا بها نُسخاً، وبعثوا بها إلى الأمصار.

وأكثر الشُّعراء في ذلك، فقال إسحاق بن طريف المخزوميّ: [من الخفيف]

كيف يُرجى للعهد مَنْ نَقَض العَهْـ ـدَ ولم يَرْعَ حُرمَةَ الأجدادِ
ناكثٌ قد أضلَّ قوماً أطاعو هُ على نكْثِ بيعةٍ وفسادِ
أيُّ صوم لكم وأيُّ صلاةٍ وإمامُ الهُدى أسيرُ الأعادي
أيُّ عُذرٍ لكم بخَذْلِ إمامٍ لابسٍ ثوبَ ذِلَّةٍ واضطهادِ

وبلغ الموفَّق، فكتب إلى الأمصار بلعنةِ ابن طولون على المنابر، فكان الخطيب يقول: وإنَّ عدوَّ الله، المباينَ لجماعة المسلمين، المعروفَ بابن طولون، المارقَ عن الدِّين، الذي أخرب ثغورَ المسلمين، وقاتَلَ المجاهدين، وأهَّل بالفسوق المارقين، واستباح الحريم، وسفك الدِّماء، وظلم الرَّعيَّة، ولم يقسم بالسَّويَّة... وذكر كلاماً طويلاً.

ثمَّ سار ابن طولون من دمشق إلى المصِّيصة وبها يازمان الخادم، فتحصَّن ونصب المجانيق والعرَّادات، وجاء فنزل المَرْج والبردُ شديد، والمطرُ كثير، فبثق عليه يازمان نهر طَرَسوس المعروف ببردان، فغرق المَرْج، وهلك عسكرُ ابن طولون، فرحل وهو خائف، وخرج أهل طَرَسوس، فنهبوا ما كان في عسكره، فسار إلى دمشق لا يلوي على أحد، فمرض مرضته الَّتي مات على عَقيبها، ولم يكن فيه إلَّا الغبن من لعنته على المنابر، وعصيان يازمان عليه، وأخذ المعتمد من يده بعد أن كان قد نوى أن يأخذ به الدُّنيا وما فيها.

وولَّى ابنُ طولون قضاءَ مصر محمد بن شاذان الجوهريَّ نيابة عن بكَّار، وولَّى

الموفَّق إسحاقَ بن كنداج المغرب كلَّه، والعراقَ وشرطتَه، وما كان بيدِ أحمد بن طولون، وقرئ كتاب بمكة بلَعْنَةِ ابنِ طولون، وأقام إسحاق بسامرَّاء بأمر الموفَّق هذه السَّنة.

وفيها عبر الموفَّق إلى الخبيث، وأحرق قطعةً من البلد، وجرح أنكلاي بن الخبيث صاحب آمد وديار بكر.

قال الطَّبريُّ[1]: وفيها صار جعفر المفوَّض إلى جامع سُرَّمن رأى يوم الجمعة، ولعنَ ابنَ طولون على المنبر، وعقد لإسحاق بن كنداج من باب الشَّمَّاسِيّة إلى إفريقية[2]، وعقد لصاعد على شَهْرَزور، والجبال، وحُلْوان، وأعمال الفرات.

وفيها كانت بين الموفَّق والزَّنج وقعةٌ عظيمةٌ في شوَّال.

كان الخبيث مدَّة اشتغال الموفَّق بمرضه قد أعاد القنطرة الَّتي كانت قريبة من نهر أبي الخَصيب، وألبسها الحديد، وعمل دونها سكراً بالحجارة يمنع دخول السُّفن إليه، فندب الموفَّق قائدَين في أربعة آلاف ليُجليا أصحابَ الخبيث عن القنطرة، وركب الموفَّق حتَّى وافى نهرَ أبي الخَصيب ليشغلهم عن المعاونة على القنطرة.

وخرج الزَّنج يقودهم أنكلاي بن الخبيث، وسُليمان بن جامع، وعلي بن أبان المهلَّبيّ، وقاتلوا عن القنطرة أشدَّ قتال؛ لعِلْمهم بما في قطعها من الضَّرر عليهم، ولم يزل القتال بينهم إلى العصر، وكره الموفَّق أن يهجم اللَّيل والجيشُ موغل في نهر أبي الخَصيب؛ فتمكنَ الزَّنج من أذاهم، فرجع إلى الموفَّقيَّة، وأحسن إلى المقاتِلة، وخلع عليهم.

ولمَّا رأى الخبيث أنَّ الموفَّق قد ضيَّق عليه تحوَّل إلى مكان آخر، وانقطعت عنه المِيْرة، وضَعُف أمرُه، وقلَّ عنده الشَّيء، حتَّى كان الرَّجل منهم إذا خلا بامرأة أو صبيٍّ ذبحه وأكله، ثمَّ كان مَنْ قوي من الزَّنْج بعضُهم على بعض ذبحه وأكله، وكان الخبيث لا يعاقب مَن يفعل ذلك إلَّا بالحبس، ثمَّ يُطلقه.

---

(١) في تاريخه ٩/ ٦٢٧ـ٦٢٨.

(٢) من هنا إلى ترجمة عيسى بن الشليل ليس في (ب).

وكان الموفَّق قد أحرق على الخبيث دارَه وقصرَه ومنازلَه، وبقي في جانب من النَّهر في قصره لبعض أصحابه، ووعَّر الطريق إليه وسدَّها، وعمل الخنادق، فسار إليه الموفَّق، وأحرق الأماكن الَّتي كان فيها، ودخل مدينته فتمَّم خرابها، وأمر بقلع باب قصره الذي انتزعه من حصن البصرة، فحُمل إلى بغداد، وقطع الجسرَ الذي كان يرتفق منه الخبيث، فخاف الزَّنج، وقاتلوا قتالاً شديداً، ثمَّ انهزموا، فدخل غلمان الموفَّق، فخَلَّصوا مَن كان في تلك الناحية، ودخلوا دار القائد، ونهبوها، وسبَوْا ولدَه ونساءه.

وعبر الخبيثُ إلى الجانب الشَّرقي من نهر أبي الخَصيب، وأخلى الغربيَّ، واستأمن إلى الموفَّق جماعةٌ من قوَّاد الخبيث ممَّن كان يَثق بهم، فأحسن إليهم ووصلهم، وجاء بعضهم بمنبر الخبيث، فسُرَّ به وتفاءل بالفتح، واستنقذ الموفَّق نساءً علويَّات كنَّ عند الخبيث مُحَبَّسات، فأمر بحملهنَّ إلى العسكر، وفتحوا سجناً كبيراً كان للخبيث فيه خلقٌ من العساكر الذين كانوا يقاتلون من أصحاب الموفَّق ومن غيرهم، فأخرجوا الجميع وفي أرجلهم القيود، وفي أعناقهم الأغلال، فأطلقوهم.

وبعث أنكلاي بن الخبيث إلى الموفَّق يَطلب الأمان، ويَشترط أشياء، فأجابه إلى كلِّ ما سأل، وبلغ أباه، فعَدَله إلى قتال الموفَّق، وباشر الحرب بنفسه.

وفي ذي القعدة دخل الموفَّق مدينة الخبيث الشَّرقيَّة من نهر أبي الخَصيب، جمع السفن والمعابر من دجلة والبَطيحة ونواحيها، وأضافها إلى ما في عسكره، فأُحصي ما كان في المعابر والشَّذا والسُّميريات زهاءَ عشرة آلاف ملَّاح، ممَّن يجري عليه الرِّزق من بيت المال مشاهرة، سوى سُفن أهلِ العسكر الَّتي يحمل فيها المِيرة، ويركبها النَّاس في حوائجهم، وأمر الموفَّق بتفرقة السُّفن على الفرسان والرَّجَّالة، وقدَّم ابنه أبا العبَّاس وقوَّاده ومواليه، وذلك في يوم الاثنين لتسعٍ خلون من ذي القعدة.

وفي هذا الشهر أدخل المعتمد إلى واسط.

وسارت السفن والسُّميريات والخيَّالة والرَّجَّالة على ترتيب لم يُرَ مثله[1]، فيقال: إنَّ المقاتِلة كانوا ثلاثين ألفاً، وسارت السُّفن في دجلة منذ صلاة الظُّهر إلى اللَّيل، وأصبح

(١) هذا وما بعده من تمام وصف دخول الموفق مدينة الخبيث، انظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٤٦ـ٦٤٧.

يوم الثلاثاء وقد انضاف إليه خلقٌ كثير، فصار في خمسين ألفاً؛ يكبِّرون، ويهلِّلون، ويقرؤون القرآن، ويصلُّون على النبيِّ ﷺ، فلمَّا رأى الخبيث ذلك أبهره، وزال عقلُه، وزحف الجيشُ نحو الخبيث، فتلقَّاه بنفسه في جيشه، واشتبكت الحرب، وكَثُر القتل والجراح بين الفريقين.

وحامى[1] الزَّنج على المدينة الشَّرقية واستقتلوا، وحمل الموفَّق بنفسه وأبو العبَّاس والخواصُّ فهزموهم، وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وأسروا من شُجعانهم خلقاً كثيراً، فضرب الموفَّق أعناقَهم، وقصد دار الخبيث وقد التجأ الخبيث إليها، وانتخب أنجادَ أصحابه، وكان فيها بقايا ما كان سَلِم للخبيث، فانتهب غلمانُ الموفَّق الجميع، وأخذوا حرمه وأولاده ـ وكانوا أكثر من مئة امرأة وصبيّ ـ، وهرب الخبيث على وجهه نحو دار المهلّبيّ لا يلوي على أحد ولا مال ولا أهل، وأُتي بأولاده ونسائه، فأمر الموفَّق بحملهم إلى الموفَّقيَّة، وأحسن إليهم، وأمر بإحراق دار الخبيث فأُحرِقَت بما فيها، واستنقذ خمس مئة امرأة من المسلمات اللَّاتي كنَّ عند الخبيث، فردَّهنَّ الموفَّق إلى أهاليهنَّ، وكان الخبيث قد جاءه منهنَّ أولاد.

وفي ذي الحجَّة ورد كتاب لؤلؤ مولى ابن طولون إلى الموفَّق يسأله القدومَ عليه؛ ليَشهَد حرب الخبيث، فأجابه إلى ذلك، وأقام ينتظر قدوم لؤلؤ ليُناجز الخبيث، فقدم لؤلؤ مدينة السَّلام في جمع عظيم من الفَراغِنة والأتراك والرُّوم والبَربر والسُّودان وغيرهم، فأقام ببغداد أيَّاماً، ثمَّ توجَّه إلى الموفَّق، فوافاه يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرَّم سنة سبعين ومئتين، وسنذكره هناك.

وبعث الموفَّق بعيالِ[2] صاحب الزَّنج إلى بغداد.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ.

وفيها توفي

أحمد بنُ عبد الله

ابنِ القاسم، أبو بكر، الورَّاق الحافظ.

حدَّث [عن] عُبيد الله بن مُعاذ العَنْبريّ وغيره، وروى عنه أبو سعيد بن الأعرابيِّ وغيره.

---

(١) في (خ) و(ف): وحامل، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٤٧.

(٢) في (خ) و(ف): يغتال، والمثبت هو الصواب، انظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٥٢.

وأخرج له الخطيب[١] أثراً عن زِرّ بن حُبَيْش قال: قلتُ لأُبيٍّ بن كعب: إنَّ ابن مسعود يقول: مَن يَقُم شهرَ رمضان يُدركْ ليلة القَدْر، فقال أُبيّ: يرحم الله ابن مسعود، لقد علم أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين.

الحسن بنُ مَخْلد

ابنِ الجرَّاح، أبو محمد، الكاتب، الوزير[٢].

ولد سنة تسع ومئتين هو ومحمد بن عبد الله بن طاهر، وعُبيد الله بن يحيى بن خاقان، وأحمد بن إسرائيل، وكلُّهم وَلُوا الوزارة.

وكان ابن مَخْلَد يتولَّى ديوان الضياع للمتوكِّل، وقدم معه دمشق، ثمَّ بقي إلى زمان المعتمد، فاستوزره سنة ثلاثٍ وستين، ثمَّ عزله فيها سليمان بن وهب، واعتقله، وأخذ منه مئة ألف وعشرين ألف دينار، ثمَّ أطلقه، واستوزره في سنة أربعٍ وستِّين وقبض على سليمان، ثمَّ عزل الحسن وأعاد سليمان إلى الوزارة في ذي الحجَّة، فهرب ابن مخلد، ثمَّ ظهر في ربيع الأول سنة خمس وستين، فأُعيد إلى الوزارة في ربيع الأوَّل، ثمَّ سخط عليه المعتمد في شعبان، واستوزر أحمد بن صالح، فبعث أحمد بن طولون إليه فأشخصه إلى مصر، فلمَّا قدم عليه رأى منه ما لم يره من غيره من الفَهم والدِّراية بأمر الدُّنيا، فحظي عنده، وقال له: انظر في أعمالي، فنظر فيها، وضمن له زيادةَ ألف ألف دينار في كلِّ سنة؛ مع العدل في الرَّعيَّة، فخافه الكتَّاب فوشَوْا به إلى ابن طولون، وقالوا: هذا عينُ الموفَّق عليك، فحبسه، فقالوا: لا ينبغي أن يكون في جِوارك محبوساً؛ فربَّما حَدَث به حادث فيُنسب إليك، فبعث به إلى عامله بأنطاكية، وأمره أن يعذِّبه، فعذَّبه في هذه السَّنة.

وكان شاعراً جواداً ممدَّحاً، مدحه البحتريُّ وغيره، ومن شعر الحسن وكتب به إلى أهله من مصر إلى بغداد: [من البسيط]

مَن للغريب البعيدِ النَّازحِ الوَطَنِ مَنْ للأسير أسيرِ الهَمِّ والحَزَنِ

---

(١) في «تاريخه» ٥/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) ترجمته في «تاريخ دمشق» ٤/ ٥٩٧ (مخطوط)، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣١٧، و«الوافي بالوفيات» ١٢/ ٢٦٧.

مَن لـلـغـريـب الـذي لا مُـسـتـراحَ لـه ... مِـنَ الـهـمـوم ولا حـظٌّ مـن الـوَسَـنِ
لا خيرَ في عيشِ نائي الدَّارِ مُغْتَربٍ ... يأوي إلى الهمِّ كالمَصْفود في قَرَنِ
يا أهلُ كم فاتني من حُسنِ مُستمعٍ ... منكم وفارقتُه من مَنظَرٍ حَسَنِ
وكم تجرَّعتُ للأيام بعدكُمُ ... من جُرعةٍ أزعجَتْ روحي من البَدَنِ

وقال الحسن: عُرِضَتْ على المتوكِّل جاريتان شاعرتان، فقال لإحداهما: قولي في مجلسنا شيئاً ـ وكان فيه الفتح بن خاقان ـ فقالت: [من الطويل]

أقول وقد أبصرتُ صورةَ جعفرٍ ... إمامِ الهدى والفَتح ذي العزِّ والفخرِ
أشمس الضُّحى أم شِبهُها وجهُ جعفر ... وبدرُ السماءِ الفتحُ[1] أم مُشبِهُ البَدْرِ

ثمَّ قال للأخرى: قولي أنت شيئاً، فقالت: [من الطويل]

أقول وقد أبصرتُ صورةَ جعفر ... تعالى الذي أعلاك يا سيِّدَ البَشَرْ
وأكمل نَعماه[2] بفَتْحٍ ونُصحه ... فأنت لنا شمسٌ وفتحٌ لنا قَمَرْ

فأمر بشراءِ الأولى دون الثانية، فقالت: لم رَدَدْتَني؟ فقال: لأنَّ في وجهك نَمَشاً، فقالت: [من السريع]

لم يَسْلَمِ الظَّبيُ على حُسْنِه ... يوماً ولا البَدْرُ الذي يُوصَفُ
الظَّبيُ فيه خَنَسٌ بَيِّنٌ ... والبدرُ فيه نُكتةٌ تُعرَفُ

فأمر بشراء الأخرى.

خالد بن أحمد بن خالد

ابن عمرو، أبو الهَيْثم، الذُّهْليُّ.

ولي إمارة مَرْو، وهَرَاة، وبُخارى، وغيرها من بلاد خُراسان، وكان من أهل السُّنَّة، وله آثار مَشهودة، وأمور مَحمودة، وهو الذي نفى البخاريَّ عن بخارى لما قال: لَفْظي بالقرآن مخلوق.

وكان يحبُّ العلماء والحديث، وأنفق في طلب الحديث والعلم ألفَ ألفِ درهم،

(١) في (خ) و(ف): للفتح، والمثبت من «نشوار المحاضرة» ٦/ ١٩٤، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٥٩٨.
(٢) في (خ) و(ف): معناه، والمثبت من «نشوار المحاضرة» و«تاريخ دمشق».

ولمَّا استوطن بُخارى استقدم إلى حَضرته حفَّاظ الحديث، مثل: صالح جَزَرة، ومحمد ابن نَصْر المَرْوزي، ونصر بن أحمد، وغيرهم، وسمع من إسحاق بن راهويه وغيره.

ورد بغداد وحدَّث بها، فسمع منه القاضي وكيع، وأبو طالب الحافظ، وابن عُقدة، وغيرهم.

وكان يختلف إلى المحدِّثين فيسمع منهم، ويمشي لطلب الحديث ولا يركب تواضعاً، وبسط يده بالإحسان إلى العلماء فأحبُّوه، وقَدِموا عليه من الآفاق، وكان شديداً على الطَّاهرية، مائلاً إلى يعقوب الصَّفَّار، وكان قد كلَّم محمد بنَ طاهر لمَّا كان بهَراة بما ساءه، فرفع محمد أمرَه إلى السَّلطان، فاتَّهمه السُّلطان فحبسه ببغداد، فمات في حبسه، فكانوا يرَون أنَّه عُوقب بسبب ما فعل بالبخاريّ[١].

[فصل وفيها توفي]

عيسى بن الشَّيخ

ابن السَّليل بن ضَبِيس[٢]، أبو موسى، الذُّهْلي، الشَّيباني[٣]، من ذُهْل بن شَيبان.

غلب على دمشق في أيَّام المهتدي وأوَّلِ أيام المعتمد، وذكره أبو الحسين الرَّازي في أمراء دمشق فقال: غلب على دمشق[٤] سنةَ خمسٍ وخمسين ومئتين، وأظهر الخلاف، وأخذ مال الشَّام، وكان يتقلَّد فلسطين والرَّملة والأردنّ، وكان ذلك في وقت اضطراب الأتراك بسامراء، فاغتنم عيسى ذلك، فجمع الرِّجال، ومنع المال، واتَّفق أنَّ ابنَ المدبَّر حمل من مصر سبع مئة ألف دينار وخمسين ألف دينار يريد سامراء، فأخذها عيسى منه، فبعثوا من سامرَّاء حسين الخادم، ومعه الكُريزي وأبو نصر المروزيّ الفقيهان؛ لمطالبته بمال مصر، وبما كان في يده من الأعمال، وبعثوا بعَهْده على أرمينية معهم، فلم يُقرَّ بشيء وقال: استولت النَّفقات على الجميع.

(١) «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٥٧، و«المنتظم» ١٢/ ٢٢٥، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٢٢.

(٢) في (خ) و(ف): صيص، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٢٨.

(٣) في (ب): وقد نسبه الحافظ ابن عساكر فقال: عيسى بن الشيخ أبو موسى...، وما سلف بين معكوفين منها.

(٤) في (خ) و(ف): وقال أبو الحسين الرازي: غلب علي بن عيسى على دمشق...، والمثبت من (ب).

وكان لمَّا ولي المعتمد لم يبايعْه عيسى لأجل المهتدي، ولا لبس السَّواد، فتلطَّف به حُسين الخادم، ودفع إليه عهدَه على أرمينية حتى أقام الدَّعوة للمعتمد، وهو يظنُّ أنَّه استُعمل على أرمينية مضافاً إلى الشَّام، فقلَّد المعتمد أماجور التُّركي دمشقَ وأعمالَها، فسار إلى الشَّام في جيشه، وقيل: في أقلَّ من ألف رجل، فلمَّا قَرُب منها أنهض عيسى ابنَه منصور وكنيته أبو الصَّهباء، فخرج إلى أماجور وقاتله، فانهزم منصور وأُخذ أسيراً، وجيء به إلى أماجور، فضرب عنقه، وصلبه على باب دمشق[1]، ومضى عيسى منهزماً إلى أرمينية، فأقام بها إلى سنة تسع وخمسين ومات بها، [وهذه حكاية ابن عساكر عن أبي الحسين الرَّازي].

وذكره الدارقطني فقال[2]: كان عيسى أميراً على آمد [ومن ولده جماعة من أصحاب الحديث، منهم: محمد بن إسحاق بن عيسى بن الشيخ].

وقال الصُّولي: جاءه رجل فأنشده هذه الأبيات: [من الوافر]

رأيتُكَ في المنام خَلَعْتَ[3] خزًّا ... عليَّ بَنَفْسَجاً وقضيتَ دَيْني

فعجِّل لي فِداكَ أبي وأمِّي ... مقالاً في المنام رأته عيني

فقال عيسى: يا غلام، كم في الخزانة من شِقاق البنفسج؟ قال: سبعون شُقَّة، قال: ادفعها إليه. ثم قال: كم دَيْنُك؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأعطاه إيَّاها وقال: اقض [بهذه] دينك، وعشرة آلاف أخرى استَعِنْ بها[4]، وإيَّاك أن تَعودَ فترى مناماً آخر، فلعلَّك لا تجد مَن يُفسِّره لك.

---

(١) هكذا جاءت العبارة في (خ) و(ف) وهي خطأ. والذي في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٣٠ : أنهض إليه عيسى بن الشيخ ابنه منصور بن عيسى وظفر بن اليمان المعروف بأبي الصَّهباء، فلما التقوا انهزم أصحابه، وقتل منصور بن عيسى بن الشيخ وأسر ظفر بن اليمان، فأمر به أماجور فضرب عنقه، وصلبه على باب دمشق، وانظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٤٧٤_٤٧٥ .

(٢) في (خ) و(ف): ومات بها. وقال الدارقطني...، والمثبت وما سلف وسيأتي بين معكوفين من (ب)، وكلام الدارقطني في «تاريخ دمشق».

(٣) في (خ) و(ف): رأيت، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق»، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٨٣ .

(٤) في (خ) و(ف): اقض دينك وأعطاه مثلها وقال: استعن...، والمثبت من (ب)، وما سيأتي بين معكوفين منها.

وقال الصُّولي: كان بُغا الكبير قد ولّى عيسى بن الشيخ على فلسطين والأردنّ في سنة خمس وخمسين ومئتين، فغلب على دمشق، ثم مضى إلى أرمينية، فتوفي بها في هذه السنة.]

وحكى ابن عساكر عن عيسى أنَّه قال: قال المأمون[١]: دخول الحمَّام بالغَدَوات دخولُ الملوك، ووقت الظُّهر دخولُ التُّجَّار، وبعد العصر دخول السُّفَّل، ووقتَ السَّحَر دخول العيَّارين [والطَّرَّارين، وهذا ما انتهى إلينا، والله أعلم].

[وفيها توفي]

محمد بن إبراهيم

أبو حمزة، الصُّوفيُّ، البغداديُّ، [مولى عيسى بن أبان القاضي، وقيل: إنَّه من ولده.

وكان أبو حمزة] أستاذَ البغداديِّين، وهو أوَّل مَن تكلَّم ببغداد في هذه المذاهب من صفاء الذِّكر، وجمعِ الهَمِّ، والمحبَّة، والشَّوق، والقُرب، والأُنس، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد، ومازال مَقبولاً، حسنَ المنزلة عند النَّاس، إلى أن توفي في سنة تسع وستين ومئتين، ودفن بباب الكوفة[٢].

وكان عالماً بالقراءات، وجالَس الإمام أحمد، وكان الإمام أحمد [بن حنبل] إذا جرى في مجلسه شيءٌ من كلام القوم يلتفت إلى أبي حمزة ويقول: ما تقول في هذه المسألة يا صوفيّ؟

وصحب سريًّا، والجنيد[٣]، وحسناً المُسُوحي [وإليه كان ينتمي وغيرهم، وحكى عنه خير النَّسَّاج]. وقدم مكَّة والمدينة وتكلَّم بهما مراراً.

[ذكر طرف من أخباره وكلامه:

حكى الخطيب بإسناده إلى خير النَّسَّاج قال: سمعتُ أبا حمزة] يقول: خرجتُ من

---

(١) في (خ) و(ف): وقال عيسى قال المأمون، والمثبت من (ب)، والكلام في «تاريخ دمشق» ٢٨/٥٧ .

(٢) في (خ) و(ف): عند الناس وتوفي بباب الكوفة، والمثبت وما سيأتي بين معكوفين من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٩ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٢٧ .

(٣) بعدها في (ب): وهو من أقرانهما.

بلاد الرُّوم، فوقفتُ على راهب فناديته: هل عندك خَبَرُ مَن قد مضى؟ قال: نعم، فريقٌ في الجنَّة، وفريق في السَّعير [، وذكرها ابن خَميس في «المناقب»(١)].

وقال: استراح من أسقط عن قلبه محبَّة الدُّنيا، ومتى خلا منها سكنه التوكُّل.

[وحكى عنه في «المناقب»](٢) قال: مَن رُزق ثلاثة أشياء نجا من الآفات؛ بطنٌ جائع مع قلبٍ قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم.

وسئل عن الأُنس فقال: ضِيق الصَّدر من مُعاشرة الخَلْق.

وقال: إنِّي لأستحيي من الله أن أَدخل الباديةَ وأنا شبعان وقد اعتقدتُ التَّوكُّل.

وقال الجنيد: خرج مرَّة من البادية، فقدَّمت إليه طعاماً كثيراً فأكل الجميع، فعجبتُ منه فقال: لا تعجب؛ فإنِّي أكلتُ أكلةً بمكَّة وهذه الثانية.

وسمع رجلاً يلوم إنساناً على إظهار وَجْدِه، وغلبةِ الحال عليه في مجلس بعض الأضداد، فقال أبو حمزة: يا أخي، الوَجْدُ الغالب يُسقط التَّمييز، ويجعلُ الأماكن كلَّها مكاناً واحداً، والأعيانَ عيناً واحدة، فلا لَوْمَ على مَن اضطرَّه وجْدُه إلى ذلك، وما أحسن قولَ القائل: [من الكامل]

فدَعِ المحبَّ من الملامةِ إنَّها ... بئسَ الدَّواءُ لمُوجَعٍ مِقْلاقِ
لا تُطفِئنَّ جَوًى بلَوْمٍ إنَّه ... كالرِّيح تُغري النَّارَ بالإحراقِ(٣)

وخرج طائفة من مكَّة من المشايخ يستقبلونه، وقيل: إنَّما خرجوا من بغداد يستقبلونه عند قدومه من مكَّة، فإذا به قد شَحَب لونُه، فقال له الجريريُّ: يا سيِّدي، هل تتغيَّر الأسرار بتغيُّر الصِّفات؟ قال: معاذ الله أن تتغيَّر بتغيُّر الصِّفات، لو تغيَّرت لهلك العالم، ولكنَّه ساكنَ الأسرارَ فحملها، وأعرض عن الصِّفات فلاشاها(٤)، ثمَّ أنشد:

---

(١) «مناقب الأبرار» ١/ ٤٩٢.

(٢) ما بين معكوفات من (ب)، وانظر «مناقب الأبرار» ١/ ٤٩٢، و«تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٥ فما بعدها، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٩١.

(٣) البيتان لابن الرومي وهما في «ديوانه» ٤/ ١٦٦٣. ورواية الشطر الأول في (خ) و(ف): فدع الملامة للمحب فإنها، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المناقب.

(٤) في النسخ: فلا شاهد، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٧، و«تاريخ دمشق» ٦٠/ ٣٧٤.

[من مجزوء الكامل]

كـــمـــا تـــرى صَـــيَّـــرنـــي قَـــطْـــعُ قِـــفـــارِ الـــدِّمَـــنِ
شـــرَّدنـــي عـــن وطـــنـــي كـــأنَّـــنـــي لـــم أكـــنِ
إذا تـــغـــيَّـــبـــتُ بـــدا وإن بـــدا غـــيَّـــبـــنـــي
يـــقـــولُ لا تـــشـــهـــد مـــا يـــشـــهـــد أو يـــشـــهـــدنـــي

ذكر وفاته:

قال: تكلمتُ يوماً فهتف بي هاتف: قد تكلَّمتَ فأحسنتَ، بقي أن تسكتَ فتُحسن، فما تكلَّم بعد ذلك، وعاش أسبوعاً ومات.

وقال السُّلَمي: تكلَّم يوماً في جامع الرُّصافة في علوم الإرادات، فسقط من المنبر، فأقام مريضاً، وتوفِّي بعد أيام.

وقيل: إنَّما سقط في جامع المنصور، وقيل: إنَّه مات في سنة تسعٍ وسبعين.

[قال الخطيب: وفي] سنة تسعٍ وستين أصحّ(١).



(١) ما بين معكوفين من (ب)، وانظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٩ ، و«طبقات الصوفية» ٢٩٦ ، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٦٨، و«الوافي بالوفيات» ١/ ٣٤٤، وسيرد في وفيات سنة (٢٩٥هـ): أبو حمزة الصوفي، وسياق الأخبار هناك تختلف عمَّا هنا، فليحرَّر، وينظر تاريخ الإسلام ٦/ ٣٩٢، ٤٦٢ حيث ذكره باسمه مرَّة وبكنيته مرَّة أخرى..

السَّنة السَّبعون بعد المئتين

فيها في المحرَّم كانت وَقعةٌ بين الموفَّق والخبيث أوهَنَت الخبيث، ووقعةٌ أخرى في صفر قُتل فيها الخبيث، وسنذكره.

وفيها توفي هارون بن [أبي][١] أحمد الموفَّق ببغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى.

وفيها مات الحسنُ بن زيد العَلَوي بطَبَرِستان في شعبان، وقيل: في رجب، ومات ابنُ طولون في ذي القعدة.

وفي نصف شعبان أُعيد المعتمد إلى سامرَّاء، ودخل بغداد ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحَرْبة، والجيشُ في صحبته كأنَّه لم يُحجر عليه.

وفيها انبثق ببغداد في الجانب الغربي بَثْقٌ من نهر عيسى من الياسِرِيَّة، فجاء الماء إلى الكَرْخ، فهدم سبعةَ آلاف دار.

وقال أبو الحسين الرَّازي: وفيها ظهر أحمد بنُ عبد الله بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله [بن حسن] بن حسن بن عليٍّ عليه السلام[٢] بصعيد مصر، وتبعه خلقٌ كثير، فبنى أحمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعةَ أَرْوِقَة، وأخرج عظامَ الصَّحابة، فرمى بها حتَّى أسَّس البناء، ورتَّب عند القبر أُناساً يقرؤون القرآن، ويوقدون الشُّموع.

ثمَّ جهز [أحمد بن طولون] إلى أحمد بن عبد الله الجيوشَ إلى صعيد مصر، فكانت بينهم حروب، فظفر به أصحابُ ابنِ طولون، فحملوه إليه فقتله، ومات ابن طولون بعده بيسير.

---

(١) هذه الزيادة من «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٦٦ .

(٢) ما بين معكوفين من «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٦ .

وفيها نزلت الرُّوم طَرَسوس في مئة ألف، [وعليهم بِطْرِيق يقال له: أندرياس، وكان بطَرَسوس يازمان الخادم، فبيَّتهم ليلاً] وقَتل البطريقَ وسبعين ألفاً معه، وأَخذ منهم صُلبانَ الذَّهب منها صليب الصَّلَبوت، وعليه جواهرُ لا قيمةَ لها، وأَخذ منهم مئتي كرسيٍّ من الذَّهب والفضَّة مرصَّعة بالجواهر، ومن الخيام والسِّلاح ما لا يُحصى، وكذا من الخيل، لم يفلتْ منهم إلَّا القليل، وذلك في ربيع الأوَّل.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ(١).

[فصل]وفيها توفي

أحمد بن طولون

أبو العبَّاس، التُّركي، وطولون مولى نوح بن أسد عامل بخارى وخراسان.

أهداه نوح إلى المأمون في سنة مئتين، ووُلد له أحمد في سنة عشرين ومئتين، وقيل: في سنة أربع عشرة، والأوَّل أصحّ، ببغداد، وقيل: بسُرَّمن رأى، من جارية يقال لها: هاشم، وقيل: قاسم. وقيل: إنَّ أحمد لم يكن ابنَ طولون وإنَّما تبنَّاه.

وذكر أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُميدي [ما يدلّ عليه:] قال بعض المصريِّين(٢): إنَّ طولون تبنَّاه ولم يكن ابنَه، وإنَّه رأى فيه مَخايل النَّجابة.

ودخل عليه يوماً [وهو صغير] فقال: بالباب قوم ضُعَفاء، فلو كتبتَ لهم بشيء، فقال [له طولون:] ادخل إلى المقصورة وائتني بدواة وبيضاء، فدخل أحمد، فرأى في الدِّهليز حَظِيَّة من حظاياه قد خلا بها خادم، فأخذ الدَّواة وخرج ولم يتكلَّم، فخَشيت الجاريةُ أن يسبقها إلى طولون بالقول، فجاءت إلى طولون وقالت: إنَّ أحمد راودني السَّاعةَ في الدِّهليز، فصدَّقها، وكتب كتاباً إلى بعض خَدَمِه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مشورة، وقال لأحمد: اذهب بهذا الكتاب إلى فلان، فأخذ الكتاب، ومرَّ على الجارية [بالكتاب]، فقالت له: إلى أين؟ فقال: في حاجةٍ مُهمَّةٍ للأمير [ولا يعلم ما]

(١) «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٦٦، و«المنتظم» ١٢/ ٢٢٩.

(٢) في (خ) و(ف): فقال أبو عبد الله نصر بن محمد الحميدي: قال بعض...، والمثبت من (ب).

في الكتاب، فقالت: أنا أرسله [إليه] ولي بك حاجة[١]، فدفع إليها الكتاب، فدفعتْه إلى الخادم الذي كان معها وقالت: اذهب به إليه، وشَغَلت أحمد بالحديث، وإنَّما قصدت أن يزداد عليه طولون حَنَقاً.

فلمَّا وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم، وبعث به إلى طولون، فلمَّا رآه عَجِب، واستدعى أحمد، وقال له: اصدُقْني، ما الذي رأيتَ في طريقك إلى المقصورة؟ قال: لا شيء، قال: اصدقني وإلَّا قتلتُك. فصدقه الحديث، وعَلِمت الجارية بقتل الخادم، فخرجت ذَليلةً حَيرانة، فقال لها: اصدُقيني، فصدقتْه، فقتلَها، وحظي أحمد عنده.

[قلت: ما أشبه هذه الحكاية بقول القائل: أحسنْ إلى المُحْسِن بإحسانه، فأمَّا المُسيء فتكفيه مَساءته. وفي الباب حكاية معروفة].

قال أحمد بن يوسف [الكاتب]: قلتُ لأبي العباس بن خاقان: النَّاس [في أحمد] فرقتان؛ فرقة تقول: إنَّ أحمدَ ابنُ طولون. وأخرى تقول: هو ابن مَليح التركي[٢]، وأمُّه قاسم جارية طولون، فقال: كذبوا، إنَّما هو ابن طولون، ودليله: أنَّ الموفَّق لمَّا لعنه نسبه إلى طولون ولم ينسبه إلى مليح[٣]، و[كان] مليح مِضحاكاً يُسخر منه، وطولون معروف بالسّتر.

وقال أحمد بن يوسف في «سيرة ابن طولون»: إنَّ طولون كان رجلاً[٤] من أهل طُغُزغُز، فحمله نوح بن أسد عامل بخارى إلى المأمون فيما كان موظَّفاً عليه [من المال والرَّقيق والخيل في كلِّ سنة.

وولد أحمد بن طولون بسامرَّاءَ من جارية يقال لها: قاسم].

واختلفوا في وفاة طولون، فحكينا عن أحمد بن يوسف الكاتب: أنه مات في سنة

(١) في (خ) و(ف): أنا أرسله ولك بي حاجة، والمثبت من (ب) وما بين معكوفين منه، وانظر «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور ٣/ ١٢٢-١٢٣، و«المقفّى» للمقريزي ١/ ٤١٨، و«النجوم الزاهرة» ٣/ ٢.

(٢) في «النجوم الزاهرة» ٣/ ٣: ابن يليخ التركي. وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ب).

(٣) في (ب): أسنده لابن طولون، ولو كان ابن مليح لأسنده إليه.

(٤) في (خ) و(ف): وقال أحمد بن يوسف: كان طولون رجلاً، والمثبت من (ب).

أربعين ومئتين، [وكذا ذكر الخطيب، وقيل: إنَّ أحمد ولد في سنة أربعة عشر ومئتين، ومات أبوه][١] في سنة ثلاثين ومئتين، والأوَّل أصحّ، وفوِّض إليه ما كان إلى أبيه، ولمَّا ترعرع خطب إلى يارجوخ بنت عمٍّ له تُعرف بخاتون، فزوَّجه إيَّاها، فوَلَدت له العبَّاس [بن أحمد في] سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

ذكر طرف من أخباره:

[حكى ابن عيسى اللؤلؤي وقال:] كان ظاهر النَّجابة من صغره، ونشأ بعيدَ الهِمَّة، على طريقة مستقيمة ومذهبٍ جميل، وطلبَ العلم في صغره، وسمع الحديث، وقرأ القرآن، وكان حسنَ الصوت، يَدرس القرآنَ كثيراً[٢].

وكان يقول: ينبغي للرَّئيس أن يَجعل اقتصادَه على نفسه، وسَماحتَه على مَن يَقصُده ويشتمل عليه؛ فإنَّه يملكهم ملكاً لا يزول به عن قلوبهم.

ونشأ أحمد في العِفَّة والصَّلاح والدِّين والجود، حتَّى صار له في الدُّنيا ذكر جميل[٣]، وكان شديدَ الإزْراء على التُّرك وأولادِهم؛ لما يرتكبونه من أمر الخلفاء، غير راضٍ بذلك، ويستقلُّ عقولهم، ويقول: [إنَّ] حرمة الدِّين عندهم مَهتوكة، وكانوا يَهابونه ويتَّقونه على الأموال[٤] ويحبُّونه.

وقال الخاقانيُّ وكان خَصِيصاً بابن طولون: قال لي يوماً: يا أخي، كم نُقيم [على] هذا الإثم مع هؤلاء الموالي - يعني الأتراك - لا نَطأ مَوطئاً إلا كُتب علينا الخطأ والإثم؟ وكان يستصغر عقولهم ويقول: يَسْمُون[٥] إلى ما لا يستحقُّونه من المراتب، والصَّواب أن نسأل الوزير أن يكتب بأرزاقنا إلى الثَّغر، فسأله، فكتب له، فخرجْنا إلى طَرَسوس، فلمَّا رأى ما النَّاسُ عليه من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر سُرَّ بذلك،

(١) ما بين معكوفين من (ب).

(٢) انظر «مختصر تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٣-١٢٤ .

(٣) في (ب): حتى طار له في الدنيا دهر جميل.

(٤) جاءت العبارة في «المنتظم» ١٢/ ٢٣٠ : إن حرمة الدين عندهم منهوكة، وكانوا يهابونه، ويتقوَّون به على الأموال.

(٥) في (خ) و(ف): يسمعون. وهو خطأ والمثبت من (ب). وما سلف بين معكوفين منها وهو الموافق لما في «مختصر تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٥ .

وأقمنا نسمع الحديث.

ورجعت إلى سرَّمن رأى، فاستَقبلَتْني أمُّه قاسم بالبكاء وقالت: مات ابني؟ فحلفتُ لها أنَّه في عافية، ثمَّ عدت إلى طَرَسوس، فأخبرته بما رأيتُ من أمِّه وقلت له: إن كنتَ أردتَ بمقامك بهذه البلاد وجهَ الله وتدع أمَّك كذلك فقد أخطأت، فوعدني بالخروج من طَرَسوس.

ثمَّ خرجنا ونحن زُهاء خمس مئة رجل ـ والخليفةُ يومئذ المستعين ـ وخرج معنا خادم الخليفة ومعه ثيابٌ مثمنة عمل الرُّوم على بغل، فسرنا إلى الرُّها، فقيل لنا: إنَّ جماعة من قُطَّاع الطَّريق على انتظاركم، والمصلحةُ دخولُكم حصنَ الرُّها حتَّى يتفرَّقوا، فقال أحمد: لا يراني الله فارًّا وقد خرجتُ على نيَّة الجهاد، وخرجنا فالتقينا، فأوقع بالقوم، فقتل منهم جماعةً وهرب الباقون، فزاد في أعين النَّاس جَلالةً ومَهابة.

ووصل الخادم إلى المستعين بالثِّياب، فلمَّا رآها استحسنها، فقال له الخادم: لولا ابن طولون ما سَلِمتْ ولا سلمْنا، وحكى له القصَّة، فبعث إليه مع الخادم بألفِ دينار سرًّا، وقال له: عرِّفْه أنَّني أحبُّه، ولولا خوفي عليه لقَرَّبتُه.

وكان ابن طولون إذا دخل على المستعين مع الأتراك في الخدمة أومأ إليه الخليفة بالسَّلام سرًّا، واستدام الإحسان إليه ووهب له جارية اسمها ميَّاس، فولدت له ابنه خُمارويه في المحرَّم سنة خمسين ومئتين.

ولما تنكَّر الأتراك للمستعين وخلعوه، أحْدروه إلى واسِط وقالوا: مَن تختار أن يكون في صُحبتك؟ فقال: أحمد بن طولون، فبعثوه معه، فأحسن صُحبته، ثمَّ كتب الأتراك إلى أحمد: أن اقتُل المستعين ونولِّيك واسطاً، فكتب إليهم: لا رآني الله قتلتُ خليفةً بايعتُ له أبداً.

فبعثوا سعيداً الحاجب فقتل المستعين بالقاطول، فوارى أحمدُ جثَّته، ولما رجع أحمد [بن طولون] إلى سُرَّمن رأى بعد ما قَتل [سعيدُ الحاجب] المستعينَ أقام بها، فزاد محلُّه عند الأتراك، فولَّوْه مصر نيابةً عن أميرها سنة أربع وخمسين [ومئتين]، فقال حين دخلها: غايةُ ما وُعدت به في قتل المستعين ولايةُ واسط، فتركتُ ذلك لله تعالى، فعوَّضني الله ولايةَ مصر والشَّام، فلمَّا قتل والي مصر في أيَّام المهتدي صار مستقلًّا به

في أيَّام المعتمد.

وقيل: إنَّه ولي الشَّام نيابةً عن باكباك [ثمَّ ولي باكباك مصر نيابة عنه]، فلمَّا قُتل باكباك استقلَّ، فكان حكمه من الفرات إلى المغرب.

و[قال الخطيب:](١) ركب يوماً يتصيَّد بمصر، فغاصت قوائم فرسه في الرَّمل، فأمر بكشف ذلك الموضع فظفر بمَطْلبٍ فيه ألف ألف دينار(٢)، فأنفقها في أبواب البرِّ والصَّدقات.

وكان يتصدَّق في كلِّ يوم بمئة دينار غير ما كان عليه من الرَّواتب، وينفق على مطبخه كلَّ يوم ألف دينار، وكان راتبه على [الفقهاء، و]العلماء، وأهل القرآن، والأئمَّة، وأرباب البيوت في كلِّ شهر عشرة آلاف دينار.

وكان يبعث بالصَّدقات إلى دمشقَ، والعراق، والثُّغور، والجزيرة، وبغداد، وسرَّمن رأى، والكوفة، والبصرة، والحرمين، وغيرها، فحُسب ذلك فكان ألفي ألف دينار ومئتي ألف دينار.

وبنى الجامع المعروف بين مصر والقاهرة، وغَرم عليه أموالاً لا تحصى، قال أحمد الكاتب: أنفق عليه مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار. [وقرأت في «تاريخ مصر» أنَّ ابن طولون لمَّا تمَّ بناءُ الجامع] قال له الصُّنَّاع: على أيِّ مثال نعمل المنارة ـ وما كان يَعبث قطّ ـ فأخذ درجاً من الكاغَد وجعل يعبث به، فخرج بعضُه وبقي بعضه في يده، فعجب الحاضرون، فقال: اصنعوا المنارةَ على هذا المثال، فصنعوها [وهي قائمة اليوم على ذلك](٣).

ولمَّا تمَّ بناءُ الجامع رأى ابن طولون في منامه كأنَّ الله تعالى قد تجلَّى للقصور الَّتي حول الجامع، ولم يتجلَّ للجامع، فسأل المعبّرين فقالوا: يخرب (ما حوله) ويبقى [الجامع] قائماً وحده، فقال: من أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ

(١) ما سلف بين معكوفين من (ب)، ولم نقف على قول الخطيب في تاريخه، وذكره عنه السيوطي في «حسن المحاضرة» ٢/ ٢٤٧، وذكر ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ٢٣١-٢٣٢ هذه الأخبار دون نسبة لأحد.

(٢) في (ب): فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار.

(٣) ما بين معكوفين من (ب)، وذكرها السيوطي في حسن المحاضرة ٢/ ٢٤٧-٢٤٨ نقلاً عن «مرآة الزمان».

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[الأعراف:١٤٣] وقولِه ﷺ: «إذا تجلَّى الله لشيء خضع له»[١] فكان كما قالوا.

وأنفق على المارستان ستِّين ألف دينار، وعلى حصن الجزيرة ثمانين ألف دينار، وعلى الميدان خمسين ألف دينار[٢].

وحمل إلى المعتمد في مدَّة أربع سنين ألفي ألف دينار ومئتي ألف دينار، وكان خراجُ مصر في أيَّامه أربعة آلاف ألف وثلاثمئة ألف دينار.

وقال له وكيله [يوماً] في الصّدقات: ربَّما امتدَّت إليَّ الكفُّ المطوَّقة، والمعصم فيه السِّوار، والكمّ النَّاعم، أفأمنع هذه الوظيفة؟ فقال له: ويحك، هؤلاء المستورون الَّذين يحسبهم الجاهلُ أغنياءَ من التَّعفُّف، احذر أن تردَّ يداً امتدَّت إليك.

[وجرت له قصَّة مع الحسن بن سفيان نذكرها في سنة ثلاث وثلاثمئة].

وحسَّن له بعض التجَّار التجارة، فدفع إليه خمسين ألف دينار، فرأى في المنام كأنَّه يُمَشْمِش[٣] عَظْماً، فدعى المُعَبِّر فقصَّ عليه، فقال [له]: قد سَمَت همَّتُك إلى مَكْسَب لا يُشبه خَطَرك، فأرسل إلى التَّاجر، فأخذ المال فتصدَّق به.

وكان فيه خِلال جميلة، إلَّا أنَّه لمَّا ولي مصر والشَّام ظَلَم وسفك، فيقال: إنَّه مات في حبسه ثمانية عشر ألفاً.

و[رأيتُ في كتاب «تعبير الرؤيا» أنَّ ابن طولون] رأى في منامه كأنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى قد مات في داره، فاستعظم ذلك، وانتبه فَزِعاً، وجمع المعبِّرين فلم يَدْروا، فقال له بعضهم: أقول ولي الأمان، قال: نعم، قال: أنت ظالم قد أمتَّ الحقَّ في دارك، فبكى [ابن طولون].

ذكر [مرضه و] وفاته:

[ذكر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب في «سيرة ابن طولون» أنَّ] بدوَّ مرضه كان بأنطاكية لمَّا عاد عن طَرَسوس، وكان قد أكل من لبن الجاموس فأكثر منه، وكان له

---

(١) ما بين قوسين زيادة من «النجوم الزاهرة» ٣/ ٨، وحسن المحاضرة، ولم نقف على الحديث.

(٢) الذي في مختصر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٤ وعلى الميدان مئة وخمسين ألف.

(٣) مشمش العظمَ: مصَّه ممضوغاً. «اللسان»: (مشش).

طبيب اسمه سعيد بن نوفيل نصرانيّ، فقال له: ما الرَّأي؟ قال: لا تقرب الغداء اليوم وغداً ـ وكان جائعاً ـ فاستدعى خروفاً وفراريجَ فأكل منها، وكان به علَّة القيام فانقطع، فأخبر الطَّبيب، فقال: إنَّا لله ضعُفت القوَّة الدَّافعة بقهر الغِذَاء لها، فعاوده الإسهال، فخرج من أنطاكية في مِحَفَّة تحمله الرِّجال إلى الفَرْما، فضعف، فركب في البحر في قُبَّة إلى مصر، وقيل لطبيبه: أنت حاذق، فانظر كيف تكون؟ فقال: والله ما خِدْمتي له إلَّا خدمة الفأر للسِّنَّور، والسَّخلة للذِّئب، وإنَّ قتلي عنده أهونُ عليَّ من صحبته[1].

ولما دخل مصر استدعى الأطباء وفيهم الحسن بن زِيرك، وقال لهم: والله لئن لم يَنْجَع في تدبيرُكم لأضربنَّ أعناقكم قبل موتي، فخافوا منه، وما كان يحتمي، ويخالفهم.

ولمَّا اشتدَّ مرضه خرج المسلمون بالمصاحف، واليهود والنَّصارى بالتَّوراة والإنجيل، والمعلِّمون بالصِّبيان إلى الصَّحراء، ودَعَوْا له، ولَزِم[2] المسلمون المساجد يختمون الختمات، ويَدعون له، فلمَّا أَيِس من نفسه رفع يديه إلى السَّماء، وقال: يا ربّ، ارحم مَن جهِل مقدارَ نفسه، وأبطره حلمُك عنه، ثمَّ تشهَّد ومات بمصر يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من ذي القَعدة في هذه السنة ـ وقيل: في التي قبلها ـ وعمره خمسون سنة، و[كانت] ولايته سبعة عشر سنة.

[ذكر ما رُئيَ له من المنامات:]

قال أبو عيسى اللؤلؤي: رآه بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما البلاء إلَّا على مَن ظلَم مَن لا ناصر له إلَّا الله تعالى.

ورآه بعض المتزهِّدين في حال حسنةٍ، فقال [له]: كيف أنت؟ فقال: لا ينبغي لمن سكن الدُّنيا أن يَحتقر حَسَنةً فيدعَها، ولا سيِّئة فيرتكبَها، عُدل بي عن النَّار إلى الجنَّة بتثبُّتي عن مُتَظَلِّم عَييّ اللِّسان، شديد التهيُّب، فسمعتُ منه، وصبرتُ عليه حتَّى قامت حجَّتُه، [و]تقدَّمتُ بإنصافه، وما في الآخرة على رؤساء الدُّنيا أشدّ من الحِجابِ لِمُلتَمِسي الإنصاف.

(١) في (ب): وإن قتلي لأهون من صحبتي له.
(٢) في (خ) و(ف): ونزل، والمثبت من (ب).

وقال [الخطيب بإسناده عن الحسين بن أحمد النديم قال: سمعتُ] محمد بن علي المادَرَائي [يقول]: كنتُ أجتاز بتربة أحمد بن طولون فأرى شيخاً ملازماً للقراءة على قبره، ثمَّ إنِّي لم أره مدَّة، ورأيتُه بعد ذلك، فقلت له: ألستَ الذي كنتُ أراك عند قبر أحمد بن طولون تقرأ عليه؟ قال: بلى، قد [كان] وَلينا في هذه البلد، [وكان] له علينا بعض العدْل وإن لم يكن الكلّ، فأحببت أنْ أصِله بالقرآن، قلت: فلِمَ انقطعتَ عنه؟ قال: رأيتُه في النَّوم وهو يقول: أحبُّ أن لا تقرأ [عليَّ أو] عندي، قلت: فلأيٍّ سبب؟ قال: ما تمرُّ بي آية إلا قُرِّعت بها، وقيل لي: أما سمعتَ هذه؟! فهذا كان سبب انقطاعي[(١)].

ورثاه جماعة، فقال بعض المصريِّين يرثيه: [من الكامل]

يا غُرَّة الدُّنيا الذي أفعالُه ... غُرَرٌ بها كلُّ الوَرَى تتعلَّقُ
أنت الأمير على الشَّآم وثَغْرِه ... والرَّقَّتين[(٢)] وما حواه المشرقُ
وإليك مصرُ وبَرْقةٌ وحجازُها ... كلٌّ إليك مع المَدى يتشوَّقُ

ذكر أولاده، وما خلف من المال وغيره:

[قال علماء السِّيَر:] خلَّف ثلاثةً وثلاثين ولداً، منهم سبعة عشر ذكراً؛ العبَّاس، وخُمارويه، وعدنان، ومُضر، وشيبان، وربيعة، وأبو العَشَائر، وهؤلاء أعيانُهم:

فأمَّا العبَّاس فهو الذي عصى على أبيه، ودخل[(٣)] إلى الغرب، وحُمل إلى أبيه، توفِّي بعد [وفاة] أبيه بيسير، وكان شاعراً [فصيحاً]، وهو القائل: [من البسيط]

لله درِّيَ إذْ أغْدو على فرسي ... إلى الهِياجِ ونارُ الحرب تَسْتَعِرُ
وفي يدي صارمٌ أفري الرُّؤوس به ... في حدِّهِ الموتُ لا يُبقي ولا يَذَرُ
إن كنتِ سائلةً عنِّي وعن خبري ... فها أنا اللَّيثُ والصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ

(١) ما بين معكوفين من (ب)، وانظر «المنتظم» ١٢/ ٢٣٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٦٩، و«الوافي بالوفيات» ٦/ ٤٣١، و«النجوم الزاهرة» ٣/ ١٤.

(٢) في (ب): الرقيتين، وفي (خ) و(ف): المرقبين، والمثبت من «المقفى الكبير» ١/ ٤٢٧، و«النجوم الزاهرة» ٣/ ٢٠.

(٣) في (خ) و(ف): فهو الذي عصى عليه ودخل، والمثبت من (ب).

من آل طولونَ أصلي إن سألتِ فما ... فوقي لمُفْتَخِرٍ في الجودِ مُفْتَخَرُ[١]

ولما خرج أبوه إلى الشَّام في السنة الماضية أخذه معه مقيَّداً.

وأمَّا خُمارويه، فكنيته أبو الجَيْش، قُتل بظاهر دمشقَ بعد أن استخلفه أبوه فيها سنةَ ثلاث وثمانين ومئتين.

وعدنان مات سنةَ خمس وعشرين وثلاث مئة، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى.

[قالوا:] وخلَّف من العَيْن عشرة آلاف ألف دينار، ومن المماليك سبعة آلاف، ومن الخيل سبعة آلاف فرس، ومن البغال والحمير ستة آلاف رأس، ومن الدَّوابِّ الخاصَّة ثلاث مئة، ومن المراكب [الحربيَّة مئة مركب، ومن الغلمان أربعة وعشرون ألفاً، ومن الجمال عشرة آلاف، ومن البراذين] ما لا يحصى، وكان له خاصَّة من المال في كلِّ سنة ألف ألف دينار. [انتهت ترجمة أحمد بن طولون، وهذا ما انتهى إلينا من سيرة أحمد.]

إسماعيل بن عبد الله

ابن مَيْمون بن عبد الحميد بن أبي الرِّجال، أبو النَّضْر، العِجليُّ.

توفِّي ببغداد ليلةَ الاثنين لثلاث وعشرين خلت من شعبان، وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة.

سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه ابنُ المنادي وغيرُه، وكان ثقة شاعراً فصيحاً، قال: [من الطويل]

تُخَبِّرني الآمال أنِّي مُعَمَّرٌ ... وأنَّ الذي أخشاه عنِّي مؤخَّرُ
فكيف ومرُّ الأربعين قضيَّةٌ ... عليَّ بحكمٍ قاطعٍ لا يُغَيَّرُ
إذا المرءُ جاز الأربعين فإنَّهُ ... أسيرٌ لأسباب المنايا مُعثَّرُ[٢]

[وفيها توفي]

بكَّار بن قُتيبة بن عبد الله

وقيل: قُتيبة ابن أسد بن [أبي] بَرْذَعة بن عبيد الله بن [بشير بن عبيد الله بن] أبي بَكْرة الثَّقفي مولى رسول الله ﷺ[٣]، وكنيةُ بكَّار أبو بكرة، القاضي، البَصريّ.

(١) «النجوم الزاهرة» ٣/ ٢١.
(٢) «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٦٩-٢٧٠، و«المنتظم» ١٢/ ٢٣٤-٢٣٥، وهذه الترجمة ليست في (ب).
(٣) اختلفت المصادر في اسمه، وتتمة نسبه تنظر ثمَّة.

[قال أبو جعفر الطَّحاوي:] ولد [أبو بكرة بكَّار] بالبصرة سنةَ اثنتين وثمانين ومئة، وكان عالماً، فاضلاً، زاهداً، ورِعاً، عفيفاً عن أموال الناس، حَنفيّ المذهب [يحكم على مذهب أبي حنيفة، وذكره أبو الحسن بن إبراهيم بن زُولاق المصريُّ في كتاب «القضاة» وذكر طرفاً من سيرته، فقال:] ولَّاه المتوكِّل القضاءَ على مصر، فقَدِمها يوم الجمعة لثمانٍ خلون من جمادى الآخرة[1] سنة ستٍّ وأربعين ومئتين، فلقي محمَّد بن أبي اللَّيث[2] قاضي مصر قبله عند الجِفَار خارجاً إلى بغداد مصروفاً، فقال له بكَّار: أنا رجل غريب، وأنت قد عرفتَ النَّاس، فدُلَّني على مَن أشاوره في أموري وأسكن إليه، فقال: عليك برجلين؛ أحدهما عاقل، والآخر زاهد، أمَّا العاقل فيونسُ بن عبد الأعلى، فإنِّي سعَيْتُ في سفك دمه، فقدر عليَّ فحَقَن دمي، وأمَّا الزَّاهد فأبو هارون موسى بن عبد الرَّحمن بن القاسم، فقال: صِفْ لي حِلْيَتَهما، فوصفهما له.

فلمَّا دخل مصر جاءه الرجلان فاختصَّ بهما، وكان يشاورهما في أموره، فقال يوماً لموسى: يا أبا هارون، من أين المعيشة؟ قال: مِنْ وقفٍ وَقَفه أبي أتكفَّى به، ثمَّ قال له موسى: يا أبا بَكْرة، قد سألتني وأُريد أن أسألك، قال: سَلْ، قال: هل رَكِبَك دينٌ بالبصرة؟ قال: لا، قال: فهل لك ولدٌ أو زوجة؟ قال: لا، ما نكحتُ قطُّ، قال: أفَلَك عِيال؟ قال: ما عندي سوى غلامي، قال: أَفَأكرَهكَ السُّلطان على القضاء وعرضَ عليكَ العذاب؟ قال: لا، قال: أَفضَربتَ آباطَ الإبل من البصرة إلى مصرَ لغير حاجةٍ ولا ضرورةٍ إلَّا لتليَ دماء المسلمين وأموالَهم وفروجَ نسائهم! لله عليَّ لا عُدْتُ إليك بعد اليوم، ولا كلَّمتُك أبداً، ثمَّ انصرف عنه ولم يَعُد إليه.

[قال ابن زُولاق:] وكان النَّصارى يتولَّون أَمْرَ المقياسِ[3] بمصر، فكتب بكَّار إلى المتوكِّل بأنَّ هذا أمرٌ عظيم من إنعام الله تعالى، فلا ينبغي أن يتولَّاه إلَّا مَن يُوحِّد الله تعالى، فكتب إليه: افعل: فولَّاه عبدَ الله بن عبد السَّلام ويُكنى أبا الرَّدَّاد[4] ـ وكان

---

(١) في (خ) و(ف): الأولى، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٠٣.

(٢) في «وفيات الأعيان» ٧/ ٢٥٠ : محمد بن الليث، وانظر المقفى ٢/ ٤٥٤.

(٣) يعني: مقياس زيادة النيل ونقصانه. ينظر مروج الذهب ٢/ ٣٦٥ وما بعدها.

(٤) وجاء في هامش (خ): وتوليه لأبي الردَّاد في زمن القاضي بكار في سنة سبعين ومئتين في السنة التي مات فيها أحمد بن طولون.

محدِّثاً ـ وأجرى عليه رزقاً، وذلك في سنة سبعين[1] ومئتين، فهو باقٍ في عَقِبه إلى هلُمَّ جرًّا.

[قال ابن زولاق:] وكان أحمد بن طولون يعظِّم بكَّاراً ويَحترمه، ويحضر مجالسه، ويسمع عليه الحديث؛ إلى أن طلب منه لعنةَ الموفَّق، فامتنع، فحبسه، وقيل: إنَّه لما ألحَّ عليه قال: ألا لعنةُ الله على الظَّالمين، فلم يَقْنَع منه بذلك.

[قال:] ولمَّا حبسه كان يغتسل في كلِّ جمعة، ويتطيَّب، ويَلْبَس ثيابَه، ويأتي إلى باب السِّجن، فيقول له السجَّان: إلى أين؟ فيقول: قد ناداني منادي ربِّي، وأنا أوَّل من أجابه، فيقول] السجَّان: اعذرني، فما أقدر على ذلك، ويعزُّ عليَّ، فيقول بكَّار: اللَّهمَّ اشهد، ثمَّ يرجع، وبلغ ابنَ طولون فبعث إليه يقول: كيف رأيتَ المقهورَ المغلوبَ، لا أمر له ولا نهي؟ أشار إلى المعتمد.

وقال الطَّحاوي: لا أقدر أن أُحصي كم كان أحمد بن طولون يجيء إلى مجلس بكَّار وهو على الحديث، ومجلسُه مملوء بالنَّاس، ويتقدَّم الحاجب ويقول: لا يتغيَّرْ أحد من مكانه، فما يشعر به بكَّار إلا وهو إلى جانبه، فيقول له: أيُّها الأمير، ألا تركتَني حتَّى أَقضي حقَّك، وأقومَ بواجبك! ثمَّ فسد الحال بينهما حتَّى حبسه، وفعل به ما فعل.

و[قال ابن زولاق:] دخل على بكَّار قومٌ من أهل الرَّمْلة فقال لهم: كيف حال قاضيكم؟ قالوا: عفيف، فقال: إنا لله، غَمَمْتوني، إنَّما يقال: قاضٍ عَفيف، إذا فسدت الدُّنيا.

[قال:] ولمَّا عصى العبَّاسُ بن أحمد [بن طولون] على أبيه، أرسل أبوه إليه جماعة من الأعيان منهم بكَّار بالأيمان والأمان، فقال العبَّاس لبكَّار: المستشار مؤتمن، أتخاف عليَّ من أبي شيئاً؟ فقال له: قد أمَّنك وحلف، ولا أدري أيفي لك أم لا، فامتنع العبَّاس من القدوم على أبيه، فأرسل إليه من أحضره.

---

(١) في (ب) و(ف): أربعين. والذي في «وفيات الأعيان» ٣/ ١١٢، و«الوافي بالوفيات» ١٧/ ٢٥٧: وجمع إليه النظر في أمره وما يتعلق به في سنة ست وأربعين ومئتين.

[قال:] ومات رجل ولأحمد بن طولون عليه دَيْن، فأرسل أحمد [بن طولون] إلى بكَّار: بعْ ماله، فقال: حتَّى تحلفَ أنَّك تستحقُّه، فجاء ابنُ طولون إلى مجلسه وحلف، فقال بكَّار: أمَّا الآن فنعم، فباع مالَه، وقضى دينَه.

[قال:] وكان بكَّار يقرأ آية في ليلة فيردِّدها إلى الصَّباح، [فقرأ ليلةً ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص: ٢٦] فمازال يردِّدها إلى الصَّباح ويبكي][١].

ذكر وفاته:

[قال ابن زولاق:] أرسل إليه ابن طولون وهو مريض يقول: أَجِبْني إلى ما دعوتُك إليه واخْلص، فقال: أنا شيخ كبير ومريض، والملتَقى قريب، وأنت أيضاً مريض، والحاكم بيننا عادل.

ومات ابن طولون، فقيل لبكَّار: مات أحمد، فقال: مات البائس، فقيل له: انصرف إلى منزلك، فقال: الدَّار بالأجرة وقد صلحتْ لي، فأقام بها، وجاءه أصحابُها يطلبون أجرة الماضي، وقالوا: غصَبَنا ابن طولون إيَّاها، فقال: مذهبي أنَّ الغاصبَ لا أُجرة عليه، ولكن أَدْفع لكم في المستقبل.

[وقال الطَّحاويّ:] توفِّي يوم الخميس لستٍّ بقين من ذي الحجَّة [سنة سبعين ومئتين] بعد ابن طولون بنيِّفٍ وأربعين يوماً.

وقيل: [إنَّه] مات قبل [ابن طولون] وهو وهم.

[وقال الطَّحاوي:] ولي القضاء سنة ستٍّ وأربعين [ومئتين]، فأقام على القضاء أربعاً وعشرين سنة وستَّة أشهر وأيَّاماً، وتوفِّي وهو ابنُ سبع وثمانين سنة، ومات في اللَّيل، فلم يُدفن إلا بعد العصر لكثرة الزِّحام، وصلى عليه ابن أخيه محمد بن [الحسن] الفقيه[٢]، ودُفن بقَرَافة مصر عن يسار الطَّريق حيالَ الكرم[٣] الذي عند مصلًّى بني

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٤١١-٤١٥، و«وفيات الأعيان» ١/ ٢٨٠-٢٨٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٠٣-٣٠٦، و«الوافي بالوفيات» ١٠/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) في «وفيات الأعيان» ١/ ٢٨٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٠٦، و«السير» ١٢/ ٦٠٤: وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسن بن قتيبة. وما بين معكوفين من (ب).

(٣) في (ب): خيال الكوم. وفي «وفيات الأعيان»، و«الوافي بالوفيات» ١٠/ ١٨٦: تحت الكرم.

مسكين، وقبرُه ظاهر يُزار، ويقال: إنَّ الدُّعاء عنده مُستجاب مُجرَّب.

حدَّث عن خَلْق كثير[١]، وكان ممَّن أحيى علم البصرة بمصر، واتَّفقوا على زهده وثقته وورعه.

وأسند عنه ابنُ عساكر أنَّه روى عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من قال: سبحان الله وبحمده غرس الله له بها نخلة في الجنَّة»[٢].

وقال ابن زُولاق: كان لبكَّار اتِّساع في العلوم والفقه، وصنَّف كتاباً ردَّ فيه على الإمام محمد بن إدريس الشَّافعي، وسببُ تصنيفه أنَّه وقف على كتابٍ لإبراهيم المزنيِّ ردَّ فيه على أبي حنيفة في إسنادٍ ذكر أنَّه سمعه من الشَّافعي، فقال بكَّار لرجلين من عُدُوله: اذهبا فاسمعا من المزنيِّ هذا الكتاب، واشهدا عليه أنَّه سمعه من الشَّافعي، وكان يقال لأحدهما: سقلاب والآخر سرداب، فذهبا إليه وسمعاه منه، فقالا: أنت سمعتَ هذا من الشَّافعي؟ قال: نعم، فرجعا إلى بكَّار، وشهدا عنده بذلك، فقال: الآن طاب لنا أن نقول، ثمَّ ردَّ عليه.

وكان بكَّار ينشد دائماً: [من الطويل]

لنفسيَ أبكي لستُ أبكي لغيرها ... لنفسيَ[٣] في نفسي عن النَّاس شاغلُ

ومات ولم يخلِّف[٤] ديناراً ولا درهماً ولا داراً ولا عَقاراً.

وولي بعده أبو عبيد الله محمد بن عبدة[٥] بن حرب البصري، وكان جبَّاراً، له مئة مملوك، وبنى داراً بمصر عند دار العنقود غرم عليها مئة ألف دينار، وأجرى عليه أبو الجيش بن أحمد بن طولون في كلِّ شهر ثلاثة آلاف دينار، وكان يعظِّمه. [انتهت ترجمته.

(١) في (ف): حدث عن بكار خلق كثير.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣/ ٤١٢ (مخطوط) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وأخرجه الترمذي (٣٤٦٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٣/ ٤١٣ : لعيبي.

(٤) في (ب): وقال ابن زولاق: لم يخلف...

(٥) في النسخ: محمد بن عبد الله...، والمثبت من «تاريخ الإسلام» ٧/ ٢٧٤ .

وفيها توفِّي]

داود بن علي بن خَلَف

أبو سليمان، الظَّاهريُّ صاحب مذهب الظَّاهرية.

ولد سنة مئتين، وقيل: سنة اثنتين ومئتين، وهو أوَّلُ من نفى القياسَ في الأحكام الشرعيَّة، وتمسَّك بظواهر النُّصوص، وجمد على الأحاديث والآثار، وأصله من أصبهان.

سمع الحديث [الكثير]، ولقي الشيوخ، وتبعه خلق كثير، وقدم بغداد، وصنَّف بها الكتبَ.

وقال أحمد بن كامل: داود أوَّلُ من أظهر انتحالَ الظَّاهر، ونَفَى القياس في الأحكام [قولاً][1]، واضطُرَّ إليه فعلاً، فسمَّاه دليلاً.

ورحل من أصبَهان إلى نيسابور قبل قدومه بغداد، فسمع من إسحاق بن راهويه «المسند» و«التفسير»، وقال أبو عمرو المُسْتملي: سمعتُه يردُّ على إسحاق، وما رأيتُ أعقلَ منه ولا أكثرَ علماً.

وقال القاضي المَحَامليُّ: رأيتُ داود يصلِّي، فما رأيتُ مسلماً يشبهُهُ في حُسن صلاته، وتضرُّعه، وتواضعه.

وكان زاهداً، ورعاً، عابداً، متقلِّلاً من الدُّنيا، يتقنَّع منها باليسير.

[وقال الخطيب بإسناده عن أحمد بن الحسين قال: سمعت أبا عبد الله المحاملي يقول:][2] صلَّيتُ صلاةَ العيد في يومِ فطرٍ في جامع المدينة ـ يعني مدينة المنصور ـ فلمَّا انصرفتُ قلتُ في نفسي: أدخلُ على داود فأُهَنِّيه، وكان ينزلُ قطيعة الرَّبيع، فجئتُه، وقرعتُ عليه الباب، فأَذِن، فدخلتُ، وإذا بين يديه طاقات هِنْدَباء ونُخالة وهو يأكل، فهنَّيتُه، وعجبت من حاله، ورأيتُ أن جميع ما نحن فيه من الدُّنيا ليس بشيء، فخرجتُ من عنده، ودخلتُ على رجلٍ من أهل [القطيعة] يُعرف بالجُرْجاني له مال، فقال: ما الذي عنَّى القاضي؟ قلت: مهمّ، قال: وما هو؟ قلت: في جوارك داود بنُ

(١) ما بين معكوفين من «تاريخ بغداد» ٩/ ٣٤٨، و«المنتظم» ١٢/ ٢٣٨ .

(٢) ما بين معكوفين من (ب)، وكلام الخطيب في «تاريخه» ٩/ ٣٤٤ـ٣٤٥ .

علي، ومكانُه من العلم ما تعلم، وأنت كثير البرِّ والرَّغبة في الخير، كيف غفلتَ عنه؟! وحدَّثته حديثَه، فقال: إنَّ داود شَرِسُ الخُلُق، بعثتُ إليه البارحة مع غلامي بألف درهم، فقال للغلام: قل له: بأيِّ شيءٍ رأيتَني؟ وما الذي بلغك من حاجتي حتَّى بعثتَ إليَّ بهذا؟ قال المحاملي: فعجبتُ وقلت: هاتِ الدَّراهمَ، [فأنا أحملها إليه، قال:] فدفعها إليَّ، وأعطاني ألفاً أخرى وقال: هذا لموضع القاضي وتعنّيه(١).

[قال:] فأخذتُ الألفين، وجئتُ إلى داود، فطرقتُ بابَه فقال: مَن هذا؟ فقلتُ: فلان، فقال: ما الذي عنَّاك؟ ادخل، [فدخلتُ] فجلستُ ساعة، ثمَّ أخرجتُ الألفَين وجعلتهما بين يديه، فنظر إليَّ وقال: هذا جزاءُ مَن ائتمنك على سرِّه!؟

[وفي رواية: فقال للمحامليّ:] ما الذي رأيتَ من حاجتي؟ قلت: رأيتُك تأكل الهِنْدَباء بالنّخالة، فقال: لو كان عندي امرأة أكنتَ تنظر إليها؟! إنَّما أدخلتُك بيتي بأمانة العلم، ارجع فلا حاجة لي فيما معك.

[قال المحامليّ:] فرجعتُ وقد صَغُرت الدُّنيا في عيني، ودخلتُ على الجرجانيّ فأخبرتُه بما كان، فقال: هذه الدَّراهم قد خرجت لله تعالى، فلا ترجع إلى مالي، فلْيتولَّ القاضي إخراجَها في أهل السَّتر والعفاف، فقد أخرجتُها عن قلبي.

[وقال الخطيب:](٢) كان داود يقول: خير الكلام ما دخل الأُذُن بلا إِذْن.

وقال صالح بن الإمام أحمد: سألني داود أن أتلطَّف له في الدُّخول على أبي، فاستأذنتُه فقال: قد كتب إليَّ محمد بن يحيى النَّيسابوريُّ في أمره أنَّه يزعم أنَّ القرآن الذي في اللَّوح المحفوظ قديم، لا يمسه إلَّا المطهَّرون، والذي تقرأه النَّاس مخلوق تمسُّه الحائض والجُنُب، فقلت: قد رجع عن هذا.

وفي رواية: أنَّه أنكر ما قد قيل عنه، فقال: لا حاجةَ لي في الاجتماع به.

وقال المحامليُّ: وسئل داود فقيل له: ما معنى(٣) قول القائل لجرير والبيت لجرير: [من الكامل]

---

(١) كذا في النسخ، والذي في «تاريخ بغداد»، و«المنتظم»: وعنايته. وما بين معكوفين من (ب).
(٢) في «تاريخه» ٩/ ٣٤٥.
(٣) في (خ) و(ف): وقيل لداود: ما معنى...، والمثبت من (ب).

لـو كـنـتُ أعـلـم أنَّ آخـرَ عـهـدكُـم ... يـومُ الـرَّحـيـل فـعـلـتُ مـا لـم أفـعـلِ[١]

ما كان يفعل؟ فقال: كان يَقلع عينَه، ولا يرى مَظْعَن أحبابه.

وكان أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبريُّ على مذهب داود، وعنه أخذ، وقرأ عليه، وكان يَحضر حلقته، ثمَّ تخلَّف عنه، وعقد لنفسه مَجلساً، وبلغ داود فأنشد: [من الوافر]

فـلـو أنِّـي بُـلِـيـتُ بـهـاشـمـيٍّ ... خُـؤولـتـه بـنـو عـبـد الـمَـدَانِ

صَـبـرتُ عـلـى أذيَّـتـه ولـكـن ... تـعـالَـي وانـظُـري بـمَـن ابـتـلانـي

[حكاية جرت لداود مع محمد بن يحيى النَّيْسابوري:]

حكاها المحامليُّ[٢] قال: قدم داود نَيْسابور وعليه طِمْرٌ[٣] خَلَق، وعلى رأسه خُريقة، فدخل مجلس محمد بن يحيى، فجلس في أطراف النَّاس ولم يعرفوه، فذكر محمد بن يحيى حديثاً هو: «أفطر الحاجم والمحجوم»[٤]. ولم يبيِّن ما فيه، فأخذ داود يذكر إسناده ومتنه، ومَن رواه من الصَّحابة، ومن ذهب إليه منهم ومن الفقهاء، فقام محمد بن يحيى من مجلسه، ومضى إليه، وأجلسه إلى جانبه، وسأله عن نفسه فعرَّفه إياه، فاعتذر إليه.

[فصل في الكلام على الحديث:]

قلت: عامَّة العلماء على أنَّ الحجامة لا تُفطر الصَّائم ولا تُكره له، وبه قال مالك والشافعيُّ، وقال أحمد: الحجامة تُفطر الحاجم والمحجوم، واحتجَّ بثمان أحاديث أخرجها أحمد في «المسند» عن رافع بن خَديج، وشدَّاد بن أوس، وثَوبان، ومَعْقِل بن يَسار الأشجعيّ، وأُسامة بن زيد، وأبي هُريرة، وعائشة، قالوا: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أفطر الحاجم والمحجوم»[٥].

---

(١) هو في شرح ديوانه ٢/ ٩٤٠.

(٢) في (خ) و(ف): وقال المحاملي: قدم...، والمثبت وما بين معكوفين من (ب)، والبيتان السالفان نُسبا لدعبل وهما في ديوانه ٤٢٩، ونسبا أيضاً للإمام علي رضي الله عنه وهما في ديوانه ٩٦.

(٣) الطِّمْر: الثوب الخَلَق. اللسان: (طمر).

(٤) ينظر تخريجه في التعليق الآتي.

(٥) مسند أحمد (١٥٨٢٨)، (١٧١١٢)، (٢٢٣٧١)، (١٥٩٠١)، (٢١٨٢٦)، (٨٧٦٨)، (٢٥٢٤٢) (على الترتيب). ولم يذكر المصنف الحديث الثامن وهو عن بلال رضي الله عنه وهو عند أحمد (٢٣٨٨٨).

قال أحمد: أصحُّ شيء في هذا الباب حديث رافع بن خَديج[١].

ولعامَّة العلماء ما روى البخاريُّ عن ابن عبَّاس قال: احتجم رسول الله ﷺ بالقاحة وهو صائم[٢].

وروي عن أنس قال: أوَّل ما كُرهت الحجامة للصَّائم أنَّ جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم، فمرَّ بهما رسول الله ﷺ وهما يغتابان رجلاً فقال: «أفطر الحاجم والمحجوم»[٣]، ثمَّ رخَّص بعد ذلك في الحجامة للصَّائم، وقد ذكرناه][٤].

ذكر وفاة داود بن علي:

حكى الخطيب أنه توفِّي في رمضان، وقيل: في ذي القَعدة ببغداد [سنة سبعين ومئتين، رحمة الله عليه]، وسمع إسحاق بن راهويه وغيره خلقاً كثيراً، وروى عنه ابنُه محمد بن داود وغيره.

قال الخطيب[٥]: وفي كتبه حديث كثير، إلَّا أنَّ الرِّواية عنه عزيزة جدًّا[٦].

الرَّبيع بن سليمان

ابن عبد الجبَّار بن كامل، أبو محمد، المُراديُّ، مولى مُراد، صاحب الشَّافعي، نَقل عنه معظمَ أقاويله.

وكان فقيهاً سيِّداً فاضلاً ثقةً، وكانت وفاتُه بمصرَ في شوَّال، وصلَّى عليه خُمارَويه ابن أحمد بن طولون.

أسند عن الشَّافعي وغيره، وروى عنه المصريُّون وغيرهم[٧].

---

(١) ذكر كلام أحمد الترمذيُّ عقب إخراجه حديث رافع (٧٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١٩٣٩) دون قوله: بالقاحة، وهي موجودة في روايةأحمد في مسنده (٢١٨٦). والقاحة: موضع يبعد عن المدينة ٩٥كم تقريباً في الجنوب الغربي منها.

(٣) أخرجه الدارقطني (٢٢٦٠)، والبيهقي ٤/ ٢٦٨ في سننهما.

(٤) ما بين معكوفين من (ب).

(٥) في تاريخه ٩/ ٣٤٢.

(٦) بعدها في (ب): انتهت ترجمته والحمد لله وحده، وفيها توفي نصر بن الليث. اهـ وستأتي ترجمة نصر بن الليث بعد سبع تراجم.

(٧) «المنتظم» ١٢/ ٢٣٨، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٣٢، و«السير» ١٢/ ٥٨٧.

عبد الله بن محمد بن شاكر

أبو البَخْتَريّ، العَنْبريُّ، الكوفيُّ.

سمع الحديث، وقدم بغداد، وحدَّث بها، وكان فاضلاً حافظاً.

قال السَّرَّاج: أنشدنا أبو البَخْتري: [من السريع]

يَمنَعُني من عَيْبِ غيري الذي ... أعرِفُه فيَّ من العَيْبِ
وكيف شُغْلي بسوى مُهْجَتي ... أم كيف لا أنظرُ في جَيْبي
إنْ كان عَيْبي غاب عنهم فقدْ ... أحصَى عيوبي عالمُ الغيبِ
عَيْبي لهم بالظَّنِّ منِّي لهم ... ولستُ من عَيبيَ في رَيْبِ
لو أنَّني أقبلُ من واعظٍ ... إذاً كفاني واعظُ الشَّيبِ

سمع حُسَيناً الجُعفيَّ وغيرَه، وروى عنه القاضي المحامليُّ وغيرُه، وكان ثقة[1].

عليُّ بن محمد

صاحب الزَّنْج، وقيل: اسمه بَهْبوذ، وقد ذكرنا وقائعَه مع أبي أحمد الموفَّق وحصارَه له، وكان الموفَّق قد بنى مدينة وسمَّاها الموفَّقية على جانب دِجلة، فكانت دجلةُ بينهما، كان يعبر إليه فيقاتله، ويضيِّق عليه إلى هذه السَّنة، فجرَت بينهما واقعتان؛ واقعةٌ في المحرَّم، وأخرى في صفر قُتِل فيها[2].

فصل: ذِكْر تلخيصِ الواقعتين[3]:

قد ذكرنا حديث السِّكْر الذي عمله الخبيث، وما كان من أمر الموفَّق وأصحابه، ولم يزل حتَّى تمكَّن من الدُّخول في نهر أبي الخَصيب بالشَّذا والسُّمَيريَّات، وكان قد اجتمع إلى الموفَّق من أهل البلدان زهاءَ ثلاث مئة ألف مقاتل، بعضُهم تطوُّعاً وبعضهم بالدِّيوان، وزحف إلى الخبيث، فخرج إليه الخبيث برجاله وكانوا خلقاً كثيراً، فنصر الله الموفَّق على الخبيث، فانهزم هو وأصحابه، فقُتِل وأُسر وغَرق منهم أكثرُ من ذلك، واستولى الموفَّق على مدينة الفاسق بأسرها، واستَنْقَذ مَن كان بقي فيها من الرِّجال

(١) «تاريخ بغداد» ١١/ ٢٨١-٢٨٣، و«المنتظم» ١٢/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) «المنتظم» ١٢/ ٢٣٥.

(٣) ذكر هاتين الواقعتين الطبري في تاريخه ٩/ ٦٥٤-٦٦٦، وابن الأثير في «الكامل» ٧/ ٣٩٩-٤٠٦.

والنِّساء والصِّبيان، وظفروا بعيال عليٍّ بن أبان المُهَلَّبيّ وأخويه الخليلِ ومحمدٍ ابنَي أبان وسليمان بنِ جامع وأولادهم، وعُبر بهم إلى الموفَّقية.

ومضى الخبيث هارباً ومعه ابنه أنكلاي والمهلّبيّ وسليمان بن جامع وغيرهم إلى النَّهر المعروف بالسُّفيانيّ، وكان الخبيث قد أعدَّ فيه موضعاً ليهرب إليه إذا غُلب على مدينته، ولمَّا رآهم لؤلؤ قد اقتحموا النَّهر اقتحم خلفَهم، فانهزموا في نهرٍ يعرف بالسَّامان[1] فاعتصموا بجبلٍ وراءه، فأرسل الموفَّق إلى لؤلؤ يأمره بالانصراف عنهم خوفاً عليه، فرجع، فشكره الموفَّق، وحمله على الشَّذا معه، ورفع منزلته، وأكرمه حيث باشر قتالَ العدوِّ بنفسه، وأيقن النَّاسُ بالفتح لمَّا هرب الخبيث من مدينته واستولى عليها المسلمون.

ثمَّ أقام أبو أحمد بمدينته أيَّاماً لإصلاح السُّفُن وما تحتاج إليه، ثمَّ أمر ولده أبا العبَّاس أن يتقدَّمه إلى موضع يُعرف بعَسْكر رَيْحان بين النَّهر المعروف بالسُّفياني والنَّهر الذي لجأ إليه الخبيث، وبثَّ القوَّاد في المكان الذي فيه الخبيث، ثمَّ عبر الموفَّق يوم السَّبت لليلتين خلتا من صفر من هذه السَّنة، فوافى نهرَ أبي الخَصيب.

وكان الخبيث لمَّا عبر الموفَّق إلى مدينته عاد هو وأصحابُه إلى مدينتهم ليصلحوا ما تشعَّث منها، وجاءت مقدّمات الموفَّق، فلمَّا وصلوا إلى المدينة لم يعلموا أنهم قد رجعوا إليها، فأوقعوا بهم، فانهزم الخبيث وأصحابُه، وتبعهم أصحابُ الموفَّق يَقتُلون ويَأسرون، وانقطع الخبيثُ في جماعة من قوَّاده وجماعةٍ من الزَّنْج، وفارقه ابنُه أنكلاي وسليمان بن جامع.

وظفر أبو العبَّاس بسليمان بن جامع، فجاء به إلى الموفَّق من غير عهدٍ ولا عقد، فارتفع الضَّجيج، وكبَّر الناس، وأيقنوا بالفتح؛ لأنَّ سليمان كان أكبرَ أصحابه مدافعةً عنه، ثم أسر خواصَّ أصحابه، فبعث بهم الموفَّق إلى الموفقيَّة، ثم شدَّ الخبيثُ وغلمانُه فأزالوا النَّاسَ عن مواقعهم، فحمل عليه الموفَّقُ والنَّاس، فانهزموا، وتبعهم إلى آخر نهر أبي الخَصيب، فبينا الموفَّق واقف والقتال يعمل إذ أتاه فارس مع أصحاب لؤلؤ يَركض ورأسُ الخبيث في يده، فلم يصدِّق الموفَّق، فعرضه على جماعة من

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٥٧ : يُعرف بالمساون.

أصحابه فعرفوه، فترجَّل وترجَّل أبو العبَّاس والخواصُّ وخرُّوا لله سُجَّداً، وأكثروا الشُّكر والثَّناء على الله تعالى، وأمر الموفَّق برفع رأس الخبيث على قناة طويلة ليَعرفه النَّاس، فكثر التَّحميد لله، وارتفعت الأصواتُ بذلك.

وذكر أنَّ أصحاب الموفَّق لمَّا أحاطوا به، ولم يبق معه من أصحابه إلَّا المهلَّبيُّ؛ ولَّى هارباً وأسلم نفسَه، فقذف نفسه في النَّهر الذي يُعرف[١] بنهر الأمير، فقتلوه، وجاؤوا برأسه إلى الموفَّق، فعاد الموفَّق فنزل في الشَّذا، ورأسُ الخبيث على قناة بين يديه، وسليمان بن جامع والهمداني مصلوبان على دِفْل[٢] بأيديهما، وكان أنكلاي قد لجأ إلى الآجام والدَّغَل، فجيء به، وحُبس هو وأصحابُ أبيه.

وهرب قِرطاس الذي رمى الموفَّقَ بالسَّهم إلى رامَهُرْمز، فعرفه رجل كان رآه في عسكر الخبيث، فدلَّ عليه عاملَ البلد، فأخذه وبعث به إلى الموفَّق، فسأله أبو العبَّاس أن يُوليه قتلَه، ففعل، فقام إليه فقتله.

وبعث الموفَّق برأس الخبيث مع ولده أبي العبَّاس إلى بغداد، فدخل وهو على قناة بين يديه، وكبَّر الناس، وضُربت القباب، وزُيِّنت المدينة، وأكثر النَّاس من الدُّعاء للموفَّق وولدِه، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه، وكتب الموفَّق إلى الآفاق برجوع النَّاس إلى أوطانهم: البصرةِ، والأُبُلَّة، والأهواز، وواسط، وكُوَر دجلة، وغيرِها، وطابت قلوب النَّاس ورجعوا، وأحسن الموفَّق إليهم، وولَّى قضاءَ البصرة محمدَ بن حمَّاد، وأقام هو بالموفَّقية حتى تراجع النَّاس.

فكان خروج الموفَّق يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمسٍ وخمسين ومئتين، وقيل: يوم السَّبت، أو ليلة السَّبت، لليلتين خلتا من صفر سنةَ سبعين ومئتين، وكانت مدَّةُ إقامته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرةَ أيَّام[٣].

وقال الصُّولي: قتل من المسلمين ألفُ ألف وخمسُ مئة ألفٍ ما بين شيخ وشابٍّ

---

(١) بعدها في (خ): نفسه؟.

(٢) هو نوع من الشجر المرّ كما في «اللسان»: (دفل).

(٣) كذا في (خ) و(ف). والذي في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٦٣، و«الكامل» ٧/ ٤٠٥: وكان خروج صاحب الزَّنج، بدل: الموفق... وقتل يوم السبت، بدل: وقيل يوم السبت.

وصبيٍّ وذَكَرٍ وأنثى، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثة مئة ألف، واستأمن من أصحابه خمسة عشر ألفاً[١].

وكان له مِنبرٌ في مدينته، يصعد عليه، ويسبُّ عثمانَ وعليًّا ومعاويةَ وطلحة والزُّبير وعائشة رضي الله عنهم، وهذا رأيُ الخوارج الأَزارِقة، وكان ينادى على الجارية من ولد الحسن والحسين رضي الله عنهما، أو بني هاشم العبَّاسيِّين وغيرهم بدرهمين أو ثلاثة، وينادى عليها في عسكره بنَسَبها: هذه فلانة بنتُ فلان بنِ فلان، وكان عند كلِّ واحد من الزَّنج من العلويَّات العشرةُ والعشرون يطؤهُنَّ، وتخدمن نساءَ الزَّنج مثل الوصائف[٢].

واستغاثت إليه يوماً ربقة[٣] من ولد الحسين عليه السَّلام ما تلقاه من بعض الزَّنج، وسألته أن ينقلها إلى غيره، فأسمعها كلاماً فاحشاً، وذكر فاطمةَ عليها السَّلام بنتَ رسول الله ﷺ.

وأكثر الشُّعراء في مقتله ومدْحِ الموفَّق، فقال يحيى بن محمد الأسلميُّ: [من الطويل]

أقولُ وقد جاء البشيرُ بوَقْعةٍ ... أعزَّتْ من الإسلام ما كان واهيا
جزى الله خيرَ النَّاس للنَّاسِ بعدما ... أُبيح حِماهم خيرَ ما كان جازيا
تفرَّد إذ لم ينصر اللهَ ناصرٌ ... بتجديدِ دينٍ كان أصبح باليا
وتشييدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَى بعد عزِّه ... وإدراكِ ثاراتٍ تُبير الأعاديا
وتَرجِعَ أمصارٌ أُبيحتْ وأُحرقتْ ... مِراراً فقد أمستْ قواءً عَوافيا
وتُشفَى صدورُ المؤمنين بوَقْعةٍ ... تَقَرُّ بها منَّا العيونُ البواكيا
وأعرض عن أحبابه ونعيمِهِ ... وعن لذَّةِ الدُّنيا وأقبلَ غازيا

من أبيات طويلة.

وقال أيضاً: [من السريع]

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢٣٥.
(٢) «تاريخ الإسلام ٦/ ٢٥٦، والوصائف: جمع وصيف، وهو الخادم غلاماً كان أو جارية. «اللسان»: (وصف).
(٣) كذا في (خ) و(ف). وهي بمعنى رقيقة.

أيــن نــجــومُ الــكــاذبِ الــمــارِق ... مــا كــان بــالــطَّــبِّ ولا الــحــاذقِ
صــبَّــحــه بــالــنَّــحــسِ سَــعْــدٌ بــدا ... لــســيِّــدٍ فــي قــولــه صــادقِ
فــخــرَّ فــي مــأزِقِــه مُــسْــلَــمــا ... إلــى أُســودِ الــغــاب فــي الــمــأزِقِ
وذاقَ مــن كــأسِ الــرَّدى شَــرْبــةً ... كَــريــهــةَ الــطَّــعْــمِ عــلــى الــذَّائــقِ

وقال يحيى بن خالد: [من الكامل]

يــا بــنَ الــخــلائــفِ مــن أَرُومَــةِ هــاشــمٍ ... والــغــامــريــنَ الــنَّــاسَ بــالإفــضــالِ
والــذَّائــديــن عــن الــحَــريــمِ عــدوَّهــم ... والــمُــعْــلِــمــيــن لــكــلِّ يــوم نِــزالِ
مَــلِــكٌ أعــاد الــدِّيــنَ بــعــد دُروســه ... واســتــنــقَــذ الأســرى مــن الأغــلالِ
أنــت الــمُــجــيــرُ مــن الــزَّمــان إذا سَــطَــا ... وإلــيــك يَــقــصِــدُ راغــبٌ بــســؤالِ
أطــفَــأْتَ نــيــرانَ الــنِّــفــاق وقــد عــلَــتْ ... يــا مُــنــيــةَ الآجــال والآمــالِ
لله درُّكَ مــن ســلــيــلِ خــلائــفٍ ... مــاضــي الــعــزيــمــة طــاهــرِ الــسِّــرْبــالِ
أفــنــيــتَ جــمــعَ الــمــارقِــيــن فــأصــبــحــوا ... مــتــذلِّــلــيــن قــد ايــقــنــوا بــزَوالِ
أمــطــرتَــهُــم عَــزَمــاتِ رأيِ حــازمٍ ... مَــلأتْ قــلــوبَــهُــمُ مــن الأهــوالِ
لــمَّــا طــغــى الــرِّجْــسُ الــلَّــعــيــنُ قَــصــدْتَــه ... بــالــمَــشْــرَفــيِّ وبــالــقَــنَــا الــجــوَّالِ
وتــركــتَــه والــطَّــيــرُ يَــحــجُــلُ حــولَــه ... مــتــقــطِّــعَ الأوداجِ والأوصــالِ
يَــهــوي إلــى حَــرِّ الــجــحــيــم وقَــعْــرِهــا ... بــسَــلاســلٍ قــد أوهــنَــتْــهُ ثِــقــالِ
هــذا بــمــا كَــسَــبــتْ يــداه ومــا جَــنــى ... وبــمــا أتــى مــن ســيِّــئ الأعــمــالِ
أقــررْتَ عــيــنَ الــدِّيــن مــمَّــن كــادَه ... وأدَلْــتَــهُ مــن قــاتــل الأطــفــالِ
صــال الــمــوفَّــقُ بــالــعــراق فــأفْــزَعَــتْ ... مَــن بــالــمــغــارب صَــولــةُ الأبــطــالِ

وقال عيسى بن مَخلد بن مروان[1]: [من الطويل]

أَبِــنْ لــي جــواباً أيُّــهــا الــمــنــزلُ الــقَــفْــرُ ... فــلازال مُــنْــهَــلًّا بــســاحــاتِــكَ الــقَــطْــرُ
أَبِــنْ لــي عــن الــجــيــران أيــن تــحــمَّــلــوا ... وهــل عــادتِ الــدُّنــيــا وهــل يَــرجــعُ الــسَّــفْــرُ
وكــيــف تُــجــيــب الــدَّارُ بــعــد دُرُوْسِــهــا ... ولــم يَــبْــقَ مــن أعــلام ســاكــنِــهــا سَــطْــرُ
مــنــازلُ أبــكــانــي مَــغــانــيُّ أهــلــهــا ... وضــاقَــتْ بــيَ الــدُّنــيــا وأسْــلَــمــنــي الــصَّــبْــرُ

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٦٥: يحيى بن خالد بن مروان، وما سلف من أبيات فيه.

كـأنَّـهُـمُ قـومٌ رَغـا الـبَـكْـرُ فـيـهـمُ … وكـان عـلـى الأيَّـام فـي هُـلْـكـهـم نَـذْرُ
وعاثَتْ صُروفُ الدَّهرِ فيهم فأسرعتْ … وشرُّ ذوي الأضْغـانِ مـا فـعـل الـدَّهـرُ
فـقـد طـابـتِ الـدُّنـيـا وأيْـنَـعَ نَـبْـتُـهـا … بـيُـمْـنِ ولـيِّ الـعَـهْـدِ وانـقَـلَـبَ الأَمْـرُ
وعـاد إلـى الأوطـان مَـن كـان هـاربـاً … ولـم يـبـقَ لـلـمَـلـعون في مَـوْطِـنٍ أَمْـرُ[١]
بسيف وليِّ العَهد طالت يدُ الهدى … فأشرق وجهُ الدَّهر واصطُلِم الكُفْرُ
وجـاهَـدَهـم فـي الله حـقَّ جـهـادِهِ … بـنَـفْـسٍ لـهـا طـولُ الـسَّـلامـةِ والـنَّـصْـرُ

من أبيات.

الفضل بن العبَّاس

ابن موسى، أبو نُعيم، العَدَويُّ الأستراباذيُّ.

كان فقيهاً فاضلاً، مقبولَ القول عند الخاصِّ والعامّ غير أحمد بن عبد الله الطاغي على أستراباذ، فعزم على نهبها، فاشتراها منه بست مئة ألف درهم، ووزَّعها على النَّاس.

ويقال: إنَّ محمد بن زيد العلويّ قتله سرًّا وأخفاه. وروى عن الفَضْل بن دُكَين وغيره، وكان ثقة[٢].

[محمد بن إسحاق][٣] بن جعفر

أبو بكر، الصَّاغانيّ، الحافظ.

رحل في طلب العلم، ولقي الشّيوخ، وكتبوا عنه، وكانت وفاته يوم الخميس لسبعٍ خلون من صفر.

سمع يزيد بن هارون وغيرَه، وروى عنه النَّسائي وغيرُه، وكان أحدَ الأثبات المُتْقنين، مع صَلابةٍ في الدِّين، واشتهارٍ بالسُّنَّة، واتِّساع في الرِّواية، واتَّفقوا على فضله وثقتِه، حتَّى قال الدارقطنيُّ: كان ثقةً وفوقَ الثِّقة، رحمه الله تعالى.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٦٦٥ : في موضع إثر.

(٢) «المنتظم» ١٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٨٦ .

(٣) هذه الزيادة من «تاريخ بغداد» ٢/ ٤٤ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٤٠ ، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ١٩ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٩٤ .

محمد بن الحسين بن المبارك

أبو جعفر، ويُعرف بالأعرابي.

كان عابداً ناسكاً، وسببُ وفاته: أنَّه توفِّي له وَلَد نَفيس كان يحفظ الحديث، فتغيَّر حالُه، وحَزِن عليه، ومازال به الحُزْنُ حتَّى مات في رمضان لعشرٍ بقين منه.

سمع أسود بنَ عامر وطبقتَه، وروى عنه ابنُ صاعد وغيرُه، وكان ثقةً رحمة الله عليه[1].

محمد بن مُسلم

ابن عثمان[2] بن عبد الله، أبو عبد الله، الرَّازي، ويعرف بابن وارة.

أحد الحفَّاظ الرَّحَّالين، والعلماء المتقنين، وكان أبو زُرعة الرَّازي لا يقوم لأحد، ولا يُجلس أحداً مكانه إلَّا ابن وارة، وكان يقول: ابنُ وارة أبو الحديث وأُمُّه.

توفِّي في شهر رمضان بالرَّيِّ سنة سبعين ومئتين، وقيل: سنة خمس وخمسين، أو سنة خمس وستِّين، وهو وهم.

أسند عن خلقٍ كثير، منهم: أبو مُسْهر الدِّمشقيُّ وغيره، وروى عنه البخاريُّ وغيره.

واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقتِه؛ إلَّا أنَّه كان متكبِّراً.

[وفيها توفي]

نَصْر بن اللَّيث بن سعد[3]

أبو منصور، البغداديُّ، الورَّاق.

[رحل وطلب الحديث وحدَّث ببغداد. وقد] أخرج له الخطيب حديثاً غريباً بإسناده

(١) «تاريخ بغداد» ٣/ ٨ـ٩، و«المنتظم» ١٢/ ٢٤٠ـ٢٤١، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٠٠.

(٢) في (خ) و(ف): محمد بن مسلمة أبو عثمان. وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٤/ ٤١٨ـ٤٢٣، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٢٣ـ٤٢٤.

(٣) في (خ) و(ف): أسعد، والمثبت من (ب)، وما بين معكوفين منها، وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ١٥/ ٣٩٥ـ٣٩٦، وما سيأتي بين قوسين منه.

عن عثمان[(١)] بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الإيمان يَمان، ورَحَى الإيمان في قَحطان، والقَسوة والجفاء فيما وَلَد عدنان، وحِمْيَر رأسُ العرب ونابُها، والأَزْدُ كاهِلُها وجُمْجُمتها، ومَذْحِج هامَتُها وغَلْصَمَتُها، وهَمْدان ذِرْوَتُها، اللهمَّ أعِزَّ الأنصار الذين آوَوْني ونَصَروني وحَمَوْني، وهم أصحابي في الدُّنيا، وشيعتي في الآخرة، وأوَّلُ مَن يدخل بُحبوحة الجنَّة من أمَّتي».



(١) في (خ) و(ف): وأخرج له الخطيب حديثاً يرفعه إلى عثمان...، والمثبت من (ب)، والحديث في «تاريخ بغداد» ١٥/ ٣٩٦. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم (١٦٩٨) مختصراً، والبزار في مسنده (٤١٠)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (١٥٥)، وفي إسناده مقال.

السَّنة الحادية والسَّبعون بعد المئتين

فيها دخل محمَّد وعليٌّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليٍّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المدينة، وقتلا جماعةً من أهلها وأخذا الأموال، ولم يصلِّ أهلُها في مسجد رسول الله ﷺ أربع جُمَعٍ، لا جمعة ولا جماعة، فقال العبَّاس بن الفَضْل العَلَويُّ[1]: [من الخفيف]

أُخرِبتْ دارُ هجرةِ المصطفى البَرِّ فأبكى إخرابُها المسلمينا
عينُ فابكي مقامَ جبريلَ والقَبْـ ـرَ والرَّوْضَ والمِنْبرَ الميمونا
وعلى المسجد الذي أُسُّهُ التَّقـ ـوى خَلاءً أضحى من العابدينا
وعلى طَيبةَ الَّتي بارك اللـ ـه عليها بخاتَم المُرْسَلينا

وفيها أُدخل جماعةٌ من أهل خُراسان على المعتمد، وأَشهدهم أنَّه قد عَزل عمرَو بن الليث عمَّا كان قَلَّده من خراسان، وأنَّه قد قلَّدها محمَّدَ بن طاهر، وأمر بلَعْن عمرو بن اللَّيث على المنابر[2].

وفيها كانت وقعة عظيمة بين أبي العبَّاس ابن الموفَّق وبين خُمارويه بن أحمد بن طولون بمكان يقال له: الطَّواحين بأرض فلسطين.

كان الموفَّق قد جهَّز ولده أبا العبَّاس في جيوش العراق، وأعطاه الخزائن، وولَّاه أعمال ابن طولون، فخرج أبو العبَّاس من سُرَّ مَن رأى إلى الشَّام، فنزل بفلسطين، وجاء خُمارويه [بن أحمد] من مصر، والتقيا، فقُتل بينهما خلقٌ عظيم[3] بحيث جرت الطَّواحينُ من الدِّماء على ما قالوا، وكانت الدَّبْرة على خُمارويه، فانهزم إلى مصر على الجمازات[4]، واشتغل أصحابُ أبي العبَّاس بالنَّهب.

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٧، و«الكامل» ٧/ ٤١٣.
(٢) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٧، و«الكامل» ٧/ ٤١٤.
(٣) في (خ): كثير، والمثبت من (ب)، وما بين معكوفين منها.
(٤) في «المنتظم» ١٢/ ٢٤٣، والطبري ١٠/ ٨: على حمار

ونزل أبو العبَّاس في مَضرب خُمارويه ولا يرى أنَّه بقي له طالب، وكان سعدٌ الأعسر مع خُمارويه قد كَمَّن كَميناً لأبي العبَّاس [فخرج عليهم وقد وضعوا السِّلاح، فحمل عليهم فانهزموا وتفرَّقوا، ومضى أبو العبَّاس] إلى طَرَسوس في نَفَرٍ يسير، وذهب جميع ما كان معه وما حواه من عسكر خُمارويه، انتهب الجميعَ سعدُ الأعسر، وأقام أبو العباس بطَرَسوس.

وفيها وثب يوسف بن أبي السَّاج على الحُجَّاج، فقاتلوه وأسروه، وقدموا به بغداد مقيَّداً قد أُشهِر على جمل.

قال أبو بكر الأدمي القاري[1]: [لما أُدخل ابن أبي السَّاج سامراء مقيَّداً مشهوراً أخرجني] مؤنس معه فتلقيناه [من فراسخ ـ وقيل: إنَّما أدخل به بغداد ـ قال الأدمي:] فقرأتُ بين يديه وهو مقيَّدٌ مشهور ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾[هود: ١٠٢] وأتبعتُها بكلِّ ما جاء في القرآن من هذا الجنس، وابنُ أبي السَّاج عليه البُرنس وهو يبكي، فلمَّا كان بعد مدَّة شفع فيه مؤنس، فرضي الخليفة عنه، وأطلقه إلى داره، فقال لي مؤنس: قد طلبك ابن أبي السَّاج منِّي، فامضِ إلى داره، فقلت: خَفِ الله فيَّ، لعلَّه وجد في نفسه من ذلك اليوم، فقال: لابدَّ، فقلتُ: اللهَ اللهَ فيَّ أيُّها الأستاذ، فقال: لابدَّ أن تمضي إليه.

فدخلت عليه، فقرَّبني ورفع مجلسي وقال: أحبُّ أن تقرأ [تلك] الآيات التي قرأتَها بين يدي يوم كذا وكذا، فقلت: كان الحالُ يقتضي ذلك، أمَّا اليوم فلا، فقال: لابدَّ ولابأس عليك، فإنَّني انتفعتُ بها.

فشرعتُ، فقرأتها وهو يبكي ويَنْتَحب إلى أن قطعتها، فأخرج من تحت مُصلَّاه دنانيرَ كثيرة، فَحَشَا بها فمي، ثمَّ أعطاني ألفي درهم، فأخذتُها وخرجت، وإذا ببَغْلةٍ فارهة بسَرْجها ولجامها، فركبتُها، وأصحبني ثياباً، وقال: إذا شئت فعُدْ إلينا، ولا تنقطع عنَّا مادمنا مُقيمين، فكنتُ آتيه في كلِّ أسبوع أقرأ عنده، فيعطيني في كلِّ شهر مئة دينار، إلى أن خرج من دار السَّلام.

---

(١) في (ب): وذكر له أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه في كتاب «الفرج بعد الشدة» حكاية عن أبي بكر الأدمي قال.. والمثبت من (خ) و(ف)، ولم نقف على الخبر في كتاب التنوخي، ونقله عنه ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ٢٤٤.

ويقال: إنَّ في هذه السَّنة ردَّ الموفَّق أخاه المعتمد إلى سُرَّ مَن رأى، فصلَّى بالنَّاس عيد الأضحى، وخرج عليهم وعليه البُردة والقَضيب، وابنُ طاهر يمشي بين يديه بالحربة(١).

[وفي هذه السَّنة] زُلزلت مصر زلزلة عظيمة، هَدَمت المنازلَ والجوامع، وقتلت خلقاً عظيماً، فأخرج في يوم واحد ألفُ جنازة(٢).

وحج بالنَّاس هارون بن محمد.

وفيها توفيت

بُوران بنت الحسن

ابن سَهْل، زوجة المأمون. [وقد ذكرنا تزويجها ودخولَ المأمون بها في فم الصِّلْح، وما أنفق عليها أبوها من الأموال، وإقامتها ببغداد مكرّمة محترمة.]

وكانت فَطِنة مُتصدِّقة، توفِّيت في ربيع الأوَّل ببغداد وقد بلغت ثمانين سنة، ودُفنت بالسَّهلية عند جامع السلطان على باب بغداد، وهناك بُنْيتُه قائمة، يقال إنَّها في تابوت مربوط بسلاسل(٣).

حَمْدون بن أحمد بن عُمارة

أبو صالح، القصَّار، النَّيْسابوريّ.

إمام الملامتيَّة(٤) بنيسابور ومنه انتشر مذهبهم.

وكان أبو صالح فقيهاً على مذهب سفيان الثوريّ، وسمع الحديث وصحب [أبا تراب] النَّخْشَبيَّ وأقرانه.

[وذكره ابن خميس في «المناقب»(٥) وأثنى عليه، وله الكلام المليح، فمنه ما ذكره السُّلميُّ

---

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢٤٥.

(٢) ذكر هذا الخبر الطبري في «تاريخه» ١٠/ ١٠، وابن الأثير في «الكامل» ٧/ ٤٢٠، وابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ٢٤٩ في أحداث سنة (٢٧٢هـ).

(٣) «المنتظم» ١٢/ ٢٤٥-٢٤٦، و«وفيات الأعيان» ١/ ٢٩٠، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٢٨.

(٤) المَلَامِيَّة: هم الذين لم يظهروا مما في بواطنهم على ظواهرهم، وهم يجتهدون في تحقيق كمال الإخلاص، أي: مذهبهم تخريب الظاهر وتعمير الباطن. التعريفات للجرجاني ٣٤٨-٣٤٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٥٤١.

(٥) مناقب الأبرار ١/ ٣٠٣-٣٠٧.

وغيره أنه كان يقول: إذا رأيت سكراناً فتمايل لئلَّا تنعي عليه؛ فتُبتلى بمثل ما ابتُلي به.

وقال: لا تُفشِ على أحدٍ سرًّا تحبُّ أن يكون منك مكتوماً.

وقال: من ضيَّع عهودَ الله عنده فهو لآداب الشريعة أضيعُ.

وقال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بمسجون.

وقال: لا يفرح إبليس بشيءٍ كفرحه بقلب فيه خوف الفقر.

وحكى عنه أبو نعيم قال: قيل لحمدون: ما بال كلام السلف[١] أنفعُ من كلامنا؟ فقال: لأنَّهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام، ورضى الرَّحمن، ونجاة النُّفوس، ونحن نتكلَّم لعزِّ النُّفوس، وطلب الدُّنيا، ورضى الخلق.

[قال:] وسَفِهَ عليه رجل، فقال له حمدون: لو نقصتَني كلَّ نَقْصٍ لم تَنقصني كنقصي عند نفسي، ثمَّ قال: سَفِهَ رجل على إسحاق الحنظليّ فاحتمله، فقيل له في ذلك فقال: لأيِّ شيءٍ تعلَّمنا العلم؟.

وقال: مَن استطاع منكم أن لا يَعمى على نُقصان نفسه فليفعل.

وقال: مَن نظر في سِيَر السَّلف عرف تقصيره وتخلُّفَه عن درجات الرِّجال.

وتوفِّي صديقٌ له وهو قاعد عند رأسه، فأطفأ السِّراج وقال: هذا زيتٌ قد صار للوَرَثة.

وكانت وفاة حمدون بنيسابور [في هذه السنة[٢]].

وفيها توفي]

أبو حَفْص النَّيْسابوري

[واسمه:] عمرو بن سَلْم، وقيل: ابن سَلَمة[٣]، الحدَّاد.

---

(١) في (خ) و(ف): وقيل له: ما بال السلف... والمثبت من (ب)، والخبر في «الحلية» ١٠/ ٢٣١.

(٢) «طبقات الصوفية» ص ١٢٣ـ١٢٩، و«حلية الأولياء» ١٠/ ٢٣١ـ٢٣٣، و«صفة الصفوة» ٤/ ١٢٢ـ١٢٣، و«المنتظم» ١٢/ ٢٤٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٤١.

(٣) الذي في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٧: عمرو بن سالم، والأصح أنه: عمرو بن سلمة. والذي في المنتظم ١٢/ ٢٠٣: عمرو بن مسلم، ويقال: عمرو بن سلمة. وينظر أيضاً طبقات الصوفية ١١٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٣، والحلية ١٠/ ٢٢٩، والسير ١٢/ ٥١٠.

وهو من قرية على باب نَيْسابور يقال لها: كُورْدَاباذ على طريق بُخارى.

كان عظيم الشَّأن [صحب المشايخ، وإليه ينتمي شاه بن شجاع الكِرْماني، وكان] أحد السادة الأئمة، من كبار مشايخ القوم، وله الكراماتُ المشهورة.

روى الخطيب عن الجنيد بن محمد: أن أبا حفص ذُكر عنده، فقال الجنيد: كان رجلاً من أهل الحقائق، ولو رأيتُه لاستغنيتُ به.

وكان يتكلَّم في غَور بعيد، ولقد قال له يوماً بعضُ أصحابه: كان مَن مضى لهم الآيات الظاهرة، فأيش لك؟ فأخذ بيده وأتى به إلى سوق الحدَّادين إلى كُور عظيم محميٍّ، فيه حديدةٌ عظيمة، فأدخل يده فأخذها؛ فبَردت في يده.

[وقال الخطيب:] دخل أبو حفص على مريض، فقال المريض: آه، فقال أبو حفص: ممَّن؟ فسكت، فقال: مع مَن، فقال المريض: كيف أقول؟ قال: لا يكنْ[١] أنينُك شكوى، ولا سكوتُك تجلُّداً، وليكن بين ذلك.

[وحكى السُّلميُّ عن] مَحْمِش الجَلّاب قال: صحبتُ أبا حفص اثنتين وعشرين سنة، [فما رأيتُه ذكر الله تعالى إلَّا على وجه الحضور والتَّعظيم والحُرمة]، وما رأيتُه يذكره على حدِّ الغَفلة والسَّهو والانبساط، وكان إذا ذكره تغيَّر حاله[٢].

وكان يقول: ما أظنُّ محقّقاً يذكر الله على غير غفلة، ثمَّ يبقى بعد ذلك حيًّا إلَّا الأنبياء؛ فإنَّهم أُيِّدوا بقوَّة النُّبوَّة.

وحكى ابن باكويه الشّيرازي، عن أبي عثمان النَّيسابوري قال: خرجنا[٣] مع أبي حفص إلى ظاهر نيسابور، فتكلَّم علينا، فطابت قلوبنا، فبَصُرنا بأُيَّل[٤] قد نزل من الجبل، فبرك بين يديه وأصغى إليه، فبكى أبو حفص بكاء شديداً، فقلنا له: تكلَّمتَ علينا فطابت قلوبُنا، فلمَّا جاء هذا الوحشُ وبَرَك بين يديك أزعجك وأبكاك! فقال: نعم، رأيتُ اجتماعَكم حولي وطيبَ قلوبكم، فوقع في خاطري لو أنَّ شاةً ذبحتُها

---

(١) في (ب): مع من قل: لا. فقال المريض: كيف أقول لا لا يكن... وكلام الخطيب في تاريخه ١٤/ ١٣٤ .

(٢) «طبقات الصوفية» ١١٦ .

(٣) في (خ) و(ف): وقال أبو عثمان النيسابوري خرجنا، والمثبت من (ب).

(٤) هو نوع من الوعول مثل الثور الأهلي.

ودعوتُكم إليها، فما تحكَّم هذا الخاطر حتَّى جاء هذا الوحش فبرك بين يديَّ، فخُيِّل لي أنِّي مثل فرعون لمَّا سأل ربَّه فأجرى له النِّيل، قلت: فما يؤمنني أن يُعطيني الله حُظوظي في الدُّنيا، وأبقى فقيراً يوم القيامة لا شيء لي؟ فذلك الذي أزعجني.

[وقال السُّلمي:] كان أبو حفص إذا غضب تكلَّم في حُسن الخُلُق حتَّى يَسْكُن غَضَبُه، ثم يرجع إلى حديثه.

[وحكى عنه السُّلمي أيضاً أنه] قال: حرستُ قلبي عشرين سنة، ثمَّ حرسني قلبي عشرين سنة، ثمَّ وردتْ عليَّ وعليه حالةٌ صرنا فيها محروسَيْن جميعاً(١).

وحكى في «المناقب» عن المرتَعِش قال: دخلنا(٢) مع أبي حفص على مريض نعوده ونحن جماعة، فقال للمريض: ما تشتهي؟ فقال: أن أبرأ، فقال أبو حفص لأصحابه: تحمَّلوا عنه، فقام المريض وخرج معنا، وأصبحنا كلُّنا أصحاب فُرُشٍ نُعاد.

[وقال السُّلمي:] قيل لأبي حفص: مَن الوليّ؟ قال: من أُيِّد بالكرامات وغُيِّب [عنها](٣).

[وحكي عنه في «المناقب» أنه] قال: المعاصي بَريد الكفر، كما أنَّ الحُمَّى بريد الموت(٤).

وقيل له: إنَّ فلاناً إذا سمع السَّماع صاح ومزَّق ثيابه، فقال: الغريق يتشبَّث بكلِّ شيءٍ يظنُّ أنَّ فيه نَجاتَه.

قال: ولما دخل بغداد قال له الجُنيد: لقد أدَّبتَ أصحابَك أدب السَّلاطين، فقال أبو حفص: حُسنُ الأدبِ في الظَّاهر عنوان حُسنِ الأدبِ في الباطن، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «لو خشع قلبُ هذا لخشعَتْ جوارحُه»(٥).

---

(١) «طبقات الصوفية» ١١٧ ، ١١٩ ، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) في (خ) و(ف): وقال المرتعش دخلنا، والمثبت من (ب) والخبر في «مناقب الأبرار» ١/ ٢٨٠.

(٣) «طبقات الصوفية» ١٢١ ، وما بين معكوفين من (ب).

(٤) «مناقب الأبرار» ١/ ٢٧٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٣٣٠٩)، وابن أبي شيبة (٦٨٥٤) من كلام سعيد بن المسيب، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/ ١٥١ : وأخرجه الحكيم في النوادر [ص ٣١٧] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب.

[قال:] وسُئل: من الرجال؟ فقال: هم القائمون لله تعالى بوفاء العهود، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣].

وقال: الخوف سَوْط[١] الله في أرضه، يقوِّم به الشَّاردين عن بابه، وهو سِراج القلب، به يُبصر ما فيه من الخير والشَّر.

[وقيل له: أيُّهما أفضل، النُّطق أو الصَّمت؟ فقال: لو علم النَّاطق ما آفة النُّطق لصمت عمر نوح، ولو علم الصَّامت ما آفة الصَّمت لسأل الله ضِعفَي عمر نوح حتى ينطق][٢].

وقال: إنَّ الله تعالى دعا الخَلْق إليه من أربعة أبواب؛ دعاهم من باب الرضا فما أجابه إلَّا القليل، ودعاهم من باب الصَّبر فما أجابه إلَّا القليل، ودعاهم من باب الذِّكر فما أجابه إلَّا القليل، ودعاهم من باب حُسن الظَّن فقال: «لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن الظَّنَّ بربِّه»[٣] فأجابوه.

[واختلفوا في وفاته: فقال السُّلمي: في] سنة سبعين [ومئتين] وقيل: سنة إحدى وسبعين، وقيل: [في] سنة أربع [أو ستٍّ] أو سبع وستين ومئتين رحمه الله[٤].

[وفيها توفي]

محمد بن وَهْب

أبو جعفر، العابد، صاحب الجنيد.

[حكى عنه الخطيب أنَّه] قال: سافرتُ لألقى أبا حاتم العطَّار البصريَّ الزَّاهد، فطرقتُ عليه بابَه فقال: مَنْ؟ قلتُ: رجلٌ يقول: ربي الله، ففتح الباب، ووضع خدَّه على الأرض وقال: طَأْ عليه؛ فهل بقي في الدُّنيا مَن يُحسِن أن يقول: ربِّي الله؟!

---

(١) في (خ): شرط. وفي (ب): سلطان. والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «الرسالة القشيرية» ٢/ ١٩٠ـ١٩١.

(٢) ما بين معكوفين من (ب)، والكلام في «الرسالة القشيرية» ٢/ ١٨٦، و«مناقب الأبرار» ١/ ٢٨٤.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٤٨١)، ومسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر ﷺ.

(٤) ما بين معكوفين من (ب) وكلام السلمي في طبقاته ١١٦. وينظر «حلية الأولياء» ١٠/ ٢٢٩ـ٢٣٠، و«تاريخ بغداد» ١٤/ ١٣٣ـ١٣٥.

وكانت وفاته ببغداد، فتولَّى الجنيدُ غسلَه وتكفينَه والصَّلاةَ عليه، ودُفن إلى جانب سَرِيٍّ السَّقَطي [رحمة الله عليهما][1].

محمد[2] بن يعقوب بن الفَرَج

أبو جعفر، الصُّوفي، من أهل سُرَّ مَن رأى.

كان من أبناء الدُّنيا، ورث مالاً كثيراً، فأنفقه في طلب العلم، وعلى الفقراء والزُّهَّاد والصُّوفية والمحدِّثين.

وقال بُنان بن أحمد المصري: قدم محمد بن يعقوب مصرَ، فقصدتُه، فإذا هو في بيت مملوءٍ كُتباً، فقلت: رحمك الله، اختصر لي من هذه الكتب كَلمتين أنتفعُ بهما، فقال: ليكن همُّك مَجموعاً فيما يُرضي الله تعالى، فإنِ اعترضَ عليك شيءٌ فتُب من وقتك.

وكانت وفاته بالرَّمْلَة، حدَّث عن عليِّ بن المَديني وغيره، وروى عنه بِشر بن يوسف الهَرَوي وغيره[3].

مصعب بن أحمد

ابن مُصْعَب، أبو أحمد القلانسيُّ.

ولد ببغداد، وكان من أقران الجُنيد، عظيمَ الشَّأن.

قال جعفر الخُلْدي[4]: قال لي أبو أحمد القَلانِسيُّ: يا جعفر، فرَّق رجل على الفقراء أربعين ألف درهم ببغداد، فقال لي سَمنون: يا أبا أحمد، ما تَرى ما فعل هذا الرجل؟ ونحن ما معنا شيء نفرِّقه، اخرج بنا إلى المدائن نصلِّي بكلِّ درهمٍ ركعة،

(١) ما بين معكوفين من (ب)، وكلام الخطيب في «تاريخه» ٤/ ٥٣٥-٥٣٦ .

(٢) من هنا إلى نهاية السنة ليس في (ب).

(٣) الذي في «تاريخ بغداد» ٤/ ٦١٢ أن الذي روى عنه هو محمد بن يوسف بن بشر الهروي، وانظر «المنتظم» ١٢/ ٢٤٨ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٢٧ .

(٤) في (خ) و(ف): الخالدي. والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٥/ ١٤١ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٤١ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٣٨ ، وذكراه في وفيات سنة (٢٧٠هـ).

فخرجنا إليها، فصلَّينا أربعين ألف ركعة، وزُرنا قبرَ سليمان وحُذيفة، وانصرفنا.

وكان أبو أحمد مُجَرَّداً من الدُّنيا، مُلازِماً للمساجد والصَّحارى ليس له منزل، وكان يَصحبه غلام اسمُه محمد بن يعقوب المالكي، وكان حَدَثَ السِّنّ، فقال لأبي أحمد: أحبُّ أن أتزوَّج، فأمر مَن خطب له ابنةَ رجل من أعيان النَّاس، فأجاب، فلمَّا حضر جماعة بسبب العقد قال محمد بن يعقوب: قد بدا لي من التَّزويج، فغضب أبو أحمد وقال: تَخطب إلى رجلٍ كَريمتَه فيُجيب، ثمَّ تمتنع؟ والله لا يتزوَّجها غيري، فقام أبوها فقبَّل رأسه، فقال: ما كنتُ أظنُّ أنَّ قَدْري عند الله أن أُصاهِرك، ولا قدْرَ ابنتي أن تكون أنت زوجَها.

وقيل: إنَّه مات سنة سبعين، خرج حاجًّا، فلمَّا قضى نُسُكَه توفِّي، فدُفن بأَجْياد عند الهدف، رحمه الله.



السَّنة الثانية والسَّبعون بعد المئتين

فيها وقع بين يازمان الخادم وأبي العبَّاس بن الموفَّق خلافٌ في طَرَسوس، فأخرج أهلُها أبا العبَّاس منها، فخرج يريد بغداد في نصف المحرَّم، وقدم بغداد لسبعٍ بقين من جُمادى الآخرة.

وفيها دخل حَمدان بن حَمدون وهارون الشَّاري[١] الخارجيَّان مدينةَ المَوْصِل، وصلَّى الشاري بالنَّاس في المسجد الجامع.

وفيها قدم صاعد بن مَخْلد كاتب الموفَّق من فارس إلى واسِط في رجب، وكان الموفَّق بها، فأمر القوَّاد باستقباله، فتلقَّوه وقبَّلوا يده، وكان في قتال عمرو بن اللَّيث.

ولسبعٍ[٢] بقين من رجب قبض عليه الموفَّق وعلى أصحابه، وانتَهبَ منازلَهم، وقبض على ابنَيه أبي عيسى وأبي صالح ببغداد، وعلى أخيه عَبْدون بسامرّاء، وذلك كلُّه في يوم واحد، واستكتب الموفَّق إسماعيلَ بن بُلْبُل[٣].

وفيها تحرَّكت الزَّنج بواسط وصاحوا: أنكلاي يا منصور، وهو ابنُ الخبيث، وكان أنكلاي، وسليمان بن جامع، والمهلّبيّ، والشَّعرانيّ، وغيرهم من قوَّاد الزنج مُحْتَبَسين ببغداد في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، في يدِ غُلامٍ من غلمان الموفَّق يقال له: فتح السَّعيدي، فكتب إليه الموفَّق أن يبعث إليه برؤوسهم، فذبحهم واحداً واحداً، وبعث برؤوسهم إليه، وقيل: إنَّه صلب أبدانهم على الجسر، وكانوا قد رُموا بالوعة، فأُخرجوا، وصلب ثلاثة منهم في الجانب الغربيّ، وثلاثة في الجانب الشرقيّ.

وفيها غزا الصَّائفة يا زمان الخادم.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبَّاس الهاشميّ.

---

(١) في (خ) و(ف): الرازي. والمثبت من «تاريخ الطبري» ١٠/ ٩، و«الكامل» ٧/ ٤١٩، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٦٨.

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ١٠: لتسعٍ.

(٣) من أول السنة إلى هنا ليست في (ب).

وفيها توفي

أحمد بن مَهْديّ بن رُسْتم

أبو جعفر، الأصبهانيّ.

أحد الثِّقات الأثبات، الرحَّالين في طلب العلم، صاحب صلاة وتعبُّد واجتهاد، لم يُفْرَش له فراشٌ منذ أربعين سنة، وأنفق على تحصيل العلم ثلاث مئة ألف درهم، وصنَّف «المسند».

سمع ببغداد أبا عُبيد القاسم بن سلَّام، وعزم على أن يكتب كتاب «الأموال» لأبي عبيد بماء الذَّهب، فقال له أبو عبيد: اكتب بالحِبر فإنَّه أبقى.

وسمع ابن أبي الدُّنيا وخَلْقاً كثيراً، وكان فوق الثِّقة[1].

[وفيها توفي

الحسن بن إسحاق] بن يزيد

أبو علي، العَطَّار.

قال عبد الرَّحمن بن هارون: كنَّا في البحر سائرين إلى إفريقية، فرَكَدَت علينا الرِّيح، فأرسَيْنا إلى موضع يقال له: البَرْطون، ومعنا فتًى صَقْلَبي يقال له: أيمن، ومعه شِصٌّ[2] يَصطاد به السَّمَك، فاصطاد سَمكةً نحواً من شِبر أو أقلّ، فرأينا على صَحْفَةِ[3] أُذنها اليُمنى مكتوباً: لا إله إلا الله، وعلى اليُسرى: محمد رسول الله، وكانت السَّمكةُ بيضاء، والكتابةُ سوداء؛ كأنَّها كُتبتْ بحِبر، وكانت أَبْيَنَ من نَقْشٍ على حَجَر، فقذفناها في البحر، ومَنَعْنا النَّاسَ أن يصيدوا من ذلك الموضع.

حدَّث الحسن عن أبي نُعيم وغيره، وروى عنه مَخْلد وغيرُه، وكان ثقة.

سليمان بن وَهْب

كان كاتب الموفَّق، وهو الَّذي تعصَّب لأبي تمام، وولَّاه بَريد الموصل.

---

(١) «أخبار أصبهان» ١/ ٨٥-٨٦، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٢٥٤-٢٥٥، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٠١-٥٠٢.

(٢) الشِّص والشَّص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. «اللسان»: (شصص).

(٣) في «تاريخ بغداد» ٨/ ٢٣٤، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥١، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٣٤: صَنيفة، وهي طرف الأذن.

وكان فاضلاً، حبسه الواثق سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين، فكتب إليه أخوه الحسن بن وهب يقول: [من الكامل]

صَبْراً أبا أيُّوب صَبْراً يُرْتَضى فإذا جَزِعتَ من الأمور فَمَن لها[1]

توفِّيت أمُّ سليمان، فدخل عليه صالح بن شَهريار[2] الكاتب وكان مُغَفَّلاً، فأنشده مرثيَّة في أمِّه يقول: [من الطويل]

لأمّ سليمانٍ علينا مصيبةٌ مُغَلْغَلَةٌ مثلُ الحُسامِ البَواترِ
وكنتِ سِراجَ البيتِ يا أمَّ سالمٍ فأمسى سِراجُ البيت بين المقابرِ

فقال سليمان: ما نزل بأحدٍ مثل ما نزل بأمِّي؛ ماتت وتُرثى بمثل هذا الشعر المشؤوم، واسمي سليمان فصيَّرني سالماً.

وتوفِّي سليمان في حبس الموفَّق يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر[3].

[وفيها توفي][4]

العلاء بن صاعِد

أبو عيسى، البغداديُّ، الكاتب.

كان يتعاطى علمَ النُّجوم، حبسه الموفَّق على مالٍ اتَّهمه به، وكان مريضاً فحُمِل في مِحَفّة إلى الحبس [فقال لأصحابه: طالعُ الوقت يقتضي أنَّ بعد ثلاثة عشر يوماً أخرج من الحبس]، وأَعودُ إلى منزلي، فتوفِّي في الحبس بعد ثلاثة عشر يوماً، فدُفع ميتاً إلى أهله.

[وقال الصُّولي:] رأى النبيَّ ﷺ في المنام وكان مريضاً، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يهبَ لي العافية، فأعرض عنه يميناً وشمالاً وهو يقول ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: لا أفعل، فقال: يا رسول الله، ولم؟ قال: لأنَّ أحدكم يقول: أعلَّني المرِّيخ، وأبرأني المُشْتري[5].

---

(١) «الوافي بالوفيات» ١٢/ ٢٩٨.

(٢) في «العقد الفريد» ٦/ ١٦٦ : شيرزاذ.

(٣) «المنتظم» ١٢/ ٢٥١ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٥٦ ، وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٤) جاءت ترجمته في (ب) في أحداث سنة ثلاث وسبعين ومئتين، وما بين معكوفين منها.

(٥) «المنتظم» ١٢/ ٢٥٢ ، ومن هنا إلى ترجمة يعقوب بن سماك ليس في (ب).

عيسى بن جعفر

أبو موسى، الورَّاق، البغداديّ.

كان من أفاضل النَّاس، وشجعان المجاهدين، مع ورع، وعقل، ومعرفة، وحديث كثير.

سمع الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيرَه، وروى عنه المَحامِليُّ وغيره، وكان صالحاً ثقة[١].

محمد بن عبد الله

ابن عمَّار بن سَوادة، أبو جعفر، المَولى، المُخَرِّميُّ[٢].

ولد سنة اثنتين وستِّين ومئة، وقَدِم سُرَّ مَن رأى تظلُّماً من القاضي الزُّبَيري، فكثر النَّاس عليه في طلب الحديث، فبلغ الخليفة فقال: ما الذي أقدم هذا الرَّجل؟ قالوا: يتظلَّم من الزُّبيري، فقال: اعزلوا الزُّبيري.

ومحمد نزيل الموصل، وأحد العلماء المحقِّقين، حافظٌ، كثير الحديث، سمع سفيانَ بن عُيينة وغيرَه، وروى عنه عبدُ الله بن الإمام أحمد وغيره، وكان ثقة صدوقاً.

محمد بن أبي داود عُبيد الله

ابن يزيد، أبو جعفر، [ابن] المُنادي.

كان يسكن المُخَرِّم[٣] ببغداد سنة إحدى وسبعين ومئة، ومات لثلاثٍ بقين من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومئتين، وله مئة سنةٍ وسنة، وأربعة أشهر[٤]، وأياماً.

وقال: صمتُ اثنين وتسعين رمضاناً.

سمع يزيد بن هارون وغيرَه، وروى عنه البخاريُّ وغيره، وكان ثقة.

---

(١) «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٩٦ـ٤٩٧ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٨٤ .

(٢) في (خ) و(ف): الخرقي. والمثبت من «تاريخ بغداد» ٣/ ٤١٨ ، و«تاريخ دمشق» ٦٢/ ٤٣٧ .

(٣) في (خ) و(ف): المحرن. والمثبت من «تاريخ بغداد» ٣/ ٥٦٦ .

(٤) في (خ) و(ف): وله مئة سنة وأربع عشر شهراً، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٣/ ٥٦٦ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦١٥ .

محمد بن عَوْف بن سفيان

أبو جعفر، الطائيّ، الحِمصيّ، الزاهد، العابد، الفاضل.

كان الإمام أحمد رحمة الله عليه يقول: ما كان بالشَّام منذ أربعين سنة مثله.

حدَّث عن هشام بن عمار وطبقته، وروى عنه أبو زُرعة الرَّازي وغيره، واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقته[(١)].

[وفيها توفي]

يعقوب بن سِواك

أبو يوسف[(٢)] الخُتَّليُّ، الزاهد.

سكن بغداد، وصحب بِشراً الحافيَّ وانتفع به، وسلك طريقتَه في الزُّهد والوَرَع، وكان حافظاً للسانه.

ولمَّا احتُضر قال له ابنه محمد: يا أبتِ، أَدْفِنُكَ عند أخيك وصديقك بشرٍ الحافيِّ؟ فقال: يا بُنيّ، ادفنِّي عند أبي وأمي؛ فإنِّي أحبُّ أن يجمعنا الله غداً في القيامة جميعاً، فقال له: يا أبت، فأكفِّر عن يمينك بشيء؟ فقال: يا بُنيّ، ما حلفتُ بالله تعالى على حقٍّ ولا على باطل، ومات رحمه الله.



(١) «طبقات الحنابلة ١/ ٣١٠-٣١٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٦١٣-٦١٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦١٦-٦١٧.

(٢) في (خ) و(ف) و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٤: ابن يوسف. والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ١٦/ ٤١٤.

السَّنة الثَّالثة والسَّبعون والمئتين

فيها كانت وَقعةٌ بين إسحاق بن كُنداج وبين محمد بن أبي السَّاج بالرَّافقة، فانهزم إسحاق في جمادى الأولى، ثمَّ تواقعا أيضاً في ذي الحجَّة، فانهزم إسحاق أيضاً[(١)].

وفيها وثب ثلاثةُ بنين لملك الرُّوم على أبيهم، فقتلوه، وملَّكوا أحدَهم عليهم.

وفيها قبض الموفَّق على لؤلؤ مولى ابنِ طولون الَّذي قدم عليه بالأمان من الشَّام، وأخذ أموالَه وكانت أربع مئة ألف دينار، وكان الموفَّق يقول: إنَّه كاتبَ خُمارويه، فكان لؤلؤ يقول: والله ما كاتَبْتُه، ولا لي ذنبٌ إلَّا كثرة مالي، شَرِه أبو أحمد إليه ففعل بي هذا، فقيَّده وحبسه.

وحجَّ بالنَّاس هارون بنُ محمد بن إسحاق الَّذي حجَّ بهم في السِّنين الماضية، وهي السَّنة العاشرة من حجِّه بالنَّاس، ولم يحجَّ بالنَّاس عشر سنين متتابعة بعد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سواه، وقد حجَّ أيضاً بعد هذه[(٢)].

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن سَعْد بن إبراهيم

ابن سعد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، أبو إبراهيم، الزُّهريُّ، الجَوْهريّ.

[قال الخطيب:] كان عالماً، فاضلاً، زاهداً، ورعاً، مشهوراً بالصَّلاح[(٣)].

[وقال الحافظ ابن عساكر: كان] يعدُّ من الأبدال، وهو من أهل بيت كلُّهم زهاد وعلماء ومحدِّثون[(٤)].

دخل على الإمام أحمد رحمة الله عليه، فقام له، وأكرمه، واعتنقه، وفرح به، فلمَّا

---

(١) هذا الخبر ليس في (ب).

(٢) «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٢، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٥، و«الكامل» ٧/ ٤٢٢-٤٢٣، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٦٩.

(٣) ما سلف بين معكوفين من (ب)، وكلام الخطيب في تاريخه ٥/ ٢٩٥، ٢٩٨.

(٤) ما بين معكوفين من (ب)، وينظر كلام ابن عساكر في مختصر «تاريخ دمشق» ٣/ ٨٥، ٨٦.

خرج [من عنده]، قال له ابنه عبد الله: يا أبتِ، أبو إبراهيم شابٌّ وتعمل به هذا [وتقوم له!] فقال [له]: يا بُنيّ، لا تُعارضْني في مثل هذا، ألا أقوم إلى ابن عبد الرَّحمن بن عوف؟!

ومولده في صفر سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وتوفِّي في المحرَّم[1] ببغداد، ودُفن بمقبرة باب التِّبَّانين[2] [ببغداد] وقد بلغ خمساً وسبعين سنة.

وله أخوان أكبر منه، عبد الله وعبيد الله.

[وحكى الخطيب عنه أيضاً حكاية عجيبة، قال أبو إبراهيم]: كنتُ[3] جائياً من المَصِّيصة، فمَرَرْتُ بجبل اللُّكام، فأحبْبتُ أن أرى المتعبِّدين[4] هناك، فقصدتُهم، وجاءت صلاة الظُّهر وفيهم رجلٌ يعرفني، فقلت: دلُّوني على رجل، فقالوا: هو شيخ يصلِّي بنا، وإذا به قد أقبل فصلَّى بهم، فلمَّا فرغ قال له الرجل: هذا من ولد عبد الرَّحمن ابن عوف، وجدُّه لأمِّه سعدُ بن معاذ، فبَشَّ بي، وسلَّم عليَّ كأنَّه قد كان يعرفني، فقلت له: من أين تأكل؟ فقال: أنت مُقيمٌ عندنا الليلة؟ [قلت: أما الليلة، فأنا عندكم.]

ثمَّ مضى بي إلى كَهْفٍ في الجبل، فأخرج منه قَعْباً[5] قد مضت عليه الدُّهور[6]، يسع رَطْلاً ونصفاً، فلمَّا صلَّينا المغرب اجتمع حواليه الظِّباء، فاعتقل منها ظَبْية، فحلبَها حتَّى ملأ القَعْب، ثمَّ أرسلها، وشرب وسقاني وسقا القوم، وقال: ما هو غيرُ ما ترى، وربَّما أحتاج إلى الشَّيء، فتجتمع الظِّباء حولي، فآخذ حاجتي ثمَّ أُرسلها.

سمع الإمام أحمد [بن حنبل] رحمه الله، [وعلي بن ـ جعد ـ الجوهري، ومحمد بن سَلام الجُمحي] وغيرهم، وروى عنه عبد الله بن محمد البغوي، [ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبو الحسين بن المنادي، وآخرون]، وكان صالحاً ثقة.

---

(١) في (ب): وكانت وفاة أحمد في المحرم...

(٢) في (خ) و(ف): التبن، وفي (ب): البنين، وما بين معكوفين منها، والمثبت من «تاريخ بغداد»، و«المنتظم» ٢٥٦/١٢ ، و«مختصر تاريخ دمشق».

(٣) في (خ) و(ف): وقال له إبراهيم أحمد... والمثبت من (ب) وكلام الخطيب في تاريخه ٥/ ٢٩٦ـ٢٩٧، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في (ب): من المصيصة وقد انتقل من بغداد إلى الثغر فمررت بجبل اللكام فأحببت أن أراهم يعني المتعبدين.

(٥) القَعْب: القدح الضخم الغليظ، وقيل: القدح من خشب مقعَّر. «لسان العرب»: (قعب).

(٦) في (خ) و(ف): الشهور. والمثبت من (ب).

[وفيها توفي]

أحمد بن العَلاء بن هِلال

أبو عبد الرَّحمن، القاضي، الرَّقيّ [، أخو هلال بن العلاء.

قدم دمشق في أيام ابن طولون، وكان فيمن خَلعَ أبا أحمد الموفّق][(١)].

ولد سنة اثنتين وتسعين ومئة، وكانت وفاتُه بمصرَ بعد ابن أخيه أبي الهيثم بعشرين يوماً، فرثاهما أخوه هلال فقال: [من الطويل]

ألا أيُّها القَبْران شوقي إليكما ... شديدٌ فقد أفنيتُ دَمْعي عليكما
تضمَّنْتُما منّي حَبيبَيْن فارقُا ... بشخْصَين حلَّا في ثَرى حُفْرَتَيكما
حبيبَيْن كانا مؤنِسَين فأصبحا ... برَغْمي على طول البِلى مؤنسيكما
سلامٌ ورَيحانٌ ورَوْحٌ ورحمةٌ ... من السَّيِّد المَولى على ساكِنَيْكما

سمع من الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيرِه، وروى عنه ابن أبي الدُّنيا وغيرُه [والحمد لله][(٢)].

حَنْبل بن إسحاق بن حَنْبل

ابن عمِّ الإمام أحمد رحمه الله.

سمع الكثير، وصنَّف التاريخ، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، خرج إلى واسط وغيره، وروى عنه أبو القاسم البغويّ، وكان ثَبْتاً ثقة[(٣)].

الفَتْح بن شَخْرف

ابن داود بن مُزاحم، أبو نصر الكَشّيُّ، أحد الزهَّاد الوَرعين، والصُّلحاء السَّيَّاحين.

[ذكره الخطيب وأثنى عليه.][(٤)]

---

(١) ما بين معكوفين من (ب).

(٢) «تاريخ دمشق» ٢/ ٥٧ـ٦٠ والأبيات فيه، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٩٠ .

(٣) «تاريخ بغداد» ٩/ ٢١٧ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٦ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٤٣ ، وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٤) «تاريخ بغداد» ١٤/ ٣٦٣ ، وما بين معكوفين من (ب).

كان الإمام أحمد رحمة الله عليه يقول: ما أخرجتْ خُراسان مثلَ الفتح بن شَخْرف.

قال الفتح: رأيتُ ربَّ العزَّة في منامي، فقال لي: يا فتح، احذر، لا آخذكَ على غِرَّة، [قال]: فتهتُ في الجبال سبع سنين.

[وحكى عنه الخطيب أنَّه] قال: كتبتُ بقَلَمٍ واحد أربعين سنة.

[وقال ابن باكويه:] كتب [الفتح] على باب [داره]: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت فلم يَذْكرِ الموتى عنده إلَّا بالخير.

وقال محمد بن أحمد بن إشكاب: أقام الفتح بن شخرف ثلاثين سنة لم يرفع رأسه إلى السَّماء حياءً من الله تعالى، فرفعه مرَّة ناسياً فقال: قد طال شوقي إليك، فعجِّل قدومي عليك.

وقال الخطيب[1]: أقام [الفتح] ثلاثين سنة لم يأكل الخبز، وكان يُطعِم النَّاسَ الطَّعامَ الطَّيِّبَ.

ذكر وفاته

كان [الفتح] يقول: أعرف رجلاً على عضوٍ من أعضائه مكتوب: لله، والله ما كتبها كاتب.

[حكى الخطيب عن] الجُريريّ قال: لما مات [الفتح] غسَّلتُه، فإذا على فَخِذه الأيمن كتابةٌ بيِّنة: لله، وكان الشِّبلي يصبُّ عليه الماء.

[وقال أبو الحسين بن المنادي:] توفِّي [الفتح] يوم الثلاثاء منتصف شوَّال بداره بالجانب الغربي من بغداد [في دَرْب سليمان بن جعفر حِيالَ الجسر الأعلى]، ولما خرجوا بجنازته صلِّي عليه ثلاثاً وثلاثين مرَّة، أقلُّ قوم كانوا يصلُّون عليه خمس وعشرون ألفاً إلى ثلاثين ألفاً، ودفن بين المقبرة التي بين باب حَرْب وقُطْرُبُّل.

أسند عن رجاء بن مُرَجّا المَروزيّ وغيره، وروى عنه أحمد بن سليمان النجَّاد وغيره.

---

(١) في تاريخه ١٤/ ٣٦٨.

[قال الخطيب:] قال الفتح: رأيت عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في المنام، فقلت: يا أمير المؤمنين، عِظني، فقال: ما أحسن تواضعَ الأغنياء للفقراء، وأحسنُ منه تِيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله.

وقال: رأيتُ بالبادية شابًّا بغير زاد ولا راحلة، فقلت: أين الزَّاد؟ فأخرج مصحفاً وقال: اقرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، فيُحتاج مع هذا إلى زاد(١)؟!

محمد بن إبراهيم بن مُسلم

أبو أميَّة، البغداديُّ.

كان رفيعَ القدر، إماماً في الحديث، متقدِّماً على أهل زمانه، سكن طَرَسوس، وكانت وفاته بها في جمادى الآخرة.

سمع أبا نُعيم وغيرَه، وروى عنه أبو حاتم الرَّازي، وكان صدوقاً ثَبْتاً.

ومن شعره: [من البسيط]

فـي كـلِّ يـومٍ أرى بـيـضـاءَ قـد طَـلَـعـتْ ... كـأنَّـمـا طـلـعـتْ فـي بـاطـنِ الـبَـصَـرِ
لـئـن قـطـعـتُـكِ بـالـمِـقـراض عـن بـصـري ... فـمـا قـطـعـتُـكِ عن هَـمِّـي وعـن فِـكـري(٢)

[وفيها توفي]

محمد بن عبد الرَّحمن

ابن الحكم بن هشام، الأُموي، والي الأندلس.

[ذكره الحُميديُّ في «تاريخه»(٣) وقال:] كان عالماً، فاضلاً، [عاقلاً]، فصيحاً،

(١) «تاريخ بغداد» ١٤/ ٣٦٢، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٦، و«تاريخ دمشق» ٥٧/ ٤٥٩، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٨٥.

(٢) «تاريخ دمشق» ٦٠/ ٣٦٠، والبيتان أيضاً في معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٦ من شعر أبي دلف القاسم ابن عيسى.
وتنظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٩ـ٢٨٣، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٨، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٩٤ـ٥٩٥.

(٣) ص ١١، واسمه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس.

يخرج إلى الجهاد فيُوغل في بلاد الكفَّار السَّنة والسَّنتين وأكثر، فيقتل ويَسبي، وهو صاحب وقعة وادي سَلِيط؛ وهي من الوقائع المشهورة، لم يُعرَف قبلها مثلُها في الأندلس، وللشُّعراء فيها أشعارٌ كثيرة، يقال: إنَّه قتل فيها ثلاث مئة ألف كافر.

وذكره بَقيُّ بن مَخلَد فقال: ما رأيت[1] ولا علمتُ أحداً من الملوك، ولا سمعتُ أبلغَ لفظاً منه، ولا أفصحَ، ولا أعقل، ذكر يوماً الخلائفَ وصفتَهم وسِيَرهم ومآثرهم بأفصح لسان، فلمَّا وصل إلى نفسه سكت، وكان خيرَهم.

[قال: وقال له رجل: ما أطيب الموت، فقال له محمد: يا أَبْله، وهل أَقْعَدَنا هذه القعدة إلَّا الموت. وفي رواية أنَّ الرجل قال: ما أقبح الموت، فردَّ عليه.]

بويع يوم مات والده سنة ثمان وثلاثين ومئتين في أيام المتوكِّل، فأقام والياً خمساً وثلاثين سنة، وأمُّه أمُّ ولد، وكان محبًّا للعلماء [وأهلِ العلم].

ولمَّا مات ولي بعده ولدُه المنذر بن محمد، ويقال: إنَّه مات سنة خمس وسبعين ومئتين[2].

محمد بن يزيد بن ماجه

أبو عبد الله، الحافظ، القَزْويني، الإمام، صاحب «السُّنن» و«التاريخ» و«التَّفسير»، وهو مولى ربيعة.

ولد سنة تسع[3] ومئتين، ورحل إلى مكَّة، والكوفة، والبصرة، وبغداد، والشَّام، ومصر، وغيرها، وسمع الكثير، وكان ذا فنون.

توفِّي يوم الاثنين، ودُفن يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من رمضان وهو ابن أربع وستين[4] سنة.

---

(١) في (خ) و(ف): وقال بقيُّ بن مخلد ما رأيت، والمثبت من (ب).

(٢) «تاريخ الإسلام» ٦/ ٦١٢-٦١٣.

(٣) في (خ) و(ف): سبع، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٨٩، و«المنتظم» ١٢/ ٢٥٨، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٢٧٩، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٢٥، و«السير» ١٣/ ٢٧٧.

(٤) في (خ) و(ف): سبعين. والمثبت من المصادر، وهذه الترجمة ليست في (ب).

سمع خلقاً عظيماً، وقال: عَرضتُ كتاب «السُّنن» على أبي زُرعة، فنظر فيه وقال: إنْ وقع هذا في أيدي النَّاس تعطَّلت هذه الجوامع كلُّها أو أكثرها.

وكانت وفاته بقَزْوين، وصلَّى عليه أخوه أبو بكر.

[وفيها توفي]

أبو يعقوب الشَّريطي

[البَصْري] الصُّوفي. صحب أبا تُراب النَّخْشَبيَّ وغيره، وكان عارفاً بعلوم جمَّة حافظاً.

ذكر حكايته مع داود الظَّاهري:

قال الخطيب[١] بإسناده عن أبي سعيد الزِّيادي قال:] دخل [أبو يعقوب الشريطي] مجلسَ داود بن علي الأصبهانيّ وعليه خِرقتان، فتصدَّر لنفسه من غير أن يرفعه أحد، فقال له داود: سلْ يا فتى، فقال أبو يعقوب: بل يسألُ الشيخُ عمَّا أحبَّ، فغضب داود وقال: أسأل عن الحِجامة، فبرك أبو يعقوب، ثمَّ روى طُرُق: «أفطر الحاجم والمحجوم» ومَن أرسله، ومَن أسنده، ومَن وقفه، ومَن ذهب إليه من الفقهاء، وروى اختلافَ طُرُق: احتجم النبيُّ ﷺ، وأعطى الحجَّام أجرَه[٢]، ثمَّ ذكر أحاديث الحِجامة، وما ذكر فيها أهلُ الطِّبِّ وغيرهم، ثمَّ قال في آخر كلامه: وأوَّل ما خرجت الحجامة من أصبهان، فقال داود: والله لا احتَقَرْتُ أحداً بعدك.

[قلت: قد ذكرنا ما يتعلَّق بهذا المعنى في ترجمة داود بن علي الظاهريّ[٣].

وقوله: أوَّل ما خرجتْ الحِجامةُ من أصبهان؛ إنَّما أراد تبكيتَ داود على عادة شرار المُتَفَقِّهَة، وإلَّا فقد كانت الحجامةُ منذ خَلَق الله العالم، وقد احتجم رسول الله ﷺ والصحابة. انتهت ترجمتُه والحمد لله وحده.][٤]

---

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٨٨-٥٨٩، وينظر أيضاً المنتظم ١٢/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٨)، ومسلم ص ١٢٠٥ (٦٥)، وأحمد (٢٣٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في وفيات سنة (٢٧٠هـ).

(٤) ما بين معكوفين من (ب).

السنة الرابعة والسبعون بعد المئتين

فيها خرج الموفَّق إلى كَرْمان يقصد حرب عمرو بن اللَّيث في ربيع الأوَّل.

وغزا يازمانُ الخادمُ، فأسر وقتل وسبى، وعاد سالماً في رمضان.

وفيها هجم صِدِّيق الفَرْغانيُّ سامراء، فأخذ أموال التُّجَّار، ونَهب دورَ النَّاس، وكان [الفرغاني] لصًّا يقطع الطَّريق فصار خفيراً، ثم رجع إلى قَطْع الطُّرُق، ونَهب الأموال، وكان المعتمد بسُرَّ مَن رأى، والموفَّق قد خرج [من بغداد] لقتال عمرو [بن الليث].

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد أيضاً(١).

وفيها توفي

أحمد بن حَرْب بن مِسْمَع

أبو جعفر، المُعَدَّل.

كان من قرَّاء القرآن، وأحدَ الشهود الذين رغبوا عن الشَّهادة في آخر أعمارهم، ومات ببغداد فُجاءة.

سمع عفَّانَ بن مُسلم وغيره، وروى عنه المَحامِليُّ وغيره، وكان ثقة.

وقيل: مات سنة خمس وسبعين(٢).



(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٢ ، و«الكامل» ٧/ ٤٢٦ـ٤٢٧ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٦١ .

(٢) «تاريخ بغداد» ٥/ ١٩٢ـ١٩٣ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٨٠ ، وهذه الترجمة ليست في (ب).

السنة الخامسة والسبعون بعد المئتين

فيها بعث الموفَّق جيشاً إلى نواحي سُرَّ من رأى مع [شخص يقال له:] الطَّائي، فأخذ صِدِّيق الفرغانيّ اللصّ، فقطعوا يديه ورجليه، وأيدي أصحابه وأرجلَهم، وحُملوا إلى بغداد على تلك الصُّورة.

وفيها غزا يازمان الخادم البحر، فأخذ عدَّةَ مراكب للرُّوم.

وفي شوال حبس الموفَّقُ ابنَه أبا العبَّاس، فشَغَب أصحابُه، وحملوا السِّلاح، واضطربت بغداد، فركب الموفَّق، وصاح بأصحاب أبي العبَّاس وغلمانه: أتُراكُم أَشْفَقَ على ولدي منِّي! هو ولدي على كلِّ حال، وقد احتجْتُ إلى تقويمه وتأديبه، فوضعوا السِّلاح وتفرَّقوا.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ[١].

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد بن الحجَّاج

أبو بكر، المرُّوذي، صاحبُ الإمام أحمد رحمة الله عليه.

كان أبوه خُوارزمياً، وأمُّه مَرُّوذِيَّة، وكان مقدَّماً في أصحاب الإمام أحمد رحمة الله عليه لوَرعه وفضله، وكان الإمام أحمد يأنَس به، وينبسط إليه، وإذا بعثه في حاجة يقول له: كلُّ ما تقول فهو قولي وعلى لساني.

وكان قد سلك طريقةَ الإمام أحمد في الزُّهد والورع، وكان له في قلوب النَّاس محبَّة، ولهم فيه حُسنُ اعتقاد، وهو الذي تولَّى إغماضَ الإمام أحمد رحمه الله وتغسيلَه لمَّا مات، وروى عنه مسائلَ كثيرة.

وكان قد خرج إلى الغزو فشَيَّعه النَّاسُ إلى سُرَّ من رأى، فجعل يردُّهم ولا يرجعون، فحُزِر مَن وافاه بسُرَّمن رأى سوى من رجع فكانوا خمسين ألفاً، فقيل له: يا أبا بكر، احْمَدِ الله، فهذا علم قد نُشِر لك، فبكى ثمَّ قال: ليس هذا العلم لي، وإنَّما هو علم أبي

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٤ـ١٥، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٦٩، و«المنتظم» ١٢/ ٢٦٤.

عبد الله. وكانت وفاتُه في جمادى الأُولى.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: شَهِدتُ جنازتَه، وأَمَّنَا هارون بن العبَّاس الهاشمي، ودُفن قريباً من أحمد بن حنبل.

ورُئِيَ أحمد في المنام ليلةَ مات المرُّوذيُّ راكباً على فرسٍ أشهب، فقيل له: إلى أين؟ قال: إلى شَجرة طُوبى، ألحق أبا بكر المرُّوذي.

أسند المرُّوذي عن الإمام أحمد رحمة الله عليه وطبقته[(١)].

[وفيها توفي]

أحمد بن محمد

ابن غالب بن خالد أبو عبد الله، البَصريّ الباهلي، ويُعرف بغلام خليل.

سكن بغداد [في دار الكلبيِّ] وحدَّث بها، وكان زاهداً متعبِّداً، يصوم دائماً، ويتقوَّت بالباقِلاء اليابس، [وكان حافظاً]، وكان له في قلوب النَّاس مكانة.

[وقال الخطيب:] توفِّي ببغداد في رجب، وحُمل في تابوت إلى البصرة، فخرج عامَّة أهل بغداد [الرِّجال والنِّساء والصّبيان] للصلاة عليه، [وغُلِّقت أسواقُ بغداد، فلم يقدروا من الزِّحام، فصلَّى بعضهم بالإيماء، ونزل البعض في الزَّواريق، وبعضهم مُشاةً إلى كَلْواذى ـ يعني تحت بغداد وأسفل منها ـ يشيِّعونه]، وكان يوماً عظيماً، ولما وصل البصرة بنَوا عليه قبَّة ولازموه مدَّة.

حدَّث [ببغداد] عن [ابن حبيب، وشَيبان بن فَرُّوْخ، وسليمان] الشَّاذَكوني، [ودينار ابن عبد الله، ويروي عن أنس بن مالك][(٢)] وغيرهم، وروى عنه أحمد بن كامل وغيره.

وتكلَّموا فيه، قال أبو عبد الله النَّهاوندي: قلتُ لغلام خليل: هذه الأحاديث الرَّقائق التي تحدِّث بها من أين؟ فقال: هذه وضعناها لنرقِّق بها قلوبَ العامَّة.

---

(١) «تاريخ بغداد» ٦/ ١٠٥، و«المنتظم» ١٢/ ٢٦٥، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٩٥، وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٢) في (ب): ويروي عن مالك بن أنس. والمثبت من «تاريخ بغداد» ٦/ ٢٤٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٩٦، ولفظه فيه: حدث عن دينار الذي ادَّعى أنه سمع من أنس بن مالك.

وقال الدَّارقطني: غلام خليل متروك[١].

[وفيها توفي]

سَعْد الأَعْسَر

[ويقال: أَيْسَر]. كان أمير دمشق، وكان عادلاً مُحسناً، من خواصِّ أحمدَ بنِ طولون، وهو الذي هزم أبا العبَّاس بن الموفَّق يوم الطَّواحين، ولمَّا مات أحمد بن طولون، واستخلف ابنَه خُمارَويه، وجاء للقاء أبي العبَّاس، وانهزم خمارويه إلى مصر؛ اشتغل بِلَهْوه [وفساده، ومُجاهرة الله بالمعاصي]، فكان سعد يَعيب عليه ويقول: هذا الصَّبيُّ مَشغولٌ بلَهوه وأنا أُكابِد الشدائد.

وبلغ خمارويه، فخرج من مصر، ونزل الرَّمْلَة، واستدعاه، فخرج [سعد من دمشق إلى الرملة]، فلمَّا دخل على خُمارويه قام إليه فقتله بيده، وبلغ أهلَ دمشق فعصَوا، ولعنوا خمارويه على المنبر، وأخرجوا نائبَه من دمشق، وكاتبوا الموفَّق، وأقاموا المَآتم على سعد، فنادى خمارويه بالحجِّ في تلك السَّنة، وغرم أموالاً عظيمة، وبَذل العطاء، فسكن النَّاس.

وقيل: إنَّما قتله سنة ثلاث وسبعين [ومئتين، والله أعلم[٢].

وفيها توفي]

أبو داود السِّجِسْتاني

واسمه: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شَدَّاد بن عمرو بن عِمْران الأزديُّ، الإمام الحافظ، صاحب «السُّنن».

قُتل جدُّه عمران مع عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام بصِفِّين.

ولد أبو داود سنة اثنتين ومئتين، وهو إمامُ أهلِ الحديث في عصره بغير مُدافعة.

(١) «الضعفاء والمتروكين» ص ٥٤ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٦٦ .

(٢) «تاريخ دمشق» ٧/ ١٩٨ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٤٨ ، وما بين معكوفين (ب).

سافر إلى خُراسان، والعراقَين، والحجاز، والشَّام، ومصر، [وكتب بهراة قبل أن يخرج إلى العراق، وكتب بالرّيّ أيضاً]، وقدم بغداد غير مرَّة، وروى بها كتاب «السُّنن»، ونقله عنه أهلُها، وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه فاستحسنه.

وكان [حاذقاً]، عارفاً بعِلَلِ الحديث، ذا عَفافٍ ووَرع، وكان يُشبَّه بالإمام أحمد [بن حنبل] رحمه الله، وكان الإمام أحمد يُثني عليه [خيراً].

وكان لأبي داود كُمٌّ واسع وكُمٌّ ضيِّق، فقيل له في ذلك فقال: الواسع للكتب، والآخر لا أحتاج إليه.

[وحكى الخطيب عن أبي داود] قال: كتبتُ عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمَّنتُه كتابَ «السُّنن» أربعة آلاف وثمان مئة حديث، ذكرتُ الصَّحيحَ وما يُشبهه ويُقاربه، ويكفي الإنسانَ لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث:

أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنِّيَّات»[١].

والثاني: قوله ﷺ: «من حُسنِ إسلام المَرْء تَركُه ما لا يَعنيه»[٢].

والثالث: قوله عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتَّى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»[٣].

والرابع: قوله عليه الصلاة والسلام: «الحلالُ بَيِّنٌ، والحرام بيِّن، وبينهما [أمور] مُتَشابهات [أو مشتبهات]»[٤].

قال المصنِّف رحمه الله[٥]: ولو أخرج الخامس كان أبلغ وهو قوله عليه [الصَّلاة]

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، وأحمد (١٦٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (١٧٣٧) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وأحمد (١٣٩٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) (١٠٧)، وأحمد (١٨٣٧٤) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. والخبر في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٧٨، وما بين معكوفين من (ب).

(٥) في (ب): قلت، والمثبت من (خ) و(ف).

السلام: «المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده»[١].

[وقال الخطيب: كان يقول: الشهوة الخفيَّة حبُّ الرِّياسة][٢].

[وذكر الحافظ ابن عساكر حكاية عنه، عن] أبي بكر بن جابر خادم أبي داود قال: كنتُ معه ببغداد، فجاء أبو أحمد الموفَّق إليه بعدما صلى المغرب، فاستأذَن فأُذن له، فدخل، فقال له أبو داود: ما الذي عنَّى الأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خِلال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتَّخِذها داراً؛ ليرحلَ النَّاسُ وطلبةُ العلم إليها من أقطار الأرض، فإنَّها قد خَرِبت لما جرى عليها من الزَّنج، قال: هذه واحدة فهات الثانية، قال: تَروي لأولادي كتابَ «السُّنن»، قال: نعم، هات الثالثة، قال: تُفرِد لهم مجلساً للرِّواية؛ فإنَّ أولاد الخلفاء لا يَقعدون مع العامَّة، قال: أمَّا هذه فلا سبيلَ إليها؛ لأنَّ النَّاس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء، فكانوا يحضرون، ويُضرَبُ بينهم وبين العامَّة ستر، ويسمعون معهم[٣].

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فحكى أبو سليمان الخطَّابي قال:] مات [أبو داود] بالبصرة سنة خمس وسبعين ومئتين في شوَّال ليلةَ الجمعة، ودُفن إلى جانب سفيان الثَّوري، وعمره ثلاثٌ وسبعون سنة.

وقيل: مات سنة ستٍّ وسبعين. وقيل: سنةَ ثلاث وسبعين، وصلَّى عليه عبَّاس بن عبد الواحد الهاشميّ.

أسند عن خلق كثير؛ منهم الإمام أحمد، وإسحاقُ بن راهويه، وهشام بن عمَّار، وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير؛ منهم أبو عيسى التِّرمذيّ، وأبو عبد الرَّحمن النَّسائي، وعبد الله بن الإمام أحمد، وآخرون.

واتَّفقوا على فَضْله، وصِدقه، وأمانته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، وأحمد (٦٥١٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وأخرجه مسلم (١٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) «تاريخ بغداد» ١٠/ ٨١ . وما بين معكوفين من (ب).

(٣) «تاريخ دمشق» ٧/ ٥٤٨-٥٤٩ (مخطوط).

وكان إبراهيم الحربيُّ يقول: أُلِين لأبي داود الحديثُ كما أُلين لداودَ الحديد.

وجمع مع علمه الورعَ والتَّقوى.

وحكى [الحافظ] ابن عساكر [في «تاريخه»] عن أبي داود أنَّه قال: شَبرتُ بمصرَ قِثّاءةً، فكان طولُها ثلاثة عشر شِبراً، ورأيتُ بمصر أُتْرُجَّةً قُطعت نصفين، وصُيِّرتْ مثلَ عِدْلَين(١).

[قلت: وهذا بعيد في زماننا، ويحتمل أن يكون في زمانهم، والله أعلم.(٢)

وفيها توفي]

عليُّ بن يحيى بن أبي منصور

أبو الحسن، المُنَجِّم، من أبناء فارس.

كان أديباً، شاعراً، جواداً، مُمَدَّحاً، مدحه البحتريُّ وغيره، ونادم الخلفاء من المتوكِّل إلى المعتمد، وكانوا يعظِّمونه ويحترمونه. [وذكره الخطيب وقال:] كان عالماً بأيَّام النَّاس، راويةً للأشعار والأخبار، أخذ الأدب وصنعة الغِناء عن إسحاق بن إبراهيم](٣).

ومن شعره: [من الرمل]

مَــنْ لــقــلــبٍ هــائــمٍ دَنِــفٍ ... كــلَّــمــا ســكَّــنْــتُــه قَــلِــقــا
زارنــي طــيــفُ الــحــبــيــب فــمــا ... زاد أن أغْــــرى بــــيَ الأرَقــــا
أنــــا لــــم أُرْزَق مَــــودَّتَــــكــــم ... إنَّــمــا لــلــعــبــد مــا رُزِقــا(٤)

وكانت وفاته بسُرَّ من رأى.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٧/ ٥٤٩ ، وهذا القول في سنن أبي داود بعد حديث (١٥٩٩).

(٢) ما بين معكوفين من (ب)، وانظر «المنتظم» ١٢/ ٢٦٨ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٥٠ ، و«السير» ١٣/ ٢٠٥.

(٣) «تاريخ بغداد» ١٣/ ٦١٣-٦١٤ ، وما بين معكوفين من (ب)، وينظر تاريخ الإسلام ٦/ ٥٨١، والسير ١٣/ ٢٨٢.

(٤) ذكر البيت الأول والثاني أبو الفرج في «الأغاني» ٨/ ٣٦٧ ، والمرزباني في «معجم الشعراء» ص ١٤٢ ، وابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٧٤ .

[وفيها توفي]

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن العَنْبَس، الصَّيمري[١]، الشاعر.

كان أديباً، قدم بغداد، ونادم المتوكل.

وأنشد الخطيب مُقَطّعات من شعره[٢]: [من الخفيف]

كم مريضٍ قد عاش مِن بعد يأسٍ   بعد موت الطَّبيبِ والعُوَّادِ
قد يُصادُ القَطا فينجو سَليماً   ويَحُلُّ القضاءُ بالصَّيَّادِ

وكانت وفاته ببغداد، وحُمل إلى الكوفة فدُفن بها [والله تعالى أعلم].

المُنْذر بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، أبو الحكم، الأموي، والي الأندلس.

ولي سنة ثلاث وسبعين، فأقام والياً سنتين، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: أثْل، وهو السادس لصُلب عبد الرَّحمن الدَّاخل، وولي بعده أخوه عبد الله بن محمد، بويع يوم مات أخوه المنذر في صفر، فأقام إلى سنة ثلاث مئة والياً على الأندلس خمساً وعشرين سنة.

وكانت وفاة المنذر يوم السَّبت لثلاث عشرة بقين من صفر، وهو ابن ستٍّ وأربعين سنة في غَزاةٍ له، وكان أشدَّ الأيْدِين[٣] شَكيمةً، وأمضاهم عَزيمةً، لما ولي بعث إليه أهلُ طُليطلة بالأموال والتُّحف والهدايا والجبايات عن خراج رؤوسهم، فردَّها عليهم وقال: أتُمِدُّونني بمال؟! لا حاجةَ لي فيه، ولابدَّ من حربكم، وفتوحِ بلدكم، واستعدَّ لهم استعداداً لم يستعدَّه غيره، فأدركه أجلُه[٤].

---

(١) في (ب): الصميري، وفي (خ): الطميري، وفي (ف): الظهيري، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٢/ ٤١، و«المنتظم» ١٢/ ٢٧١.

(٢) في (خ) و(ف): ونادم المتوكل ومن شعره، والمثبت من (ب) وجاء بعدها فيها: ومن شعر ابن أبي العنبس، والشعر في «تاريخ بغداد» ٢/ ٤٢، و«المنتظم» ١٢/ ٢٧٢.

(٣) في (خ) و(ف): الايين، وفي العقد ٤/ ٤٩٦: وكان أشد الناس عزيمة، ولعل المثبت هو الصواب، ومعنى الأيدين: الأقوياء الأشداء، فيكون أشدهم شكيمة، أو تكون الكلمة محرفة عن الأمويين، والله أعلم.

(٤) «جذوة المقتبس» ١١-١٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٣١، و«تاريخ علماء الأندلس» ٦، و«بغية الملتمس» ١٦.

السَّنة السَّادسة والسَّبعون بعد المئتين

فيها رضي المعتمد على عمرو بن اللَّيث الصَّفَّار، وكتب اسمه على الأعلام والتِّراس والعُدد الَّتي تكون في مجلس الحرب[١] ببغداد، وذلك في المحرَّم.

وفي ربيع الأوَّل خرج الموفَّق إلى الجبل من بغداد يريد أحمدَ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بأصبهان، فتنحَّى له أحمد عن داره بآلتها وفُرُشِها، فنزل فيها الموفَّق، وخرج أحمد بجيشه وعياله عن البلد، وقدم محمد بن أبي السَّاج على الموفَّق هارباً من خُمارويه بعد وقعات جرت بينهما، وضعُف عنه ابن أبي السَّاج، فخلع عليه الموفَّق وأحسن إليه.

وولي عمرو بن اللَّيث شرطة بغداد.

وفيها انفرج تلٌّ بنهر الصّلح[٢] عند فم الصّلح بالعراق، ويعرف بتلِّ بني شَقيق، عن سبعة أَقْبُر فيها سبعة أبدان صحيحة، والأكفان جُدد تفوح منها رائحة المِسك، وأحدهم شابٌّ له جُمَّةٌ طويلة طريَّة، ولم يتغيَّر منه شيء، وفي خاصرته ضَرْبةٌ، وكانت القبور من حجارة مثل المِسَنّ، وعندهم كتاب لا يُدرى ما فيه.

وفي شوال أمر المعتمد برمي الأعلام والمطارد التي عليها اسمُ عمرو بن اللَّيث، وإسقاط ذِكره، وعزله عن شرطة بغداد.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد [الهاشمي]، وكان والياً على مكَّة والمدينة والطَّائف [والله أعلم].

[فصل] وفيها توفي

بَقيّ بن مَخْلَد بن يزيد

أبو عبد الرَّحمن، الأندلسيُّ، الحافظُ، صاحب الرِّحلة المشهورة والتَّصانيف

(١) في «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٦ : في مجلس الجسر، وفي «المنتظم» ١٢/ ٢٧٣ : مجلس الشرطة.

(٢) في «تاريخ الطبري» ١٢/ ١٦ : بنهر الصلة، وفي «المنتظم» ١٢/ ٢٧٣ : بنهر الصراة، وفي «الكامل» ٧/ ٤٣٧ : تل من نهر البصر.

المذكورة.

كان إماماً، عالماً، فاضلاً، وَرِعاً، مُجابَ الدعوة.

[ذكره العلماء وأثنوا عليه، و] رحل إلى مكة، والمدينة، ومصر، والشَّام، ودمشق، وبغداد، والمشرق، والعراقَين، وكان له مئتان وأربعة وثمانون شيخاً.

ولد في رمضان سنة إحدى ومئتين.

[ذكر حكايته مع المرأة التي أُسر ولدُها:

حدثنا عبد الملك بن مُظَفّر بن غالب الحربي، عن أحمد بن مظفّر بإسناده إلى عبد الرَّحمن بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول:] جاءت امرأة [إلى بقي بن مخلد] فقالت: إنَّ ابني أسره الرُّوم، وليس له مالٌ سوى دُوَيْرةٍ أسكُنُها، ولا طاقةَ لي على بيعها، فلو أشرتَ إلى مَن يَفديه، فليس لي قَرارٌ في ليل ولا نهار، فقال: نعم، [تصبَّري] حتَّى أنظر في أمره إن شاء الله، وأطرق الشَّيخ وحرَّك شَفَتيه، ولبثت المرأة مدَّةً، وجاءت ومعها ابنُها وهي تدعو للشَّيخ وتقول: قد جاء سالماً، وله حديثٌ يحدِّثُك به، فقال الشَّابُّ: كنَّا في يدَي بعض العمَّال يستعملنا، فخرجنا يوماً إلى الصَّحراء وعلينا قيودُنا، فبينا أنا كذلك انفتح القَيْدُ من رجلي، ووصف اليوم والسَّاعة التي جاءت المرأة فيها إلى[1] الشَّيخ ودعا، قال: فصاح بي الَّذي كان يَحفظُني ويستعملني وقال: كسرتَ القيد؟ قلت: لا والله، بل سقط من رجلي، فتحيَّر وأخبر الملك، فأحضر الحدَّاد وقيَّدني ثانياً، فلما مشَيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيَّر، وأعاده ثالثاً وهو يسقط، [فقال الملك: لك والدة؟ قلت: نعم، وفي رواية:] فأُحضر علماؤهم ورُهبانُهم [فأخبروهم] فقال الرهبان: ألك والدة؟ قلت: نعم، فقالوا: قد وافق دعاؤها الإجابة، وقد أطلقك الله تعالى فلا نقدر على تَقييدك، وزوَّدوني وبعثوني إلى ناحية المسلمين.

[قال الحميدي:] كان بقيٌّ يمشي في حوائج النَّاس إلى الولاة، وربَّما أتته المرأة في الليلة المظلمة في حاجة، فيمشي معها إلى الأمير [والله أعلم].

---

(١) من هنا إلى آخر السنة ليس في (ف)، وكتب في هامشها: خرم ورقة بالأصل.

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فقال أبو عبد الله الحُميدي في «تاريخ الأندلس»[(١)]:] توفي [بقي ابن مخلد] ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنةَ ستٍّ وسبعين ومئتين، وهو ابن سبعٍ أو ستٍّ وسبعين سنة، ودُفن بالأندلس.

[وذكر الدَّارقطني في كتاب «المؤتلف والمختلف»[(٢)] أنه مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين. وقول الحميدي أصحُّ؛ لأنه أعرف بأهل بلده.

سمع الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيره[(٣)]، وصنَّف «المسندَ»؛ روى فيه عن ألف وستِّ مئة صحابيٍّ بل يزيدون، وشيوخُه أعلام، وتصانيفُه كثيرة؛ منها «التفسير».

وجمع بين العلم، والدِّين، والتقوى، والصدق، والأمانة.

وكان الإمام أحمد رحمة الله عليه يحترمه ويعظِّمه[(٤)]، وروى عنه أئمة المغرب[(٥)]، ومعظم حديثه عندهم[(٦)]. [انتهت ترجمته والحمد لله].

سَهْل[(٧)] بن عبد الله بن الفَرُّخان

أبو طاهر، الأصبهاني، العابد.

كان من رَبَض مدينة أصبهان، مجابَ الدَّعوة، مَفْزَع أهلِ أصبهان في النَّوائب إلى دعائه، وله آثار في الدُّعاء مشهورة، كتب الحديث الكثير بالعراق والشَّام ومصرَ.

سمع هشامَ بن عمَّار وغيرَه، وأقام بالثَّغْر مدَّة، وروى عنه محمد بن عبد الله الصفَّار وغيرُه.

---

(١) ينظر جذوة المقتبس له ص ١٧٨ .

(٢) ١/ ٢٧٢ .

(٣) في (ب): سمع بدمشق هشام بن عمار وأحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي وغيرهم. وما سلف ويأتي بين معكوفين منها.

(٤) في (ب): وكان أحمد بن أبي الحواري يحترمه ويعظمه.

(٥) وقع في (خ): وروى عنه أبهر العرب. وهو خطأ، والمثبت من (ب).

(٦) «المنتظم» ١٢/ ٢٧٤_٢٧٥ ، وجذوة المقتبس ص١٧٧ ، والصلة ١١٦ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٢١ .

(٧) في (خ): سليمان بن عبد الله الفرحان، والمثبت من «تاريخ أصبهان» ١/ ٣٣٩ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٥٦ ، والسير ١٣/ ٣٣، وهذه الترجمة ليست في (ب).

[وفيها توفي]

شاه بن شُجاع

أبو الفوارس، الكَرْماني.

من أبناء الملوك، ترك الدُّنيا وتزهَّد، وصحب [أبا عُبيد البُسْريّ، و] أبا تراب النَّخْشَبيَّ وغيرهما.

[قال أبو نعيم الأصبهاني: سمعت أبا عبد الرَّحمن السُّلمي(١) يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نُجيد يقول:] كان [شاه بن شجاع] حادَّ الفِراسة؛ قلَّما أخطأت فراسته.

وكان يقول: مَن غضَّ بصرَه عن المُحرَّمات، وأمسك نفسَه عن الشَّهوات، وعمَّر باطنَه بدَوام المُراقبات، وظاهرَه باتِّباع السُّنَّة، وعوَّد نفسه أكلَ الحلال؛ لم تُخطئ له فراسة قطّ.

وقال: مَن صَحِبك ووافقك على ما تُحبّ، وخالفك فيما تكره فإنَّما يصحب هواه، ومَن صَحب هواه فهو يَطلب راحةَ الدُّنيا. [وله الكلام المليح].

وكانت وفاته هذه السَّنة، وقيل: قبلَها، والله أعلم(٢).

[وفيها توفي]

عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة

أبو محمد، المَرْوزيّ، الكاتب.

[ويقال: الدِّيْنَوَري لأنَّه أقام بالدِّينَوَر مدَّة فنسب إليها، و] مولده بمَرْو، [و] سكن بغداد، وصنَّف الكتب: «غريب الحديث»، و«غريب القرآن»، و«مشكل القرآن» و«مشكل الحديث»، و«أدب الكاتب»، و«المعارف»، و«عيون الأخبار» وغير ذلك. [وأقام ببغداد إلى أن توفي في هذه السَّنة.]

---

(١) «حلية الأولياء» ١٠/ ٢٣٧ ، و«طبقات الصوفية» ص ١٩٢ . وما بين معكوفين من (ب).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» ١٣/ ١٢٦ ، وابن خميس في المناقب ١/ ٣٩٧، والذهبي في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٩٥١ في وفيات سنة تسع وتسعين ومئتين.

[واختلفوا في وفاته؛ فحكى الخطيب[1] عن محمد بن العبَّاس قال: قُرئ على ابن المنادي وأنا أسمع أنَّ ابن قتيبة] مات فجأةً؛ صاح صَيحةً عظيمةً سُمِعت من بُعد، ثمَّ أُغمي عليه ومات.

[قال ابن المنادي: أخبرني أبو القاسم الصَّائغ أنَّ ابن قتيبة أكل هَريسة، فأصابته حرارة شديدة، فصاح ثمَّ أُغمي عليه، ومازال يضطرب إلى السَّحر، ثمَّ مات]. وذلك في أوَّل ليلة من رجب [سنة ستٍّ وسبعين ومئتين].

وقال جدِّي في «المنتظم»[2]: قال أهل العلم بالنَّقل: إنَّه مات بالكوفة، ودفن إلى جانب قبر أبي خازم القاضي.

قلت: وهو وهم منهم؛ لأنَّ أبا خازم مات في سنة اثنتين وتسعين ومئتين، بينهما مدَّة طويلة. وقيل: مات ابن قتيبة سنة سبعين ومئتين. وهو وهم أيضاً].

حدَّث عن إسحاق بن راهويه وغيره، وروى عنه ابنُه أحمد وغيره.

وقال الدَّارقطني: كان يميل إلى التَّشبيه[3]، وكلامُه يدلُّ عليه.

وقال البيهقيُّ: كان يرى رأيَ الكرَّاميَّة.

[فصل وفيها تُوفِّي]

عبد الملك بن محمد

ابن عبد الله، أبو قِلابة، الرَّقاشي [البصريّ].

ولد بالبصرة سنة تسعين ومئة، وسكن بغداد إلى حين وفاته، [وكان يُكنى أبا محمد، فكُني بأبي قلابة.

وحكى الخطيب عن أم أبي قلابة] قالت: رأيتُ في المنام كأنِّي وَلدت هُدْهُداً، فقيل لي: تلدين وَلداً يُكثر الصلاة، فولدت أبا قلابة، فكان يصلِّي في كلِّ يوم وليلة أربع مئة

---

(١) في «تاريخه» ١١/ ٤١١ . وما بين معكوفين من (ب).

(٢) ١٢/ ٢٧٧ .

(٣) قال الذهبي في «السير» ١٣/ ٢٩٨ : ونقل صاحب «مرآة الزمان» بلا إسناد عن الدارقطني أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه. قلت ـ يعني الذهبي ـ: هذا لم يصح، وإن صحَّ عنه، فسحقاً له فما في الدين محاباة.

ركعة[، قلت: لا معنى لهذا؛ لأنَّ الهدهد ينقل الأخبار ولا يصلِّي[(١)]].

وأقام ببغداد يحدِّث، [قال الخطيب:] وكانت وفاته بها في شوَّال، ودُفن بباب خُراسان [رحمه الله تعالى].

سمع يزيد بن هارون وغيره، وروى عنه المَحامِليُّ وغيره، وكان صدوقاً، ثقةً، من أهل الصَّلاح، حدَّث ببغداد من حفظه سِتين ألف حديث، فوقع الخطأ في بعضها[(٢)].



(١) ذَكَر الدميري في الحيوان ٢/ ٣٨١ أن رؤية الهدهد في المنام تعبر بنقل الأخبار، وربَّما دلت على المعرفة بالله تعالى وبما شرعه من الدين والصلاة، وغير ذلك.

(٢) «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٧٩ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٧٧ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٧١-٥٧٢ .

السنة السابعة والسبعون بعد المئتين

فيها اتَّفق يازمان الخادم مع خمارويه [بن أحمد بن طولون]، ودعا له على المنابر بطرسوس، وسببُه: أنَّ خمارويه استمالَه ولاطفَه، وبعث إليه بثلاثين ألف دينار، وخمس مئة ثوب، وخمس مئة دابَّة، وسلاحاً كثيراً، فلمَّا وصل ذلك إليه دعا له على المنابر، فبعث إليه [خمارويه] بعد ذلك بخمسين ألف دينار.

وفيها ولي [يوسف بن][1] يعقوب بن إسماعيل بنِ حمَّاد بن زيد بن درهم أبو محمد المظالمَ ببغداد، فنادى: مَن كانت له مظلمةٌ ولو عند الأمير أبي أحمد الموفَّق فليحضرْ نُنْصفه منه، فكفَّ النَّاس عن المظالم، وأُطلقت يده، فشكره النَّاس، وحَسُنت سيرتُه.

وقدم على الموفَّق قائد من قوَّاد خمارويه في جيش كبير، ففرح به.

[وفيها] حجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ.

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن عيسى

أبو سعيد الخرَّاز، الصُّوفي البغداديّ، أحد المشايخ المذكورين بالزُّهد والمُجاهدة، والوَرَع والمُراقبة، وهو من أئمَّة القوم وجِلَّة مشايخهم، وكانوا يعظِّمونه، ويحترمونه، ويعترفون بفضله.

قال الجنيد: لو طالَبَنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخرَّاز لهلكنا، قيل له: وعلى أيِّ شيءٍ حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يَخرِز، ما فاته الله بين الخَرزتين؛ يعني ذكر الله تعالى.

[ذكر طرف من أخباره وكراماته وواقعاته:

قال الخطيب بإسناده عن العبَّاس بن الشاعر قال: حدثتني تلميذة لأبي سعيد الخرَّاز قالت:][2] كنتُ أسألُه مسألةً والإزار بيني وبينه مشدود، فاستفزَّني حلاوة كلامه،

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ١٠/ ١٨ ، و«الكامل» ٧/ ٤٣٩ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨١ .

(٢) ما بين معكوفين من (ب) وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد» ٥/ ٤٥٦ . وفي (خ): وقال تلميذ له: كنت...

فنظرت من ثقب في الإزار فرأيت شَفتَه، فلمَّا وقعتْ عيني عليها سكَت وقال: حدث هاهنا حدَثٌ [فأخبريني ما هو؟] فأخبرتُه، فقال: أما علمتِ أنَّ هذا العلم لا يَحتمل التَّخليط؛ لأنَّ نظرك إليَّ معصية.

قال المصنِّف رحمه الله: من باب تدقيق الورع، [لأنَّ نظر المرأة إلى الرجل لا يحرم عليها إلا إذا قصدت الخلوة لغرض].

وقال أبو القاسم بن مردان: كان عندنا بنهاوند فتًى يَصحبني، وكنتُ أصحب أبا سعيد الخرَّاز، وكنتُ أصف للفتى أخلاقَه وأحوالَه، وكان أبو سعيد إذ ذاك بمكَّة، فقال لي: اخرج بنا إليه، ثمَّ إنَّ الفتى أخذ حجَّة من حمولا ـ وهو [رئيس نهاوند(١)] ـ ولم أعلم، فلمَّا قدمنا مكَّة دخلنا على أبي سعيد، فسلَّمنا عليه، فقال له الفتى: يا أبا سعيد، ما حقيقةُ التوكُّل؟ فقال: ألَّا تأخذ حجَّة من حمولا، فخجل الفتى، فقال له: خذ فيما كنتَ فيه.

ثم قال: كنتُ في حداثتي أراعي شيئاً من هذا الأمر، فسلكتُ باديةَ الموصل، فبينا أنا أسير إذ سمعت حِسًّا من ورائي، فحَفِظْتُ قلبي عن الالتفات، ودنا الحِسُّ منِّي، وإذا بسَبُعَين قد صعدا على كتفي، ولحسا خدِّي، فلم أنظر إليهما حين صعدا، ولا حين نزلا.

وقال: كنتُ أمشي في الصَّحراء وإذا بقريب من عشرة كلاب من كلاب الرُّعاة قد شدُّوا عليَّ، فلمَّا قربوا منِّي جعلت أستعمل المراقبة، فإذا كلب أبيضُ من بينهم قد خرج وحمل عليهم، فطردهم عنِّي، ولم يفارقني حتَّى غابوا عنِّي.

وقال: رأيتُ إبليس في منامي وهو يمرُّ عني ناحية، فقلتُ له: تعال، فقال: إيش أعمل بكم؟ أنتم طرحتُم عن نفوسكم ما أخادع به النَّاس، قلت: وما هو؟ قال: الدُّنيا، ثمَّ التفتَ إليَّ بعد ما ولّى وقال: غير أنَّ لي فيكم لطيفة، قلت: وما هي؟ قال: صحبة الأحداث، [وفي رواية قال:] فأخذتُ عصاً لأضربه فقال: أمَّا أنا ما أخاف من عصا، قال: ممَّ تخاف(٢)؟ قال: من نور القلب(٣).

---

(١) في (خ): حمولا زهر نهاوند، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢/ ٦٣ (مخطوط)، وجاء الخبر في (ب) مختصراً.

(٢) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ف).

(٣) «طبقات الصوفية» ٢٣٢ ، و«الرسالة القشيرية» ٩٨ ، ومناقب الأبرار ١/ ٤٢٥، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٤ .

[وحكي عنه أيضاً] قال: دخلتُ الباديةَ مرَّة بغير زاد، فأصابتْني فاقةٌ شديدة، وكانت المَرْحَلةُ بعيدة، فوصلتُ إلى قرية، فسُررتُ بوصولي إليها، ثمَّ فكَّرتُ في نفسي فرأيتُ أنِّي قد اتَّكلْتُ على غير الله، فآليتُ على نفسي أن لا أدخلَ القرية إلَّا أن أُحمل إليها، فحفرتُ لي حُفْرةً في الرَّمل، وتواريتُ فيها إلى صدري، فلمَّا كان نصفُ اللَّيل سمع أهل القرية صوتاً عالياً يقول: يا أهلَ القرية، إنَّ لله وليًّا قد حبس نفسه في الرَّمل، فالحقوه، فجاؤوني، فأخرجوني من الرَّمل، وحملوني إلى القرية[١].

[وحكى في «المناقب» أيضاً] قال: رأيتُ يوم الجمعة فقيراً يدور على الصُّفوف ويقول: تصدَّقوا عليَّ؛ فقد كنتُ صوفياً فضَعُفْتُ، [قال]: فرفقتُه بشيء، فنظر إليَّ وقال: مُرَّ، ليس هذا من ذاك، ومضى ولم يأخذ شيئاً.

قال المصنِّف رحمه الله: إنَّما عنى الفقيرُ أنَّه كان له حال مع الله ففقده، ولم يُرِد الدُّنيا.

[وحكى عنه أيضاً] قال: كنتُ بمكَّة، فخرجتُ يوماً من باب بني شَيبة، فرأيت شابًّا حسناً ميتاً على قارعة الطريق، فنظرتُ في وجهه فتبسَّم، فقلت: أحياةٌ بعد الموت؟! فقال: أبا سعيد، أما علمتَ أنَّ أولياء الله أحياءٌ عنده، إنَّما يُنقلون من دار إلى دار.

[وحكى عن أبي سعيد أيضاً] قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام فقلتُ: اعذرني، فإنَّ محبَّة الله شغلتْني عن مَحبَّتك، فقال لي: يا مبارك، أما علمتَ أنَّ من أحبَّ الله فقد أحبَّني.

[وحكى في «المناقب»[٢] أيضاً عن] أبي القاسم بن مَرْوان النَّهاوندي قال: كنتُ أنا وأبو بكر الورَّاق مع أبي سعيد الخرَّاز نمشي على ساحل البحر نحو صَيدا، فرأى شخصاً من بعيد فقال: لا يخلو هذا المكان من وليٍّ لله تعالى، وإذا بشابٍّ حسنِ الثِّياب مليحِ الوجه، وبيده رِكوة ومحبرة، وعليه مرقَّعة، فالتفت إليه أبو سعيد مُنكراً عليه بحملِ المحبرة والركوة، وقال له: يا فتى، كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: يا أبا سعيد أعرف إليه طريقين، طريقاً خاصًّا، وطريقاً عامًّا، فالعامُّ ما عليه أنت وأصحابُك، والخاصُّ ما ترى، ثمَّ تقدَّم فدخل البحر ومشى على الماء حتَّى غاب عن أعيننا، فتحيَّر أبو سعيد وقال: هذه المواهِب.

---

(١) «الرسالة القشيرية» ٢٧٩، ٥٦٨، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٨.

(٢) ١/ ٤٢٣-٤٢٤.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً قال:] كان لأبي سعيد ابنٌ فمات قبله، فرآه أبو سعيد في المنام، فقال له: يا بُنيَّ، أوصني، فقال: يا أبتِ، لا تجعل بينك وبين الله قميصاً، فما لبس أبو سعيد قميصاً ثلاثين سنة[١].

[ذكر المختار] من كلامه:

[روى الخطيب[٢] أنَّه قال:] إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا اللهَ بدموعهم [، وفي رواية: إذا بكت أعينُ الخائفين.. وذكره].

[وروى الخطيب[٣] عنه أنَّه] قال: ذنوب المقرَّبين حسنات الأبرار.

وقال: العافية سترت البرَّ والفاجرَ، فإذا جاءت البلوى تبيَّن عندها الرِّجال[٤].

وقال[٥]: بقيتُ إحدى عشرة سنة أتردَّد من مكَّة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة؛ أريد أن أحجَّ حجَّة أرى فيها ربَّ البيت ولا أرى البيت، فما صحَّ لي، فلمَّا كان بعد إحدى عشرة سنة وأنا بين مكَّة والمدينة وإذا بشخص قد تراءى لي من الجنِّ، فناداني: يا أبا سعيد، قد والله رحمتُك من كثرة تردُّدك في هذا الموضع، وقد حَضرني شيءٌ فاسمع، فقلتُ: هات، فقال: [من الطويل]

أتيهُ فلا أدري من التِّيه مَن أنا ... سوى ما يقول النَّاس فيَّ وفي جنسي
أتيه على جنِّ البلاد وإنسها ... فإنْ لم أجد خَلْقاً أتيهُ على نفسي

فقلت له: اسمع إن كنتَ تُحسِن أن تسمع، ثمَّ قلت: [من الطويل]

أيا مَن يرى الأسباب أعلى وجودِه ... ويَفرح بالتِّيه الدَّنيِّ وبالأُنْسِ
فلو كنتَ من أهل العُلوِّ لغِبتَ عن ... مُباشرةِ الأملاكِ والعَرْشِ والكُرسي
وكنتَ بلا حالٍ مع الله واقفاً ... تُصان عن التَّذكار والجنِّ والإنسِ
ألا اسمعْ صِفاتي في الوجود فإنَّني ... إذا غِبتُ عن نَفسي كغيبوبة الشَّمسِ
وقامتْ صِفاتي للمليك بأسْرِها ... وغابت صفاتي حين غبتُ عن الحسِّ

---

(١) «الرسالة القشيرية» ٤٦٩، ٤٨٩، ٥٤٠، ٥٦٨، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٢، ومناقب الأبرار ١/ ٤٢٥.
(٢) في «تاريخه» ٣/ ٤٦٣، وما بين معكوفين من (ب).
(٣) في «تاريخه» ٥/ ٤٥٦.
(٤) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ٢٨٢.
(٥) من هنا إلى قوله بعد صحيفة: ولو صيَّر المحبوب دار الشقا حبسي؛ ليست في (ب).

وغاب الَّذي من أجله غاب شاهدي فذاكَ فَنائي فافهموا يا بني جِنسي
فهذا وجودي في المغيب بحاله أقرِّبه حتَّى يواري الثَّرى رمسي
ولستُ أبالي فائتاً بعد فائتٍ ولو صيَّر المحبوبُ دارَ الشَّقا حَبْسي

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: دخلت البادية، فنالني جوعٌ شديدٌ، فضَعُفْتُ، فوقع في نفسي أنَّني أسأل الله صَبْراً، فهتف بي هاتف يقول: [من الوافر]

ويزعم أنَّه منَّا قريبٌ وأنَّا لا نُضَيِّعُ مَن أتانا
ويسألُنا القوى جُهداً وصَبراً كأنَّا لا نراه ولا يرانا

[قال:] فأخذني الاستقلال من ساعتي، وقمتُ فمشيتُ(١).

وقال: كلُّ باطنٍ يُخالفه الظاهر فهو باطل(٢).

[وحكي عنه أنَّه] قال: لولا أنَّ الله تعالى أدخل موسى عليه السَّلام في ظلِّ كَنَفِهِ، لأصابه ما أصاب الجبلَ.

وقال: للعارفين خزائن أُودِعَتْ علوماً ربَّانيَّة؛ يتكلَّمون بها بعبارة الأزلية.

وقال: المحبُّ يتعلَّل بكلِّ شيءٍ، ولا يتسلَّى عن حبيبه بشيء، وأنشد: [من الطويل]

أسائلُكُم عنها فهل من مُخبِّرٍ فما لي بنُعْمٍ بعد مُكْثَتنا عِلمُ
فلو كنتُ أدري أين خيَّم أهلها وأيُّ بلاد الله إذ ظَعَنوا أمُّوا
إذاً لَسَلَكْنا مَسْلَكَ الرِّيح خلفَها ولو أصبحتْ نُعمٌ ومن دونها النَّجْمُ

وقال: العلم ما استعملك، واليقين ما حملك(٣).

وقال(٤): المُسْتنبِط من مُلاحظة الغيب لا يَخفى عنه شيء، ثمَّ قرأ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النساء: ٨٣]. والمتوسِّم العارف بما في سويداء القلب، ثمَّ قرأ: ﴿إِنَّ

(١) ذكر هذه الأخبار مع الأبيات ابن خميس في المناقب ١/ ٤٢٦، وابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٦٧، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) «الرسالة القشيرية» ٩٨، و«تاريخ بغداد» ٢/ ٦٢.

(٣) «طبقات الصوفية» ٢٣٢، و«حلية الأولياء» ١٠/ ٢٤٧-٢٤٨، والمناقب ١/ ٤٢١، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٨، وينظر «الرسالة القشيرية» ٢٩٢.

(٤) من هنا إلى قوله: معاداة الفقراء... ليست في (ب).

فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[الحجر: ٧٥] والمتفرِّس الذي ينظر بنور الله فيدرك المعاني «اتقوا فراسة المؤمن»[(١)]. والرَّبَّاني أعلى مرتبةً من هؤلاء ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[آل عمران: ٧٩] لله، أي: تخلَّقوا بأخلاقه، وافنَوا به عن خلقه.

وقال: إذا أراد الله أن يواليَ عبداً فتح عليه باب ذِكره، فإذا استلذَّ الذِّكرَ فتح عليه باب القُرْب، ثمَّ رفعه إلى مجالس الأُنس، ثمَّ أجلسه على كرسي التوكُّل[(٢)]، ورفع عنه الحجاب، وكشف له عن الجَلال، فبقي هو بلا هو، فيتبرَّأ حينئذٍ من دعاوى نفسه، ويبقى في حفظ الله تعالى خلقه.

وسئل: هل يصير العارف إلى حالٍ ينقطع عنه البكاء؟ فقال: نعم، إنَّما البكاء للقوم بمنزلة الزَّاد في حال سفرهم إلى الله تعالى، فإذا نزلوا منازلَ القُرب، وذاقوا طَعْمَ الوِصال، استقرَّ بهم المنزل، فلا حاجةَ لهم إلى الزَّاد.

وقال: إذا خَرِسَت الألسنُ عن الأذكار، نَطقَتْ القلوبُ بالافتكار[(٣)].

وقال: مُعاداةُ الفقراء بعضهم لبعض غيرةٌ من الله عليهم؛ لئلَّا يسكن بعضُهم إلى بعض.

وقال: علامة التَّوحيد خروجُ العبد عن كلِّ شيء، وردُّ جميع الأشياء إلى متولِّيها[(٤)].

ذكر وفاته:

[حكى في «المناقب» عن] رُوَيم قال: حضرتُ وفاةَ أبي سعيد، فسمعتُه يقول في آخر نَفَسه: [من الطويل]

حنينُ قلوب العارفين إلى الذِّكر ... وتَذكارهم وقتَ المُناجاةِ للسِّرِّ[(٥)]
أُديرَتْ كؤوسٌ للمنايا عليهم ... فأغفَوا عن الدُّنيا كإغفاء ذي السُّكْرِ
همومهمُ جوَّالةٌ بمُعَسْكَرٍ ... به أهلُ ودِّ الله كالأنْجُمِ الزُّهْرِ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٢) في «الرسالة القشيرية» ٤٠٥، والمناقب ١/ ٤٢٣: على كرسي التوحيد.
(٣) في المناقب ١/ ٤٢٥: بالافتقار.
(٤) في (ب) و(ف): منزلتها. وينظر المناقب ١/ ٤٣٠، و«طبقات الشعراني» ١/ ٧٩.
(٥) في النسخ: للبشر. والمثبت من المناقب ١/ ٤٢٣، و«الرسالة القشيرية» ٤٦٣، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٨.

فأجسامهم في الأرض قَتْلى بحبِّه   وأرواحهم في الحُجْبِ نحو العُلى تَسري
فما عرَّسوا إلَّا بقُرب مَليكهم   ولا عرَّجوا عن مسٍّ بؤسٍ ولا ضرِّ

وبلغ الجُنيد فقال: إنَّ أبا سعيد كان كثير التَّواجد، فليس بعجيب أن تطير روحه إلى الله اشتياقاً.

[واختلفوا في وفاته على أقوال، أحدها:] توفي سنة ستٍّ وسبعين ومئتين.

و[الثاني:] سنة سبع(١) وسبعين.

[والثالث في](٢) سنة ستٍّ وثمانين [ومئتين].

وقال أبو نعيم:](٣) والأصحُّ في هذه السَّنة. [وذكر أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: أنَّ أبا سعيد مات في سنة سبع وأربعين ومئتين(٤).

قال الخطيب: وهذا القول ثابت، والأصحُّ في هذه السَّنة](٥).

أسند عن هشام بن عمَّار وغيره، وصحب بشراً الحافيَّ، وسريًّا السَّقَطيَّ، وذا النُّون المصريَّ، وأقرانَهم، وروى عنه أبو جعفر الصَّيدلانيُّ وغيرُه.

وأخرج له الخطيب حديثاً رفعه إلى عائشة ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «سوءُ الخُلُق شؤم، وشرارُكم أسوؤكم أخلاقاً»(٦).

إبراهيم بن إسحاق

ابن أبي العَنْبس أبو إسحاق، الزُّهريُّ، الكوفيُّ.

ولي قضاء بغداد، ثمَّ صُرف عنه سنة أربع وخمسين ومئتين، وسببُ صرفه: أنَّ أبا أحمد الموفَّق أراد منه أن يدفع إليه أموالَ الأوقاف(٧)، فامتنع، فولِّي قضاء الكوفة، فخرج إليها فأقام بها، ومات في ربيع الآخر، وحمل النَّاسُ عنه الحديث الكثير.

(١) في (ب): تسع. وما بين معكوفين منها.
(٢) في (خ) و(ف): وقيل: سنة ست...
(٣) لم نقف على قول أبي نعيم في الحلية.
(٤) الذي في «طبقات الصوفية» ٢٢٨: مات سنة تسع وسبعين ومئتين.
(٥) «تاريخ بغداد» ٥/ ٤٥٧.
(٦) «تاريخ بغداد» ٥/ ٤٥٥، وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٤٩.
(٧) في «تاريخ بغداد» ٦/ ٥٢٠: الأيتام.

أسند عن يَعلى بن عُبيد الطَّنافسي وغيره، وروى عنه علماءُ الكوفة، واتَّفقوا على خيرِه، وصدقه، وصلاحه، وورعه[١].

[وفيها توفي]

أبو حاتم محمد بن إدريس

ابن المنذر بن داود بن مِهْران، الرَّازيُّ، الحافظ المشهور، الحَنْظَليُّ مولى تميم بن حَنْظَلة الغَطَفانيّ، وقيل: سمِّي الحَنْظَليّ لأنّه كان يسكن بالرَّيِّ بدَرْب حَنْظَلة.

كان أحدَ الأئمة الرحَّالين، والأثبات المتقنين، العارفين بعِلَل الحديث والجرح والتعديل، طاف الدُّنيا فسافر إلى خُراسان، والعراقَين، والحجاز، واليمن، والشَّام، ومصر.

وقال [الخطيب: حكى عبد الرَّحمن بن أبي حاتم، عن أبيه قال:] مشيتُ على قَدَمي في طلب الحديث زيادةً على ألف فرسخ، وكان يتعذَّر عليَّ القوت فأبقى اليوم واليومين والثلاثة مالي ما آكل[٢].

وقال: سألني هشام بن عمَّار فقال: أيّ شيء تحفظ في الأَذْواء؟ فقلت: ذو الأصابع، وذو الثُّدَيَّة، وذو الجَوْشَن، وذو الزَّوائد، وذو اليَدَين، وذو اللِّحية الكلابيّ، فقال هشام: حفِظْنا نحن ثلاثة، وزِدْتَنا أنت ثلاثة.

وسئل أبو حاتم عن الفرق بين المُسْنَد، والمُرْسَل، والمتَّصل، والمُعَنْعَن، والتَّدليس، والمُنْقَطع؛ فقال:

أمَّا المسند؛ فهو ما اتَّصل إسناده إلى رسول الله ﷺ. وأما المرسل؛ فهو أن يحدِّث التَّابعي عن النبيِّ ﷺ وقد لقي جماعة من الصَّحابة، مثل ابنِ المسيب والحسنِ والشَّعبيِّ وأمثالِهم، فيقول: قال رسولُ الله ﷺ.

وأمَّا المتَّصل؛ فبمعنى المسند.

(١) «تاريخ بغداد»، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٠٧، وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٢) من هنا إلى ذكر وفاته ليست في (ب)، والكلام في «تاريخ بغداد» ٢/ ٤١٧، و«مقدمة الجرح والتعديل» ٣٥٩، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨٥، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ٨.

وأمَّا المعنعن؛ مثل أن يقول: عن فلان، عن فلان، هو مثل المسند إذا جمع شروطاً ثلاثة؛ عدالة الرِّجال، ولقاءَ بعضهم بعضاً، والبراءةَ من التَّدليس؛ مثل أن يقول: حدَّثنا محمد، ثمَّ يقول في حديث آخر: حدَّثنا أبو عبد الله، وهو ذاك الرَّجُل بعينه، وهو عَيب عند الحفَّاظ.

وأمَّا المنقطع، فمثل أن يروي التابعيُّ عن الصحابيِّ، والتابعيُّ لم يسمع منه، مثاله: عن الزهريِّ، عن ابن عبَّاس وأبي هريرة، والزهريُّ لم يسمع منهما. وقيل: إنَّ المنقطع بمعنى المرسل.

ذكر وفاته:

[قال الخطيب:] توفِّي بالرّيِّ في شعبان، وأسند عن خلقٍ كثير وسمع محمدَ[1] بن عبد الله الأنصاريَّ، وأبا زيد النَّحويَّ، وهشامَ بن عمَّار وغيرَهم.

وأخرج عنه ابنُه عبد الرَّحمن وابنُ أبي الدنيا وغيرُهما، وأخرج عنه البخاريُّ[2] وغيره.

واتَّفقوا على صدقه، وثقته، وورعه، وفضله، وأنَّه كان إماماً في السُّنَّة.

ومن شعره: [من الطويل]

تفكَّرتُ في الدُّنيا فأبصرتُ رُشْدَها ... فذلَّلتُ بالتَّقوى من الله خدَّها[3]
أساتُ بها[4] ظنًّا فأخلفتُ وَعْدَها ... وأصبحتُ مولاها وقد كنتُ عبدَها

محمد بن يوسف

ابن عيسى، أبو بكر بن الطبَّاع.

(١) في (خ) و(ف): وسمع منه محمد...، والمثبت من «تاريخ بغداد» ٢/ ٤١٤، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ١-٢، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨٤، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٩٧-٥٩٨.

(٢) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٩٨: وقيل إن البخاري وابن ماجه رويا عنه، ولم يصحّ. ومن قوله: وسمع محمد... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) في النسخ: عهدها. والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٤٢١، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ١٤.

(٤) في النسخ: أساءت بنا. والمثبت من «تاريخ دمشق».

قدم سُرَّ من رأى فنزل في البَغَويِّين، فاجتمع المحدِّثون والنَّاسُ إليه، فسمع محمد ابنُ عبد الله بن طاهر الضَّوضاء، فقال: ما هذا؟ قالوا: كلام المحدِّثين عند ابن الطَّبَّاع، فكتب إليه محمد بن طاهر رُقعةً يسأله أن يَحضُر إليه فيحدِّث فتيانه، فكتب إليه جواب رقعته: أمَّا بعد، فأكرمك الله كرامةً تكون لك في الدُّنيا عِزًّا، وفي الآخرة من النَّار حِرْزاً، إنِّي لم أتخلَّف عنك صِيانةً، بل ديانة؛ لأنَّ العلم يُؤتى ولا يأتي.

فلمَّا قرأها محمد قال: صدق، ثمَّ صار إليه هو وبنوه، فحدَّثه عامَّةَ الليل، ثمَّ قام محمَّد فانصرف، وقال لصاحبه: سَلْه ما يريد؟ فقال ابن الطَّبَّاع: قل له يبعث لنا ما نتغطَّى به من البرد، فبعث إليه بمِطْرَفِ خَزٍّ يساوي خمس مئة دينار.

وكانت وفاته في المحرَّم.

سمع يزيد بن هارون وغيرَه، وروى عنه المَحامِليُّ وغيره، وكان ثقة[١].

مُضَر بن محمد

ابن خالد بن الوليد أبو محمد، القاضي، الأسديُّ، البغداديّ.

ولي قضاء واسط، وكان راوية لحروف القراءات، وحدَّث بدمشق، ومصر، وبغداد عن يحيى بن معين وغيره، وروى عنه يحيى بن محمد بن صاعد وغيره.

ومن شعره: [من البسيط]

لو كان في البَيْنِ إذ بانوا لهم دَعَةٌ ... لكان بَيْنُهمُ من أعظمِ الضَّرَرِ
فكيف والبَيْنُ مَقرونٌ به تَعَبٌ ... تَعَسُّفُ البِيدِ والإدْلاجُ في السَّحَرِ
سيَّان إتعابُ من أهوى وبينهُم ... هذا لعَمْرُكَ خَطْبٌ غيرُ مُغْتَفَرِ
كأنَّ أيدي مَطاياهُم إذا وَخَدَتْ[٢] ... يَقَعْنَ في حُرِّ وَجهي أو على بَصري
عندي من الوَجْدِ ما لو أنَّ أَيْسَرَه ... يُصَبُّ في الماء لم يُشْرَب من الكَدَرِ[٣]

[وفيها توفي]

---

(١) «تاريخ بغداد» ٤/ ٦٢٤، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٢٨.

(٢) الوَخْد: سعة الخطو في المشي. «اللسان» (خدى).

(٣) «تاريخ بغداد» ١٥/ ٣٦١-٣٦٢، و «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤١٧-٤٢٠ والأبيات فيه، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٢٩، وهاتان الترجمتان ليستا في (ب).

يعقوب بن سفيان بن جُوان[(١)]

أبو يوسف، الفارسيُّ، الفَسَويُّ، صاحب «التاريخ» والتَّصانيف الحسان.

[وذكره الحاكم أبو عبد الله في «تاريخه» وقال: هو] إمام أهل الحديث بفارس، سافر إلى البلاد، ولَقِي الشيوخ، [قدم نيسابور وأقام بها سنين، وسمع منه مشايخنا]، وقال: كتبت عن ألف شيخ وأكثر وكلُّهم ثقات.

وقال أبو زُرعة الدِّمشقي: قدم علينا يعقوبُ دمشقَ، ويعجز أهلُ العراق أن يَرَوا مثلَه.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان قال: كنت أطلب[(٢)] في رحلتي الحديث، فدخلتُ بلداً صادفتُ فيه شيخاً احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار منه، فقَلَّتْ نَفقتي، وبعُدْتُ عن أوطاني، [فكنتُ] أُدمِن الكتْبَة ليلاً ونهاراً، فبينا أنا ذات ليلةٍ أنسخ في السِّراج؛ نزل الماء في عينيَ فلم أُبصر شيئاً، فبكيتُ على انقطاعي عن بلدي ووطني، وقلّة نفقتي، وعلى ما يَفوتُني من العلم، فنمت، فرأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: يا يعقوب، ما الذي بك؟ فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، وشكوتُ إليه حالي، فقال: أُدْنُ منِّي، فدنوتُ، فمسح يده على وجهي وعيني كأنَّه يقرأ، فاستيقظتُ، وفتحتُ عينيَّ وإذا بهما على حالهما، فأخذتُ الكتاب وقعدتُ أنسخ في السِّراج.

[واختلفوا في وفاته، فقال أبو سعيد بن يونس:] مات بالبصرة.

وقال [أحمد بن محمود بن صَبيح: مات] ببلده بفَسَا قبل موت أبي حاتم الرَّازي بشهر[(٣)].

أسند عن خلقٍ كثير منهم هشام بن عمار وغيره، وأخرج له البخاريُّ ومسلم حديثَ عمرو بن عَبَسة في صدر الإسلام[(٤)].

---

(١) هذه الترجمة وردت في (ب) في أول سنة (٢٧٨هـ)، وأضفنا منها هنا ما يأتي بين معكوفين.

(٢) في (خ) و(ف): وقال يعقوب: كنت أطلب، والمثبت من (ب)، وانظر «مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ٤٥، وما بين حاصرتين منه.

(٣) «مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ٤٤ـ٤٦، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٤١ـ٦٤٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٨٠ـ١٨٤. وما بين معكوفين من (ب).

(٤) هذا السياق فيه أكثر من خطأ، فيعقوب بن سفيان لم يرو له البخاري ومسلم، وإنما روى عنه الترمذي =

[وروى الخطيب عن] عَبْدان بن محمد المروزيُّ قال: رأيتُ يعقوب في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأمرني أن أحدِّث في السماء الرَّابعة، فاجتمع عليَّ الملائكةُ، واستملى عليَّ جبريل، وكتبوا بأقلام من ذهب.

واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقته.



= والنسائي كما ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٧٦٨٣)، والذهبي في «السير» ١٣/ ١٨٠ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٦٤١ ، وابن حجر في «تهذيب التهذيب» وغيرهم، وحديث عمرو بن عبسة أخرجه مسلم فحسب (٨٣٢) في صحيحه دون البخاري، انظر «تحفة الأشراف» ٨/ ١٦١ ، والجمع بين الصحيحين للحميدي (٣٠٧٥) ٣/ ٥١٩ ، وليس ليعقوب ذكر في حديث عمرو بن عبسة ﷺ.

السَّنة الثامنة والسَّبعون بعد المئتين

فيها لليلتين بقيتا من المحرَّم طلع كوكب ذو جمَّة، ثمَّ صارت الجمَّة ذُؤابة.

ووردت الأخبار أنَّ نيل مصر غار فلم يبق منه شيء، ولم يُعْهَد ذلك قطُّ، ولا سُمع به في الأخبار السالفة، فغلت الأسعار عندهم.

وفي المحرَّم انصرف أبو أحمد الموفَّق من الجبل إلى بغداد مريضاً، وكان به نِقْرِس، فلم يقدر على ركوب الخيل، فاتُّخذ له سريرٌ عليه قُبَّة، فكان يَقعد عليه والخدم يبرِّدون رجليه بالثَّلج، فأنزلوه في دَيالَى في زَلَّالٍ[١] حتَّى أخرجوه إلى دجلة، ثمَّ زاد مرضه فصار داءَ الفيل، فكان يَحمل سريرَه قبل نزوله في الماء أربعون رجلاً، يتناوب عليه عشرون عشرون، وربما اشتدَّ به الوجع أحياناً فيأمرهم أن يضعوه، وقال يوماً للذين يحملونه: لعلَّكم قد ضَجِرتُم منِّي، وَدِدْتُ والله أنِّي كواحدٍ منكم أَحملُ على رأسي وآكل وأنِّي في عافية.

وقال في مرضه هذا: قد أطبق دستوري [أو دفتري] على مئة ألف مُرتَزِق، وما أصبح فيهم أسوأ حالاً منِّي.

وفي يوم الاثنين لثلاث بَقينَ من المحرَّم وافى النَّهْروان، فأخرجوه إلى دجلة إلى الزَّعفرانية، وصار في داره يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر، فأقام بها، وانتفخ قدمه وعَظُم، فتوفِّي في صفر، وسنذكره إن شاء الله تعالى [في ترجمته، والله أعلم][٢].

وفيها ظهرت القرامطة بسواد الكوفة، وقد اختلفوا فيهم على أقوال: أحدها: أنَّه قدم رجل من ناحية خُوزِستان إلى سواد الكوفة إلى موضع يقال له: النَّهرين، فأقام بها وأظهر الزُّهد والتَّقشُّف، وكان يَسُفُّ الخُوصَ ويأكل من كَسْبه، ويصلِّي اللَّيل والنَّهار،

---

(١) الزلَّال: ضربٌ من السفن الصغيرة والسريعة كانت معروفة بنهاية العصر العباسي. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٢٢٣، والديارات للشابشتي: ٢٤، وتكملة المعاجم لدوزي ٥/ ٣٤٤.

(٢) ما بين معكوفين من (ب) وجاء بعدها فيها: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وانظر الطبري ١٠/ ١٩-٢٠، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨٧، و«الكامل» ٧/ ٤٤١، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٧٠-٤٧١.

ويَسْرُدُ الصَّوم، فأقام على ذلك مدَّة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدِّين، وزهَّده في الدُّنيا، وأعلمه أنَّ الصَّلاة المفترضة على النَّاس خمسون صلاة في اليوم واللَّيلة، حتَّى فشا ذلك عنه، ثمَّ أعلمهم أنَّه يدعو إلى إمام من أهل البيت عليهم السَّلام.

وكانوا يقعدون إليه، ويحدِّثهم بمثل هذا وأشباهِه، وكان يقعد إلى بقَّال في القرية، وبالقرب منه نَخْل اشتراه قوم من التُّجَّار، فسألوا البقَّال أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم التَّمر، فدلَّهم عليه، فكان يأخذ من البقَّال كلَّ ليلة رطلَ تمر، فيفطر عليه، ويبيع للبقَّال النَّوى، وبلغ التُّجار، فأتوا إليه، وضربوه، وقالوا: ما كفاك أن أكلتَ التَّمر حتَّى بعتَ النَّوى؟ فقال لهم البقَّال: ويحكم، لقد ظلمتموه؛ فإنَّه لم يأكل من تمركم، وإنَّما كان يشتري منِّي التمر فيفطر عليه، ويبيعني النوى، فندموا على ضربه، وسألوه أن يجعلهم في حِلٍّ ففعل، فازداد نُبْلاً عند أهل القرية، ومرض فرمى بنفسه على الطَّريق.

وكان في القرية رجل اسمه حَمدان، ويقال له: كرميته، وتفسيره بالنبطيَّة: الأحمر العين، وكان له ثوران يحمل عليهما غلَّات السَّواد، فقال البَقَّال لكرميته: هذا الخراسانيُّ رجل صالح وغريب ومريض، فاحمله إلى منزلك. فحمله وأقام عنده حتَّى برأ، ثمَّ كان يأوي إلى منزله، ووصف مذهبه لأهل تلك النَّاحية فاتَّبعوه، فكان يأخذ من كلِّ رجل ديناراً، واتَّخذ منهم اثني عشر نقيباً [كما فعل موسى وعيسى بالحواريين]، وفرض عليهم في كلِّ يوم خمسين صلاة ووظائف للعبادات، فاشتغلوا بها عن أعمالهم، فخربت الضِّياع وتعطَّلت المصالح.

وكان للهَيْصَم هناك ضياع، فقصَّروا في عمارتها، فسأل عن ذلك [فقيل له: إنَّ رجلاً ظهر فيهم، وأظهر لهم مذهباً، وفرض عليهم كذا وكذا،] فأُخبر بخبره، فطلبه، فحضر، فسأله عن أمره، فدعاه إلى مذهبه، فحبسه في بيت، وأقفل عليه الباب، وحلف ليَقْتُلَنَّه، وترك مفتاح القفل تحت رأسه ونام، وسمعتْه جاريةٌ من جواريه فرقَّت له، وأخذت المفتاح، وفتحت عليه وأخرجته، وقفلت الباب، وأعادت المفتاحَ إلى مكانه، وانتبه الهَيْصَم ففتح الباب، فلم يجده، وقال النَّاس: رُفع إلى السَّماء.

ثمَّ ظهر في مكان آخر، فسألوه عن قصَّته فقال: من تعرَّض لي بسوء هلك.

ثمَّ هرب إلى الشَّام فلم يُعرف له خبر، وسمِّي كرميته باسم الرَّجل الذي كان في

منزله، ثمَّ خُفِّف فقيل: قرْمط.

وفي رواية: وكان هذا الرَّجل قد لقي الخبيثَ صاحبَ الزَّنْج، فقال له: ورائي مئة ألف سيف، فوافِقْني على مذهبي حتَّى أصير إليك بمن معي، وتناظرا فاختلفا ولم يقع بينهما اتِّفاق، فافترقا من غير شيء [وهذا أحد الأقوال في تسمية قُرمط].

والثاني: [أنَّ] أوَّل مَن أظهر لهم هذا المذهبَ رجل يقال له: محمد الورَّاق، يُعرف بالمُقرمِط، من أهل الكوفة، شرَّع لهم شرائع، ورتب لهم ترتيباً، قال: خالف به الإسلام.

والثالث: أنَّ بعض دُعاتهم اكترى دوابَّ [أو بقراً] من رجل يُقال له: قُرمط بن الأشعث، ودعاه إلى مذهبه [فأجابه]، وصار [قرمط] داعيةً في مذهبهم. والقول الأوَّل أصحُّ.

ثمَّ همْ فرق: القرامطة، والباطنية، والخُرَّميَّة، والبابَكية، والمحمِّرة، والسَّبعيَّة، والتعليميَّة.

فأمَّا الباطنيَّة: فادَّعَوا أنَّ لظواهر الآيات والأخبار بواطنُ تجري مجرى اللُّبِّ من القشر، وادَّعوا ذلك لقوله عليه السّلام: «لكلِّ آية بطن وظهر»[1] وكذا قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ﴾[الحديد: ١٣] يعني بين علمائهم والجهَّال، وإنَّ من وقف على علم الباطن سقطت عنه التَّكاليف، واستراح من أعبائها.

وأما الخُرَّمية: فخُرَّم اسمٌ أعجميٌّ معناه: الشيء المُستَلَذّ، وهم أهلُ الإباحة من المجوس الَّذين نبغوا في أيَّام قُباذ، فأباحوا المحظورات، فلُقِّب هؤلاء بهم.

[وقد ذكرناهم في صدر الكتاب].

وأمَّا البابَكية: فهم أصحاب بابَك الخُرَّمي، ولهم ليلة في السَّنة يجتمعون فيها، يختلط النِّساء بالرِّجال، ويتناهبون النساء، فمن وقعت في يده امرأة استحلَّها.

وأمَّا المحمِّرة: فهم قوم يلبسون الثِّياب الحُمر، لهم مذهب يُعرفون به.

وأمَّا السَّبعية: فزعموا أنَّ الكواكب السَّبعة تدبِّر العالم السُّفلي.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده «البحر الزخار» (٢٠٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٥١٤٩) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

وأمَّا التعليمية: فمذهبهم إبطالُ القياس، ولا علم إلَّا ما يُتلقَّى من إمامهم.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زعم [قوم] أنَّ الإسماعيليَّة منهم، وأنَّ قُرمط غلام إسماعيل بن جعفر بن محمد بن محمد الصَّادق أحدث لهم هذه المقالات، وليس كما ذكروا؛ فإنَّ إسماعيل كان يدعو إلى مذهب آبائه وأجداده، ولا يخرج عن الشَّريعة المحمديَّة، ولا يُعرف له غلام اسمه قُرمط، وإنَّما القرامطة مَن ذكرنا يشيرون إلى مذهب الملاحدة مثل زرادشت ومزدك وماني وغيرهم، [ومن ذكرنا في صدر الكتاب] ممَّن أباح المحظورات والأمَّهات والبنات، وشيَّدوا مذهب الفرس والمجوسيَّة، وقالوا بقول الفلاسفة، وجَحدوا النُّبوَّات، وأباحوا الخمورَ والملاهي وغير ذلك.

فأمَّا الإسماعيلية: فينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصَّادق، وأنَّه لايزال منهم إمام معصوم يتلقَّون منه العلوم، ويُظهرون التمسُّك بالإسلام والصَّوم والصَّلاة ونحو ذلك.

ومن مذاهب القرامطة أنَّ محمد بن الحنفية هو المهديّ، وأنَّه جبريل، والمسيح، والدَّابة الَّتي تخرج في آخر الزَّمان، ويزيدون في الأذان: وأنَّ نوحاً رسول الله، وإبراهيم رسول الله، وعيسى رسول الله، ومحمد بن الحنفية رسول الله، وأنَّ القبلة والحج إلى بيت المقدس، ويوم الجمعة والاثنين والخميس يوم استراحة، وأن قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٩] أي: ظاهرها؛ ليعلموا بها عدد السِّنين والحساب والشهور والأيَّام، وباطنها هم أوليائي الذين عرَّفوا عبادي سبيلي، وأنَّ الصَّوم في السَّنة يومان وهما: النَّيروز والمهرجان، وأنَّ النَّبيذ حرام، والخمر حلال، ولا غُسل من الجنابة إلا غسل الذَّكر، وما معنى الاغتسال من المنيِّ دون البول. وكثير من هذه الحماقات والخرافات[١].

ومنهم مَن يتحيَّل على المسلمين بطرق شتَّى، ولا يَنْفق قولُهم إلَّا على الجُهَّال، فتارةً يدخلون على أهل السنة بما يوافقهم، وعلى الشِّيعة بما يوافقهم، ويَخدعون الطَّوائف بكلِّ حيلة، ويتوسَّلون إلى استجلابهم بكلِّ وسيلة، فيقولون للدّاعي: اجعل التشيُّع دينَك عند أهله، فقل: ظُلِم عليٌّ عليه السَّلام وغُصب حقُّه، وقُتل الحسين وسُبي

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٩ـ٢٧ ، و«الكامل» ٧/ ٤٤١ـ٤٤٩ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٧٠ـ٤٧٣ .

أهله، وجرى عليهم ما جرى، وتَنَقَّص أبا بكر وعمر، واذكر ما فعلا، وما فعل بنو أميَّة بأهل البيت، وإن كان سنِّيًا فاعكس الأمر، وإن كان رقيق الدِّين فاذكر له الرَّجعةَ، والمجون، والخلاعةَ، والتَّناسخ، وإن كان زاهداً فاذكر له الزُّهد والتَّقشُّف ونحو ذلك، وعلى هذا المثال يستدرجون الخلائق إلى مذاهبهم بكلِّ طريق، فمن وافقهم سُلب التَّوفيق، [وقد ذكرنا في صدر الكتاب طرفاً من ذلك]، وسنذكر جملةً من مذاهبهم في أماكنها(١).

[فصل وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ].

وفيها غزا يازمان الخادم الصَّائفة، فبلغ حِصناً يقال له: سَلَنْدو، فنصب عليه المجانيق، وأشرف على فتحه، فجاءه حجر من الحصن فقتله، فارتحلوا به وفيه رمق، فمات بالطَّريق من غده في رجب، فحُمل على أكتاف الرِّجال إلى طَرَسوس، فدُفن بها، وكان شجاعاً جواداً(٢).

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن عبيد الله بن المدبّر، الكاتب، أبو الحسن [الذي أسره الزَّنج من الأهواز.

قال الحافظ ابن عساكر:] بعثه المتوكّل سنة إحدى وأربعين ومئتين إلى دمشق، فمسح أراضيها، وأصله من سُرَّ من رأى، وكان أديباً شاعراً، [ولّاه المتوكل خراج جند دمشق والأردنّ.

وذكره الصُّولي فقال: أحمد أسنُّ من أخيه إبراهيم، وأحمد بن المدبر هو الذي إذا امتدحه شاعر فلم يرضه بعث غلمانه معه إلى الجامع، فيلازمونه حتى يصلِّي مئة ركعة فتحاماه الشُّعراء، وقد ذكرناه في ترجمة الجَمَل الشاعر، واسم الجَمَل حسين بن عبد السَّلام].

حُبس أخوه إبراهيم، فكتب إليه من الحبس رُقْعةً يشكو إليه ما هو فيه، فكتب إليه

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢٩٣_٢٩٤ .

(٢) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٢٧ .

أحمد: [من الوافر]

أبـا إسـحـاقَ إن تـكُـنِ الـلَّـيـالـي ... عَطَفْنَ عليك بالخَطْبِ الجَسيم

فلم أرَ صرفَ هذا الدَّهر يَجني ... بمكروه على غير الكريمِ[(١)]

ومن شعر أحمد: [من الوافر]

دنوتَ تواضُعاً وبَعُدْتَ قَدْراً ... فشأناك انخفاضٌ وارتفاعُ

كذاك الشَّمسُ تَبعد أن تُسامى ... ويَدنو الضَّوءُ منها والشُّعاعُ[(٢)]

وقال[(٣)] أبو الحسين الرَّازي: كان أحمد بن المدبّر على دمشقَ وأعمالها لمالك بن طَوْق، فقدم عليه ديكُ الجنّ، فأقام ببابه مدَّة لا يصل إليه، فكتب إليه: [من البسيط]

إنِّي ببابك لا وُدِّي يُقرِّبني ... ولا نَسيبيَ يعلو بي ولا نَسبي

إنِّي امرؤٌ نازلٌ في ذِروَتَيْ شَرَفٍ ... لقَيْصَرٍ ولكِسرى مَحتدي وأبي

ما شِدَّةُ الحِرْصِ من شأني ولا طَلَبي ... ولا المكاسبُ من هَمِّي ولا أَرَبي

لكن طوارقُ تأتيني وحادِثةٌ ... والدَّهرُ يَطرُقُ بالأحداثِ والنُّوَبِ

وليس يَعرفُ لي قَدري ولا أدبي ... إلا امرؤٌ كان ذا قَدْرٍ وذا أَدَبِ

واعلم بأنَّك ما أسْديتَ من حَسَنٍ ... عندي أنا حَسنٌ أنقى من الذَّهبِ

فأحسن إليه[(٤)].

[وفيها توفي]

ديك الجنّ

ذكر أخباره:

[قال أبو الفرج:] واسمه[(٥)] عبد السَّلام بن رَغْبان بن عبد السَّلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم، أبو محمد.

---

(١) ذكر هذين البيتين أبو الفرج في «الأغاني» ٢٢/ ١٧٧ ، وهذا الخبر ليس في (ب).

(٢) ذكر هذين البيتين القالي في «أماليه» ١/ ٤٠ ونسبهما للبحتري.

(٣) من هنا إلى آخر الترجمة ليست في (ب).

(٤) «تاريخ دمشق» ٢/ ١٨٧ـ١٨٩ ، و٤٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨ .

(٥) في (خ، ف): ذكر أخبار ديك الجن واسمه...، والمثبت وما بين معكوفين من (ب).

أسلم جدُّه تميم على يدي حَبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وسمِّي ديك الجنّ لأنَّ عينيه كانتا خضراوتين، وكان قبيح المنظر.

[وكان شاعراً] فصيحاً، عاصر أبا تمَّام، وكان أبو تمَّام يعترف له بالفضل، وهو من شعراء الدَّولة العبَّاسية، وكان يسكن حمص ويتشيَّع وله مَرَاثٍ في الحسين عليه السَّلام(١).

ومن شعره: [من الكامل]

سُكران سكر هوًى وسُكر مُدامةٍ فمتى يُفيق فتًى به سكران

وكان صاحبَ لَهْو، [ولم يذكر الأصفهاني تاريخ وفاته،] وهو الذي قتل غلامَه وجاريتَه.

وقال عليُّ بن عبد الله الأنماطي: كان عبد السَّلام(٢) بن رَغْبان الملقَّب بديك الجنّ شاعراً، أديباً، ذا نعمة حَسَنة، وكان له غلامٌ كالبدر، وجارية كالشَّمس، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزله على غَفلةٍ فرآهما مُتَعانقَين، والجارية تقبِّل الغلام، فشدَّ عليهما فقتلهما، ثمَّ جلس عند رأس الجارية يبكي ويقول: [من الكامل]

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليها وجنى لها ثَمَرَ الرَّدى بيدَيْها
روَّيتُ من دمها الثَّرى ولطالما روَّى الهوى شَفَتيَّ من شَفتيها
فأَجَلْتُ سَيفي في مَجال خِناقها ومَدامعي تجري على خدَّيْها
فوَحَقِّ عينيها وما وَطِئ الثَّرى شيءٌ أعزُّ عليَّ من عَينيها
ما كان قَتْليها لأنِّي لم أكن أبكي إذا سقط الغُبارُ عليها
لكن بَخِلْتُ على سِواي بحُسْنها وأنِفْتُ من نظر الغلام إليها

ثم جلس عند رأس الغلام فقال: [من الكامل]

قمرٌ أنا استخرجتُه من خِدْره بمَودَّتي وجَزيتُه من غَدْرهِ
فقتلتُه وله عليَّ كرامةٌ مِلْءُ الحشا وله الفؤادُ بأَسْرهِ

---

(١) «الأغاني» ١٤/ ٥١.

(٢) في (ب): وذكر القصة الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣١٢) فقال بإسناده عن جماعة من شيوخ حمص قالوا: كان عبد السلام، والمثبت من (خ) و(ف).

عَهْدي به مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ والدَّمعُ يَنْحرُ مُقلَتي في نَحْرِهِ
غُصَصٌ تكاد تَفيضُ منها نَفْسُه ويكاد يَخرجُ قَلبُه من صَدْرِهِ[١]

أبو أحمد طلحة

وقيل: محمد بن جعفر المتوكِّل، الملقَّب بالموفَّق، ولقِّب بعد قتل الزَّنجي بالنَّاصر لدين الله، فكان يُخطب له على المنابر بلقَبَين، فيقال: اللَّهمَّ وأصلح الأمير النَّاصر لدينك أبا أحمد الموفَّق بالله، وليَّ عهد المسلمين، أخا أمير المؤمنين. وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: إسحاق.

كان من أَجَلِّ الملوك رأياً، وأَسْمَحِهم نَفْساً، وأحسنهم تدبيراً، عزيزَ العقل، جواداً، سَمْحاً، وكان أخوه المعتمد قد جعله وليَّ عهده بعد ابنه جعفر المفوَّض، فمات الموفَّق قبل المعتمد وقبل جعفر، ولمَّا مات الموفَّق بايع المعتمد لأبي العبَّاس بعد جعفر، ولقبه المعتضد.

وقال أبو عبد الله الألوسي[٢]: لمَّا صار جيش الدَّعيِّ الخبيث بالبصرة وجاء إلى النُّعمانية طُرحت في دار الموفَّق رقعة، فقرأها وفيها: [من الوافر]

أرى ناراً تأجَّجُ من بعيدٍ لها في كلِّ ناحيةٍ شُعاعُ
وقد نامتْ بنو العبَّاس عنها فأضحتْ وهي غافِلةٌ رَتاعُ
كما نامت أميَّةُ ثم هبَّتْ لتدفعَ حين ليس لها دِفاعُ

فأمر الموفَّق من ساعته بالرَّحيل إلى قتال الزَّنج.

ومراد الشَّاعر قولُ نَصْر بن سَيَّار:

أرى تحت الرَّمادِ وَمِيْضَ جَمْرٍ[٣]

---

(١) «الأغاني» ١٤/ ٥٧، و«تاريخ دمشق» ٤٢/ ٢٤٢، و«وفيات الأعيان» ٣/ ١٨٦، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ٨٦٦-٨٦٧ وذكره في وفيات سنة (٢٣٥) أو (٢٣٦).

(٢) في (خ) و(ف): الأموسي. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦١/ ٢٢٦، وينظر ما سلف في «تاريخ بغداد» ٢/ ٤٩٣-٤٩٥.

(٣) عجزه: وأخلَقَ أن يكون له ضِرام، انظر «أنساب الأشراف» ٣/ ١٤٩، و«الأغاني» ٧/ ٥٦، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ٢٢٦.

ولد الموفَّق يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأوَّل، سنة تسع وعشرين ومئتين، وقتل الزَّنجي وفعل ما فعل، وكان يقول: بلغني عن جدِّي عبد الله بن عبَّاس أنَّه كان يقول: إنَّ الذُّباب لَيقع على جليسي فيَغُمُّني ذلك، وهذا نهاية الكرم، وأنا والله أرى جُلسائي بالعين الَّتي أرى بها نفسي وإخواني وأهلي.

وقال يوماً: صدق المأمون حيث يقول: الفَلَك أدَقُّ من أن يَبقى على حال، فاغتنموا أوقات السُّرور، واعتقدوا المِنَن في أرقاب الرِّجال، واتَّخِذوا لأعقابكم الصَّنائع، فإنَّ المُقام في الدُّنيا لُمَعٌ، ولا يدوم الدَّهر على حال.

ذكر وفاته:

كان الموفَّق قد حبس ابنَه أبا العبَّاس عند إسماعيل بن بُلبل، فضيَّق عليه، فلمَّا ورد الموفَّق بغداد، واشتدَّ مَرضُه، وأُرْجِف بموته، ويئس منه إسماعيل، وجَّه إلى بكتمر التُّركي ـ وكان موكَّلاً بالمعتمد[1] وابنِه جعفر بالمدائن ـ أن يُحضِرهما إلى بغداد، فأصعد بهما، وأنزلهما ابنُ بلبل في داره، فأقاما يوماً، فقيل لابن بُلْبل: قد أفاق الموفَّق من غَشْيته، فانحدر ومعه المعتمد وابنه جعفر المفوّض إلى دار الموفّق، وقال المعتمد: أريد أن أَنْصُرَ أخي.

ومضى صافي الحُرَميُّ ومؤنس ويانس خدم الموفَّق فأخرجوا أبا العبَّاس، وأتَوْا به إلى دار الموفَّق، فقرَّبه أبوه وأدناه، وخلع عليه وعلى إسماعيل، وكان قد ضيَّق إسماعيل على أبي العبَّاس، وعلمت العامَّةُ ذلك، وكانوا يخافون عليه من إسماعيل، فنَهبت العامَّة دار إسماعيل، فخرج أهلُه وولده حُفاةً عُراةً، وطلب إسماعيل حَصيراً يجلس عليه فلم يجد، فاستُعير له حَصير من بعض دور الجيران.

وفي يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر توفِّي الموفَّق، ودُفن ليلة الخميس في الرُّصافة عند قبر أمِّه، وصلَّى عليه ابنُه أبو العبَّاس، وكانت وفاته بالقصر الحَسَني، وله تسع وأربعون سنة إلَّا أياماً[2].

---

(١) في مروج الذهب ٨/ ١٠٦ : وكان موكلاً بالمعتضد بالمدائن...

(٢) في (ب): فكانت وفاته بالثغر الحسيني وله سبع وأربعون سنة إلا أياماً.

قال عبد الله بن المعتز: لمَّا مات الموفّق كتب إليّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يعزِّيني فيه، وقال: إنَّما أُعزِّيك بالمنصور الثاني، لا أعرف في ولده أشبهَ به منه[(١)].

وبايع النَّاسُ والقوَّادُ والغِلمانُ لأبي العبَّاس بولاية العهد بعد جعفر المفوّض، ولُقِّب المعتضد بالله، وخُطب يوم الجمعة للمعتمد، ثمَّ للمفوَّض جعفر، ثم لأبي العباس[(٢)]، وذلك لسبعِ ليالٍ بَقين من صفر.

وفي يوم الاثنين لأربعٍ بقين منه قبض أبو العبَّاس على إسماعيل بن بُلبل، وعذَّبه بأنواع العذاب، وجعل في عُنُقه غُلًّا فيه رُمَّانةُ حديد، وزنُها مئة رطلٍ وعشرون رطلاً، وألبسه جُبَّة صوف وقد صيِّرت في دهن الأكارع، وعلَّق في عنقه رأسَ كَلْبٍ مَيت، ثمَّ مات، فدفن بقيوده وغلّه وجُبَّته.

واستكتب أبو العبَّاس عبيد الله بن سليمان بن وهب لثلاثٍ بقين من صفر يوم الثلاثاء، وولَّاه الوزارة، وقيل: إنَّ إسماعيل [بن بلبل] مات في سنة تسع وسبعين ومئتين بعد موت المعتمد، وتمكُّن المعتضد من الخلافة[(٣)].

وقال عبد الله بن أحمد بن حَمدون: حدَّثني المعتضد بالله وهو خليفة قال: لما ضرَّب إسماعيل بن بُلبل بيني وبين أبي الموفَّق، وأوحشه منِّي حتَّى حبسني الحَبْسَةَ المشهورة، كنتُ أتخوَّف القتلَ صباحاً ومساءً، وأن يَرميَني إسماعيلُ عنده بما يكون سبباً لقتلي، واتَّفق خروج أبي إلى الجَبل، فازداد خَوفي، وأشفَقْتُ أن يُكاتبه إسماعيل عنِّي بكَذبٍ يجعل غَيبتَه طريقاً إلى تَلَفي، وكنتُ محبوساً عنده، فأقبلت على الدُّعاء والتضرُّع إلى الله تعالى.

وكان إسماعيل يأتي كلّ يوم، ويريني أنَّ ذلك خدمة لي، فدخل عليَّ يوماً والمصحف في يدي وأنا أقرأ فيه فقال: أيُّها الأمير، أعطني هذا المصحف لأتفاءل لك، فلم أُجِبْه، فمدَّ يده فأخذه، فأول ما فتح خرج: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٩] فاسودَّ وجهُه، ثمَّ فتح

(١) «المنتظم» ١٢/ ٣٠٤.

(٢) في النسخ: ثم للمفوض جعفر ولقب المعتضد بالله، وهذه العبارة الأخيرة مكررة لانتقال النظر، والله أعلم، والمثبت من «الكامل» ٧/ ٤٤٤.

(٣) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٢٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥١٨_٥١٩. ومن هنا إلى آخر السنة ليست في (ب).

ثانياً فخرج: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٥] فاربَدَّ وَجْهُه، ثم فتح ثالثاً فخرج: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٥٥] فوضع المصحف وقال: أيُّها الأمير، أنت والله الخليفة بغير شكٍّ، فما حَقُّ بِشارتي؟ فقلت: اللهَ اللهَ في دمي، وأسأل الله أن يُبقي أمير المؤمنين والأمير الموفَّق، وما لنا وهذا؟ وجعل يحلف بالأيمان أنَّه لم يكن منه إليَّ مكروه، فصدَّقتُه ولاطفتُه؛ خوفاً من أن تزيد وحشتُه فيسرع في تدبير أمري، حتَّى سكن، وجاء الموفَّق من الجبل مريضاً، وجاؤوا فأخرجوني من الحبس، ووُلِّيت الخلافة ومكَّنني الله من ابن بلبل، فأنفذتُ الحكمَ فيه[١].

وقال أحمد بن حَمْدون: حدَّثني المعتضد قال: لمَّا قدم أبي من الجبل وهو عَليل عِلَّتَه الَّتي مات فيها وأنا في حبسه، اشتدَّ خوفي، ولم أشكَّ أنَّ إسماعيل يَحمله على قتلي، أو يحتال بحيلةٍ يَسفك فيها دمي إذا وجد أبي قد ثقل ويئس منه، فصلَّيتُ في اللَّيل صلاةً كثيرة، ودعوتُ دعاءً عظيماً، وتضرَّعت إلى الله تعالى، ونمتُ، فرأيتُ في منامي كأنِّي على شاطئ دجلة، وهناك رجل يمدُّ يده إلى مائها فيصير في يده، ثمَّ يردُّه فيعود إلى دجلة، فعل ذلك مراراً، فدنوتُ منه، وسلَّمتُ عليه، وقلتُ: من أنتَ يا عبد الله الصالح؟ فقال: أنا عليُّ بن أبي طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين، ادعُ الله لي، فقال: إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فاعتَصِمْ بالله، واحفظْني في ولدي، قال: فانتبهتُ مَرعوباً، وكتبتُ: فلان الوزير، وفلان الأمير، وكتبتُ ما أعتمده إذا وليتُ الخلافة، ودفعتُ الرُّقعة إلى غلامٍ كان معي في الحبس، ولَحِقَتِ الموفَّقَ غَشْيةٌ، وإذا بأقفال البيت الذي أنا فيه تُكْسَرُ، فأيقنتُ بالهلاك، واستقبلتُ القبلة، وجرَّدت سيفي بين يدي وقلت: أموتُ كريماً، وإذا بخدم أبي وغلماني قد دخلوا عليَّ، فزال خوفي، ورميتُ السَّيف من يدي، فأخرجوني وأدخلوني على أبي، فأخذت يده وجعلتُ أقبِّلها، ففتح عينيه فرآني، فرقَّ لي، وأشار إلى الخدم أن قد أحسنتُم فيما فعلتُم، ثمَّ مات من ليلته، فلمَّا وليتُ الخلافة عملتُ بما في الورقة.

قال أحمد بن حمدون: فما عرض المعتضد في أيَّامه للعلويِّين، ولا آذى منهم أحداً، وأحسن إليهم ووصلهم[٢].

---

(١) «الفرج بعد الشدَّة» ١/ ١٨٢ـ١٨٥.

(٢) «الفرج بعد الشدَّة» ٢/ ٢١٠ـ٢١٢، وينظر «مروج الذهب» ٨/ ٢٠٥ـ٢٠٦.

السَّنة التَّاسعة والسَّبعون بعد المئتين

فيها لثمانٍ بقين من المحرَّم خُلع جعفر المفوّض من العهد من بعد المعتمد، وبويع المعتضد [بالله] بأنَّه وليُّ العهد بعد المعتمد، وخُطب يوم الجمعة على المنابر بذلك، وأنشئت الكتب عن المعتضد إلى الآفاق، وأنَّه قد فُوِّض إليه ما كان إلى الموفَّق أبيه من الأمر والنَّهي، والولاية والعزل، وأمر المعتضد أن لا يَقعد على الطَّريق ببغداد ولا في المسجد الجامع قاصٌّ، ولا صاحبُ نجوم وزجر، وحُلِّف الورَّاقون لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل ونحو ذلك، وحمل المعتضد إلى المعتمد مئتي ألف درهم، وثياباً وطِيباً، وإلى ابنه المفوَّض مئة ألف درهم وثياباً وطيباً، فطابت نفوسهما. [وهذا يدلُّ على أنَّ المعتمد كان محجوراً عليه، وأنَّ أخاه الموفَّق فعل به ذلك].

وفيها توفِّي المعتمد وولي المعتضد [بالله][١].

الباب السَّادس عشر في خلافة المُعْتَضِد بالله

واسمه أحمد بن طلحة بنِ المتوكِّل، [وكنيته] أبو العبَّاس، [وقال الصُّولي:] وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: خزر [وقال الخطيب[٢]: اسمها] ضرار، وقيل: خفير، توفِّيت قبل خلافته بيسير، وكانت وَصيفةً لخديجة بنت محمد بن إبراهيم بن مصعب، فاشتراها بعض القوَّاد، فأهداها إلى المتوكِّل، فوهبها لجاريته [واسمها:] إسحاق أمّ الموفّق، فوهبتها [إسحاقُ] لابنها الموفَّق، فحملت بأبي العبَّاس.

ولد بسُرَّ من رأى في سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومئتين.

[ذكر صفته:]

كان أسمر، نحيفَ البدن، مُعْتَدِلَ الخَلْق، قد وَخَطَه الشَّيب في مقدَّم لحيته، وكان في رأسه شامةٌ بيضاء، وكان يَخضِبُ بالسَّواد، [وكان] نقشُ خاتَمه: أحمد يؤمن بالله الواحد.

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٢٨-٢٩ ، و«الكامل» ٧/ ٤٥٢-٤٥٥ .

(٢) في «تاريخه» ٦/ ٧٩ . وما بين معكوفين من (ب).

[قال ابن أبي الدنيا:] وبويع بالخلافة صبيحةَ يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب حين مات المعتمد، وهو ابن سبعٍ أو ستٍّ وثلاثين سنة، فولَّى بدراً غلامَه الشُّرطةَ، وعبيدَ الله بن سليمان الوزارة، ومحمدَ بن الشَّاة الحرس، وحُجُبه الخاصَّة والعامَّة صالحاً المعروف بالأمين، فاستخلف صالح جعفراً السَّمرقندي، وسكنت الفتن، وصَلحت الدُّنيا، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار، ومال إليه كلُّ مخالف، ودانت له الأمور، وتهيَّأت له الأسباب، وانفتح له الشَّرقُ والغرب، وأسقط المُكوس من البلاد، ورفع المَظالم، وسار في النَّاس أحسنَ سيرة.

وكان يُعدُّ من رجالات بني العبَّاس، وكان أمرُ الخلافة قد ضعف، وبيوت الأموال قد فَرغت، فدبَّر وساس الملك حتَّى استقامت أمور الخلافة، وامتلأت بيوت الأموال، فقال عبد الله بن المعتزّ: [من المديد]

يا أمير المؤمنين المرجَّى ... قد أقرَّ الله فيك العُيُونا
ودعينا لك ببيعة حقٍّ[1] ... فسَعَينا نحوها مُسرعينا
بنفوسٍ أمَّلتْك زماناً ... سبقتْ أيديَنا[2] طائعينا
أنت أقْرَرْتَ حَشا كلِّ نفسٍ ... وفرشْتَ الأمنَ في الخائفينا

[وذكره الصُّولي في كتاب «الأوراق» قال:] وكان يسمَّى السَّفَّاح الثاني؛ لأنَّه جدَّد مُلك بني العبَّاس بعد إخلاقه، وفي ذلك يقول عليُّ بن العبَّاس الرُّوميّ[3]: [من الطويل]

هنيئاً بني العبَاس أنَّ إمامَكم ... إمامُ الهدى والبأسِ والجودِ أحمدُ
كما بأبي العباس أُنشئ مُلككُم ... كذا بأبي العبَّاس أيضاً يُجدَّدُ

وكان يقتل الأسد وحده لشجاعته.

[وقال المسعوديُّ في «مروج الذهب»[4]: ومع هذا] كان شَحيحاً، ينظر فيما لا ينظر فيه أقلُّ النَّاس، وكان إذا غضب على قائد عذَّبه بأنواع العذاب [وسنذكره في ترجمته].

---

(١) في (خ) و(ف): ودعينا أباك بيعة حق. والمثبت من الديوان ٣٨٠.

(٢) في (خ) و(ف): أيدٍ لنا. والمثبت من الديوان، و«المنتظم» ١٢/ ٣٠٧.

(٣) ديوانه ٢/ ٦٦٠.

(٤) ٨/ ١١٤-١١٥.

وبدرٌ الذي ولَّاه الشُّرطة كان أبوه خيراً من موالي الموفَّق، وكان بدر يخدم الموفَّق ويحمل له العبَّاسية، فنقلتْه السَّعادة إلى أن صار عبارةً عن المعتضد.

ثمَّ بنى المعتضد قصرَه المعروف بالثُّريَّا وهو دار الخلافة، وفيه التَّاج، وكان قصر الحسن بن سهل [فجعله] المعتضد [دار الخلافة، وهو] أوَّل من سكنه من الخلفاء، وغَرِم على عمارته أربع مئة ألف دينار، وقيل: إنَّما جدَّده في السَّنة الآتية، وإنَّ قصر الثُّريا غيرُه.

وفيها قدمت عليه الهدايا، وأطاعه الخوارج، فقدم عليه في شعبان رسولُ عمرو بن اللَّيث الصَّفَّار بهدايا، وسأله ولايته على خراسان، فأجابه، فبعث إليه المعتضد بالعهد والخِلَع واللِّواء مع عيسى النُّوشري، فوصل إليه في رمضان.

وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجَصَّاص رسولاً من خمارويه [بن أحمد بن طولون إلى المعتضد] بهدية من الذَّهب العين: عشرين حِملاً على بغال، وخدم وصناديقَ وخيول بأطواق الذَّهب والفضَّة، وجواهر وبغال سروجيَّة، وزرافة، وذلك في شوال، فوصل إلى المعتضد وخلع عليه، وسَفَر ابنُ الجصَّاص في تزويج ابنة خُمارويه من عليِّ بن المعتضد وهو المكتفي، فقال المعتضد: إنَّما قصد أبو الجيش أن يتشرَّف بنا، ونحن نَزيده شَرَفاً، أنا أتزوَّجها، فتزوَّجها، وولي أمرها ابن الجصَّاص.

[فصل:] وفيها فتح أحمد بن عيسى بن الشَّيخ قَلْعة ماردين، وكانت بيد محمد بن إسحاق بن كُنداج.

وفيها صلَّى المعتضد بالنَّاس صلاة الأضحى قريباً من القصر الحسنيِّ، فكبَّر في الأولى ستَّ تكبيرات، وفي الثَّانية واحدة، ولم يُسمَع منه خطبة.

وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ، وهي آخر حجَّة حجَّها بالنَّاس، وكان [هارون] قد حجَّ بهم ستَّ عشرة حجَّة، أوَّلها [من] سنة أربع وستين ومئتين إلى هذه السَّنة[١].

وفيها توفي

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٣٠-٣١، و«الكامل» ٧/ ٤٥٣-٤٦٠.

المُعْتَمِد على الله

[واسمه] أحمد بن جعفر المتوكِّل، [وكنيته] أبو العبَّاس.

كان له أشعار حسنة منها: [من مجزوء الرمل]

طـال والله عَـذابـي واهـتـمـامـي واكـتـئـابـي
بـغَـزالٍ مـن بـنـي الأصـ ـفَـر لا يَـعـنـيـه مـا بـي
أنـا مُـغـرًى بـهـواه وهـو مـغـرًى بـاجـتـنـابـي
فـإذا مـا قـلـتُ صِـلْـنـي كـان لا مـنـه جـوابـي

وله: [من مجزوء الرمل]

عـجَّـل الـحـبُّ بـفُـرْقـه فـبـقـلـبـي مـنـه حُـرقـه
مـالـكٌ بـالـحـبِّ رقِّـي وأنـا أمـلـك رِقَّـه
إنَّـمـا يـسـتـروح الـصَّـبُّ إذا أظـهـر عِـشـقَـه[(١)]

بويع المعتمد يوم الثلاثاء لأربع عشرةَ ليلةً بقيت من رجب، سنة ستٍّ وخمسين ومئتين.

ذكر وفاته:

[حكى الصُّولي عن القاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي قال:] جلس [المعتمد] في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب بالقصر [المعروف بـ] الحَسَني على المُسَنَّاة المُشرِفة على دجلة مع المغنِّين والنُّدماء، وأكل في ذلك اليوم رؤوس الجِداء، وأصبح مُضْطَبِحاً، ثم اشتكى ليلة الاثنين ومات فيها.

[وقال المسعودي:][(٢)] إنَّه سُمَّ في رؤوس الحُملان، ومات معه كلُّ من أكل منها.

وقيل: إنَّه نام فغُمَّ في بساطٍ لُفَّ فيه رأسه فأصبح ميتاً.

وقيل: إنه سُمَّ في كأسه، فدخل عليه القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حمَّاد ومعه شهود، فلم يروا به أثراً، وذلك بأمر المعتضد، فغُسِّل وكُفِّن، وجُعل في تابوت قد أُعدَّ له،

---

(١) «المنتظم» ١٢/ ١٠٣.

(٢) في «مروج الذهب» ٨/ ١١٠، وما بين معكوفين من (ب).

وحُمل إلى سُرَّ من رأى فدفن بها وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة، وقيل: ابن خمسين سنة.

كان أسنَّ من الموفَّق بستَّة أشهر، وعاش بعده سنة وأربعة أشهر، وكانت خلافتُه ثلاثة وعشرين سنة وشهوراً.

[وقال جدّي في «التلقيح»[1]: مات ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين فجاءة ببغداد، وحمل إلى سُرَّ من رأى، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستَّة أشهر]. وقيل: وستة أيَّام، وقيل: ويوماً واحداً.

وكان له من الولد جعفر المفوّض، ومحمد، وإسحاق، ووَزر له عُبيد الله بن يحيى ابن خاقان، وسليمان بن وهب، ثمَّ صاعد بن مخلد، ثمَّ إسماعيل بن بُلبل، وقاضيه الحسن بن أبي الشَّوارب، وحاجبه موسى بن بغا.

وقال الخطيب[2]: توفِّي في صفر سنة ثمانٍ وسبعين ومئتين، وهو وهم.

وكانت عَريب جاريةَ المعتمد قد أعطاها أموالاً كثيرة، ولها فيه مدائحُ منها: [من الخفيف]

بــارك الله لــلإمــام أبــي الــعــبَّـــ ... ـاس عـنـد[3] الأنـام فـي الـمـعـشـوقِ
وأراه فـــيـــه الـــسُّـــرورَ ومـــلَّاه ... طـــويـــلَ لـــذيـــذِ عـــيـــشٍ رقـــيـــقِ
يـا شـبـيـهَ الـبـدرِ الـمـنـيـرِ كـمـالاً ... وابـن عـمِّ الـهـادي الـنـبـيِّ الـصَّـدوقِ
فـيـم يـا سـيِّـدي ومـولاي أَشْـمَـتَّ ... عـدوِّي وسُـؤْتـنـي فـي صـديـقـي

وكان المعتمد مشغولاً باللَّذَّات عن أمر الرَّعيَّة، فاستولى عليه أخوه الموفَّق وحجر عليه، واستصحب المعتضد الحال.

قال المصنِّف رحمه الله[4]: أسند المعتمد الحديث، فقال إسماعيل بن عبد الله العسكري: كنَّا عند أمير المؤمنين بسُرَّ من رأى في رمضان، فلمَّا أمسينا دعا بتمرٍ فأفطر

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٩١.

(٢) ترجمته في «تاريخ بغداد» ٥/ ٩٨-٩٩، ولم نقف على قوله فيه، وهذا القول ذكره ابن منظور في مختصر «تاريخ دمشق» ٣/ ٣٥.

(٣) في الإماء الشواعر ص ١١١: غيث. والبيت الثاني ليس فيه.

(٤) هذه الأخبار الآتية ذكرها ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ١٠٤.

عليه على تمرة، ثمَّ ناول من حضر تمرةً تمرة، ثمَّ قال: حدَّثني أبي، حدَّثني أحمد بن حنبل، عن عبد الرَّزَّاق، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يفطر قبل أن يصلِّي على رُطَبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد تمراتٍ حَسَا حَسَوات من ماء[١].

ثمَّ قال: سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن حَنْبل يقول: حدَّثنا عبد الرزَّاق، عن معمر، عن وَهْب بن مُنَبِّه قال: إنَّ الصَّائم يَزيغ بصرُه، فإذا أفطر على الحلاوة رجع إليه بصَرُه.

قال أحمد بن يزيد المُهَلَّبي: كنَّا ليلةً بين يدي المعتمد، وكان [مع سماحة[٢] أخلاقه وكثرة جوده] كثيرَ العَرْبَدة على نُدمائه إذا سكر، فاشتهى أن يصطبح على أُترجّ، فاتَّخذ منه شيئاً كثيراً مُفرِطاً، فاصطبح عليه، ولم يدع شيئاً من الخِلَع والصّلات إلَّا وعمله مع نُدمائه ذلك اليوم، وخصَّني منه بالكثير، وكان كثيرَ الشُّرب، وكانت عَلامتُه إذا أراد أن ينهض جلساؤه التفت إلى سرير لطيف، ويُسبِل رجليه عليه كأنَّه يريد أن يَصعده، فنقوم.

فلمَّا قام ذلك اليوم مدَّ رجله إلى السرير في أوَّل اللَّيل، فانصرفتُ إلى حُجرةٍ كانت مرسومةً لي، فلمَّا انتصف الليل دعاني بخادم، فأتيتُ مُسرعاً، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت: مضى يومُنا على نهاية السُّرور، وسَلِمنا من عَربدته، فقد عنَّ له أن يُعَرْبد عليَّ، فقد استدعاني في هذا الوقت.

فأتيتُه وأنا في نهاية الجَزَع، فلمَّا رآني لم يستَجْلِسْني، وقال لخادمه: عليَّ بصاحب الشُّرطة، فقلتُ في نفسي: لم تَجْرِ عادته في العَرْبَدة بصاحب الشرطة، وما هذا إلَّا لبليَّةٍ احتيل بها عليَّ عنده.

فأقبلتُ أنظر إليه طَمعاً أن يُفاتحني بكَلمةٍ، فأرفق به في الجواب، وهو لا يرفع رأسه من الأرض، إلى أن جاء صاحب الشرطة، فرفع رأسه إليه وقال: في حبسك رجل يُعرف بمنصور الجمَّال؟ قال: نعم، قال: أحضِرْنيه الساعة، فمضى ليحضره، وسَهل

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٧٦)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦).

(٢) في (ب): وحكى القاضي التنوخي بإسناده: كان المعتمد مع سماحة، والمثبت من (خ). والخبر في «الفرج بعد الشدة» ٢/ ٢٤٣.

عليَّ الأمر قليلاً، ووقفت وهو لا يخاطبني بشيء إلى أن أحضر الرجل، فقال له: من أنت؟ قال: أنا منصور الجمَّال، قال: وما قصَّتك؟ قال: أنا مظلوم، حُبست منذ كذا وكذا، وأنا رجل من أهل الجبل كان لي جمال، وكنتُ أعيش من فضل أُجرتها، وكان يتقلَّد بلدَنا فلان العامل، فاستدعى بي إلى الحَضْرة، فأخذ جمالي غَصْباً يستعين بها في حمل سَواده، فتظلَّمت إليه فقال: إذا صرتَ بالحَضْرة رددتُها إليك.

فخرجتُ معه، فلمَّا بلغنا من حُلوان سلَّ الأكرادُ منها جملاً محمّلاً، فبلغه الخبر، فأحضرني وقال: أنت سرقتَ الجمل بما عليه.

ثم أمر بضَربي وتقييدي، فلمَّا ورد الحضرة أنفذني إلى الحبس، وأخذ الجمال، ولم يكن لي متظلِّم، وطالت بي المحنة إلى الآن، فقال لبعض الخدم: امض السَّاعة إلى فلان العامل، فاقعد على دماغه ولا تبرح، أو يردّ عليه جماله أو قيمتها على ما يريد، فإذا قبض ذلك فاحمله إلى الخزانة، واكسه كسوةً حسنة، وادفع إليه كذا وكذا ديناراً، واصرفه مصاحباً.

ثمَّ قال لصاحب الشُّرطة: في حبسك رجل يُعرف بفلان الحدَّاد؟ قال: نعم، قال: أحضرنيه السَّاعة، فأحضره، فقال: ما قصَّتك؟ فقال: أنا رجل من أهل الشَّام، وكانت لي نعمةٌ فزالت، فهربتُ من بلدي، فوافيتُ الحَضْرَةَ طالباً للتصرُّف، فتعذَّر عليَّ حتى كدتُ أتلَفُ جَزَعاً، فأُرشدتُ إلى حدَّاد يعمل ليلاً، فقصدتُه، فاستأجَرني بدرهم كلَّ ليلة، وكان معه غلامٌ آخر يضرب بالمِطْرَقة، فأفسد ذلك الغلامُ على الحدَّاد نعلاً كان يضربها، فرماه بالنَّعل الحديد، فوقعت على قُلَّته[١]، فتَلِف للوقت فهرب الحدَّاد، وبقيت أنا في الموضع متحيِّراً.

وأحسَّ الحارس بما رابه، فهجم عليَّ، فوجدني قائماً والغلام ميتاً، فلم يشكَّ أنِّي أنا القاتل، فقبض عليَّ ورفعني، فحُبِستُ إلى الآن.

فقال لصاحب الشُّرطة: خلِّ عنه، وقال لخادم آخر: خذه فغيِّر عليه حالَه فاكسه، وادفع إليه خمس مئة دينار، ودعه ينصرف مُصاحَباً.

---

(١) قُلَّة كلِّ شيء رأسه. «اللسان» (قلل).

ثمَّ رفع رأسه إليَّ وقال: الحمد لله الذي وفَّقني لهذا الفعل، فقلت: كيف تكلَّف أمير المؤمنين النَّظر في هذا بنفسه في مثل هذا الوقت؟! فقال: ويحك، إنِّي رأيتُ في منامي رجلاً يقول: في حبسك رجلان مظلومان، منصور الجمَّال، وفلان الحدَّاد، فأَطْلِقْهما السَّاعة وأحسِنْ إليهما، فانتبهتُ مَذعوراً، ثمَّ نمت، فرأيت ذلك الشَّخص بعينه يقول لي: ويلك آمُرُك أن تُطلق رجلَين مظلومَين في حبسك فلا تفعل، وترجع تنام؟ فقلتُ له: يا هذا، مَن أنت؟ فقال: أنا محمد رسول الله، فقبَّلت يده وقلت: يا رسول الله ما عرفتُك، ولو عرفتُك ما جَسَرتُ على تأخير أمرك، قال: قم فاعمل في أمرهما ما أمرتُك به، فانتبهتُ، فاستدعيتُك لتَشهدَ ما يجري.

فقلت: هذه عنايةٌ من رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين، واهتمامٌ بما يُصلح دينَه، ويثبِّتُ ملكَه، فالمنَّة لله ولرسوله، فقال: امض فقد أزعجناك.

فعدتُ إلى حُجرتي، فلمَّا كان من الغد دخلتُ عليه وهو جالس للرَّسم، فأحببت أن أعرِّف الجلساء ما جرى البارحة ليزهو بذلك، وكنتُ أعرفُ من طَبعه أنَّه يُحبُّ الإطراءَ والمَدْح، فقلت: أرى أمير المؤمنين ليس يخبر خدمه بما كان من المعجز البارحة، وعناية رسول الله ﷺ بخلافته، فقال: وما ذاك؟ فقلت: إحضاري البارحة، وإحضار صاحب الشُّرطة والجمَّال والحدَّاد، ورؤياه النبيّ ﷺ، وما أمره فيهما، والإحسان إليهما، وإطلاقهما، فقال: والله ما أذكرُ من هذا شيئاً، وما كنت إلَّا سكران، نائماً طولَ ليلتي، فقلتُ: بلى يا سيِّدي، فتنكَّر، وقال: قد صرتَ تُغالطني وتُخادعني بالكذب؟ فقلت: أعيذ أمير المؤمنين بالله، هذا أمر مشهور في الدَّار عند الخدم، وصاحب الشرطة نفسه، وقصصتُ عليه القصَّة، وشرحتُها له.

فاستدعى الخدم، فتحدَّثوا بمثل ما ذكرتُه، فأظهر تعجُّباً شديداً، وحلفَ بالبراءة من رسول الله ﷺ، وبالله العظيم، وبالنَّفي من العبَّاس أنَّه ما يذكر شيئاً من ذلك، ولا يعلم إلَّا أنَّه كان نائماً، ولا رأى مناماً، ولا انتبه، ولا جلس، ولا استدعى أحداً، ولا أمر بأمر، فما رأيتُ أعجبَ من هذا المنام، ولا أظرف من هذا الاتِّفاق في كتابة ذلك.

أحمد بن أبي خَيْثَمة زُهير

ابن حرب بن شدَّاد، النَّسائيُّ الأصل.

كان عالماً، حافظاً، ذا فنون، بَصيراً بأيام النَّاس، راويةً للآداب.

أخذ علم الحديث عن الإمام أحمد بن حنبل، وابنِ معين، وعلمَ النَّسب عن مُصعب الزُّبَيري، وأيَّام النَّاس عن أبي الحسن المدائني، والآداب عن محمد بن سلَّام الجُمَحي، وصنَّف «التَّاريخ» الذي أحسن تصنيفَه، وأكثر فوائدَه.

وكانت وفاته في جمادى الأولى وقد بلغ أربعاً وتسعين سنة.

سمع عفَّان بنَ مسلم وغيرَه، وروى عنه البغويُّ، وابنُ صاعد، وابنُ المنادي، وغيرهم، وأجمعوا على دينه، وصدقه، وثقته.

ومن شعره: [من البسيط]

مَن كان لم يرَ من هذا الهوى أَثَراً ... فلْيَلْقَني فيرى آثارَ بَلواه
متيَّمٌ شَفَّه بالحُبِّ مالِكُهُ ... ولو يشاء الذي أدْواه داواه[1]

[فصل وفيها تُوفِّي]

أحمد بن عبد الرَّحمن

ابن مَرْزوق، أبو عبد الله، البُزْروي، البغدادي، ويعرف بابن أبي عَوْف.

[قال الخطيب:][2] وإليه يُنسب شارع ابن أبي عوف ببغداد، المسلوك فيه إلى نهر القلّائين.

ولد أحمد سنة أربع عشرة ومئتين، وطلب الحديث، وسمع الكثير، وكان ثقة، نبيلاً، رَفيعاً، جَليلاً، له منزلة من السُّلطان، ومودَّة في قلوب العوامِّ، وحالٌ من الدُّنيا واسعة، وطريقة في الخير مَحمودة.

وهو الذي سأل الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه عن بيع النَّرْجِس ممَّن يشرب

---

(١) «تاريخ بغداد» ٥/ ٢٦٥-٢٦٧ والأبيات المذكورة فيه، و«المنتظم» ١٢/ ٣٢٨، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٨١. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٢) في «تاريخه» ٥/ ٤٠٦.

المُسْكر، فقال: لا يعجبني.

[وقد أثنى عليه] إبراهيم الحربيُّ وقال: ابن أبي عوف أحد عجائب الدُّنيا، عفيفُ اللِّسان والفرج واليد.

وكان له اختصاص بعبيد الله بن سليمان الوزير، [وقد ذكر الخطيب[١] السَّبب بكلام طويل اختصرته عن ابن أبي عوف حاصله: أنَّ] ابن أبي عوف قال: كان سبب اختصاصي بعبيد الله [بن سليمان الوزير] أنِّي اجتَزْتُ يوماً بمدينة أبي جعفر، فدخلتُ جامعَ المنصور، وإذا بغَريم قد لزم عُبيد الله، وطالبه بثلاث مئة دينار، وهو في عَقيب نكبته، وكان بيننا مودَّة، فسألتُ الغريم إنظارَه، فأبى، فقلت: المال عندي إلى أسبوع، فقال: اكتب خطّك. فكتبتُ وانصرف، فشكرني الوزير، فقلت: أحبُّ أن تُتِمَّ سروري بأن تصير معي إلى منزلي، قال: نعم، فأركبتُه حماري، ومشيتُ في رِكابه، فأدخلتُه داري، وقدَّمت له طعاماً فأكل، وأخرجتُ له كيساً فيه دنانير، وقلت: لعلَّك على إضاقة، فخُذْ منه ما شئتَ، فأخذ منه دنانير.

ثمَّ قام فخرج، فلامَتْني زوجتي وقالت: لم تقنع بأن ضَمِنتَ عنه ما لا يفي حالُك به حتَّى أعطيتَه دنانير! فقلتُ لها: ويحك يا هذه، قد فعلتُ جميلاً، وأسديتُ يداً جليلةً إلى حرٍّ كريم من بيت كريم، وله أصلٌ خطير، فإن نفعني الله بذلك فله قصدتُ، وإن تكن الأخرى لم يضِع عند الله.

قال: وحلَّ الدَّين، وجاء الغَريم يُطالبني، فأخَّرتُه يومين لأبيع عقاري وأُعطيه ثمنَه، فبينما أنا على ذلك إذا برُقْعةِ الوزير قد جاءتني، فمضيتُ إليه، فقال: جاء الرَّجل؟ قلت: نعم، قال: فما الذي جرى؟ فقلتُ: أمهلْتُه يومين حتَّى أنادي على عقاري وأبيعه وأعطيه ثمنه، فقال: قد جاءتني غليلةٌ من ضَيعةٍ لي سَلِمت من النَّكبة، وثمنُها يفي بما ضمنتَ عنِّي، فبِعْها وأدِّ ثمنها إلى الغريم. [قال:] فبعتُها، وحملتُ ثمنَها إليه، وقلت: أنت مضيّق وأنا أعطي الغَريمَ البعض من عندي وأصبِّره، [فأبى، فقلت: لابدَّ. وجاء الغريم، فأعطيته البعض من عندي، وصبَّرتُه] بالباقي إلى مدَّة.

ولم يمض على ذلك إلَّا اليسير حتَّى ولي عبيدُ الله الوزارة، فأحضرني من يومه، وقام من مجلسه [قائماً]، وتلقَّاني، [وجعلني في السماء]، وكان إذا خرج ليركب دابَّته

(١) في «تاريخه» ٥/ ٤٠٨ـ٤٠٩.

لا يركب حتَّى أركب دابَّتي، ويقف الوزيرُ والنَّاس حتَّى أركب، فكسبتُ الأموالَ الجليلة، وكلُّ ما أنا فيه من النِّعمة فمِن ذاك.

[قلت: وعبيد الله بن سليمان بن وَهْب نكبَه المعتمد مراراً، فلمّا ولي المعتضد استكتبه واستوزره].

سمع أحمد عمرو بن محمد النَّاقد وغيره، وروى عنه أبو بكر الشافعيُّ وغيره، وكانت وفاته ببغداد[1]، وهو ثقة [انتهت ترجمته، والله أعلم][2].

أحمد بن يحيى بن جابر

أبو بكر، وقيل: أبو جعفر، وقيل: أبو الحسن، البَلاذُريُّ، صاحب «التاريخ»، الكاتب البغداديُّ.

طاف الدُّنيا، وصنَّف «التاريخ» ولم يصنَّف في فنِّه مثله، ومدح المأمون، وجالس المتوكِّل.

وكان شاعراً أديباً فاضلاً، ووفاته ببغداد، ومن شعره: [من الخفيف]

اِستعدِّي يا نفسُ للموت وابغي ... لنَجاةٍ فالحازمُ المُسْتَعِدُّ
قد تيقَّنتُ أنَّه ليس للحيِّ ... خلودٌ ولا من الموت بُدُّ
إنَّما أنتِ مستعيرةٌ ما سو ... ف تَرُدِّيه والعَواري تُرَدُّ
أيّ مُلْك في الأرض أو أيُّ حظٍّ ... لامرئ حظُّه من الأرض لَحْدُ
كيف يَهوى امرؤٌ لَذاذَةَ أيَّا ... م عليه الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

سمع هشام بن عمَّار وغيره، وروى عنه جمٌّ غفير، وأجمعوا على صدقه وثقته وفضله.

وقال ابنُ عساكر: وسوس في آخر عمره[3].

---

(١) أرخ الخطيب ٥/ ٤٠٧، وابن الجوزي ١٣/ ٩٠، والذهبي في «تاريخه» ٦/ ٨٨٤ وفاته سنة (٢٩٧هـ).

(٢) ما بين معكوفات من (ب)، وبعدها فيها: السنة الثمانون ومئتين.

(٣) لم نقف على هذا القول في «تاريخه» ٢/ ٢٦٩-٢٧٠، وهو في مختصره لابن منظور ٣/ ٣١٩، ونقله الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٥٠٥ عن المرزباني.

خاقان أبو[1] عبد الله الصّوفي

كان له كرامات، اجتاز بشابٍّ، فقال له ابن فَضْلان الرَّازيُّ وهو جالس به: كان أبي ببغداد، وكان أبوه من الباعة، فدفع إلى خاقان ديناراً، فأخذه ولم يقلْ شيئاً، قال ابن فضلان: فتبعتُه، فاشترى بالدِّينار طعاماً، وحمله إلى مسجد الشُّونيز، فدخل، وإذا بثلاثة من الفقراء جلوس، فألقاه بين أيديهم، وقام يصلّي، فأكلوا، فلمَّا انفتل من صلاته قالوا له: لِمَ لمْ تأكل معنا؟ فقال: كنتُ مشغولاً بشابٍّ ناوَلَني ديناراً، فسألتُ الله أن يُعتِقَه من رقِّ الدُّنيا وقد فعل، قال الشابُّ: فلم أتمالك أن قعدتُ بين يديه وقلت: صدقتَ يا أستاذ، وخرج الشابُّ عن الدُّنيا.

محمد بن المُظَفَّر

ابن موسى بن عيسى، أبو الحسين، البزاز، الحافظ.

رحل إلى الأمصار، وبرع في علم الحديث ومعرفة الرجال، وتوفِّي في جمادى الأولى ببغداد.

سمع الطَّبريَّ وغيرَه، وروى عنه الدَّارقطني وغيرُه، واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقته[2].

فصل وفي الرّواة محمد بن المظفّر جماعة؛ فمنهم: محمد بن المظفّر بن عبد الله، أبو الحسن، البغداديّ، المعدَّل.

حكى عن جعفر الخالدي، عن الجنيد أنَّه قال: اطِّراح هذا العالم من المروءة، والاستئناس بهم حجاب عن الله، والطمع فيهم فقر الدُّنيا والآخرة.

وقال الخطيب: أنشدنا لغيره، وقيل: هما لهلال بن العلاء الباهليّ: [من الطويل]

سَيَبْلَى لسانٌ كان يعرف لفظَهُ ... فياليته في وقْفَةِ العَرْض يَسْلَمُ

---

(١) في (خ): بن، والمثبت من «حلية الأولياء» ١٠/ ٣٣١ ، و«تاريخ بغداد» ٩/ ٣٠٧ ، و«المنتظم» ١٢/ ٣٢٩ .

(٢) «تاريخ بغداد» ٤/ ٤٢٦-٤٢٩ ، و«المنتظم» ١٤/ ٣٤٢-٣٤٣ ، و«تاريخ الإسلام» ٨/ ٤٧٢-٤٧٣ . وكلهم ذكروا تاريخ وفاته في سنة تسع وسبعين وثلاث مئة.

ومـا تـنـفـعُ الآداب إن لـم يـكـن تُـقًـى ... ومـا ضـرَّ ذا تـقـوى لـسـانٌ مُـعَـجَّـم[(١)]

وقال الخطيب: وأنشدنا أيضاً لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابئ: [من السريع]

قـد كـنـتُ لـلـحِـدَّةِ مـن نـاظـري ... أرى الـسُّـهـا فـي الـلَّـيـلـةِ الـمُـقْـمِـرَه

فـالآن مـا أُبـصِـرُ بـدرَ الـدُّجـى ... إلَّا بـعـيـنٍ تـشـتـكـي الـشَّـبْـكَـره[(٢)]

لأنَّـنـي أنـظـرُ مـنـهـا وقـد ... غـيَّـر مـنِّـي الـدَّهـرُ مـا غـيَّـره

ومَـن طـوى الـسِّـتِّـيـن مـن عُـمـره ... رأى أمـوراً فـيـه مُـسْـتـنـكَـرَه

وإن تـخـطَّـاهـا رأى بـعـدهـا ... مـن حـادثـاتِ الـدَّهـر مـا غـيَّـره

وكانت وفاتُه في جمادى الأولى سنة عشرٍ وأربع مئة، وقد بلغ أربعاً وسبعين سنة[(٣)].

نَصْر بن أحمد

ابن أسد بن سامان.

[كان سامان] مع أبي مسلم صاحب الدَّعوة، وكان ينتسب إلى الأكاسرة، فمات سامان، وبقي ابنُه أسد مع علي بن عيسى بن ماهان، فولَّاه الرشيد خراسان، وتوفي أسد في ولايته، وخلَّف ابنَه نوحاً، وأحمد، ويحيى، وإلياس، فولي أحمد بن أسد فَرْغانة، ونوح سَمَرْقَنْد، ويحيى الشَّاش وأشْرُوسنة، وإلياس هَراة.

وكان أحمد أحسنَهم سيرة، توفِّي في أيَّام عبد الله بن طاهر، وخلَّف سبع بنين، منهم نصر بن أحمد، فولي ما كان إلى أبيه من سَمَرْقَند والشَّاش وفَرْغانة[(٤)]، وولَّى أخاه إسماعيل بخارى وأعمالها، وهؤلاء يُسمَّون السَّامانية، وكانوا ملوكاً.

وتوفِّي نصر بسَمَرْقَند في هذه السَّنة، وكان أديباً، شاعراً، فاضلاً، ثقة[(٥)].



(١) «تاريخ بغداد» ٤/ ٤٢٩-٤٣٠ .

(٢) الشبكرة: العَشى يكون في العين. «اللسان» (هدبد).

(٣) وتنظر ترجمته أيضاً في «المنتظم» ١٥/ ١٣٧-١٣٨ ، و«تاريخ الإسلام» ٩/ ١٥٨-١٥٩ .

(٤) كذا في النسخ والمنتظم ١٢/ ٣٣١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٨٤، والذي في نهاية الأرب، فصل الدولة السامانية: فلما توفي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصراً على أعماله بسمرقند، فبقي عاملاً عليها إلى آخر الأيام الطاهرية وبعدها إلى أن مضى لسبيله . . . ، وما بين معكوفين من (ب).

السَّنة الثمانون بعد المئتين

فيها في المحرَّم قبض المعتضد على محمد بن الحسن بن سَهل، ويُعرف بشَيْلَمة، وكان أحدَ قوَّاد الزَّنجي إلى آخر أيامه، ثمَّ استأمن إلى الموفَّق، فبلغ المعتضد أنَّه يدعو إلى أحد أولاد المُهْتدي، فقُرِّر فلم يُقِرَّ، فهدَّده وقال: أخبرني عن الرَّجُل الذي تدعو إليه، فقال: والله لو كان تحت قدمي مارفعتُهما عنه، فقتله.

وفي صفر خرج المعتضد من بغداد بجيوشه يريد بني شيبان، وكانوا قد عاثوا وأفسدوا، فلَحِقهم بمكان يقال له: السِّنّ، فأوقع بهم، فقتل منهم مقتلةً عظيمة، وغَرق منهم في الزَّابَيْن خلقٌ عظيم، وأخذ النِّساء والذَّراري، وغنم العسكرُ من أموالهم ما عَجزوا عن حمله، حتَّى بيعت الشَّاة بدرهم، والجمل بخمسة دراهم، وأمر بحفظ النِّساء والذَّراري عن التعرُّض لهم.

ثمَّ مضى المعتضد إلى الموصل، ثمَّ رجع إلى بغداد، فلقيه بنو شيبان، وتذلَّلوا، وسألوه الصَّفح عنهم، فأخذ منهم خمس مئة رجل رهائن، وردَّ عليهم نساءهم وذَراريهم، وكان مع المعتضد حادٍ يَحدو بصوتٍ شَجيٍّ، وكان يَدلُّ به، فأشرف على جبل تَوْباذ فأنشد: [من الطويل]

وأجْهَشْتُ للتَّوباذ حين رأيتُه ... وهلَّل للرَّحمن حين رآني
وقلتُ له أين الَّذين عَهِدتُهم ... بظلِّك في خَفْضٍ وأمن زمانِ
فقال مَضَوْا واستخلفوني مكانَهم ... ومَن ذا الذي يَبقى على الحَدَثانِ

فبكى المعتضد بكاء شديداً، وجعل يقول: ماسَلِم من الحَدَثان أحد [1].

وفيها فتح محمد بن أبي السَّاج مَراغَةَ بعد حصار طويل، وأخذ منها مالاً كثيراً.

وفيها مات جعفر المفوَّض في ربيع الآخر، وكان محبوساً في دار المعتضد لايراه أحد، وقيل: إنَّ المعتضد نادمه.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٣٢-٣٣، والمنتظم ١٢/ ٣٣٢-٣٣٣، والكامل ٧/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ٤٧٤-٤٧٥، وهذه الأبيات في ديوان مجنون ليلى ص ٢٧٥.

وفيها دخل عمرو بن اللَّيث نَيْسابور في جمادى الأولى .

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد بلادَ التُّرك من وراء النَّهر، وأسر مَلِكها وزوجتَه، وأسر عشرة آلاف [نفس]، وقتل مثلَهم، وأصاب غنائمَ كثيرة، أصاب الفارسَ ألفُ درهم من المغنم .

ومات مَسرور البلخيّ الأمير الذي كان مع الموفَّق في حصار الخبيث .

وفي ذي الحجَّة ورد كتاب من الدَّبِيل أنَّ القمر انكسف في شوَّال لأربع عشرة ليلة [خلت]منه، ثمَّ انجلى في آخر اللَّيل، فأصبحت الدُّنيا مظلمة، ودامت الظُّلمة إلى العصر، فهبَّت ريحٌ سوداء شديدة، فدامت إلى ثلث اللَّيل، فلما كان ثلث الليل زُلْزِلوا، فأصبحوا وقد ذهب ثلث المدينة، فلم ينجُ من منازلها إلاَّ قَدْرَ مئة دار، وأنَّهم أخرجوا من تحت الهدم ثلاثين ألفاً إلى تاريخ الكتاب[1]، ثمَّ زُلزلوا بعد ذلك خمس مرَّات، فكان عدَّة من أُخرج من تحت الهدم خمسون ومئة ألف.

وفيها شكا النَّاس إلى المعتضد ما يقاسونه من عَقبة حُلْوان من المشقَّة، فبعث عشرين ألف دينار فأصلحها .

وفيها زاد المعتضد في جامع المنصور، [و] دار المنصور التي كان يَسكنها، وفتح بينهما سبعة عشر طاقاً، وحوَّل المنبر والمحراب إلى مكانه اليوم، وذلك على يد القاضي يوسف بن يعقوب، فبلغت النَّفقة عشرين ألف دينار .

وفيها تمَّ بناء القصر الحسني الذي هو دار الخلافة اليوم، وتحوَّل إليه المعتضد .

وذكره الخطيب[2] فقال: حدَّثني هلال بن المُحسِّن قال: كانت دار الخِلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر معلَّى قديماً للحسن بن سهل، فلمَّا توفي صارت لبوران بنت الحسن، فاستنزلها المعتضد عنها، فاستنظرتْه أيَّاماً، ثمَّ رمَّتها وعَمَّرَتْها، وبيَّضَتْها، وفَرَشتها بأجلِّ الفَرْش، وعلَّقت أصنافَ السّتور على أبوابها، وملأت خزائنها[3] بكلِّ مايُخدَم به الخلفاءُ، ورتَّبت فيها الخَدَم والجواري، وأمرت المعتضد

(١) في (ب) : إلى حين تاريخ هذا الكتاب.

(٢) في تاريخه ١/ ٤١٦ ، وعنه ابن الجوزي في المنتظم ١٢/ ٣٣٥.

(٣) في (خ): جوانبها. والمثبت من (ب) ، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد.

بالنُّقلة إليها، فانتقل، فرأى ما أعجبه وأدهشه، واستكثَرَه واستحسنه، ثمَّ أضاف المعتضد إلى الدَّار ماجاورها وكبَّرها، وعمل عليها سوراً جمعها [به] وحصَّنها، ثمَّ زاد المكتفي بالله بناء التَّاج على دِجلة، وعمل وراءه من المجالس والقِباب ما تناهى في سَعته وحُسْنه، ثمَّ زاد فيها المقتدر وغيره.

[قال الخطيب: كذا حدَّثني هِلال بن المُحَسِّن أنَّ بوران سلَّمت الدَّار إلى المعتضد، وذلك غير صحيح؛ لأنَّ] بُوران لم تَعِشْ إلى وقت[1] المعتضد، [ويشبه أن يكون سلَّمت الدَّار إلى المعتمد].

وفيها أمر المعتضد باتِّخاذ المَطامير في داره، وجعلها حُبوساً لمن يَنْقُم عليه، وعمل المُطْبَق وغيره، وقيل: إنَّه خطَّ الثُّريا وأضافه إلى القصر.

وحجَّ بالنَّاس محمَّد بن عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبيد الله بن العبَّاس[2].

البِرْتيُّ[3]

ولي القضاء بواسط، ثمَّ ببغداد في الشَّرقية أيَّام المعتمد، فبعث إليه الموفَّق وإلى إسماعيل بن إسحاق، وقد عزم على الانحدار أن يقبضا[4] ما في أيديهما من مال اليتامى والوقوف، فحمل إليه إسماعيل ما كان قِبَله، واستنظره البرتيّ ثلاثة أيام، وعمد إلى ما كان في يده، فدفعه إلى مَن أنس به رشداً، وإلى الأُمناء الثِّقات، فلمَّا طولب بالمال قال: دفعتُه إلى أربابه، فعُزِل من القضاء بهذا السبب، فلزم بيتَه بالبِرْت، واشتغل بالتعبُّد.

وقال العلاء بن صاعد: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ودخل عليه أبو العبَّاس

(١) في (خ): إلى خلافة المعتضد، والمثبت ومابين معكوفين من (ب).

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٣٥، والمنتظم ١٢/ ٣٣٦، والكامل ٧/ ٤٦٥: وحج بالناس أبو بكر محمد بن هارون المعروف بابن ترنجة.

(٣) كذا، والبرتي: هو أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر، انظر تاريخ بغداد ٦/ ٢١٩، والمنتظم ١٢/ ٣٣٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٤٩٨.

(٤) كذا في (خ)، وفي المنتظم: يقتضياه.

البرتيُّ، فقام إليه رسول الله ﷺ، وصافحه، وقبّل مابين عينيه، وقال: مرحباً بالذي عمل بسُنَّتي وآثرني، فكان العلاء بن صاعد إذا دخل عليه البِرْتيُّ قام إليه، وقبّل مابين عينيه، وصافحه، وقال: هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يفعل.

حدَّث البرْتيُّ عن الفضل بن دُكين وغيره، وروى عنه المحامليُّ وغيره، واتَّفقوا على فضله وصدقه وورعه.

عثمان بن سعيد بن خالد

أبو سعيد، الدَّارِميّ السِّجْزيُّ، نزيل هَراة.

رحل إلى الأمصار، ولقي الشيوخ، وجالس الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وابنَ معين، والحفَّاظ، حتَّى قالوا: ما رأينا مثله، ولا رأى عثمان مثلَ نفسه.

وكان لا يحدِّث مَنْ يقول بخلق القرآن.

ودخل عليه أبو الحسن الطرائفيُّ بهراة، فقال له عثمان: متى قَدمتَ؟ فأراد أن يقول أمسِ، فقال: غداً، فقال له عثمان: فأنت في الطَّريق بعدُ.

وكانت وفاته بهَراة، وقيل: في سنة اثنتين وثمانين ومئتين.

سمع حَيْوة بن شُريح وغيرَه، وروى عنه أحمد بن محمد بن الأزهر وغيره، وكان حافظاً ثقة[1].



(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٢٢. ٢٢٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٥٧٤ - ٥٧٦.

السنة الحادية والثمانون بعد المئتين

فيها دخل طُغْج بن جُفّ صاحب خُمارويه من ناحية طَرَسوس لغزو الرُّوم، فبلغ طرابلون[(١)]، وفتح مَلُورية في جمادى الآخرة.

وفيها غارت المياه بالرّيِّ وطَبَرِسْتان، فكان يُباع الماء ثلاثة أرطال بدرهم [(٢)]، فغلت الأسعار، وقُحِط النَّاس، وأكل بعضهم بعضاً، وأكل إنسان ابنته.

ولليلتين خلتا من رجب شخص المعتضدُ إلى الجبل ناحية الدِّينوَر، وقلَّد ابنَه أبا محمد عليًّا الرّيَّ، وقَزْوين، وزَنجان، وأَبْهَر، والدِّيْنور، وقلَّد كَتَبَتَه أحمدَ بنَ أبي الأصبغ[(٣)]، ونفقاتِ عسكره والضّياعَ بالرَّيِّ الحسينَ بنَ عمروٍ الصّزاني[(٤)]، وقلَّد عمر ابن عبد العزيز بن أبي دُلف أصبهان، ونَهاوند، والكَرْخ، وتعجّل الانصرافَ من غلاء الأسعار وقلَّة المِيرة، فوافى بغداد يوم الأربعاء لثلاثٍ خلون من رمضان.

ولستٍّ ليالٍ بقين من ذي القعدة خرج المعتضد الخَرْجة الثانية إلى الموصل عامداً لحَمْدان بن حَمدون بن الحارث بن منصور بن لُقمان، وهو جدُّ ناصر الدَّولة، وكان قد بلغ المعتضدَ أنَّه يميل إلى هارون الشَّاري الخارجي، وأنَّه دعا له.

وكانت الأعراب والأكراد قد اجتمعوا لمَّا بلغهم خروجُ المعتضد، وتحالفوا أنَّهم يُقتلون على دمٍ واحد، فالتقَوا على الزَّاب، وعبَّؤوا عسكرهم ثلاثة كَراديس[(٥)]، وجعلوا عيالَهم وأولادهم وأثقالَهم خلفهم، فحمل عليهم المعتضد، ففرَّق شملَهم، فكان مَن غرق أكثر ممَّن قُتل.

---

(١) في تاريخ الطبري ١٠/ ٣٦ : طرايون، وفي الكامل ٧/ ٤٦٧ : طرابزون.

(٢) في (خ): ثلث رطل بدرهم. والمثبت من الكامل ٧/ ٤٦٥ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٤٩ ، وانظر المنتظم ١٢/ ٣٣٩.

(٣) في (خ) : أحمد بن أبي الصفر. والمثبت من المصادر.

(٤) في (خ): النصراني. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٣٦، وانظر المنتظم ١٢/ ٣٣٩ .

(٥) الكراديس: جمع كردوس؛ وهي الخيل العظيمة، وقيل: القطعة من الخيل العظيمة، والكراديس: الفِرَقُ منهم.

ثمَّ سار المعتضد إلى المَوصل، وخرج إلى ماردين وبها حمدان بن حمدون، فلمَّا قرب منه المعتضد هرب من القلعة، وخلَّف فيها ابنَه، فنزل المعتضد، ودنا من باب القلعة، وصاح بنفسه: يا ابن حمدان، فأجابه، فقال: افتح الباب، فقال: نعم، ففتحه، وقعد المعتضد على الباب، ونقل ما فيها من المال والأثاث، ثمَّ أمر بهدمها فهُدمت، ووجَّه خلف حمدان، فطُلب أشدَّ الطلب، وأُخذت الأموال كانت له مُودعة، ثمَّ ظفر به بعد ذلك فحبسه.

ثمَّ مضى المعتضد إلى مدينة يقال لها: الحسنيَّة، وبها رجل كرديٌّ يقال له: شدَّاد، في عشرة آلاف مقاتل، وكان له في المدينة قلعة يتحصَّن بها، ومازال المعتضد يُحاصره ويقاتله حتَّى ظفر به، وهدم قلعته[١].

وفي رمضان هدم المعتضد دار النَّدوة بمكَّة، وجعلها مسجداً إلى جانب المسجد الحرام، وغَرِم عليها أموالاً كثيرة.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن عبد الله بن ترنجة[٢].

وفيها توفي

ابن أبي الدُّنيا

واسمُه عبد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان بن قيس، أبو بكر، القُرشي، البغداديُّ، مولى بني أميَّة.

ولد [في سنة] ثمانٍ ومئتين، وكان مؤدِّباً لجماعة من أولاد الخلفاء منهم المعتضد وابنه عليّ المكتفي.

وكان إماماً، عالماً، فاضلاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، ثقةً، ذا مروءة تامَّة، ونيَّة صادقة، وله التصانيف الحسان، وبورك له فيها، والنَّاس بعده عيالٌ عليه في الفنون الَّتي جمعها[٣].

---

(١) من قوله: ولليلتين خلتا من رجب شخص.. إلى هنا ليست في (ب).

(٢) كذا يورده المصنف: محمد بن عبد الله بن ترنجة، وقد سلف اسمه قريباً، والذي في الطبري ١٠/ ٣٥، والمنتظم ١٢/ ٣٤٠، والكامل ٧/ ٤٦٥ أنه محمد بن هارون بن إسحاق.

(٣) بعدها في (ب): وقد فرق جدي رحمه الله معظمها في كتبه.

قال المصنِّف رحمة الله عليه: وبلغني أنَّها مئة ونيف وثلاثون مصنَّفاً.

وقال الشيخ أبو الفرج الجوزي رحمه الله في «المنتظم»(١): وصنَّف في الزُّهد أكثر من مئة مصنَّف، [ولم يذكر منها شيئاً وقد ذكرتُ ما وقع إليَّ منها.

وبعد فهذا ما وصل إلينا من مصنَّفاته] فمنها كتاب: الأولياء، والإخلاص، والإخوان، والأضاحي، وأعلام النُّبوة، وحقيقة الإيمان، وقصر الأمل، وأخبار إبراهيم بن أدهم، وأخبار الأحنف بن قيس، وذمُّ البخل، والبرّ والصِّلة، والتفكُّر والاعتبار، والتَّقوى، والتوكُّل، وأعقاب السُّرور والأحزان، والتعفُّف، والتَّهجُّد، وقيام اللَّيل، والتَّاريخ، والجهاد، والجوع، والجود والسَّخاء، وحسن الظَّنِّ، والحلم، وذمُّ البغي، وذمُّ الحسد، وحكماء المجانين، وقضاء الحوائج، وعلم السُّلطان، والخائفين، والخلفاء، والحاكم، والخمول والتَّواضع، والدُّعاء، ومواعظ الخلفاء، ومجابي الدَّعوة، والذِّكر، وذمُّ الدنيا، والرّهبان، وتعبير الرؤيا، والرِّقة والبكاء، والرَّمي والنّضال، والرّغائب، والرّضا، وفضل رجب وشعبان ورمضان، وإرساله ﷺ، والشُّكر، وفضل الصَّدقة، واصطناع المعروف، والصبر، وصدقة الفطر، والطَّاعون، ومن عاش بعد الموت، والعزاء، والعلم، وأخبار النَّاس، والعمر، والفرج، والقناعة، وقِرى الأضياف، وفضل الصَّلاة، والصَّمت، والعقوبات، والعيال، وفضائل العيدين، وفضل عشر ذي الحجة، وعاشوراء، والعقل، ومقتل عمر رضي الله عنه، ومقتل الحسين عليه السلام، ومقتل حُجْر بن عديّ، ومقتل سعيد بن جبير، ومقتل عبد الله بن الزُّبير، ومقتل طلحة، ومقتل عثمان رضوان الله عليه، وأخبار قريش، والقبور، وصفة القيامة، والألوية، ومداراة النَّاس، ومحاسبة النَّفس، والمحتضرين، ومكائد الشيطان، والمنامات، وذمُّ الملاهي، وذمُّ المسكر، والمرض والكفَّارات، وحكم معاوية والعمرين، والمروءة، والموت، والنوازل، والمراثي والمعازي، ومواعظ الملوك، والمعاريض، والمجالسات، وصفة الجنَّة، وصفة النَّار، والنَّوادر، والنَّوازل(٢)، ونَورُ الشَّيْب، والورع، وأخبار [أويس، وأخبار معاوية](٣) والرهائن، والهمُّ والحزن، والهواتف، وفضل لا إله إلاَّ الله،

(١) ١٢/ ٣٤١. وما بين معكوفتين من (ب).

(٢) لعلها النوازع. ينظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٠٣.

(٣) ما بين حاصرتين من السير ١٣/ ٤٠١-٤٠٢.

وكتاب اليقين، وغير ذلك والله أعلم.

[وروى ابن ناصر بإسناده إلى عمر بن سعد القراطيسيّ قال: كنّا على باب ابن أبي الدُّنيا ننتظر خروجَه، فجاءت السَّماء بمَطَرٍ عظيم، فخرجت جاريةٌ ومعها رقعة، فدفعَتْها إلينا، فقرأناها، فإذا فيها [مكتوب]: [من الرمل]

أنا مُشتاقٌ إلى رؤيتكم يا أخلَّائي وسَمعي والبَصَرْ
كيف أنساكم وقلبي عندكم حالَ فيما بيننا هذا المطر

[قال:] فتفرَّقنا.

واختلفوا في وفاته على ثلاثة أقوال؛ أحدها ذكره أبو الحسين بن المنادي قال: مات في سنة إحدى وثمانين ومئتين ودفن ببغداد في الشّونيزيَّة وله سبعون سنة. والثاني سنة اثنتين وثمانين ومئتين. قاله ابن قانع. والثالث في سنة ثلاث وثمانين ومئتين، والأوَّل أصح، وقد نصَّ عليه ابن المنادي، وحكاه عنه الخطيب. وصلَّى عليه يوسف ابن يعقوب القاضي رحمة الله عليه[1]. سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه خلق كثير، واتَّفقوا على صدقه وثقته وأمانته[2].



(١) في (خ): فتفرقنا، ومات في هذه السنة ودفن ... وقيل مات سنة اثنين وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين، والأول أصح وصلَّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، سمع خلقاً ...وأمانته. والمثبت من (ب). وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ١١/ ٢٩٣، والمنتظم ١٢/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٦٨، والسير ١٣/ ٣٩٧.

(٢) جاء بعدها في نسخة (ب) ما نصه: والحمد لله وحده، وصلَّى الله على أشرف خلقه محمد وآله وسلَّم، نجز الجزء السادس بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من تعليقه في يوم الخميس المبارك تاسع عشر ذي القعدة الحرام، من شهور سنة إحدى وسبعين وتسع مئة، أحسن الله تعالى عاقبتها في خير وسلامة، وصلَّى الله على أشرف الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع السنة الثانية والثمانون بعد المئتين.

السنة الثانية والثمانون بعد المئتين[(١)]

فيها في المحرَّم أمر المعتضد بتغيير نَيْروز العَجم الذي هو افتتاحُ الخراج، وأخَّره إلى حادي عشرين حزيران[(٢)]، وسمَّاه النَّيْروز المعتضدي، وقصد بذلك الرِّفق بالرَّعيَّة [والترفيه عليهم]، فأنشأ الكتب بذلك، [وقرئت بالآفاق]، ومنع النَّاس مما كانوا يعملونه في كلِّ سنة من إيقاد النِّيران، وصبِّ الماء على النَّاس في ذلك اليوم، فكان ذلك من أحسن أفعال المعتضد في الإسلام ؛ حيث أزال سُنَّة المجوس وأطفأ نارهم.

وفيها لليلتين خلتا من المحرَّم قدم ابن الجصَّاص بقطر النَّدى بنت خُمارويه من مصر ومعها أحد عمومتها، فأُنزلت في دار صاعد، وكان المعتضد غائباً بالموصل.

وفيها[(٣)] كتب المعتضد من الموصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون في المصير إليه، فأمَّا إسحاق فسارع إلى ذلك، وأما حمدان فتحصَّن في بعض قِلاعه، وغيَّب أموالَه وحُرَمَه، فوجَّه إليه المعتضد وصيف مُوشْكير ونصر القُشوريّ وغيرهما، فصادفوا الحسين[(٤)] بن حَمْدان في قلعة تُعرف بالزَّعْفَران، فطلب الأمان وسلَّم إليهم القلعة، فهدمها وصيف، وسار يطلب حمدان في زورق في دجلة ومعه مال، فعبر إلى الجانب الغربيِّ من دجلة وصار إلى ديار ربيعة ؛ ليلحق بالأعراب الذين كانوا هناك لما حيل بينه وبين أكراده الذين في الجانب الشرقيّ، وعبر في إثره عدد يسيرٌ من الجند، فاقتفَوا أثره حتَّى عرفوا مكانه، وكان قد نزل في ديرٍ هناك، فلمَّا علم بهم ألقى نفسه في زورق كان هناك ومعه كاتبُه زكريا بن يحيى النَّصراني، وخلَّف المال في الدَّير، فأخذه أصحاب المعتضد وحملوه إلى المعتضد، وتبعه عسكر وَصيف في الماء وعلى الظَّهر، فلمَّا رآهم خرج من الزَّورق هارباً إلى ضَيعةٍ له شرقي دجلة، فأخذ دابَّةً لوكيله، وسار ليلته إلى أن وافى مَضْرِب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مُستجيراً به، فأجاره

---

(١) من هنا بدأت نسخة (م١)، وأولها: الجزء السابع من مرآة الزمان، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٣٩، والمنتظم ١٢/ ٣٤٣: الحادي عشر من حزيران.

(٣) من هنا إلى ذكر دخوله بقطر الندى ليس في (م).

(٤) في (خ) و(ف): يحيى. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٣٩، والكامل ٧/ ٤٧٠.

وأحضره إلى المعتضد، فأمر بالاحتراز عليه، وبثَّ الخيل في طلب أسبابه، فظفروا بكاتبه وعدَّةٍ من أهله وغلمانه، وتتابع رؤوس الأكراد في الدُّخول في الأمان في آخر المحرَّم، وعاد المعتضد إلى بغداد.

ذكر دخوله بقَطْر النَّدى بنت خُمارويه:

ولخمس[1] خلون من ربيع الأول نُقلت [قطر النَّدى] إلى التَّاج المعتضدي، وذلك لأنَّه لمَّا كان يوم الأحد نودي في جانبي بغداد: لا يعبر أحدٌ في دجلة يوم الأحد، وأُغلقت أبواب الدُّروب التي على الشَّطّ، ومُدَّ على الشَّوارع النَّافذة إلى دجلة شراع بحافَّتي دجلة، ومنع من ظهور النَّاس من دورهم التي على الشَّطّ.

فلمَّا كان وقت العتَمة وافت سفينةٌ من التَّاج المعتضدي فيها خدم[2] معهم الشّموع، فوقفوا عند دار صاعد، وقد أعدَّت أربع حَرَّاقات، وأنزلت قطر النَّدى في حَرَّاقة، وحُملت إلى المعتضد، فأقامت بالدَّار حتَّى دخل بها ليلة الثلاثاء لخمسٍ خلون من ربيع الأوَّل.

ذكر ما نقل من جهازها:

[قال الصُّولي:] نقل أبوها في جَهازها ما لم يُر مثله، كان من جملته أربعة آلاف تِكَّة مجوهرة، وعشر صناديق جواهر وتحف، وقُوِّم ما كان معها فكان ألف ألف دينار وعشرين ألف ألف درهم، [وأعطى أباها مئة ألف ألف دينار، وقال: اشترِ لها به من تحف العراق ما تحتاج إليه، وكان المعتضد حمل صداقها إلى مصر ألف ألف درهم] وأنواعاً من الطِّيب، ولطائف الهند والعراق شيئاً كثيراً، وبعث لخُمارويه خُفًّا فيْه جوهر لم يُر في الدُّنيا مثله، ووشاحين، وتاجاً، وإكليلاً، وقَلَنْسوة، وقَباءً كلُّه مكلَّل بالدُّر والجوهر.

وكان ابن الجصَّاص قد حبس بعضَ الجواهر عنده، وقال لقطر النَّدى: الزمان لايُؤمن، والوقت لايدوم على حال، فيكون هذا لكِ عندي ذخيرة، وماتت قطر النَّدى، فأخذ ابنُ الجصَّاص الجواهر[التي كان احتبسها عنده لقطر النَّدى]، ثم أخذها منه

---

(١) في تاريخ الطبري ١٠/ ٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣٤٣: ولأربع.

(٢) في النسخ: حرم. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣٤٤.

المقتدر وأضعافها [وسنذكر ذلك في ترجمة ابن الجصَّاص في السنة الخامسة عشر وثلاث مئة، ونذكر أيضاً مصادرة المقتدر له].

وقال عليُّ بن العبَّاس بن جُرَيج الشَّاعر في دخول المعتضد بقطر النَّدى [بنت خمارورية ليلة بنائها]: [من الكامل]

يا سيِّدَ العَرَب الذي وَرَدَتْ له ... باليُمْنِ والبركاتِ سيِّدةُ العَجَمْ
فاسْعَدْ بها كسُعودها بك إنَّها ... ظَفِرَتْ بما فوقَ المطالب والهِمَمْ
شمسُ الضُّحى زُفَّتْ إلى بَدْرِ الدُّجى ... فتكشَّفَتْ بهما عن الدُّنيا الظُّلَمْ
ظَفِرَتْ بمالئ ناظرَيْها بَهْجَةً ... وضَميرها نُبْلاً وكفَّيها كَرَمْ[(١)]

[قلت: وقوله: شمس الضحى زفَّت إلى بدر الدُّجى؛ فيه نظر، لأنَّ أرباب الهيئة يقولون: إنَّ الشمس ذكر والقمر أنثى][(٢)].

وفيها خرج المعتضد إلى الجبل، فبلغ الكَرَج، وأخذ أموالاً لابن أبي دُلَف، وكتب إليه يطلب منه جوهراً كان عنده، فبعث به إليه، وتنحَّى من بين يديه.

وفيها أطلق المعتضد لؤلؤاً غلامَ ابنِ طولون، وحمله على دوابّ وغيرها.

وفيها بعث المعتضد الوزيرَ عُبيد الله بن سليمان إلى الرّيّ إلى ابنه عليّ.

وفيها بعث محمد بن زيد العلويّ من طَبَرِستان إلى محمد بن الوَرْد العطَّار ببغداد نيفاً وثلاثين ألف دينار؛ ليفرِّقها على أهله العلويَّة ببغداد والكوفة، ومكَّة والمدينة[(٣)]، فسُعيَ به إلى بدر المعتضدي، فأحضره، وسأله عن ذلك فقال: نعم، إنَّه في كلِّ سنة يبعث إليَّ بمثل هذا، فأفرِّقه فيمن يسرّ إليهم من أهله، فأخبر بدر المعتضد فقال: يا بدر، تذكر الرُّؤيا التي أخبرتك بها منذ زمان؟ قال: لا، قال: أما أخبرتُك أنَّ أبي الموفَّق دعاني وقال لي: اعلم أنَّ هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل عليِّ بن أبي طالب ﷺ؟ قال: ثمَّ رأيتُ كأنِّي خارج بغداد أريد ناحية النَّهْرَوان في جيشي وقد تشوَّف النَّاس إليَّ، إذ مررتُ برجلٍ واقفٍ على تلّ يصلِّي لا يلتفت إليَّ، فعجبتُ منه ومن قلَّة اكتراثه بي

(١) مروج الذهب ٨/ ١١٧-١١٩، ٢٠٧-٢٠٨، والأبيات أيضاً في ديوان ابن الرومي ٦/ ٢٢٤٥.
(٢) ما سلف بين معكوفين من (ف) و(م١).
(٣) من هنا إلى قوله: وفيها قدم بغداد إبراهيم... ليس في (م١).

وبعسكري، فأقبلتُ إليه، ووقفتُ بين يديه، فلمَّا فرغ من صلاته قال: أقبِلْ. فأقبلتُ إليه، فقال: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، خذ هذه المِسْحاة ـ لمسحاة بين يديه ـ فاضرب بها الأرض، فأخذتُها، وضربتُ بها ضَرَبات، فقال: إنَّه سَيَلي من ولدك هذا الأمر بعدد ما ضَربتَ بها في الأرض، فأوصِهم بولدي خيراً. قال بدر: بلى يا أمير المؤمنين، قد ذكرتُ، قال: فأطلِق الرجل والمال.

وأمره أن يكتبَ إلى صاحبه بطَبَرِستان أن يوجّه بما يوجِّهه إليه ظاهراً، وأن يفرِّق محمد بن وَرْد ما يفرِّقه ظاهراً، و تقدَّم بمعونة محمد على ما يريد[١].

وفيها عاد الوزير عُبيد الله من الرِّيِّ إلى بغداد، فخلع عليه المعتضد.

ولثمانٍ بقين من شهر رمضان وُلد للمعتضد وَلدٌ من ناعم جاريةِ أمِّ القاسم بنت محمد بن عبد الله، فسمَّاه جعفراً، وسمَّى هذه الجارية شغب.

وفيها قدم بغداد إبراهيمُ بن أحمد الماذَرائيُّ لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجَّة من دمشق على السَّماوة في أحد عشر يوماً، وقيل: في سبعة أيام، فأخبر المعتضد أنَّ خُمارويه [بن أحمد بن طولون] ذُبح على فراشه.

وكان المعتضد قد بعث مع ابن الجصَّاص هديّةً إلى خُمارويه ورسالة، وخرج [ابن الجصَّاص] إلى سرَّ من رأى، فردَّه المعتضد إلى بغداد في ذي الحجَّة لسبع بقين منه.

وحجَّ بالنَّاس محمَّد بن عبد الله المعروف بابن ترنجه[٢].

وفيها توفِّي

إسماعيل بن إسحاق[٣]

ابن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهَم، أبو إسحاق الأزديُّ، القاضي، البصريُّ، مولى جرير[٤] بن حازم.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٤١-٤٢ ، والمنتظم ١٢/ ٣٤٤-٣٤٥ ، والكامل ٧/ ٤٧٤ .

(٢) سلف أنه محمد بن هارون بن إسحاق، وما بين معكوفين من (م١).

(٣) من هنا إلى ذكر وفاة خمارويه ليس في (م١).

(٤) في (خ): حرز. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٢ ، والمنتظم ١٢/ ٣٤٦-٣٤٨، ومعجم الأدباء ٦/ ١٢٩-١٤٠.

ولد سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل: سنة مئتين، ونشأ بالبصرة، وسمع الحديث الكثير، وكان فاضلاً، مُفتياً، فقيهاً على مذهب مالك، وشرح مذهبه ولخَّصه، وصنَّف «المسند» وكُتباً كثيرة في علوم القرآن، وأقام قاضياً نيِّفاً وخمسين سنة.

رفع المعتضد إلى عبيد الله بن سليمان يقول: واستوصِ بالشيخين الخيِّرين الفاضلين إسماعيل بن إسحاق الأزديّ وموسى بن إسحاق الخَطْميّ خيراً؛ فإنَّهما ممن [إذا] أراد الله بأهل الأرض سوءاً دفع عنهم بدعائهم.

وقال المبرِّد: ماتت أمُّ إسماعيل، فعزَّاه الجِلَّة من النَّاس، فلم يقبل عزاءً، فأنشدته: [من المتقارب]

لَعَمري لئن غال رَيْبُ الزَّما ... نِ فينا لقد غالَ نَفْساً حَبيبَهْ
ولكنَّ عِلمي بما في الثَّوا ... بِ عند الرَّزِيَّةِ أَنْسى المُصِيْبَةْ

فزال عنه ماكان به.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء لثمانٍ بقين من ذي الحجَّة وقتَ صلاة العشاء الآخرة فجأة.

سمع خلقاً كثيراً منهم عليُّ بن المدينيّ وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد وغيرُه، وأجمعوا على صدقه.

[وفيها توفِّي]

خُمارَويه بن أحمد بن طولون

ويقال له: خُمار، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: ميَّاس(١).

ولد بسرَّ من رأى [في] سنة خمس وخمسين ومئتين، وولي بعد أبيه إمرة مصر ودمشق و الثُّغور.

[وقد ذكرنا أنَّه التقى بأبي العبَّاس المعتضد في سنة إحدى وسبعين في شوَّال، وانكسر خمارويه، ويقال: إنَّه دخل مصر على حمار، وإنَّ سعداً الأعسر خرج من الكمين على أبي العباس فهزمه، وأنَّه زوج المعتضد ابنته قطر الندى على يد ابن الجصَّاص، وبعث معها بالأموال والتُّحف والجواهر.

---

(١) في (ف): أمناس.

ذكر مقتله:

حكى الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» عن محمد بن صالح الدمشقي قال: كان خمارويه] كثير الفساد مع الخدم [متجرِّئاً على الله تعالى في ذلك،] دخل الحمَّام مع جماعة منهم، فطلب من بعضهم الفاحشة، فامتنع الخادم حياءً من الخدم [الذين كانوا معه]، فأمر خمارويه أن يُضرب، فلم يزل يصيح إلى أن مات في الحمَّام، فأبغضه الخدم [وكرهوه، وسألوا الفقهاء: ما حدّ اللواط؟ فقالوا: القتل].

وكان قد بنى قصراً بسفح قاسيون أسفل من ديرمُرَّان يَشرب فيه، فدخل تلك الليلة الحمَّام، فذبحه خَدَمه، وقيل: ذبحوه على فراشه وهربوا.

ويقال: إنَّ بعض الخدم تولَّع بجارية لخمارويه، فتهدَّده بالقتل، فاتَّفق مع الخدم على قتله، وكان ذَبْحُه منتصف ذي الحجَّة [من هذه السنة]، وقيل: لثلاثٍ خلون منه.

وكان طُغْج بن جُفّ في القصر في تلك اللَّيلة، وبلغه الخبر، فركب وتبع الخدم، وكانوا نيفاً وعشرين خادماً، فأدركهم، فقتلهم وصلبهم.

وحُمل أبو الجَيْش خمارويه في تابوت إلى مصر، وصلَّى عليه ابنه جَيش. [قال ابن عساكر:] ويقال: إنَّه دُفِن إلى جانب[(١)] أبي عبيد البُسْري، فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقربي من أبي عبيد ومجاورته[(٢)].

ثمَّ ولي [بعده] ابنُه جَيش، فقتلوه بعده بيسير، ثم ولَّوا أخاه هارون بن خُمارويه، وقرّر على نفسه أن يحمل إلى المعتضد [في] كلّ سنة ألف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار.

فلمَّا ولي المكتفي عَزَله، وولّى محمد بن سليمان الواثقي، فاستصفى أموالَ آل طولون، وكان هارون آخر ولاتهم.

وكان عمرُ خُمارويه حين قُتل سبعاً وعشرين سنة، وقيل: اثنتين وثلاثين سنة.

ورثاه أحمد بن سعيد أبو بكر الطَّائي: [من البسيط]

---

(١) في (خ): دفن في القصر إلى جانب.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٦٨٨-٦٨٩ (مخطوط)، وانظر ترجمته في ولاة مصر للكندي ص٢٥٨-٢٦٤، والمنتظم ١٢/ ٣٥٠-٣٥١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٤٧-٧٤٩.

مضى الأميرُ أبو الجيش الكريمُ فقد ... مضى النَّدى والشَّذى والجودُ والكرمُ
فكادت الأرضُ إعظاماً لمقتله ... تَنْهَدُّ والشَّامخاتُ الشُّمُّ تَنْهَدِمُ

قال المصنِّف رحمه الله: وهذا **أحمد بن سعيد الطَّائي** ذكر له [الحافظ] ابن عساكر في «تاريخه» حكايتين؛ الأولى: قال أحمد بن سعيد الطَّائي: حدثنا أبو العبَّاس بن قهيدة، عن عمرو بن الحسن قال: رأيتُ إبليس في منامي راكباً على كَرْكَدن يسوقه بأفعى، فقال: يا عمرو بن الحسن، ما حاجتك؟ فدفعت إليه رقعة، فوقّع فيها: [من السريع]

ألم ترَ القاضي وأعوانَهُ ... ما يفعلُ اللهُ بأهلِ القُرى
بلى ولكن ليس من شُغله ... إلَّا إذا استعلى أذلَّ الوَرَى
فليتَ أنِّي متُّ فيمن مضى ... ولم أعشْ حتَّى أرى ما أرى
وكلُّ ذي خَفْضٍ وذي نِعمةٍ ... لابدَّ أن يَعلو عليه الثَّرى

ثم كتب: الحسد صيَّرني إلى ما ترى، وغشُّ بني آدم [ينفق عليهم]، ثمَّ ضرب كركدنه بالأفعى ومضى.

والحكاية الثانية عن [أبي] سليمان بن زَبْر قال: اجتمعتُ أنا وعشرةٌ من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر أحمد بن سعيد الطَّائي، نقرأ فضائل عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فوثب إلينا نحوٌ من مئة رجل، وضربونا، وسحبونا إلى الخضراء إلى الوالي، فقال لهم أبو بكر الطَّائي: ياسادة، اسمعوا، إنَّما قرأنا اليوم فضائل عليّ، وغداً أقرأ لكم فضائل أمير المؤمنين معاوية، وقد حَضَرتْني أبيات، فإن رأيتم أن تسمعوها، فقالوا: هات، فقال على البَدِيْه: [من السريع]

حبُّ عليٍّ كلُّه ضَرْبُ ... يَرْجُفُ من خِيفته القَلْبُ
ومَذهبي حبُّ إمام الهدى ... يزيدَ والدِّينُ هو النَّصْبُ
مَن غَيْرَ هذا قال فهو امرؤ ... ليس له عقلٌ ولا لُبُّ
والنَّاسُ مَن يَنْقَذْ لأهوائهم ... يسلمْ وإلَّا فالقَفا نَهْبُ

قال: فخلّوا عنَّا، فقال الطَّائي: والله لاسكنتُ بلداً يجري علينا فيها ما قد جرى، وخرج من وقته فأقام بحمص[1].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٨٨-٨٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٨٢، وما بين معكوفين منهما، وقال الذهبي: بَقيَ الطائيُّ هذا إلى سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة.

[وفيها توفي]

الحافظ أبو زُرْعَة

[واسمه] عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو، النَّصْريُّ، الدمشقي. [وقال ابن ماكولا: نَصْري بالنون(١)].

ذكره الحافظ ابن عساكر وقال:] كانت داره بدمشق عند باب الجابية شرقيِّ زقاق الأسديين عن يمين الدَّاخل.

رحل إلى البلاد، ولقي الشيوخ، وكتب عنهم وكتبوا عنه، وكان إماماً، عادلاً، عالماً، فاضلاً، زاهداً، ورعاً، جواداً، صالحاً، شيخ الشَّام في وقته، يرحل إليه العلماء من الآفاق، ويأخذون عنه، فلم يزل يُسمع الحديث والنَّاس مقبلون عليه إلى أن توفِّي بدمشق في جمادى الآخرة من هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثمانين، أو إحدى وثمانين ومئتين.

سمع خلقاً كثيراً: أبا نُعَيم الفَضْل وغيرَه، وروى عنه أبو داود السِّجستاني [وابنه عبد الله بن أبي داود](٢).

محمد بن جعفر المتوكِّل

كان فاضلاً شاعراً، وهو القائل لمَّا أراد أخوه المعتمد الخروج إلى الشَّام والدُّنيا مضطربة: [من المتقارب]

أقــول لــه عــنــد تــوديــعــه ... وكــلٌّ بــعَــبْــرَتــه مُــبْــلِــسُ
لــئــن بَــعُــدتْ عــنــك أجــسـامُــنــا ... لــقــد ســافــرتْ مــعــك الأَنْــفُــسُ

بلغ المعتضد أنَّه كاتب خُمارويه فأهلكه، وقيل: إنَّما أهلكه لمَّا ولي الخلافةَ في سنة تسعٍ وسبعين ومئتين(٣).

[وفيها توفي]

محمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن عُمارة بن القَعْقاع ابن شُبْرُمَة، أبو قَبِيصة، الضَّبِّي [أخو عبد الله ابن شُبْرُمة].

(١) الإكمال ١/ ٣٩١.

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ١٣٧ ـ ١٤١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٧٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٦٧-٦٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٥. وهذه الترجمة ليست في (ف،م١)

كان صالحاً عابداً مجتهداً.

[وحكى الخطيب عن إسماعيل بن عليٍّ الخُطَبيّ قال:] قال [محمد بن عبد الرحمن]: تزوَّجتُ بأمِّ أولادي هؤلاء، فلمَّا كان بعد الإملاك بأيَّام قصدتهم للسلام، فاطَّلعت من شقِّ الباب، فرأيتُها، فأبغضتُها، وهي معي من ستِّين سنة.

وقال إسماعيل بن عليٍّ: [وكان هذا الشيخ من أَدْرس مَن رأينا للقرآن]، سألتُه عن أكثر ما قرأ في يوم - وكان يوصف بكثرة الدَّرس وسُرعَتِه - فامتنع أن يخبرني، فلم أزل به حتَّى قال لي: إنَّه قرأ في يوم من أيَّام الصَّيف الطوال أربع ختمات، وبلغ في الخامسة إلى «براءة»، وأذَّن المؤذِّن للعصر، وكان من أهل الصِّدق، وتوفِّي في ربيع الأوَّل.

سمع سعيدَ بن سليمان [الواسطيَّ] وغيره، وروى عنه الخُطَبيُّ وغيرُه، وكان ثقة[١].

[وفيها توفي]

أبو العَيْناء

[الضَّرير، صاحب الحكايات والمُلَح، واسمه] محمد بن القاسم بن خلَّاد، مولى [أبي جعفر] المنصور.

وأصله من اليَمامة، ويعرف بأبي عبدالله اليَمامي، وإنَّما سمِّي بأبي العيناء؛ لأنَّه سئل ما تصغير عين؟ فقال: عُيَيْن.

[قال الخطيب:] ولد بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومئة، ونشأ بالبصرة، وذهب بصرُه بعد أربعين سنة، وطلب الأدبَ، وكتب الحديث، وسمع من الأئمة، وكان حافظاً للنَّوادر، سريعَ الجواب، فصيحاً[٢].

قال: قال لي المتوكِّل: قد أردْتُك لمجالستي، فقلت: لا أُطيق ذلك، ولا أقول هذا جَهلاً بمالي في هذا من الشَّرَف، ولكنِّي رجل مَحْجُوب، تختلف إشاراته، ويخفى عليه الإيماء، ويجوز علي أن أتكلَّم بكلام غضبان ووجهُك راضٍ، وبكلام راضٍ ووجهُك

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٥٤٦، والمنتظم ١٢/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨١٠. وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٥، ٢٩٤، وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

غضبان، ومتى لم أميِّز بين هذين هلكتُ، قال: صدقتَ، ولكن تَلْزَمُنا . قلت: [لزوم][1] الغَرَض الواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم .

[ذكر طرف من أخباره:

قال الخطيب[2] بإسناده إلى أحمد بن القاضي، عن أبي العيناء أنَّه حدَّثه قال: أتيتُ عبد الله بن داود الخُرَيْبي، قال: ماجاء بك ؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فاحفظ القرآن، قلت: قد حفظتُه، قال: اقرأ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١] فقرأتُ العَشْر حتَّى أنفدته، قال: اذهب الآن فتعلّم الفرائض، قال: فقلت: قد تعلَّمتُ الصُّلب والجدَّ، قال: فأيّما أقرب إليك ابن أخيك أو ابن عمِّك ؟ قال: فقلت: ابن أخي، قال: ولِمَ ؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمِّي من جدِّي. قال: اذهب فتعلَّم العربية، فقلت: قد تعلّمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر بن الخطاب حين طُعن: يالَله يالِلمسلمين، لِم فَتَح لام الله، وكَسَر لام المسلمين ؟ قال: قلت: فتح الأوَّل على الدُّعاء، وكسر الثانية على الاستعانة والاستنصار. قال: اذهب، لو حدَّثتُ أحداً لحدَّثتُك] .

وقيل: إنَّ المتوكِّل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنَّه ضرير، فقال أبو العيناء: إنْ أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة، وقراءة نَقْشِ الخواتيم، فإنِّي أصلحُ .

وكان يقول: لَحِقَتْنا دعوة الرَّجل الصَّالح عبد الله بن حسن بن حسن، دعا المنصور جدّي خَلّاداً وكان مولاه، فقال له: إنِّي أريدك لأمر قد أهمَّني واخترتُك له، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [من المتقارب]

أَلِكْني إليها وخيرُ الرسو   لِ أعلَمُهمْ بنَواحي الخَبَرْ[3]

فقال: أرجو أن أبلُغَ رِضى أمير المؤمنين ، قال: صِرْ إلى المدينة، وأظهر لعبد الله ابن حسن أنَّك من شيعته، وابذُلْ له الأموالَ، واكتب إليَّ بأنفاسه وأخبار ولدِه، فأرضاه، ثمَّ علم عبد الله أنَّه أُتي من قِبَله، فدعى عليه وعلى نسْله بالعمى، [قال:] فنحن نَتَوارث ذلك إلى السَّاعة .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من المنتظم ١٢/ ٣٥٤. وهذا الخبر ليس في (م١).

(٢) في تاريخه ٤/ ٢٨٧ .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٥-٢٨٦ ، والمنتظم ١٢/ ٣٥٤ ، والبيت أيضاً في شرح أشعار الهذليين ١/ ١١٣، ومعنى ألكني إليها: أي: كن رسولي إليها. الصحاح (لوك).

وتأخَّر رزق أبي العيناء، فشكا إلى عبيد الله بن سليمان(١)، فقال: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبّر، فما فعل في أمرك ؟ فقال: جرَّني على شَوْك المَطْل، وحَرمني ثمرةَ الوَعْد، فقال: أنت اخترتَه، فقال: وما عليَّ وقد اختار موسى قومَه سبعين رجلاً، و[ما](٢) كان فيهم رجل رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار النبيُّ ﷺ ابنَ أبي سَرْح كاتباً، فلحق بالكفار، واختار عليُّ بن أبي طالب أبا موسى فحكم عليه.

وقال: [الخطيب: انتقل أبو العيناء من البصرة إلى بغداد فأقام بها.

قال: وسبب انتقاله ما رواه الصولي عن أبي العيناء قال: حدثني عن سبب خروجه من البصرة وسكناه بغداد قال:] اشتريتُ غلاماً يُنادَى عليه ثلاثون ديناراً ويساوي ثلاث مئة دينار، وكنتُ أبني داراً، فدفعتُ إليه عشرين ديناراً يُنفقها على البناء، فجاءني بعد أيّام، وقال نَفِدت النَّفَقَةُ، فقلت: ارفع حسابَك، فرفعه فإذا به عشرة دنانير، قلت: فأين الباقي ؟ قال: اشتريتُ به ثوباً مُصْمَتاً وقطعتُه، قلتُ: مَنْ أمرك بهذا ؟ قال: يا مولاي لا تَعجل، فإنَّ أهلَ المروءات والأقدار لا يَعيبون على غِلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّيْن على مواليهم، [قال:] فقلت في نفسي: أنا اشتريتُ الأصمعيَّ ولم أعلم(٣).

قال: وأردت تزوّج امرأة، فأطلعتُه على ما في نفسي، وقلتُ: اكتم ذلك عن بنت عمِّي، فقال: أنا نِعم العونُ لك على الخير، فتزوَّجتُها، ودفعتُ إليه ديناراً، وقلت: اشترِ لي كذا وكذا ويكون فيه سمكاً هازِبَى(٤).

فمضى واشترى جميعَ ما أمرته به، واشترى سمكاً مارماهى(٥)، فقلت له: ما هذا؟ فقال: رأيتُ بُقْراط يقول: السَّمك الهازبى يولّد السَّوداء، ووصف المرماهى، فقلت: يا ابن الفاعلة، ما علمتُ أني اشتريتُ جالينوس، وقمتُ إليه أضربُه، فضربتُه عشرَ مَقارع، فلمَّا فرغتُ أخذ المِقْرَعة وضربني سبعاً، وقال: الأدب ثلاث، والسبعةُ فَضْل، وهي قِصاص، فخفتُ عليك من القصاص غداً، فاستوفيت منك اليوم، فغاظني جدًّا

(١) في (خ): إسماعيل، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٢/ ٣٥٥.

(٢) زيادة من المنتظم.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٣، والمنتظم ١٢/ ٣٥٥.

(٤) نوع من أنواع السَّمك. اللسان (هفف).

(٥) هو الجِرِّيُّ: وهو نوع من السمك يشبه الحية، وهو فارسي. اللسان: (جرر).

فرميته[١] فشَجَجْتُه، فمضى من وقته إلى ابنة عمِّي، فأَخبرها أنِّي تزوَّجتُ، وقال: قال ﷺ: «من غشَّنا فليس منَّا»[٢] وقد تزوَّج مولاي واستكْتَمَني، والدِّين النَّصيحة، فلمَّا قلتُ له: لا بدَّ من تعريف مولاتي، ضربني بالمقارع وشجَّني.

[قال:]فمنعتْني بنتُ عمي من دخول الدَّار، وحالت بيني وبين ما فيها، ووقعنا في تَخبيط، فلم أَرَ الأمر يَصلُح حتَّى طلَّقتُ المرأة، ولم أقدر من بنت عمِّي أن أكلِّمه، وسمَّتْه النَّاصحَ، فقلت: مالي إلا أن أُعتقه وأستريحَ منه، فعَتَقْتُه فقال: الآن وجب عليَّ حقُّك، ما أُفارقك.

وجاء أوان الحجِّ، فجهَّزتُه وزوَّدتُه، ومضى فغاب عنِّي عشرين يوماً وعاد، فقلت: ما الخبر؟ فقال: قُطِع عليَّ الطَّريق، والله تعالى قال: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأنا غير مستطيع، ثمَّ أرادَ الغَزو[٣] فجهَّزته، فلما غاب عنِّي بعتُ كلَّ ما أملكه بالبصرة من عَقار وغيرِه، وخرجت منها خوفاً أن يرجع.

[وحكى] الصُّولي قال: دخلتُ على أبي العَيناء في آخر عمره وقد كُفَّ بصرهُ، فسمع صَريرَ قَلمي على الدَّفتر فقال: مَن هذا؟ قلت: عبدُك وابن عبدك محمد بن يحيى الصُّولي، قال: بل ولدي وابن أخي، ما تكتب؟ قلت: جُعلتُ فداكَ، أكتبُ شيئاً من النَّحو والتَّصريف، فقال: النَّحو من العلوم كالملح في الطَّعام[٤]، إذا أكثرتَ منه صارت القِدْرُ زُعاقاً، يا بنيّ إذا أردتَ أن تكون صدراً في المجالس فعليك بمعاني القرآن والفقه، وإذا أردتَ أن تكون مُنادماً للخلفاء وذوي المروءات فعليك بنُتَفِ الأشعار، ومِلحَ الأخبار، [وقال: الزُّعاق: الماءُ المالح].

وسأل القاضي ابن أبي دؤاد أبا العيناء[٥]: ما أشدَّ ما أصابك في ذهاب بصرك؟ فقال: خَلَّتان؛ إحداهما: أنَّه يَبدؤني رجل بالسَّلام، وكنتُ أحبُّ أن أبدأه، والثانية:

---

(١) في (م١): فرميته بحجر. . . .

(٢) أخرجه احمد (٩٣٩٦)، ومسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) في (خ) و(م١): العود، والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٤ ، والمنتظم ١٢/ ٣٥٧ .

(٤) في (خ): القدر، والمثبت من (ف) و(م١). وهو الموافق لما في المنتظم.

(٥) في (ف) و(م١): وحكى الخطيب أن ابن أبي الدنيا القاضي سأل أبا العيناء... والمثبت من (خ) وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٩.

ربَّما حدَّثتُ رجلاً فيُعرض عنِّي، وأحبُّ أن أعرف ذلك لأقطع حديثي عنه، فقال أحمد ابن أبي دؤاد: أمَّا مَن كافأك بابتداء السَّلام فقد كافأتَه بحُسن النِّيَّة، وأمَّا مَن أعرض عن حديثك فما أكسبَ نفسَه من سوء الأدب أكثر ممَّا وصلت إليه من حُسن استماعه(١).

وحضر أبو العيناء مجلسَ بعض الوزراء، فوصف جودَ البرامكة، فقال الوزير: هذا من كَذِب الورَّاقين، فقال أبو العيناء: فلِمَ لا يكذب الورَّاقون عليك؟!

ودخل [أبو العيناء] على المتوكِّل سنة ستٍّ وأربعين ومئتين وهو في قصره الجَعفريّ، فقال له: كيف ترى هذا القصر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، النَّاس يبنون القصور في الدُّنيا، وأنت قد بنيت الدُّنيا في قصرك.

وقال له يوماً: ما تقول في عبيد الله بن خاقان؟ فقال: نِعْمَ العبد إنَّه أوّاب، وكان عبيد الله قائماً على رأس المتوكِّل(٢).

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فحكى الخطيب أنَّه]قدم بغداد فأقام بها مدَّة طويلة، ثمَّ ركب في زَورق يريد البصرة، فيه ثمانون نفساً، فغرق الزَّورق بمَن فيه، فلم يَسلم إلَّا أبو العيناء، فأُخرج حيًّا، فركب في زورق آخر، فلمَّا وصل إلى البصرة مات بها في هذه السَّنة.

و[حكى الخطيب أيضاً عن القاضي أحمد بن كامل] قال: مات [أبو العيناء]ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين [ومئتين] وحُمل إلى البصرة في تابوت، وقد جاوز تسعين سنة(٣).

أسند الحديثَ عن أبي عاصم النَّبيل [وأبي زيد الأنصاريِّ]وغيرهما، وأخذ الأدب عن الأصمعي وغيره، ولمَّا قدم بغداد كتب عنه أهلُها، ولم يسند من الحديث إلَّا القليل، والغالبُ على رواياته الأخبارُ والحكايات.



(١) في تاريخ بغداد: أكثر مما وصل إليك من سوء اجتماعه.

(٢) مروج الذهب ٨/ ١٢٢ ـ١٢٣ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٣ .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ، وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

السنة الثالثة والثمانون بعد المئتين

فيها خرج المعتضد إلى ناحية الموصل لثلاث عشرة بقيت من المحرَّم بسبب هارون الشَّاري، وكان الحسين بن حمدان قد قال للمعتضد: إنْ أنا جئتُ بهارون الشَّاري إليك فلي ثلاثُ حوائج، فقال: اذكرها، فقال: أمَّا الأولى فإطلاق أبي من الحبس، والحاجتان أذكرهما بعد ما آتي به، فقال له المعتضد: لك ذلك، فامْضِ، فقال: أريد ثلاث مئة فارس أنتَخِبُهم مع وصيف موشكير ولا يُخالفني، فقال المعتضد: نعم.

وخرج الحسين يطلب الشاري حتَّى انتهى إلى مخاضة في دجلة، فقال لوَصيف: ليس للشَّاري طريقٌ يَهرب منه غير هذا الموضع، فقِفْ ههنا لا تفارقْ هذا المكان، فإنْ مرَّ بك الشَّاري فامنعه من العبور، أو أجيئك، أو يَبلُغك أنِّي قد قُتلت، قال: نعم، فوقف.

ومضى حسين في طلب الشاري فلقيه، فالتقيا، فكان بينهما قتلى، وهرب الشَّاري، وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام، فقال له أصحابه: قد طال مقامُنا ههنا، وقد أضرَّ بنا ذلك، ولسنا نأمن أن يأخذ حسينٌ الشَّاريَّ فيكون الفتحُ لهُ دونَنا، والصَّواب أن نمضي في آثارهم، فأطاعهم ومضى، وجاء الشَّاري المخاضة فعبر، وجاء حسين في إثْرِهِ فلم يَرَ وَصيفاً وأصحابَه، ولم يَعرف للشَّاري خبراً، وسأل عنه فقيل: عبر دِجلة. فعبر خلفه، وجاء الشَّاري إلى حيٍّ من أحياء العرب، فأخذ دابَّة من دوابهم، ومضى حسين إلى العرب فسألهم عنه فكتموه أمره، فقال: المعتضدُ في إثري، وأراد أن يوقع بهم، فأخبروه بمكانه، فاتَّبعه، فلحقه وهو في مئة فارس، فناشده الشَّاري وتوعَّده، فألقى حسين نَفْسَه عليه فأخذه أسيراً، وجاء به إلى المعتضد بغير عَهدٍ ولا عَقْد، فأمر المعتضد بفكِّ قيود حمدان بن حمدون، والتَّوسعةِ عليه، والإحسان إليه.

وانصرف المعتضد بالشَّاري راجعاً إلى بغداد، فوافاها لثمانٍ بقين من ربيع الأوَّل، فنزل بباب الشَّمَّاسيَّة، وعبَّأ جيوشَه هناك، وخلع على الحسين بن حمدان وطوَّقه بطَوقٍ من ذهب، وخلع على جماعةٍ من رُؤساء أهله، وزُيِّن الفيل بثياب الدِّيباج، وجعل عليه

مثل المحفَّة، وأجلس الشَّاري فيها، وألبس دُرَّاعةَ دِيباج، وجعل على رأسه بُرْنُس حريرٍ طويل.

وركب المعتضد في الجانب الشرقي ركوباً ظاهراً، وضُربت القِباب في الطريق كلِّه إلى قصره، والشَّاري بين يديه، والحسين بن حمدان بين يدي المعتضد وجماعةٌ من أصحابه، وحمل الحَرْبةَ بين يديه في هذا اليوم سعيد بن يكسين التركيّ وكان على شرطة الشَّرقيَّة، ولم يحملها أحدٌ من الموالي قبله؛ لأنَّها كانت لآل طاهر قبل ذلك، ومن كثرة الزّحام سقط كرسيُّ الجسر الأعلى ببغداد، فغرق كثير من الرِّجال والنِّساء والصِّبيان، وكان على المعتضد قباء أسودُ، وعمامةٌ سوداء، وجميع الملوك والأمراء يمشون بين يديه، وكان يوماً مشهوداً.

وورد كتاب طُغْج بن جُفّ من دمشق ومن موالي ابن طولون أنَّهم في الطَّاعة، واستأذنوا المعتضد في القدوم عليه أو في المقام بدمشق، فكتب يأمرهم بالمقام بدمشق، وولَّاها طُغْج.

وفيها قدم رسول عمرو بن الليث[١] من خُراسان بالهدايا وفيها مئتا حِمْل مال، ومئتا جُمَّازة، ومن اللطائف والطرائف[٢] شيءٌ كثير، وكان فيها صَنَمٌ على خِلقة امرأة؛ كان قوم من الهند في مدينة يقال لها: إبل شاه، كانوا يعبدونها.

واستقضى المعتضد يوسف بن يعقوب على الجانب الشرقيِّ، وكلواذى، والنَّهروانات، وكُور دجلة، وواسط[٣]، وخلع على القاضي أبي خازم وقُلِّد قضاء الشرقيَّة، وبادَرَايا، وسقي الفرات[٤]، وشاطئ دجلة إلى حدِّ عمل واسط، مضافاً إلى ماكان يتولَّاه من القضاء على الكوفة وأعمالها، وعبد الحميد بن عبد العزيز على الجانب الغربيّ، وذلك بعد أن أقامت بغدادُ ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً بعد وفاة إسماعيل بغير قاضٍ.

(١) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف) و(م١).
(٢) في (ف) و(م١): الظرف والظرائف. والجمَّازة: دُرَّاعة من صوف. القاموس (جمز).
(٣) في المنتظم ١٢/ ٢٦٠: وكور دجلة والخط.
(٤) في المنتظم ١٢/ ٣٦٠ : وشقّي الفرات. والمثبت من الأصل، وهو الموافق لما في أخبار القضاة ٣/ ٢٩٣.

وكتب المعتضد إلى عليّ بن محمد بن أبي الشَّوارب وهو بسُرَّ من رأى بتولِّي القضاء بها، فصار إلى بغداد، فولي قضاء مدينة المنصور، وقُطْرَبُّل، مضافاً إلى ما كان يتولَّاه من القضاء بسامرَّاء، وتكريت، وطريق الموصل، وخلع عليهم، وقُرئت عهودهم، وأُمروا جميعاً بالجلوس في المساجد الجامعة.

وخلع المعتضد على حمدان بن حمدون وأطلق في الركوب.

ولعشر[1] بقين من جمادى الآخرة أمر المعتضد بالكتاب إلى جميع البلاد بردِّ [الفاضل من سهام] ذوي الأرحام، [يعني الميراث من سهام ذوي المواريث]، وإبطال[2] ديوان المواريث، وصرف عمَّاله، فنفذت الكتب، وقرئت على المنابر.

وسببه: أنَّه سأل القاضي أبا خازم فقال: ماتقول فيه؟ فقال: ياأمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] فقال المعتضد: قد رُوي عدم الرَّدِّ عن الخلفاء الأربعة، فقال أبو خازم: كذب النَّاقل عنهم، بل كلُّهم ردُّوا، جميعُ الصحابة سوى زيد بن ثابت، ولايعتدُّ بخلافه مع الجمهور، وكان يُخفيه حتَّى مات عمر رضوان الله عليه خوفاً منه، وهو مذهب فُقهاء التابعين ومَن بعدهم، ولم يذهب إلى قول زيد غير الشَّافعيّ في أحد القولين، والقول الآخر مثلُ قول الصَّحابة، فقال المعتضد: اكتبوا إلى الآفاق بذلك، وكثرت الأدعية للمعتضد، وقالوا: أحيى سُنَّة الخلفاء.

وفيها[3] خرج عمرو بن الليث من نَيْسابور، فخالفه رافع بن هَرْثَمة إليها، فدخلها، وخطب بها لمحمد بن زيد الطَّالبي وأبيه، فقال: اللهمَّ وأصلح الدَّاعي إلى الحقِّ، القائم بالعدل والقسط، الإمام أبا عبد الله محمَّد بن زيد ابن رسول الله ﷺ، وكان رافع مُبايناً لبني العبَّاس، خارجيًّا عليهم، وكان عمرو الصفَّار يقاتله، ولما بلغ عَمْراً ما فعل رافع عاد إلى نيسابور، فنزل بعسكره ظاهِرَها، وأقام محاصراً لها في ربيع الآخر.

---

(١) من قوله: واستقضى المعتضد يوسف ..... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١).

(٢) في (خ): برد ميراث ذوي الأرحام وإبطال، والمثبت من (ف) و (م١)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٢/ ٣٥٩.

(٣) هذا الخبر والذي يليه ليس في (ف) و(م١).

وفيها قدم بغداد جماعة من قوَّاد جيش بن خمارويه، منهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق، وخاقان المفلحي، وبدر بن جُفّ وغيرهم، وسببُ قدومهم إلى المعتضد بالأمان أنَّهم أرادوا أن يفتكوا بجَيْش، فسُعي بهم إليه، وكان راكباً في موكبه، وعلموا أنَّه قد علم بهم، فخرجوا من يومهم، وسَلكوا البَرّيَّة، وتركوا أموالَهم وأهاليهم، فتاهوا أيَّاماً، ومات منهم جماعة بالعطش، ثمَّ خرجوا على طريق الكوفة، وبلغ المعتضد فأرسل إليهم بالأطعمة والدَّوابِّ وغيرها، فلما وصلوا بغداد حبس لهم، فدخلوا عليه، فقرَّبهم وأدناهم، وخلع عليهم، وأنزلهم المنازل، وكانوا ستين رجلاً[1].

وفيها وثب الجندُ من المغاربة والبربر على جَيْش بن خُمارويه، وقالوا: لا نرضى بك أميراً، فتنحَّ عنَّا حتَّى نوَلِّيَ عمَّك، فكلَّمهم كاتبُه عليُّ بن أحمد الماذرائيّ، وسألهم أن ينصرفوا عنه يومَهم، فانصرفوا، وغدا جَيش على عمِّه الذي ذكروا أنَّهم يؤمِّرونه، فضرب عُنُقَه وعُنُقَ عمٍّ آخر له، ورمى برؤوسهما إليهم، فهجم الجند على جيش فقتلوه، وقتلوا أمَّه، وانتهبوا داره [بمصر] وأحرقوها، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه جيش.

وفيها وقع الفداء بين المسلمين والرُّوم على يدي أحمد بن طُغان والي طَرَسوس في شعبان، فكان عدَّة من فُودي من المسلمين الرِّجالِ والنِّساءِ مقدار ألفين وخمس مئة وأربعة أنفس.

وفيها استأمن عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف إلى بدر، فخرج الوزير عبيد الله[2] إلى لقائهم، ونزلوا في مضرب بدر، وخلع عليهم، وحلفوا أنَّهم في طاعة أمير المؤمنين، وكان قبلهم قد دخل بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف في الطَّاعة إلى بدر والوزير، فولَّياه عمل أخيه عمر على أن يخرج إليه فيحاربه، فلمَّا دخل عمر في الطَّاعة قال الوزير لبكر: إنَّ أخاك قد أطاع، وإنَّما ولَّيناك عمله لكونه كان عاصياً، والآن فامضيا إلى باب أمير المؤمنين ليرى رأيه فيكما.

وولي عيسى النُّوشري أصبهان، وأظهر أنه من قِبَل عمر بن عبد العزيز، فهرب بكر

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٤٤ ـ ٤٥، والكامل ٧/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٢) في (خ): فخرج الوزير بن عبيد الله، والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٤٧، والكامل ٧/ ٤٧٩.

في أصحابه، فكُتب بذلك إلى المعتضد، فكتب إلى بدر يأمره بالمقام مكانه حتَّى يعرف خبر بكر.

وسار الوزير إلى الرَّيِّ فلحق بعليٍّ بن المعتضد، وظهر خبر بكر أنَّه بالأهواز، فوجَّه المعتضد خلفه وصيف موشكير، فانتهى إلى حدود فارس، وبات كلُّ واحد منهم قريباً من صاحبه ولم يتوافقا، فارتحل بكر في الليل ولم يتبعه وصيف، ومضى إلى أصبهان، ورجع وصيف إلى بغداد، وكتب المعتضد إلى بدر بحربه، فتقدَّم بدر إلى عيسى النُّوشري بذلك، فقال بكر من أبيات طويلة: [من الكامل]

يا بدرُ إنَّك لو شهدتَ مواقفي ... والموتُ يَلْحَظ والصِّفاحُ دَوامي

لذَمَمْتَ رأيَك في إضاعةِ حُرْمَتي ... ولضاق ذَرْعُك[1] في اطِّراح ذِمامي

حرَّكْتَني بعد السُّكونِ وإنَّما ... حرَّكْتَ من حِصني جبالَ تِهامِ

وقال يذكر هرب النُّوشريّ من بين يديه، ويعيِّر وصيفاً بالإحجام عنه، ويتهدَّد بدراً: [من الخفيف]

قالتِ البِيضُ قد تغيَّر بَكرٌ ... وبدا بعد وَصْلِه منه هَجْرُ

ليس كالسَّيفِ مُؤنِسٌ حين يَعْرُو ... حادثٌ مُعْضِلٌ ويَفْدَحُ أَمْرُ

أوقَدوا الحربَ بيننا واصطَلَوْها ... ثمَّ خانوا فأين منها المَفَرُّ

وبَغَوْا شرَّنا فهذا أوانٌ ... قد بدا شَرُّه ويتلوه شَرُّ[2]

قد رأى النُّوشَريُّ لمَّا التقينا ... مَن إذا أُشرع الرِّماحُ يَفِرُّ

جاء في قَسْطَلٍ لُهام[3] فصُلْنا ... صَولةً دونها الكُماةُ تَهِرُّ

ولو لا الموشَجير أفضى إلينا ... رُوِّيَتْ عند ذاك بِيضٌ وسُمْرُ[4]

---

(١) في (خ): عذرك. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٤٨ .

(٢) في (خ):

وبدا شرنا فهذا أوان ... قد بدا شرها ويتلوها شر

والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٤٩ .

(٣) القسطل: الغبار الساطع. واللُّهام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء. اللسان (قسطل)، (لهم).

(٤) في (خ):

ولوا الموشكير أفضى إلينا ... ودمار وبن بيض وسمر

=

غــرَّ بــدراً حِـلْـمـي وفَـضـلُ أَنـاتـي   واحـتـمـالـي وذاك مـمَّـا يَـغُـرُّ
لـسـتُ بَـكـراً إن لـم أدَعْـهـم حـديـثـاً   مـا سَـرى كـوكـبٌ ومـا كَـرَّ دَهْـرُ

وفي شوال مات عليُّ بن محمد بن أبي الشَّوارب، فحُمل إلى سرَّمن رأى في تابوت، فدُفن بها، وكانت ولايتُه على قضاء مدينة المنصور ستة أشهر.

وفيها قدم بغداد عمرُ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فأمر المعتضد بتلقِّيه، فتلقَّاه الخواصُّ والقوَّاد، ووصل إلى المعتضد، فخلع عليه وأحسن إليه.

وفيها هزم [١] عمرو بن الليث رافعَ بنَ هَرْثَمة، وجدَّ في طلبه.

وبعث عمرو [بن الليث] إلى مكة بمال جليل لينفق على ضيافة[٢] الماء من عرفات إلى مكة.

وفيها ورد كتاب عمرو بن اللَّيث إلى المعتضد يخبره بقتل رافع بن هرثمة بخُوارزم، وأنَّه بعث محمد بن عمرو البلخيَّ في جيش، فواقعه بطُوس فانهزم، وتبعه فلحقه بخُوارزم، وبعث بخاتمه مع الكتاب[٣].

وحجَّ بالنَّاس محمد بن عبدالله بن تُرنجة.

وفيها توفِّي[٤]

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم

أبو إسحاق، الثَّقفيُّ، السَّرَّاج، النَّيسابوريُّ.

كان الإمامُ أحمد بن حنبل رحمة الله عليه يَزوره في منزله، ويُفطرُ عنده، ويَنْبَسط إليه في منزله؛ لزُهده وورعه وصلاحه، وأقام ببغداد حتَّى توفِّي بها.

سمع الإمام أحمد رحمه الله وغيرَه، وروى عنه أخوه محمد بن إسحاق[٥].

= والمثبت من تاريخ الطبري، والكامل، وفي الكامل النوشري بدل الموشجير.

(١) من قوله: وفيها استأمن عمر بن عبد العزيز... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٢) في (ف) و(م١): سياقة، وما بين معكوفين منهما.

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٤٩ ـ ٥٠. وهذا الخبر ليس في (ف).

(٤) هذه الترجمة والتي تليها ليست في (ف) و(م١).

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢، والمنتظم ١٢/ ٣٦١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٠٣.

جَيش بن خُمارويه

ابن أحمد بن طولون.

ولي إمرة دمشق بعد موت أبيه مدَّةً يسيرة، ثمَّ خرج إلى مصر في هذه السَّنة، واستخلف على دمشق طُغْج بن جُفّ، فلمَّا دخل مصر لم يرضَ أهلُها، وقالوا: نريد عمَّك أبا العشائر بن أحمد، فوثب هارون بن خُمارويه على أخيه جَيْش فقتله في جمادى الأولى[١]، وكانت ولايته خمسة أشهر، واستولى هارون على مصر.

قال ربيعة بن أحمد بن طولون: لمَّا قُتل أخي خمارويه ودخل ابنه جيش مصر قبض عليَّ وعلى عمَّيه مضر وشيبان[٢] ابني أحمد، وحبسنا في حجرة معه بالميدان، وكان كلّ يوم يأتينا بمائدة عليها طعام، فكنَّا نجتمع عليها، فجاءنا يوماً خادم، فأخذ أخانا مُضَر، فأدخله بيتاً، فأقام خمسة أيام لا يَطعَم ولا يَشْرَب، مقفول عليه بقفل، فدخل علينا ثلاثةٌ من أصحاب جيش وقالوا: أين أخوكم؟ قلنا: لاندري ، فدخلوا عليه البيت، فضربه واحدٌ منهم بسَهم في مقتله فقتلوه، وغلَّقوا علينا الباب، وبقينا يوم الجمعة والسبت لم يقدّموا إلينا طعاماً، فظننا أنَّهم نسونا،فلمَّا كان يوم الأحد سمعنا [صارخة في الدار][٣]، وفتح علينا الباب، وأُدخل إلينا جَيش بن خُمارويه، فقلنا: ما حالك؟ فقال: غلبني أخي هارون، وتولَّى الإمارة، فقلنا: الحمد لله الذي قبض يدكَ وأضرع خدَّك، فقال: ما كان عَزْمي إلا أن أُلحقكما بأخيكما.

ودخل خادم ومعه مائدة من الطَّعام وقال: إنَّ الأمير هارون قد بعث إليكما بهذه المائدة، وكان في عزم جيش أن يُلحقكما بأخيكما، فقوما إليه فاقتلاه، وخذا بثأركما منه، وانصَرِفا على أمان،قال: فلم نقتله، وانصرفنا إلى منازلنا، وبعث هارون خدماً فقتلوه، وكُفينا أمر عدوِّنا.

[فصل وفيها توفِّي]

سَهْل بن عبدالله بن يونس

أبو محمد، التُّسْتَري[٤].

---

(١) ينظر ما سلف ص١٩٤ من خَبَر مقتله.

(٢) في (خ): نصر وسنان. والمثبت من تاريخ دمشق ٤/ ٥٥.

(٣) ما بين معكوفين زيادة من تاريخ دمشق.

(٤) تنظر ترجمته في طبقات الصوفية ٢٠٦ ـ٢١١، وحلية الأولياء ١٠/ ١٨٩ ـ ٢١٢ ، والرسالة القشيرية ١٩٧ ، =

أحد المشايخ، ومن أكابر علماء القوم ، والمتكلِّم في علوم الإخلاص والرياضات، وكان كبيرَ الشَّأن في باب الورع والمعاملات، مشهوراً بالكرامات.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى ابن خميس في «المناقب»: أنَّه][(١)] كان يقوم الليل وله ثلاث سنين . قال: كنتُ أنظر إلى [صلاة خالي محمد] بن سَوّار وكان يقوم الليل، فكنت أقوم معه.

[وروي أنَّه] صام الدَّهر وهو في القِماط، قال: أرضعتني أمِّي ليلاً، ثمَّ طلع الصَّباح، فألقى الله عليَّ النُّعاس طول النهار، فلمَّا جاء اللَّيل أرضعتْني، فبقيتُ على هذا مدَّة الرضاع،ثمَّ ألهمني الله وأنا ابن ثلاث سنين [سَرْدَ الصوم، قال: وحفظت القرآن وأنا ابن ستِّ سنين] وكنتُ أَسْرُد الصَّوم وأفطر على خبز الشَّعير حتَّى بلغتُ اثنتي عشرة سنة.

قال: وقال لي خالي محمد بن سَوّار وأنا طفل: [يا سهل ،] ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره؟ قال:تقول بقلبك من غير أن تحرِّك شفتيك ولسانَك: الله ناظري، الله شاهدي، الله معي، ثمَّ قال: دُم على هذا فإنَّه ينفعك في قبرك، [قال:] فدُمت عليه، فوجدتُ حلاوتَه في سرِّي.

وقال: وقعتُ في مسألة وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، فخرجتُ إلى عبَّادان،فسألتُ عنها أبا حبيب حمزةَ بنَ عبدالله العبَّاداني، فأجابني عنها، ثم رجعتُ إلى تستر، فكان قوتي في كلِّ شهر درهم أشتري به شعيراً وأطحنه، وأُفطر في كلِّ ليلةٍ وقتَ السَّحرَ على أوقيَّة [بغير] ملح ولا إدام، وكنتُ أُواصل اليومين والثلاثة والعشرة والعشرين وأكثر.

[حدثنا جدِّي رحمه الله بإسناده عن] أبي العبَّاس الخوّاص قال: كنت أحبُّ أن أعلم من أينَ يقتات سهل بن عبدالله ؟ [فلم يخبرني أحد]، فجئتُ ليلة إلى المسجد وسهل قائمٌ يصلِّي، [فجاءت شاةٌ فدخلت المسجد،] فأوجز في صلاته،وأخذ قَعْباً من طاق

= ٢٣٤ ، ٣٣٢ ، ٤١٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٥ ، ومناقب الأبرار ١/ ١٩٧-٢٢٠، وصفة الصفوة ٤/ ٦٤-٦٦ ، ٢٥٤ ، ٤٤٣ - ٤٤٤، والمنتظم ١٢/ ٣٦٢ ، وذم الهوى ص٧٧ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٦-٧٥٨ .

(١) المناقب ١/ ١٩٨، وما بين معكوفين من (ف).

المسجد]، فجاءتْ فوقفت بين يديه ، فحلَبها لبناً، فملأ القَعْب وشرب، ثمَّ مسح يده عليها وكلَّمها بالفارسية، فخرجت إلى البريَّة، وعاد إلى صلاته، [قال ابن جَهْضَم: وكان يفطر في شهر رمضان على الماء القراح].

[وحكى في «المناقب» عن] بعض أصحابه قال: دخلت على سهل(١) يوم الجمعة وقت الصَّلاة، فرأيتُ في البيت حيَّةً، فجعلت أُقدِّم رِجلاً وأؤخِّر أخرى، فقال لي: ادخل، لا يَبلغ العبدُ حقيقةَ الإيمان وعلى وجه الأرض شيءٌ يخافه، ثمَّ قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرةُ يوم وليلة، فقام وأخذ بيدي، فما كان بأسرع أن رأيت المسجد، فصلَّينا الجمعة وخرجنا، فوقف ينظر إلى النَّاس وهم خارجون، فقال: أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل.

ووقع بين يديه حمام في المسجد،فقال: إنَّ شاه بن شُجاع الكرمانيّ قد مات في هذه السَّاعة، فأرَّخوا الوقت، فكان كما قال.

وظهر بيعقوب بن الليث الصَّفَّار مرضٌ أعيى الأطباء، فقيل له: لو دعا لك سَهل لعوفيت، فاستحضره وقال: ادعُ الله لي، فقال: ما يَنفَعك دعائي وفي الحبس مظلومون يدعون عليك؟ فأخرج جميعَ مَن كان في حبسه، فقال سهل: [اللهم كما أريتَه] ذُلَّ المعصية، فأرِهِ عزَّ الطَّاعة، فعُوفي من ساعته، وأخرج مالاً عظيماً وقال لسهل: فرِّقه في الفقراء، فلم يقبل منه، فخرج من عنده، فقيل له: لو قبلتَه ودفعتَه إلى الفقراء، فنظر في الصَّحراء، وأشار إلى الحصى، فصار كلُّه جواهر، فقال لأصحابه: مَن يُعطى مثل هذا لا يحتاج إلى مال يعقوب بن اللَّيث.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً أنَّه] قال: أوَّل ما رأيتُ من العجائب والكرامات أنِّي خرجتُ يوماً إلى موضعٍ خالٍ، وطاب لي المقام فيه، وحضر وقتُ الصَّلاة، ولم يكن عندي ماء، فاغتَمَمْتُ لفَقْد الماء، فبينا أنا كذلك إذا بدُبٍّ يمشي على رجليه ومعه جرَّةٌ خضراء، فدنا منِّي وسلَّم عليَّ، ووضع الجرَّة بين يديّ، فجاءني اعتراضُ العلم، وقلت: هذا الماء لا أدري من أين هو؟ فنطق الدُّبُّ وقال: ياسهل، نحن قومٌ قد

(١) في (خ): قال بعض أصحاب سهل دخلت عليه....، والمثبت من (ف) و(م١).

انقطعنا إلى الله تعالى على عَزْم التوكُّل والمحبَّة، فبينما نحن نتكلَّم مع أصحابنا في مسألةٍ إذ نُودينا: ألا إنَّ سهلاً يريد أن يُجدِّد الوضوء، ووضعت الجرَّة بين أيدينا.

قال سهل: وإلى جانبها مَلَكان يَصُبَّان فيها الماء من الهواء وأنا أسمع، فغُشي عليَّ، ثمَّ أفقتُ، وإذا الجرَّة موضوعة، ولا علمَ لي بالدبِّ أين ذهب، وأنا متحسِّرٌ حيث لم أكلِّمْه، فتوضَّأتُ من الجرَّة، وأردتُ أن أشرب منها فنوديت: ياسهل، ما آن لك أن تشربَ من هذا الماء بعدُ، قال: وبقيت الجرَّةُ تضطرب وأنا أنظر إليها، فلا أدري أين ذهبت.

و[ذكر في «المناقب» أيضاً أنَّه] كان لسهل بتُسْتَر بيت تضيف فيه السّباع، قال أبو نصر السَّرَّاج: دخلنا تُستَر فرأينا في قصر سهل بيتاً يسمُّونه بيت السِّباع، فسألنا عنه فقالوا: كانت السِّباعُ تزور سَهلاً، فيُدخِلَهم هذا البيت، ويطعمهم اللَّحم، قال أبو نصر: ورأيتُ أهل تُستر مُجتمعين على هذا، وهم الجمُّ الغَفير، والعَددُ الكثير، لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكذب.

[قال السرَّاج: وحكى لنا] أبو سعيد صاحب سهل قال: دخل سَبُع إلى دار سهل ففزعنا كلُّنا، فقام سهل فأدخله البيت، وأمرني أن أشتريَ له لحماً ثلاثة أيام، فلمَّا كان في اليوم الرابع جاءه سهل فوقف على الباب وقال: يا مُبارك، الضيافة ثلاثة أيام[١]، فخرج السَّبُع إلى البريّة يُهَرْول.

وقال رجل من أصحابه له: ربَّما أتوضَّأ للصلاة، فيَسيلُ الماء بين يديَّ قضبان الذَّهب والفضَّة، فقال له سهل: أما علمتَ أن الصِّبيان إذا بكَوا يُعطَون خَشخاشة يشتغلون بها.

وقال له بعض أصحابه: أريد[٢] الخروج إلى البيت المقدس، وأحبُّ أن يكون لي هناك مَن آنَسُ به، فدلَّني على رجلٍ يكون كذلك، فقال له سهل: اذهب إلى هناك فإنَّك تلقى فلاناً، ووصف له صفتَه ومكانه من المسجد، قال الرجل: فأتيتُه فعرفتُه

(١) في (ف): الضيافة ثلاث.
(٢) في (ف): وحكى أيضاً عن بعض أصحابه أنه قال له أريد.

بالوَصْف، وسلَّمتُ عليه، وقلت: ادعُ لي، فقال: أتعرفُني؟ قلتُ: دلَّني عليك سهل، فقال: أتحبُّ أن ترى سهلاً؟ فقلتُ: إنِّي خلَّفتُه بتُستَر في بلده، فقال: قم إلى ذاك العَمود، فقمتُ إليه، وإذا بسهل قائمٌ يصلِّي عنده، فوقعت عليَّ رِعدة ولم أكلِّمه، وغلبني النَّوم، فأنبهوني للصَّلاة.

وقال سهل: كنت[1] يوماً بناحية ديار عاد، فرأيتُ مدينةً من حجرٍ منقور، في وسطها قصرٌ من حجارة، مَنقورةٌ سُقوفُه وأبوابه، تأوي إليه الجنُّ، فدخلتُه، وإذا شيخٌ عظيمُ الخِلْقة يصلِّي نحو الكعبة، وعليه جُبَّة صوف فيها طراوة، [قال:] فلم أتعجَّب من عِظَم خِلقتِه كما تعجَّبت من طراوة جُبَّته، فسلَّمت عليه، فردَّ وقال: يا سهل، إنَّ الأبدان لا تُخلِق الثِّياب، وإنَّما يُخلِقها روائحُ الذُّنوب، ومطاعمُ السُّحْت، وإنَّ لهذه الجُبَّةِ عليَّ سبع مئة سنة[2]، وفيها لقيتُ المسيح عليه السَّلام ومحمداً ﷺ، وآمنتُ بهما، فقلتُ له: ومَن أنت؟ فقال: أنا الذي نزل فيَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[الجن: ١] الآية.

وقال[3] عبد العزيز الأهوازي: قال لي سهل بن عبد الله: مُخالطة الوليِّ للنَّاس ذلٌّ، وتفرُّده عزٌّ.

وقال: ما رأيتُ وليًّا لله إلا مُنفرداً إلَّا عبد الله بن صالح؛ فإنَّه كان رجلاً صالحاً له سابقةٌ جَليلة، وكان يفرُّ من الناس من بلد إلى بلد حتَّى أتى مكَّة، فطال مُقامه بها، فقلتُ له في ذلك فقال: ولِمَ لا أُقيم ببلدٍ لم أر بلداً تنزل فيه من الرَّحمة والبَركة أكثر من هذا البلد؟ والملائكة تغدو فيه وتروح، وإنِّي أرى فيه أعاجيبَ كثيرة، أرى الملائكة يطوفون به على صور شتَّى لا يقطعون ذلك، ولو قلتُ ذلك كلّما رأيتُ لصَغُرت عنه عقولُ البشر أو عقولُ قوم ليسوا بمؤمنين، فقلت: أسألك، ألا أخبرتَني بشيءٍ من ذلك، فقال:

ما من وَليٍّ لله صحَّت ولايتُه إلَّا وهو يَحضر في هذا البلد في كلِّ ليلةِ جمعة، ولا

(١) في (ف) و(م١): وحكى أيضاً عن سهل قال كنت.

(٢) في صفة الصفوة ٤/ ٤٤٤: وإنَّ هذه الجبة عليَّ منذ سبع مئة سنة.

(٣) هذا الخبر ليس في (ف) و(م١).

يتأخَّر عنه، فمقامي ههنا لأجل مَن أراه منهم، ولقد رأيتُ رجلاً يقال له: مالك بن القاسم جبليّ، قد جاء ويده غَمِرَة[١]، فقلتُ له: إنَّك قريبُ عَهْدٍ بالأكل؟ فقال لي: أستغفر الله؛ فإنِّي منذ أسبوع لم آكل، ولكن أطعمتُ والدتي، وأسرعتُ لألحقَ صلاةَ الفجر ههنا، وبينه وبين الموضع الذي جاء منه سبع مئة فرسخ، فهل أنت مؤمن بهذا؟ قال سهل: فقلت: نعم، فقال: الحمد لله الذي أراني مؤمناً موقناً.

ذكر المختار من كلامه:

[حدَّثنا غير واحد عن عمر بن المظفَّر بإسناده، عن محمد بن الحسن بن مصباح] قال: [سمعتُ] سهل [بن عبد الله يقول:] أمسِ قد مات، واليوم في النَّزْع، وغداً لم يولد.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه]قيل له: ما تقول في هذا الذي يقولون: يكون الرجل بالغَداة بالبصرة، و بالعَشيّ بمكة؟ فقال: أليس يكون لبعض الملوك عَبْدٌ يَدفع إليه مفاتيح خزائنه يتصرَّف فيها كيف شاء؟! قالوا: بلى، قال: فكذا العبد إذا أطاع مولاه فيما أمره به ونهاه، واجتهَد فيما يقرِّبه إليه، سخَّر له كلَّ شيء.

[وروى أبو نعيم الأصفهاني[٢] بإسناده إلى ابن الصباح قال:] قال [سهل:] استجلبْ حَلاوةَ الزُّهدِ بقِصَر الأمل، واقطع أسبابَ الطَّمَع بصحَّةِ اليأس، وتعرَّض لرقَّة القلب بمُجالسةِ أهل الذِّكر، واستفتِحْ بابَ الحُزن بطول الفكر، وتزيَّن لله بالصِّدق، وإيَّاك والغَفْلة؛ فإنَّ فيها سوادَ القلب.

[وحكى في «المناقب»بمعناه، وزاد عليه:] وتحبَّب إلى الله بتَعجيل الانتقال، وإيَّاك والتَّواني فيما لا عُذرَ فيه؛ فإنَّه مَلجأ النَّادمين، واسترجِعْ سالفَ الذُّنوب بشدَّة النَّدَم، وتعرَّضْ لعفو الله بحُسن المراجعة، واستدِمْ بعظيم الشُّكر خوفَ زوال النِّعمة.

[وحكى أبو نعيم[٣] عنه أنَّه] قال: أوَّل الحِجاب الدَّعوى، فإذا أخذوا فيها حُرموا.

[وحكى الخطيب عن سهل بمعناه قال:] ليس بين العبد وبين الله حِجابٌ أغلظ من الدَّعوى، ولا طريقٌ أقرب من الافتقار.

---

(١) الغَمَر: ما يعلق باليد من دسم اللحم. اللسان: (غمر).

(٢) في حلية الأولياء ١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠٠. وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٣) في الحلية ١٠/ ٢٠٢.

[وحكى عنه ابن باكويه أنَّه قال:] ليس على النَّفس شيءٌ أشدَّ من الإخلاص؛ لأنَّه ليس لها فيه نصيب.

[وحكى عنه في «المناقب»أنَّه]قال: كلُّ الأحوال لها وجهٌ وقفا، إلَّا التوكُّل فإنَّه وجهٌ بلا قفا.

[وحكى عنه أيضاً أنَّه] قال: ما من قلبٍ إلا والله تعالى مطَّلعٌ عليه، فإن رأى فيه مَيْلاً إلى غيره سلَّط عليه إبليس.

وقال: لا يستحقُّ الإنسان الرّياسة حتَّى يَصرف جهله عن النَّاس، ويَحمل جَهلَهم، ويَتركَ لهم ما في أيديهم، ويَبذُلَ لهم ما في يده.

وقال: من أخلاق الصِّدِّيقين أنَّهم لايَحلفون بالله صادقين ولا كاذبين، ولا يَغتابون ولا يُغتاب عندهم، وإذا وَعدوا لم يُخلِفوا، ولا يُشْبِعون بطونَهم، ولا يَمزحون، ولا يتكلَّمون إلَّا الاستثناء في كلامهم.

وقال: الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمعونات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص.

وقال: تربة المعاصي الأمل، وبذرها الحرص، وماؤها الجهل، وزارعها الإصرار، وتربة الطاعة المعرفة، وبَذْرها اليقين، وماؤها العلم، وزارعها الإقلاع.

وقال: مَن لم يَصحبه الورعُ أكل رأسَ الفيل ولم يشبع.

وقال له رجل: أُريد أن أصْحَبَك، فقال: إذا مات أحدُنا فمَن يصحب الباقي؟ فقال: الله تعالى، قال: فلنَصْحَبه الآن.

وسئل عن ذات الله تعالى، فقال: : ذاتُه سبحانه موصوفة بالعلم، غيرُ مُدْرَكَةٍ بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا إحاطة، قد حجب الخَلْقَ عن معرفةِ كُنْهِ ذاته، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوب تَعرفُه، والعقول لا تُدركه.

وقال: مَن كان له في الدُّنيا سببٌ يتعلَّق به غير الله، أو يُؤوي إليه غيرَه، فقلبه مَحجوبٌ عنه، ومَن لم يغلب عليه الوَحدة فهو بعيدٌ من باب الله تعالى.

وقيل له: ما القوت؟ فقال: ذكرُ الحيِّ الذي لا يموت. وقال: إنَّ الله تعالى منع أقواماً لَذيذَ مُناجاته، فلم يرض عقولَهم لمعرفته، ولا أبدانَهم لخدمته، فجعلهم عَبيدَ الدنيا.

[وقال في «المناقب» أيضاً:] كان قد أصاب سَهلاً زَمانَةٌ في آخر عمره، فكان إذا حضر وقتُ الصلاة انتَشَرت يداه ورجلاه، فإذا فرغ من الصَّلاة عادت الزَّمانة، ولم يزل كذلك إلى أن مات.

[واختلفوا في وفاته؛ فذكر أبو عبد الرحمن السُّلَمي في«الطبقات»[١] أنَّه] مات في هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

[قال في «المناقب»:]ولمَّا خرجوا بجنازته أكبَّ النَّاس عليها وهناك شيخٌ يهوديٌّ، فصاح صَيحةً عظيمة وقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: وما ترى؟ قال: أرى أقواماً نزلوا من السَّماء يتمسَّحون بالجنازة، ثمَّ أسلم في الحال وحَسُن إسلامُه.

أسند سهل عن خاله محمد بن سَوَّار، واجتمع بذي النُّون المصري بمكَّة، ولقي جماعة من المشايخ، وكانت وفاته بتُسْتَر رضي الله عنه[٢].

صالح بن محمد

ابن عبد الله بن عبد الرحمن، أبو الفضل، الشِّيرازي[٣] البغداديّ.

كان رجلاً صالحاً، ختم القرآن أربعة آلاف مرَّة، وتوفِّي في شوال.

حدَّث عن عفَّان بن مسلم وغيره، وروى عنه أبو بكر الشَّافعي وغيرُه، وكان ثقة.

عبد الرحمن بن يوسف

ابن سعيد بن خِراش، أبو محمد، الحافظ، البغداديُّ.

أقام بنيسابور مدَّة مُستَفيداً من محمد بن يحيى الذُّهلي وغيره، وسمع منه جماعة، ورواته حُفَّاظ الأئمة من أهل الدُّنيا؛ لأنَّه كان أوحدَ زمانه، وفريدَ عصره، ومات ببغداد لخمسٍ خَلَون من رمضان.

أسند عن خلق كثيرٍ؛ وروى عنه أحمد بن عُقْدَة وغيره.

(١) ص ٢٠٦.

(٢) من هنا إلى آخر السنة ليست في (ف) و(م١).

(٣) كذا في (خ) والمنتظم ١٢/ ٣٦٢، والذي في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٩: الرازي.

ومن شعره: [من السريع]

وقائلٍ كيف تهاجَرْتُما ... فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فتاركتُهُ ... والنَّاسُ أشكالٌ وأُلَّافُ

واتَّفقوا على صدقه، وثقته، وأمانته، وفضله(١).

وقال أبو أحمد بن عديّ: كان يتشيَّع، سئل عن قوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركناه صدقة». فقال: هذا حديث باطل(٢).

عليُّ بن العبَّاس بن جُرَيْج

أبو الحسن، ابن الرُّومي، الشَّاعر، مولى عُبيد الله بن عيسى بن جعفر.

شاعر مَشهور فصيح، وهو أحد الشُّعراء المُكْثِرين المُجَوِّدين في الغَزَل، والمديح، والهجاء، والأوصاف.

ومن شعره: [من الطويل]

إذا ما كساكَ الدَّهرُ سِرْبال صِحَّةٍ ... ولم تَخْلُ من قوتٍ يَلَذُّ ويَعْذُبُ
فلا تَغْبِطَنَّ المُتْرَفين فإنَّه ... على قَدْرِ ما يَكسوهمُ الدَّهرُ يَسْلُبُ(٣)

وقال: [من الوافر]

عدوُّكَ من صديقك مُستفادٌ ... فلا تَسْتَكْثِرنَّ من الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثر ما تراه ... يكون من الطَّعامِ أو الشَّراب
إذا انْقَلبَ الصَّديقُ غداً عدوًّا ... مُبيناً والأمورُ إلى انقلابِ
فدَعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرٍ ... يُعافُ وكم قليلٍ مُستَطابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بمُرْوِياتٍ ... وتَلْقى الرِّيَّ في النُّطَفِ العِذابِ(٤)

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٥٧١، والمنتظم ١٢/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٧٣.

(٢) الكامل ٤/ ١٦٢٩ دون قوله: «نحن معاشر الأنبياء» وأخرجه أيضاً دون هذا اللفظ البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) (٤٩)، وأحمد (١٧٢) من حديث عمر ﷺ، وأخرجه النسائي في الكبرى (٦٢٧٥) بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لانورث، ما تركنا فهو صدقة».

(٣) المنتظم ١٢/ ٣٦٥، والديوان ١/ ١٨٧.

(٤) ديوانه ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

وقال: [من الطويل]

لِمَا تُوعد الدُّنيا به من صُروفِها يكون بُكاءُ الطِّفلِ ساعةَ يُولَدُ
وإلَّا فما يُبكيه منها وإنَّها لَأَفْسَحُ ممَّا كان فيه وأرغَدُ(١)

أخذ هذا المعنى بعض المتأخِّرين فقال: [من الطويل]

لِمَا توعد الدُّنيا به من شُرورها يكون بكاءُ الطِّفل ساعةَ يُوْضَعُ
وإلَّا فما يُبكيه منها وإنَّها لأفسحُ ممَّا كان فيه وأوسعُ

وقال في ابنٍ لعيسى بن منصور وكان شحيحاً: [من المتقارب]:

يُقَتِّرُ عيسى على نَفسِهِ وليس بباقٍ ولا خالد
فلو يستطيعُ لتَقْتِيرِه تنفَّسَ من مِنْخَرٍ واحدِ(٢)

وقال وقد نزل في سفينة، فرأى أبا رِياح على دار ابن طاهر والشُّرفات: [من الوافر]

ترى شُرُفاتها مثلَ العَذَارى خَرَجْنَ لنُزهَةٍ فقَعَدْنَ صَفَّا
عليهنَّ الرَّقيبُ أبو رياحٍ فليس لخوفه يُبْدينَ حَرْفا(٣)

وقال: [من الطويل]

إذا ما مدحتَ الباخِلين فإنَّما تُذَكِّرُهم ما في سِواهم من الفَضْلِ
وتُهدي لهم غمًّا طويلاً وحَسْرةً فإنْ مَنعوا منك النَّوالَ فبالعَذْلِ(٤)

وقال: [من الطويل]

تَخَذْتُكُمُ حِصناً حَصيناً لتَدْفَعوا نِبال العِدا عنِّي فكنتم نِصالَها
وقد كنتُ أرجو منكمُ خيرَ ناصرٍ على حين غَدْراتِ اليمين شِمالَها
فإن أنتُمُ لم تَحفظوا لي مَوَدَّتي ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لَها
قِفوا مَوْقِفَ المَعْذورِ عنِّي بمَعْزِلٍ وخلُّوا نِبالي والعِدا ونِبالَها(٥)

---

(١) ديوانه ٢/ ٥٨٦.
(٢) البيتان في ديوانه ٢/ ٦٤١، وذكرها أيضاً الخطيب في تاريخه ١٣/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.
(٣) ذكر هذين البيتين الخطيب في تاريخه، ولم نقف عليهما في ديوان ابن الرومي.
(٤) المنتظم ١٢/ ٣٦٤، وديوانه ٥/ ٢٠٢٢٥.
(٥) المنتظم ١٢/ ٣٦٦، وديوانه ٥/ ١٩١١.

وقدم بعضُ إخوانه من سفرٍ، فتأخَّر عن السَّلام عليه، فكتب إليه يقول: [من الكامل]

يـامَـن أُؤمِّـلُ دونَ كـلِّ كَـريـمِ ... وتُـحـبُّ نـفـسـي دون كـلِّ حَـمـيـمِ
أخَّـرتُ تَـسـلـيـمـي عـلـيـك كَـراهـةً ... لـزِحـامِ مَـن يَـلـقـاك لـلـتَّـسـلـيـمِ
وذكـرتُ قِـسْـمـتَـكَ الـتَّـحـفِّـي بـيـنـهـم ... عـنـد الـلـقـاءِ كـفـعـلِ كـلِّ كـريـمِ[1]
فـنَـفَـسْـتُ ذاك عـلـيـهـمُ وأرَدْتُـه ... مـن دونـهـم وَحْـدي بـغـيـر قَـسـيـمِ
فصبرتُ عنك إلى انْحِسارِ غِمارِهم ... والـقـلـبُ نَـحـوك دائـمُ الـتَّـحْـويـمِ
صَـبْـرَ امـرئٍ يُـعـطـي الـمـودَّةَ حـقَّـهـا ... لا صَـبْـرَ مَـذْمـومِ الـحِـفـاظِ[2] لَـئـيـمِ
والـسَّـعْـيُ نـحـوك بـعـد ذاك فَـريـضـةٌ ... وقَـضـاءُ حَـقِّـك واجـبُ الـتَّـقـديـمِ

وقال أبو عثمان النَّاجم: دخلتُ على ابن الروميّ وهو يموت، فقال لي: [من الوافر]

أبـا عُـثـمـانَ أنـت حَـمـيـدُ[3] قـومِـكْ ... وجُـودُكَ لـلـعَـشـيـرةِ دون لـومِـكْ
تـزَوَّدْ مـن أخـيـك فـمـا أَرَاه ... يَـراك ولا تَـراهُ بـعـد يَـوْمِـكْ

فلمَّا خرجتُ من عنده مات.

وكان موته في هذه السَّنة، وقيل: سنة أربع وثمانين ببغداد، ويقال: إنَّ الوزير القاسم بن عبيد الله سَمَّه في خُشْكنانه؛ لأنَّه هجاه.

وله: [من الطويل]

وحَـبَّـبَ أوطـانَ الـرِّجـال إلـيـهـمُ ... مـآربُ قـضَّـاهـا الـشَّـبـابُ[4] هُـنـالـكـا
إذا ذَكَـروا أوطـانَـهـم ذكَّـرَتْـهـمُ ... عُـهـودَ الـصِّـبـا فـيـهـا فـحَـنُّـوا لـذلِـكـا

---

(١) في (خ): حليم. والمثبت من الديوان ٦/ ٢٢٤٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٣. والتَّحفِّي: الكلام واللقاء الحسن. اللسان: (حفا).

(٢) في (خ): اللحاظ. والمثبت من المصادر السالفة.

(٣) كذا في (خ)، وتاريخ بغداد، والذي في الديوان ٥/ ١٨٨٩: عميد.

(٤) في (خ): ما أردت قضاها التصابي، و المثبت من الديوان ٥/ ١٨٢٦، والمنتظم ١٢/ ٣٦٦.

عليُّ بن محمد بن أبي الشَّوارب

الأمويّ البَصريّ، أبو الحسن، قاضي سرَّ من رأى.

سمع أبا الوليد الطَّيالسيَّ وغيره، وروى عنه ابن صاعد[1] وغيرُه، وكان عفيفاً ديِّناً ثقة.

وكانت وفاته ببغداد في شوَّال، وحمل إلى سرَّ من رأى.

الوليد بن عُبيد

ابن يحيى بن عُبيد، أبو عُبادة، البُحْتُريّ[2]، من بُحتر طَيِّئ، من أهل مَنْبِج.

شاعر مشهور، ولد سنة مئتين، وقيل: سنة ستٍّ ومئتين، تأدَّب، وخرج إلى العراق فمدح المتوكِّل، والخلفاء، والأمراء، والأكابر، والرؤساء، وأقام ببغداد دهراً طويلاً، ثم عاد إلى بلده فمات به سنة ثلاثٍ وثمانين. وقيل: سنة خمس وثمانين ومئتين، وقد بلغ ثمانين سنةً.

وكان يُفَضَّل على أبي تمَّام، وإذا قيل له في ذلك يقول: كلا والله، ذاك الرئيسُ الأستاذ، وهل أكلْنا الخبزَ إلَّا به؟

وكان أبو تمَّام يقول له: أنت أمير الشُّعراء بعدي، فقال البحتري: هذا الكلام أحبُّ إليَّ من جميع ما حَويتُه.

وشهرة البُحتريِّ تُغني عن الإطناب في وصفه.

ومن شعره يمدح كاتباً: [من الكامل]

وإذا دَجَتْ أقلامُه ثمَّ انتحت ... بَرَقَتْ مَصابيحُ الدُّجى في كُتْبِهِ
فاللفظُ يُرْقَبُ[3] فَهْمُه في بُعده ... منَّا ويَبْعُدُ نَيلُه في قُربِهِ
حِكَمٌ سَحائبُها خِلالَ بَنانه ... هَطَّالةٌ وقَليبُها في قَلْبِهِ

---

(١) في (خ): ابن صائغ، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٥٢٣، والمنتظم ١٢/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٨٤.

(٢) ذكره في المنتظم ١٢/ ٣٩٢-٣٩٧ في وفيات سنة خمس وثمانين ومئتين، وانظر تاريخ الإسلام ٦/ ٨٤٤، وتاريخ بغداد ١٥/ ٦٢١.

(٣) في ديوانه ١/ ١٦٥، وتاريخ بغداد ١٥/ ٦٢٢: يقرب، وهي الأشبه.

كـالـرَّوض مـؤتَـلِـقـاً بـحُـمْـرَةِ نـوره وبـيـاضِ زَهْـرتِـه وخُـضـرةِ عُـشْـبـهِ
وكـأنَّـهـا والـسَّـمـعُ مَـعـقـودٌ بـهـا شخْصُ الـحبيـب بَدَا لـعَيـنِ مُـحبِّهِ

وقال يصف كُتّاباً: [من البسيطِ]

قـومٌ إذا أخـذوا الأقـلامَ عـن غَـضَـبٍ ثـمَّ اسـتـمـدُّوا بـهـا مـاءَ الـمـنـيَّـاتِ
نـالـوا بـهـا مـن أعـاديـهـمْ وإنْ كَـثُـروا مـالا يُـنـالُ بـحـدِّ الـمَـشْـرَفـيَّـاتِ[1]

وله: [من الكامل]

وإذا تـكـامـل لـلـفـتـى مـن عُـمْـرِه خمسـون وهـو إلى التُّقى لا يَجْنَحُ
عَـكَـفـتْ عـلـيـه الـمُـخْـزيـاتُ فـمـا لـه مُـتـأخِّـرٌ عـنـهـا ولا مُـتَـزَحْـزِحُ
وإذا رأى الـشَّـيـطـانُ غُـرَّةَ وَجْـهِـه حَيَّى وقـال: فَـديتُ مَـن لا يَـصْـلُـحُ[2]

وقال يتشوّق: [من الطويل]

سـلامٌ عـلـيـكـم لا وَفـاءٌ ولا عَـهْـدُ وَشيـكاً ولـم يُـنـجَـزْ لـنـا منكـمُ وَعْـدُ
حَبيبٌ من الأحبابِ شَطَّت به النَّوى وأيُّ حَـبيبٍ لـم يَـحُـلْ دونـه الـبُـعْـدُ[3]

وقال أيضاً: [من الخفيف]

إنْ جَـرى بـيـنـنـا وبـيـنـكِ عَـتْـبٌ وتَـنـاءت مـنَّـا ومـنـكِ الـدِّيـارُ
فـالـغَـلـيـلُ الـذي عَـهِـدْتِ مُـقـيـمٌ والـدُّمـوعُ الـتـي شَـهِـدْتِ غِـزارُ[4]

وقال أيضاً: [من الخفيف]

هـل لـمـا فـاتَ مـن تَـلاقٍ تـلافـي أم لـشَـاكٍ مـن الـصَّـبـابـةِ شـافِ
لـيـس مـن ثَـروةٍ بـلـغـتُ مَـداهـا غـيـر أنِّـي امـرؤٌ كـفـانـي كَـفـافـي[5]

وقال أيضاً: [من الطويل]

أتـاك الـرَّبيـعُ الـطَّلْقُ يَـخـتـالُ ضـاحِـكـاً مـن الـحُـسْـنِ حـتَّـى كـاد أن يـتـكـلَّـمـا

(١) نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٥٩ لابن أسعد الموصلي، ونسبها الصفدي في الوافي بالوفيات ٧/ ١١٦ لأحمد بن عبد الله أمير المؤمنين المستظهر. ولم نقف عليها في ديوان البحتري.
(٢) هذه الأبيات في ديوان البحتري ١/ ٤٨٢ باختلاف كثير في ألفاظها، والقافية في الديوان مكسورة.
(٣) ديوان البحتري ٢/ ٧٤٠.
(٤) ديوان البحتري ٢/ ٨٥٢ ـ ٨٥٣.
(٥) ديوان البحتري ٣/ ١٣٨١، ١٣٨٣.

وقد نبَّه النّوروزُ في مَجلسِ الدُّجى أوائلَ وَرْدٍ كنَّ بالأمس نُوَّما[١]

وقال أيضاً: [من المتقارب]

إذا المرءُ لم يرضَ ما أَمْكَنَهْ ولم يأتِ من دهره أَزْيَنَهْ
وأُعجِبَ بالعُجبِ فاقتادَهُ وتاهَ به التِّيهُ فاستَحْسَنَهْ
فدَعْه فقد ساء تدبيرُه سَيضحكُ يوماً ويبكي سَنَهْ[٢]

[وفيها توفِّي

العبَّاس بن محمد بن عُبيد الله

أبو الفضل البَزَّاز، ويُعرف بدُبَيْس، البغدادي.

أحد الشّهود المعدلين من الجانب الشرقي.

قال ابن المنادي: وجد غمًّا على قلبه لحوادثَ لَحِقَتْه، فركب يوماً حماراً، فأخذ به خارج السُّور فسقط، فيَبِسَت رجلُه في الرِّكاب، فإلى أن يُلحَق مشى به الحمار مَجروراً فمات، وحُمل مَيْتاً إلى منزله في رجب.

سمع عفَّان بن مُسلم وطبقته، وروى عنه أبو عمرو ابن السَّمَّاك وغيرُه، وكان ثقةً.][٣]



(١) ديوان البحتري ٤/ ٢٠٩٠.

(٢) لم نقف على هذه الأبيات في ديوان البحتري، وهي في الديوان المنسوب لسيدنا علي رضي الله عنه ص٩٩، ونسبها للبحتري الخطيب في تاريخه ١٥/ ٦٢٣.

(٣) ما بين معكوفين زيادة من (ف) و(م١)، وتنظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٥-٣٦، والمنتظم ١٢/ ٣٦٨-٣٦٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٦٢.

السنة الرابعة والثمانون بعد المئتين

فيها في يوم الخميس لأربعٍ خَلَونَ من المحرَّم قدم رسول عمرو بن اللَّيث على المعتضد برأس رافع بن هَرْثَمة، فخلع على الرَّسول، ونصب الرأسَ في جانبَيْ بغداد، ثمَّ رُدَّ إلى دار الخلافة.

وفي[1] صفر أوقع عيسى النُّوشَري ببَكْر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف في حدود أصبهان، فهزمه النُّوشري، وقتل رجالَه، واستباح عسكَرَه، وهرب في نفر يسير.

وفي ربيع الأوَّل قلَّد المعتضد أبا عمر محمد بن يوسف[2] القضاء على مدينة المنصور مكان ابن أبي الشَّوارب، وخلع عليه.

وفيها أُخذ خادمٌ نصرانيٌّ لطبيب نصرانيٍّ اسمه غالب ـ طبيب السُّلطان ـ وشهدوا على الخادم أنَّه شتم النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام، فحُبس، ثمَّ اجتمع العامَّة وجاؤوا إلى دار القاسم بن عبيد الله الوزير، وطالبوه بإقامة الحدِّ عليه، وأسمعوه ما يكره، فهرب منهم، ومَضَوا إلى قصر الخلافة، وبلغ المعتضد فأدخل إليه منهم جماعةً، وسألهم عن الخَبر، وأرسل معهم رسولاً إلى القاضي، وأمره أن يَنْظُر في القَضيَّة، فجاؤوا إلى القاضي، وكانت البيِّنةُ قد قامت عنده، فوعدهم بإقامة الحدِّ، فشَغَبوا وهجموا عليه، فهرب أعوانُه، وقام فدخل بيته، وأغلق بابه، وأرسل إليه الوزير بدفع القضيَّة، فدفعها، فقال ابن بسَّام: [من السريع]

عِـنـايـةُ الـقـاسـمِ بـالـخـادم ... دلَّـت عـلـى دِيـنِ أبـي الـقـاسـمِ
لـو يَـكُـنِ الـمَـشْـتـومُ عـيـسـى لـمـا ... رضـي بـغـيـر الـقَـتْـلِ لـلـشَّـاتـمِ

أراد بأبي القاسم القاضي.

وفي ربيع الآخر ظهرت بمصر ظُلْمَة وحُمْرَة في السَّماء شديدة، حتَّى كان الرَّجل

---

(١) الأخبار الثلاثة الآتية ليست في (ف) و(م١).

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٥١، والكامل ٧/ ٤٨٤: يوسف بن يعقوب، والمثبت موافق للمنتظم ١٢/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٤.

ينظر إلى وجه الآخر فيراه أحمر، وكذا الحيطان، فخرج النَّاس من منازلهم يَدعون ويَتضرَّعون إلى الله تعالى، ودامت من وقت العصر إلى الليل.

وفيها بعث عمرو بن اللَّيث الصَّفَّار بألف ألف درهم لتُنفَق على طريق مكة مما يلي الكوفة والبصرة، وكانت الأمطار قد انقطعت من مكَّة ونواحيها، ففتح النَّاس باب الكعبة مِراراً، واستَسْقوا ودعوا.

قال الطَّبري: وفي هذه السَّنة عزم المعتَضِد على لَعْنَةِ معاويةَ بنِ أبي سفيان على المنابر، فخوَّفه عبيد الله[١] الوزير اضطرابَ العامَّة والفتنةَ، فلم يلتفت إليه، وتقدَّم إلى العامَّة بلُزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والمعصية[٢]، ومنع القُصَّاصَ من القعود على الطَّريق، ومنع من اجتماع الحِلَق والجدال في الجوامع، وكتب المعتضد كتاباً في ذلك، وأجمع النَّاس يوم الجمعة على أنَّ الخطيب يقرأه فما قوي.

والكتاب من إنشاء عبيد الله الوزير، وكان نسخته بعد حمد الله تعالى والصَّلاة على نبيِّه محمد ﷺ، إلى أن قال: وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعةٌ من العامَّة من شُبْهةٍ قد دخلتْهم في أديانهم، وفَسادٍ لَحِقَهم في عقائدهم، وعصبيَّةٍ قد غَلبتْ عليها أهواؤهم، وقطعت بها ألسنتهم على غير معرفةٍ ولا رويَّة، قلَّدوا فيها أئمَّة الضَّلالة بغير بيِّنة ولا بصيرة، وخالفوا السُّنَن المتَّبَعة، ومالوا إلى الأهواء المبتدعة، وقال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] خروجاً عن الجماعة، ومُسارعةً إلى الفتنة، وإيثاراً للفُرقة، وتَشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لموالاة مَن قطع الله عنه الموالاة، وبَتَر منه العِصمة، وأخرجه من المِلَّة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[الإسراء: ٦٠] وإنَّما أراد بني أميَّة الملعونين على لسانِ رسول الله ﷺ، وفي كتاب الله.

وإنَّ أبا سفيان وبَنِيْه وأهلَه لم يزالوا في المواطن كلِّها على رسول الله ﷺ، وكانوا أشدَّ عداوةً له من جميع الكفَّار، ولم ترفع الكفَّار رايةً يوم بدرٍ وأُحُدٍ والخندق إلَّا وأبو سفيان وأشياعُه أصحابُها، ومُقَدَّموها، ورؤساؤها، وقادتُها.

---

(١) في (م١): فخوفه عبيد الله والكتاب وهدَّأ عبيد الله بن سليمان بن وهب.

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٥٤ : والقضية، وفي المنتظم ١٢/ ٣٧٢ : العصبية.

ولمَّا رأى رسول الله ﷺ يوم الخندق أبا سفيان راكباً ومعاويةُ يقودُه وابنُه يزيد بن أبي سفيان قال: وذكر الحديث(١).

وإنَّ أبا سفيان كان يقول: تلقَّفوها [تَلَقُّفَ] الكُرة، فما ثَمَّ جنَّةٌ ولا نارٌ، وكان يقول: ههنا ذَبَبْنا محمداً وأصحابَه(٢).

وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠] فإنَّه رأى بني أميَّة يَنْزُون على منبره نَزْوَ القِرَدَة، فساءه ذلك.

وكان الحكم بن أبي العاص يتجسَّس على رسول الله ﷺ، ويَنقل أخبارَه إلى الكفَّار، ورآه يوماً وهو يُحاكي رسولَ الله ﷺ في مشيته فقال: كن كذلك، فكان.

ودعا رسول الله ﷺ يوماً معاوية، فقيل له: إنَّه يأكل، فقال: «لا أَشْبَعَ [الله] بطنَه»(٣)، فما شبع بعدها.

ثمَّ إنَّ معاوية وَثَب على أفضل المسلمين مكاناً، وأقْدَمِهم سابقةً، وأحسنِهم أثراً، أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب، فنازعه حقَّه بباطله، وقاتله بغُواته، وقد قال ﷺ لعمار: «تَقتُلُك الفئةُ الباغية».

وانبرى على هذه الأمَّة، فابْتَزَّهم أمرَهم من غير رِضًى ولا مَشورة، فسفك الدِّماء المحرَّمة، ونهب الأموال، وسبى الحَريم، ومنع من الحقوق أهلَها، وقتل خيارَ الصَّحابة: حُجْر بن عديٍّ، وعَمرو بن الحَمِق(٤) وأمثالهما، وادَّعى زياد بنَ أبيه بن سميَّةَ الفاجرة جَراءةً على الله، ومخالفةً لرسوله؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾[الأحزاب: ٥] وقال ﷺ: «الولد للفراش وللعَاهِرِ الحَجَر»(٥).

---

(١) ونصه كما في تاريخ الطبري ١٠/ ٥٨: لعن الله القائد والراكب والسائق.

(٢) في الطبري ١٠/ ٥٨: ومنه ما يروون من وقوفه على ثَنيَّة أُحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هاهنا ذببنا محمداً وأصحابه.

(٣) أخرجه مسلم(٢٦٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وما بين معكوفين من الطبري ١٠/ ٥٨.

(٤) في(خ): عمرو بن الجموح، والمثبت من تاريخ الطبري١٠/ ٥٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٥. وهو الصواب فإن عمرو بن الجموح استشهد يوم أحد. وينظر أسد الغابة ٤/ ٢٠٦.

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٥٣)، ومسلم (١٤٥٧)، وأحمد (٢٤٩٧٥) من حديث عائشة ﵂ وأخرجه =

ثمَّ دعا النَّاسَ إلى بيعةِ ابنه يزيد، وقد علم بفُجوره وفِسْقه، وقد علم النَّاس ما فعل بأولاد رسول الله ﷺ، والحسين، ونوبة الحَرَّة، وتحريقه البيتَ الحرام؛ جراءةً على الله وكُفراً به... وهو كتاب طويل، وفيه العجائب والغرائب.

ولمَّا كتبه عبيد الله الوزير قال للقاضي يوسف بن يعقوب: كَلِّم المعتَضِد في هذا، فقال له: يا أمير المؤمنين، أخاف الفتنةَ عند قراءته، فقال المعتضد: إن تحرَّكت العامَّة وضعتُ سيفي فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيِّين الذين هم في كلِّ ناحية قد خرجوا عليك؟ وإذا سمع النَّاس بما في هذا الكتاب من مآثر رسول الله ﷺ، وفضائل أهل البيت؛ كانوا إليهم أمْيَل، وكانوا هم أبسطَ ألسنةً، وأثبتَ حُجَّةً منهم اليوم، فأمسك المعتضد عنه، ولم يقل له شيئاً.

وفي شعبان ظهر شخص في دار المعتضد في يده سيفٌ مَسلول، فقصده بعضُ الخدم، فضربه بالسَّيف فجرحه، ودخل في البستان فاختفى، وطُلب فلم يوجد له أَثَر، وعَظُم ذلك على المعتضد، واحترز في سور دار الخلافة، وقيل: هو من الجنّ، واختلف النَّاس فيه، وساءت الظُّنون، واستوحش المعتضد من الدار وَحْشةً شديدة، وأقام الشخصُ يظهر مراراً على تلك الصُّورة ويتراءى، ولم يظهر خبره حتَّى مات المعتضد والمكتفي[(١)] وولي المقتدر[(٢)].

[وقال أبو يوسف القزويني:] كان هذا الشخص خادماً أبيض للمعتضد، وكان يميل إلى بعض الجواري، [اللاتي للمعتضد]، وكانت الجاريةُ في دار الحُرم، وكان مَن بلغ من الخُدَّام لا يدخلون دار الحرم، بل يسكنون خارجاً عنها، وكان خارج دار الحُرم بستان كبير كثير الأشجار، فاتَّخذ هذا الخادم لحيةً من مُشاق الكَتَّان، وكان يلبسها على وجهه، واتَّخذ برانس كثيرة مختلفة، ولحًى كثيرة، فتارة يظهر في صورة راهب، وتارة في صورة جندي، وبيده سيف مسلول، فكان إذا ظهر خرجت الجاريةُ مع الجواري كأنَّها تُشاهده، فيخلو بها بين الشَّجَر، ويتحدَّث معها بما يُريد خِلسَةً، فإذا طُلب دخل

= البخاري(٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨)، وأحمد(٧٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) في (ف) و(م١): وقام المكتفي.

(٢) تاريخ الطبري ١٠/ ٦٣، والمنتظم ١٢/ ٣٧٢-٣٧٣، والكامل ٧/ ٤٨٦-٤٨٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٥.

بين الشَّجر ونزع اللِّحية، وخبأها مع البُرنس، والسيفُ مَسلول بيده كأنَّه بعض الخدم الطَّالبين للشخص، ودام الحالُ أيامَ المعتضد والمكتفي، حتَّى ولي المقتدر، فخرج الخادم إلى طَرَسوس(١)، فتحدَّثت الجاريةُ بحديثه.

وفيها قُتل شفيع الخادم [خادم] عمر بن عبد العزيز ابن أبي دُلف، قتله أبو ليلى الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، وسببه أنَّ أخاه عمر وثب عليه، فقيَّده، وحمله إلى قلعةٍ لآل أبي دُلف فيها أموالهم وجواهرهم وذخائرهم، ووكَّل به شفيعاً الخادم،ومعه جماعة من غِلمان عمر وخاصَّته، فلمَّا(٢)استأمن عمر إلى المعتضد وهرب بكر عاصياً(٣)[على المعتضد]بقيت القلعةُ بما فيها في يد شفيع، فسأله أبو ليلى إطلاقه، فأبى وقال: حتَّى يأمرني أخوك عمر، فقال أبو ليلى لغلامٍ صغير كان يَخدُمه: احتلْ لي في مِبْرَدٍ وأدخلْه إليَّ في الطعام، ففعل الغلام.

وكان شَفيع يأتي كلَّ ليلة فيشاهد أبا ليلى نائماً على فراشه، ثمَّ يخرج فيُقْفِل عليه الباب، وينام قريباً من الباب، فما زال أبو ليلى يُعالج القَيد بالمِبْرَد حتَّى قطع المسمار الذي كان فيه، فكان يخرجه من رجله إذا شاء، فقال لجارية عنده: ضعي على الفراش ثياباً كثيرة، وإذا جاء شفيع فسأل عنِّي فقولي: هو نائم، واجلسي عند الفراش كأنَّك تكبسيني، ففعلت الجارية ذلك، وخرج أبو ليلى من البيت، فاختفى في الدِّهْليز خارج الباب، وجاء الخادم فسأل عنه، فأخبرته بأنَّه نائم، ورأى الفراش وما عليه فظنَّ أنَّه نائم، فخرج وأقفل الباب ونام، فجاء أبو ليلى ومعه سكِّين كان غُلامه دسَّها إليه في طعام ـ وقيل: إنَّه استلَّ سيفَ الخادم من عند رأسه ـ وذبحه.

ووثب الغلمان الذين كانوا مع الخادم، فقال لهم [أبو ليلى]: أنا قتلته ـ والسَّيف مَشهورٌ في يده ـ فخافوه وخرجوا من الدَّار، وفتح باب القلعة، فاجتمع النَّاس إليه، ومَلَك القلعة، وخرج على المعتضد، وجمع(٤) إليه جماعة، والتقى بعيسى النّوشريّ

(١) في المنتظم ١٢/ ٣٧٣ : طوس. وما سلف بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٢) في (خ): ومعه جماعة من غلمان عبد العزيز فلما.... والمثبت من (ف) و(م١)، وهو الموافق لما في الطبري١٠/ ٦٤ ، والكامل٧/ ٤٨٧ .

(٣) في (ف) و(م١): وهرب إلى ديار بكر عاصياً.

(٤) من هنا إلى آخر هذا الخبر ليس في (ف) و(م١).

في ذي الحجَّة على فرسخين من أصبهان، فبينا أبو ليلى يقاتل إذ جاءه سهمٌ فوقع في حَلْقِهِ فنَحره، فسقط عن فرسه، فانهزم أصحابُه، وأُخِذ رأسُه فحُمل إلى أصبهان، وذلك لليلتين بقيتا من ذي الحجَّة. وقُتل شفيع لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، فكان بينهما أربعون يوماً.

وفيها وعد المنجِّمون النَّاسَ بغَرَق الأقاليم السَّبعة، ويكون ذلك بكثرة الأمطار، وزيادة المياه في العيون والآبار، فانقطع الغيثُ، وغارت العيون، وقلَّت المياه، حتَّى احتاج النَّاس إلى أن يَستسقوا ببغداد، وقحطت الدُّنيا، وأكذب الله المنجِّمين.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن عبد الله بن ترنجة(١).

وفيها توفي

أحمد بن أصْرم

ابن خُزَيمة بن عبَّاد بن عبد الله بن حسَّان بن عبد الله بن المُغَفَّل صاحبِ رسول الله ﷺ، أبو العبَّاس، المُزَنيُّ، البصري.

كانت وفاته بدمشق.

حدَّث عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، وروى عنه ابنُ أبي حاتم وغيرهُ، وكان ثقة.

ومن رواياته عن سفيان الثوري أنَّه قال: إنَّما سمِّيت الدُّنيا لدنوِّها من الآخرة، وسمِّي المال مالاً لأنَّه يُميل(٢).

أحمد بن المُبارك

أبو عمرو المُسْتَملي، الزَّاهد، العابد، النَّيسابوريُّ.

كان يسمَّى راهبَ عصره، يصوم النَّهار، ويقوم الليل، واستملى على المشايخ ستًّا وخمسين سنة، وسمع الكثير، وكانت وفاتُه بنَيْسابور في جُمادى الآخرة.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٦٦، والمنتظم ١٢/ ٣٧٣-٣٧٤، ومن هنا إلى آخر السنة ليس في (ف) و(م١).

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٧٢-٧٤، والمنتظم ١٢/ ٣٧٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٦٩ - ٦٧٠.

سمع الإمام أحمدَ بن حنبل رحمة الله عليه وغيرَه، وروى عنه الأئمة.

وقال أبو الحسن عليُّ بن محمد القاضي: حضرتُ مجلسَ أبي عثمان سعيدِ بن إسماعيل، فدخل أبو عمرو المستملي وعليه ثياب رثَّة، فبكى أبو عثمان، فلمَّا كان يوم مجلس الذِّكر تكلَّم وقال في آخر مجلسه: دخل عليَّ شيخٌ من مشايخ أهل العلم، فاشتغل قلبي برَثاثَة حاله، ولولا أنِّي أُجِلُّه عن تسميته في هذا الموضع لسمَّيتُه، فجعل النَّاس يَرمون بالخواتيم والدَّراهم والكسوة، فقام أبو عمرو وقال: أيُّها النَّاس، أنا الذي ذكرني أبو عثمان برَثاثة الحال، ولولا أنِّي كرهت أن يُتَّهم به غيري فآثَمَ فيه لسترتُ ما ستره الله عليَّ، فتعجَّب أبو عثمان من إخلاصه، وأخذ جميعَ ما جمع له، فما بلغ باب الجامع إلَّا وقد فرَّق الجميع على الفقراء، ولم يأخذ منه شيئاً[(١)].



(١) المنتظم ١٢/ ٣٧٤-٣٧٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٩٣-٦٩٤.

السنة الخامسة والثمانون بعد المئتين

فيها في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من المُحرَّم قطع صالحُ بن مُدرِك الطَّائيُّ في جماعةٍ من طَيِّئ على الحاجِّ الطَّريقَ بالأجفُر، فأخذوا من الأموال والمماليك والنِّساء الحرائر ما تبلغ قيمتُه ألفا ألف دينار.

وفي المحرَّم ولَّى المعتضد عَمْرَو بنَ الليث ماوراء جَيْحون، وعزل إسماعيل بنَ أحمد عنها.

وفي صفر قدم برأس أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فاستوهبه من المعتضد أخوه عمر، فوهبه له، فدفنه.

وفي ربيع الأول هبَّت بنواحي الكوفة ريحٌ صفراءُ عامَّةَ نهار الأحد لعشرٍ بَقين من ربيع الأوَّل إلى المغرب، ثمَّ استحالت سوداءَ، ومطرت السَّماء عقيب ذلك مطراً شديداً، برُعودٍ هائلة، وبُروق متَّصلة، ثمَّ سكنت، ومُطرت قرية تُعرف بأحمداباذ بحجارة بيض وسُود.

وفي يوم الجمعة لخمسٍ بقين منه هبَّت بالبصرة ريحٌ صفراء، ثمَّ صارت خضراء، ثمَّ سوداء، ثمَّ امتدَّت في الأمصار(١)، ووقع عَقيبها بَرَدٌ وزنُ البَرَدة مئةٌ وخمسون درهماً، وقَلَعت الرِّيحُ من تلك النَّواحي ستَّ مئة نخلة [من نهر معقل مئة، ومن نهر الحسين خمس مئة].

وفي جمادى الأولى توفِّي بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بطَبَرِسْتان، فأعطى المعتضدُ مَن جاء بالخبر ألفَ دينار.

وفيها ولَّى المعتضدُ ابنَ أبي السَّاج أَرْمينية وأذْرَبيجان، وكان قد غلب عليها، وبعث إليه بخِلع.

وفيها غزا راغبٌ الخادم مولى الموفَّق الرُّومَ في البحر، فأظفره الله بمراكبَ كثيرة،

---

(١) في تاريخ الطبري ١٠/٦٨، والمنتظم ١٢/٣٧٨، والكامل ٧/ ٤٩٠ : ثم تتابعت الأمطار. والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٦/٦٥٦ .

ضرب منها ثلاثة آلاف رَقَبة، وأحرق المراكب، وفتح حصوناً كثيرة.

وفي ذي الحجَّة قدم عليُّ بن المعتضد بغدادَ، وكان قد جهَّزه لقتال محمد بن زيد العلويّ ودفعه عن الجبال، فانهزم العلويُّ إلى طَبرِستان، فلمَّا قدم قبَّل أبوه ما بين عينيه بعد أن خرج عُبيد الله وجميع أرباب الدَّولة لاستقباله، وقال له: بعثناك ولداً فرجعت أخاً، فقال: يا أمير المؤمنين، أبقاني الله لِخدْمتك، ولا أبقاني بعدك، وأكرمه، وخلع عليه بحضرته.

[وقال الصُّولي: كان المعتضد قد جهَّز ابنَه عليًّا لقتال محمد بن زيد العلويّ، ودفعه عن الجبال، فانهزم العلويُّ إلى طبرِستان، وعاد المكتفي إلى بغداد، فقبَّل أبوه ما بين عينيه، وقال ما ذكرناه،] وأعطاه ألف ألف دينار.

وفي ذي الحجَّة خرج المعتضد من بغداد يريد آمِد، وخرج معه ابنه أبو محمد، واستخلف ببغداد صالحاً الحاجب، وقلَّده النَّظرَ في المظالم وغيرها.

وكان قد مات أحمد بن عيسى بن شيخ، وقام ابنه محمد بما كان في يد أبيه بآمِد وما يليها على وجه التَّغَلُّب، فقصده المعتضد، وبعث هارون بن خُمارَويه إلى المعتضد بتقرير أمره على مصر، وسأله المقاطعة عليها بمال، فلم يُجبه.

وصلَّى بالنَّاس يوم النَّحر ببغداد عليُّ بن المعتضد، وركب في أحسن زيٍّ كما تركب ولاةُ العهود، وصلَّى بالنَّاس، وخطب، ووقف على المِرْقاة[1] الثانية من أعلاه احتراماً لأبيه، ثمَّ نزل ومضى إلى داره، فوضع سِماطاً عظيماً للنَّاس.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن ترنجة.

[فصل]: وفيها توفِّي

إبراهيم بن إسحاق

ابن إبراهيم بن بشير بن عبد الله، [أبو إسحاق المَرْوَزي، الحَرْبي، العالم الفاضل] الزَّاهد العابد الوَرِع.

---

(١) المِرْقاة: الدَّرَجة. اللسان: (درج).

[وأمُّه من بني تغلب، وذكره الأئمة، وأثنَوا عليه، ومولده سنة ثمان وتسعين ومئة.

وقال الدار قطنيُّ: إبراهيم الحربيُّ إمام فاضل]مصنِّف عالم بكلِّ شيء، بارع في كلِّ علم، صادق صدوق، كان يُقاس بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في فَضله وزهده ووَرَعه وأصلِه، [وله التَّصانيف الحسان.

وقال الخطيب[1]:] كان إماماً في جميع العلوم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، جامعاً للغة، [صنَّف كتباً كثيرة].

قال: [وقال أبو العبَّاس أحمد بن يحيى] ثعلب: ما فَقدتُ إبراهيم الحربيَّ من مجلس نحوٍ أو لغة خمسين سنة.

[قال الخطيب:] وسُئل لِمَ سمِّيتَ الحَربيّ وأنت مروزيّ؟ فقال: صحبتُ قوماً من الكَرْخ في طلب الحديث، فسمَّوني الحربيَّ؛ لأنَّ عندهم أنَّ ما جاوز القنطرة العتيقة من الحربيَّة.

[ذكر طرف من أخباره:]

وقال أحمد بن عبد الله بن خالد: سمعتُ إبراهيم[2] الحربي يقول: أجمع عُقلاءُ كلِّ أمَّةٍ على أنَّه من لم يجرِ مع القَدَر لم يتهنَّأ بعيشه، كان يكون قميصي أنظفَ قميص، وإزاري أوسخ إزار، ما حدَّثتُ نفسي أنَّهما يستويان قطُّ، وكان فَرْدُ عَقِب مَداسي مَقطوعاً، والآخر صحيحاً، وكنت أمشي فيهما، وأدور جانبَي بغداد، ولا أحدِّث نفسي أنني أُصلحهما.

ودامت لي شَقيقةٌ خمساً وأربعين سنة، ما علم بها أحدٌ من أهلي، ولا زوجتي، ولا بناتي، الرجلُ هو الذي يُدخِلُ غَمَّه على نفسه، ولا يَغُمُّ عيالَه.

قال: وأفنيتُ ثلاثين سنة من عُمُري برغيفين، إن جاءتني بهما أمِّي أو أختي أكلتُ، وإلَّا بتُّ جائعاً عطشان إلى الليلة الآتية، وأفنيتُ ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة.

---

(١) في تاريخه ٦/ ٥٢٣.

(٢) في (ف) و(م١): وقال الخطيب بإسناده سمعت عن أحمد بن عبد الله بن خالد عن إبراهيم، والمثبت من (خ).

ومرضتْ ابنتي فأقامت أمُّها عندها شهر رمضان، فقام إفطاري في ذلك الشهر بدرهمٍ ودانقين، ودخلتُ منه الحمام، واشتريتُ صابوناً، فقامت نفقةُ رمضان بدرهم[١].

وقال [الخطيب بإسناده عن] أبي عثمان الرَّازي [قال:] جاء رجل[٢] من عند المعتضد إلى إبراهيم الحربيِّ بعشرة آلاف درهم، وقال: يقول لك الخليفة: فرِّقها في جيرانك، فقال للرسول: هذا مالٌ لم نشغلْ نفوسَنا بجمعه، فلا نشغلها بتَفْرقته، فألحَّ عليه، فقال: قل لأمير المؤمنين: إن تركتَنا وإلَّا تحوَّلنا من جوارك.

وقال [الخطيب بإسناده عن أبي القاسم الجبلي [قال:] اعتُلَّ[٣] إبراهيم علَّةً حتَّى أشرف على الموت، فدخلتُ عليه أعودُه، فقال لي: يا أبا القاسم، أنا في أمرٍ عظيم مع ابنتي وهي تسمع، ثمَّ قال: قومي فاخرجي إلى عمِّك، فألقت خِمارها على وجهها وخرجت، فقالت: ياعمُّ، نحن في أمرٍ عظيم، لافي الدنيا ولا في الآخرة، الشَّهرَ والدَّهرَ مالنا طعام إلَّا الكِسَر اليابسة والملح، وربَّما عَدِمنا القوت، وبالأمس وجَّه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، وبعث إليه فلانٌ وفلانٌ فلم يأخذ شيئاً، وهو مريض، فقال لها إبراهيم: يا بُنيَّة، إنَّما خفتِ الفقر؟ قالت: نعم، قال: انظري إلى تلك الزَّاوية؛ فيها اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبتُها بخطِّي، فإذا متُّ فبيعي كلَّ جزءٍ بدرهم، ومَنْ عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير.

[وفي رواية أبي القاسم الجبلي قال:] فلمَّا كان بعد أيَّام جاء رجل في الليل، فطرق الباب على إبراهيم، فقال: مَنْ؟ قال: رجل من إخوانك، فقال: ادخل، فقال: أطفئ السِّراج، فأكفأ عليها الغَضارة[٤]، ودخل الرجل فترك شيئاً وخرج، فكشف السراج وإذا بمنديل فيه حلوى وفاكهة، وفي ظرفه مشدود دنانير، فصاح: يا بُنيَّة يا بُنيَّة، تعالَي فخُذي هذا.

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٦، والمنتظم ١٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٢) في (خ): وقال أبو عثمان الرازي جاء رجل، والمثبت من (ف) و(م١)، وانظر تاريخ بغداد٦/ ٥٢٨، والمنتظم ١٢/ ٣٨٣.

(٣) في (خ): وقال أبو القاسم الجبلي اعتل، والمثبت من (ف) و(م١)، وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٨-٥٢٩، والمنتظم ١٢/ ٣٨٣.

(٤) طين لزج، أو تراب طيني دقيق الذرات.

[وقال أبو القاسم أيضاً:] فلمَّا كان بعد أيَّام قدم الحاجُّ من خُراسان، وإذا بجمَّال يقود جَملين وهو يقول: أين دار إبراهيم الحربيّ؟ [فدُلَّ عليه] وصادف الحربيَّ جالساً على الباب، فقال: أنت إبراهيم الحَربيّ؟ قال: نعم، قال: خذ هذين الجملين بما عليهما، قال: وما عليهما؟ قال: كاغَد وإبرَيسَم، فقال: من أين هذا؟ قال: من رجلٍ خُراساني، بعث بهما إليك، واستحلفني أن لا أقول من هو.

و[قال الخطيب بإسناده عن أبي القاسم الجبلي قال:] كان لإبراهيم ولد بلغ أحد عشر سنة علَّمه القرآن، والفقه، وأسمعه الحديث، فتوفِّي، فحزن عليه الجيران ولم يحزن عليه إبراهيم، فقيل له في ذلك فقال: كنتُ أشتهي موتَه، قيل له: مثلك يقول هذا؟! قال: نعم، رأيتُ [في المنام] كأنَّ القيامة قد قامت، والنَّاسُ في شدَّة من العَطَش، ورأيتُ صبياناً بأيديهم قِلالٌ فيها ماء، وهم يَسقون النَّاس، فقلت لبعضهم: اسقني، فنظر في وجهي وقال: لستَ أبي، فقلت: ومَن أنتم؟ قالوا: نحن الصِّبيان الذين متنا في الدُّنيا وخلَّفْنا آباءنا، نستقبلُهم فنَسقيهم الماء، فلهذا تمنَّيت موته.

[وقال الخطيب:] كان إبراهيم مع فضله وزهده وورعه حسنَ الأخلاق، متواضعاً، ضاحكَ السِّنِّ، وكان له حَلْقة بجامع المنصور يقرأ فيها الحديثَ، وكان يحضرها مع النَّاس حَدَثان، فأقاما على ذلك مدَّة، ثمَّ انقطع أحدهما وبقي الآخر، فكان الذي انقطع يأتي فيقف ظاهرَ الحلقة، والآخر جالس فيها، فبقي على ذلك مدَّة، فلمَّا كان في بعض الجُمَع رمى ذلك الواقف رُقعة، فأخذها إبراهيم فقرأها، وإذا فيها [هذه الأبيات]: [من الطويل]

عفا الله عن عبدٍ أعانَ بدعوةٍ ... خليلَين كانا دائمَيْن على الودِّ
إلى أن وَشَى واشي الهوى بنَميمةٍ ... إلى ذاك من هذا فحالا عن العَهْدِ[1]

فرفع إبراهيم يديه وقال: اللَّهمَّ اجمع بينهما على طاعتك وفيما يقرِّبهما إليك، وأمَّن الحاضرون، فلمَّا جاءت الجمعة الأخرى إذا بالغلامين قد جاءا فجلسا مكانهما، فعجب الحاضرون.

---

(١) انظر مروج الذهب ٨/ ١٨٤- ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٦٤-٣٦٦.

وقال إبراهيم لجماعةٍ عنده: مَنْ تعدُّون الغريبَ في زمانكم؟ فقال بعضهم: مَن نأى عن وطنه، وقال آخر: مَن فارق أحبابَه، وقال كلٌّ واحد شيئاً، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجلٌ صالحٌ يعيش بين قومٍ صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سببٍ من الدُّنيا مانوه، ثمَّ ماتوا وتركوه.

[وحكى الخطيب قال:] جاءه يوماً رجل ومعه أولادُه، فقال له إبراهيم: احذر، لا يرونَك حيث نهاك الله، فتسقط من أعينهم.

وقال محمد بن عبد الملك[1] الكاتب: كنتُ عند أبي العبَّاس المبرِّد، فأنشد يقول: [من البسيط]

جسمي معي غير أنَّ الرُّوح[2] عندكمُ ... فالجسمُ في غُربةٍ والرُّوح في وَطنِ
فلْيَعْجب النَّاسُ منِّي أنَّ لي بَدَناً ... لا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بَدَنِ

قال: ومضيتُ إلى ثعلب فأنشد: [من السريع]

غابوا فصار الجسمُ من بعدهمْ ... لا تَنظرُ العينُ له فيَّا
يا خَجْلَتي منهم ومن قولهمْ ... إذا رأوني بعدهمْ حيّا[3]

فأتيتُ إبراهيم فأخبرتُه، فقال: ألا أنشدتَهما: [من الخفيف]

يا حَيائي ممَّن أحبُّ إذا ما ... قيل بعد الفِراق إني حَييتُ

ذكر وفاته:

[حكى الخطيب عن] عيسى بن محمد الطُّوماري قال: دخلْنا على إبراهيم في مرضه نعودُه وقد حَملت الجاريةُ ماءَه إلى الطبيب، فعادت بالماء وقالت: مات الطبيب، فبكى إبراهيم وقال: [من الوافر]

إذا مات المُعالِجُ من سَقامٍ ... فيوشكُ للمُعالَج أن يموتا

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٥، والمنتظم١٢/ ٣٨٤: محمد بن عبد الله.
(٢) في (خ): القلب، والمثبت من (م١)، والمصادر.
(٣) في تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٥، والمنتظم ١٢/ ٣٨٤:
بأي وجه أتلقاهم ... إذا رأوني بعدهم حيا
يا خجلتي منهم ومن قولهم ... ما ضرك الفقد لناشيا

ودخلنا عليه مرَّةً أخرى فقلنا: كيف تجدك؟ فقال: [من الخفيف]

دبَّ فيَّ البَلاءُ سُفْلاً وعُلْواً وأراني أموتُ عُضْواً فعُضْواً
ذهبتْ جِدَّتي بطاعةِ نفسي وتذكَّرتُ طاعةَ الله نِضْوا

وكانت وفاتُه يوم الاثنين لسبعٍ بقين من ذي الحجَّة، وصلَّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، وكان يوماً مَشهوداً، ودُفن بداره بباب الأنبار غربيّ مدينة المنصور، وقبرُه ظاهر يزار، وعليه قُبَّةٌ يقال لها: قُبَّة الحَربيّ، وإلى جانبه قبران يقال إنَّهما ابنتاه.

وذكر الخطيب له ابنةً واحدة اسمُها أمُّ عيسى[1]، وكانت فاضلة، إذا جاءت فتوى وإبراهيمُ غائب تُفتي عنه، وتوفِّيت في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة وكانت صالحة[، وقيل: إنَّ أحد القبرين لها والآخر لولده.]

أسند إبراهيم عن خلقٍ كثير لا يُحصَون كثرةً؛ منهم الإمام أحمد رحمه الله، والفَضْل ابن دُكَين، وعفَّان بن مسلم وغيرهم، وروى عنه جمٌّ غفير؛ منهم عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله، وابن الأنباري، وابن صاعد وغيرهم.

وقال محمد بن صالح الأنماطيّ: ما أخرجت بغدادُ مثل إبراهيم الحربيّ في الفقه، والحديث، والأدب، والعربية، والزهد، والورع[2].

قال المصنِّف رحمه الله: وقول إبراهيم الحربيّ: إذا مات المعالج من سقام ... البيت؛ قد جرى **لإسماعيل بن أبي هاشم الدمشقيّ** مثل هذا، [فذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سَلامة الطَّحاوي قال:] كان لإسماعيل بن أبي هاشم طبيبٌ يقال له: النُّعمان، فمرض إسماعيل، ومرض الطبيب، فسأل عنه فقيل: مات، فقال إسماعيل: [من السريع]

قد قلتُ لمَّا قال لي قائلٌ قد صار نُعمانُ إلى رَمْسهِ
وأين ما يُوصَف من حِذْقه وعلمِه بالطِّب مع جَسِّهِ
هيهات لا يَدفعُ عن غيرِه مَن كان لا يَدفَعُ عن نفسهِ

---

(١) في (ف) و(م١): ولم يذكر الخطيب سوى ابنة واحدة قال واسمها أم عيسى، والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٦٣١.

(٢) انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٦/ ٥٢٢، والمنتظم ١٢/ ٣٧٩، والسير ١٣/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٠٣.

[وهذا إسماعيل كان فاضلاً من الفضلاء، قال ابن الطحَّان أيضاً:]

قال إسماعيل: قرأتُ بدمشق على قصرٍ لبني أميَّة: [من الخفيف]

ليت شِعري ما حالُ أهلِكَ يا قَصْـ ـرُ وأين الذين عَلَّوا بِناكا
ما لأربابِكَ الجبابرةِ الأمْـ ـلاك شادوك ثمَّ حَلُّوا سِواكا
ألزُهدٍ يا قصرُ فيك تحامَو كَ ألا تُبتَنَى ولستَ هُناكا
ليتَ شِعري وليتني كنتُ أدري ما دَهاهم يا قصرُ ثمَّ دَهاكا
ليت أنَّ الزَّمان خَلَّف منهم واحداً مُخْبِراً فأعلم ذاكا

وتحته مكتوب: [من الخفيف]

أيُّها السَّائلُ المُفَكِّرُ فيهم ما إلى ذا السُّؤالِ قل لي دَعاكا
أَوَ ما تَعرفُ المَنونَ إذا حلَّتْ دِياراً فلن تُراعي هَلاكا
إنَّ في نفسِك الضَّعيفَةِ شُغلاً فاعتبرْ وامْشِ فالمنونُ وَراكا

[وقال ابن الطحان: وحدَّثني] إسماعيل قال: قرأتُ على قصرٍ لعبد العزيز بن مروان بحُلْوان؛ مكاناً بمصر: [من الخفيف]

أين ربُّ القَصْرِ الذي شَيَّد القَصْرَ وأين العَبيدُ والأَجْنادُ
أين تلك الجموعُ والأمرُ والنَّهـ ـيُ وأعوانُهم وأين السَّوادُ
أين عبدُ العزيز أم أين مروا نُ وأين الحُماةُ والأولادُ
مالنا لا نُحِسُّهم ونراهم أترى ما الذي دَهاهم فبادوا

وتحته مكتوبٌ جواباً عنهم: [من الخفيف]

أيُّها السَّائلُ المفكِّرُ عنهم كيف بادَتْ جُموعُهم والجيادُ
أين كسرى وتُبَّعٌ قبلَ مروا نَ ومِن قبل تُبَّعٍ شَدَّادُ
أين نُمروذُ أين فرعونُ موسى أين مِن قبلهم ثَمودُ وعادُ
كلُّهم في التُّراب أضحى رَهيناً حين لم تُغْنِ عنهم الأجنادُ
إنَّ في الموتِ يا أخي لك شُغْلاً عن سواه والمَوْقِفُ الميعادُ[1]

---

(١) الروض المعطار ١٩٦، ٢٤٢.

أحمد بنُ عيسى بن الشَّيخ

صاحب آمِد وديار بكر، ولَّاه إيَّاها المعتز، فلما قُتل استولى عليها، ومات في هذه السنة، فوليها ولدُه محمد، فسار إليها المعتضد فأخذها بعد ذلك، لما يذكر(١).

[فصل وفيها توفِّي]

النَّاقِد

واسمه زكريا بن يحيى بن عبد الملك بن مروان بن عبد الله، أبو يحيى، البغداديّ(٢)، الزَّاهد، العابد.

قال [الخطيب بإسناده عن] محمد بن جعفر [بن سالم:] لو قيل لأبي يحيى: إنَّك تموت غداً؛ لما ازداد في عمله.

وقال الخطيب بإسناده: حدثنا أبو زُرعة الطبريُّ، قال: حدثنا أبو يحيى قال: اشتريتُ(٣) من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلمَّا كان آخر ختمة سمعت خِطابَ الحوراء من الهواء وهي تقول: وفيَّتَ بعهدك، فها أنا لك، وأنا التي اشتريتَني، فيقال: إنَّه مات عقيبَ فراغه من الختمة الأخيرة بقريب.

وكان الإمام أحمدُ رحمة الله عليه يُثني عليه، ويقول: النَّاقد رجلٌ صالح. ونِعْم الرجل.

وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمانٍ بقين من ربيع الآخر، ودُفن ببغداد.

أسند عن خلقٍ كثير، منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيرهُ، وروى عنه أبو بكر الخلَّال وغيرُه، واتفقوا عليه، وهو أحد العُبَّاد المجتهدين، والأثبات المحدِّثين.

وقال الدَّارقطني: الناقد الثِّقة الفاضل(٤).

---

(١) الكامل ٧/ ٤٩١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٨٨.

(٢) في (خ): ابن مروان بن محمد الدربندي البغدادي. والمثبت من (ف) و(م١)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٩/ ٤٧٧، وانظر المنتظم ١٢/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٥٢.

(٣) في (خ): وقال أبو زكريا: اشتريت، والمثبت من (ف) و(م١).

(٤) سؤالات الحاكم ص١١٧.

[وفيها توفي]

المُبَـــرِّد

[واسمه] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمير بن حسان بن سُليم بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحسن بن عامر[١] بن عبد الله بن بلال بن عوف، وعَوف هو ثُمالة بن أسلم، قبيلة من الأزد بن الغَوْث، أبو العبَّاس، النَّحويُّ، البصريُّ، الأزديُّ، الثُّماليُّ، إمام أهل النَّحو واللُّغة والعربية بالبصرة.

ولد سنة ستٍّ ومئتين، وقيل: سنة عشر ومئتين، وسُئل: لِم سمِّيت المبرِّد؟ فقال: طَلَبني عاملُ البصرة، فخِفت منه، فدخلت على أبي حاتم السِّجِسْتاني، فجاء رسولُ العامل يَطلبني، فقال أبو حاتم: ليس هو عندي، وجعل يصفِّق ويقول: المبرِّد المبرِّد، وتسامع الناس بذلك فلَهَجوا به، والمُزَمَّلَة يُبرَّد فيها الماء[٢].

قدم بغداد وأقام بها، ولقي الأئمةَ، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، وكان حسنَ المحاضرة، مَليحَ الأخبار، كثيرَ النَّوادر.

وقال أبو عبد الله بن المفجَّع: كان المبرِّد لعِظم حِفْظِه اللغة، واتِّساعه فيها يُتَّهم بالكذب، فتواضعنا على مسألةٍ لا أصل لها، فأرسلنا إليه فجاء، فقلنا له: أيَّدك الله، ما القِبَعْضُ؟ فقال على البديهة: القُطن، وأنشد [من الوافر]:

كأنَّ سنامها حُشِيَ القِبَعْضا[٣]

فعجبنا وقلنا: إن كان صَحيحاً فهو عَجب، وإن كان اختلقَ الجواب فهو أعجب.

[وحكى الخطيب[٤] عن] المازني قال: قلت للمبرد: [يا أبا العباس]، بَلَغني أنَّك تَنصرف من مجلسنا فتصير إلى المارستان، فتجلس إلى المجانين، فقال: نعم، إنَّ لهم طرائفَ من الكلام، وعجائب من الأقسام، فقلتُ له: أخبرني بأعجب ما رأيت منهم، فقال: دخلتُ يوماً عليهم، فرأيتُ أحوالَهم في العلاج مُختلفة على مقدار بليَّتهم،

---

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٦٠٣، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦١: ابن الحارث بن عامر...

(٢) في المنتظم ١٢/ ٣٨٩: فجاء رسول العامل يطلبني فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا، يعني غلاف المزملة فارغ، فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول فقال: ليس هو عندي...

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٠٤، ونزهة الألباء ص٢٣٠، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١٣.

(٤) في تاريخه ٤/ ٦٠٧-٦٠٩. وما بين معكوفين من (م١).

فبعضهم قيام، وبعضهم نيام، وبعضهم قعود، ومررت بشيخ منهم وقد دَهَن رأسَه، والدُّهنُ يَبرق من صَلْعته، وهو جالس مُستقبل القبلة كأنَّه يصلِّي، وتحته حصيرٌ نظيف، فلم أسلِّم عليه، فقال: وأين السلام؟ أترى مَن المجنون أنا أو أنت؟ قال: فاستحييتُ منه، وقلت: سلام عليك، فقال: لو كنت ابتدأتَ بالسَّلام لأوجبتَ علينا حُسْنَ الرَّدّ عليك، ولكنَّا نصرفُ سوءَ أدبك إلى أحسنِ جهاته من العُذْر؛ لأنَّه يقال: للدَّاخل على القوم دَهْشَة، اجلس أعزَّك الله، وأومأ إلى مَوضعٍ من حصيرٍ يَنفُضه كأنَّه يوسِّع لي، فناداني صاحبي: إيَّاك، فأحجمتُ، ووقفتُ ناحيةً، وكان معي مِحْبرة، فقال الشيخ: أرى آلة أحد رجلين: إمَّا أن تكون تجالس أصحاب الحديث الأغثاء[1]، أم أصحاب النحو الأدباء؟! فقلت: الأدباء، قال: أتعرف أبا عثمان المازنيَّ؟ قلت: نعم، قال: أتعرف الذي يقول فيه: [من مجزوء الرمل]

وفـــتًـــى مـــن مـــازنٍ ... ســـاد أهـــل الـــبَـــصْـــرَه
أمُّـــه مَـــعـــروفـــةٌ ... وأبـــوهُ نَـــكِـــرَهْ

فقلت: لا، فقال: أتعرف غُلاماً قد نبغ في هذا العصر له حفظٌ وذهنٌ، قد برز في النَّحو وجلس مجلسَه؟ قلت: نعم، أنا عينُ الخبير به، قال: فهل أنشدك شيئاً من عبثِ[2] شعره؟ قلت: لا أحسبه يقول الشعر، قال: ياسبحان الله، أليس هو القائل: [من مجزوء الرمل]

حـبَّـذا مـاءُ الـعـنـاقـيـــ ... ـــد بـريـقِ الـغـانـيـاتِ
بـهـمـا يـنـبـتُ لـحـمـي ... ودمـي أيَّ نـبـاتِ

قلت: قد سمعتُه ينشد هذا في مجلس أُنسه، فقال: وهل يُستحى أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟! ثمَّ قال: ما سمعتَ النَّاس يقولون في نسبه؟ قلت: يقولون هو من ثُمالة، قال: أفتعرف القائل: [من الوافر]

سـألْـنـا عـن ثُـمـالـةَ كـلَّ حـيٍّ ... فـقـال الـقـائـلـون ومَـن ثُـمـالَـهْ
فـقـلـتُ مـحـمـدُ بـن يـزيـد مـنـهـم ... فـقـالـوا زِدْتـنـا بـهـم جَـهَـالـه
فـقـال لـي الـمـبـرِّدُ خَـلِّ قـومـي ... فـقـومـي مَـعْـشَـرٌ فـيـهـم نَـذَالَـهْ

---

(١) في (خ): الأعشا، وفي مطبوع تاريخ بغداد: الأغثاث، والمثبت من تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٧٥.

(٢) في (ف): غيب، وفي تاريخ بغداد: غثيثات، وفي تاريخ دمشق: عبثات.

فقلت: نعم أعرفها، لعبد الصمد بن المُعَذّل يهجوه، فقال لي: يا هذا، قد غلبتَ بخفَّة روحك على قلبي، وأعجبني استحسانُك لما أتيتَ به، فما الكُنية؟ قلت: أبو العبَّاس، قال: فالاسم؟ قلت: محمد، قال: ابن مَن؟ قلت: ابن يزيد، فقال: ما أحوجَني إلى الاعتذار إليك ممَّا قدَّمْتُ ذكره، ثمَّ وثب باسطاً يدَه ليُصافحني، فإذا القَيْدُ في رجله قد شُدَّ إلى خَشَبةٍ في الأرض، فأَمِنْتُ عند ذلك غائلتَه، فقال لي: يا أبا العبَّاس، صُنْ نفسَك عن الدُّخول إلى هذه المواضع؛ فليس يتهيَّأ لك في كلِّ وقتٍ أن تُصادف مثلي على هذه الحالة، ثمَّ انقلبت عيناه، وتغيَّر حالُه، وجعل يصفِّق ويقول: المبرِّد المبرِّد، فبادَرْتُ مُسرعاً خوفاً أن تَبْدُرَ منه بادِرة، وقَبِلْتُ قولَه، فلم أدخل بعدها دار المرضى.

وقال المبرِّد: دخلتُ مرَّةً دارَ المرضى، فناداني شابٌّ مقيَّد: يا ابن يزيد، فقلت: لبَّيك، فقال: أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى حيٍّ من أحياء العرب، فقلت: نعم، فقال: هم الذين حيَّروني وأحَلُّوني هذا المحلَّ، قلت: فما الذي فعلوا؟ قال: [من السريع]

زَمُّوا المطايا واستقلُّوا ضُحًى ... ولم يُبالوا قَلْبَ مَن تَيَّموا
ما ضرَّهم واللهُ يَرْعَاهمُ ... لو وَدَّعوا بالطَّرْفِ أوسَلَّموا
سألتُهم تسليمةً منهم ... عليَّ إذ بانوا فما سلَّموا
واستَحْسَنوا ظُلمي فمِن أجلهم ... يُحبُّ قلبي كلَّ مَن يَظْلمُ
مازلتُ أَذْري الدَّمعَ في إثْرهم ... حتَّى جَرى من بعد دمعي دمُ
ما أنصفوني يومَ بانوا ولم ... يَرْعَوا أماناتي ولم يرحموا
ودَّعتهم من حيث لم يعلموا ... ورُحتُ والقلبُ بهم مُغْرَمُ[1]

ثمَّ صاح صيحة خرجت نفسُه معها.

وقال المبرِّد: خرجْتُ ومعي جماعة من أصحابي نحو الرقَّة، وإذا بدَيْرٍ كبير، فقال بعض أصحابنا: مِلْ بنا إليه لننظرَ مَن فيه، ونحمدَ الله على ما رَزقنا من السَّلامة،

(١) ذكر ابن حبيب في عقلاء المجانين ١٤٣، والسراج في مصارع العشاق ١/ ١٦٣ البيتَ الأول والثاني والخامس والسادس عن أبي الحسن المؤدِّب، وذكر أيضاً في عقلاء المجانين ١٤٨، ومصارع العشاق ١/ ٤٩ البيت الثالث والرابع والسابع عن سهلان القاضي باختلاف في ألفاظها.

فدخلنا، وإذا بمجانين يتقلَّبون في أقذارهم، وبينهم شابٌّ نَظيف، عليه ثياب نقيَّة، وهو مَشدودٌ بسِلْسِلة إلى سارية، فلمَّا رآنا قال: مَرْحباً بالوَفْد، حيَّاكم الله بالتَّحية، وقرَّب ما نأى من داركم، وجمع الله شَمْلَكم، بأبي أنتم من أين؟ فقلتُ: وأنت، فأمتع الله الخاصَّة والعامَّة بقُربك، وآنَس جماعةَ ذوي المروءة بشَخْصك، وجعلَنا فداك، نحن من العراق، فقال: أحسن الله عن جَميل القول جزاءكم، وتولَّى عنِّي مكافأتكم، بأبي العراقُ وأهلهُ، فقلنا: ما تصنع بهذا المكان الذي غيرُه أَلْيَقُ بك؟[1] فأنشد:[من السريع]

اللهُ يَعلَمُ أنَّني كَمِدُ ... لا أستطيعُ أبثُّ ما أَجِدُ
روحانِ لي رُوحٌ تضمَّنها ... بَلَدٌ وأُخرى حازَها بَلَدُ
وأرى المُقِيمةَ ليس يَنْفَعها ... صَبْرٌ ولا يَقوى لها جَلَدُ
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي ... بمكانِها تَجِدُ الذي أَجِدُ

وبكى وبكَينا، فقلنا له: زِدْنا، فقال: [من المنسرح]

إنْ وَصَفوني فناحِلُ الجَسَدِ ... أو فتَّشوني فكَمِدُ الكَبِدِ
أضعفَ جسمي وزاد في سَقَمي ... أنْ لستُ أشكو الهوى إلى أحَدِ
كأنَّ قلبي إذا ذكرتُهُم ... فَريْسَةٌ بين مِخْلَبَي أسَدِ
ما أَقْتَلَ البَيْنَ للنُّفوس وما ... أوْجَعَ قلبَ المحبِّ بالكَمَدِ

فقلت له: والله إنَّك لظريفٌ فزِدْنا، فأنشد: [من البسيط]

شَوقٌ وبَيْنٌ وتوديعٌ ومُرتَحَلٌ ... أيُّ العيون على ذا ليس تَنْهَمِلُ
والله ما جَلَدي من بَعدِهم جَلَدٌ ... ولا اختِزانُ دُموعي بعدَهم بَخَلُ
بلى وحُرْمَةِ ما خلَّفنَ من رَمَقي ... قلبي إليهنَّ مُشتاقٌ ومُخْتَبَلُ
وَدِدْتُ أنَّ البحارَ السَّبعَ لي مَدَدٌ ... وأنَّ جسمي عيونٌ كلُّها هَمَلُ
وأنَّ لي بَدلاً من كلِّ جارحة ... في كلِّ جارحة يوم النَّوى مُقَلُ
لا دَرَّ درُّ النَّوى لو صادَفَتْ جَبَلاً ... لانهدَّ منها وَشيكاً ذلك الجَبلُ

---

(١) ذكر هذه القصة بنحوها عن المبرد ابن عساكر في تاريخه ٦٥/ ٢٦٣، وذكرها في عقلاء المجانين ص١٤٧، ومصارع العشاق ١/ ١٩، وذم الهوى ٥٣٤-٥٣٥ عن عبد الله بن عبد العزيز السامري.

لـمـا أنـاخـوا قُـبـيـلَ الـصُّـبـح عِـيْـسَـهـمُ ورَحَّـلـوهـا وثـارَتْ بـالـهـوى الإبِـلُ
وأبـرزَتْ من خلال السِّجْفِ[1] ناظِرَهَا تـرنـو إلـيَّ ودمـعُ الـعَـيـن مُـنْـهَـمِـلُ
وودَّعـت بـبَـنَـان عَـقْـدُهـا عَـنَـمٌ[2] نـاديـتُ لا حَـمَـلَـتْ رِجلاك يـا جَـمَـلُ
وَيْـلي مـن الـبَـيْـن مـاذا حلَّ بي وبـهـم من نـازلِ الـبَـين حان الـبَـيْـنُ وارتَـحلُوا
يـا سـائقَ الـعِـيْـسِ قِـفْ كـيـمـا أودِّعَـهـم يـا زاجِـرَ الـعِـيْـسِ في تَـرْحَـالـكَ الأَجَـلُ
إنِّـي عـلـى الـعَـهْـد لـم أَنْـقُـض مـودَّتَـهـم فـلَـيـتَ شِـعـري وطـال الـعَـهْـدُ ما فعـلـوا

ثمَّ قال: يا سيِّدي، مافعلوا؟ [فقال من البعض الذين كانوا معي، وفي رواية] فقلنا ونحن نُمازحه: ماتوا، فقال: هيه بالله ماتوا؟ قلنا: نعم، فقال: وأنا أموت، قلنا: إن شئتَ، وظَنَنَّاه مازِحاً، فتمطَّى، واستند إلى السَّارية التي كان مَشدوداً إليها، وجَذَب نَفْسه، فانْدَلَع لسانُه ومات، فما بَرِحْنا حتَّى واريناه، ونَدِمْنا على ما فعلنا وبكينا، ولم نزل [باكين] متحسِّرين [نادمين] على ما بدا منَّا.

وحكى المبرِّد، عن [ابن] أبي كامل، [عن] إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمرو النَّخعي قال: كان بالكوفة[3] فتًى جميلُ الوجه، شديدُ التَّعبُّد والاجتهاد، وكان أحدَ الزُّهَّاد، فنزل في جِوارِ قومٍ من النَّخع، فنظر إلى جاريةٍ منهنَّ جميلةٍ، فهويها، وهام بها عقلُه، ونزل بها مثلُ الذي نزل به، فأرسلَ يَخطُبها من أبيها، فأخبره أبوها أنَّها مسمَّاةٌ على ابن عمٍّ لها، فلمَّا اشتدَّ عليهما ما يُقاسيان من ألَم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغَني شدَّةُ محبَّتكَ لي، وقد اشتدَّ بلائي بكَ، فإن شئت زُرني، وإن شئتَ زرتُك، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الحالتين، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأنعام: ١٥] فأبلغها الرسولُ ما قال، فقالت: أُراه زاهداً يخاف الله، والله ما

(١) السَّجف: الستر. اللسان: (سجف).

(٢) في (خ): وودعت ببيان زانها حفرا(؟!)، وفي (ف) و(م١): وطاش عقلي من خوف الفراق لهم، والمثبت من مصارع العشاق١/ ٢٠، وذم الهوى ٥٣٧، وانظر عقلاء المجانين ١٤٧، ومروج الذهب ٧/ ٢٠١، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦٤.

(٣) في (ف) و(م١): وحكى الخرائطي عن المبرد حكاية، فقال الخرائطي: حدثنا المبرد بإسناده عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان لي بالكوفة. والمثبت من (خ)، وما بين معكوفين من اعتلال القلوب للخرائطي ٧٨-٧٩ ، والتوابين ٢٧١ للموفق بن قدامة، رحم الله الجميع.

أحدٌ أحقَّ بهذا من أحد، وإنَّ العِباد فيه لَمشتركون، ثمَّ انخلعت من الدُّنيا ولبست المُسُوح، وجعلت تتعبَّد، وهي مع ذلك تذوب وتَنْحَلُ حُبًّا للفتى، وأَسَفاً عليه، حتَّى ماتت شوقاً إليه.

فكان الفتى يأتي قَبْرها فيبكي عنده، فرآها في منامه في أحسن مَنْظَر، فقال لها: كيف أنتِ، وما الذي لَقيتِ بعدي؟ فقالت:

نِعم المحبَّةُ يا حبيبي حُبُّكم حبٌّ يقودُ إلى خيرٍ وإحسانِ

فقال لها: إلى ما صِرتِ؟ فقالت: [من البسيط]

إلى نَعيمٍ وعَيْشٍ لازَوالَ لهُ في جنَّة الخُلْدِ مُلْكٌ ليس بالفاني

فقال لها: اذكُريني هناك فإنِّي لستُ أنساكِ، فقالت: وأنا والله لا أنساك، ولقد سألتُ الله قربكَ فأعنِّي على ذلك بالاجتهاد، ثمَّ ولَّت مُدْبرة، فقال لها الفتى: فمتى ألقاكِ [أو أراكِ]؟ فقالت: ستأتينا عن قريب، فلم يعش الفتى بعد الرُّؤيا إلَّا سبع ليالٍ حتَّى مات، فدُفن إلى جانبها.

وللمبرد المصنَّفاتُ الحِسان؛ منها «الكامل»، وكتاب «الروضة»، وغير ذلك.

[ذكر وفاته:

قال الخطيب:] توفِّي [المبرِّد] ببغداد [في هذه السَّنة]، ودُفن بمقابر باب الكوفة [من الجانب] الغربيِّ من مدينة أبي جعفر، وعمرُه تسعٌ وسبعون سنة.

وروى عن المازنيِّ وغيره، وروى عنه إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة نِفْطَويه، وخلقٌ كثير، وكان صدوقاً [ثقةً] ثبتاً.

[قال ابن عساكر:] ومن رواياته عن الإمام مالك بن أنس [الفقيه] رحمة الله عليه أنَّه قال: إنَّ لهؤلاء الشُّطَّار مَلاحة، كان أحدهم يصلِّي خلف إنسان فأُرتج عليه، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يردِّدها، فصاح به الشَّاطر: الشيطان ماله ذَنْب، أنت ما تحسن تقرأ[1].

(١) تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٦٢ ، ومن هنا إلى بداية السنة التالية ليس في (ف) و(م١).

وكان بين المبرِّد وثعلب مفارقة، فقال حين مات المبرِّد: [من الكامل]

مات المبرِّد وانقضت أيَّامُه ... وليذهَبنَّ مع المبرِّد ثعلبُ
بيتٌ من الآداب أصبح نِصفُه ... خَرِباً وباقي نصفِه فسيخربُ
فابكوا لما سَلَب الزَّمان ووطِّنوا ... للدَّهر أنفُسكم على ما يسلبُ
غاب المبرِّد حيث لا تَرجونه ... أبداً ومَن يرجونه سيُغَيَّبُ
شملتْكمُ أيدي الرَّدى بمصيبةٍ ... وتوعَّدت بمصيبة تترقَّبُ
فتزوَّدوا من ثَعلبٍ فبكأس ما ... شَرِب المبرِّدُ عن قليل يَشربُ
وأرى لكم أن تكتبوا ألفاظَه ... إن كانت الألفاظُ ممَّا يُكتَبُ
فلْيَلْحَقنَّ بما مضى مُستخلفٌ ... من بعده وليذهبنَّ ونَذهبُ(١)

وقيل: إنَّ الشِّعر للحسن بن علي المعروف بابن العلَّاف، قلت: وهو الظَّاهر(٢).



(١) تاريخ بغداد ٤/ ٦١١، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٨٣، والمنتظم ١٢/ ٣٩٠.

(٢) وكذا أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٩/ ١٢٠، وابن خلِّكان في وفيات الأعيان ٤/ ٣١٩، ونسباها لابن العلاف، قالها في رثاء المبرِّد وثعلب.

السنة السادسة والثمانون بعد المئتين

في ربيع الآخر منها نازل المعتضد آمِد[(١)]، وأناخ عليها بجنده، وبها محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ، فأغلق أبوابَها، وعصى عليه، فنصب عليها المعتضد المجانيق، ونصب أيضاً محمد المجانيق على أسوارها، وأقام الحصار أربعين يوماً.

[قال الصُّولي:] وكان مع المعتضد أعرابيٌّ يقال له: شُعْلَة بن شهاب من بني يَشْكُر، وكان فصيحاً [، وهو من خاصَّة المعتضد]، فقال له: اذهب إلى محمد بن عيسى برسالتي، وحذِّرْه العصيان، وخوِّفْه، ورغِّبْه في الطَّاعة، قال شعلة: فذهبتُ إلى محمد، فلاطفتُه ووعدتُه الإحسان، ورغَّبته في الطَّاعة فلم يُجِبْني، وكان له عمَّةٌ يقال لها: أمّ شريف، [قال:] فأرسلتْ إليَّ فصرتُ إليها، فقالت: يا أبا شهاب، كَيف خلَّفْتَ أمير المؤمنين؟ فقلت: خلَّفتُه آمراً بالمعروف، فاعلاً للخير، فقالت: هو والله أهلٌ لذلك ومُستحقُّه، وكيف لا وهو ظلُّ الله الممدودُ على بلاده، وخليفتُه المؤتَمَن على عباده، فكيف رأيتَ صاحبنا؟ قلت: غلاماً حَدَثاً مُعْجَباً، قد استحوذ عليه السُّفهاء، واستبدَّ بآرائهم، يُزَخْرِفون له الكذب، ويسوقونه بالباطل، وسيوردونه النَّدم، فقالت: هل لك أن تلقاه بكتابي هذا قبل أن ترجع إلى أمير المؤمنين؟ قلت: نعم.

فكتبتْ إليه كتاباً لَطيفاً أجزلَتْ فيه الموعظة، وكتبت في آخره أبياتاً وهي: [من البسيط]

اقبَلْ نصيحةَ أمٍّ قلبُها وَجِعٌ ... خوفاً عليك وإشفاقاً وقُلْ سَدَدا
واستعملِ الفِكْرَ في قولي فإنَّك إنْ ... فكَّرتَ ألفَيْتَ في قولي لكَ الرَّشَدا
ولا تَثِقْ برجالٍ في قلوبهمُ ... ضَغائنٌ تَبعثُ الشَّنآنَ والحَسدَا
مثل النِّعاج خُمولاً في بيوتهمُ ... حتَّى إذا أمِنوا ألفيتَهم أُسُدا
وداوِ داءك والأدواءُ مُمْكِنةٌ ... وإذ طبيبُكَ قد ألقى عليك يدا

(١) في (ف) و(م١) ومروج الذهب ٨/ ١٣٤: وفي شهر ربيع الأول نازل المعتضد آمد، والمثبت من (خ)، وتاريخ الطبري ١٠/ ٧٠، والمنتظم ١٢/ ٣٩٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٧.

واعْطِ الخليفةَ ما يُرضيه منك ولا تَمنعْه مالاً ولا أهلاً ولا وَلَداً
واردُدْ أخا يَشْكُرٍ ردًّا يكون له رِدْءاً من السُّوء لا تُشْمِت به أحدا

قال اليَشْكُريُّ: فأخذتُ الكتاب، ورجعتُ به إلى محمد، فقرأه، ورمى به إليَّ وقال: يا أخا يشْكُر، ليس بآراء النِّساء وعقولهنَّ تَتِمُّ الدُّول ويُساس الملك، ارجع إلى صاحبك.

قال: فرجعتُ إلى المعتضد، فأخبرته بالخبر، وناولتُه كتابَها فقرأه، فأعجبه عقلُها وشِعرُها، ثمَّ تبسَّم وقال: والله إنِّي لأرجو أن أشفِّع أمَّ الشَّريف في كثير من القوم.

ثمَّ تطاول الأمر على محمد، فضَعُف وعَجز، وخانه أصحابُه، فأرسل إلى المعتضد يطلب الأمان لنفسه ولأهل البلد فأعطاه، فخرج إليه محمد ومعه أصحابُه وأولياؤه، فوصلوا إلى الخليفة، فخَلَع عليه وعليهم، وانصرفوا إلى مَضْرِبٍ قد أُعِدَّ لهم، وتحوَّل المعتضد من عسكره إلى منازل محمد ودوره، ولما استقرَّ به المنزل قال لليَشْكُريّ: هل عندك من أمِّ الشَّريف خَبر؟ قال: لا، قال: فامضِ مع هذا الخادم فإنَّك ستجدها في جُملة نسائها.

قال: فانصرفتُ وإذا بها كما قال، فلما رأتني سَفَرتْ عن وجهها وقالت: [من مجزوء الكامل]

رَيْبُ الزَّمان وصَرْفُه وعِنادُه كشف القِناعا
وأذلَّ بعد العزِّ منَّا الصَّعْبَ والبَطَلَ الشُّجاعا
ولكم نَصَحْتُ فما أُطِعْتُ وكم حَرَصْتُ بأن أُطاعا
فأبى بنا المِقْدار إلَّا أن نُقَسَّم أو نُباعا
يا ليتَ شِعري هل نَرى أبداً لفُرقَتِنا اجتماعا

ثمَّ بكت حتَّى علا صوتُها، وضربت بيدها على الأخرى، وقالت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، كأنِّي والله كنتُ أرى ما أرى، فقلتُ لها: إنَّ أمير المؤمنين وجَّه بي إليك وبهذا الخادم، وما ذاك إلَّا لجميل رأيه فيك، فقالت: فهل لك أن توصل لي إلى أمير المؤمنين رُقْعَة؟ قلت: نعم، فدفعتْ إليَّ رقعة فيها: [من الكامل]

قلْ للخليفةِ والإمامِ المرتَضى وابنِ الخلائفِ من قريش الأبطحِ

عَلَمِ الهدى ومنارِه وسراجِه مفتاحِ كلِّ عظيمةٍ لم تُفْتَحِ
بكَ أصلح الله البلادَ وأهلَها بعد الفَساد وطال مالم تصلحِ
[أعطاك ربُّك ما تحبُّ فأعطِهِ ما قدْ يُحبُّ وجُدْ بعفوٍ واصْفَحِ]
يا بَهْجَةَ الدُّنيا وبَدْرَ مُلوكها هَبْ ظالميَّ ومُفسِديَّ لمُصْلحِ

قال: فلمَّا قرأها المعتضد ضحك وقال: لقد نصحتْ لو قَبِل منها، وأمر أن يُحمل إليها خمسون ألف درهم، وخمسون تَخْتاً من الثياب، وأن يُحمل إلى محمد ابن أخيها مثل ذلك(١).

وقال ابن المعتزِّ يهنِّئ المعتضد بفتح آمد: [من الكامل]

اسْلَمْ أميرَ المؤمنين ودُمْ في غِبْطَةٍ ولْيَهْنِكَ النَّصْرُ
فلَرُبَّ حادثةٍ نَهضْتَ لها متقدِّماً فتأخَّر الدَّهرُ
ليثٌ فرائسُه اللُّيوث فما يَبْيَضُّ من دمها له ظُفْرُ(٢)

وأقام المعتضد بآمد بقيَّة جمادى الأولى، وثلاثةً وعشرين يوماً من جمادى الآخرة، ثمَّ ارتحل منها نحو الرَّقَّة(٣)، وأمَر بِهَدْم سور آمِد، فهُدم بعضه، وتعذَّر هدمُ الباقي لما يحتاج إليه من الغرامات، فتركه، وخلَّف بآمِد ابنه عليًّا في جيش كثيف، وضمَّ إليه دياربكر وربيعة والعواصم والرَّقَّة.

ولما كان المعتضد بالرَّقَّة بعث إلى راغب مولى الموفَّق - وكان على طَرَسوس - يطلبه، فجاء إليه، فأقام في عسكره يوماً ثمَّ قبض عليه، واستأصله وحبسه، فمات بعد أيام، وعاد المعتضد إلى بغداد فدخلها لليلتين خلتا من شوال.

وفيها ورد رسول هارون بن خُمارويه يذكر أنَّه قد نزل عن أعمال قِنَّسرين والعواصم، وأنَّه يحمل إلى الخليفة في كلِّ سنة أربع مئة ألف دينار وخمسين ألف دينار، ويسأل تجديد الولاية له على الشَّام ومصر، فأجابه إلى ذلك(٤).

(١) المنتظم ١٢/ ٣٩٩-٤٠١.
(٢) ديوان ابن المعتز ١٩٦، والمنتظم ١٢/ ٣٩٨، وينظر أشعار أولاد الخلفاء ١٢٦.
(٣) في (ف) و(م١): ثم ارتحل منها لتسع بقين منه نحو الرقة. وفي الطبري ١٢/ ٧١: ثمَّ ارتحل منها يوم السبت لسبع بقين منها نحو الرقة والمثبت من (خ).
(٤) من قوله: وخلف بآمد ابنه عليًّا...... إلى هنا ليست في (ف) و(م١).

[فصل:]

وفيها وافت هديَّة عمرو بن اللَّيث الصَّفَّار من نَيسابور إلى بغداد في جمادى الآخرة، وهي أربعة آلاف ألف درهم، وعشرة من الدَّوابّ بسروجها ولُجُمها محلَّاة بالذَّهب، وخمسون دابة بجلالٍ مشهَّرة، وكسوة، وطِيْب، وبُزاة وغير ذلك، وكان المعتضد غائباً عن بغداد.

وفيها ظفر إسماعيل بن أحمد بعمرو بن اللَّيث الصَّفَّار، وكانوا قد التَقَوا على بَلْخ فاقتتلوا، وكان أهلُ بَلْخ قد ملُّوا عَمْراً وأصحابَه، وضجروا من نزول أصحابه[1] في دورهم، والتَّضييق عليهم، وأخذِهِ لأموالهم، وتعرُّضِ أصحابه لحريمهم، فلمَّا التَقَوا حمل عليهم إسماعيل، فانهزم عمرو إلى بَلْخ فوجد أبوابها مُغلقة، فصاح: أنا عمرو، ففتحوا له، ولم يكن معه إلَّا اليسير، فوثَب عليه أهلُ بَلْخ فأوثقوه، وحملوه إلى إسماعيل، فلمَّا دخل عليه قام [له]إسماعيل، واعتنقه، وقبَّل ما بين عينيه، وغَسَلَ وَجْهَه من الغبار، وخلع عليه، وقال: عزَّ علي ما أصابك، وحلف له أنَّه لا يُؤذيه ولا يُسْلمه.

وقيل: إنَّ إسماعيل كان من وراء النَّهر، فسأل عمرو بن الليث[الصَّفَّار] المعتضدَ أن يولِّيه أعمال إسماعيل، فولَّاه، وبعث إليه بالتَّقليد واللِّواء، فعزم على محاربة إسماعيل [بن أحمد]، فكتب إسماعيل إلى عمرو: إنَّك قد ولِّيت خراسان والدُّنيا، وإنَّما في يدي ما وراء النَّهر، وأنا في ثَغْر، فاقنع بما في يدك، ودَعْني مُقيماً بهذا الثَّغر، فأبى عمرو، وقيل له: بين يديك جَيْحون كيف تعبره؟ فقال: لو شئتُ أن أسكره بِبِدَرِ الأموال لفعلتُ حتَّى أعبره، وبلغ إسماعيل فقال: أنا أَعبُر إليه.

فجمع الدَّهاقين وغيرهم وجاوز النَّهر إلى الجانب الغربي، وجاء عمرو فنزل بَلْخ، وأخذ عليه إسماعيل الطُّرق [فصار] كالمحاصَر، وندم عمرو على ما فعل، وطلب المُحَاجَزة فلم يُجِبْه إسماعيل، واقتتلوا يسيراً فانهزم عمرو، وتبعه أصحاب إسماعيل، فوَحِلتْ دابَّتُه[2]، فهرب أصحابه، فأُخذ أسيراً، وحُمل إلى إسماعيل.

وبلغ المعتضد فخلع على إسماعيل خِلَع السَّلْطنة، وقال: يُقَلَّد أبو إبراهيم كلّ ما

---

(١) في (خ): من نزولهم، والمثبت من (ف) و(م١)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٢/ ٤٠١.

(٢) في (ف) و(م١): فدخلت دابته في درعه. وما بين معكوفين منها.

كان في يد عمرو.

ثمَّ جاء كتاب المعتضد إلى إسماعيل يَعزم عليه، فما رأى بدًّا من تسليمه، فبعث به إلى المعتضد، فدخل بغداد على جَملٍ ليشهروه، فقال الحسين بن محمد بن الجَهْم[(١)]: [من الطويل]

ألم تَرَ هذا الدَّهرَ كيف صُروفُهُ ... يكون يَسيراً مرَّةً وعَسيرا

وحَسْبُك بالصَّفَّار نُبْلاً وعِزَّة ... يروحُ ويَغدو في الجيوش أميرا

حَباهُم بأجْمالٍ ولم يَدْرِ أنَّه ... على جَمَلٍ منها يُقادُ أسيراً

أشار إلى أنَّه كان يحمل الأموال والهدايا إلى بغداد على الجمال، ثمَّ حبسه المعتضد في مَطْمورة، وكان يقول: لو أردت أن أعملَ على جَيْحون جسراً من ذهب لعملتُ، وكان مَطبخي يُحمل على ستِّ مئة جمل، وأركب في مئة ألف، أصارني الدَّهر إلى المطامير والقيود والذُّلِّ، وأقام في المطمورة إلى سنة تسع وثمانين ومئتين، ومات في أيام المكتفي، وقيل: إنَّه غُمَّ عند موت المعتضد، وقيل: في حياته[(٢)].

وقال الطَّبريُّ: إنَّما دخل عمرو بن الليث بغداد في سنة ثمان وثمانين ومئتين في جمادى الأولى ومعه أشناس غلام إسماعيل بن أحمد، قال: وذكر لي أنَّ إسماعيل خيَّره بين المقام عنده أسيراً وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين، فاختار توجيهه إلى المعتضد[(٣)].

فأدخل بغداد يوم الخميس مستهلَّ جمادى الأولى، وركب أبو النَّجم بدر، والقاسم ابن عبيد الله الوزير، والقوَّاد والنَّاس جميعاً، وعمرو بن الليث على جَملٍ له سنامان في غاية الارتفاع، وقد أُلبس الجمل الدِّيباج، وحُلِّي بذوائب فِضَّة، وعلى عمرو دُرَّاعة ديباج، وبُرْنُس طويل، وطيف به في شوارع بغداد، وأُدخل على المعتضد فأوقف بين يديه ساعة، فقال له: يا عمرو، هذا ببَغْيك، ثمَّ أُخرج إلى حُجرة كانت قد أُعدَّت له،

(١) كذا في النسخ وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٥٨، والذي في مروج الذهب ٨/ ٢٠٨: الحسن بن فهم، وفي وفيات الأعيان ٦/ ٤٢٩: الحسين بن محمد بن الفهم.

(٢) ذكر الطبري ١٠/ ٧٦، وابن الأثير ٧/ ٥٠٠-٥٠٢ خبر عمرو بن الليث في أحداث سنة (٢٨٧هـ).

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٨٣.

وبعث إلى إسماعيل ببَدَنةٍ من لؤلؤ، وتاجٍ مرصَّعٍ، وسيفٍ من ذهب، وعشرة آلاف ألف درهم[١].

وفيها ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنَّابي [بالبحرين]، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقَرامطة، وكان خروجه في أوَّل هذه السَّنة، ثمَّ قوي أمره في جمادى الآخرة، وكثر أصحابُه، فقتل مَن حوله من أهل القرى، وسار إلى مكان بينه وبين البصرة مراحل يقال له: القَطيف، فقتل مَن كان به، وأظهر أنَّه يريد البصرة، فأرسل المعتضد إلى البصرة، فبنى عليها سُوراً، فقدِّرت نفقته بأربعة عشر ألف دينار.

وغلب أبو سعيد على هَجَر وأعمالها، وكان رجلاً كيَّالاً بالبصرة، يبيع الطَّعام للنَّاس بناحية الزَّارة، وجَنَّابة قريةٌ من قُرى الأهواز، وقيل: من أعمال البصرة، وقيل: من البحرين.

وكان يتردَّد إلى البصرة وإلى القَطيف والبحرين رجلٌ يقال له: يحيى بن علي[٢]، ويزعم أنَّه رسول المهديِّ، ويبثُّ فيهم الدَّعوةَ سرًّا، ويأخذ أموالَهم، ويجيء إلى البصرة فينزل على أبي سعيد الجنَّابي، ويقول أبو سعيد لامرأته: إنْ أرادكِ رسولُ المهديِّ على نفسك فلا تمنعيه.

وعلم به عامل البصرة وهو أحمد بن محمد الواثقي، فأخذ يحيى بن علي رسولَ المهدي فضربه بالسِّياط، وحلق رأسَه ولحيته، وعلم أبو سعيد فهرب من البصرة، واجتمع إليه مَن كان على مثل رأيه، فخرج وعَمل ما عَمِل.

وقال الصُّولي: كان أَبو سعيد فقيراً يرفو[٣] أعدال الدَّقيق بدار البصرة، وكان يُسْخَر منه ويُستَخفُّ به، فخرج إلى البحرين، فانضاف إليه جماعة من الزَّنج وقُطَّاع الطريق، وأفسد، وعاث، ونشر الدَّعوة، وتفاقَمَ أمرُه، حتَّى بعث إليه الخليفة جيوشاً وهو يهزمها، وهو جدُّ أبي عليٍّ الذي استولى على الشَّام، ومات بالرَّملة سنة خمسٍ وستِّين وثلاث مئة.

---

(١) من قوله: وقال الطبري.... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٢) كذا في (خ) و(ف) و(م١) والذي في الكامل ٧/ ٤٩٣ : يحيى بن المهدي.

(٣) رَفَأَ الثوبَ: لَأَمَ خَرْقَه بنساجة، وفي معناه: رفا يرفو رفواً. المغرب (رفأ).

وقال ابن حَوْقل: الحسن المكنَّى بأبي سعيد بن بَهْرام الجنَّابي من أهل جَنَّابة، كان دقَّاقاً، فتعلَّق بدعوة القرامطة من قِبَل عبدان الكاتب صهر حَمدان قرمط، وجعل الدَّعوة إليه بجنَّابة وفارس ونواحي البصرة، وكان حمدان قرمط ينتمي إلى خلفاء مصر وهم يومئذٍ بالمغرب، فأقام أبو سعيد مدَّة، ثمَّ ذُبح في حمَّام كان قد بناه في قصره، ثمَّ خلفه ابنه أبو طاهر سليمان بن الحسن، وهو الذي قتل الحاجَّ، ونزع الحجر الأسود من الكعبة، وفعل ما فعل، حتَّى أهلكه الله تعالى، وسنفصِّل هذه الجُمل بعون الله تعالى.

وفيها جرت واقعةٌ عجيبةٌ بالرِّيِّ ذكرها الخطيب، وقال بإسناده إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي(١): حضرتُ مجلسَ القاضي موسى بن إسحاق قاضي الرَّي، فادَّعى وكيلُ امرأةٍ على زوجها صداقها خمس مئة دينار فأنكر، فقال القاضي: البيِّنة؟ فقال الوكيل: حاضرة، فأحضر شهوداً، فقالوا: لابدَّ أن يُنظَر إلى المرأة لتتحقَّق الشهادة، فقال الزوج: ولا بدَّ؟ قالوا: ولابدَّ، فقال الزَّوج: أيُّها القاضي، اشهد علي أنَّ الخمس مئة دينار في قِبَلي وعندي ولا ينظر هؤلاء إلى امرأتي، فقالت المرأة: فإنَّني أُشهد القاضي أنِّي قد وهبتُ له المهرَ وأبرأتُه منه في الدُّنيا والآخرة، فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق.

[فصل] وحجَّ بالناس محمد بن عبد الله بن ترنجة.

وفيها توفي

أحمد بن سَلَمة

ابن عبد الله، أبو الفَضْل البزَّاز، النَّيسابوري، أحدُ الحفَّاظ.

رافق مسلم بن الحجَّاج في رحلته إلى قُتيبة بن سعيد، وسمع من شيوخ مسلم، وجمع المسند الصحيح مثل«صحيح مسلم»، وقدم بغداد فحدَّث بها، وكتب عنه أبو زُرْعَة وغيره، وكانت وفاته في جمادى الآخرة وكان صالحاً صدوقاً(٢).

---

(١) في (خ): وفيها جرت واقعة بالري، قال أبو عبد الله محمد بن أحمد القاضي، والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ١٥/ ٥٣، والمنتظم ١٢/ ٤٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٠٢-٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٧٤، وهذه الترجمة =

[وفيها توفي]

إسحاق بن محمد

[ابن أحمد] بن أبان، أبو يعقوب النَّخَعِيّ، ويعرف بالأحمر.

كان به بَرَصٌ فكان يغيِّر لونَه بالأحمر(١).

[وذكره الخطيب فقال:] كان رَديءَ الاعتقاد، خبيثَ المذهب، يقول: إنَّ علياً عليه السلام هو الله تعالى، وله مقالات، وبالمدائن من أرض العراق أقوامٌ على مذهبه يقال لهم: الإسحاقية، يقولون: إنَّ علياً بعث محمداً ﷺ.

روى عن [أبي عثمان] المازني، وكان صاحب حكايات وأشعار [وأخبار] (٢).

[وفيها توفي]

إسماعيل بن إسحاق

ابن إبراهيم(٣) بن مهران، أبو بكر، السَّرَّاج، النَّيْسابوريّ، مولى ثَقيف.

سمع [إسحاق بن راهويه، و] الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه، وكان صاحبه، وغيرهما، وأقام ببغداد خمسين سنة ومات بها، فسافر عنها أخوه محمد [بن إسحاق] إلى نيسابور، فكان يتأسَّف على بغداد، فقيل له: لم خرجتَ منها؟ فقال: أقام بها أخي إسماعيل خمسين سنة يحدِّث ويسمع، فلمَّا مات وأُخرجت جنازته قال واحد على باب الدَّرب: مَن هذا؟ فقال له آخر: غريبٌ كان ههنا، فقلت: إنَّا لله من المقام بين هؤلاء القوم، [يقيم أخي بينهم خمسين سنة يحدِّث، ويشتهر بالعلم والزُّهد والعبادة ويقال في حقِّه كذا! والله لا أقمتُ بها]، فخرجتُ إلى الوطن.

[وفيها توفي]

= ليست في (ف) و(م١).

(١) في (خ): فكان يغير لون جلده فقيل الأحمر، والمثبت من (ف) و(م١)، وما بين معكوفين منهما.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٤١٠، والمنتظم ١٢/ ٤٠٤-٤٠٦ .

(٣) في(خ): إسحاق بن محمد بن إبراهيم....، والمثبت من (ف) و(م١)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٧/ ٢٨٤، والمنتظم ١٢/ ٤٠٣ .

الحسين بن بَشَّار

أبو علي، البغداديّ، الخيَّاط.

كان عارِفاً بتعبير الرُّؤيا، حاذِقاً بها، [قال الخطيب:] مرض القاضي أبو عمر محمد ابن يوسف مرضاً شديداً أقام فيه شهوراً، فرأى في منامه قائلاً يقول له: كُلْ لا، واشرب لا، وقد عوفيتَ، فسأل المعبِّرين فلم يفهموا معناه، فأرسل إلى الحسين فسأله فقال: أخِّرني الليلة، فلمَّا كان من الغد أرسل إليه فقال: كُلِ الزَّيتون واشربِ الزَّيت، فقال: [ومِن] أين لك هذا؟ فقال: قرأت البارحة القرآن كلَّه، فلم أجد معناه إلَّا في قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] ففعل القاضي فعوفي.

وكانت وفاته في صفر، أسند عن أبي بلال الأشعريِّ وغيرِهِ، وروى عنه عبد الصَّمد [ابن علي] الطّستي وغيرُه، وكان ثقة(١).

محمد بن وضَّاح

ابن بَزيع، أبو عبد الله، الأندلسيُّ، القرطبيُّ، مولى عبد الرحمن الدَّاخل.

كان زاهداً، عفيفاً، فاضلاً، مجابَ الدَّعوة، اعتُقل لسانه فسأل الله تعالى فأطلقه.

رحل إلى المشرق مرَّتين، وقرأ القرآن على أصحاب وَرْش، وسمع الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيرَه، وحديثه في الأندلس ووفاته بها، وبه صارت دارَ حديث رحمه الله(٢).

[وفيها توفِّي]

محمد بن يوسف

أبو عبد الله، الأصبهاني، البنَّاء.

كان رجلاً صالحاً، يبني للنَّاس بالأجرة(٣)، فيأخذ من أُجرته دانِقاً في كلِّ يوم يُفطر

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٤٥، والمنتظم ١٢/ ٤٠٦.

(٢) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٨٧-١٩١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٢٨-٨٢٩، وهذه الترجمة ليست في (ف) و(م١).

(٣) في (ف) و(م١): قال أبو نعيم: كان يبني للناس بالأجرة، ولم نقف على كلام أبي نعيم في ترجمة محمد بن يوسف في الحلية ٨/ ٢٢٥، وأخبار أصبهان ٢/ ٢٢٠، وانظر المنتظم ١٢/ ٤١٠، وصفة الصفوة ٤/ ٨٣.

عليه، ويتصدَّق بالباقي، ويختم القرآن كلَّ يوم وليلة خَتمة، ولقي ستَّ مئة[1] شيخ، وكتب الحديث الكثير.

وكانت له كرامات، قال: كنتُ بمكة، فسألت الله أن يُدخل قلبي المعرفة، وإمَّا أن يقبضني [إليه]، فلا حاجةَ لي في الحياة بغير معرفة، فرأيت في المنام قائلاً يقول: صم شهراً، ولا تكلِّم أحداً من النَّاس في الشهر، ثمَّ ادخل بعد ذلك قبَّةَ زَمزم، وسلْ ما تريد، قال: ففعلتُ، فناداني صوتٌ من زمزم: يابن يوسف، أيُّهما أحبُّ إليك؛ العلم مع الغنى، أو المعرفة مع الفقر؟ فقلت: المعرفة مع الفقر، فسمعت ذلك الصَّوت يقول: قد أُعطيت، قد أُعطيت.

أسند عن إسحاق بن راهويه وغيره، وروى عنه ابن مَخْلَد وغيره.

[وفيها توفي

الكُدَيْمي

واسمه] محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عُبيد بن ربيعة بن كُدَيْم، أبو العبَّاس، القُرشيُّ، البصريُّ. [وهو ابن امرأة رَوْح بن عُبادة.

ولد سنة ثلاث أو خمس وثمانين ومئة في ليلة مات هُشيم بن بشير، وسافر في طلب الحديث إلى الحجاز، واليمن، والشام، ومصر، وخراسان، وسمع الكثير]، حجَّ أربعين حجَّة، ثمَّ أقام ببغداد، وكان حافظاً مُتقناً[2].

قال: حضرتُ جنازة عبد الرحمن بن مَهديّ في سنة ثمان وتسعين ومئة، وكتبتُ عن ألفٍ ومئة شيخ وستة وثمانين شيخاً.

وكانت وفاته ببغداد في نصف جمادى الآخرة.

سمع عفَّان بن مسلم وغيرَه، وروى عنه ابنُ الأنباري وغيرُه.

وقد تكلَّموا فيه؛ فقال عبد الله بن الإمام أحمد: الكُديميُّ حَسَنُ الحديث والمعرفة،

---

(١) في (خ): خمس مئة، والمثبت من (ف) و(م١).

(٢) ما بين معكوفين من (ف) و(م١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ٦٨٨، والمنتظم ١٢/ ٤٠٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٣٣، والسير ١٣/ ٣٠٢، وميزان الاعتدال (٧٨٦٧).

ما وُجد عليه في شيءٍ إلَّا صُحبته لسليمان الشَّاذكوني، فإنَّ سليمان كان يضع الحديث.

وكان الكديميُّ يقول: مَن رماني بالزَّندقة فهو في حِلٍّ، ومَن رماني بالكذب على رسول الله ﷺ جاثَيْتُه بين يدي الله تعالى.

وكان ينشد ويقول[1]: [من البسيط]

لا تَخْضَعَنَّ لمَخلوقٍ على طَمَعٍ فإنَّ ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ
واستَرْزِقِ الله ممَّا في خزائنهِ فإنَّما هو بين الكاف والنُّونِ

[وفيها توفي]

يعقوب بن إسحاق بن تَحيَّة

أبو يوسف، الواسطيُّ.

قدم بغداد، وحدَّث بسوق الثلاثاء عن يزيد بن هارون بأربعة أحاديث، ووعد النَّاس أن يحدِّثهم من الغد، فأصبح ميتاً، وله مئة واثنتي عشرة سنة، وروى عن ابن صاعد وغيره[2].



(١) في (ف) و(م١): وروي أن الكديمي كان ينشد هذين البيتين. والبيتان في تاريخ بغداد ٤/ ٧٠١.
(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٢١-٤٢٣، والمنتظم ١٢/ ٤١٠، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٥٤.

السنة السابعة والثمانون بعد المئتين

فيها قبض المعتَضِد على محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشَّيخ صاحب آمد، وعلى جماعةٍ من أهل بيته، وقيَّدهم وحبسهم في دار ابن طاهر، وسببه أنَّ بعض أقارب محمد وشى به [إلى المعتضد وقال: هو] على عزم الهرب(١) وجماعةٍ من أصحابه.

وفيها في المحرَّم واقعت طَيِّئ قافلةَ الحاجِّ عند عودهم من مكَّة؛ بمكان يقال له: المعدن، وكان الأعراب في ثلاثة آلاف بين فارس وراجل، وكان أبو الأغرّ على الحاجِّ، فأقاموا يقاتلونهم يوماً وليلة، ومع طيِّئ ومن انضاف إليهم من الأعراب أموالُهم وظُعُنهم وأهاليهم، واشتدَّ القتال بينهم، ثمَّ إنَّ الله تعالى نصر أبا الأغرِّ والحاجَّ، فهزموهم يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرَّم، وقُتل صالح بنُ مُدْرِك الذي نهب الحاجَّ في ماضي السنين، وقتل معه أعيان طيِّئ، ووافى أبو الأغَرِّ بغداد وبين يديه رأسُ صالح [بن مُدْرِك] ورؤوس [جماعةٍ من] أصحابه، فوصل إلى المعتضد، فخلع عليه وطوَّقه وسوَّره، ونصب الرؤوس عند الجسر، وحَبس الأسرى في المطامير.

وفي صفر أمر المعتضد أن يُبنى له قصر [ببَراز الرّوز للتنزُّه،] فشرعوا فيه.

وفيها غَلُظ أمرُ القرامطة، فأغاروا على البصرة ونواحيها، فبعث إليهم المعتضد عبَّاس بنَ عَمرو الغَنَويّ في ألفَي رجل، وقيل: في عشرة آلاف، فالتقوا، فقُتل أصحاب العبَّاس إلا القليل، وأُسر العباس، ثمَّ أطلقه أبو سعيد بعد ذلك.

فقال العبَّاس: لمَّا أسرني القرمطيُّ قيَّدني وضيَّق عليَّ، فيئستُ من الحياة، فلمَّا كان بعد ذلك أرسل إليَّ مَن أخذ قيدي وثيابي، واستدعاني، فدخلتُ عليه، فسلمتُ عليه فردَّ، وأَدْناني، وأمرني بالجلوس، وقال: أنتَ رجلٌ عربيٌّ، وقد مننتُ عليك بنفسك، وأريد أن أستودعَك أمانةً تؤدِّيها إلى صاحبك، فقلت: أفعل ما تأمُرني به، قال: تقول له: ياهذا، لِمَ تَخْرِقُ هيبتَكَ، وتبعث إليَّ الجيوشَ، وأنا أقتل رجالَك، ويَطمع فيك

(١) في (خ): وشى به أنَّه على عزم...، والمثبت من (ف) و(م١)، وما بين معكوفات منهما، وانظر تاريخ الطبري ١٠/ ٧٤.

أعداؤك، وأنا رجلٌ مقيمٌ في فلاةٍ لا زَرْعَ فيها ولا ضَرْع، قد رضيتُ لنفسي بخُشونة العيش، والتَّقلُّب على أطراف الرِّماح، وما غَصَبْتُ لك بلداً، ولا أزلتُ لك سلطاناً، ومع هذا فوالله لو أرسلتَ إليَّ جميع عساكرك ماظفرتَ منِّي بطائلٍ؛ لأنَّك تبعثُ إليَّ رجالاً قد تعوَّدوا شُرْبَ الماءَ بالثَّلج، وشمَّ الرياحين، والمآكلَ اللذيذة، والأماكنَ الباردة، فيجيؤون من المسافة البعيدة وقد ضَنكَهم العيشُ والتعب، فما يَمْكثُون إلا ساعةً من نهار ثمَّ يُهزمون، وإن ظهروا عليَّ دخلتُ الصَّحارى أنا ورجالي، وقد تعوَّدْنا القَشَف وخشونةَ العيش، فلا يقدرون عليَّ، ثمَّ إنَّني آتيهم على غِرَّة فأقتلهم وأغنم أموالهم، ويعودُ فَلُّهم إليك، فما تَحظى إلا بكَسْر الحُرْمَة، وإنفاق الأموال، وإطماع العدوِّ فيك، وأنا فما أُنفقُ مالاً، ولا أتكلَّفُ مَشَقَّةً...

وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى، وبعث معي رجالاً أوصلوني إلى مأمَني، وأعطاني نَفَقةً، فلمَّا دخلتُ على المعتضد أَعَدْتُ عليه ما قال، فتمعَّطَ في جلده غَيظاً حتَّى قلت: إنَّه يسير إليه بنفسه، ثمَّ أفكر فكأنَّه عَرف صدقَ قوله، فما ذكره بعد ذلك.

ثمَّ ولَّى المعتضد العبَّاسَ الغَنَويَّ اليمامة والبحرين ومُحاربَةَ القرمطي، فخرج إليها في رجب، وجاءه القرمطيُّ فاقتتلوا، فانهزم العبَّاس، ولحقه القِرمطي فأسره، وأسر معه سبعَ مئة رجل، وغنم ما كان في االعسكر، وقتل السَّبع مئة، ثمَّ أحرقهم، وسار إلى هَجَر فأمَّنهم ودخلها، وهرب أهل البصرة، وكان بها أحمد بن محمد الواثقيّ فسكَّنهم.

ثمَّ أطلق القرمطيُّ العبَّاسَ، فوافى بغداد في رمضان، ويقال: إنَّ هذه الوقعة هي التي أسر القرمطي فيها العبَّاس في الأوَّل، ولما أسره دَعا به وقال: أتحبُّ أن أُطلِقَك؟ قال: نعم، قال: امْضِ وعرِّف الذي وجَّه بك ما رأيتَ من قِبَل أصحابه وتحريقهم، وأرسل معه رجالاً من القرامطة يحملون الزَّاد والمال إلى الأُبُلَّة، فأوصلوه، فجاء إلى البصرة، وقدم على المعتضد فحكى له ما شاهد، وقال له: يا أمير المؤمنين، أقمتُ عنده ثمانيةَ عشر يوماً ما أكلت إلا الطُّرموس(١) والتَّمر، قال: والمعتضد مُطرِقٌ قابِضٌ على لحيته، لايرفع طَرْفَه، فإذا رفعه نظر إليَّ شَزْراً، فلم أزل خائفاً حتَّى خرجتُ من

(١) الطُّرموس: خبز المَلَّة. والمَلَّة: الرماد الحار. مقاييس اللغة ٣/ ٤٥٩، ولسان العرب: (ملل).

بين يديه، ثمَّ خلع عليه[١].

وفي شوَّال خرج المعتضد من بغداد فنزل باب الشمَّاسيَّة [في طلب] وَصيف خادم ابن أبي السَّاج وكتم ذلك، فظهر أنه يريد [ديار] مُضَر[٢]، وسار عن بغداد في ذي القعدة، وأتته عيونه أنَّ وصيفاً يريد عين زُرْبة، فقدَّم بين يديه ابنه عليًّا، ثمَّ أتبعه مؤنساً الخازن، ثمَّ بالقوَّاد، فأدركوا وَصيفاً في عسكره قبل أن يصل إلى عين زُرْبة، فأخذوه أسيراً، وجاؤوا به، فكان بين مَسير المعتضد من بغداد إلى أن قبض على وصيف بعين زُرْبة والعواصم ستَّة وثلاثون يوماً؛ لأنَّه خرج من بغداد لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة، ثمَّ أقام بعين زُرْبة يومين، وبالمَصِّيْصة أيَّاماً، ونزل طَرَسوس فأقام بها أياماً ، ثمَّ رحل إلى أنطاكية فأقام بها أياماً، ثمَّ جاء إلى حلب، ثمَّ إلى بالِس، ثمَّ إلى الرقَّة، فأقام بها إلى سَلْخ ذي الحجَّة[٣].

وفيها مات محمد بن زيد العَلَويّ صاحب طَبَرِسْتان.

وفيها أوقع بدر غلامُ الطَّائيّ بالقرامطة على غرَّة منهم بنواحي رودميسان[٤]، فقتل منهم مَقتلةً عظيمة ، ثمَّ تركهم خوفاً على السَّواد أن يخرب إذ كانوا فلَّاحيه وعمَّالَه.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن عبد الله بن ترنجة[٥].

وفيها توفِّي

أحمد بن عمرو

ابن الضَّحَّاك بن مَخْلد بن مسلم، أبو بكر، القاضي، الشَّيباني، الفقيه.

محدِّثُ بنُ محدِّث بنِ محدِّث، ولي القضاء بأصفهان، وصنَّف في علوم الحديث، وكان مُكثِراً، وروى عن جدَّيه لأبيه ولأمِّه؛ أمَّا جدُّه لأبيه فهو أبو عاصم النَّبيل، وأمَّا جدُّه

---

(١) نشوار المحاضرة ٤/ ١٣٠-١٣٢ ، والفرج بعد الشدة ٢/ ١٠٤-١٠٧ ، وذكره أيضاً ابن الجوزي في المنتظم ١٢/ ٣٢١-٣٢٢ في أحداث سنة تسع وسبعين ومئتين.

(٢) ما بين معكوفين زيادة من تاريخ الطبري ١٠/ ٧٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٧٩-٨١ ، والكامل ٧/ ٤٩٧-٤٩٨ .

(٤) كذا في النسخ، وفي تاريخ الطبري ١٠/ ٨٢ : روذميستان، وفي الكامل ٧/ ٥٠٠ : بنواحي ميسان.

(٥) من هنا إلى ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن أيوب ليس في (ف) و(م١).

لأمِّه فأبو سلمة التَّبُوذَكيّ، وكان أحمد بن عمرو ظاهريَّ المذهب، مات بأصبهان[١].

الحسين بن السَّمَيْدع

ابن إبراهيم أبو بكر، البَجَليُّ، الأنطاكيّ.

قدم بغداد وحدَّث بها، وتوفِّي في ذي القَعدة، وكان ثقة، وأنشد لنفسه أو لغيره: [من البسيط]

حتَّى متى أنا مَمْطولٌ بما تَعِدُ ... ما للمواعيد فيما بيننا أمَدُ

أزكى المواعيدِ ما كانت مهيَّأةً ... لا المَطْلُ فيها ولا التَّسويفُ والنَّكَدُ

فأبْقِ عنديَ للمعروف تفعلُه ... شُكراً تضمَّنه الأعقابُ والأبَدُ[٢]

محمد بن زيد

العَلَويّ، صاحب طَبَرِسْتان

لما بلغه أسْرُ عمرو بن اللَّيث خرج من طبرِستان في جيش كثيف نحو خراسان طامعاً فيها، ظنًّا منه أنَّ إسماعيل بن أحمد لا يتجاوز عمله بما وراء النَّهر، فلمَّا صار إلى سِجِسْتان كتب إليه إسماعيل يقول: قد ولَّاني أمير المؤمنين خُراسان، فارجع إلى طَبَرِستان ولا تتعرَّض لما ليس لك، فأبى محمد، فدعا إسماعيل محمد بنَ هارون وكان خليفة لرافع بن هَرثمة في أيَّام ولاية رافع خراسان، فقال له: سِرْ إلى محمد بن زيد، وضمَّ إليه جَمعاً كثيراً من جنده ورجاله.

فسار إليه والتقيا على باب جُرجان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الدَّبَرَةُ فيه أولاً على محمد بن هارون، ثمَّ رجع عليهم فهزمهم، وقتل من أصحاب العلويِّ خلقاً كثيراً، وباشر العلويُّ القتالَ بنفسه، ووقع في رأسه ووجهه ضَرَباتٌ كثيرة، وأَسَر ابنَه هارونُ، وحوى ما كان في عسكره، ثمَّ مات محمد بن زيد بعد هذه الواقعة بأيَّام، فدُفن على باب جُرجان، وحُمل ابنُه زيد بن محمد إلى إسماعيل بن أحمد، وسار محمد بن هارون إلى طَبَرِسْتان[٣].

---

(١) أخبار أصبهان ١/ ١٠٠-١٠١، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٨-٥٠، والسير ١٣/ ٤٣٠-٤٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٥٨٧-٥٨٩، وتاريخ دمشق ٤/ ٦٧١-٦٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ١٠/ ٨١، والكامل ٧/ ٥٠٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٠٣-٨٠٤، والوافي بالوفيات ٣/ ٨١-٨٢.

يعقوب بن يوسف بن يعقوب

أبو يوسف، النَّيسابوريُّ.

كان جَليلاً، مُحتَشِماً، كبيرَ المحلِّ، كاتب الإمام أحمد رحمه الله، واجتمع به غير مرَّة، وأثنى عليه الإمام أحمد، أسند عن هشام بن عمَّار وطبقتِه، وكتب عنه مسلم بن الحجَّاج، وكان ثقة[(١)].

[فصل وفيها توفي]

يعقوب بن يوسف بن أيُّوب

أبو بكر، المطوّعي، الزَّاهد العابد، [حكى عنه الخطيب أنَّه] قال: كان وِردي في شبيبتي في كلِّ يوم وليلة أربعين ألف مرَّة﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

وكانت وفاته ببغداد في رجب، ودُفن بباب البَردان.

سمع الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه، [وابن معين، وابن المديني]، وروى عنه النجَّاد [وجعفر الخُلْدي]، وكان ثقةً صدوقاً[(٢)].



(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٥٣-٥٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٢٣، والمنتظم ١٢/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٥٥، وما بين معكوفات من (ف) و(م١) وجاء فيهما بعدها: والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله.

السنة الثامنة والثمانون ومئتين

فيها وقع وَباء بأذْرَبيجان فمات خَلْقٌ كثير، وفُقدت الأكفان، فكفّن النَّاس في الأكْسِيَة واللّبود، ثمَّ فُقدت [الأكسية] ومَن يدفن الموتى، فكانوا يُطرَحون في الطُّرق عَرايا.

ثمَّ وقع الطَّاعون في أصحاب محمد بن أبي السَّاج بَبَرْذَعة في ربيع الأوّل، فمات لمحمد ما بين ولدٍ وغُلامٍ ممن أُخِذت مناطقُهم وسيوفُهم، وأُدخلت خزانة ابن أبي السَّاج؛ سبعُ مئة إنسان، ثمَّ توفِّي محمد بن أبي السَّاج ببَرْذَعة، وقيل: بأذربيجان، وكان يلقَّب بالأفشين، فاجتمع غلمانه فأمَّروا عليهم ابنه ديوداد، فاعتزلهم أخوه يوسف ابن أبي السَّاج وهو مخالفٌ لهم[1].

وفيها قدم المعتضد بغداد [فنزل] بباب الشَّمَّاسيَّة مُنْصَرِفاً من سفره، ومعه وصيف خادم ابن أبي السَّاج، وكان عاصياً عليه بالثُّغور، ثمَّ دخل المعتضد قصرَه بالثُّريّا ليلاً، وركب من الغد ابنُه جعفر وأبو النَّجم بدر المُعْتَضدي، وبين أيديهم القوَّاد، ووَصيف الخادم قد أُركب جَملاً له سنامان بغير وِطاء، وعليه دُرَّاعة ديباج، ومعه رجل يعرف بالبُغَيل من أهل طَرَسوس ممَّن كان يقاتل في البحر على جمل، ورجلان آخران وعليهم الدَّرائع والبَرانس، وكان في المَرْكب ممَّن أبلى في الوقعة خاقان المُفْلحي مُطوَّقاً مُسوَّراً، ووَصيف موشكير، ومؤنس الخادم، ومؤنس الخازن مطوَّقين بغير أسورة[2].

وقال الخطيب: هجم المعتضد على وصيف بطَرَسوس فأخذه أسيراً، وعاد إلى أنطاكية وعليه قَباء أصفر، فقال رجل: يا قوم، الخليفةُ عليه قباء أصفر، فأين السَّواد؟ فقال بعض النَّاس: هذا القباء كان عليه وهو ببغداد؛ فجاءه الخبر بعصيان وصيف، فحلف لا يغيِّره حتَّى يَفْرُغ من أمر وصيف[3].

(١) انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٨٣، والمنتظم ١٢/ ٤١٦، والكامل.
(٢) مروج الذهب ٨/ ١٩٦-١٩٩.
(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٨٠.

وعاد المعتضد وقد شاب، فدخلت عليه بدعة جارية [عريب] فقالت له: يا سيدي، شِبْتَ في هذه السَّفرة! فقال لها: من دون ما كنتُ فيه [يُشَيّب]، قالت: فأنت والله فيه أحسن من القمر، ثمَّ قالت: [من الخفيف]

إن تكن شِبْتَ يا مَليكَ البرايا ... بأمورٍ عانَيْتَها وخُطوبِ

فلقد زادكَ المَشيبُ جَمالاً ... ووَقاراً والشَّيبُ فَخرُ الأديبِ(١)

وفيها تزوَّج جعفر بن المعتضد خديجة بنت أبي النَّجم بدر، وحمل المعتضد إلى بدر صَداقها في مئة كيس على يد مئة غلام، وقيل: إنَّما تزوَّجها المعتضد.

وفيها توفي عبيد الله بن سليمان الوزير.

وتوفِّي وَصيف الخادم، فأُخرجت جثَّته وصُلبت عند الجسر.

وحجَّ بالنَّاس محمد بن هارون بن العبَّاس بن إبراهيم بن عيسى بن [أبي] جعفر المنصور(٢).

وفيها توفي

بِشْر بن موسى

ابن صالح، أبو علي، الأسديُّ.

ولد سنة تسعين ومئة، وهو من بيت الفضل والرِّياسة، والثِّقة والأمانة، وكان الإمام

---

(١) الإماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني ١٤٠-١٤١، وما بين معكوفين منه.
ونص هذا الخبر في (ف م١) وحكى أبو الفرج الأصبهاني [١٤١] وقال: لما عاد المعتضد من نوبة وصيف إلى بغداد وقد شاب دخلت عليه بدعة جارية عريب فقالت له: يا سيدي شبت في هذه السفرة! فقال لها من دون ما كنت فيه يشيب، قالت: فأنت فيه والله أحسن من القمر، ثم قالت بديهاً:

ما ضرك الشيب شيئاً ... بل زدت فيه جمالا

قد هذبتك الليالي ... وأورثتك كمالا

فعش لنا في سرور ... وانعم بعيشك بالا

تزيد في كل يوم ... وليلة من المعالي تعالا (كذا)

في نعمة وسرور ... ودولة تتعالى

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٨٥، والمنتظم ١٢/ ٤١٧، والكامل ٧/ ٥١٠: وحج بالناس هارون بن محمد المكنى أبا بكر، وما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٤/ ٥٦٥.

أحمد [بن حنبل] رحمه الله يعظِّمه ويحترمه، وكانت وفاته في ربيع الأوَّل ببغداد، ودُفن بمَقْبرة باب حَرْب، وقيل: بباب التِّبن.

حدَّث عن الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيره، وروى عنه [ابن] صاعد وغيره، [قال الخطيب:] وكتب إلى الحميديِّ والحميديُّ بمكة[١].

ومن شعره: [من الطويل]

ضَعُفْتُ ومَن جاز الثَّمانين يضعُفُ ويُنكَرُ منه كلُّ ما كان يُعرَفُ
ويَمشي رُويداً كالأسير مُقَيَّداً تَدانى خُطاه في الحديد ويرسُفُ[٢]

ثابت بن قُرَّة

أبو الحسن، المُهَنْدِس.

صاحب الكُتُب الحسان في الفلسفة والهندسة والطِّبِّ وغيرها، ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين، وكان فاضلاً، مُتقناً في جميع العلوم، وهو جدُّ ثابت بن سِنان بن ثابت بن قُرَّة صاحب «التاريخ».

ورثاه ابن المُنَجِّم النَّديم فقال: [من الطويل]

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ مائتُ ومَنْ يغتربْ يوماً ومَن مات فائتُ
أرى مَن مضى عنَّا وخيَّم عندنا كسَفْرٍ ثَوَوْا أرضاً فسارٍ وبائتُ
نَعَيْنا العلومَ الفَلسفيَّاتِ كلَّها عداها التماعُ النُّورِ مُذْ مات ثابتُ
وأصبح أهلوها حَيارى لفَقْدِه وزال به رُكْنٌ من العلم ثابتُ
وكانوا إذا ضَلُّوا هَداهم لنَهْجِها خَبيرٌ بفَصْلِ الحُكم للحقِّ ناكتُ
ولمَّا أتاه الموتُ لم يُغْنِ طِبُّه ولا ناطِقٌ ممَّا حواه وصامِتُ
فلو أنَّه يُسْطاع للموتِ مَدْفَعٌ لدافعَه عنه حُماةٌ مَصالِتُ
ثِقاتٌ من الإخوان يُصْفون وُدَّه وليس لما يَقضي به الله لافِتُ
أبا حَسَنٍ لا تَبْعَدنَّ فكلُّنا لهُلْكِكَ مَفْجوعٌ له الحُزْنُ كابِتُ

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٥٧٠، والمنتظم ١٢/ ٤١٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٢٤.

(٢) بعدها في (ف م١): انتهت ترجمته والحمد لله وحده، وفيها توفي العباس بن حمزة.

أآمُلُ أن تُجلا عن الحقِّ شُبهةٌ ... وشَخْصُك مَقْبورٌ وصوتُك خافِتُ
عَجِبتُ لأرضٍ غيَّبَتْك ولم تكن ... ليُثْبِتَ فيها مثلَك الدَّهرَ ثابتُ
تهذَّبْتَ حتَّى لم يكن لك مُبْغِضٌ ... ولا لك لمَّا اغتالَك الموتُ شامتُ
وبَرَّزْتَ حتَّى لم يكن لك دافعٌ ... عن الفَضْلِ إلا كاذبُ القولِ باهِتُ
مضى عَلَمُ العِلم الذي كان مَقْنَعاً ... فلم يَبْقَ إلا مُخطِئٌ مُتهافِتُ[1]

من أبيات.

[وفيها توفي]

العبَّاس بن حَمْزة

[ابن] عبد الله بن أشْرَس، أبو الفضل، النَّيْسابوريّ، الواعظ.

صاحب لسانٍ وبَيان، رحل في طلب الحديث إلى الأمصار، [قال الحافظ ابن عساكر:] ورأى ذا النُّون المصري، وسمع كلامه، وأسند عنه. [قال:] فمن ذلك أنَّه قال: سمعتُ ذا النُّون يقول في مُناجاته: إلهي، عَرف المُطيعون عَظَمتك فخضعوا، وسمع المذنبون بجودك فطمعوا.

[قال:] وكان يصوم النَّهار ويقوم الليل، [وكان] مُجابَ الدَّعوة، يقول: لَحِقَتْني بركاتُ ذي النون.

وكان يَعِظ السُّلطان، ومرض فعاده أحمد بن أبي ربيعة، فقال له: كيف تَجِدك يا أبا الفَضْل؟ فقال: حَبَسني ربي على بابه، وأغناني عن أبوابكم، وكانت وفاته في ربيع الأوَّل.

سمع الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيرَه، وروى عنه البغويُّ وغيرُه[2].

[وفيها توفي]

عُبيد الله بن سليمان

ابن وَهْب [الوزير].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢) تاريخ دمشق ٣٢/ ٧٥، والمنتظم ١٢/ ٤١٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٦١، وما بين معكوفين من (ف م١).

وَزَر للمعتضد[(١)] عشر سنين وشهرين وعشرة أيام، وكان ناهضاً، كافياً، يلتقي الأعداء بنفسه، ومضى إلى الرَّيّ مع عليٍّ بن المعتضد [وقد ذكرناه]، وكانت وفاتُه يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الآخر، وصلَّى عليه ابنه القاسم، ودُفن بداره، وكتب المعتضدُ رُقعةً إلى القاسم يعزِّيه بأبيه، ويترحَّم عليه، ويأمره بالقيام بأمر الوزارة، وذلك بإشارة بدر أبي النجم.

وقد حكى القاضي التَّنُوخي عن أبيه قال: لمَّا مات عبيد الله أراد المعتضد أن يولِّي الوزارة أحد رجلين: إمَّا أحمد بن الفرات، وإمَّا جَرادة، فاستشار بَدْراً فقال: يا أمير المؤمنين، ابنُ الفرات لا هَيبةَ له، وجَرادةَ غِرٌّ، والقاسم قد خَبَر الأمور، وعرف مَوارِدَها ومَصادرَها، فقال المعتضد: قد أجبناك إلى سؤالك في القاسم، فاذهب إليه فعَزِّهِ بأبيه، وهنِّه بالوزارة.

فلمَّا خرج بدر قال المعتضد لخَفيف الحاجب السَّمرقنديّ وكان حاضراً: أسمعتَ ما جرى؟ قال خفيف: نعم، فقال: والله لا قتل بَدْراً غير القاسم، فكان كما قال، كأنَّه كان ينظر من سِتْرٍ رقيق.

ثمَّ ركب القاسم إلى دار المعتضد يوم الأربعاء منتصفَ ربيع الآخر، بعد وفاة أبيه بيوم، والمعتضدُ في الثريَّا، فخلع عليه خِلْعةَ الوزارة، وعاد إلى منزله، وبدرٌ والقوَّاد بين يديه[(٢)].



(١) في (خ): وزير المعتضد. والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٢) من قوله: وقد حكى القاضي... إلى هنا ليس في (ف م١)، وانظر ترجمة الوزير في السير ١٣/ ٤٩٧.

السنة التاسعة والثمانون بعد المئتين

فيها فاض ماء البحر على السَّاحل فأخرب الحصون والبلادَ التي عليه، ولم يُعرف قبل ذلك.

وانتشرت القرامطةُ بسَواد الكوفة، وكان رئيسُهم رجل يقال له: ابنُ أبي الفوارس، فظَفرَ به عسكرُ المعتضد، فحُمِل وجماعةٌ معه إلى بغداد، فعُذِّبوا بأنواع العذاب، ثمَّ صُلبوا وأُحرقوا، وأمَّا ابن أبي الفوارس فقُلِعتْ أضراسُه، ثمَّ شُدَّ في إحدى يديه[١] بَكْرَة، وفي الأخرى صَخْرة، ورُفعت البكرة، فلم يزل على حاله إلى وقت الظهر، ثمَّ قُطعت يداه ورجلاه، وضُربت عُنقُه.

وفيها في ربيع الأول[٢] أمر المعتضد ببناء قصر بناحية باب الشَّمَّاسيَّة، وأمر بإخراج مَن كانت له دار هناك أو حانوت، وقيل لهم: خذوا أنقاضَ دُوركم، وأخذ منهم العِراص، وابتدأ على دجلة ببناء دِكَّة ليُقيم بها المعتضد إلى أن يَفرغ من بناء القصر، ثمَّ اعتلَّ [المعتضد] في ربيع الآخر علَّةً صَعْبة، واشتدَّ وجعه، وأُرجف عليه، ثمَّ عوفي، فقال عبد الله بن المعتز:

طار قلبي بجَناحِ الوَجيبِ ... جَزَعاً من حادثاتِ الخطُوبِ
وحِذاراً أن يُشاكَ بسوءٍ ... أَسَدُ المُلْكِ وسيفُ الحروبِ
جال شيطانُ الأراجيفِ فينا ... بحَديثٍ مُفَتِّتٍ للقلوبِ
وكأنَّ النَّاسَ أغنامُ راعٍ ... غاب عنها أو أحسَّت بذيبِ
ثمَّ بدّت[٣] نعمة الله بشرى ... كشفتْ عنَّا غطاءَ الكروبِ
وقعتْ منا مواقعَ ماءٍ ... في حَريقٍ مُشَعَّلٍ ذي لَهيبِ
ربِّ أَصْحِبْه سَلامةَ جِسمٍ ... واحْبُهُ منك بعُمْرٍ رَحيبِ

وفي ربيع الآخر توفِّي **المعتضد**، وولي الخلافةَ ابنُه **المكتفي بالله**.

(١) في (ف) و(م١): رجليه، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري ١٠/ ٨٦، والمنتظم ١٢/ ٤٢١.
(٢) في (خ): الآخر. والمثبت من (ف) و(م١).
(٣) في المنتظم ١٢/ ٤٢٢: هَبّت، والأبيات ليست في (ف م١).

الباب السابع عشر في خلافته[1]

هو أبو محمد عليُّ بن أحمد المعتضد بن أبي أحمد الموفَّق ابن جعفر المتوكّل، وليس في الخلفاء المتقدّمين مَنْ كنيته أبو محمد إلَّا الحسن بن علي رضوان الله عليهما، وموسى الهادي، والمكتفي، وفي المتأخرين أبو محمد المستضيء، وليس فيهم من اسمه عليٌّ إلَّا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه والمكتفي.

ولد في ربيع الآخر، وقيل: في رجب سنة أربع وستين ومئتين، وأمُّه أمُّ ولد تركية يقال لها خنجو[2]، وقيل: ظَلوم، ولم تدرك خلافته، وكان أحسن الخلفاء صورة.

ذكر بيعته:

لمَّا اشتدَّ مرض المعتضد اجتمع القوَّاد والموالي والخدم في دار العامَّة وفيهم مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، ووصيف موشكير، والفضل بن راشد، ورشيق القاري، وغيرهم، وكان بدر بفارس، فقالوا للقاسم بن عبيد الله: خذِ البيعة، فقال: أمير المؤمنين حيٌّ، ولا آمَنُ إفاقتَه وقد أطلقتُ المال، فيُنكر عليَّ، فقالوا: إنْ منَّ الله تعالى على أمير المؤمنين بالعافية فنحن المحتجُّون والمناظرون دونَك، وإن صار الأمر إلى الأمير أبي محمد أُعزَّ بالله فمن المُحال أن يلومنا ونحن نطلب الأمر له، فقال القاسم: رأيكم.

وكان في عزمه أن يصرف الأمر إلى غير المكتفي، فلمَّا رآهم على هذا الرأي قال: افعلوا ما ترونه، فإنَّ الأموال والخلافةَ لأبي محمد بعد أمير المؤمنين، وقد أوصاني أمير المؤمنين بهذا.

فأُخذت البيعة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلةً بقيت من ربيع الآخر لأبي محمد علي، ولُقِّب المكتفي بالله، وأطلق مال البيعة للموالي وغيرهم، فأحضر القاسم أحمد بنَ محمد بن بسطام، وأولاد الخلفاء: عبدالله بن المعتزّ، وقُصيّ

(١) هذا الباب كاملاً ليس في (ف) و(م١).

(٢) في (خ): منجور. والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٢١٤، ونسخة في المنتظم ١٣/ ٤ كما في حاشيته.

ابن المؤيَّد، وعبد العزيز بن المعتمد، وعبد الله بن الموفَّق، فأُخذت عليهم البيعة، ووكّل بهم في دار مؤنس(١).

قال عبدالله بن المعتز: فسهرت ليلةً، وفكَّرت في نفسي وقلت: غداً يَقدُم المكتفي فيقتلنا، ولنا اتِّصال برسول الله ﷺ، فمرَّت بي وقتَ السَّحَر حَمامةٌ، فقلت: [من البسيط]

يا نفسُ صَبْراً لعلَّ الخيرَ عُقباكِ ... خانتْكِ من بعد طُولِ الأمْنِ دُنياكِ
مرَّت بنا سَحَراً طيرٌ فقلت [لها] ... طُوباكِ يا ليتني إيَّاك طوباكِ
لكنْ هو الدَّهرُ فالْقَيْه على حَذَرٍ ... فربَّ مِثلك تَنْزو بين أشْراكِ

فأحببتُ أن أكون مثلها مُخَلَّياً(٢).

وسأل المكتفي عنَّا، فأُخبر بحالنا، فأطلَقَنا في السَّحَر، وأعطى كلَّ واحد منَّا ألفَ دينار، وقيل: إنَّ القاسم الوزير أطلقهم، وردَّهم إلى منازلهم مُكرَّمين لما دخل المكتفي، وأنفذ القاسم الأمور.

وتوفِّي المعتضد ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر على خمس ساعات من الليل، وكان المكتفي بالرقَّة، فكتب إليه القاسم كتاباً في الحال يخبره أنَّه أخذ له البيعة قبل وفاة المعتضد، ثمَّ جدَّدها بعد ذلك، وقال في كتابه: وقد أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، وفي بيوت الأموال عشرة آلاف ألف دينار، ومن الدَّراهم أضعافها، ومن الجواهر ما قيمته كذلك، ومن الأثاث والأمتعة والكسوة والفُرش أضعاف ذلك، ومن الخيل والدوابّ والجمال والبغال عشرون ألفاً، وذكر أشياء كثيرة.

فكتب المكتفي: أمتعني الله بك أبا محمد ـ شرَّفه بالكنية ـ مَن كان موقعُه من دولتنا موقعَك، ومحلُّه فيها محلَّك من حمايتها وتأييدها والاجتهاد فيها يزيد من عزِّها وتمكينها، استحقَّ الحباء والكرامة، والسُّموَّ إلى أعلى المراتب، وقد أمرنا بتكنيتك بحضرتنا وفي مجالسنا؛ إظهاراً لموقعك منَّا، وحالك عندنا، ومستقرِّك من رأينا، على

(١) تاريخ الإسلام ٦/ ٦٦١-٦٦٢.
(٢) أشعار أولاد الخلفاء ٢٨٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٥.

أنَّ ما فعلنا معك ونفعلُه إنَّما هو دون ما تستحقّه، ودون مالَكَ من أنفسنا، فأظهِرْ كتابَنا هذا لمن بحضرتك من الخاصِّ والعامّ؛ تعريفاً لهم بهذا الإنعام، والسلام.

وقال الصُّولي: لما مات المعتضد تحرَّك الجند ببغداد قبل قدوم المكتفي من الرَّقَّة، فوضع القاسم الوزير فيهم العطاء فسكنوا، وأخذوا البيعة للمكتفي وسنُّه يومئذ خمس وعشرون سنة.

وخرج المكتفي من الرَّقَّة يوم الجمعة بعد الصَّلاة، وجدَّ في السَّير، فتلقَّاه القاسم بالأنبار ومعه النَّاس، ووافى بغداد يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الأولى، ومرَّ بدجلة في سُماريّة، وهو جالس على سريرٍ، والوزيرُ بين يديه، والطَّيارات حوله، وكان يوماً عظيماً حين وافى القصر الحَسني، وازدحم طيَّارُ مؤنس وطيَّارُ أبي عمر القاضي، فغرق أبو عمر بين الجسرين، ثمَّ أُخرج سالماً، وقيل للوزير: إنَّ أبا عمر قد غرق فاغتمَّ، فلمَّا قيل له: قد نجا سالماً سجد وقال: الحمد لله الذي لم يَفْجَعنا به[١].

وقال الخطيب: ركب المكتفي من الرَّقَّة في الفرات، وأمر الجيش فوافَوه على البرِّ، فدخل بغداد، فنزل قصر الخلافة، وجلس للبيعة والتَّعزية[٢]، فأنشده شاعر: [من الطويل]

أجلُّ الرَّزايا أن يموت إمام ... وأسنى العَطايا أن يقوم إمامُ
فأُسقي الذي مات الغَمام وجاده ... ودامت تحيَّاتٌ له وسلامُ
وأبقى الذي قام الإلهُ وزاده ... مواهبَ لا يَفنى لهنَّ دوامُ
ودامت له الآمالُ واتَّصلت بها ... فوائدُ موصولٌ بهنَّ تَمامُ
هو المكتفي بالله يَكفيه كلَّ ما ... عَناه برُكْنٍ منه ليس يُرامُ

ثمَّ خلع المكتفي على القاسم الوزير سبعَ خِلع، وقلَّده سيفاً.

وكان أوَّل ما فعل المكتفي في خلافته أنَّه أحضر إخوتَه، وضمَّهم إليه، وقبلهم، وعزَّاهم، ومنَّاهم، وهدم المطامير التي عَمرها أبوه، وجعل مواضعها مساجد، وكانت

(١) تاريخ الإسلام ٦/ ٦٦٢.
(٢) ينظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢١٤، والمنتظم ١٣/ ٤.

صلاة الجمعة لا تقام ببغداد إلَّا في جامع المنصور والرصافة، وكان أهل دار الخلافة يصلُّون في غير جامع، فبنى موضعَ المطامير المسجدَ الجامع في الرَّحْبَة عند باب العامَّة، واستقرَّت الصَّلاة في الجوامع الثلاثة إلى خلافة المتَّقي، وأمر بردِّ الدُّور والبساتين والحوانيت التي أخذها أبوه بباب الشمَّاسيَّة على أهلها، ولم يأخذ منهم أثمانَها، وفرَّق أموالاً جَليلة، وردَّ المَظالم، وسار في النَّاس سيرةً جميلة، فمالت قلوب النَّاس إليه، وكثرت له الأدعية.

ومات عمرُو بن اللَّيث في غد اليوم الذي دخل فيه المكتفي إلى بغداد، ودُفن بالقرب من القصر الحسني.

وقد كان المعتضد عند موته لمَّا امتنع من الكلام أمر صافياً الحُرَميَّ بقتل عمرو، وأومأ إليه، وأشار بيده ووضعها على رقبته وعينه أن اذبح الأعور، وكان عمرو أعور، فلم يفعل صافي لعِلْمه بحال المعتضد وقُرب وفاته، فلمَّا وصل المكتفي ودخل بغداد سأل القاسمَ الوزير عن عمرو: أحيٌّ هو؟ قال: نعم، فسُرَّ بحياته وقال: أُريد أن أُحسِن إليه، وكان عمرو يُهدي إلى المكتفي ويَبَرُّه أيَّام مقامه بالرّي برًّا كثيراً، فذُكر أنَّ القاسم كره ذلك، فدسَّ إلى عمرو مَن قتله.

وفي رجب ورد الخبر إلى بغداد أنَّ جماعة من أهل الرَّيِّ كتبوا إلى محمد بن هارون الذي كان إسماعيل صاحب خُراسان بعثه لقتال محمد بن زيد العلويِّ وولاه طَبَرِستان، فخلع محمد بن هارون المكتفي، ولبس البَياض، وسأله أهل الرَّيِّ المصيرَ إليهم، وكان واليهم أوكرتُمش قد أساء السِّيرة فيهم، فصار محمد بن هارون إلى الرَّيِّ، فخرج عليه أوكرتمش فحاربه، فهزمه محمد وقتله، وقتل ابنَين له وقوَّادَه، ودخل الريَّ فاستولى عليها.

وفي رجب زُلزلت بغداد زَلزلةً عظيمة، ودامت أيَّاماً.

وفيها قُتل بدر المعتضدي، وسنذكره إن شاء الله تعالى[١].

وفيها خُلع على أحمد بن محمد بن بسْطام، ووُلِّي آمِد وديار ربيعة.

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٨٨-٨٩.

وفيها هبَّت ريحٌ بالبصرة، فقلعت عامَّةَ نخلها، ولم يُسمع بمثل ذلك.

وفيها ظهر بالشام يحيى بن زَكرويه، وجمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى دمشق وبها طُغْج بن جُفّ من قبل هارون بن خُمارويه، فخرج إليه طغج، فكان بينهما وقعات كثيرة في آخر هذه السنة، وقيل: في أول سنة تسعين.

والسبب في خروجه أنَّ زكرويه بن مهرويه داعية قرمط لمَّا رأى متابعة الجيوش من المعتضد إلى مَن بسواد الكوفة، وأنَّه أثخن فيهم القتل، ورأى أنَّهم لا طاقةَ لهم به، سعى في جماعة من الأعراب الذين يقربون من الكوفة من أسد وطيّئ وتميم وغيرهم، ودعاهم إلى رأيه، وزعم أنَّ مَن بالسَّواد يوافقونهم على أمرهم إن استجابوا له، فلم يستجيبوا له.

وكان جماعة من كلب وغيرهم يَخفِرون الطَّريق على السَّماوة فيما بين دمشق والكوفة على طريق تدمر وغيرها، ويحملون الرُّسل وأمتعة التجَّار على إبلهم، فأرسل زكرويه أولادَه إليهم، فبايعوهم وخالطوهم، وانتموا إلى عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وإلى [محمد بن] إسماعيل بن جعفر(١)، وذكروا أنَّهم خائفون من السُّلطان، وأنَّهم يلجؤون إليهم، فقبلوهم، ثمَّ دبُّوا فيهم بالدُّعاء إلى رأي القَرامطة، فلم يَقبل ذلك إلا قبيلةٌ من بني عَدي بن جَناب خاصة فقبلوهم، وبايعوهم في آخر هذه السّنة بناحية السَّماوَة.

وكان المشار إليه في القرامطة يحيى بن زكرويه، ويكنى أبا القاسم، ولقبه الشيخ، وزعم أنَّه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وقيل: بل زعم أنَّه محمد بن عبدالله بن [محمد بن] إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، وقيل: لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابنٌ يسمَّى عبدالله، وزعم لهم أنَّ أباه المعروف بأبي محمود داعيةٌ له، وأنَّ له بالسَّواد والمشرق والمغرب مئة ألف تابع، وأنَّ ناقته التي يركبها مَأمورة، وأنَّهم متى اتَّبعوها في مسيرها ظَفروا، وأظهر عَضُداً له ناقصاً، وذكر أنَّه آية.

(١) مابين معكوفين من تاريخ الطبري ١٠/ ٩٥ .

وانحاز إليه جماعةٌ من بني الأصْبَغ، وتسمَّوا بالفاطميين، ودانوا بدينه، فقَصَدوا الرُّصافة التي غربي الفرات وبها شبل الدَّيلمي[1] مولى المعتضد فقتلوه، وأحرقوا مسجد الرُّصافة، واعترضوا كلَّ قرية اجتازوا بها من أعمال الشام، وهزم كلّ عسكر لقيه من دمشق، حتَّى قُتل في السَّنة الآتية.

وفيها كانت وقعة بين محمد بن هارون وأصحاب إسماعيل بن أحمد على باب الرَّي، وكان محمد في ثمانية آلاف، فكانت الدَّبْرة عليه، فانهزم إلى الدَّيلم في ألف رجل، واستجار بهم، ودخل أصحاب إسماعيل إلى الرَّيِّ.

وصلَّى المكتفي بالنَّاس يوم عيد النَّحر بالمصلَّى، وكان بين يديه ألوية الملك، وترجَّل الملوك والأمراء والنَّاس، فلمَّا انصرف من المصلَّى وبلغ الحَلْبة والوزير القاسم بين يديه راكبٌ دون النَّاس يسايره ويحادثه، ولم يُر خليفة يسايره وزيرُه ولا غيره في مثل هذا اليوم غير المكتفي.

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العبَّاس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عبَّاس.

[فصل] وفيها توفي

المُعْتَضِد

واسمه أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكِّل بن المُعْتَصم بن الرشيد، وكنيتُه أبو العبَّاس، [وقد ذكرنا أنَّه] ولد في سنة اثنتين، أو ثلاث وأربعين ومئتين، [وقد ذكرنا وقائعه مع صاحب الزَّنج وشهامته وشجاعته وخلافته.

ذكر طرف من أخباره:

قد ذكرنا وقعة الطَّواحين، وذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» وقال:] قدم دمشق لمحاربة خُمارَويه [بن أحمد بن طولون]، جهَّزه أبوه الموفَّق، فدخل من باب الفَراديس إلى الجامع، فأعجبه، وقال: مافي الدنيا [جامع] مثل هذا، ثمَّ سار إلى الرَّملة فواقع خمارويه، [وكان مع خمارويه خمسون ألفاً من المغاربة والبربر وغيرهم،

(١) في تاريخ الطبري ١٠/ ٩٥ : سبك الديلمي.

فهزمهم إلى مصر، ثمَّ خرج سعيد الأعْسَر على المعتضد في الكَمين فهزمه، فأتى طَرَسُوس][١]. وقد ذكرناه.

وذكره المبرِّد فقال: هو والله كما قال الأخطل: [من الكامل]

تسمُو العيونُ إلى إمامٍ عادلٍ مُعْطى المَهابةِ نافعٍ ضَرَّارِ
وترى عليه إذا العيونُ رَمَقْنَه سِيما الحَليم وهيبةَ الجبَّارِ[٢]

وقال المسعودي [في «تاريخه»]: كان قليلَ الرَّحمة، وحكى عنه العجائب، منها أنَّه [قال:] كان إذا غضب على قائد أو على أحد من خواصِّه أو غلمانه أمر بأن تُحفر له حُفيرة، ثمَّ يُرمى فيها على أمِّ رأسه، ويُهال التراب على بعض جسده، ثمَّ يُداس وهو يراه، حتَّى تخرج روحه من دُبُره، وكانت له سياسة عظيمة[٣].

[حديث اللّصوص الذين نزلوا المَقْثَأة:

ذكرها القاضي علي بن المُحَسِّن التنوخي[٤] بإسناده إلى أبي محمد] عبد الله بن حَمْدون قال: خرج المعتضد في عسكره للصيد، فنزل إلى جانب مَقْثَأة وأنا معه، فصاح ناطور المقثأة، فقال: عليَّ به، فأُحضر بين يديه، فسأله عن صياحه فقال: ثلاثة من الغلمان نزلوا المقثأة فأخربوها، فقال: أتعرفهم؟ قال: نعم، قال: اذهب فانظرهم، فذهب إلى العسكر فرآهم فعرفهم، فأتى بهم بين يديه، فحبسهم، فلمَّا كان في وقت السَّحر أخرجهم فضرب أعناقهم في المقثأة.

قال [أبو محمد] عبدالله [بن حمدون:] ثمَّ قال لي بعد أيام: يا عبد الله، ما يُنكر عليَّ النَّاس؟ قلت: لا شيء، فقال: بالله إلَّا صَدَقْتني، فقلت: إسرافُك في الدِّماء[٥]، فقال: والله ما سفكتُ دماً حَراماً [قط] منذ ولِّيت الخلافة إلا بحقٍّ، قلت: فلِمَ قتلتَ أحمد بن الطَّيِّب وكان خادمَك؟ فقال: دعاني إلى الإلحاد فقلت: أنا ابن عمِّ رسول الله

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١١١، ١١٤، وانظر في ترجمة المعتضد تاريخ بغداد ٦/ ٧٩، والمنتظم ١٣/ ٧، والكامل ٧/ ٥١٣، والسير ١٣/ ٤٦٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٧٦.

(٢) ديوانه ٨٠.

(٣) مروج الذهب ٨/ ١١٥-١١٦.

(٤) في نشوار المحاضرة ١/ ٣٣١-٣٣٣، وعنه المنتظم ١٢/ ٣٠٧.

(٥) في (ف): فقال: افتراؤك في الدنيا، وفي (م١): فقال: إسرافك في الدنيا، والمثبت من (خ)، وفي المنتظم: إسراعك إلى سفك الدماء.

ﷺ صاحبِ الشريعة، وأنا قائمٌ مقامه، أُلحد حتَّى أتبرَّأ منه؟! فقلت: فالثلاثة نزلوا المَقثأة؟ فقال: والله ما قتلتُهم، والذين قتلتُهم كانوا لصوصاً قد قَتلوا، أخرجتهم في الليل فقُتلوا، وأطلقت أولئك.

[ذكر قتله الأسد:

حكى القاضي التنوخي بإسناده إلى] خَفيف السَّمَرْقَنديّ [مولى المعتضد] قال: خرجتُ مع المعتضد في بعض مُتَصيَّداته وقد انقطع عنَّا العسكر، وليس معه غيري، فخرج علينا أسد فقَصَدَنا، فقال المعتضد: يا خفيف، أفيك خير؟ قلت: لا، قال: ولا تُمسك فرسي حتَّى أنزل أنا إليه؟ قلت: بلى، فنزل وأعطاني فَرسه، وشدَّ أطراف قَبائه في مِنطقته، واستلَّ سيفه، ورمى بالقُراب إليَّ فأخذتُه، وأقبل يمشي إلى الأسد، وقصده الأسد وحمل عليه، حتَّى إذا قرب منه وثب عليه، فتلقاه المعتضد بسيفه فقطع يده فطارت، فتشاغل الأسد بالضربة، فثنَّاه أخرى ففلق هامته، فخرَّ صَريعاً، فمسح السَّيف في صوفه وقد مات، ثمَّ رجع إليَّ فأخذ الغمد فأدخل السَّيف فيه، ثمَّ ركبنا وقصدنا العسكر، وصحبته إلى أن مات، فما سمعته يذكر الأسَد بلفظه، فلا أدري من أيِّ شيءٍ أعجب من شجاعته وشدَّته، أم من قلَّة احتفاله بما صنع حتَّى كتمه، أم من عفوه عنِّي؛ فما عاتبني على ضنِّي بنفسي[(١)]؟!

[حكاية تدلُّ على عفَّته:

قال الخطيب بإسناده إلى] إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: دخلتُ[(٢)] على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ صِباحُ الوجوه رومٌ وتُرْكٌ وغيرهم، فجعلت أتأمَّلهم ففطن، فلمَّا أردت القيام قال: اقعد، فقعدتُ، فلمَّا خلا المجلس قال: يا قاضي، والله ما حَلَلتُ سراويلي على حرام قطُّ.

[ذكر قصَّته مع العبد الأسود:

ذكرها] القاضي التنوخي بإسناده قال[(٣)]: كان المعتضد يوماً جالساً في بيت له

---

(١) في (خ): على ضني بنفسه منه، وفي (ف م١): طني عنه، والمثبت من نشوار المحاضرة ٣/ ٢٦٠، والمنتظم ١٢/ ٣١٥.

(٢) في (خ): وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي دخلت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٨٠.

(٣) في (خ): وحكى القاضي التنوخي بإسناده قال، والمثبت من (ف) و(م١)، والخبر في الأذكياء ٥٩-٦٠ عن المحسن التنوخي.

يشاهد الصُّنَّاع يبنون، فرأى [في] الفَعَلة غلاماً أسودَ، مُنكَر الخَلْق، شديدَ المرَح، يصعد على السلالم مِرْقاتين مرقاتين، ويحمل أضعافَ ما يحمله غيره، فأنكر ذلك، وقال لابن حمدون: أيّ شيءٍ يقع لك في أمره؟ فقال: ومَن هو هذا حتَّى صرفتَ فِكرَك إليه؟ ولعلَّه لا عيال له، فهو خالي القلب، فقال المعتضد: قد خمَّنتُ فيه تخميناً إمَّا أن يكون معه دنانير قد ظَفِر بها، أو يكون لصًّا يتستَّر بالعمل في الطِّين.

فأحضره وقال: مَقارِع، فضُرب مئةَ مَقْرَعَة، فلم يُقرَّ بشيءٍ، فقال: عليَّ بالسَّيف والنِّطع، وقال: اضربوا عُنُقه، فقال الأسود: أنا آمِن؟ فقال: نعم، إلَّا ما كان فيه حدٌّ، فلم يفهم ما قال، وظنَّ أنَّه قد أمَّنه، فقال: كنتُ أعمل في أتاتين[1] الآجر مدَّة، فمرَّ رجل، وحلَّ من وَسَطه هِمْياناً، وأخرج منه دنانير، ثمَّ شدَّه، فقمتُ إليه فكتَّفْتُه، وسَدَدْتُ فاه، وألقيته في نُقرة الأتُّون وطيَّنتُه، فلمَّا كان بعد أيام أخرجتُ عِظامَه، وطرحتُها في دجلة، والدَّنانير معي أتقوَّى بها.

فأمر المعتضد بحلِّ الهِميان من وسطه، فحُلَّ، وإذا اسمه عليه مكتوب، فنودي في البلد باسمه، فجاءت امرأتُه ومعها طفلٌ صغير، فقالت: زوجي، وهذا ابني منه، وإنَّه خرج من عندي يوم كذا وكذا ومعه هِمْيان فيه ألفُ دينار، فغاب إلى الآن، ولا أدري ما فُعل به، فأعطاها الهِمْيان، وأمرها أن تعتدَّ، وضرب عنق الأسود.

[حديث الغلام:

حكى القاضي التنوخي عن أبيه قال:] قام[2] المعتضد ليلة لحاجة له، فرأى بعض الغلمان [قد نهض عن ظهر غلام، ومشى على أربع حتَّى اندسَّ بين الغلمان]، فجاء المعتضد، فجعل يضع يده على صدر واحد واحد، إلى أن وضع يده على صدر ذاك الغلام، فرأى فؤادَه يخفق خَفَقاناً شديداً، فركضه برجله فقعد، فقال: وَيْحك ما صنعتَ؟ فأنكر، فدَعى بآلة العقوبة، فأقرَّ، فقتله.

[حديث الصياد:

حكى القاضي المحسّن أيضاً قال: بلغنا أن خادماً من خدم المعتضد جاء يوماً

---

(١) واحدها أتون، الموقد. لسان العرب (أتن).

(٢) مابين معكوفين من (ف م١)، والخبر في الأذكياء ٦٠ عن التنوخي.

فأخبره] أنَّه[1] كان قائماً على دجلة، فرأى صياداً قد طرح شبكتَه، فتعلَّقت بشيءٍ ثقيل، فأخرجها، وإذا بجراب، فظنَّه مالاً، وإذا فيه آجُرّ وبين الآجر كف مخضوبة بالحِنَّاء، فتحيَّر المعتضد وقال: قل للصيَّاد يَطرح الشَّبَكة، فطرحها، فخرج فيها جراب فيه رِجْل، ورمى الشبكة فلم يخرج شيءٌ، فتحيَّر المعتضد وقال: إنَّا لله، معي في البلد مَنْ يَقتل النَّاسَ ويقطِّع أعضاءهم؟! ما هذا مُلْك.

وأقام يومه مَغموماً لم يَطْعم طعاماً، واستدعى برجلٍ لا يُؤبه إليه، وأعطاه الجراب فارغاً، وقال له: طُفْ به في البلد على كلِّ من يعمل الجُرُب، وابحث عنه، فأخذه الرجل، وغاب ثلاثة أيام، وعاد فأخبره أنَّه طاف الدَّبَّاغين وأصحاب الجُرُب حتَّى عرف صانعه، وأنَّه سأله عنه، فقال: نعم، اشتراه منِّي عَطَّارٌ بسوق يحيى، وأنَّه اشتراه منه ومعه عشرة جُرُب، [وهو] فلان الهاشميّ من ولد المهديِّ، عظيم إلا أنَّه أشرُّ النَّاس وأفسدُهم لحريم المسلمين، ومافي البلد مَن يُنهي خبرَه إلى المعتضد؛ خوفاً من شرِّه وتمكّنه من الدّولة والمال والجاه، فلم يزل يحدِّثني حتَّى قال: وحسبُك أنَّه كان يَعْشَق فلانة المغنّية جارية فلانة المغنّية، وكانت كالدِّينار المنقوش، وكالقمر الطَّالع، وكانت قد باعتها بألف دينار، فبعث إليها بدنانير عن حقّ ثلاثة أيام، وقال: لا أقلّ من [أن] أودّعها، فلمَّا صارت إليه غيَّبها، وادَّعى أنَّها هربت من داره، فلم يُعرَف لها خَبَر، وقال الجيران: إنَّه قتلها، وقد أقامت عليها مولاتها المأتم، وكلَّما جاءت إلى بابه شتمها وضربها.

فلمَّا سمع المعتضد هذا سجد شكراً لله حيث انكشف له الأمر، وأرسل إلى الهاشميِّ فأحضره وستّ الجارية، وأخرج اليد والرِّجْل، فلمَّا رآها الهاشميُّ امتُقع لونُه، وأيقن بالهلاك، فقال: اقتلوه، فكلَّمه فيه الوزير عبيد الله وقال: الحبس، فحبسه، وأغرمَه ثمنَ الجارية، ودفعه إلى ستِّها، واستأصله وباع عقاره، فلا يُدرى هل قتله أم مات في الحبس؟!.

(١) ما بين معكوفين من (ف م١)، وجاء بدله في (خ): وأخبر بعض خدامه أنه، والخبر في الأذكياء ٦٠-٦٢ عن التنوخي.

[ذكر قصَّة المعتضد مع القَطَّان:

وهي من أحسن ما يُسَطَّر، حكاها القاضي المُحَسِّن عن أبيه بإسناده عن القاضي أبي عليٍّ] الحسن بن إسماعيل بن إسحاق[1] وكان ينادم المعتضد، قال: بينا المعتضدُ في مجلس سرور إذ دخل بدر فقال: يا مولاي، قد أحضرنا القطَّان الذي من بِرْكة زُلْزُل، فنهض المعتضد من مجلسه، ولبس قَباءً، وأخذ بيده حَرْبة، وقعد على كرسيٍّ، وبيننا وبينه ستارة نشاهده من ورائها، وأُدخل شيخٌ ضعيف، فصاح عليه بصوتٍ عالٍ ووجهٍ مُغْضَب: أنت القطَّان الذي قلتَ بالأمس ما قلت؟ فأُغمي عليه من الخوف، ثمَّ أفاق، فقال له: وَيْلَك، تقول في سوقك: ليس للمسلمين مَن ينظر في أمورهم، فأين أنا؟ وما شغلي غير ذلك؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ قطَّان أعيش من القُطْن الذي أعامل به النِّساء، ولا تمييز على مثلي فيما يَلْفِظ به، وإنما اجتاز بي رجلٌ ابتعتُ منه قطناً، وكان ميزانه ناقصاً، فقلتُ ما قلت، وإنَّما عنيتُ به المُحْتَسِبَ علينا لا أميرَ المؤمنين، فقال له المعتضد: آالله إنَّك أردتَ المحتسب؟ قال: أي والله، قال: انصرف فلا بأس عليك.

ثمَّ أحضر المحتسب في الحال، ونال منه، [وأمره] بالكشف عن الموازين لئلَّا يبخس النَّاس، وتوعَّده وشدَّد عليه، [ثمَّ عاد المعتضد إلى مجلسه وهو يضحك وقد غيَّر لباسه،] وعاد إلى ما كان عليه.

قال الحسن بن إسماعيل: فقلت [له]: يا مولاي، قد عرفتَ فضولي، أفتأذن لي في القول؟ فقال: قل، فقلت: كنتَ على أكمل مَسَرَّة، فتركتَ ذلك، وشغلتَ الزَّمان بخطابِ رجلٍ من السُّوقة، قد كان يكفيه أن يؤدِّبه بعض الرَّجَّالة، ثمَّ لم يكْفِكَ ذلك حتّى غيَّرتَ لباسَك، ولبستَ سلاحَك، وناظرتَه بنفسك! فقال: يا حسن، أنت تعلم ما يجرُّه هذا القول إذا تداولتْه الألسنة، ووعتْه الأسماعُ، وحصل في القلوب، فربَّما أخرج العوامّ ذلك إلى المخالفة، وخلعِ الطَّاعة، وإثارة الفتنة، وإفساد النِّظام، وليس شيءٌ أبلغ في قطع هذه الأسباب وحسم موادّها من إزالة دواعيها، وقد طارت روحُ هذا

---

(١) في (خ) وقال الحسن بن إسماعيل بن إسحاق، والمثبت من (ف) و(م١)، والخبر في نشوار المحاضرة ١/ ٣٢٦-٣٢٨، وعنه المنتظم ١٢/ ٣١٥.

القطَّان من الخوف، وسيحدِّث بما جرى العامَّةَ، ويزيد فيه، ويُسمع الناسَ ما تقدَّمنا به إلى المحتسب، وما نحن عليه من النَّظر في أمور الرعيَّة، فتكفُّ العامَّة ألسنتَها عنَّا، وتقوم الهيبة في نفوسها، ويكون ما تكلَّفتُ من هذا القليل قد كفاني مُؤنة التَّعب في الكثير، [قال:] فدعونا له.

[حديث المعتضد مع الملَّاح:

حكى القاضي المحسّن عن أبيه، عن الحسن بن محمد الصِّلحي قال: حدَّثني أحد خُدَّام المعتضد قال:] كان المعتضد[1] يوماً نائماً نصف النَّهار فصاح: يا غلمان، انزلوا الشَّطَّ، فأوَّل ملَّاح ترونه مُنحَدِراً فأتوني به، فنزلوا، وإذا بملَّاح مُنْحَدر إلى واسط وسفينتُه فارغة، فأحضروه بين يديه، فقال له: حدِّثني حديث المرأة، فتلكَّأ عليه، فقال له: اصدق، فقد عرفتُ حالها، فقال: يا أمير المؤمنين، نزلتْ معي اليوم وقتَ السَّحَر امرأةٌ جميلة، وعليها ثياب لها قيمة وحليّ، فطمِعْتُ فيها، فغرَّقْتُها وأخذتُ ما كان عليها، وقلتُ أذهب إلى واسط فأعيش فيه، فقال: أحضِر الثِّيابَ والحلي، فأحضره، ثمَّ نادى في بغداد على المرأة، فجاء أهلُها، فأعطاهم الثِّياب والحليّ، وغرَّق الملَّاح ونادى: لا ينزل أحدٌ مع ملَّاح حتى يطلع النَّهار، فقال له بعض الخدم: يا مولاي، أُوحي إليك؟ قال: لا، ولكن رأيتُ في منامي الساعة شيخاً أبيض الرأس واللحية يقول: يا أحمد، أوّل ملَّاح ينحدر السَّاعة اقبض عليه، وقرِّرْه على المرأة التي قتلها، وأقِمْ عليه الحدَّ، فكان ما رأيتم.

[حديث الخيّاط:]

حكى القاضي المحسِّن أنَّ بعض التُّجَّار كان له على بعض القُوَّاد دَيْن، فمطله مدَّة ولم يعطه شيئاً، فقال له بعض معارفه: فأين أنت من فلان الخيَّاط؟ فقال: وما يصنع الخيَّاط بالقائد؟! فقال: بلى، قم بنا إليه.

فجاء به إلى الخيَّاط، وكان في مسجد يَخيط الثياب ويُقرئ القرآن، فقصَّ عليه القصَّة، فنهض معه إلى القائد، فأكرمه واحترمه وقام إليه، فقال: هل من حاجة؟ قال:

---

(١) في (خ): وقال بعض خدم المعتضد: كان المعتضد، والمثبت من (ف م١)، والخبر في المنتظم ١٢/ ٣١١- ٣١٣ عن المحسن.

نعم، هذا الشيخ تُعطيه مالَه، فقال: إي والله، معي بعضُه ويصبر بالبعض، فأخذ ما كان معه وخرجوا، فقال التاجر للخياط: قد تفضَّلتَ [عليّ] وأنعمتَ، فأخبِرْني ما سببُ انقياد هذا الظالم لك؟ فقال: أنا منذ أربعين سنة أُقرئ القرآن في هذا المسجد وأخيط، وليس بيني وبين أحد أمر، صلَّيت المغرب ليلةً، وخرجتُ أريد بيتي، وإذا بتركيٍّ قد تشبَّث بامرأة طويلة جميلة وهو سكران، وهو يسحبها إلى داره، وهي تبكي وتقول: قد حلف زوجي بالطَّلاق أنَّني لا أبيت إلَّا في داري، وإنَّما خرجت إلى الحمَّام.

[قال:] فتقدَّمتُ إليه وسألتُه فيها، فضربني بدَبّوس فشجَّ رأسي، وأدخلها إلى داره قهراً، فأتيتُ المسجد، فصليتُ العشاء الآخرة، وقلت لأصحابي: قوموا بنا نخلِّصِ المرأة، فأتينا باب داره، فخرج هو وغلمانه فضربونا ضرباً شديداً كدتُ أموت، وحملوني إلى بيتي فلم أقدر على النَّوم، وفكَّرت في أمر المرأة وطلاقِها، فصعدتُ إلى المنارة التي في المسجد وقلت: أؤذن فالتركي ما يعرف الوقت ـ وكانت داره قريبة من المسجد ـ فلعلَّه أن يخرجها قبل الفجر، فأذَّنتُ نصف الليل ونزلتُ، فجلستُ على الطريق أنتظر خروج المرأة، وإذا بالشارع قد امتلأ خيلاً ورَجِلاً ومشاعل، فقالوا: من أذَّن الساعةَ؟ فقلت: أنا، فحملوني وأدخلوني على المعتضد، وهو جالس والشمع على أنصافه(١)، فقال: أنت أذَّنت الساعة؟ قلت: نعم، فقال: ما حملك على أن تَغُرّ النَّاس [بأذانك] في هذا الوقت؟ فقصصتُ عليه القصَّة، وأريتُه الآثارَ التي في وجهي ورأسي وبدني، فقال: يا بدر، الساعة تحضر المرأة والتركيَّ فحضرا، فسألها [المعتضد] عن حالها، فذكرت له مثل ما ذكرتُ له، فقال لبعض الخدم: امض معها إلى زوجها، وقل له يحسن إليها ولا يفارقها، ثمَّ قال للتركيِّ: كم عطاؤك في كلِّ شهر؟ فقال: كذا وكذا، فقال: أما كان لك ما يُغنيك عن هتك محارم الله حتَّى وثبتَ على هذا الشيخ الصَّالح، وفعلتَ به هذا الفعل حيث أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر؟

ثمَّ قال: جَوالِق(٢) ومَداقّ الجَصّ. فقيَّد التركيَّ وجعله في الجوالق، وأمر الفرَّاشين فدقُّوه حتَّى فتَّتوا عظامه، ثمَّ رمى به في دجلة، وقال: يا شيخ، متى ما رأيت مُنكراً قلَّ أو كثر فالعلامة بيننا الأذان في مثل ذلك [الوقت].

---

(١) في (ف): أصنافه.

(٢) وعاء كبير، أو هو العِدْل من صوف أو من شعر، وعند العامة (شوال)، معرب.

وشاع الخبر في الجند وغيرهم، فما سألتُ أحداً منهم إنصافاً أو كفًّا عن القبيح إلَّا وأطاعني[١].

حديث الخادم:

ذكر الحافظ ابن عساكر عن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال: قدم خادم[٢] من وجوه خدم المعتضد إلى أبي في حكومة، فارتفع في المجلسِ على خصمه، فأمره الحاجب بموازاة خَصمه فلم يفعل؛ إدْلالاً بمحلِّه من الدَّولة، فصاح عليه أبي وقال: قِفاه، يا غلام، اذهب بهذا العبد إلى النَّخَّاس، فبعه واحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين، فأخذ الحاجب بيده وسوَّاه مع خصمه وحكم عليه، فجاء إلى الخليفة وبكى بين يديه، وقال: فعل بي وفعل، فصاح عليه المعتضد وقال: والله لو باعك لأَجَزْتُ بيعَه، ولما رَجَعتَ إلى ملكي أبداً، وليست خصوصيتك بي مما يزيل مرتبة الحكم، فإنَّه عمود السلطان وقوام الأديان[٣].

وقال عبيد الله الوزير: كنت ليلة عند المعتضد وغلام بيده المَذَبَّة يروح عليه، فنَعِس الغلام، فأصاب بالمذبَّةِ قَلَنْسُوةَ المعتضد، فوقعت من رأسه، فقال له: اذهب واسترح. وغُصْتُ والله في الأرض خوفاً من هيبته فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما سمعتُ بمثل هذا الحِلْم، فقال: وهل يجوز غير هذا؟ إنَّ هذا البائس لو دار في خَلَده ما جرى لذهب عقلُه، وتَلِفَت نَفْسُه، وقد طال تَعبُه ونُعاسه، وإنَّما يلحق الإنكارُ المتعمِّدَ لا الخاطئ ولا الساهي، ثمَّ زاد في عدد غلمانه برسم المذبّة.

[حديث المعتضد مع المجوسي:]

قال محمد بن عبد الملك: أراد المعتضد تجهيز جيش، فعجز عليه بيتُ مال العامَّة، فأُخبر بمجوسيٍّ له مال عظيم، فاستدعاه وقال: تقرضني كذا وكذا من المال وأُعيده إليك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ومالي بين يديك، فقال: كيف وثِقْتَ بنا أننا نردُّ

---

(١) نشوار المحاضرة ١/ ٣١٥، والمنتظم ١٢/ ٣١٧.

(٢) في (خ): وقال القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف قدم خادم، والمثبت من (ف) و(م١)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١١٥، ونشوار المحاضرة ١/ ٢٤٥.

(٣) في النسخ: الأبدان. والمثبت من المصادر.

إليك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد ائتَمَنَك على عباده وبلاده، تؤدِّي الأمانة، وتُفيض العَدْل، وتحكم بالحق، أفلا أأتمنك أنا على جزء من مالي؟ فدمعت عيناه وقال: انصرف فقد وفَّر الله عليك مالك وأغنانا عن القرض منك، ومتى كانت لك حاجة فحِجابُنا مرفوع عنك [ولم يقترض منه شيئاً].

وقال محمد بن حَمْدون: خرج[١] المعتضد يوماً فعسكر بباب الشمَّاسية، ونهى أن يأخذ أحدٌ من بستان أحدٍ شيئاً، فأُتي بأسود قد أخذ عَذْقاً من البُسْر، فأمر بضرب عُنقه، ثمَّ التفت إلى أصحابه وقال: تقول العامَّة: ما في الدنيا أقسى قلباً من الخليفة، ولا أقلَّ ديناً منه، والنبيُّ ﷺ يقول: «لا قَطْع في كَثَرٍ ولا ثَمَر[٢]» وما رضي بقطعه حتَّى قتله، والله ما قتلتُه بهذا السبب، ولكن لي مع هذا الأسود قصَّة عجيبة.

استأمن هذا الأسود إلى أبي من عسكر الزَّنج، فخلع عليه أبي ووصله، وقصد أن يستميل به الزَّنج، فرأيتُه يوماً وقد نازع رجلاً في شيء، فضربه بفأس فقتله، فأهدر أبي دمَ المقتول، وأطلق الأسود ليتألَّف به الزَّنج، فاغتظتُ، وقلت: ترى أتمكَّن من هذا الأسود وأنفذ حكم الله فيه، وطلبتُه فلم أقدر عليه، ووالله ما وقعت عيني عليه إلا في هذه الساعة، فقتلته بذلك الرجل[٣].

ذكر ما عُزي إليه من الأشعار:

ومنها: [مجزوء الرمل]

غَلَبَ الشَّوقُ رُقادي ... مثل غلبي للأعادي
ههنا جسمي مُقيمٌ ... وببغدادَ فؤادي
أملكُ الأرض ولكن ... تملكُ الخَودُ قيادي
هكذا كلُّ مُحِبٍّ ... باع نوماً بسُهاد[٤]

(١) في (ف م١): حديث المعتضد مع أسود آخر حكى محمد بن حمدون قال خرج، والمثبت من (خ).
(٢) أخرجه أحمد (١٥٨٠٤)، وأبو داود (٤٣٨٨)، والترمذي (١٤٤٩)، والنسائي ٨/ ٨٧-٨٨، وفي الكبرى (٧٤٠٧)، وابن ماجه (٢٥٩٣) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.
(٣) من هنا إلى وفاة المعتضد ليس في (ف) و(م١)، والأخبار الثلاثة في المنتظم ١٢/ ٣٢٤-٣٢٥.
(٤) ذكر هذه الأبيات ابن العديم في بغية الطلب ٢/ ٨٢٠.

وقال في جارية تُوفّيت له: [من السريع]

لم أبكِ للدَّار ولكنْ لمن ... [قد] كان فيها مرَّةً ساكنا
فخانني الدَّهرُ بفقدانِهِ ... وكنتُ من قبلُ له آمنا
ودَّعتُ صَبري عند توديعه ... وبات قلبي معه ظاعِنا

فقال له عبيد الله الوزير: يا أمير المؤمنين، مثلُك تهون عليه المصائب؛ لأنَّك تجد لمن كان فقيداً خَلَفاً، وتقدر على ما تريد، والعوض منك غير موجود، وقد قال الشاعر: [من البسيط]

يُبكى علينا ولا نبكي على أحدٍ ... إنَّا لَأغلظُ أكباداً من الإبلِ

قال أبو عُبيد: الإبل لا توصف بغِلَظ الأكباد، وقد غلط النَّاس في هذا، بل توصف بالرِّقة والحنين.

قال المصنف رحمه الله: هب أنَّ الفاقد وَجَد، فأين قول القائل حيث قال: [من البسيط]

لي حُسْنُ عَهْدٍ فلو أنِّي رُدِدْت إلى ... شَبيبتي لبكيتُ الشَّيب ألوانا

وقال ابن المعتزّ يرثي هذه الجارية: [من الخفيف]

يا إمامَ الهدى بنا لا بك الغمُّ وأفنيتَنا وعِشْتَ سَليما
أنتَ علَّمتَنا على النِّعم الشُّكـ ... ـرَ وعند المصائب التَّسليما
فاسلُ عمَّا مضى فإنَّ التي كا ... نت سروراً صارت ثواباً عظيماً
قد رَضينا بأنْ نموتَ وتحيا ... إنَّ عندي في ذاك حَظًّا جَسيما
مَنْ يَمُت طائعاً لديكَ فقد أُعْطـ ... ـيَ فوزاً ومات موتاً كريما

وللمعتضد فيها: [من مجزوء الرمل]

يا حَبيباً لم يكن ... يَعْدِلُه عندي حَبيبُ
أنتَ من عيني بعيدٌ ... ومن القلب قريبُ
ليس لي بعدَكَ في شيءٍ من الدُّنيا نَصيبُ
لكَ من قلبي على قلـ ... ـبي وإن بِنْتَ رقيبُ
لو تراني كيف لي ... بعدَك عَوْلٌ ونَحيبُ

وفـــؤادي حَـــشْـــوه جَـــمْـــرٌ يُـــذكِّـــيـــه لَـــهـــيـــبُ
مـــا أرى نـــفـــســـي وإنْ طَـيَّـبْـتُـهـا عـنـك تـطـيـبُ
لـيَ دمـعٌ لـيـس يَـعْـصـيـ ـنـي وصَـبـرٌ مـا يُـجـيـبُ(١)

وقال لمَّا كان على آمد: [من المتقارب]

مُـقـيـمٌ بـآمِـدَ ذي غُـربـةٍ قـليـلُ الـرُّقـاد كـثـيـرُ الألَـمْ
وكـيـف يَـلَـذُّ لـذيـذَ الـرُّقـادِ أخـو فِـكـرةٍ قـلـبُـه مُـقْـتَـسَـمْ
إذا مـا تَـنـبَّـه مـن رَقْـدةٍ لـما في الـحشا من جَوى لم يَـنَـمْ

وقال أيضاً حيث يقول: [من المنسرح]

يـا لاحـظـي بـالـفُـتـورِ والـدَّعَـجِ وقـاتـلـي بـالـدَّلالِ والـغَـنَـجِ
أشـكـو إلـيـك الـذي لَـقـيـتُ مـن الـ ـوَجْـد فـهـل لـي لـديـكَ مـن فَـرَجِ
حَـلَـلْـتَ بـالـظَّـرْف والـجمال من الـنـ ـنـاسِ مـحـلَّ الـعـيـون والـمُـهَـجِ

وقال لجلسائه: أرِقْتُ الليلة وقد قلت: [من الطويل]

ولـمَّـا انـتـبَـهْـنـا لـلـخـيـال الـذي سَـرَى

فأجيزوه، فقال ابن العلَّاف الشاعر:

إذِ الأرض قَـفْـرٌ والـمَـزارُ بـعـيـدُ

وهو من أبيات أولها:

سَرى طَيْفُ سُعدى طارِقاً فاستَفزَّني سُـحَـيْـراً وصَـحْـبـي بـالـفـلاة رُقـودُ
فـلـمَّـا انـتـبـهـنـا لـلـخـيـال الـذي سرى إذِ الأرضُ قَـفْـرٌ والـمـزارُ بـعـيـدُ
فـقـلـت لـعـيـنـي عـاودي الـنَّـومَ واهـجـعي لـعـلَّ خـيـالاً طـارِقـاً سـيـعـودُ(٢)

ذكر وفاته:

كان المعتضد(٣) قد أمر بإخراج النَّاس من دورهم وحوانيتهم بباب الشمَّاسيَّة، وأنْ يأخذ النَّاسُ أنقاضَهم، وعزم أن يبني هناك قصراً ودوراً لأصحابه، فدعا النَّاسُ عليه،

(١) المنتظم ١٢/ ٣٢٥-٣٢٧.
(٢) المنتظم ١٣/ ٣٠٠.
(٣) في (ف) و(م١): ذكر وفاة المعتضد، قال الخطيب: كان المعتضد، والمثبت من (خ).

واتَّفق مرضه فاشتغل عن ذلك.

وسبب وفاته غلبة اليَبس[١] من كثرة الجماع، فكان الأطبَّاء يأمرونه بما يرطِّب مَعِدته، فكان يُريهم أنَّه يحتمي، فإذا خرجوا من عنده أحضر الزيتون والخبز والصِّحناة والسمك فأكل، فلم يزل كذلك حتى سقطت قوَّتُه.

وقيل كان[٢] إسماعيل بن بُلبل قد سمَّه خوفاً منه، فما زال السُّمُّ يجري في بدنه، واتّفق عصيان وصيف الخادم بطَرَسُوس، فخرج من بغداد في شدَّة القبض لا يَلوي على شيء حتَّى نزل طرسوس، وعاد وقد نَحِل جسمه.

وقيل: سمَّته جارية في منديل أعطته إياه ليتمسَّح به.

وقال المسعوديُّ: شكُّوا في موته، فتقدَّم إليه بعض الأطباء فجسَّ نَبْضَه، فرفَسَه برجله فألقاه أذْرُعاً، فمات الطبيب، ومات المعتضد من ساعته[٣].

وكانت وفاته بقصره الحسني[٤] ليلة الأحد لسبع بقين من ربيع الآخر [سنة تسع وثمانين ومئتين] على خمس ساعات من الليل، وقيل: لثمانٍ بقين منه.

وأوصى أن يُدفن في دار محمد بن طاهر، وهو الحريم الطَّاهري اليوم في الجانب الغربي من بغداد، فدُفن بدارٍ [تعرف بدار] الرُّخام، وقبره بها اليوم، وغسَّله أحمد بن شَيبة.

وأوصى أن يحضر جنازته الأكابر، فحضر الوزير القاسم، والقضاة أبو خازم، ويوسف بن يعقوب وهو الذي صلّى عليه، وحمل من قصره الحسنيّ ليلاً إلى دار ابن طاهر.

[وحكى الخطيب عن] صافي الحُرَمي قال: كفَّنته[٥] في ثوبين أبيضين قيمتهما ستة عشر قيراطاً.

---

(١) في (ف م١): واختلفوا في سبب وفاته فقال الصولي غلب عليه اليبس.

(٢) في (ف م١): وقال سعيد بن غالب كان.

(٣) مروج الذهب ٨/ ٢١٢.

(٤) في (ف) و(م١): وقال الصولي: كانت وفاته في قصره الحسيني.....

(٥) في (خ): وقال صافي الحرمي: كفنته...، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١)، وكلام الخطيب في تاريخه ٦/ ٨٣.

وقال وصيف خادمُه: سمعتُه يقول عند موته: [من الطويل]

تـمـتَّـع مـن الـدُّنـيـا فـإنَّـك لا تـبـقـى ... وخُذْ صَفْوها ما إنْ صَفَتْ ودَعِ الرَّنْقَا
ولا تـأمَـنَـنَّ الـدَّهـرَ إنِّـي أمِـنـتُـه ... فلم يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حَقّا
قـتـلـتُ صَـنـاديـدَ الـرِّجـال فـلـم أدَعْ ... عَدوًّا ولم أُمهِلْ على ظِنَّةٍ خَلْقا
وأخليتُ دور الـمُـلْـك من كلِّ بازِلٍ ... وشَتَّتهم غرباً ومزَّقْتُهم شَرْقاً
فلمَّا بلغتُ النَّجمَ عِزًّا ورِفعةً ... ودانت رقابُ الخلقِ أجمع لي رِقَّا
رماني الرَّدى سَهْماً فأخْمَد جَمْرتي ... فها أنا ذا في حُفرتي عاجلاً مُلْقى
فأفسَدْتُ دُنياي وديني سَفاهةً ... فمَنْ ذا الذي منِّي بمَصْرَعِه أشْقى
فياليت شِعري بعد موتيَ ما أرى ... إلى نعمةٍ لله أم ناره ألقى

وكانت سنه يوم مات سبعاً وأربعين سنة، وقيل: خمساً أو ستاً وأربعين سنة وأشهراً وأياماً، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل: ويومين، وقيل: وخمسة أيام، وقيل: عشر سنين وتسعة أشهر.

ورثاه عبد الله بن المعتز[(١)] فقال: [من البسيط]

أستغفر الله هذا كلُّه قَدَرٌ ... رَضيتُ بالله ربًّا واحداً صَمدا
يا ساكنَ القبر في غَبْراءَ مُظلمةٍ ... بالطَّاهرية نائي الدَّارِ مُنْفَردا
أين الجيوشُ التي قد كنتَ تَصْحَبها ... أين الكنوزُ التي أحصيتَها عَددا
أين السَّرير الذي قد كنتَ تملؤه ... مَهابةً مَن رأتْه عينُه ارتَعدا
أين الأعادي الأُلَى ذلَّلْتَ صَعْبَهمُ ... أين اللُّيوثُ التي صيَّرتَها نَقَدا[(٢)]
أين الوفودُ على الأبواب عاكفةً ... يَرجون فَضْلَكَ ما يأتي وما اطَّردا
أين الجيادُ التي حجَّلْتَها بدمٍ ... وكنَّ يَحمِلْنَ منك الضَّيغَمَ الأسدا

---

(١) في (ف م١): واختلفوا في سنه على أقوال؛ أحدها: سبعة وأربعون سنة، والثاني: خمس أو ست وأربعون سنة وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، حكاه الطبري وقال: كانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وكانت وفاته في ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومئتين، وخلافته تسع سنين، وتسعة أشهر، ويومين، وقيل: وخمسة أيام، وقد ذكرنا ما خلف من المال وغيره عند بيعة المكتفي، وقال الصولي: ورثاه عبدالله بن المعتز.اهـ. وليس فيهما الأبيات الآتية، ولم نقف على كلام الطبري في تاريخه.

(٢) النَّقَدُ: صغار الغنم. اللسان (نقد).

أين الرماح التي غذَّيتَها مُهَجاً مذ مِتَّ ما وَرَدَتْ قلباً ولا كبدا
ثمَّ انقضيتَ فلا عينٌ ولا أَثَرٌ حتَّى كأنَّك يوماً لم تكنْ أبدا(١)

ذكر أولاده:

كان له من الولد علي المكتفي، وجعفر المقتدر، ومحمد القاهر، وهارون، وأحد عشر بنتاً، وقيل: سبع عشرة بنتاً(٢).

ذكر وزرائه وقضاته:

وَزَرَ له: إسماعيل بن بلبل، ثمَّ عبيد الله بن سليمان، ثمَّ ابنه القاسم بن عبيد الله، وقضاته: إسماعيل بن إسحاق بن حمَّاد بن زيد، وابن أبي الشَّوارب، ويوسف بن يعقوب.

وحكى عن المعتضد قال(٣): رُفع إليه أنَّ أقواماً يجتمعون ويُرجِفون ويخوضون في الفضول، ويُخاف منهم على الدَّولة، فرمى بالرُّقْعَة إلى عبيد الله الوزير وقال: ما ترى؟ قال: الرأي صَلْبُ بعضهم، وإحراقُ البعض، والمُثْلة ببعضهم؛ لتتَّعظ العامَّة بهم، فقال له المعتضد: والله لقد برَّدتَ لَهيب غضبي بقسوتك، وعطَّفتَني عليهم بعد السّخط، وما كنت أعلم أنَّك تستجيز مثل هذا في دينك، أما علمتَ أنَّ الرعية وديعةُ الله عند سلطانها، وأنَّ الله سائله عنها، وأنَّ أحداً من الرعية لا يقول قولاً إلَّا لظُلْم لَحِقه، أو لداهيةٍ نالته أو نالت صاحباً له؟ قم سَلْ عن القوم، فمن كان سيّء الحال فصِلْه من بيت المال، ومن كان مظلوماً فأزل ظُلامته، ومن أخرجه البَطَر إلى هذا فخوِّفْه، ففعل، فصلحت الأحوال.

انتهت سيرة المعتضد.

بدر المُعْتَضديّ

كان يخدم المعتضد والموفَّق، وأبوه من غلمان المتوكِّل، فرفعتْه السعادة.

---

(١) ذكر هذه الأبيات الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ٦٨١، وفي السير ١٣/ ٤٧٨-٤٧٩، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٣/ ١٢٧-١٢٨، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٣٧٥.

(٢) بعدها في (ف م١): انتهت سيرة المعتضد والحمد لله وحده، السنة التسعون بعد المئتين.

(٣) الحاكي هو ابن الجوزي، والخبر في المنتظم ١٢/ ٣٢٥.

قال يحيى بن علي النَّديم: كنتُ واقفاً على رأس المعتضد وهو مُقَطِّب، فدخل بدر فأسفَر وجهُه لمّا رآه وضحك، ثمَّ قال لي: يا يحيى، من القائل: [من البسيط]

فـي وَجـهـه شـافـعٌ يـمـحـو إساءتَـه ... مـن الـقـلـوب وَجـيـهٌ حيـثـمـا شَـفـعـا

فقلت: الحكم بن قنبر المازنيّ، فقال: أنشِدْني تمامَه، فأنشدتُه:

كـأنَّـمـا الـشـمـسُ مـن أعـطـافـه لَـمَـعَـتْ ... حُـسْـنـاً أو الـبَـدرُ مـن أزراره طَـلَـعـا

مُـسْـتَـقْـبَـلٌ بـالـذي يَـهـوى وإن كَـثُـرتْ ... مـنـه الـذُّنـوب ومَـعـذورٌ بـمـا صَـنَـعـا

وَيْـلـي عـلـى مَـن أطـارَ الـنَّـومَ فـامـتـنـعـا ... وزاد قـلـبـي إلـى أوجـاعـه وَجَـعـا(١)

وكان بدر جواداً مُمَدَّحاً سَخيًّا شجاعاً، وكان يؤثر القاسم بن عبيد الله ويتعصَّب له، فقال له المعتضد: والله لا قتله غيرُه، فكان كما قال.

وذلك أنَّ القاسم كان قد همَّ بتغيير الخلافة بعد المعتضد في غير ولده، فناظر بدراً في ذلك، فامتنع بدر وقال: ما كنتُ بالذي أصرف الأمر عن ولد مولاي الذي هو وليُّ نعمتي، فلمَّا رأى القاسم ذلك وعلم أنَّه لا سبيلَ إلى مخالفة بدر؛ إذ كان المستولي على أمر المعتضد، والمطاعَ في غلمانه وخدمه، اضْطَغَنها على بدر، وحدث على المعتضد الموت وبدرٌ بفارس ـ وكان زعيمَ الجيوش ـ فبايع القاسم المكتفي وهو بالرَّقَّة على ما ذكرنا، وقدم المكتفي بغداد، فعمل القاسم في هلاك بدر، فخاف أن يطَّلع المكتفي على ذلك فيكون سبباً لهلاكه.

وكان بين المكتفي وبدر تباعُدٌ في أيام المعتضد؛ لأنَّ بدراً كان حاكماً على الجيوش والخزائن، فأشار القاسم على المكتفي أن يكتب إلى بدر بأن يقيم مكانَه بفارس، ويبعثَ إليه المال له ولأصحابه، وأن يختار من الولايات ما شاء، ولا يقدمَ إلى الحضرة، وقال للمكتفي: أخاف عليك منه، فكتب إليه مع يانس الموفَّقي بذلك، وبعث معه بعشرة آلاف ألف درهم، فلمَّا وصل إلى بدر فكَّر، وخاف لبُعده عن المكتفي من حيلةٍ تَنْفُذ من القاسم عليه، فكتب إلى المكتفي يقول: لابدَّ من المصير إلى الحضرة، وأن أشاهد مولاي، فقال له القاسم: قد جاهَرَك بالمعصية، ولا آمَنُه عليك.

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٢٣، والبيت الأخير عندنا هو الأول فيه.

وكاتب القاسمُ القوَّاد الذين كانوا مع بدر بالمصير إلى باب الخليفة، فأوقفوا بدراً على الكتب، وقالوا: قم بنا حتَّى نجمعَ بينك وبين الخليفة لتأمنَ على نفسك، فقال: قد كتبتُ كتاباً إليه، وأنا منتظرٌ جوابَه، ففارقوه ووصلوا إلى بغداد.

وجاء بدر فنزل واسِطاً، فندب القاسمُ القاضي أبا خازم وقال له: اذهب إلى بدرٍ برسالةِ أمير المؤمنين، وأنَّه آمِنٌ على نفسه وماله، وأعطِه العهودَ والمواثيق، فامتنع أبو خازم ـ وكان ذا وَرَعٍ ودين ـ وقال: ما أؤدي عن الخليفة رسالةً لم أسمعْها منه، قال القاسم: أما تَقنعُ بقولي؟ قال: ما يكفيني قولُك في مثل هذا، فتركه، وندب القاضي أبا عمر محمد بن يوسف لذلك، فأجاب مُسرعاً، ولم ينظر كما نظر أبو خازم، وانحدر إلى واسط فاجتمع ببدر، وأعطاه العهود، والأيمان المُغَلَّظَة، والأمان عن الخليفة.

فنزل بدر في طيَّار، وترك أصحابَه بواسط، وأمرهم أن يلحقوه، فبينما هو يسير إذ تلقاه لؤلؤ غلامُ القاسم ـ وقيل: بل هو غلامُ محمد بن هارون الذي قتل محمد بن زيد بطَبَرِستان ـ في جماعة من الخَزَر، فنقلوا [القاضي][1] إلى طيَّار آخر، وأصعدوا بدراً إلى جزيرة، فلمَّا علم أنَّهم قاتلوه قال: دعوني أصلِّي ركعتين وأوصي، فتركوه، فأوصى بعتق مماليكه وجواريه وصدقةِ ما يملك، وذبحوه في الركعة الثانية، وذلك في ليلة الجمعة السابعة والعشرين من شهر رمضان[2]، وألقَوا جسده في الجزيرة، وقدموا برأسه على المكتفي، فسجد وقال: الآن ذُقتُ لذَّةَ الخلافة، وحُمل رأس بدر إلى الخزانة.

وأكثر النَّاسُ ذمَّ القاضي محمد بن يوسف وقالوا: هو الذي غرَّ بدراً وأعطاه أماناً باطلاً، ومدحوا أبا خازم، وندم القاضي محمد حيث لا ينفعه النَّدم، وقالت النَّاس الأشعار؛ فمن ذلك: [من الخفيف]

قُل لقاضي مدينةِ المنصورِ بِمَ أحللْتَ أخذَ رأسِ الأميرِ
بعد إعطائه المواثيقَ والعهـ ـدَ وعَقْدِ الأمان في مَنْشُورِ

(١) زيادة يقتضيها السياق. وهو الموافق لما في مروج الذهب ٨/ ٢١٧ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٦٥ .
(٢) في مروج الذهب ٨/ ٢١٨ ، وتاريخ الطبري ١٠/ ٩٢ ، والكامل ٦/ ٥١٨ : وذلك في يوم الجمعة قبل الزوال لست خلون من شهر رمضان.

أين أيمانُكَ التي شهد اللهُ على أنَّها يمينُ فجورِ
أنَّ كفَّيك لا تفارق كفَّيـ ـه إلى أن يرى مَليك السَّريرِ
يا قليلَ الحياء يا أكذبَ الأمَّةِ يا شاهداً شهادةَ زُورِ
ليس هذا فعل القضاة ولا يُحـ ـسن أمثالَه ولاةُ الجسورِ
أيّ أمرٍ ركبتَ في الجمعة الغَرَّاء من خير شهر هذي الشُّهورِ
قد مضى مَن قتلتَ في رمضان صائماً بعد سجدة التَّعفيرِ
يا بني يوسفَ بن يعقوبَ أضحى أهلُ بغدادَ منكمُ في غرورِ
بدَّد الله شملكمْ وأراني ذُلَّكم في أيام هذا الوزيرِ
فأعِدَّ الجواب للحاكم العا دل من بعدِ مُنكَرٍ ونَكيرِ
أنتم كلُّكم فِدًى لأبي خا زِمِ المستقيمِ كلّ الأمورِ(١)



(١) كذا في النسخ والمصادر، انظر الحاشية السابقة.

السنة التسعون بعد المئتين

وفيها[١] في المحرَّم قصد يحيى بن زكرويه القِرمطيُّ الرَّقَّة في جمع كثير، فخرج إليه أصحاب السلطان، فقتل منهم جماعة وانهزم الباقون.

وبعث طُغْج بن جُفّ إلى القرمطيِّ جيشاً عليهم غلام له يقال له: بشير، فواقعهم القرمطيُّ، وقتل بشيراً، وهزم الجيش.

وفيها خلع المكتفي على أبي الأغَرّ، وبعثه لقتال القرمطيّ في عشرة آلاف.

وفيها حصر القرمطيُّ دمشق وفيها طغج بن جُفّ، فعجز عن مقاومته.

وفيها خرج المكتفي من بغداد يريد سُرَّ من رأى لينتقلَ إليها في جمادى الآخرة، وعزم على ذلك، فصرفه الوزير وقال: نحتاج إلى غرامات كبيرة، فعاد إلى بغداد.

وفيها قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق ـ وسنذكره إن شاء الله تعالى ـ وأقاموا مقامه أخاه الحسين بن زكرويه، وبلغ المكتفي فوجَّه العساكر لقتال القرمطيِّ، وكان المصريُّون قد كتبوا إلى المكتفي يشكون ما يلاقونه من ابن زكرويه صاحبِ السّلعة، وأنَّه قد سفك الدِّماء، وما لقوا من أخيه قبلَه، فعسكر المكتفي بباب الشمَّاسية، ثمَّ شخص عن بغداد إلى الموصل لتسعٍ خلون من رمضان.

وللنصف منه ورد أبو الأغرّ في جيوشه إلى حلب، فنزل قريباً منها بوادٍ يقال له: بُطْنان، ونزل أصحابه، وكان يوماً شديد الحرّ، فنزع أصحابُه ثيابهم وجعلوا يتبرّدون، فكبسهم صاحب الشامة القرمطيّ، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأفلت أبو الأغرّ إلى حلب في نحو من ألف رجل، وقيل: تسعة آلاف، وجاء القرمطيُّ إلى باب حلب، فحاربه أبو الأغرّ بمن بقي معه من أصحابه وأهل البلد، فانصرفوا بما أخذوا من عسكره من الأموال والسلاح والكراع وغيره.

ووصل المكتفي إلى الرَّقَّة، فأقام يُسَرّح الجيوشَ إلى القرمطيّ جيشاً بعد جيش.

وفي رمضان وصل القرمطيُّ إلى دمشق، فخرج إليه بدر الحماميُّ صاحب ابن

(١) من هنا إلى قوله: وحج بالناس الفضل... ليس في (ف) و(م١).

طولون، فهُزم القرمطيُّ صاحبُ الشامة، ووُضع في أصحابه السيفُ، ومضى من أفلت منهم نحو البادية، وبعث المكتفي في إثر القرمطيّ الحسينَ بن حمدان وغيره من القوَّاد، وقيل: إنما كانت الوقعة بين القرمطيِّ وبدر الحماميِّ على باب مصر، وإنَّ القرمطيَّ انهزم إلى الشام، وتفرَّق عنه أصحابه، وقَتل منهم بدرٌ مقتلةً عظيمة، وسلك القرمطيُّ طريق البريَّة، ونهب البلاد الفراتيَّة: الرَّحبة، وهِيت، والأنبار، وقتل وسبى، وحمَّل الجمالَ الأموالَ والنساء، وأحرق هيت، ومضى إلى الأهواز.

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك[١].

وفيها توفي

الحسن بن عُليل

ابن الحسين بن عليٍّ، أبو عليّ، العَنَزيُّ، البغداديُّ.

صاحبُ أخبار وآداب، توفِّي في المحرَّم بسُرَّ من رأى، حدَّث عن ابن مَعين وغيره.

ومن شعره: [من البسيط]

كلُّ المحبِّين قد ذمُّوا السُّهاد وقد ... قالوا بأجمعهم طُوبى لمن رَقَدا
وقلتُ يا ربِّ لا أبغي الرُّقادَ ولا ... ألهو بشيءٍ سوى ذِكري له أبَدَا
إن نمتُ نام فؤادي عن تذكُّره ... وإن سَهِرتُ شكا قلبي الذي وَجَدا

وروى عن الأصمعيِّ أنَّه قال: مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح[٢].

[وفيها توفي]

عبد الله بنُ الإمام أحمد

ابن [محمد بن] حنبل، أبو عبد الرَّحمن، الشَّيبانيُّ.

ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، ولم يكن في الدُّنيا أحدٌ أروى عن أبيه رحمه الله أكثر

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٩٧-٩٩ ، والمنتظم ١٣/ ١٤-١٦ ، والكامل ٧/ ٥٢٣-٥٢٩ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٦٦٥-٦٦٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤٠٥ ، والمنتظم ١١/ ٢٤١ وذكره في وفيات سنة (٢٣٦هـ)، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٣٧، وهذه الترجمة ليست في (ف م١).

منه، وسمع منه «المسند» وهو ثلاثون ألف حديث، و«التفسير» مئة وعشرون ألفاً، و«النَّاسخ والمنسوخ»، و«التاريخ»، و[المقدَّم][١] والمؤخَّر في كتاب الله تعالى، و«جوابات القرآن»، و«المناسك الكبير والصغير» وغير ذلك.

وكان عارفاً بالرِّجال، والأسامي، والكُنى، وعِلل الأحاديث، وكان أبوه يقول: لقد وعى عبدالله علماً كثيراً.

وكان على منهاج أبيه في الزُّهد والحفظ وغير ذلك، وقال: كنتُ يوماً[٢] عند أبي، فجاءه أبو إبراهيم السَّائح، فقال له: حدِّثني بأعجب ما رأيت، قال: خرجتُ في سياحتي فمرضت[٣] في الطريق، وكنت قريباً من دَيْر، فقلت في نفسي: لو كنتُ بقرب الدَّير لعلَّ مَن فيه من الرُّهبان يُداويني، وإذا بسَبُع عظيم قد أقبل، فحملني على ظهره حملاً رفيقاً حتَّى ألقاني على باب الدَّير، والرُّهبان ينظرون إليه، فنزلوا فأسلموا كلُّهم، وكانوا أربع مئة راهب.

[فصل] ذكر وفاته:

مرض[٤] [عبد الله] فقيل له: أين تحبُّ أن تُدفَن، أتحبُّ أن ندفنك عند أبيك؟ فقال: قد صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة نبيًّا مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبيٍّ أحبُّ إليَّ من أن أكون في جوار أبي.

[قلت: والعجب من هذا، ومن أين في أرض العراق نبيٌّ مدفون؟ فقد ترك أمراً متيقناً وهو جوار أبيه لأمر مظنون.

وحكى الخطيب عن إسماعيل بن علي الخُطَبي قال:] مات [عبد الله] يوم الأحد، ودُفن آخر النهار في القطيعة في مقابر باب التِّبن لتسع[٥] ليال بقين من جمادى الآخرة [من هذه السنة]، وصلَّى عليه زهير ابن أخيه[٦] صالح، وكان جمعاً عظيماً.

---

(١) هذه الزيادة من تاريخ بغداد ١١/ ١٣ ، والمنتظم ١٣/ ١٧ ، والمقصد الأرشد ٢/ ٦ .

(٢) في (ف) و(م١): وقد روى عن أبيه العجائب، فمن ذلك قال: كنت يوماً، والمثبت من (خ).

(٣) في (خ): فمررت، والمثبت من (ف) و(م١).

(٤) في (ف) و(م١): وحكى الخطيب عن أبي الحسن بن المنادي قال مرض، ... ولم نقف على هذا القول في تاريخ بغداد، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١٣/ ١٧ .

(٥) في النسخ: لسبع. والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ١٤ وما بين معكوفات من (ف م١).

(٦) في (خ): أبي، وليست في (ف م١)، والمثبت من المنتظم وتاريخ بغداد.

سمع عبد الله خلقاً كثيراً: أباه، وابنَ مَعين، وابنَ المَدينيّ وغيرَهم، وروى عنه أبو القاسم البغويُّ، ويحيى بن صاعد، والقاضي المَحامليُّ وغيرُهم.

واتَّفقوا على دينه، وصدقه، وزهده، وورعه، وأمانته، وقال الدَّارقطنيُّ: كان فوق الثِّقة.

فصل: وفي الرواة جماعة اسم كلٍّ واحد منهم عبد الله بن أحمد، منهم:

عبد الله بن أحمد

ابن الحسين بن رجاء، أبو القاسم، الخِرَقيُّ، البغداديُّ.

[حدَّث عن إبراهيم الحَرْبيّ وغيره، وروى عنه عليُّ بن أحمد الرزّاز شيخ الخطيب] بإسناده إلى عبد الرَّحمن بن أبزى قال: بينا نحن في جنازة، وعليُّ بن أبي طالب يمشي خلفها، وأبو بكر وعمر ﷺ وعن الجميع يمشيان أمامها، إذ أخذ عليٌّ بيدي وقال: إنَّهما ليعلمان أنَّ فضل مَن يمشي خلفَها على مَن يمشي أمامها كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده، ولكنَّهما يسهِّلان على النَّاس[1].

قلت: وبهذا الأثر أخذ أبو حنيفة، والشافعيُّ وأحمد أخذا بفعل أبي بكر وعمر؛ لأنَّ الترجيح مع أبي حنيفة لوجهين: أحدهما اعتذار علي عنهما، والثاني: لأنَّه أبلغ في ذلك.

قلت: وبلغني عن] بعض المشايخ [أنَّه] قال: إن كانت الجنازةُ[2] رجلاً فالمشي خلفها أفضل، وإن كانت امرأةً فالمشيُ أمامها أولى، وهذا حسن؛ لأنَّ مَبنى حال النِّساء على السّتر.

مات الخِرقيُّ سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة.

عبد الله بن أحمد

ابن أَفْلَح بن عبد الله بن محمد [بن عبد الله] بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، أبو محمد، القاضي، البكريُّ.

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣.

(٢) في (خ): وقال بعض المشايخ إن كانت الجنازة، والمثبت ومابين معكوفين من (ف) و(م١).

[حدَّث عن هلال بن العلاء الرَّقي وغيره، وقد] أخرج له الخطيب حديثاً [فقال: حدَّثنا الحسن بن أبي طالب بإسناده عن قتادة، عن] أنس[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم جمعة ولا ليلة جمعة إلَّا ويطَّلع الله تعالى إلى دار الدُّنيا وهو متَّزر بالبَهاء، لباسُه الجَلال، متَّشِحٌ بالكبرياء، مُرْتدٍ بالعظمة، فيُعتق مئتي ألف عتيق من النَّار من الموحّدين؛ ممَّن قد استوجب من الله ذلك، ثمَّ ينادي: عبادي، هل أجْودُ منّي جوداً؟ عبادي، هل أكْرمُ منِّي كرماً؟ عبادي، هل من سائل فأعطيَه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفرَله؟ عبادي، ما خلقتُ الجنَّة لأُخليها، ولا نَشَرْتُها لأطويها، وإنَّما خلقتُها لكم وخلقتكم لها، عبادي، فعلام تعصوني؟ أعلى الحسن من بلائي، أم على الجميل من نعمائي، أليس قد نشرتُ عليكم الرحمة نَشْراً، وألبستُكم من عافيتي كَنَفاً وستراً، وأضعفتُ لكم الحسنات مراراً، وأقَلْتُكم العَثَرات كباراً وصغاراً، وخلقتُكم أطواراً؟ فمالكم لا ترجون لله وقاراً؟ عبادي، سبحاني احتجبتُ عن خلقي فلا عينٌ تراني»[2].

عبد الله بن أحمد

أبو محمد، المَرْوَزيُّ [من أهل الدَّندانَقان؛ قرية من قرى مَرْو].

مات سنة سبعين وثلاث مئة، أخرج له الخطيب حديثاً عن أنس عن النبيِّ ﷺ قال: «لِصاحب القرآن دعوةٌ مُستجابة عند كلِّ خَتمة، وشجرةٌ في الجنَّة؛ لو أنَّ غراباً طار من أصلها لم يَنْتَهِ إلى قعرها[3] حتَّى يُدرِكَه الهَرَم».

[عبد الله بن أحمد

ابن ماهبزد، ويعرف بالظَّريف.

سكن بغداد، وحدَّث عن أبي القاسم البغوي وغيره، وكان يقول: صمتُ تسعين رمضاناً.

ومولده سنة ثلاث وثمانين ومئة، ومات سنة تسعين ومئتين.][4]

---

(١) مابين معكوفين من (ف م١)، وجاء بدله في (خ): القاضي البكري أخرج له الخطيب حديثاً رفعه إلى أنس.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥ وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٤٠٤-٤٠٥ من طريق الخطيب، ثم قال: هذا حديث موضوع.

(٣) في تاريخ بغداد ١١/ ٣٤ : فرعها، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١١٥ : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٤) الذي في تاريخ بغداد ١١/ ٣٦-٣٧ ، والمنتظم ١٤/ ٣٠٤ أنَّ مولده سنة ثلاث أو أربع أو ست وسبعين ومئتين. وأورده ابن الجوزي في وفيات سنة (٣٧٤هـ). وهذه الترجمة ليست في (خ).

محمد بن عبد الله

أبو بكر، الزَّقَّاق.

من مشايخ بغداد، [ذكره أبو نُعيم والسُّلَمي والخطيب، وهو صاحب الحكاية المشهورة:

قال الخطيب بإسناده عن] الجنيد قال: رأيت إبليس في منامي وكأنَّه عُريان، فقلت: أما تستحي من النَّاس؟ قال: وأين النَّاس؟ كان هؤلاء من الناس، قلت: ولِمَ؟ قال: لو كانوا من النَّاس ما تلاعَبْتُ بهم كما يتلاعب الصِّبيان بالكرة، قلت: فمَنِ الناس؟ قال: قوم في مسجد الشُّونيزيَّة، قد أنحلوا جسمي، وأضنَوا قلبي، كلَّما هَمَمْتُ بهم أشاروا إليَّ[1] فأكاد أحترق.

قال الجنيد: فانتبهتُ، وأتيت مسجد الشونيزيَّة [وعليَّ ليل]، فدخلت من الباب وإذا بثلاثةٍ رؤوسهم في مُرَقَّعاتهم، فلمَّا أحسُّوا بي أخرج واحدٌ منهم رأسَه من مُرَقَّعته وقال: يا أبا القاسم، أنت كلّ من قال لك شيئاً تقبل منه؟! قال: والثلاثة أبو بكر الزَّقَّاق، وأبو حمزة، وأبو الحسين النُّوري.

وحكى الخطيب عن الزقَّاق أنَّه قال: لي سبعون سنة[2] أرُبُّ هذا الفقر، من لم يصحبه في فقره الورع أكَل الحرام النَّصَّ[3].

قال المصنِّف رحمه الله: وذكر ابن خميس في «المناقب» رجلاً آخر يقال له: الزقَّاق اسمه: أحمد بن نَصْر شيخ مصر، [وقال: الزقَّاق] الكبير، [وحكى عنه في «المناقب» الكلامَ المَليح]، وكان عظيماً.

[وحكى ابن خميس عن] الكتَّانيّ قال: لمَّا مات الزقَّاق انقطعت حُجَّة الفقراء في دخولهم إلى مصر[4].

---

(١) في (ف): كلما هممت بهم قالوا الله أشار إلي، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٤٦٢، والمنتظم ١٣/ ٢٠: كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى.

(٢) في (خ): وقال الزقاق: لي سبعون سنة، والمثبت من (ف م١).

(٣) النَّصّ: الظاهر.

(٤) مناقب الأبرار ١/ ٣٧٧.

وقال الزَّقَّاق: جاورتُ بمكة عشر سنين، فاشتهيتُ اللَّبَن، فغلبتْني نفسي، فخرجتُ إلى عُسْفان، فاستضَفْتُ حيًّا من العرب، فنظرتُ إلى جارية بعيني اليمين، فأخذَتْ بقلبي، فقلتُ لها: قد أخذكلُّك كلِّي فمافيَّ لغيركِ مَطْمَع، فقالت: تقبح بك الدَّعاوى العالية، لو كنتَ صادقاً لذهبتْ عنك شهوة اللبن، فقلعتُ عيني اليمين، فقالت: مثلك من نظر لله تعالى.

قال: ورجعتُ إلى مكة فطفتُ أسبوعاً، ثمَّ نمت، فرأيتُ يوسف الصِّدِّيق عليه السلام فقلت: يا نبي الله، أقرَّ الله عينَك بسلامتك من زَليخا، فقال: وأنت أقرَّ الله عينك بسلامتك من العُسْفانيَّة، ثمَّ أمرَّ يدَه على عيني، فانتبهتُ وقد عادت أحسنَ ما كانت(١).

[وحكى عنه في «المناقب»] قال: تهتُ في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً، فلما وقفتُ على الطريق استقبلني جنديٌّ، فسقاني شَربةً من ماء، فعادت قساوتُها على قلبي ثلاثين سنة(٢).

وقال: نهاية الإرادة أن تشير إلى الله فتجدَه مع الإشارة، فقيل له: فأيّ شيءٍ يستوعب الإرادة؟ فقال: أن تجد الله بلا إشارة.

وقال: لا يكون المريد مريداً حتَّى لا يكتبَ عليه كاتبُ الشمال خطيئة عشرين سنة.

وقال: كنتُ في التِّيه فخطر ببالي أنَّ علم الحقيقة مباينٌ لعلم الشريعة، فهتف بي هاتف: كلُّ حقيقة لا توافق الشريعةَ فهي باطلة.

وقال: لا يصلح هذا الأمر إلَّا لأقوام كَنَسوا المزابلَ بأرواحهم.

ودخل عليه يوماً أبو عليٍّ الرُّوْذَباري وهو في حال عجيبة، فقال له الشيخ: مالكَ؟ فقال: اجتزت ببعض الخَوخات وإذا بمنشد يقول: [من الطويل]

أبَتْ غَلَبـاتُ الشَّوقِ إلَّا تشوُّقا ... إليك ويأبى العَذْلُ إلا تجنُّبا
وما كان صدِّي عنك صَدَّ مَلامةٍ ... ولا ذلك الإغضاءُ إلَّا تَهَيُّبا
عليَّ رقيبٌ منك حلَّ بمُهْجَتي ... إذا رُمْتُ تسهيلاً عليَّ تَصَعَّبا

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٤، ومناقب الأبرار ١/ ٣٧٧، وما بعده فيه.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٨٠.

قال أبو علي: فما هو إلَّا أن أنشدني الزَّقاق الأبياتَ حتَّى صرتُ مَغلوباً لا أدري ما لحقني، ثمَّ أفقتُ، فقال لي: يا أبا عليّ، مَن وقع في بَليَّةٍ لم يَخْلُ من البلاءِ حاضروه.

وقال الرقِّيُّ: كنَّا عند الزقَّاق بالغداة فقال: إلى كم تبقيني ههنا؟ فما جاء الظهر حتَّى مات، ولم يذكر في «المناقب» تاريخ وفاته.

يحيى بن زكرويه بن مهرويه

أبو القاسم، القِرمطيُّ، ويُعرف بالشيخ المُبَرْقَع.

وكان يسمِّي نفسه عليَّ بن أحمد بن محمد بن عبد الله، من ولد جعفر بن محمد الصَّادق، وكذب فيما يزعم، بل هو يحيى بن زكرويه، وكان من دُعاة القَرامطة.

عاث في الشام وبنواحي الرَّقَّة، ثمَّ جاء إلى دمشق، فخرج إليه طُغْج بن جُفٍّ أميرُ دمشق في جيش، فكسره القرمطيُّ، فبعث المصريُّون جيشاً مع بدر الحمَّامي، فلقيه القرمطيُّ على قرية بحوران يقال لها: كُنَيْكر، في سنة تسعين ومئتين، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فقُتل القرمطيُّ، وقام أخوه موضعَه.

وكان سبب قتله أنَّ بعض البرابرة زَرَقه بمِزْراق[(١)]، واتَّبعه نفَّاطٌ فأحرقه بالنَّار، وذلك في كَبِد الحرب وشدَّتها، ولمَّا قُتل نصَّب أصحابُه أخاه الحسين بن زكرويه ويسمَّى بصاحب الشَّامة، وزعم أنَّه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق، وهو ابن نَيِّفٍ وعشرين سنة، وأظهر شامةً في وجهه وزعم أنَّها آيتُه، وجاءه ابن عمِّه عيسى بن مِهرويه، وزعم أنَّه عبد الله بن أحمد [بن محمد][(٢)] بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق، فلقَّبه المدَّثِّر، وعَهِد إليه، وذكر أنَّه المعنيُّ في السورة، ولقّب غلاماً له: المطوَّق بالنُّور، وقلَّده قتل أسرى المسلمين، وظهر على المصريِّين، وعلى دمشق وحمص والشام، وتسمَّى بأمير المؤمنين والمهدي، ودُعي له على المنابر، وسنذكره في ترجمته عند مقتله.

وليحيى بن زكرويه صاحبِ هذه الترجمة شعرٌ منه: [من الوافر]

---

(١) زرقه بمزراق، أي: رماه بها، والمزراق: رمح قصير. اللسان: (زرق).

(٢) هذه الزيادة من تاريخ الطبري ١٠/ ٩٦ ، وترجمة يحيى ليست في (ف م١).

ألا لله ما فعلتْ برأسي صُروفُ الدَّهر والحِقَبُ الخوالي
تَركْنَ بلِمَّتي سَطْراً سَواداً وسَطراً كالثَّغام من النِّزالِ
فما حالتْ لطول اليأسِ نفسي عليَّ ولا بكَتْ لذهاب مالي
ولكنِّي لذي الكُرُبات آوي إلى قلبٍ أشدَّ من الجبالِ
وأصبِرُ للشَّدائد والرَّزايا وأعلم أنَّها مِحَنُ الرِّجالِ
فإنَّ وراءها أمْناً وخَفْضاً وعَطْفاً للمُديل على المُدالِ
فيوماً في السُّجون مع الأُسارى ويوماً في القصور رَخيَّ بالِ
ويوماً للسُّيوف تَعاوَرَتْني ويوماً للتَّفَتُّقِ والدَّلالِ
كذا عيشُ الفتى ما دام حيًّا دوائرُ لا يَدُمْنَ على مثالِ



السَّنة الحادية والتسعون بعد المئتين

فيها قُتل الحسين بن زكرويه صاحبُ الشَّامة.

وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتبِ الجيش، وعلى محمد بن إسحاق ابن كنداجيق، وأبي الأغرّ، وجماعةٍ من القوَّاد، وأمرهم بالسَّمع والطاعة لمحمد بن سليمان، وأمرهم بالمسير إلى دمشق؛ لقبض ما كان بيد هارون بن خمارويه من الأعمال؛ لأنَّه ضَعُف، وقَتَلَ القرمطيُّ رجاله، وكان عسكرُ المكتفي في عشرة آلاف.

وفيها زوَّج المكتفي ابنه أبا أحمد بابنة الوزير القاسم بن عبيد الله في جمادى [الأولى] بحضرة المكتفي، وخطب أبو عمر القاضي، وانصرف أبو أحمد بن الخليفة والقوَّاد والوجوه مع القاسم إلى داره في الشَّذا، فأقام عند القاسم، وخلع القاسم على أربع مئة إنسان الدِّيباجَ والخزَّ والوَشْي وغير ذلك، وحمل الأمراء أبا أحمد على سبعة وأربعين فرساً بسروجِ الذَّهب، وكان الصَّداق مبلغه مئة ألف دينار.

وفيها خرجت التُّرك إلى بلاد المسلمين في جيوش عظيمة، كان فيها سبع مئة قبَّة تركيَّة، ولا تكون القبَّة إلا للملك، فنادى إسماعيل بن أحمد في خُراسان وسجستان وطَبَرِستان: النَّفيرَ النَّفيرَ، وجهَّز رجلاً من قوَّاده في جيش كثيف، فوافى المسلمون التُّركَ وهم آمنون غارُّون[1] مع الصُّبح، فقتلوا منهم مَقتلةً عظيمة، وانهزم الباقون، وغنم المسلمون أموالَهم، وعادوا سالمين.

وفيها بعث صاحب الرُّوم عشرةَ صُلبان، تحت كلِّ صليب عشرةُ آلاف، فوصلوا إلى الحَدَث، فنَهبوا وقتلوا مَن قدروا عليه، وأحرقوا ورجعوا[2].

وفي رمضان مات أحمد بن محمد بن الفرات الكاتب، وقلَّد القاسم عليَّ بن محمد أخاه مكانه، وقال: ما غاب عنَّا من أخيك إلَّا عيناه.

---

(١) غارون: غافلون. اللسان (غرر).

(٢) تاريخ الطبري ١٠/ ١١٥-١١٦، والمنتظم ١٣/ ٢٣، والكامل ٧/ ٥٣٢-٥٣٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٣.

وفيها غزا غلام زرافة من طَرَسوس إلى الرُّوم، فوصل إلى أنطاكية قريباً من قسطنطينية، فأناخ عليها وقاتلها، ففتحها بالسَّيف عَنوة، وقتل فيها خمسة آلاف رجل، وأسر أضعافَهم، واستنقذ من أُسارى المسلمين أربعة آلاف إنسان، ووجد بساحلها ستِّين مَرْكباً، فحمَّلها ما غنم من الذَّهب والفضَّة والمتاع والرقيق، وأصاب سهم الفارس ألف دينار.

وفيها مات القاسم بن عُبيد الله الوزير، ودخل محمَّد بن سليمان دمشق بالعساكر، وكان بها بدر الحمامي فتلقاه، فقلَّده إياها، وسار محمد إلى الرَّملة.

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميُّ.

[فصل] وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل

أبو إسحاق، الخوَّاص، البغداديُّ.

أوحد زمانه في التوكُّل، صحب أبا عبد الله المغربي، وكان من أقران الجُنيد والثَّوريّ، وله في الرياضات والسِّياحات مقامات يطول شَرحُها، وأصله من سُرَّ من رأى، وإنَّما سكن الرّيَّ وأقام بها، ولم يكن خوَّاصاً، وإنما جرت له واقعةٌ سمِّي لها الخوَّاص.

قال[1]: فَتَرْتُ في بعض الأوقات، فكنت أخرج إلى ظاهر البلد، فأجلس على نهر وحوله خُوصٌ كثير، فخطر لي أن أعمل كلَّ يوم خمس قفاف وألقيها في النَّهر أتسلَّى بذلك، [وكأنِّي كنت مُطالَباً به، فجرى وقتي على ذلك أيَّاماً]، فخطر لي في بعض الأيام أن أمشي خلف القِفاف، وأنظرَ أين تذهب، فمشيتُ على جانب النَّهر ساعة، وإذا بعجوزٍ جالسة حزينة ـ ولم أكن عملتُ في ذلك اليوم شيئاً ـ فقلت: ما لي أراك حزينة؟ فقالت: أنا امرأةٌ أَرْمَلة، مات زوجي وترك خمس بنات، ولم يخلِّف لنا شيئاً،

(١) في (ف م١): ذكر الواقعة، حكاها الخطيب وغيره عن جعفر الخلدي عن إبراهيم الخواص. اهـ. والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٦ وليس فيه ذكر للخلدي. وانظر في ترجمة الخواص: الحلية ١٠/ ٣٢٥، وطبقات الصوفية ٢٨٤، والمنتظم ١٣/ ٢٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٠٦.

فأَخْرجُ كلَّ يوم، فأجلس على هذا النَّهر، فتأتي على رأس الماء خمس قِفاف، فأبيعُها فنتقوَّت بها، واليوم ما جاءتني، وما أدري كيف أصنع؟ فرفعتُ رأسي إلى السماء وقلت: إلهي، لو علمتُ أنَّ لها خمسَ عِيال لزدتُ في العمل، ثمَّ أخذ العجوز إلى بيته، وأعطاها دراهم ودقيقاً وقال: كلَّما أردتِ شيئاً فتعالي فخذي ما يكفيكم.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى عنه جعفر الخُلْديُّ أنَّه] قال: أعرف سبعة عشر طريقاً إلى مكة، طريق منها ذهب، وأخرى فضة.

[ذكر قصَّته مع المريض:

حكى عنه ابن خميس في «المناقب»] قال: صَعِدتُ إلى جبل اللُّكام، فرأيت شجرة عليها رمَّان، فاشتهيتُه، فمددتُ يدي فأخذتُ رُمَّانة، فإذا هي حامضة، فرميتُ بها ومضيت، وإذا برجلٍ مَطروحٍ على قارعة الطَّريق، وقد اجتمع عليه زنابيرُ كثيرة وهي تلدغه، فسلَّمتُ عليه، فقال: وعليكم السلام يا إبراهيم، فقلتُ: كيف عرفتَ اسمي؟! فقال: مَنْ عرف الله لم يخْفَ عليه شيءٌ، فقلت: أرى لك مع الله حالاً، فلو سألتَه أن يَقيَك لَدْغ هذه الزَّنابير، فقال: إنَّ لَدْغ الزنابير أجدُ أَلَمَه في الدُّنيا، فهلَّا سألتَ الله أن يَقيَك لَدْغ شَهْوة الرُّمَّان الذي تجد ألمه في الآخرة؟ فتركتُه ومضيت.

[ذكر قصَّته مع الخضر عليه السلام:

حكى أبو عبد الرَّحمن السلميُّ قال: قيل للخواص:] حدِّثنا[1] بأعجبِ شيءٍ لقيتَ في أسفارك، قال: لقيني شابٌّ في بعض أسفاري، فوقع في خاطري أنَّه الخَضِرُ، فسألني الصُّحبةَ، فقلت: أخشى أن يتغيَّر عليَّ توكُّلي، لا حاجةَ لي في صُحبتك، قال: إن صدقتَ فمن أنا؟ قلت: الخضر، وفارقتُه.

[ذكر قصَّته مع الشاب:

حكى عنه السُّلميُّ أيضاً] قال: صَحبني شابٌّ حَسَنُ المراعاة لأوقاته، فقلت [له:]

(١) في (خ): وقيل له: حدثنا، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١)، ولم نقف عليه في طبقات الصوفية، وذكر هذا الخبر والذي يليه القشيري في رسالته ٣/ ٥٣، ٥٧.

لا تُطيق صُحبتي لأنِّي أجوع، قال: إن جعتَ جعتُ معك، فبقينا أربعة أيام لم يُفتَح علينا بشيء، ثمَّ فتح علينا فقلت له: هَلُمَّ فكُلْ، فقال: قد عَقدتُ مع الله عقداً أن لا أتناول بواسطة، فقلت: يا غلام، دققت، فقال: يا أبا إسحاق، لا تَتَبَهْرَج، فإنَّ الناقد بصير، مالك والتوكُّل، إنَّ أدنى أحواله أن تَرِدَ عليك مواردُ الفاقات، فلا تسمو نفسُك إلَّا إلى مَن له الكفايات، وفارقني.

[ذكر قصَّته مع الشيطان:

حكى السُّلميُّ عن إبراهيم] قال: كنتُ بالبادية فنمتُ على حجر، وإذا بشيطان قد رَفَسَني برجله وهي مثل الحربة[١]، فقال: أنت وليّ الله فمن أنت؟ قلت: إبراهيم الخوَّاص، قال: صدقت، ماضرَّتْك رجلي وقد يَبِست، ثمَّ قال: معي حلال وحرام؛ أمَّا الحلال فرُمَّان الجبل المباح، وأمَّا الحرام فمَرَرْتُ على صيَّادَين يصيدان السمك، فتخاونا، فأخذتُ التي تخاونا فيها، فكُلْ أنت الحلال ودع الحرام لي.

[ذكر قصَّته في صيد السمك:

حكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: طلبتُ الحلال، فخرجتُ إلى دجلة ومعي شَبكة، فجلستُ أصيد السَّمك، فوقعت في الشبكة سمكةٌ، فأخذتها، ثمَّ أخرى وأخرى، فهتف بي هاتف: لم تجد مَعاشاً إلَّا أن تأتي إلى مَن يذكرنا فتقتله؟! [قال:] فرميتُ الشَّبكة، وتبتُ إلى الله تعالى من الصَّيد[٢].

[ذكر قصَّته مع الجن والشابِّ:

حكى ابن خَميس في «المناقب» عن إبراهيم] قال: حججتُ مرَّة مع أصحابي، فعارَضَني عارضٌ من سرِّي: خذ في غير الجادَّة، ففعلتُ، ومشيتُ ثلاثة أيام بلياليها في بَرِّيَّة خضراء، فيها من كلِّ الرَّياحين والثِّمار، وفي وسطها بُحيرةٌ ماؤها أطيبُ ماء وأعذبُه، فوقفتُ مفكِّراً في حُسنها، وإذا بنَفَرٍ قد حفُّوا بي، وعليهم المُرَقَّعاتُ الحِسان، فسلَّموا عليَّ، وسيماهم سيما الآدميين، ووقع لي أنَّهم من الجنِّ، فقلت: مَن أنتم؟ فقالوا: نحن من الجنّ الذين سمعوا من محمد ﷺ القرآنَ ليلة الجنِّ، فسَلَبْتَنا نَغمةُ

(١) في (خ): الخرقة، والمثبت من (ف).

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٤٧١.

كلام الله جميعَ أمور الدُّنيا، وقد قيَّض الله لنا هذه البريَّة؛ نسيح بها، ونشرب من ماء هذه البحيرة، ونأكل من هذه الثمار.

قلت: فكم بيني وبين المكان الذي فارقتُ فيه أصحابي؟ فتبسَّم بعضُهم، وقال: يا أبا إسحاق، لله أسرار وعجائبُ، إنَّ هذا المكان الذي أنت فيه لم يَحضره آدميٌّ قبلك إلَّا شابٌّ من أصحابكم السيَّاحين، وصل إلى ها هنا فتوفِّي، وذاك قبرُه على شاطئ البحيرة وحوله رياحين، كنَّا ليلةً قعوداً على جانب البحيرة نتذاكر المحبَّة، فإذا بشابٍّ قد وقف علينا، فسلَّم، فرددنا عليه السلام، وقلنا: مِن أين؟ قال: من نَيْسابور، قلنا: ومتى خرجتَ منها؟ قال: منذ سبعة أيام، أزعَجتْني آية وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر: ٥٤] قال: فقلنا [له:] فما معنى الإنابةِ والتسليم والعذاب؟ فقال: أمَّا الإنابة: أن ترجع منك إليه[(١)]، وأمَّا التسليم: فالاستسلام له، وأمَّا العذاب: فعذاب الفراق، ثمَّ صاح ومات، فوارَيْناه.

قال إبراهيم: فقمتُ إلى قبره وإذا عند رأسه طاقَةُ نَرْجِس كأنَّها رَحَى [عظيمة] وعلى القبر مكتوب: هذا حبيب الله قَتيلُ العَبْرة[(٢)]، وعلى وَرَقةٍ منها مكتوب: هذه صفةُ الإنابة، فسألوني أن أفسِّر لهم ما على ورقة النَّرْجِس مكتوب، ففسَّرتُه، فوقع الطَّرب فيهم، فأُلقي عليَّ النُّعاس، فنمتُ، وانتبهتُ وإذا أنا قريبٌ من مسجد عائشة ﵂، وإذا في وِطائي طاقةُ نَرْجِس أو رَيْحان، فبقيتْ معي سنة لم تتغيَّر، ثمَّ فقدتُها.

[ذكر قصَّته مع الشاب وأخته:

حكاها عنه في «المناقب» أيضاً] قال: تهتُ في البادية عن الطريق ـ وكانت ليلةً مُقمرة ـ فلَجَجتُ في البريَّة، وإذا بصوتٍ ضعيف يقول: إليَّ يا أبا إسحاق إليَّ، فإنِّي سألتُ الله أن يُحضِر وفاتي وليًّا من أولياء الله[(٣)]، وأرجو أن يكون قد فعل.

[قال:] فجئتُ إليه، وإذا بشابٍّ من أحسن الشباب، مَطروح وحوله رياحين كثيرة، فسلَّمتُ عليه فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، فقلت: من أين أنت؟ فقال: من شِمْشاط، كنتُ بين أهلي في عزٍّ ورفاهيةِ عيش، فخطر بقلبي السَّفَر، فخرجتُ، وقد

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٤٧٩: أن يرجع بك إليه.

(٢) في مناقب الأبرار: الغيرة.

(٣) في (ف م١): أن يحضر وقت وفاتي ولياً من أوليائه، والمثبت من (خ).

وقعتُ هاهنا، قلت: ألك أهل؟ فقال: نعم، والدان وإخوة وأخوات، قلت: فهل خطروا في سرِّك؟ قال: لا إلَّا اليوم، لمَّا أيقنتُ بالموت أحببتُ أن أشمَّهم، ولي أختٌ صالحة أحب أن أشمَّها، وهذه الرَّياحين التي حولي جاء بها إليَّ الوحوشُ وبكوا عندي.

قال إبراهيم: فتحيَّرت في أمره(١)، ووقع الشابُّ على سرِّي، وإذا بحيَّةٍ عظيمة قد أقبلت، وفي فيها طاقةُ نَرْجِس دورها ثلاثة أذرع، فنطقت الحيَّة وقالت: يا إبراهيم، اعدِلْ بسرِّك عن الشابِّ فإنَّ الحقَّ غيور، فصحت صيحة [عظيمة] وغُشي عليَّ، فما أفقتُ إلَّا والشابُّ قد قضى، قلت: كيف أعمل؟ [مالي] مَن يساعدني عليه، وأين الماء [وأين] الكَفَن؟ فأُلقي عليَّ النُّعاس، فما أَفَقْتُ إلا بحرِّ الشمس، وإذا بي على الجادَّة.

فلمَّا قضيتُ الحجَّ ورجعت قلت: لابدَّ من المضيِّ إلى شِمْشاط، والسؤالِ عن الشابِّ وأهلِه، [قال:] فمضيتُ إليها، فلمَّا بلغتُ إلى المصلَّى إذا بنسوة عليهنَّ المرقَّعات قد أقْبَلْنَ، وبينهنَّ امرأةٌ أشبهُ النَّاس بالشابِّ، فنادتني: يا أبا إسحاق، أنا في انتظارك منذ أيام، حدِّثني حديثَ أخي وقُرَّةِ عيني وثمرةِ فؤادي، فحدَّثتُها حديثَه، فلمَّا بلغتُ إلى قوله: أريد أن أشَمَّهم، قالت: هاه، بلغ الشمّ الشمّ، ثمَّ وقعت ميتة، فقلن النِّساءُ: جزاك الله عنها خيراً، فلقد أرَحْتَها ممَّا كانت فيه، وكان هناك رِباط فيه نساء، فخَرَجْنَ فوَلِين أمرَها، ولم يبق في البلد أحدٌ إلَّا شهد جنازتها(٢)، ثمَّ أقمتُ عند قبرها شهراً وانصرفت.

[حديث إبراهيم مع الحيَّات:

حكى ابن باكويه عن] حامد الأسود قال: خرجتُ(٣) مع إبراهيم في سفر، فجئنا إلى موضع فيه حيَّات كثيرة، فجلسنا، فلمَّا بَرَد الهواء في الليل خرجت الحيَّات، فخفت [منها]، فقال [لي] إبراهيم: لا تَخَف واذكر الله، فذكرتُ، فذهبت الحيَّات، ثمَّ عادت

(١) في (ف م١): أمري.
(٢) في (خ): شهدها، والمثبت من (ف) و(م١).
(٣) في (خ): وقال حامد الأسود: خرجت، والمثبت من (ف م١). وهذا الخبر ذكره القشيري في رسالته ٣/ ١٦٤-١٦٥.

فقال: اذكر الله تعالى، فذكرتُ، فما زلنا كذلك إلى الصَّباح، وقمنا نمشي، وإذا بحيَّة عظيمة قد سقطت من وطائه، وقد تطوَّقت [به]، فقلت له: أما علمتَ بها؟ فقال: والله منذ زمان ما نمتُ أطيبَ من الليلة.

وقال حامد: خرجتُ معه في سفر، فنزلنا تحت شجرة، فجاء السَّبُع، فهربتُ منه وصَعدتُ إلى الشجرة، وبات السبع يشمُّ إبراهيم من قَرْنه إلى قدمه إلى الصَّباح، ومشينا، فأتينا آخر النهار إلى قرية، فدخلنا مَسجدَها، فوقع في الليل على وجهه بقَّةٌ، فانزعج منها، فقلتُ له: ما هذا؟! فقال: تلك حال كنتُ فيها مع الله، وهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

[حديث إبراهيم مع العقرب:

حكى ابن جَهْضم عن] المزيّن [قال:] كنتُ[1] عند إبراهيم، فدبَّت عقرب، فجعلت تلسعه في فخذه وهو صابر، فقمتُ لأقتلها فقال: دعها، كلُّ شيءٍ مُفْتَقر إلينا، ولسنا مُفْتَقرين إلى شيء.

[ذكر قصته مع النَّصْراني:

حكى أبو نعيم وغيره عنه] قال: دخلت[2] البادية، فصحبني رجل على وسطه زنَّار، فقلتُ: مَن أنت؟ قال: نصرانيّ أُريد صحبتَك، فمشينا سبعة أيام لم نأكل شيئاً، فقال: يا راهب الحنيفية، هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا، فقلت: يا إلهي، لا تَفْضَحْني مع هذا الكافر، وإذا بطبق عليه خُبزٌ وشواء، ورُطَب وكوز ماء، فأكلنا.

ومشينا سبعة أيام، فقلت: يا راهب النصرانية، هات ما عندك من الانبساط فقد [جعنا، وقد] وصلتْ إليك النَّوبة، فاتَّكأ على عصاه ودعا، وإذا بطَبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي، فتحيَّرتُ، وأبَيْتُ أن آكل، فألحَّ عليَّ وقال: كُلْ، فلم أفعل، فقال: طِبْ نفساً فإنِّي مُبشِّرُك ببِشارتين؛ إحداهما: أنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، والثانية: أنِّي قلت: اللهم إن كان لهذا العبد عندك خطر فافتح علينا

(١) في (خ): وقال المزين كنت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٤/ ٢٧ .

(٢) في (خ): وقال إبراهيم دخلت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٤/ ١٧٣ .

بطَبَقين، فهذا ببركتك، فأكلنا، وأحرم الرجلُ ودخل مكَّة مُحرِماً، فجاور معي سنة، وتوفِّي، فدفنتُه بالمعلَّى.

[حديث إبراهيم مع العجوز:

حكى ابن باكويه عن إبراهيم] قال: دخلتُ البادية[1] مرَّة، فنالتني فاقة شديدة، فلمَّا دخلت مكَّة دخلني إعجاب، فنادتني عجوز: يا إبراهيم، لا تعجب بنفسك فأنا كنتُ رفيقتك في البادية، ولم أكلِّمك خوفاً أن أُشغل سرَّك، فأخرِجْ عنك هذا الخاطر.

[حديث إبراهيم مع الفارس:

حكى الكتَّاني عن إبراهيم] قال: خرجتُ إلى الحجاز، فمشيتُ أيَّاماً، فعَطِشتُ وسقطت من العطش، وإذا بماء قد رُشَّ على وجهي، ففتحتُ عيني، وإذا بفارسٍ على فَرَسٍ أشهب، حسنِ الوجه، طيِّب الرائحة، فسقاني شَربةَ ماء، وقال: قمْ، فمشيتُ خطوات وإذا بالنَّخْل، فقال: هذه المدينة، اقرأ على رسول الله ﷺ منِّي السلام، وقل له: الخضر يقرِئك السلام.

[حديث إبراهيم مع السَّبُع:

حكى الكتاني عن إبراهيم] قال: رأيتُ في البادية شجرةً تحتها عينُ ماء، فجلستُ تحتها، وإذا بسَبُعٍ عظيم قد أقبل، فاستسلمتُ، فلمَّا قرب منِّي إذا به يعرج، فبرك بين يديَّ، ووضع يديه في حجري، وإذا هي مُنتَفخةٌ فيها قيح ودم، فأخذت عوداً، وشققت المكان، فخرجتْ منه شوكة، وسال ما كان فيها من الدَّم والقيح، وربطتُه بخرقة، فمضى وغاب ساعة، وعاد ومعه شِبلان يُبَصْبِصان، فألقى إليَّ رغيفاً ومضى[2].

[حديث المَشْعَل:

حكى ابن باكويه قال:] سألت امرأةٌ إبراهيم عن تغيُّرٍ وجدتْه في نفسها، فقال [لها]: تَفقَّدي، قالت: قد تفقَّدتُ[3] فما وجدتُ شيئاً، فقال لها: ولا ليلة المشعل؟ فقالت: الله أكبر، كنتُ أغزِلُ ليلةً فوق السطح، فانقطع خيطي، فمرَّ بي مشعلُ السلطان،

---

(١) في (خ): وقال دخلت البادية، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٣/ ١٨٤.

(٢) الرسالة القشيرية ٤/ ١٨٥-١٨٦، وما سلف بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٣) في النسخ: افتقدت، والمثبت من صفة الصفوة ١/ ٥٣١.

فغزلت في ضوئه خيطاً، ثمَّ نسجتُ الغزلَ ولبستُه قميصاً، وهو عليَّ [قائم]، ثمَّ قامت وخلعت القميص وقالت: إن أنا بعتُه وتصدَّقتُ بثمنه هل يرجع قلبي إلى الصَّفاء؟ قال: إن شاء الله تعالى.

[حديث إبراهيم مع الذي رآه يزحف:

حكى ابن باكويه عنه أنَّه قال:] رأيتُ[1] في البادية رجلاً يزحف زحفاً، فقلت له: من أين؟ فقال: من بخارى، ثمَّ رأيته في الطَّواف وهو يطوف زحفاً، فعجبت [منه]، فناداني: يا إبراهيم، أتعجب من قويٍّ يحمل ضعيفاً؟ قلت: لا يا حبيبي[2]: [من الطويل]

نعمْ تحملُ الأشواقُ والعِيْسُ ظُلَّعٌ ويمشي الهوى والنَّاقلاتُ قُعودُ

[حديث إبراهيم مع الكلب:

حكى ابن جَهْضَم قال:] كان إبراهيم جالساً في مسجده بالرَّيِّ، فسمع صوت الملاهي من بعض دور الجيران، فانزعج، وقام فخرج يقصد الدَّار التي سمع منها الصَّوت، فلمَّا بلغ طرف الزّقاق وثب عليه كلبٌ ونَبح عليه، فرجع [إبراهيم] إلى المسجد، وفكَّر ساعة، ثمَّ عاد وخرج، فقام الكلب إليه[3] وبَصْبَص بين يديه، فلمَّا وصل إلى باب الدَّار خرج منها شابٌّ، وقال: يا سيدي، كنتَ أرسلتَ بعض أصحابك ولا انزعجتَ، فبلَّغَ لك ما تريد، وتاب الشابُّ، وكسر الملاهي وتعبَّد، فسُئل إبراهيم عن سبب رجوعه وخروجه ثانياً فقال: كان بيني وبين الله عقد ولم أنتبه. فنبح عليَّ الكلب أوَّل مرَّة، فلمَّا عدتُ إلى المسجد ذكرتُه فاستغفرت الله منه، ثمَّ خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كلُّ من خرج إلى إقامة معروف أو تغيير منكر فتحرَّك عليه شيء من المخلوقات، فسببُه فساد عقدٍ بينه وبين الله تعالى، فإذا وقع الأمر على الصِّحَّة لم يتحرَّك عليك شيء، وكان الأمر على ما شاهدتموه.

---

(١) في (خ): وقال إبراهيم رأيت، والمثبت من (ف م١).

(٢) بعدها في (ف م١): فنشد هاهنا.

(٣) في (خ): عليه الكلب، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

[حديث إبراهيم مع الأعرابي:

حكى السلمي عن إبراهيم قال:] دخلت[١] البادية على التوكُّل، فإذا بهاتفٍ، فالتفتُّ، وإذا به أعرابي، فقال: يا إبراهيم، أنت تدَّعي التوكُّل، أقم عندنا حتَّى تصحَّ دعواك في توكُّلك، أما علمتَ أنَّ رجاءك لدخولك بلداً فيه أطعمة تحملك[٢]؟ اقطع رجاءك عن البلدان وتوكَّل.

ذكر نبذة من كلامه:

حكوه في «المناقب» وغيرها؛ حكى السلمي عنه أنَّه قال[٣]: مَن لم تبكِ الدُّنيا عليه لم تضحك الآخرةُ إليه[٤].

قال: المُتاجِر بغير رأس ماله مُفْلِس، والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل، والفقير في خَلَقَانه أحسن منه في جديد غيره.

وقال: ما هالَني شيءٌ إلا ركبتُه.

وقال: مَن ترك شَهوةً فلم يجد عوضَها في قلبه فهو كاذب في تركها.

وقال: المريد الصَّادقُ اللهُ تعالى مرادُه، والصِّدِّيقون إخوانُه، والخلوة بيتُه، والوحدة أُنْسُه، والنَّهار غمُّه، والليل سروره، والقرآن دليله، والبكاء [راحته]، والجوع إدامُه، والأيام مراحِلُه، والوَرَع طريقه، والزُّهدُ قَرينُه، والصبر شِعارُه، والرضى دِثارُه، والصِّدق مطيَّتُه، والعبادة مركبُه.

وقال: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يُلبسه الله من عزِّه، ويُقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين.

وقال: الفقر رداء المتقين، وجِلباب المرسَلين، ولباس المؤمنين، وجَمال العابدين، وسرور الزَّاهدين، ولذَّة الصَّابرين، ورأس مال الصِّدِّيقين، وغنيمةُ العارفين، وحصنُ المتَّقين.

---

(١) في (خ): وقال إبراهيم دخلت، والمثبت من (ف) و(م١).

(٢) قال الشيخ العروسي في شرحه للرسالة القشيرية ٣/ ٥٠ : تحملك، أي: على الإقامة فيه.

(٣) في (خ): ومن كلامه قال، والمثبت من (ف م١).

(٤) مناقب الأبرار ١/ ٤٦٧.

[وحكى السلمي أنَّه][1] كان جالساً يتكلَّم، فنزلت عليه الشمس في يوم حارٍّ، فقيل له: ألا تنتقل للفيء؟ فقال: [من الوافر]

لقد وَضَح السَّبيلُ إليك قَصْداً ... فما أحدٌ أرادك يَستدلُّ
فإنْ وَرَدَ الشتاءُ فأنت صيفٌ ... وإنْ وَرَدَ المَصيفُ فأنت ظِلُّ

وقال السُّلَمي: ومن محاسن شعره أيضاً: [من الطويل]

صَبرتُ على بعض الأذى خوفَ كلِّه ... ودافعتُ عن نفسي بنفسي فعزَّتِ
وجرَّعتُها المكروهَ حتَّى تدرَّبَتْ ... ولو جملةً جرَّعتُها لاشمأزَّتِ
ألا رُبَّ ذُلٍّ ساق للنَّاس عزَّةً ... ويا رُبَّ نفسٍ بالتعزُّز ذَلَّتِ
إذا ما مَدَدْتُ الكفَّ ألتمسُ الغنى ... إلى غير مَن قال اسألوني فشَلَّتِ[2]

ذكر وفاته رحمة الله عليه:

[حكى السلميُّ عن] يوسف بن الحسين الرَّازي قال: مرض[3] بعلَّة القيام في جامع الريِّ، فكان كلَّما دخل إلى السّقاية يغتسل ويتوضَّأ، ويصلِّي ركعتين، فدخل مرَّة ليغتسل فخرجت روحُه وهو في وسط الماء، فغسَّلتُه، وكفَّنتُه، وصلَّيتُ عليه، ودفنتُه، وكان يوماً عظيماً، وقيل: إنَّه مات سنة إحدى وتسعين ومئتين.

[وحكى السلمي عن] الكتَّاني قال: رأيت[4] في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، فأوَّل مَن خرج من عند الله أبو جعفر الدِّينوري، وكتابُه بيمينه وهو يضحك، ثمَّ خرج إبراهيم الخوَّاص، وكتابُه بيمينه وهو يدرُس القرآن رحمة الله عليه.

[وفيها توفي]

---

(١) في طبقات الصوفية ٢٨٤-٢٨٥، ومابين معكوفين من (ف) و(م١).
(٢) ينظر الرسالة القشيرية ٢/ ١٣٢، ٣/ ٢٩، وصفة الصفوة ٤/ ١٠١ والتدوين في أخبار قزوين ٢/ ٩٩-١٠٠، وطبقات الشعراني ١/ ٨٤.
(٣) في (خ): وقال يوسف بن الحسين مرض، والمثبت من (ف) و(م١) والخبر في طبقات الصوفية ٢٨٤.
(٤) في (خ): وقال الكتاني رأيت، والمثبت من (ف) و(م١)، والكلام في تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٧، وصفة الصفوة ٤/ ٧٩.

أحمد بن يحيى

ابن زيد بن سيَّار[1]، أبو العباس، الشَّيباني مولاهم، ثَعْلب النَّحْويُّ، إمام أهل الكوفة.

ولد سنة مئتين، [ولم يبلغ خمساً وعشرين سنة إلَّا وهو أوحد أهل زمانه.

وكان إماماً في اللغة والنحو، وهو مصنف كتاب «الفصيح» وغيره].

و[حكى الخطيب عنه أنَّه] قال: ما بلغت خمساً وعشرين سنة حتَّى أتقنت كتب الفرَّاء، فلم يبق منها مسألة إلَّا وقد عرفتها[2].

[قال:] وقال محمد بن عبد الرَّحمن الزُّهريُّ: كان بيني وبين أبي العبَّاس مودَّة أكيدة، فجئت أستشيره في الانتقال من المحلَّة لتأذِّي بالجيران، فقال لي: أبا محمد[3]، صَبرُك على أذى مَن يعرفك وتعرفه خيرٌ لك من استحداث مَن لا تعرفه.

و[حكى الخطيب عن] أبي بكر بن مجاهد قال: دخلتُ[4] على ثعلب، فقال لي: يا أبا بكر، اشتغلَ أهلُ القرآن بالقرآن ففازوا، وأهلُ الحديث بالحديث ففازوا، وأهلُ الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلتُ أنا بزيد وعمرو، فليت شِعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ قال ابن مجاهد: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام في تلك الليلة، فقال لي: يا ابن مجاهد، اقرأ على أبي العباس السلام عنِّي، وقل له: إنَّك صاحبُ العلم المستطيل؛ أراد أنَّ الكلام به يتَّصل ويستقيم، والخطاب به يكمل ويجمُل، وكلُّ العلوم مفتقرة إليه.

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ: بلغني أنَّ أبا العبَّاس كره الكلام في الاسم والمسمَّى، وقد كرهتُ ما كرهه أبو العبَّاس ورضيتُ به.

وقيل لإبراهيم الحربي: إنَّ ثعلباً مع فضله يلحن! فقال: قد كان أبو هريرة يكلِّم صبيانه بالنَّبَطيَّة.

---

(١) في النسخ: سنان، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٤٤٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٥ . ووقع في المنتظم ١٣/ ٢٤: يسار!! وانظر السير ١٤/ ٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٠٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٤٨ ، ومابين معكوفين من (ف م١).

(٣) في (خ م١): فقال لي أبا عبد الله، وفي (ف): أبا العباس، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٠ .

(٤) في (خ) وقال أبو بكر ابن مجاهد دخلت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٥-٤٥٦ .

[قال:] وقال ثعلب: دخلتُ على أحمد بن حنبل فقال لي: فيم تنظر؟ فقلت: في العربية، فقال: [من الطويل]

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يُغفل ما مضى ... ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيبُ
خَلَوْنا لَعَمر الله حتَّى تراكمت ... علينا ذنوبٌ بعدهنَّ ذنوبُ
ألا فلعلّ الله يَغفرُ ما مضى ... ويأذَنُ في توباتنا فنتوبُ

ذكر وفاته:

حكى الخطيب قال: مات ثعلب ببغداد[1] يوم السَّبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى [من هذه السنة]، ودُفن بمقابر باب الشام.

أسند عن جماعة منهم إبراهيم بن المنذر الحِزاميُّ وغيره، وروى عنه ابن الأنباري وغيرُه، وأدركه صَمَمٌ في آخر عمره.

[وقال الصولي:] خلّف ألفي دينار وأحداً وعشرين ألف درهم، وأملاكاً قيمتُها ثلاثة آلاف دينار، ولم يكن له وارث إلَّا ابن بنته فأخذ الجميع، وكانوا في ذلك الوقت يورِّثون ذوي الأرحام، واتَّفقوا على صدقه، وصلاحه، وأمانته، وثقته.

وكان يسمَّى فاروق النُّحاة لصدقه. ومن شعره: [من الوافر]

إذا ما شئت[2] أن تَبلو صديقاً ... فجرِّب ودَّه عند الدَّراهمْ
فعند طِلابها تبدو هَناتٌ ... وتُعرَفُ ثَمَّ أخلاقُ الأكارمْ

وله[3]: [من السريع]

بلَغتُ من عُمري ثمانينا ... وكنتُ لا آملُ خمسينا
فالحمدُ لله وشكراً له ... أن زاد لي عمري ثلاثينا

---

(١) في (خ): ذكر وفاته مات ببغداد، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٦.

(٢) في (ف م١): قال الخطيب: كان يسمى فاروق النحاة لصدقه وقد روى له الخطيب أشعاراً فقال بإسناده إلى إسحاق بن أحمد الكاذي قال: أنشدنا ثعلب إذا ما شئت، والمثبت من (خ)، والأبيات التي رواها الكاذي عن ثعلب هي الآتية: بلغت من عمري ثمانينا، كما في تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٦.

(٣) في (ف م١): وأنشد أيضاً.

فأسأل الله بُلوغاً إلى ... مرضاته آمين آمينا

قلت: وعلى ما ذكر من مولده ووفاته فقد عاش إحدى وتسعين سنة(١).

[وفيها توفي]

الحسين بن زكرويه القِرْمِطيُّ

[قد ذكرنا أنه استولى على الشام بعد أخيه،] ولمَّا قُتل أخوه أقاموه مقامه، فدعا إلى مثل ما كان يدعو إليه أخوه، فأجابه الأعراب وأهلُ البوادي، واشتدَّت شوكتُه، فجاء إلى دمشق، فصالحه أهلُها على مال دفعوه إليه، فانصرف عنهم إلى حمص، فتغلَّب عليها، وخُطب له على منابرها، وتسمَّى بالمهدي، ودخلها بعد أن أمَّنهم، ثمَّ سار إلى المعرَّة وحماة والثغور، فقتل أهلَها، وسبى النِّساءَ والأطفال، ثمَّ جاء إلى بَعْلَبَك فقتل عامَّة أهلها(٢)، ثمَّ صار إلى سَلَمْيَة، فحاربه أهلُها، ومنعوه الدُّخولَ إليهم، فوادعهم وأمَّنهم، ففتحوا له بابها، فدخلها، فبدأ ببني هاشم ممَّن كان بها، فقتلهم أجمعين، ثمَّ ثنَّى بأهلها وبصبيان المكاتب والدَّوابِّ والبهائم، فما خرج منها وبها عين تَطْرِف، ثمَّ صار إلى القرى يقتل ويسبي.

قال أبو الحسن المتَطَبِّب: بينا أنا بباب المحوّل ببغداد إذ جاءتني(٣) امرأةٌ بعد ما قُتل الحسين بن زكرويه(٤)، فقالت: أريد أن تُعالج جراحةً في كَتِفي، فقلت: [أنا رجل كحّال، و] ها هنا امرأة تعالج الجراحات، فانتظري مجيئها [فالساعة تجيء، قال:] ورأيتُها مَكروبة، فسألتُها عن سبب جراحها فقالت: قصَّتي طويلة، فقلتُ: حدِّثيني فقالت: كان لي ابن فغاب عني مدَّة طويلة، وخلَّف عليَّ أخواتٍ له، فاحتجتُ، فقيل لي: هو بالرَّقَّة، فخرجت خلفَه فلم أجده، ووقعتُ في عسكر القرمطي، وإذا به فيهم، فرآني فعرفني وعرفتُه، فمضى بي إلى منزله، وسألني عن أخواته فأخبرتُه، ثمَّ قال: دعيني من هذا، أخبريني ما دينُك؟ فقلت له: أما تعرفُني؟! فقال: كلُّ ما كنَّا فيه باطل،

---

(١) في (ف م١) بعد هذا: انتهت ترجمته والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله.

(٢) بعدها في (ف م١): فلم يجد فيها إلا اليسير، وفي الطبري ١٠/ ١٠٠ : حتى لم يبق منهم فيما قيل إلا اليسير.

(٣) في (ف م١): وحكي عن متطبب ببغداد بباب المحول يدعى أبا الحسن قال: جاءتني، والمثبت من (خ).

(٤) في الطبري ١٠/ ١٠٠ : بعدما أدخل القرمطي صاحب الشامة وأصحابه بغداد.

والذي نحن عليه الآن هو الحقّ، فأعظمتُ ذلك، فخرج وتركني، وبعث إليَّ بلَحْم وقال: اطبُخيه، فلم أمسَّه، ثمَّ عاد فرآه بحاله فطبخه بنفسه، فبينا نحن كذلك إذا برجل يطرق الباب ويقول: عندكم امرأة تُحسِن أن تُصلح أمرَ النّساء؟ فقال ابني: قومي معي، [قالت:] فقمتُ، فأدخلني داراً، وإذا بامرأةٍ تَطلُق، فقعدتُ بين يديها وهي لا تكلِّمني، وجعلتُ أكلِّمُها وهي ساكتة، فقال لي الرجل: أصلحي أمْرَها ودعي كلامَها، فوَلَدت غلاماً، وأصلحتُ شأنَه، وجعلتُ أتلطَّف بها وأقول: يا هذه، قد وجب حقِّي عليك، فأخبريني مَن والدُ هذا الغلام؟ فقالت: تسأليني عن أبيه ليُعطيك شيئاً؟ فقلت: لا، ولكن أحبُّ أن أعلم خبرَك، فقالت: أنا امرأةٌ هاشميَّة، وإنَّ هؤلاء القوم أتونا؛ فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعاً، ثمَّ أخذني رئيسُهم، فأقمتُ عنده خمسةَ أيام، ثمَّ أخرجني، فدفعني إلى أصحابه وقال: طهِّروها، فأرادوا قتلي، وكان بين يديه قائد فقال: هَبْها لي، فوهبني له، فنازعه فيَّ ثلاثة وقالوا: تكون بيننا أربعتنا وإلَّا قتلناها، فقال القرمطيُّ: تكون لأربعتكم - [وكانت جميلة] - فأخذوني، وأنا مع أربعتهم، فما أدري هذا الولد ممَّن هو منهم؟

قالت: وجاء الأربعةُ فجعلتُ أهنِّيهم، فأعطاني كلُّ واحدٍ سَبيكةَ فضة فيها ألف درهم، وضاعف لي مقدَّمهم العطاء.

[قالت:] فقلتُ للمرأة: قد وجب حقِّي عليك، وأريد منك خلاصي ووصولي إلى بناتي سالمة، فقالت: قومي إلى رئيسهم وسَليه ذلك، قالت: فقمتُ إليه وقلت: قد وجب حقِّي عليك، وقد أغنيتَني عن غيرك، ولي بناتٌ ضِعاف فقراء، فإن أَذِنتَ لي أن أمضي وأحضرهنَّ إلى خِدمتِك حتَّى يخدِمْنك، قال: أوَتفعلين ذلك؟ قلت: نعم، فدعا قوماً من غلمانه وقال: اذهبوا معها حتَّى تبلغوا بها موضع كذا وكذا، ثمَّ ارجعوا.

[قالت:] فحملوني على دابَّة، ومضَوا بي مقدار عشرة فراسخ، وإذا بابني يَركض خلفَنا، فقال: [يا] فاعلة، وشَتَمني وضربني بالسَّيف، فمنعه القوم، ولَحِقني ذُبابُ السيف في كتفي فجرحني، ثمَّ طردوه عنِّي، وأبلغوني المأمن وعادوا.

[قالت:] فلمَّا قدم أمير المؤمنين المكتفي بالقرمطيِّ ومعه الأسارى، خرجتُ لأنظر إليهم، وإذا بابني راكب على جملٍ عليه بُرنُس وهو يبكي وهو فتًى شابّ، فقلت له: لا

خفَّف الله عنك ولا خلَّصك.

قال المتطبّب: فجمعتُ بينها وبين المرأة التي تُداوي الجَرحى، فأبصرت جُرحها، فقلت لها بعدما انصرفت: كيف حالُ جُرحِها؟ فقالت: ما أراها تنجو منه؛ لأنِّي وضعتُ يدي على الجرح وقلت لها: انفخي فنفخت، فخرج الريحُ من جرحها من تحت يدي، ومضت المرأة فلم تَعُد إلينا [بعد ذلك اليوم.

فصل:] وفيها جهَّز المكتفي الجيوشَ لقتال الحسين بن زكرويه مع محمد بن سليمان الكاتب، وكان الحسين قد عاد من العراق إلى الشام، والمكتفي مقيم بالرَّقَّة، فالتقَوا بِتَمْنَع[1] بين حلب وحماة يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من المحرَّم، وكان القرمطيُّ قد قدَّم أصحابه وتخلَّف هو في جماعة منهم ومعه مالٌ، وجعل سوادَه وراءه، فالتحمت الحربُ بين القرمطيِّ ومحمد بن سليمان، فهزمهم محمد، وتفرَّقوا، وأَسر منهم خلقاً كثيراً.

فلمَّا رأى القرمطيُّ ما حلَّ بأصحابه حمَّل أخاً له مالاً، وأمره أن يلحق بالبادية؛ إلى أن يظهر في مكان فيصير إليه، وركب هو وابن عمّه المسمَّى بالمدَّثِّر، والمطوّق بالنور غلامه وكان روميًّا[2]، وأخذ دليلاً، وسار يريد الكوفة عرضاً في البرِّيَّة، حتَّى انتهى إلى موضع على الفرات يُعرف بدالية ابن طَوق، فنفد ما كان معهم من الزَّاد والعَلَف، فوجَّه إلى الدَّالية رجلاً اشترى لهم منها زاداً وعَلَفاً، فأنكروا زيَّه، فأخذوه إلى والي المكان، فتهدَّده[3] فأخبره أنَّ صاحب الشَّامة خَلْفَ رابيةٍ في ثلاث مئة نفر[4]، فجاء الوالي، فأخذهم وحملهم إلى المكتفي بالرَّقَّة لأربع خلون من المحرَّم، وهو راكبٌ على جمل، وبين يديه المدَّثِّر والمطوَّق.

---

(١) هي قرية من بلاد المعرة على الطريق الآخذة من حماة إلى حلب. المختصر في أخبار البشر ١/ ١٨٨.

(٢) في الطبري ١٠/ ١٠٨، والكامل ٧/ ٥٣٠: والمطوق صاحبه وغلام له رومي.

(٣) في (ف م١): فتهددوه فذكر أنه ابتاع رقيق (كذا؟!) فصل وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله، وبهذا سقطت أحداث السنة (٢٩٢ هـ)، ووضع للسنة (٢٩٣ هـ) عنوان: السنة الثانية والتسعون بعد المئتين، ثم تتابع ترقيم السنين بعدها.

(٤) في الطبري ١٠/ ١٠٩، والكامل ٧/ ٥٣١: في ثلاثة نفر.

ثمَّ إنَّ المكتفي خلَّف عساكره بالرقَّة مع محمد بن سليمان، وشخص إلى بغداد في خواصِّه وغلمانه، ومعه القاسم بن عبيد الله الوزير، وجماعةٌ مِمَّن أسر، ودخل بغداد والقرمطيُّ وأصحابُه بين يديه على الجمال، والقرمطيُّ على فيل، وفي في المطوَّق خشبةٌ مَخروطة شبه اللّجام؛ لأنَّه كان يشتم النَّاس، ثمَّ بنى لهم دكَّة عالية، ونُودي في بغداد من الجانبين: مَن أراد أن يحضرَ عقوبة القرمطيِّ فليحضر، فلم يتخلَّف أحد.

وكان مع القرمطيِّ سبعون أسيراً من أعيان أصحابه، وقيل: بل كانوا ثلاث مئة وعشرين، فعذَّبهم المكتفي بأنواع العذاب، فكان يقطع أيديهم وأرجلَهم من خِلاف وهم على وجوههم، فلمَّا فرغ منهم قدَّم المدَّثِّرَ فضُرب ألف سوط، وكذا المطوَّق وصاحب الشَّامة، وضُربت أعناقُهم، وصُلبت أبدانهم، ثمَّ أُحرقوا.

القاسم بن عُبيد الله الوزير

ولد سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين، ووَزَر للمعتضد والمكتفي، وكان شابًّا غِرًّا، قليلَ الخبرة بالأمور، مُستهلِكاً للمحارم، وإنَّما استوزره المكتفي لأنَّه أخذ له البَيعة، وحفظ عليه الأموال، وهو الذي قتل بَدْراً المعتضديّ.

وكان جباراً ظالماً سفَّاكاً للدِّماء، لا ينام أحد إلَّا وهو على وَجَلٍ منه، وهو الذي حمل المكتفي على قتل عبد الواحد بن الموفَّق؛ ما زال يقول: إنَّه يَروم الخلافة حتَّى قتله، وبان بعد ذلك للمكتفي أنَّه ما كان يروم الخلافة، وأنَّه كان مَشغولاً باللهو، وكان عبد الواحد يتمثَّل بقول العَتَّابي: [من الطويل]

ذَريني تَجئني ميتتي مُطمئنَّة ... ولم أتجشَّم هولَ تلك المواردِ
فإنَّ نَفيساتِ الأُمور مُناطةٌ ... بمُستودَعاتٍ في بطون الأساوِدِ
وإنَّ الذي يسمو إلى دَرَك العُلى ... مُلَقًّى لأسباب الرَّدى والمكائدِ

فقال المكتفي: قاتلهم الله، قد قلنا لهم إنَّه ما له في الملك أَرَب فلم يسمعوا[1].

وكانت وفاةُ القاسم في ذي القعدة.

وقال الصُّولي: ومن العجائب التي رأيتُها أنَّنا كنَّا نُبكِّر إلى عيادة القاسم كلَّ يوم، فدخلنا يوم الأربعاء الذي توفِّي فيه لستٍّ من ذي القعدة دارَه، فرأينا ابنَيْه أبا عليٍّ وأبا

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

جعفر قد خرجا، فقام النَّاس لهما، ودنا العبَّاس بن الحسن[١] بن أبي أحمد إليهما فقبَّل يديهما، ومات القاسم في بقيَّة اليوم، وخُوطب العبَّاس بالوزارة بإشارة القاسم، فخرج الولدان جميعاً فقبَّلا يده، وكان مَغَلُّ القاسم في كلِّ سنة سبع مئة ألف دينار.

ولما مات فرح النَّاس بموته، وأظهروا الشَّماتة به، فقال [عبد الله بن] الحسن بن سعد[٢] : [من المتقارب]

شَرِبْنا عشيَّةَ مات الوزيرُ ونَشربُ يا قوم في ثالثِهْ
فلا قدَّس الله تلك العظامَ ولا باركَ الله في وارثِهْ

وكان القاسم قد مرض في رمضان، ودام مرضُه، فاستخلف ابن أخيه عبد الوهاب ابن الحسن بن عُبيد الله، فكان يدخل على المكتفي، فاعترض يوماً عليه، فلمَّا خرج من عنده تمثَّل المكتفي: [من الطويل]

ولَمَّا أبى إلَّا جماحاً فؤادُهُ ولم يسْلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلِ
تسَلَّى بأُخرى غيرِها فإذا الذي تسَلَّى بها تُغري بلَيلى ولا تُسلي[٣]

محمد بن أحمد

ابن البراء بن المُبارك، أبو الحسن، العَبْديُّ.

كان فاضلاً، سمع عليَّ بن المدينيّ وطبقتَه، وروى عنه المَحامليُّ وأقرانُه، وكانت وفاته ببغداد.

جرى بينه وبين القاضي إسماعيل بن إسحاق شيءٌ، فعزم إسماعيلُ على الرُّكوب إليه، فبادره العبديُّ وأنشد: [من الطويل]

صَفَحتُ ابنَ عمِّي فيك[٤] صَفْحَ ضَرورةٍ إليكَ وفي قلبي نُدُوبٌ من العَتْبِ

---

(١) في (خ): الحسين، والمثبت من المنتظم ١٣/ ٢٨.

(٢) في (خ): فقال الحسن بن معبد، والمثبت من مروج الذهب ٨/ ٢٢٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٢، والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٣٠.

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٧، وانظر تاريخ الإسلام ٦/ ١٠٠٠.

(٤) في تاريخ بغداد ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٦، والمنتظم ١٣/ ٢٨: صفحت برغمي عنك، وانظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ١٠٠٨.

فأنشد إسماعيل: [من الطويل]

ولا زال بـي شَـوقٌ إلـيـك مُـبـرِّحٌ يُـذلِّـل منِّي كـلَّ مُـمْـتَـنِـعٍ صَـعْـبِ

محمد بن محمد بن إسماعيل

ابن شدَّاد، أبو عبد الله، الأنصاريُّ، ويُعرف بالجُذُوعيّ.

كان صالحاً، ورِعاً، دَيِّناً، ثقةً، توفِّي ببغداد في جمادى الآخرة، حدَّث عن عليِّ بن المدينيّ وغيرِه، وروى عنه المحامليُّ وغيرُه.

وقال محمد بن [علي بن الخلال] البصريُّ: أُدخل الشهودُ والقضاةُ بمدينة السلام على المعتمد لِيَشهدوا عليه في دَين كان اقترضه عند الإضاقة، وأنفقه على صاحب الزَّنْج، فلمَّا مَثُلوا بين يديه، قرأ عليه إسماعيلُ بنُ بلبل الكتابَ، وقال: تشهد الجماعة على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فشهد واحدٌ بعد واحد، حتَّى بلغ الأمر إلى الجُذُوعيِّ، فأخذ الكتاب بيده وقال: أشهد عليك؟ قال: نعم، قال: لا يصحُّ حتَّى تقول: اشهد، فقال: اشهد.

ثمَّ خرجوا، فقال المعتمد: مَنْ هذا؟ قالوا: القاضي الجُذُوعيّ، قال: أبطَّال هو أم عمَّال؟ قالوا: بطَّال، قال: مثل هذا لا يكون بطَّالاً، فقلَّده القضاء على واسِط، فصار إليها، وكان بها الموفَّق، فاحتاج يوماً إلى مشاورة القاضي، فقال: استَدعُوه، فاستدعَوْه، فجاء وعلى رأسه دَنِّيَّة طويلة[1] ـ وكان قصيرَ العُنُق ـ فدخل دِهليز الموفَّق، فالتقاه غلامٌ وهو مَخمور، وكان مكيناً عند الموفَّق، فوضع يده على قَلَنْسُوةِ القاضي وكبسها، فغاص رأسُه فيها.

ومضى الغلام، فجلس الجُذُوعي موضعَه، وعمد غلامُه ففتقها وأخرج رأسَه منها، فثنى ردَاءه على رأسه، وعاد إلى داره، وأحضر الشُّهود، وسلَّم إليهم قِمَطرَ القضاء، وصرفَهم وأغلق الباب.

وطال على الموفَّق انتظارُه، فأرسل وراءه، فلم يَخرج من داره، وحدَّثوا الرسول بالقصَّة، فجاء فأخبر الموفَّق، فاستدعى صاحبَ الشرطة وقال له: جرِّد الغلامَ،

---

(١) شرحها محقق نشوار المحاضرة ٢/ ٢٦ أنها عمامة تشبه الدن يتقلدها القضاة.

واحملْه إلى باب القاضي، واضربه ألف سوط، وتوعَّدَه إن لم يفعل.

وكان والد الغلام من جِلَّة القوَّاد، ومحلُّه منهم محلُّ مَن لو همَّ بالعصيان لأطاعه الجيش، فلم يقل شيئاً، وجاء القوَّاد إليه وقالوا له: مُرْنا بأمرك، وترجَّلوا ووقفوا بين يديه، فقال والد الغلام: الأميرُ الموفَّق أشفقُ عليه منِّي، فمشى القوَّاد بأسرهم مع صاحب الشُّرطة والغلام إلى الجُذُوعيِّ، وشفعوا إليه وتضرَّعوا وسألوه، فقال لصاحب الشرطة: لا تضربه، فقال: لا بُدَّ، وما أتجاسَرُ أن أخالِفَ الموفَّق، فركب الجُذُوعيُّ إلى دار الموفَّق، وسأله في الغلام فقال: لا بُدَّ من ضربه، فقال: الحقُّ لي، وقد وهبتُه. فسكت الموفَّق، وعاد الجُذُوعيُّ إلى بغداد(١).

هارون بن موسى بن شَريك

أبو عبد الله، التَّغلِبيُّ، الأخْفَش، المُقرئُ، النَّحْويّ، الشاميُّ.

ولد سنة مئتين، سمع هشامَ بنَ عمَّار وطبقتَه، وكان إماماً في كلِّ فنٍّ وفي القراءات.

قال: دخلنا على أبي مسْهر الغسَّانيِّ نعوده، فقال: [من الطويل]

يَسُرُّ الفتى ما كان قدَّم من تُقًى ... إذا نزل الدَّاءُ الذي هو قاتلُهْ

ولَمَّا مات الأخفشُ جلس مكانه محمد بن نُصير بن أبي حَمْزة، وهذا هو الأخفش الشاميُّ، أمَّا الأخفش البصريُّ فاسمه سعيد بن مَسْعدة، وثَمَّ أخفشُ ثالث نذكره سنة خمس عشرة وثلاث مئة(٢).



(١) نشوار المحاضرة ٢/ ٥٢ ـ ٢٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩، والمنتظم ١٣/ ٣٠ ـ ٣٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٦٢ ـ ١٠٦٣ وقد ذكرا أنه توفي سنة اثنتين وتسعين ومئتين. وينظر النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣.

السنة الثانية والتسعون بعد المئتين[١]

فيها في صفر سار محمد بن سليمان إلى مصر لحرب هارون بن خُمارويه، وخرج إليه هارون في القوَّاد، وجرت بينهم وَقعات، ثمَّ وقع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبيَّة، فاقتتلوا، فخرج هارون يُسكِّنهم، فرماه بعضُ المغاربة بسهم فقتله، وتفرَّقوا، فدخل محمَّد بن سليمان مصر، واحتوى على دُور آل طولون وأسبابِهم، وأخذهم جميعاً وكانوا بضعة عشر رجلاً، فقيَّدهم وحبسهم واستصفى أموالَهم، وكتب بالفتح إلى المكتفي.

وقيل: إنَّ محمدَ بنَ سليمان لَمَّا قَرُب من مصر أرسل إلى هارون يقول: إنَّ الخليفة قد ولَّاني مصرَ، ورسَمَ أن تسير بأهلك وحَشَمك إلى بابه إن كنتَ مُطيعاً، وبعث بكتاب الخليفة إلى هارون، فعرضه على القوَّاد، فأبَوْا عليه، فخرج هارون، فصاح: المكتفي يا منصور، فقال القوَّاد: هذا يُريد هلاكَنا، فدسُّوا خادماً فقتله على فراشه، وولَّوْا مكانه عمَّه شيبان بن أحمد بن طولون، ثمَّ خرج شيبان إلى محمد مُستأمِناً.

وكتب الخليفة إلى محمد بن سليمان في إشخاص آل طولون وأسبابهم والقوَّادِ، وأن لا يترك أحداً منهم بمصر ولا الشام، فبعث بهم إلى بغداد، فحُبسوا في دار صاعد.

وفي جمادى الأولى زادت دِجلة زيادةً عظيمة حتَّى تهدَّمت الدُّور والقصور التي على شاطئيها، وبلغت الزيادةُ إحدى وعشرين ذِراعاً، وخربت بغداد، ولم يُرَ مثل هذه الزيادة.

وفي رمضان غلب قائد من قوَّاد مصر يقال له: الخَلَنْجيُّ[٢]، كان قد تخلَّف عن محمد بن سليمان في أطراف مصر، فاستمال جماعةً من المصريِّين مِمَّن يحبُّ الفتنةَ، وكان النوشريُّ عاملَ المعونة بمصر[٣]، فأخرجه الخلنجيُّ إلى الإسكندرية، واستولى على مصر.

---

(١) في هذه السنة والتي تليها تأخير وتقديم في (ف م١)، وما يرد بين معكوفات منهما.

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ١١٩ : الخليجي، وفي مروج الذهب ٨/ ٢٣٦ : ابن الخليجي.

(٣) في (خ): وكان النوشري عامل لمعاوية بمصر. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ١١٩ ، والكامل ٧/ ٥٣٦ ، وينظر تاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٤ ـ ٨٦٥ .

وفيها قدم بغداد بدر الحماميُّ الحاكم على مصر والشام، وهو الذي قتل القرمطيَّ، فتلقَّاه أرباب الدَّولة، وخُلع عليه وعلى ابنه(١)، وطُوِّق بدر وسُوِّر، وقيِّدت بين يديه خيلُ الخليفة جنائبَ، وحمل إليه مئةُ ألف درهم.

وجهَّز المكتفي فاتكاً مولى المعتضد لمحاربة الخَلَنْجيِّ، وضمَّ إليه بدراً الحماميَّ، وأمره أن لا يخالف بدراً، وجهَّزه في جيش كثيف، فخرجا من بغداد في شوَّال.

وفيها وافت بغداد هديَّةُ إسماعيل بن أحمد والي خراسان، فكان فيها ثلاث مئة جمل، عليها صناديق فيها المسكُ والعنبرُ والثِّياب [من] كلِّ لون، ومئةُ غلام وغيرُ ذلك.

وتوفِّي القاضي أبو خازم، فنُقل أبو عمر محمد بن يوسف من مدينة المنصور إلى قضاء الشرقيَّة، وقلِّد عبدُ الله بن عليّ بنِ أبي الشَّوارب قضاءَ مدينة المنصور.

وقَدِم طُغْج وجماعةٌ من الشَّاميين والمصريين فخلع عليهم المكتفي وأنزلهم.

وفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلت من رجب، ولتسع عشرة من أيَّار طلع كوكب الذَّنَب في الجوزاء، وكان له طول عظيم دقيق(٢).

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك الهاشميُّ.

[فصل] وفيها توفي

إبراهيم بنُ عبد الله

ابن مسلم، أبو مسلم، الكُجِّيُّ(٣) البَصْريُّ.

ولد سنة مئتين، ورحل وسمع الكثير، وكان حافظاً متقناً.

[قال الخطيب:] قدم بغداد، فكان يُملي برَحْبةِ غسَّان، ويُملي على سبعة، كلُّ واحد منهم يبلِّغُ الذي يليه، ويكتب النَّاسُ عنه قياماً بأيديهم المحابر، ومُسِحَ المكان الذي

(١) في (خ): ابنيه، وفي (ف): أبيه، والمثبت من (م١)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة ٣/ ١٥٦.

(٢) في المنتظم ١٣/ ٣٣: وطلع كوكب الذنب وقت المغرب لعشر خلون من رجب في آخر برج الحوت، وفي الكامل ٧/ ٥٣٧: في العشرين من أيار طلع كوكب له ذنب عظيم جداً في برج الجوزاء.

(٣) بعدها في (ف) و(م١): ويقال الليثي. وهو تحريف عن الكشي، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٣٧، والمنتظم ١٣/ ٣٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩١١، والكامل ٧/ ٥٣٧.

كانوا قياماً، فكان فيه نيِّف وأربعون ألفَ مِحْبَرة سِوى النَّظَّارة [قال:] وتوفي ببغداد لسبع خلون من المحرَّم، وله اثنتان وتسعون سنة، وحُمل إلى البصرة فدُفن بها.

سمع محمد بن عبد الله الأنصاريَّ وخلقاً كثيراً، وروى عنه البغويُّ وخلقٌ كثير.

واتَّفقوا على صدقه وثقته.

وكان قد نذر أنَّه إذا حدَّث تصدَّق بألف دينار(١)، فلمَّا فرغوا من سماع السُّنن عليه، عمل مأدُبةً للمحدّثين، أنفق فيها ألف دينار.

وقال: شهدتُ اليوم على رسول الله ﷺ فقَبل قولي، ولو شَهِدتُ وحدي على دَسْتَجة(٢) بَقْلٍ لاحتجتُ إلى شاهد آخر يشهد معي، أفلا أصنع شكراً لله تعالى.

وكان جواداً مُمدَّحاً؛ مدحه البحتريُّ بقصائد منها: [من الخفيف]

ولعمري لئن دعوتكَ بالجو ... دِ لَقِدْماً لبَّيتني بالنَّجاحِ
خُلُقٌ كالغمامِ ليس له بَرْ ... قٌ سوى بِشْرِ وَجْهِك الوضَّاحِ
ارتياحاً للطَّالبين(٣) وبَذْلاً ... والمعالي للباذلِ المُرْتاحِ

وحكى الصُّوليُّ عن الكجِّيِّ أنَّه سمع شعراً(٤) من بعض الجنِّ في الحمَّام بالبصرة، ثمَّ سأل الحمَّاميَّ فقال: نعم، هذا جِنِّيٌّ يتراءى لنا في كلِّ وقت، وينشد: [من الخفيف]

أيُّها المُذنِبُ المفرِّطُ مَهْلاً ... كم تمادى وتركبُ الذَّنبَ جَهْلا
كم وكم تُسْخِطُ الجليلَ بفعلٍ ... سَمِجٍ وهْو يُحسن الصُّنع فعلا(٥)
كيف تَهدا جفونُ مَن ليس يدري ... أَرَضي عنه مَن على العرش أم لا

إدريس بن عبد الكريم

أبو الحسن، الحدَّاد المُقرئ.

ولد سنة تسع وتسعين ومئة، ومات ببغداد يوم الأضحى وهو ابنُ أربع وتسعين سنة.

---

(١) الذي في تاريخ بغداد ٧/ ٣٧، والمنتظم ١٣/ ٣٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩١٢: بعشرة آلاف درهم.

(٢) الدَّسْتَجة: الحزمة، تاج العروس.

(٣) في (خ): للنادلين، والمثبت من ديوانه ١/ ٤٥٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٩.

(٤) في (خ): وسمع الكجي شعراً، والمثبت من (ف) و(م١).

(٥) في (ف): وهو يحسن الصنيع يجزيك فعلاً، وفي (م١): وهو يحسن إليك أبداً فضلاً، والمثبت من (خ).

سمع الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيرَه، وروى عنه ابنُ الأنباريِّ وغيرُه.

وسئل عنه الدَّارقطنيُّ فقال: هو ثقةٌ وفوق الثِّقة بدرجات.

وقال ابنُ مِقسم: كنت عند أبي العبَّاس أحمدَ بنِ يحيى إذ جاءه إدريس الحدَّاد، فأكرمه وحادثه ساعةً ـ وكان إدريسُ قد أسنَّ ـ فقام وهو يتساند، فلَحَظَه أبو العبَّاس وقال: [من الطويل]

أرى بصري في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... يَكِلُّ وطَرفي عن مَدَاهُنَّ يَقْصُرُ
ومَن يَصْحَبِ الأيامَ تسعين حِجَّةً ... يُغيِّرْنَه والدَّهرُ لا يتغيَّرُ
لَعَمري لئن أصبحتُ أمشي مُقيَّداً ... لما كنتُ أمشي مُطْلَقَ القَيْدِ أكثرُ[1]

القاضي أبو خازم

عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الحميد، السَّكونيُّ، الإمام، الفاضل، الورع[2].

أصله من البصرة، وسكن بغداد، وولي القضاء على مدينة السَّلام وغيرِها.

وكان عراقيَّ المذهب، عاقلاً، عَفيفاً، ثقةً، أديباً، وولي قضاء دمشق والأردن وفلسطين في أيَّام أحمد بن طولون، وولي الكوفة.

وقال ابن حَبيب الذَّارع: كنَّا ونحن أحداث نُقعد أبا خازم قاضياً ونتحاكم إليه، فما مضت الأيامُ والليالي حتَّى صار قاضياً.

وكتب إليه عُبيد الله الوزير بسبب ضيعة مجاورة لضياعه أن يبيعها على اليتيم، فكتب إليه أبو خازم: إن رأى الوزير أن يجعلني أحدَ رجلين؛ إمَّا رجلاً صِيْن الحكمُ به، أو صِيْن الحكمُ عنه، فعل، فسكت ولم يعادوه.

وقال طلحة بن محمد بن جعفر: استقضى المعتضدُ أبا خازم على الشَّرقية سنة ثلاث وثمانين ومئتين، وكان أديباً، ورعاً، عالماً بمذاهب أهل العراق، والفرائض، والدُّور، والوصايا، والمناسخات، والجبر، والمقابلة، والمَحاضر، والسّجلَّات، وأمَّا عقله فلم يكن في زمانه من أبناء جنسه أعقل منه.

---

(١) سؤالات السهمي ٢٠٣، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٦٦ ـ ٤٦٨، والمنتظم ١٣/ ٣٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩١٦.
(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٨، والمنتظم ١٣/ ٣٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٧١، ومروج الذهب ٨/ ٢٣٦.

وأدَّب رجلاً فمات، فكتب إلى المعتضد: يا أمير المؤمنين، إذا كان المُرادُ من التأديب مصلحةَ المسلمين؛ فدِيةُ هذا الرجل في بيت المال، فأمر المعتضد بحمل الدِّية إلى وَرَثة الميت.

وقال عبد الواحد بن محمد الخَصيبي: بلغ من شدَّة أبي خازم في الحكم أنَّ المعتضدَ وجَّه إليه بطَريف المَخْلدي يقول: إنَّ لي على الضُّبعي مالاً من بيع، وقد بلغني أنَّ غُرماءه أثبتوا عندك ديونَهم، وقد قسَّطتَ لهم من ماله، فاجعلني كأحدهم، فقال: قل لأمير المؤمنين: إنَّه لَمَّا قلَّدني هذا الأمر أخرجه من عُنقه وجعله في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم بغير بيِّنة.

فرجع إليه طريف فأخبره، فقال المعتضد: قل له: فلان وفلان يشهدان، لرجلين كانا جَليلين في ذلك الوقت، فقال: إذا شهدا عندي سألت عنهما، فإن زُكِّيا قبلتُ شهادتهما، وإلَّا أمضيتُ ما ثبت عندي، فامتنع أولئك الرجلين من الشَّهادة؛ خوفاً من القاضي، ولم يعطِ المعتضد شيئاً.

وأُثني على قاضٍ عند أبي خازم بالعِفَّة، فقال: قبَّح الله زماناً صار القاضي يُوصف فيه بالعِفَّة، إنَّما يوصف بالعِّفَّة صاحبُ الشرطة لا القُضاة.

وقال وكيع القاضي: كان المعتضد قد أخذ أراضي من أوقاف الحسن بن سهل، فأدخلها في قصره المعروف بالحسني، فلمَّا جاء رأس السَّنَة أرسلني إلى المعتضد أطلب منه الأجرة، وقال لي: قل للخادم: إنَّما جئتُ في مهمٍّ، ففعلتُ ما أمرني به، فدخل الخادم على الخليفة وأخبره، فظنَّ أنَّه قد حدث أمرٌ، فأحضرني وقال: هي[1]، وَتشَوَّفَ إلى سماع كلامي، فقلت: يا أمير المؤمنين، براءةُ الذِّمَّة عند الله عظيمة، قال: وما هو؟ فأخبرتُه، فقال: أصاب عبد الحميد، فجزاه الله خيراً حيث عرَّفني بهذا، يا غلام، هاتِ الميزان، فأحضرَ الدنانير، ووزن أربع مئة دينار وقال: اشكر عبد الحميد.

وجاءه رجل فقال: يا أبا خازم، إنَّ الشيطان قد شوَّش عليَّ، يأتي إليَّ كلَّ ساعة ويقول: قد طلَّقتَ زوجتك، وأنا في عَناء معه، فغافَلَه القاضي ساعة، واشتغل عنه بالخصوم، ثمَّ التفت إليه وقال: قمْ فاكتُبْ براءةَ امرأتك، قال: ولِمَ؟! قال: لأنَّك

(١) في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٠: هيه، وكلاهما يراد به الاستزادة من الكلام.

طلَّقتَها، فقال: أيُّها القاضي، خَفِ الله، فوالله وتالله وبالله، وحلف بالأيمان المغلَّظة أنَّه ما طلَّقها، فقال له: إذا جاءك الشَّيطان فاحلِفْ له مثل هذه اليمين وقد خلصتَ منه.

ومن شعره: [من المتقارب]

ومن سافكٍ لدمي مُستَحِلّ ... يُدِلُّ فيا حبَّذا من مُدِلّ
إذا ما تعزَّز قابلتُه ... بذُلٍّ وذلك جُهْدُ المُقِلّ

ولَمَّا احتُضِرَ جعل يبكي ويقول: يا إلهي، مِنَ القضاء إلى القبر؟!

وتوفِّي ببغداد في رجب، وقيل: بالكوفة، وله خمس وسبعون سنة، واتَّفقوا على صدقه، وثقته، وفضله، وزهده، وورعه.

أسند عن محمد بن بشار العَبديِّ وغيرِه، وروى عنه عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر وغيرُه.



السنة الثالثة والتسعون بعد المئتين

فيها في المحرَّم واقع الخَلَنجيُّ المتغلِّبُ على مصرَ عسكرَ المكتفي على العَريش، فهزمهم أقبحَ هزيمة، وكان فيهم أحمد بن كَيْغَلَغ، فجهَّز المكتفي إليه جماعةً فيهم إبراهيمُ بنُ كيغلغ.

وفيها ظهر بالدَّالية من طريق الفرات أخٌ للحسين بن زَكْرويه(١)، وحارب أهلها، فندب المكتفي لقتاله الحسينَ بن حَمْدان، وصار القرمطيُّ إلى دمشق فحارب أهلها، فمضى إلى طبريَّة وحارب أهلها، فغلب عليها ودخلها، فقتل عامَّة أهلها من الرِّجال والنِّساء، ونَهبها، وانصرف إلى ناحية البادية.

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح: لَمَّا قُتل الحسين بن زكرويه صاحبُ الشَّامة، أنفذ أبوه زكرويه بن مهرويه من القَطيف رجلاً كان يُعلِّم الصِّبيان بقريةٍ تُدعى الزَّابُوقة من عمل الفلُّوجة؛ يسمَّى عبد الله بنَ سعيد، ويُكْنى أبا غانم، فتسمَّى نصراً ليُعَمِّي أمرَه، فدار على أحياء كَلْب يدعوهم إلى رأيه، فلم يقبله أحد سوى رجلٍ واحد من بني زياد يسمَّى المِقْدام بنَ الكيَّال، فاستغوى له طوائفَ من بطون العرب، وقصد ناحيةَ الشام، وعاملُ المكتفي على دمشقَ والأردن أحمدُ بن كيغلغ، وهو مقيمٌ بمصر لحرب الخلنجيِّ، فاغتنم عبد الله بن سعيد ذلك، وسار إلى بُصرى وأَذرِعات والبَثَنيَّة، فحارب أهلها ثمَّ أمَّنهم، فلمَّا استسلموا قَتل مقاتلتهم، وسبى ذراريَّهم، وأخذ أموالَهم.

وجاء إلى دمشق، فخرج إليه صالحُ بن الفضل، فقتله وفضَّ عَسْكَرَه، ودافعه أهلُ دمشق فلم يقدر عليهم، فمضى إلى طبريَّة، وكان على الأردن وطبريَّة يوسفُ بن إبراهيم عاملُ أحمد بن كيغلغ، فأمَّنه القرمطيُّ، ثمَّ غدر به فقتله، ونهب طبريَّة، وسبى نساءها، فبعث المكتفي الحسين بن حمدان، فورد دمشق والقرامطةُ بطبريَّة، فعطفوا نحوَ السَّماوة، وتبعهم الحسين، فلَجِجُوا(٢) في البريَّة، فانقطع الحسين عنهم لقلَّة الماء،

---

(١) في (خ): للحسين بن حمدان بن زكرويه، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ١٢١، والمنتظم ١٣/ ٤٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٦.

(٢) أي: دخلوا ولجؤوا. ينظر اللسان: (لجج).

ووصل القرمطيُّ إلى هِيت لتسع بقين من شعبان، فصبَّحها، فقتل عامَّة أهلِها، وأحرق المنازل، وأوقر الأموالَ ثلاثة آلاف راحلة كانت معه، وأخذ من الأطعمة ما يحتاج إليه، ولم يقدر على قلعتها، وإنَّما فعل هذا بأهل الرَّبَض(١) .

وبلغ المكتفي، فجهَّز إلى هِيْت محمدَ بنَ إسحاق بن كُنْداجِيق، فهربوا في البريَّة لَمَّا علموا به، وكان الحسين بن حمدان قد وصل الرَّحْبة، فكتب إليه ابنُ كُنداجيق ليجتمعا على طلبهم، فلمَّا أحسَّ الكَلبيّون وغيرُهم بإقبال الجند إليهم ائتمروا بعدوِّ الله المسمَّى نصراً، فوثب عليه رجل منهم يقال له: الذِّئب بن القائم(٢) ففَتَك به، ونهبوا ما كان معه، وجاءت طلائعُ محمد بن إسحاق، فظفروا بالقرمطيِّ قتيلاً، فاحتزُّوا رأسَه، وبعثوا به إلى بغداد.

ووقعت الدماء بين القرامطة والعرب والقبائل، فأرسل المكتفي إلى محمد بن إسحاق يأمره باستئصالهم(٣) ، فأنفذ إليهم زَكْرَويه داعيةً من أهل السَّواد من الأكَرَة(٤) ، يسمَّى القاسم بن أحمد بن عليّ، ويعرف بأبي محمد، من رُستاق نهر تلخايا(٥) ، فأَعْلَمَهم أنَّ فِعْل الذِّئب قد أنفره عنهم، وأنَّهم قد ارتدُّوا عن الدِّين، وأنَّ وَقْت(٦) ظهورهم قد حضر، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً، ومن سوادها مئة ألف رجل(٧) ، وأنَّ يومَ موعدِهم هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] وأنَّ زَكْرويه يأمرهم أن يُصبِّحوا الكوفةَ يوم النَّحر، وهو يوم الخميس لعشرٍ خَلَوْنَ من ذي الحجَّة، وكان بها إسحاقُ بن عمران عاملُ المكتفي، فصبَّحوها يوم النَّحْر، فقاتلهم أهلُ الكوفة.

(١) الرَّبَض: ما حول المدينة، وقيل: هو الفضاء حول المدينة. اللسان: (ربض).

(٢) في (خ): القاسم: والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ١٢٤ ، والكامل ٧/ ٥٤٣ .

(٣) في تاريخ الطبري ١٠/ ١٢٤ ، والكامل ٧/ ٥٤٣ : وكتب السلطان إلى حسين بن حمدان يأمره بمعاودتهم واجتثاث أصولهم.

(٤) جمع أكّار، الحراث والزراع. اللسان (أكر).

(٥) في تاريخ الطبري: تلحانا، وفي بغية الطلب ٢/ ٩٣٨ : ملحانا، ولم أحققها.

(٦) في (ح) وقعت. وهو خطأ. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٧) في تاريخ الطبري ١٠/ ١٢٤ : أربع مئة ألف رجل.

وكتب إسحاق إلى المكتفي يَستمدّه، فبعث إليه جماعةً من القوَّاد في جيش كثيف إلى موضعٍ يقال له: الصَّوَّان[١] ، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وجاءهم زكرويه، فالتَقوا يوم الأحد لعشرٍ بَقينَ من ذي الحجَّة.

وكمّن زكرويه كميناً، فكانت الدَّبْرة أوَّلَ النَّهار على القرامطة، فلمَّا انتصف النهار خرج الكَمين فانهزم أصحاب المكتفي أقبحَ هزيمة، وقتلهم القرامطة كيفما شاؤوا، وغنموا جميع ما كان معهم، ولم ينْجُ منهم إلى الكوفة إلا كلُّ من كان فرسُه جواداً، وتقوَّى زَكْرويه بما أخذ منهم، وكان معهم القاسم بن أحمد داعية زَكْرويه، فضربوا عليه قُبَّة، وقالوا: هذا ابنُ رسول الله ﷺ ، ثمَّ هجموا الكوفة وهم يصيحون: يا ثارات الحسين، يعنون ابنَ زكرويه، وأظهروا الأعلام البيض، استغوَوْا رَعاع الكوفيين، فخرج إليهم إسحاق بن عمران وجماعةٌ من الطَّالبيين والعامَّة، فقاتلوهم أشدَّ قتال، وأخرجوهم عن الكوفة، فتفرَّقوا في سوادها.

وفيها ظفر المكتفي بالخَلَنجيِّ، وكان المكتفي قد عزم على الخروج بنفسه إلى مصرَ، وضرب خيامه بباب الشمَّاسيَّة، وكان فاتكٌ المعتضديُّ في حرب الخَلَنجيّ فزحف عليهم، فانهزم إلى مصر، ودخل الفُسْطاط، وقُتِل أكثر أصحابه، وانهزم الباقون، واحتوى فاتكٌ على عسكره، واستتر الخَلَنْجيُّ عند رجل من أهل الفُسطاط، فدُلَّ عليه، فأُخِذ ومعه جماعةٌ من أصحابه، وبعثه فاتكٌ إلى بغداد، فدخلها الخلنجيُّ في نصف رمضان وأصحابُه على الجمال، فأُحضروا بين يدي المكتفي، فأمر بحبسهم ولم يقتلهم.

وفيها عُمِل ببغداد على دجلة من جانبيها مثلُ مِقياس مصرَ، طولُه خمسة وعشرون ذراعاً، على كلِّ ذِراع علاماتٌ يَعرفون بها الزيادةَ، ثمَّ خرب بعد ذلك.

وحجَّ بالناس الفضلُ بنُ عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفي

---

(١) في الطبري ١٠/ ١٢٥ : بالصوعر، وفي نسخ من الكامل ٧/ ٥٤٤ : بالصوار، والمثبت موافق لما في متن الكامل.

صالح بن محمَّد

ابن عَمرو بن حَبيب، أبو عليٍّ، الأسديُّ، البغداديُّ، الملقَّب جَزَرة.

وإنَّما لُقِّب بذلك لأنَّه جاء في حديث عبد الله بن بُسْر أنَّه كانت خَرزَة يَرقي بها المرضى، وكانت لأبي أُمامة الباهليّ، فصحَّفها وقال: جَزَرة، بجيم وراء معجمة.

وُلد صالح سنة خمس ومئتين، وكان مِمَّن يُرجع إليه في علم الآثار، انتقل من بغداد إلى بُخارى، وأقام بها إلى أن مات بها، فحصل حديثه عند أهلها.

سمع هشامَ بن عمار وغيرَه، وروى عنه مسلمُ بن الحجَّاج وغيرُه.

وقال: كان ببغداد شاعران؛ أحدُهما صاحب حديث، والآخر معتزليٌّ، فمرَّ بي المعتزليُّ يوماً فقال: يا بنيّ، كم تكتب؟! يذهبُ بصركَ، ويَحْدَودبُ ظهرُكَ، ويزداد فَقرُكَ، ثمَّ أخذ كتابي وكتب عليه: [من مجزوء الكامل]

إنَّ القراءةَ والتَّفقُّه والتَّشاغلَ بالعُلُوم
أصلُ المَذَلَّة والتقلُّل والمَهانة والهُمُوم

ثمَّ ذهب، وجاء الآخر فقرأ الشعر، فقال: ما هذا؟ فأخبرتُه فقال: كذب عدوُّ الله، بل يرتفع ذكرُكَ، ويُنشرُ علمك، ويبقى اسمُك مع اسم رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، ثمَّ كتب على كتابي: [من مجزوء الكامل]

إنَّ التشاغُلَ بالدَّفاتر والكتابة والدِّراسه
أصلُ التفقُّه والتزهُّد والرِّياسة والسِّياسه

واتَّفقوا على صدقه وفضله وثقته(١).

[وفيها توفي]

عبد الله بن محمد

أبو العبَّاس، الأنباريُّ، النَّاشئ، الشاعر، ويعرف بابن شِرْشِير.

[قال الخطيب: قدم بغداد فأقام بها مدة.و] له تصانيف في الردِّ على الشعراء وأهلِ

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٥٣، والمنتظم ١٣/ ٥٢ وذكره في وفيات سنة (٢٩٤ هـ).

المنطق [والنُّحاة، فلم يطاوعوه، فسقط ببغداد، وخرج إلى مصر]، وعمل قصيدةً على قافية واحدة ورَويٍّ واحد أربعة آلاف بيت.

خرج إلى مصر فأقام بها حتَّى مات، وكان [متهوِّساً] شديد الهَوَس[1].

فمن شعره[2] : [من الطويل]

عَذَلْتَ على ما لو عَلِمتَ بقدرِه ... بَسَطْتَ مكانَ العَذْلِ واللَّومِ من عُذْري

جهلتَ ولم تعلم بأنَّك جاهلٌ ... فمَنْ لي بأن تدري بأنَّك لا تدري

وله أيضاً: [من المتقارب]

وكان لنا أصدقاءُ حُماة ... وأعداءُ سَوءٍ فما خُلِّدوا

تساقَوْا جميعاً بكأس الرَّدى ... فمات الصَّديقُ ومات العَدُو

وله أيضاً: [من الطويل]

إذا المرءُ أحمى نفسَه كلَّ شَهوةٍ ... لصِحَّة أيَّام تَبِيدُ وتَنْفَدُ

فما بالُه لا يحتمي من حَرَامها ... لصِحَّةِ ما يَبقى له ويُخلَّدُ[3]

وقال الخرائطيُّ: أنشدني أبو العباس الناشئ[4] : [من الكامل]

إنِّي ليَهجُرني الصَّديقُ تجنِّياً ... فأُريه أنَّ لهجره أسبابا

وأراه إنْ عاتبتُه أغريتُه ... فيكون تَرْكي للعتابِ عتابا

وإذا بُلِيتُ بجاهلٍ متجاهلٍ ... يجدُ المحالَ من المقالِ صوابا

أوليتُه منِّي السُّكوتَ ورُبَّما ... كان السُّكوتُ عن الجواب جوابا

وقال بديهاً في قَيْنَة: [من المتقارب]

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٢٩٧ ، وانظر في ترجمته المنتظم ١٣/ ٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٦٦ ، وما بين معكوفين من (ف م١).

(٢) في (ف م١): وقد روى الخطيب طرفاً من شعره فمنها في داود بن علي الظاهري، والمثبت من (خ)، والشعر في تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٩ .

(٣) ذكر هذين البيتين ابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ١٤٤ .

(٤) في (خ): وله أيضاً. بدل قوله: وقال الخرائطي... ، وهذه الأبيات نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٠ ، للناشئ الأصغر، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

فـديـتُـكِ لـو أنَّـهـم أنـصـفـوا لـرَدُّوا الـنَّـواظـرَ عـن نـاظـريـكِ
تَـرُدِّيـن أعـيـنـنـا عـن سـواك وهـل تـنـظـرُ الـعَـيْـنُ إلَّا إلـيـكِ
وهـم جـعـلـوكِ رقـيـبـاً عـلـيـنـا فـمَـنْ ذا يـكـون رقـيـبـاً عـلـيـك
ألـم يـقـرؤوا وَيْـحَـهـم مـا يـرو ن مِنْ وَحْي حُسْنكِ في وَجْنَتيكِ[1]

ورؤي في جامع دمشق[2] وقد خلع سراويله ليبيعَه، فقيل له: لو تقرَّبتَ من هؤلاء الملوك؟! فقال: [من الطويل]

وإنِّي لأَرْضى بـالـيـسـيـر تـعـفُّـفـاً ولـي هـمَّـةٌ تـسـطـو عـلـى نُـوَب الـدَّهـرِ
أفـكِّـر فـي بَـيـعـي قَـبَـائـي بـهـمَّـتـي فـأرتـاحُ مِـنْ ذُلِّ الـسُّـؤال إلـى الـفـقـرِ
مـخـافـةَ أن ألـقـى بـخـيـلاً مُـبَـخَّـلاً يُـثَـمِّـن لـي نَـزْرَ الـعـطـيَّـةِ بـالـشُّـكـرِ



(١) ديوان المعاني ٢/ ٢٢٨، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٩٨، والمنتظم ١٣/ ٤٦.

(٢) في (ف م١): وذكره الحافظ ابن عساكر وقال: قال أبو القاسم السمرقندي: رؤي الناشئ في جامع دمشق، والمثبت من (خ).

السنة الرابعة والتسعون بعد المئتين

في المحرَّم خرج زَكْرويه القِرمطيُّ من بلاد القَطيف يريد قافلة الحاجِّ، فجاء إلى واقِصَة، ثمَّ أقام قريباً من الماء المسمَّى بسَلْمان، ووافت القافلة الأولى واقِصَة، فأنذرهم أهلُها، فارتحلوا فنجَوْا، وجاء القرمطيُّ إلى واقِصة، فسألهم عن القافلة، فأخبروه بأنَّهم لم يُقيموا، فقَتَل منهم جماعة، وتحصَّن الباقون بحصنهم.

ثمَّ اعترض [زكرويه] قافلة خراسان لإحدى عشرة ليلةً خلت من المحرَّم بالعقبة التي يقال لها: عَقبة الشيطان، فحاربوه حرباً شديداً وترجَّلوا، فقال لهم: أمعكم من عسكر السلطان أحد؟ قالوا: لا، قال: فامضوا لشأنكم فلست أريدكم، فساروا، فأوقع بهم، وجعل أصحابُه يَنخَسون الجِمَال بالرِّماح، ويبعجونها بالسيوف، فنَفَرت، وأكبَّ أصحاب القرمطيِّ على الحاجِّ يقتلونهم كيفما شاؤوا، فقتلوا من الرِّجال وسبَوا النِّساء، واحتَوَوْا على ما في القافلة، وأفلت من الجَرحى [قوم] فوقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضَوْا، فمنهم مَن مات في الطَّريق، ومنهم مَن نجا، وكان نساء القرامطة يطُفْن في القتلى يعرضْنَ عليهم الماء، فمن كلَّمَهنَّ أجهزوا عليه، فيقال: إنَّهم قتلوا من الحاجِّ عشرين ألفاً، وأخذوا ما قيمتُه ألفي [ألف] دينار.

وورد الخبر إلى بغداد يومَ الجمعة منتصف المحرَّم، فشقَّ ذلك على المكتفي والمسلمين، ووقع النَّوْح والبُكاء في البلد، [وعظُمت الرَّزيَّة]، فندب الوزير العباس [بن الحسن] محمدَ بنَ داود بن الجَرَّاح الكاتب لإنفاذ الجيوش، فخرج من بغداد لإحدى عشرة ليلةً بقيت من المحرَّم، وحَمَل معه أموالاً عظيمة.

وسار زَكرويه إلى زُبالة فنزلها، وبثَّ الطلائعَ أمامَه ووراءَه؛ [خوفاً من أصحاب المكتفي، وكانوا مُقيمين بالقادسية] خوفاً منه على قافلة الحاجِّ، فجرى عليهم ما جرى، ولم يعلموا إلَّا بعدما فات الأمر، وكانت قد تأخَّرت القافلة الثالثة وهي العُظمى، فسار إلى ما بين الشُّقوق والبِطان في طرف الرَّمْل ينتظرها في مكان يُعرف بالطُّلَيح.

وكان في القافلة أعيانُ أصحاب السلطان، ومعهم الخزائنُ والجواهرُ والأموالُ وشَمْسةُ الخليفة، فوصلوا إلى فَيْد، وبلغهم خبرُه فأقاموا ينتظرون عسكر السلطان، فلم يَرِد إليهم أحد، فساروا فوافاهم بالهَبِيْر، وقاتلهم يوماً إلى الليل، ثمَّ عاودهم القتالَ في اليوم الثاني، فعطشوا واستسلموا، فوضع فيهم السيفَ، فلم يُفْلِت منهم إلَّا اليسيرُ، وأخذ النساء والأموال أعظم من القافلة الأولى.

وبلغ المكتفي فندب لقتاله وصيف بن صُوارتكين ومعه الجيوشُ والقُوَّاد، وكتب إلى بني شيبان أن يوافوه، فجاؤوا في ألفين ومئتي فارس، وسلكوا على طريق خَفَّان، فلقيه وصيف يوم السبت لأربعٍ بقين من ربيع الأوَّل[1]، فاقتتلوا، ثمَّ حجز بينهم الليلُ، وأصبحوا على القتال، فنصر الله وَصيفاً وبني شيبان، فقتلوا عامَّةَ أصحاب القرمطيِّ الرجالَ والنِّساء، وخلَّصوا المسلمات والأموال، وخَلَص بعضُ الجند إلى زَكْرويه فضربه وهو مولٍّ على قفاه ضربةً خَلَصت إلى دماغه، وأخذه أسيراً، وخليفتَه، وخواصَّه، وأقرباءَه، وابنَه، وكاتِبَه، وامرأتَه، واحتوى الجندُ على ما في عسكره، وعاش زكرويه خمسة أيام ثمَّ مات، فشقُّوا بطنَه، وحُمِل إلى بغداد على هيئته، وقدم به وبالأسارى، فقُتِّلوا وأُحرقوا.

وقيل: إنَّ الذي جرح زَكْرويه وصيف، ضَرَبه بالسيف فخالط دماغه، وتمزَّق أصحابُه في البريَّة، فماتوا عطشاً وجوعاً. [وقيل: إنَّ هذا العام يسمَّى عامَ الهرير؛ لأنَّ الوقعة كانت عنده].

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك أيضاً.

وفيها توفي

محمد بن نَصْر

أبو عبد الله، المَرْوَزيُّ، الفقيه.

أحد الأئمة المشهورين، والمصنِّفين المذكورين [ذكره الأئمة وأثنوا عليه.

---

(١) في الطبري ١٠/ ١٣٤، والكامل ٧/ ٥٥١، والمنتظم ١٣/ ٥٠: يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول، والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٨.

قال الخطيب:][1] ولد ببغداد سنة اثنتين ومئتين، ونشأ بنَيْسابور، واستوطن سَمَرْقَند، وهو صاحب التَّصانيف الكثيرة، والكتب المشهورة، وسافر إلى الأمصار في طلب العلم [وسمع خلقاً كثيراً في خراسان والعراق والشام ومصر والحجاز]، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، وكان إماماً، عالماً، حافظاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، كثيرَ الخشوع في صلاته، قليلَ الكلام فيما لا يعنيه.

[وقال الخطيب:] وهو مصنف كتاب «القسامة» وهو كتابٌ عزيزُ الوجود.

وقال عبد الله بن محمد الثَّقفيُّ: جالست محمدَ بن نصر أربعَ سنين فلم أسمعه في تلك المدَّة يتكلَّم في غير العلم.

وحكى الحاكم عنه أنَّه كان يتمنَّى الولدَ على كِبَر سنِّه، فجاءه رجل من أصحابه وعنده جماعة يذاكرهم العلم، فسارَّه في أُذنه بشيء، فرفع أبو عبد الله يديه وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ثمَّ مسح وجهه بباطن كفَّيه، ورجع إلى ما كان فيه، فرأينا أنَّه استعمل في تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن؛ سمَّى الولدَ، والثانية: حَمِد الله تعالى على الموهبة، والثالثة: أنَّه سمَّاه إسماعيل لأنَّه وُلِد على كِبَر، وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الحاكم: سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: ما رأيت[2] أحسنَ صلاةً من محمد بن نصر؛ كان الذُّباب يقع على أُذنه، فيَسيل الدَّم ولا يذبُّه عن نفسه، ولقد كنَّا نتعجب من حُسْن صلاتِه وخشوعه.

وقال [الخطيب بإسناده عن عثمان بن جعفر اللبَّان قال: حدَّثني] محمد بن نصر [قال:] خرجتُ من مصر ومعي جاريةٌ لي، فركبتُ البحر أريد مكَّة، فغرقتُ، وذهب منِّي ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة ومعي الجارية فما رأينا فيها أحداً، فأخذني العطشُ، فلم أقدر على الماء، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلماً للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كُوز ماء، فقال: هاه، فأخذتُه وشربتُ وسقيتُ الجارية، فما

(١) في تاريخه ٤/ ٥٠٨، وينظر المنتظم ١٣/ ٥٤ ـ ٥٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٩.
(٢) في (خ): وقال الحافظ محمد بن يوسف: ما رأيت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في المنتظم ١٣/ ٥٥.

أدري من أين جاء ولا أين ذهب.

وقال محمد بن عبد الوهَّاب الثَّقفيُّ: كان إسماعيل بن أحمد والي خُراسان يَصِلُ محمدَ بن نصر في كلِّ سنة بأربعة آلاف درهم، ويصله أخوه إسحاقُ بن أحمد بأربعة آلاف درهم، ويصله أهلُ سمرقند بأربعة آلاف درهم، وكان يُنفقها من السَّنة إلى السَّنة من غير أن يكون له عيال، فقيل له: لعلَّ هؤلاء القومَ الذين يصلونك يَبدو لهم، فلو جمعتَ هذا لنائبة، فقال: يا سبحان الله، أنا بقيت بمصر كذا وكذا سنةً، فكان قُوتي وثيابي وكاغَدي وحِبْري وجميعُ ما أنفقه في السنة عشرين درهماً، أفَترى إن ذهب هذا لا يبقى ذاك؟!

و[حكى الخطيب بإسناده إلى محمد بن عبيد الله قال: سمعت] الأمير [أبا إبراهيم] إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسَمَرْقَنْد[1]، فجلستُ يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق [إلى جنبي، إذ دخل أبو عبد الله المروزي، فقمتُ له إجلالاً لعِلمه، فلمَّا خرج عاتبني أخي إسحاق] وقال: أنت والي خراسان، يدخل عليك رجل من رعيَّتك فتقوم إليه، وهذا ذهاب السياسة؟ فبتُّ تلك الليلة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ [في المنام] وأخي إسحاق واقف معي، إذ أخذ النبيُّ ﷺ بعَضُدي وقال: يا إسماعيل، ثبَّت الله مُلكَكَ ومُلْكَ بنيك بإجلالك محمدَ بن نصر، ثمَّ التفت إلى أخي إسحاق فقال: ذهب مُلكُك وملكُ بنيك باستخفافك بمحمد بن نصر.

وكان مُقيماً بنَيْسابور[2]، وكان مُفتيها وعابدَها، ثمَّ خرج إلى سَمَرْقَنْد، فتوفِّي بها في المحرَّم.

سمع هشامَ بن عمَّار وغيرَه، وروى عنه ابنُه إسماعيل وغيرُه، وكان ابنُه إسماعيل على طريقته، فقيل له: لو زَجَرْتَ ولدك؟ فقال: لا أُفسد مروءتي بصلاحه.

واتَّفقوا على دينه [وأمانته] وثقته وصدقه[3].

---

(١) في (ف) و (م١): وحكى الخطيب بإسناده أيضاً إلى محمد بن عبد الله قال: سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول: كنت والي خراسان... ، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٥١٠ .

(٢) في (ف م١): استوطن محمد بن نصر نيسابور.

(٣) بعدها في (ف م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الخامسة والتسعون بعد المئتين

فيها خرج عبد الله بن إبراهيم المِسْمَعيُّ عن مدينة أصبهان، وانضمَّ إليه عشرة آلاف من الأكراد وغيرِهم، وأظهرَ الخلافَ للمكتفي، فبعث إليه منصوراً الكاتب بكتاب يخوِّفه فيه عاقبةَ الخلاف، فلمَّا وصل إليه ناظره وخوَّفه، ووَعده وأوعده، فرجع إلى طاعة الخليفة، واستخلف على أصبهان نائباً، وقصد باب المكتفي في نَفَرٍ من غلمانه، فرضي عنه، وخلع عليه وعلى ابنه ووصله.

وبعث المكتفي خاقان المُفْلِحيّ إلى أَذْرَبيجان لحرب يوسف ابن أبي السَّاج، فسار في أربعة آلاف.

وفيها تمَّ الفداء بين المسلمين والرُّوم، فكانت عِدَّة من فُودي من الرِّجال والنِّساء ثلاثةَ آلاف نفس.

وفي ذي القَعْدة مات المكتفي، وبُويع أخوه جعفر [بن المعتضد]، ولُقِّب بالمقتدر.

الباب الثامن عشر في خلافة المُقْتَدر

وكُنيته أبو الفَضْل، وأمُّه أمُّ ولد روميَّة، يقال لها: شَغَب، وقيل: كانت تركيةً، واسمها جَكك[1]، وغريبٌ المعروفُ بالخال أخوها، أدركتْ خلافته، وسُمِّيت السيِّدة، وكانت لأمِّ القاسم بنت محمد بن عبد الله بن طاهر، اشتراها منها المعتضد.

ولد المقتدر يوم الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئتين[2].

وكان رَبْعةً ليس بالطَّويل ولا بالقصير، جميلَ الوجه، أبيضَ مُشْرَباً حمرةً، حسَنَ الخَلْق، مليحَ العينين، بعيد ما بين المنكبين، جَعْدَ الشعر، مدوَّرَ الوجه.

---

(١) في الكامل ٨/ ٨: جيجك.

(٢) في (ف م١) بعدها: ذكر صفته. والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٢٦، والمنتظم ١٣/ ٥٩، والكامل ٨/ ٨، والسير ١٥/ ٤٣، ومروج الذهب ٨/ ٢٤٧.

ذكر بيعته(١)

لما اشتدَّت عِلَّة المكتفي في ذي القَعْدة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر، فصحَّ عنده أنَّه بالغ، فأُحضر في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وأحضر القضاةَ والشُّهود، وأشهدهم على نفسه أنَّه قد جعل العهد إليه، وبويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي سَحَر يومِ الأحد لأربع عشرة ليلةً خلت من ذي القَعْدة، ولما أراد الجلوس صلَّى أربع ركعات، وما زال يرفع صوته بالدُّعاء والاستخارة، وصلَّى على حصير على الأرض، ولم يصعد إلى سرير الخلافة تواضعاً، ولقِّب المقتدر بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأحد عشر يوماً، ولم يَلِ الخلافة من بني العبَّاس قبله أصغرُ منه.

وقال الصُّولي: لما ثَقُل المكتفي عزم العبَّاس الوزير على أن يبايعَ محمدَ بن المعتمد خوفاً من ابن المعتزّ؛ لأنَّه كان يخافه، وكان محمد بن المعتمد يجالس المكتفي، فأحضره العبَّاس ليلاً، وأحضر القاضي محمدَ بن يوسف، وأراد محمداً على البيعة، وطلب منه أن يؤمِّنَه على نفسه وماله أو يستوزرَه، وكان محمد بن المعتمد عاقلاً أديباً ذا صيانة ومذهب جميل، فقال: ما كنت لأحلِفَ وروحُ المكتفي في جسده، وإن لم أوفِّ لك بغير يمين لم أوف لك بيمين، فقال له القاضي: ارضَ منه بهذا، فقال: قد رضيت، وأفاق المكتفي من مرضه.

ثمَّ إنَّ محمد بن المعتمد تَنازع مع صاحب الشرطة في ميراثٍ لمولى محمد كان قد استولى عليه صاحبُ الشرطة، فاغتاظ محمد، وجعل ينتفض من الغيظ، ففُلِج في وقته، فيئس العبَّاسُ منه، وجعل يميز بين عبد الله بن المعتز وغيرِه، فقال فاتك المعتضدي: والله لا عَدَلْنا بها عن ابن مولانا ـ يعني المقتدر ـ ولو لم يكن للمعتضد ابنٌ أقعدنا بعضَ بناته، ووافقه صافي الحُرَميُّ، وكره الوزير خلافهما.

ولما أفاق المكتفي قال له صافي الحُرَميُّ: إن رأى أميرُ المؤمنين أن يبعث إلى محمد بن المعتمد وعبدِ الله بن المعتز فيُوكل بهما في دارهما، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ النَّاس قد ذكروهما لهذا الأمر، فقال المكتفي: فهل تكلَّم أحد منهما في شيء؟ قال صافي: ما علمتُ شيئاً، قال: فما ذَنْبُهما إن أَرْجف النَّاس بشيء لم يذكراه، فلا تعرَّضْ لهما، فإنَّهما قد ولدهما خليفتان.

---

(١) من هنا إلى ترجمة إبراهيم بن نوح ليس في (ف م١).

قال الصُّولي: وكان المكتفي تعرَّض لنا بشيء من ذلك، فحدَّثته يوماً حديث السَّفَّاح؛ وأنَّه استشار سعيدَ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبَيرة أن يصيِّرَ العهدَ بعده إلى عمِّه عبد الله بن علي دونَ أخيه أبي جعفر، فقال له: يا أمير المؤمنين، كنتُ مع مَسْلَمة بن عبد الملك بالقسطنطينية، وجاءه خبر أخيه سليمان وولايةِ عمر بن عبد العزيز، فجَزِعَ جزعاً شديداً، فقلت: لا تجزعْ لموت أخيك، بل لخروج الخلافة عن ولدِ أبيك إلى ولد جدِّك، فأمسك أبو العبَّاس، وعهد إلى أخيه دون عمِّه، وذكرتُ له أنَّ داود بن علي عمَّ السفاح قال له: يا أمير المؤمنين، اعهدْ إلى رجل من بنيك لِيَضبطَ هذا الأمر بعدك لئلا ينتشر؛ فإنَّ أمرنا قريب، فقال له أبو سلمة الخلال: ما لك ولهذا؟ هذا أمرٌ يَرى فيه أميرُ المؤمنين رأيَه، وما استعجالك كأنك طَمِعت فيها، والله ما لأحدٍ من أعمام أمير المؤمنين فيها حظٌّ ما دام من ولد أبيه محمد بن عليٍّ رجل حيّ، فاضْطَغَنها داودُ على أبي سلمة، ولم يزل يحتالُ في قتله حتَّى قُتل، فوافقت هذه الأخبارُ ما كان في نفس المكتفي، وخاف أن يخرج الأمرُ من ولد أبيه؛ فعهد إلى المقتدر كما ذكرنا[1].

وقال ثابت بن سنان: لَمَّا ثَقُل المكتفي في علَّته، فكَّر العبَّاس وزيرُه فيمن يقلِّده الخلافةَ، فاستشار أرباب الدَّواوين؛ وهم: محمد بن داود بن الجرَّاح، وعلي بن محمد بن الفرات، وعلي بن عيسى بن داود بن الجرَّاح، ومحمد بن عبدون، فكان في كلِّ يوم يستشير واحداً منهم، فأشار عليه محمد بن داود بعبدِ الله بن المعتز، وأمَّا ابن الفرات فقال: هذا شيءٌ ما جرت لي عادة بالدُّخول فيه، وإنَّما يشاوَر مثلي في أمر العمَّال، فغضب الوزير وقال: ليس هذا حقِّي منك[2]؟ وألح عليه، قال: إن كان رأيُك تَقَرَّر على إنسان فأمضِه، قال ابن الفرات: فعلم أنِّي قد عَنيتُ ابن المعتز لاشتهار الخبر به، فقال: ما أريد إلا أن تَمحَضني النَّصيحة، قال: فقلت له: إذا كان الأمر على هذا فاتَّق الله، ولا تنصِّب في هذا الأمر مَنْ قد عرف دار هذا، وبستان هذا، وضَيْعة هذا، وجارية هذا، ونعمةَ هذا، ومن قد لقي النَّاس ولقوه، وعرف الأمور، وتحنَّك، وجرَّب، وتدرَّب.

---

(١) الأوراق للصولي ٢١ ـ ٢٢ (ما لم ينشر من الأوراق).

(٢) كذا، وفي الكامل ٨/ ٩: ليس يخفى عليك الصحيح.

قال: فاستعاد العبَّاس ذلك مني مراراً، ثمَّ قال لي: فبمن تُشير؟ فقلت: بجعفر بن المعتضد، ومَن تحكم عليه أولى بمن يحكم عليك، قال: فما أصنع بأمِّه وخالته وقَهارِمَتِه[١]؟ قلت: تُقيمهنَّ مقام حرمك؛ فإنَّهنَّ يرضينَ إذا أخرجتهنَّ من الضِّيق إلى السَّعَة، ويشكُرْنك على ذلك.

ثمَّ شاور في اليوم الثالث عليَّ بن عيسى، واجتهد به أن يسمِّي له أحداً، فامتنع وقال: ينبغي أن تتقي الله أيُّها الوزير وتنظرَ للدِّين، فمالت نفسُ العبَّاس إلى رأي ابن الفرات، ووافق رأيَه ما كان المكتفي يُسارُّ إليه من تقليد أخيه.

وطلب المقتدر من دار ابن طاهر، فمضى صافي الحُرَميُّ فأحْدَره في حَرَّاقة، فاجتاز بدارِ الوزير، فصاحوا بالملَّاح: قدّمْ إلينا، فظنَّ صافي أنَّه قد بدا للوزير رأيٌ، فقال للملَّاح: إن قدمت قتلتك.

ومضَوْا إلى القصر الحَسَني وبايعوه، وتمَّ أمرُه، فقلَّد حَجبتَه سَوْسَن مولى المكتفي، وأقرَّ على الشرطة محمدَ بن أحمد بن عَمْرويه الخُراساني، وأقرَّ القضاةَ بالحضرة، وأقرَّ أصحابَ الدَّواوين على ما هم عليه.

قال الصُّولي: وقد اتَّفق للمقتدر ما لم يتَّفق لغيره من الخلفاء؛ ولده ستة؛ منهم: المعتضدُ، والمتوكِّل، والمعتصم، والرَّشيد، والمهديُّ، والمنصور، وأخوه خليفة وهو المكتفي، وقد فخر المأمونُ بثلاثة من الخلفاء الرشيدِ والمهديِّ والمنصورِ؛ لأنَّه لما هجاه دِعْبِل وقال: [من الكامل]

شادُوا بذِكرِكَ بعد طولِ خُمولِهِ واستنقذوكَ من الحَضيضِ الأَوْهَدِ

قال: قاتَلَه الله، ومتى كنتُ خاملاً وقد ولدني ثلاثةٌ من الخلفاء[٢]!؟

واستوزر المقتدر العبَّاس بن الحسن، وولَّى ابنَه على ديوان والدته وإخوته، وخلع على الجميع، وفرَّق أموالاً جليلة، ووَصَل النَّاسَ، ولم يكن مؤنس الخادم حاضراً وقت البيعة؛ لأنَّ المعتضد كان قد أخرجه إلى مكَّة مُكْرَهاً، وكان في عَزْمه أن يُلحِقه

(١) القهرمان: هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه. اللسان: (قهرم).

(٢) ما لم ينشر من أوراق الصولي ص٢٩، والبيت في ديوان دعبل ص٧٠.

بمصر كراهيةً له، فاستدعاه المقتدر، ورفع منزلتَه، وكان صافي الحُرَميُّ يشير على مؤنس بمباعدته عن المعتضد شفقةً عليه في الظَّاهر، وفي الباطن حسداً لئلّا يشاركَه في الأمور، فلمَّا قدم شاركه، ومات صافي بعد بيعة المقتدر فاختصَّ مؤنس بالأمور كلِّها.

وكان في بيت المال يومَ بُويع المقتدر خمسة عشر ألفَ ألف دينار، وأموالُ المعتضد وأثاثُه ودوابُّه، وزاد المكتفي أمثالَها، ثمَّ كتب العبَّاس كتاباً إلى الآفاق ببيعة المقتدر، ووفاة المكتفي.

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن نوح

ابن عبد الله، أبو إسحاق، المُزَكِّي، الحافظ، النَّيسابوريُّ.

إمامُ عصره بنيسابور في معرفة الحديث والعِلَل والرِّجال والزُّهد والوَرَع، اجتمع بالإمام أحمد رحمة الله عليه، مِراراً وذاكره، وكان الإمام أحمد يُثني عليه، وكان مُجابَ الدعوة، مَهِيباً، متقلِّلاً، لم يكن له من الدُّنيا شيء سوى حانوت كان يُكريه في كلِّ شهر سبعةَ دراهم[(١)]، هي لمأكله ومَلْبَسه [ونوائبه]، ولم يقبل من أحدٍ شيئاً، وكانت وفاته في رجب.

سمع خلقاً كثيراً منهم الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه [وغيره]، وروى عنه خلقٌ كثير.

[وفيها توفي]

أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري

بغداديُّ المَولد والمَنْشأ، [وأصله من][(٢)] خُراسان من قرية بين هَرَاة ومَرْوالرُّوذ [يقال لها: بغشور، وقيل: بَغ؛ فلذلك كان يُعرف بالبَغوي، وقيل: اسمه محمد بن

(١) في المنتظم ١٣/ ٧٣: سبعة عشر درهماً.

(٢) هذه الزيادة من طبقات الصوفية ص١٦٤، والمنتظم ١٣/ ٧٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٩١، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ف) و (م١).

محمد. والأول أصحّ.

قال السُّلمي:] وإنَّما سُمِّي النُّوري لأنَّه كان إذا حضر في مكان تنوَّر، وكان إذا دخل مسجد الشُّونيزيَّة ليلاً انقطع ضوءُ السِّراج، وإذا حضر مع أصحابه لا يؤذيهم برغوث(١).

وكان أوحدَ وقته، صاحبَ لسان وحال، ولم يكن في وقته من مشايخ الصُّوفية أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً.

وقال [الخطيب بإسناده عن] أبي أحمد المغازلي [قال:] ما رأيت أعبدَ من النُّوري، قيل له: ولا الجُنيد؟ قال: لا ولا الجنيد.

وقال أبو جعفر الفَرْغانيُّ: مكث أبو الحسين النُّوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين، ويخرج ليمضيَ إلى السُّوق، فيتصدَّق بالرغيفين، ويدخل إلى مسجد فلا يزال يركع حتَّى يجيء وقتُ سُوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السُّوق، فيظنُّ أستاذُه أنَّه قد تغدَّى في منزله، ويظنُّ مَنْ في بيته أنَّه قد أخذ معه غداءه، وإنَّه لصائم.

[وقال السُّلَميُّ: كانت له قنينة تَسَع خمسة أرطال ماء؛ يشربها عند إفطاره في خمس ليالٍ.

وروى الخطيب بإسناده عن] عمر النَّجَّار قال: دخل أبو الحسين إلى الماء ليغتسل، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه، فخرج من الماء فلم يجدْها، فرجع إلى الماء، وإذا باللِّصِّ قد جاء وقد يَبِست يدُه اليمنى والثِّيابُ معه، فوضعها بين يديه، فلبسها [أبو الحسن] وقال: يا سيِّدي، قد ردَّ عليَّ ثيابي فرُدَّ عليه يده، فأطلق اللهُ يدَه.

[وروى الخطيب بإسناده إلى] أبي عمر الأنماطي قال: اعتلَّ النُّوري، فبعث الجنيد إليه بصُرَّة فيها دراهم، فردَّها عليه، واعتلَّ الجنيد، فعاده النُّوري وقعد عند رأسه، ووضع يده على جبهته، فعُوفي الجنيد من ساعته، فقال له النُّوريُّ: إذا عُدتَ إخوانَكَ فارفقهم بمثل هذا البرِّ(٢)، [وذكرها ابن جهضم وقال:] إنَّ النُّوري لما عاد الجنيدَ قال لأصحابه: اقتسموا علَّته، فأدخلوا رؤوسهم في مرقَّعاتهم، ثمَّ أخرجوها، وعُوفي

(١) بعدها في (ف م١): ذكر طرف من أخباره حكى السلمي وغيره في المناقب طرفاً منها.
(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

الجنيد، وجلس على فراشه وتحدَّث، فلمَّا قام النُّوري ليخرجَ، قام الجنيد يمشي معه مودِّعاً، فقال له النُّوري: يا أبا القاسم، إذا عُدتَ مريضاً فعُدْه كذا، وأصبح النُّوريُّ وأصحابُه مرضى.

[وحكى عنه ابن خَميس في «المناقب»] قال: اعتلَّ النُّوريُّ والجنيد، فكتم النُّوري علَّته وأظهرها الجنيد، فقيل للنُّوريّ: لِمَ لَمْ تخبرْ كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنَّا لنُبْتَلى ببلوى فنُوقع عليها اسمَ الشكوى، ثمَّ أنشد: [من المجتث]

إن كـنـتُ لـلـسُّـقـم أهـلاً ... مـا زلـتَ لـلـشُّـكـر أهـلا
عـذِّب فـلـم يَـبْـقَ عـضـو ... يـقـول لـلـسُّـقـم مـهـلا[1]

فبلغ الجنيد فقال: ما كنَّا شاكين، ولكن أردنا أن نكشفَ عينَ القُدرة فينا.

وبلغ الشِّبليَّ فقال: [من مجزوء الخفيف]

مِـحْـنَـتـي فـيـك أنَّـنـي ... لا أبـالـي بـمِـحـنَـتـي
يـا شِـفـائـي مـن الـسِّـقـام ويـا بُـدوَّ عِـلَّـتـي[2]

[وحكى في «المناقب» عن أبي العباس] بن عطاء قال: قال النُّوري: كان في نفسي من هذه الآيات شيء، فأخذتُ قصبةً ونزلت إلى الشَّطِّ، فوقفتُ بين زَوْرَقين وقلت: وعزَّتك لئن لم تُخْرج لي سمكةً ثلاثة أرطال لأُغْرِقنَّ نفسي، فخرجت له سمكةٌ ثلاثة أرطال، وبلغ الجنيد فقال: كان من حُكمه أن تخرجَ له أفعى تلدغُه[3].

قال المصنِّف رحمه الله: الجنيدُ أشار إلى أنه تحكم على القدرة، ولو ظنَّ أنَّه في حالة البَسْط لما قال ذلك.

[وحكى أيضاً عن زيتونةَ خادمةِ النُّوري ـ وكانت تخدم الجنيدَ وأبا حمزة الصوفيَّ الخراسانيَّ وغيرَهم ـ جاءت يوماً إلى النُّوري ومعها خبزٌ ولَبن، وكان بين يديه كانون فيه فَحْم وهو يقلِّبه بيده، فجعل يأكل اللَّبن ويقلِّب الفحم، فسال سوادُ الفحم على يده

---

(١) طبقات الصوفية ص١٦٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٢، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ف م١).
(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٥١.
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٣.

مع بياض اللَّبن، قالت زيتونة: فقلتُ في نفسي: سبحانك ما أقذر أولياءك! ما فيهم أحد نظيف، وخرجت من عنده، فتعلَّقت بي امرأةٌ وقالت: سرقت لي رِزْمةَ ثياب، وجرَّتْني إلى الوالي، وبلغ النُّوريَّ، فجاء إلى الوالي فقال: لا تتعرَّض لها؛ فإنَّها وليَّة لله تعالى، فقال: وكيف أصنع بالمرأة؟ وإذا بجارية قد جاءت ومعها الرِّزْمة، فأطلق الوالي زيتونة، فرجع النُّوريُّ إلى مسجده، والتفتَ إلى زيتونة وقال لها: لا تعودي تقولي: ما أقذر أولياءك، فقالت: قد تبتُ إلى الله تعالى يا سيِّدي].

وحكى في «المناقب» أنَّه خرج ليلةً إلى دِجلة ليَعْبُرَ، فالتقتْ له حافَّتاها، فقال: وعزَّتك ما أعبرها إلا زورقاً[1].

وقيل: إنَّه قال: كرامةٌ بفَلْس؟ ما أريدها، يعني أجرةَ الملَّاح.

وسعى ساعٍ بالصُّوفية إلى الخليفة أنَّهم يعتقدون الحلولَ، فأمَّا الجنيد فانتسب إلى الفقه، وأمَّا النُّوري والرَّقَّام والشَّحَّام وغيرهم فإنَّه أمر بضرب أعناقهم، وجيء بالسيف والنِّطع، فتقدَّم النُّوري، فقال له السيَّاف: هل تدري إلى ما تُبادر؟ قال: نعم إلى القتل، قال: فما حَملك على هذا؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة. فتحيَّر السيَّاف، ورفع أمرَهم إلى الخليفة، فردَّهم إلى القاضي، فلمَّا حضروا عند القاضي ألقى على النُّوري مسائلَ فقهية، فأجاب عنها، ثمَّ قال: وبعد هذا؛ فإنَّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا قعدوا قعدوا بالله، وإنْ نطقوا نطقوا بالله، وذكر ألفاظاً، فبكى القاضي، وكتب إلى الخليفة: إن كان هؤلاء زنادقةً فما على وجه الأرض مسلم، فأطلقهم[2].

[وحكى في «المناقب» عن] أحمد بن إبراهيم المُقري قال: كان النُّوريُّ لا يسأل عمَّا لا يعنيه، ولا يفتِّش عمَّا لا يَحتاج إليه، غير أنه إذا رأى منكراً غيَّره ولو كان فيه تلفُه؛ نزل يوماً [إلى] دِجلة ليتوضأَ للصَّلاة، فرأى زَورقاً فيه ثلاثون دَنًّا مكتوب عليها بالقار: لطف، [فأنكر ذلك؛ لأنَّه ما كان يعرف شيئاً يعبَّر عنه بـ «لطف»] فقال للملَّاح: إيش هذه؟ فقال: أنت صوفيٌّ فضولي، هذا خمرٌ للمعتضد يريد أن يُتِمَّ به مجلسَه، فقال: أعطني المِدْرَى، فقال لغلامه: أعطه حتَّى ننظر إيش يعمل. فأعطاه، فمال على

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٢.

(٢) ذكر هذا الخبر أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥٠ـ٢٥١، وابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٣٥٣-٣٥٤، والقشيري في رسالته ص٣٨٩.

الدِّنان فكسرها إلَّا دنًّا واحداً والملَّاحُ يستغيث، فركب مؤنس بن أفلح صاحب الجِسر، فقبض على النُّوريِّ وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضدُ سيفُه يسبق كلامَه، ولم يشكّ النَّاس أنَّه سيقتله.

قال النُّوري: فأُدخلتُ وهو جالسٌ على كرسيٍّ من حديد، وبيده عمودٌ يقلِّبه، فقال: مَنْ أنت؟ قلت: مُحتسِب، قال: مَنْ ولَّاك الحِسْبة؟ قلت: الذي ولَّاك الخلافةَ، فأطرق ساعة ورفع رأسه وقال: ما الذي حملك على هذا؟ قلت: شفقةً عليك، وصرفاً للمكروه عنك، قال: فكيف سلم هذا الدَّنُّ الواحد من بين الدِّنان]؟ قلت: لَمَّا أقدمتُ على الدِّنان كان بمطالبة الحقِّ لي بذلك ولما غَمر قلبي من مشاهدة الإجلال فغابت هيبةُ الخلق عنِّي، فلما صرتُ إلى هذا الدَّنِّ تداخلني عُجْب في نفسي، وقالت: كيف أقدم مثلك على دِنان الخليفة، وتداخَلَها الكِبر، فامتنعتُ من كسره، ولو أقدمتُ بالخاطر الأوَّل حتَّى يكون ملء الدُّنيا دِناناً لكسرتها ولم أبال، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدكَ فغيِّر ما رأيت من المنكر، فقلت: الآن نقص اليقين، قال: ولِمَ؟ قلت: لأنِّي كنتُ أُنكر لله تعالى والآن صاحب شرطة، فقال: حاجتُك؟ فقلت: تعجِّل سراحي، فأذن لي.

قال أحمد: فانحدر النُّوريُّ إلى البصرة، فأقام بها حتَّى مات المعتضد خوفاً أن يُسأل الشفاعة في حاجة، ثمَّ عاد إلى بغداد[1].

وكان النُّوري يسمَّى في بغداد طاووس العُبَّاد وكذا الجنيد.

ذكر نبذة من كلامه:

حكى في «المناقب» عنه قال: أعزُّ الأشياء[2] في زماننا عالم يعملُ بعلمه، وعارفٌ ينطِقُ عن حقيقة.

وقال: كانت المُرَقَّعات صَدَفاً على الدُّرِّ، فصارت مَزابلَ على جِيَف.

وقال: الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره، والتفرقة من غيره جمع به.

وسئل: ما الفرقُ بين الحبيب والخليل؟ فقال: ليس مَن طُولب بالتَّسليم كمن نودي بالتَّسليم[3].

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) في (خ): ومن كلامه أعز الأشياء، والمثبت من (ف م١).

(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٤٩-٣٥٠.

وقال المُرْتَعِشُ: سمعت النُّوريَّ يوصي بعضَ أصحابه ويقول: احتفظ بهذه الخصال؛ مَنْ رأيته يدَّعي مع الله حالاً يُخرجه عن الشريعة فلا تقربنَّ منه، والثانية: مَنْ رأيته يسكن إلى غيرِ أبناء جنسه فلا تقربنَّ منه، والثالثة: مَنْ رأيته يَرْكَن إلى الرِّياسة والتعظيم فلا ترجُ فلاحَه، والرابعة: مَنْ رأيته رجع من الآخرة إلى الدُّنيا فلا تخالطْه، والخامسة: مَنْ رأيته مستغنياً بعِلْمه فلا تأمننَّ جهلَه، والسادسة: مَنْ رأيته يدَّعي مع الله حالة باطنةً ولا يَشهد له بها ظاهرُه، فلا تقربنَّ منه، والسابعة: مَنْ رأيته يسكنُ إلى نفسه فاحذره؛ فإنَّه مخدوع، والثامنة: مَنْ رأيته في بدايته يميلُ إلى القصائد فلا ترجُ فلاحَه، والتاسعة: فقيرٌ لا تراه حاضراً عند السَّماع فاتَّهِمْه، والعاشرة: مَنْ رأيته مدَّعياً حالةَ الكمال فلا تقربنَّ منه[1].

وسئل عن الرِّضا فقال: سرورُ القلب بمُرِّ القضاء.

وقال: لا تصل إلى الله حتَّى تخوضَ سبع بحار من نار، وعسى يبدو لك أوائلُ المعرفة.

وقال لفقير: لمن صحبت؟ فقال: لأبي حمزة الخراسانيّ، فقال: الذي يشيرُ إلى القُرب؟ قال: نعم، قال: إذا لقيتَه فقل له: يقول لك فلان: قُرْبُ القُرْب الذي تشير إليه بُعدُ البُعْد مما أنت عليه.

وقال: إذا امتزجت نارُ التعظيم مع نُور الهيبة في السِّرِّ هاجت ريحُ المحبَّة من حُجُب العطف على النَّار والنُّور، فتتلاشى البشريَّة، فيتولَّد من ذلك المشاهدة.

وسئل عن الرِّضا؟ فقال: لو أسكنني الدَّرْكَ الأسفلَ من النَّار لكنتُ أرضى مِمَّن هو في الفِردوس الأعلى[2].

ومن شعره: [من البسيط]

كم حَسْرةٍ ليَ قد غصَّت مرارتُها ... جعلتُ قلبي لها وقْفاً لذكراكا
وحَقِّ ما منك يُبكيني ويُقلقني ... لأبكينَّك أو أحظى بلُقياكا[3]

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٢.
(٢) طبقات الصوفية ص١٦٦، ١٦٩، والحلية ١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٣، والرسالة القشيرية ص٩٠، ١٥٩، ٣١٢.
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٠.

وسأل سائل فقال: [من الطويل]

إذا كان منِّي الكلُّ بالكلِّ فانياً ... أَبِنْ ليَ عن أيِّ الوجودَيْن أُخبرُ

فأجابه النُّوري: [من الطويل]

إذا كنتَ فيما لستَ بالوَصْف فانياً ... وقوفُك في الأوطانِ عندي تحيُّر

ومن شعره: [من الطويل]

إلى الله أشكو طولَ شوقي وحَيرتي ... ووجْدِي بما طالتْ عليَّ مطالبُه

ومَنْ قد بَرى جسمي وكَدَّر عيشتي ... ويَمنعني الماءَ الذي أنا شاربُه

فيا ليتَ شعري ماالذي فيه راحتي ... وما آخرُ الأمر الذي أنا طالبُه[(١)]

ومن شعره أيضاً: [من مخلع البسيط]

أشار قلبي إليكَ كَيْما ... يرى الذي لا تراه عيني

وأنت تُلقي على ضميري ... حلاوةَ السُّؤل والتمنِّي

تُريد مني اختبارَ سرِّي ... وقد علمتَ المُرادَ منِّي

وليس لي في سواكَ حظٌّ ... فكيف ما شئتَ فاختبِرْني[(٢)]

ذكر وفاته:

قال الخطيب: مات النُّوريُّ بمسجد الشونيزيَّة، وبقي جالساً أربعة أيام مقفَّعاً لا يعلمون بموته[(٣)].

وقيل: إنَّه سمع قائلاً يقول[(٤)]: [من الكامل]

ما زلتُ أنزلُ من وِدادكَ منزلاً ... تتحيَّرُ الألبابُ عند نُزوله

فهام في الصَّحراء على وجهه، ووقع في أَجَمَة قَصَب قد قُطعت وأصولُها قائمةٌ مثل السيوف، فكان يمشي عليها ويُعيد البيتَ طول الليل ـ والدَّمُ يسيل من قدميه ـ ثمَّ وقع مثل السَّكران وانتفخت قدماه، ووقع في الموت، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال:

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٨-٣٥٩، وطبقات الأولياء ص٦٣ .

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٦١، وذكرها ابن حبيب في عقلاء المجانين ص١٥٣ ، دون نسبة.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣٧ .

(٤) في (ف) و (م١): وحكى في المناقب أن أبا الحسين سمع قائلاً يقول، والمثبت من (خ).

أليس إليه ندعو[١]؟ وقيل له: هل في قلبك شهوةٌ؟ قال: نعم، أشتهي أن أراه، ثمَّ مات، فقال الجنيد: ما بقي أحد يخبر عن حقيقة الصِّدق بعد النُّوري.

أسند النُّوري عن سَرِيٍّ السَّقَطي وغيره.

وقال الخطيب بإسناده عن محمد بن عيسى الدِّهْقان قال: قلت[٢] للنُّوريِّ: ما الذي تحفظ عن السَّرِيّ؟ فقال: حدَّثنا السَّرِيُّ، عن مَعروفٍ الكَرْخيِّ، عن ابن السَّمَّاك، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قضى لأخيه المسلم حاجةً كان له من الأجر كمن خدم الله عُمُرَه»، قال محمد بن عيسى: فسألت سَرِيًّا عنه فقال: حدَّثني معروف أنَّه خرج إلى الكوفة، فرأى ابن السَّمَّاك فسأله، فذكر الحديث وزاد فيه: «وكان له من الأجر كمن حجَّ واعتمر»[٣].

[وفيها توفي]

إسماعيل بن أحمد

ابن أسد بن سامان.

أحد ملوك السَّامانية، وهم أربابُ الولايات بالشّاش وسَمَرْقَند وفَرْغانة وما وراء النهر، ولما بعث بعمرو بن اللَّيث الصَّفَّار إلى المعتضد كتب له بولاية خراسان، [وبعث إليه بالخِلَع، وولَّاه المكتفي الرّيَّ، وبلاد الترك، وما وراء النهر مُضافاً إلى خراسان].

وكان جَواداً، سَمْحاً، شجاعاً، صالحاً، بنى الرُّبُط في المفاوز، وأوقف عليها الأوقاف، وكلُّ رِباط يسع ألفَ فارس، وأقام المُقامات للمسافرين، وكسر التركَ وكانوا سبعَ مئة قبَّة[٤]، وبعث إليهم قوَّاده وهم غارون فقتلوهم.

وكان طاهر بن محمد بن عمرو بن اللَّيث قد استولى على فارس بعدما أُسر جدُّه عمرو، فأنفذ المعتضد بدراً لقتاله، فبعث [طاهرٌ إلى] إسماعيلَ يسأله أن يتوسَّطَ له عند

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٣٥٤: أعود.

(٢) في (خ): وقال محمد بن عيسى الدهقان قلت، والمثبت من (ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣١، وهو حديث موضوع، من أجل محمد بن عيسى الدِّهقان، قال الذهبي في الميزان (٧٥٦٨): لا يعرف، وأتى بخبر موضوع، وساق هذا الحديث.

(٤) في المنتظم ١٣/ ٧٤: ألف وسبع مئة قبة. وما سلف بين معكوفين من (ف) و (م١).

المعتضد ـ وقيل: عند المكتفي ـ ليُقِرَّه على فارس، ويقطع عليه مالاً، وأهدى طاهر إلى إسماعيل هدايا من جُملتها ثلاث عشرة جوهرة، وزنُ كلِّ جوهرة ما بين سبعة مثاقيل إلى العشرة، بعضُها أحمر، وبعضُها أزرق، فقوِّمت بمئة ألف دينار، فكتب إسماعيل إلى الخليفة يَشفع فيه، ويخبره بحال الهديَّة، ويَستأذنه في قبولها، فكتب إليه الخليفة لو أهدى لك كلُّ عامل لأمير المؤمنين أمثالَ هذا كان ذلك [ممَّا] يسرُّه، وشفَّعه في طاهر.

ولما توفِّي إسماعيل تمثَّل المكتفي بقول أبي نُواس: [من المنسرح]

لن يُخْلِفَ الدَّهْرُ مِثْلَهُ أبداً ... هيهاتَ هيهاتَ شأنُه عَجَبُ[1]

[وفيها توفي

الحسن بن علي بن شَبيب

أبو علي، المَعْمَريُّ، الحافظ البغداديُّ.

وإنَّما قيل له المَعْمَري؛ لأنَّ أمَّه أمُّ الحسن بنتُ سفيان بن أبي سفيان صاحب يَعْمَر ابن راشد.

رحل الحسن في طلب العلم إلى الأمصار، وكان فاضلاً، قال أحمد بن كامل: كان في جمع الحديث وتصنيفه إماماً في زماننا، وكان قد شدَّ أسنانه بالذهب، وكان يُكْنى قديماً بأبي القاسم.

وقال الخطيب: وكانت وفاتُه ببغداد في المحرَّم وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودُفن بمقابر البرامكة بباب البَرَدان، فكان حافظاً صدوقاً، والحمد لله وحده[2].

وفيها توفي]

علي المكتفي بن المعتضد بن الموفَّق

قد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، وقال المسعوديُّ: أخذ أملاك النَّاس بالشمَّاسيَّة،

(١) ديوان أبي نواس ص٣٢، والمنتظم ١٣/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٣، والمنتظم ١٣/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٣١، وهذه الترجمة من (ف م١).

وأراد أن يبنيَ قصراً بإزاء قُطْرَبُّل كما فعل أبوه، ولم يعطهم أثمانَها، فدعا النَّاس عليه، وكان وزيرُه القاسم بن عبيد الله سفَّاكاً للدِّماء، فحمله على كلِّ هولٍ وبليَّة[١].

وقال الصُّولي: أنشد متوّج بن محمود بن مروان بن أبي الجَنوب بين يدي المكتفي: [من المنسرح]

تَعروهُمُ رِعدةٌ لديكَ كما ... قَفْقَفَ تحت الدُّجُنَّةِ الصُّرَدُ

فضمَّ الصَّاد وفتح الرَّاء، فضحك المكتفي وقال: يا متوّج، ما يرضى الصُّولي بهذا.

قال الصُّولي: وكنتُ قد قمت إلى الصَّلاة، فلمَّا فرغت وعُدْت، غمزني المكتفي عليه وقال: أنشِدْه البيتَ، فأنشده فقلت: أبى الله أن يدير على لسانك صواباً، فقال: وما الصَّواب؟ فقلت: فَتْحُ الصَّاد وكسر الرَّاء.

والشعر لطُرَيح بن إسماعيل في قصيدةٍ يمدح بها السَّفَّاح، وبعد هذا البيت:

لا خوفَ ظُلمٍ ولا قِلى خُلُقٍ ... إلَّا جَلالاً كَساكهُ الصَّمدُ[٢]

وقال المكتفي يوماً لمتوّج: أليس جدك القائل: [من الطويل]

وحكَّم فيها حاكِمَيْن أبوكُمُ ... هما خلعاها خلْع ذي النَّعل للنَّعل[٣]

فقال متوج: يا أمير المؤمنين، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ما عليَّ من وِزْره؟ فقال: بلى، أنتَ على مذهبه، ثمَّ قال: يا صوليّ، أنشِدْه أبيات البُحتري في جدِّه، وزِدْ في رفع صوتك، فأنشدتُه: [من السريع]

إن كَسَدتْ سوقُك أو أخْلَقَتْ ... بضاعةٌ من شِعْرك الخائبِ

إنسابَ كي يُنفقَها زَاريا ... على عليٍّ بن أبي طالبِ

قد آنَ أن يَبرُدَ معناكُمُ ... لولا لَجَاجُ القَدَرِ الغالبِ[٤]

فقال: الحمد لله الذي برَّد معناكم في أيَّامي.

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٢٦، ومن هنا إلى ذكر وفاته ليس في (ف م١).
(٢) ذكر القصيدة كاملة صاحب الأغاني ٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥.
(٣) ذكره أبو الفرج في الأغاني ٢٣/ ٢١١.
(٤) ديوان البحتري ١/ ١٧٦.

وكان المكتفي يحبُّ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه والعلويِّين، ويُحسن إليهم، وكان من محبَّته لهم يحفظُ ديوانَ الكُميت وينشد دائماً: [من المنسرح]

أنَّى ومِنْ أينَ هاجَكَ الطَّرَبُ

القصيدة[١].

ومن شعر المكتفي: [من السريع]

مَنْ لي بأن يعلم ما أَلْقَى ... ويعرفَ الصَّبْوةَ والعِشْقا
ما زال لي عبداً وحُبِّي له ... صيَّرني عبداً له رِقّا
أَعتِقُ من رقِّي ولكنَّني ... مِن حُبِّه لا أملك العِتقا

وفي أيَّامه فُتحت أنطاكية، واستنقذ منها أربعة آلاف أسير من المسلمين، وغنم المسلمون غنائمَ عظيمة؛ أصاب الفارس ألف دينار، وقيل: ثلاثة آلاف دينار[٢].

ذكر وفاته:

[حكى الصُّولي وقال:] انصرف المكتفي من الصَّيد بناحية تكريت إلى بغداد في جُمادى الأولى [من هذه السنة]، فاعتلَّ من ذَرَب شديد، واشتدَّت عِلَّتُه في شعبان، ويُئِس منه، وزال عقلُه، فأخذ صافي الحُرَميُّ الخاتمَ من يده وهو لا يعلم، فبعث به إلى العباس الوزير، ثمَّ أفاق، فقال له الوزير: ادعُ لي بألف ألف دينار ففَرِّقها في أمهات أولادك، والمسلمون يجعلونك في حِلٍّ منها لما وفَّرت عليهم من أموالهم، فقال: والله لا فعلتُ، حسبي ما اجتنيتُ من الإثم، ولي عند صافي والداية ست مئة ألف دينار؛ جمعتُها منذ كنت صبياً، تُفَرَّق فيهنَّ فإنَّها تكفيهنّ.

وكانت وفاته ببغداد ليلة الأحد مع المغرب لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ذي القعدة، وقيل: بين الظهر والعصر يوم السبت، وحُمل إلى دار محمد بن طاهر، فدُفن عند أبيه المعتضد.

وكانت سنُّه[٣] اثنتين وثلاثين سنة غير شهر واحد. وقيل: ثلاثاً وثلاثين سنة.

---

(١) ديوان الكميت ص٦٣، وتمامه: من حيث لا صَبْوَةٌ ولا رِيَبُ.

(٢) المنتظم ١٣/ ٤ ـ ٥، وانظر مروج الذهب ٨/ ٢٤٣.

(٣) في (ف م١): واختلفوا في سنه على قولين أحدهما أنه كانت سنه.

[واختلفوا أيضاً في خلافته، فقال الصُّوليُّ:] كانت خلافته ستَّ سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، [وذكر جدِّي في «التلقيح» أنَّها كانت] خمس سنين وثلاثة أشهر(١).

وقال الطَّبريُّ: ولد سنة أربع وستين ومئتين، [فيكون له اثنتين وثلاثين سنة. قال:] وبويع لتسع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين [ومئتين(٢)].

فعلى قول الطبري تكون خلافته ستَّ سنين وشهوراً وأياماً]، وكان له يوم بُويع خمسٌ وعشرون سنة.

وقال الصُّوليُّ: لَمَّا دُفن دخلنا على العبَّاس الوزير نعزِّيه فقال: مَنِ القائل: [من البسيط]

فما تزوَّد مِمَّا كان يَملِكُه سوى حَنوطٍ غداةَ الموت في خِرَقِ

فقلت: أعشى هَمْدان(٣)، فقال: كأنَّه والله عنى المكتفي بهذا الشِّعر.

ذكر أولاده ووزرائه وقُضاته:

كان له من الولد محمَّد، والعبَّاس، وعبد الملك، وعيسى، وعبد الصَّمد، والفضل، وجعفر، وموسى، وهارون، وعبد الله، وأمُّ الفضل، وأمُّ محمد، وأمُّ سلمة، وأمُّ العباس، وأمةُ العزيز، وأسماء، وسارة، وأمة الواحد.

ووَزَر له القاسمُ بن عبيد الله، والعبَّاسُ بن الحسن.

وقضاتُه: أبو خازم، وأبو عمر، ومحمد بن يوسف.

[وكان] نقشُ خاتمه: عليٌّ يتوكَّل على ربِّه(٤).

[وفيها توفي

محمد بن عُبيد الله بن مَرْزوق

أبو بكر، البزَّار، البغدادي، ويعرف بالخلَّال.

سافر إلى البلاد، وسمع الكثير، وجالس الحفَّاظ، وكانت وفاته في جمادى

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٢، وما بين معكوفين من (ف م١).

(٢) تاريخ الطبري ١٠/ ٨٧ و ١٣٨.

(٣) البيت في الأغاني ٦/ ٥٧ لأعشى هَمْدان.

(٤) بعدها في (ف م١): انتهت سيرة المكتفي والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الأولى، وأخرج له[١] أحاديث كثيرة مستقيمة غير حديث واحد منكر أخرجه عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لما عَرج بي جبريلُ رأيتُ في السماء خيلاً وحوافرُها من الزُّمُرُّد الأخضر، وأبدانُها من العَقيق الأصفر، ذواتُ أجنحة، فقلت: يا جبريل، لمن هذه؟ فقال: لمحبِّي أبي بكر وعمر، يزورون اللهَ عليها يوم القيامة[٢].

وفيها توفي

أبو حَمْزة الصُّوفي

واختلفوا فيه، فقال السُّلَميُّ: هو خُراساني، وقال القُشَيريُّ: هو نَيْسابوري، من مَحَلَّة يقال لها: مُلْقاباذ[٣].

واختلفوا أيضاً في اسمه؛ فعامَّة المشايخ على أنَّ اسمَه كنيتُه، وذكره الخطيب في أسماء المحمَّدين فقال: محمد بن إبراهيم[٤].

وما عليه المشايخ أولى؛ لأنَّهم أَعْرَفُ به من الخطيب، ولهذا قال أبو نُعيم الأصبهاني[٥]: هو بغداديّ. وقال غيره: هو دمشقيٌّ، وهو] من أقران الجُنَيد[٦] وأبي تراب النَّخْشَبي [، وقيل: هو أقدم من الجنيد].

وكان من كبار مشايخ القوم، وأزهدِهم، وأورعِهم، وأفتاهم، وله المجاهداتُ والرياضاتُ المشهورة.

[وحكى ابن خميس عنه في «المناقب» أنَّه] قال: بقيتُ مُحرماً في عباءة سنينَ كثيرة، فكنتُ أسافر في كلِّ سنة ألفَ فَرْسخ، تطلعُ عليَّ الشمس وتغرب، كلَّما حَلَلْتُ أحرمتُ[٧].

[قال: وهو صاحب أبي تُراب النَّخْشَبي وعنه أخذ. والحمد لله وحده.

---

(١) يعني الخطيب في تاريخه ٣/ ٥٦٩.

(٢) وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٦٧ ـ ٦٨، وقال: هذا حديث موضوع بلا شك؛ وهذه الترجمة من (ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ص٣٢٦، والرسالة القشيرية ص١٠٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١. وفيه أنه توفي سنة (٢٩٠).

(٤) في تاريخ بغداد ٢/ ٢٧٤، والذي ذكره الخطيب باسم محمد بن إبراهيم سلف ترجمته في وفيات سنة ٢٦٩هـ.

(٥) في الحلية ١٠/ ٣٢٠.

(٦) ما بين معكوفين من (ف م١)، وجاء بدلها في (خ): أبو حمزة الصوفي من أقران الجنيد.

(٧) مناقب الأبرار ٢/ ٢٢.

ذكر وقوعه في البئر:

حكاها في «المناقب»، وذكرها السُّلَميُّ وأبو نعيم وغيرهم عن أبي حمزة] قال: حَجَجتُ سنةً من السِّنين، فبينا أنا أمشي وقعتُ في بئر، فجعلت في قعرها، ولم أقدر على الخروج منها، وإذا قد وقف على رأسها رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتَّى نسدَّ رأس هذا البئر لئلَّا يقع فيه أحد من المجتازين، فجاءا بقصب وباريَّة[1]، فهَمَمْتُ أن أنادي أنا فيها[2] فنُوديت: تتوكَّل علينا وتشكونا إلى غيرِنا؟! فسَكتُّ، فطمُّوها، فأقمتُ فيها يومي وليلتي، وإذا بشيءٍ قد كشف رأسَ البئر، ودلَّى رجليه، وهَمْهَم كأنَّه يقول: تعلَّق بي، فتعلَّقت به فأخرجني، وإذا به سَبُع، ونُوديت: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن؟ نَجَّيناك من التَّلَف بالتَّلَف، وكفيناك ما تخافُ ممَّا تخاف، وأنشأ أبو حمزة يقول: [من الطويل]

نهاني حَيائي منك أن أكشِفَ الغِطا ... وأغنيتَني بالفَهْم منكَ عن الكشْفِ

تلطَّفْتَ في أمري فأبديتَ شاهدي ... إلى غائبي واللُّطفُ يُدْرَك باللُّطْفِ

تراءيتَ لي بالغيب حتَّى كأنَّما ... تبشِّرني بالغيب أنَّك في كفِّ

أراكَ وبي من هيبةٍ لكَ جِشمةٌ ... فتُؤْنِسُني بالفَهْم منك وبالعطفِ

وتُحيي مُحِبًّا أنتَ في الحُبِّ حتْفُه ... ومِن عَجَبٍ كونُ الحياةِ من الحَتْفِ

[قلت: وذكر جدِّي هذه الحكاية في «تلبيس إبليس» وقال: أخطأ هذا الرجل، وخالف الشَّرع بسكوته، وقد أعان على نفسه، وكان يجب عليه أن يصيحَ ويمنعَ من طمِّ البئر، كما يجب عليه أن يدفعَ عن نفسه مَن يَقْصد قتلَه؛ فإنَّ إلقاء النَّفس إلى الهَلَكة حرام[3]. وذكر كلاماً في هذا المعنى.

قلت: وهذا الذي ذكر جدِّي هو ظاهرُ الشرع، وليس على أرباب التوكُّل في مثل هذه الأحوال جُناح، ولطالما نُجِّي من بحار الهلاك الغرقى، وأُغرق السبَّاح، وطريقةُ أرباب القلوب والأولياء غيرُ طريقة الفقهاء والعلماء، والحمد لله وحده].

---

(١) الباريَّة: الحصير المنسوج. اللسان: (بور).

(٢) في (خ): فجعلت أُنادي أنا فيها، والمثبت من (ف) و (م١).

(٣) تلبيس إبليس ص٢٩٤، وانظر حلية الأولياء ١٠/ ١٧٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، والرسالة القشيرية ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢.

السنة السادسة والتسعون بعد المئتين

فيها خُلع المقتدر[(١)]، وسببُه صِغَر سنِّه، وقصورُه عن تدبير الخلافة، واستيلاءُ أمِّه والقَهْرَمانة على الخلافة.

قال القاضي محمد بن يوسف: لما تمَّ أمر المقتدر استصباه العبَّاس الوزير، وكثر خَوْضُ النَّاس فيه في صغر سنِّه، فعمل العبَّاس على أن يخلي أمره، ويقلِّد الخلافة محمدَ بنَ المعتمد، ثمَّ اجتمع محمد بن المعتمد وابنُ عمْرَوَيْه صاحب الشرطة في مجلس العبَّاس يوماً، وجرت بينهما منازعة، فأربى عليه ابن عمرَوَيْه في الكلام، ولم يعرف ما قد رُشِّح له، ولم يتمكَّن محمد من الانتصاف منه لمحَلِّه، فلمَّا اغتاظ غيظاً عظيماً كظمه، ففُلج في المسجد، فاستدعى العبَّاس عماريَّة، فحمله فيها إلى منزله، فلم يلبث أن مات، فعمل العبَّاس على تقليد أبي الحسين ابن لُجين من ولد المتوكِّل على الله، فمات الآخر.

ذكر فتنة عبد الله بن المُعْتَزّ

اتَّفق جماعة من القوَّاد والأعيان والقضاة والعامَّة على خَلْع المقتدر وتولية عبد الله ابن المعتزِّ الخلافةَ، فأجابهم بشرط ألَّا يكونَ فيها دمٌ ولا حرب، فأجابوه كلُّهم، وكان رأسُهم محمدَ بن داود بن الجرَّاح، وأبو المثنَّى أحمد بن يعقوب القاضي، والحسين ابن حمدان، واتَّفقوا على قتل المقتدر ووزيرِه العبَّاس وفاتكٍ المعتضدي، فلمَّا كان يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول ركب الحسين بن حمدان والقوَّاد والوزير، ووقفوا على باب الخلافة وتسايروا، فعطف الحسين بن حمدان على العبَّاس الوزير فقتله، فأنكر عليه فاتك، فعطف على فاتك فقتله، وكان المقتدر بالحلبة يلعب بالصَّوالِجَة، فقصده ابنُ حمدان ليقتله، وسمع المقتدرُ الضجَّةَ، فدخل الدَّار وأغلق الأبواب، فعاد ابن حمدان إلى المُخَرِّم[(٢)]، فنزل بدار سليمان بن وهب، وأرسل إلى عبد الله بن المعتز ـ وكان نازلاً في دار إبراهيم بن أحمد المادرائيِّ ـ الراكبةَ على الصَّراة

(١) من هنا إلى قوله: وفيها قدم الحسين بن حمدان... ليس في (ف) و (م١).

(٢) المُخَرِّم: محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى. معجم البلدان ٥/ ٧١ .

ودجلة، فعبر إلى المخرِّم إلى ابن حمدان، وحضر القوَّاد والجندُ والقضاةُ ووجوهُ الناس سوى خواصِّ المقتدر وأبي الحسين بن الفرات، فبايعوه بالخلافة، ولقَّبوه بالمنتصف بالله، وقيل: بالغالب بالله، وقيل: بالمرتضي، وقيل: بالراضي بالله.

واستوزر محمدَ بن داود بن الجرَّاح، وقلَّد محمد بن عبدون دواوين الأزمَّة، وعليَّ ابن عيسى دواوينَ الأصول، وجعل يُمْن الخادم حاجبَه، فغضب سوسن الخادم وعاد إلى المقتدر.

ونفذت الكتبُ عن عبد الله بن المعتز بالرسائل إلى سائر البلاد يخبرهم بتقليده الخلافةَ، وكان تمامُ أمره ليلة يوم الأحد لتسعٍ بقين من ربيع الأول.

وقال الصُّولي: كان العبَّاس الوزير قد دبَّر خلع المقتدر وقتله مع الحسين بن حمدان ومبايعةَ ابنِ المعتز، ووافقهم وصيف التركيُّ، وبلغ المقتدرَ فأصلح حال العبَّاس ورفع إليه مالاً، فرضي ورجع عن ذلك، وعلم الحسينُ بن حمدان فقتله على ما ذكرناه.

وبلغ الخبرُ إلى الفقيه أبي جعفر الطَّبريِّ فقال: ومن ترشَّح للوزارة؟ قالوا: محمد ابنُ داود بن الجرَّاح، قال: ومن ذُكر للقضاء؟ قالوا: أبو المثنَّى أحمد بن يعقوب، ففكَّر طويلاً وقال: هذا أمر لا يتمّ، قيل: ولِمَ؟ قال: لأنَّ كلَّ واحد من هؤلاء الذين ذكرتم مقدَّم في نفسه، عالي الهِمَّة، رفيعُ المرتبة في أبناء جنسه، والزمان مُدْبِر، والدّولةُ مُوَلِّية، فكان كما قال.

ثمَّ إنَّ ابنَ المعتزِّ بعث إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر؛ لينتقلَ هو إلى دار الخلافة، فأجاب بالسمع والطاعة، ولم يكن بقي معه من رؤساء القوَّاد غير مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال، وجماعة من الخدم والحاشية.

وباكر الحسينُ بن أحمد بن حمدان إلى دار الخلافة فقاتلها، فأجمع الغلمان والخَدَم فدفعوه عنها، فحمل ما قدر عليه من المال والحريم، وسار إلى الموصل، فقال الذين بقَوْا عند المقتدر: يا قوم، نسلِّم هذا الأمر هكذا! لِمَ لا نجرِّب نفوسَنا في دفع ما قد أظلَّنا، فلعلَّ اللهَ أن يكشفه عنَّا؟ فنزلوا في الشَّذا، وألبسوا جماعةً منهم السِّلاح، وقصدوا دار المُخَرِّم وفيها عبد الله بن المعتز، فلمَّا رآهم مَن كان فيها أوقع اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ، فانصرفوا قبل أن يجري بينهم حرب، وولَّوا منهزمين.

وخرج عبد الله بن المعتزِّ من الدَّار، وقدِّمت له دابَّة فركبها، ومعه محمد بن داود وزيرُه، ويُمْن حاجبه، وقد شهر سيفه وهو ينادي: معاشر العامَّة، ادعوا لخليفتكم، وأشار إلى الجيش أن يتبعَهم إلى سامراء ليثبت أمرهم بها، فلم يتبعهم أحد من الجيش، فنزل ابن المعتزِّ من دابَّته، ودخل دارَ ابن الجصَّاص، واستتر ابنُ الجرَّاح والقاضي أبو المثنَّى، ونُهِبتْ دورُهما، ومرَّ النَّاس على وجوههم، ووقعت الفتنةُ والنَّهب والقتلُ ببغداد.

واستتر أبو الحسن عليُّ بن عيسى، ومحمد بن عبدون في دار رجل يبيع البَقْل، وبدَرهما العامَّة فكبسوا الدَّارَ وأخرجوهما على بَغْل بإكاف إلى دار المقتدر، [وقُبض](١) على وصيف بن صوارتكين ـ وقيل: إنَّه هو الذي قتل فاتكاً ـ وقُبض على يُمْن الخادم، والقاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والقاضي أبي المثنَّى أحمد بن يعقوب، والقاضي محمد بن خلف، والقوَّاد والفقهاء الذين خلعوه، وسُلِّموا إلى مؤنس الخازن، فقتلهم جميعاً إلَّا ما كان من عليِّ بن عيسى، ومحمد بن عبدون، والقاضي محمد بن يوسف، والقاضي محمد بن خلف، فإنَّهم سَلِموا من القتل، وكان قتْلُ الباقين يوم الاثنين لثلاث عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الآخر.

وأقام ابنُ المعتز يوماً وليلةً، ثمَّ استتر في دار ابن الجصَّاص، وثبت أمر المقتدر يوم الاثنين لثمانٍ بقين من ربيع الأوَّل.

وفيها استوزر المقتدرُ أبا الحسن عليَّ بن محمد بن الفرات، وخلع عليه خِلع الوزارة، ومشى الناسُ بأجمعهم بين يديه إلى داره بسوق العَطَش، وخلع المقتدر على مؤنس الخادم وغريب الخال ويانس وصافي الحُرَميّ وغيرهم، وطُوِّقوا وسُوِّروا، وجاء خادم يُعرف بسوسن من خُدَّام أبي عبد الله بن الجصَّاص إلى صافي الحُرَمي، فأخبره بأنَّ ابن المعتزِّ في داره، فبعث المقتدر صافياً في جماعة، فكبس دارَ ابن الجصَّاص، وأخذ ابنَ المعتز وابنَ الجصَّاص إلى دار الخليفة، فصُودر ابن الجصَّاص على مال وأُطلق، وحُبس ابن المعتز، ثمَّ أخرج ميتاً بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ١٧ .

وفيها أمر المقتدرُ أن لا يُستخدم أحدٌ من اليهود والنَّصارى إلَّا في الطِّبِّ والجَهْبَذَة فقط، وأن يُطالَبوا بلبس العسليِّ، وتعليقِ الرِّقاع المصبوغة على دراريعهم، وأن يركبوا على السُّروج التي هي كهيئة الأكف[١].

وفيها افتتح أبو الحسن بن الفرات وزارته بأن أخرج أمرَ الخليفة إلى سائر البلاد بإنصاف الرعيَّة، وإفاضة العدل والإحسان، وإزالةِ الرُّسوم الجائرة عنهم، وأعطى بني هاشم جوائزَهم وصِلَتَهم، وأخرج أمره بالصَّفْح عمن خرج عن طاعته ووالى ابنَ المعتز، وأمر بإحراق جميع الجرائد التي فيها أسامي مَن خلع المقتدر، وقيل: إنَّه غرَّقها في دِجلة، فدعا الناس له وللوزير.

ولَمَّا استقرَّ الأمر للمقتدر فوَّض الأموالَ إلى أبي الحسن بن الفرات، وتوفر على لذَّاته واحتشم الرِّجالَ وانقبض عنهم، واطَّرح النُّدماء والجلساء والمغنِّين، وعاشر النساء، وغلب على الدَّولة الحُرَم والخدم، وما زال يُنفق الأموالَ من بيت مال الخاصَّة ويبذِّر حتَّى أتلفها.

وفيها قدم الحسين بن حمدان إلى بغداد[٢]، وسببُه: أنَّ المقتدر كتب إلى أخيه أبي الهيجاء عبدِ الله بن حمدان في قصد أخيه، وبعثَ له أربعة آلاف رجل مع القاسم بن سيما، فالتقَوْا، فانهزم أبو الهيجاء وابنُ سيما، فنزل إبراهيم بن حمدان إلى بغداد، فأصلح أمرَ أخيه الحسين، وكتب له المقتدر أماناً، فقدم في جمادى الآخرة فنزل ظاهر بغداد من الجانب الغربيِّ ولم يدخلْ دارَ الخلافة، وقُلِّد أعمالَ الحرب بقُمّ وقاشان، وحملت إليه الخِلَع، فلبسها ومضى إلى قمّ، وعزل عنها العبَّاس بن عمرو.

وفيها وقع ببغداد ثلجٌ في كانون من أول النَّهار إلى العصر، وأقام أياماً لم يَذُب.

وفي رمضان ابتدئ بعمارة المصلَّى ببغداد، وصلَّى فيه أبو الحسن بن الفرات الوزير يومَ الفطر.

وخلع المقتدر على مؤنس الخادم، وأمره بالخروج إلى الثَّغْر بسبب الفداء.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ١٤٠ ـ ١٤٢، والمنتظم ١٣/ ٧٩ ـ ٨٢، والكامل ٨/ ١٤ ـ ١٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٩ ـ ٨٧١، وتكملة تاريخ الطبري ١١/ ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) من هنا إلى آخر الخبر ليس في (ف) و (م١).

ووصل الخبر بأنَّ السَّيْل دخل مكَّة فغرق البيت من أربعة أركانه، وأنَّ زمزم فاضت ولم يُعرف ذلك [من قبل غير طُوفان نوح].

وقُلِّد محمد بن عبد الله بن عليٍّ بن أبي الشَّوارب القضاءَ بالحَرَمين، فخرج مع الحاجِّ، واستخلف محمدَ بن موسى الرازي.

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك، وعاد كثير من الحاجِّ لقلَّة الماء، وغارت العيون، وانقطع المطر، وخرج النَّاس يستسقون.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن هانئ، أبو بكر الطَّائي، الأَثْرَم.

سمع الكثير، وصنَّف «عِلَلَ الحديث»، و«الناسخَ والمنسوخ» في الحديث، وكان صاحبَ الإمام أحمد رحمة الله عليه، وعلى مذهبه اشتغل، وأصلُه من بلد إسكاف وهناك مات.

سمع عفَّان بنَ مسلم وغيرَه، وكان فاضلاً ثقةً ورعاً حافظاً متقناً[(١)].

خَلَف بن عمرو

ابن عبد الرَّحمن بن عيسى، أبو محمد العُكْبَرِيُّ.

كان له ثلاثون خاتماً، وثلاثون عُكَّازاً، يلبس كُلَّ يوم خاتماً ويحمل عكَّازاً، وكان واسع المال والجاه، عظيمَ السّتر، وكان قد علَّق في بيته سوطاً، فقيل له في ذلك، فقال: عَلِّق السَّوط يَخافُك عيالُك. وكانت وفاته بعُكْبَرا، سمع سعيدَ بن منصور وغيرَه، وروى عنه الخُطبي وغيرُه، وكان ثقةً[(٢)].

فصل وفيها توفي

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، والمنتظم ١٣/ ٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، والمنتظم ١٣/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٤٢، وهاتان الترجمتان ليستا في (ف م١).

عبدُ الله بن المُعْتَزّ

واسم المعتز، محمد بن جعفر المتوكّل، وكنية عبد الله أبو العبَّاس، وقيل: أبو عبد الله.

قال سنان بن ثابت: ولد[(١)] سنة ستٍّ وأربعين ومئتين ـ [وقال الخطيب:] لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومئتين ـ قبل قتل المتوكِّل بأربعين ليلة.

[قال سنان بن ثابت:] واسم أمِّه خاين[(٢)].

[قلت: ولم يذكر ذلك غيره، وهو اسم غريب].

وكان غزير الأدب، بارعَ الفضل، مَليح الشعر، لم يسبقه أحد إلى التشبيهات في نظمه، وله النثر المليح.

أخذ الأدب عن المبرِّد وثعلب وغيرهما، وكان كريمَ الأخلاق، حسنَ العشرة، جواداً، ممدَّحاً[(٣)].

وقال الصُّولي: حدَّثني ابن المعتزّ قال: كان محمد بن يزيد المبرِّد يأتيني كثيراً في دار أبي المثنَّى القاضي، فاشتقتُ إليه، وكنتُ قد امتنعتُ من الرُّكوب حتَّى إلى الجامع، فكتبت إليه: [من الرجز]

ما وَجْدُ صادٍ في الحِبال مُوثَق ... عن ماءِ مُزْنٍ باردٍ مصفَّقِ
جادت به أَخلافُ دَجْنٍ مُطْبِق ... لصَخرةٍ إنْ ترَ شمساً تَبْرُقِ
فهو عليها كالزُّجاج الأزرق ... صريحِ غيثٍ خالصٍ لم يُمْذَقِ
إلا كوجدي بكَ لكنْ أتَّقي ... يا فاتحاً لكلِّ بابٍ مُغْلَقِ

(١) في (خ): عبد الله بن المعتز محمد بن جعفر المتوكل أبو العباس ولد. والمثبت من (ف م١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٢، ومروج الذهب ٨/ ٢٥٠، والمنتظم ١٣/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٧٠، والسير ١٤/ ٤٢، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي ص١٠٧.

(٢) في (ف م١): جابن، وينظر النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٦.

(٣) بعدها في (ف م١): وقد ذكرنا طرفاً من أشعاره فمنها:

أترى الجيرة الذين تداعوا ... عند سير الحبيب قبل الزوال

قلت: وسيأتي البيت مع غيره قريباً.

وصَـيْـرفـيًّـا نـاقِـداً لـلـمَـنْـطـقِ إن قـال هــذا بَـهْـرجٌ لـم يَـنْـفُـقِ
إنَّـا عـلـى الإبـعـاد والـتـفـرُّقِ لَـنَـلْـتَـقـي بـالـقـلـب إن لـم نـلـتـقِ

فكتب إليَّ يدعو لي ويشكرني ويقول: إنَّني لست مِمَّن يقول الشعر[1].

قال المصنف رحمه الله: وابن المعتز إنَّما أخذ هذا المعنى من قول جميل[2]: [من الطويل]

فـمـا صـافِـنـاتٌ حُـمْـنَ يـومـاً ولـيـلـةً على الـمـاء يَـغْـشَـيـنَ الـعِـصـيَّ حواني
لَـوائـبُ لـم يَـصْـدُرنَ عـنـه بـوِجـهـةٍ ولا هُـنَّ مـن بَـرْد الـحِـيـاضِ دوانـي
يَـرَيْـنَ حَـبـابَ الـمـاء والـمـوتُ دونَـه فـهـنَّ لأصـواتِ الـسُّـقـاةِ رَوانـي
بـأكـثـرَ مـنِّـي لَـوْعَـةً وتـشـوُّقـاً إلـيـكِ ولـكـنَّ الـعـدوَّ عَـدانـي

وفي المعنى: [من الطويل]

ومـا وَجْـدُ مِـلْـواحٍ مـن الـهِـيْـم حُـلِّـئـتْ عـن الـوِرْدِ حتَّى جَـوفُـهـا يَـتَـصَـلْـصَـلُ
تـحـومُ وتـغْـشـاهـا الـعِـصـيُّ ودونَـهـا أكـاريـعُ أنـعـام تُـعَـلُّ وتُـنْـهَـلُ
بـأظـمـأ مـنِّـي غُـلَّـةً وتـشـوُّقـاً إلـى الـوِرْد إلَّا أنَّـنـي أتـعَـلَّـلُ[3]

وقريباً منه: [من الطويل]

ومـا ذاتُ طَـوْقٍ فـي فـروعِ أراكـةٍ لـهـا رَنَّـةٌ تـحـت الـدُّجـى وصُـدُوحُ
تـرامَـتْ بـهـا أيـدي الـنَّـوى وتـمـكَّـنـتْ بـهـا فُـرْقَـةٌ مـن أهـلـهـا ونُـزُوحُ
فـحـلَّـت بـزَوْراء الـعـراق وزَرْبُـهـا بـعُـسْـفـانَ ثـاوٍ مـنـهـم وطَـلـيـحُ
تـحـنُّ إلـيـهـم كـلَّـمـا ذرَّ شـارقٌ وتَـسـجَـعُ في جُـنْـحِ الـدُّجـى وتَـنُـوحُ
بـأبْـرحَ مـن وَجْـدِي لـذكـراكُـمُ مـتـى تـألَّـقَ بـرقٌ أو تَـنـسَّـم ريـحُ[4]

(١) الخبر والأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ١١٤ ـ ١١٥، وتاريخ بغداد ١١/ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ بين ابن المعتز وثعلب، وانظر ديوانه ص٢٩٨.

(٢) كلام المصنف هذا ليس له، وإنما هو لثعلب كما نقل الصولي ص١١٥، وعنه الخطيب ١١/ ٣٠٣، وأبيات جميل الآتية في ديوانه ص٢٠٥.

(٣) الأبيات دون نسبة في البيان والتبيين ٣/ ٥٥. والملواح في الدواب: السريع العطش، وحُلِّئت: مُنِعت. اللسان: (لوح)، (حلأ).

(٤) نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٨ لفخر الدين صاحب تكريت.

ومن شعر عبد الله بن المعتز: [من المتقارب]

بَلوتُ أخِلَّاء هذا الزَّمانِ فأقلَلْتُ بالهَجْر منهم نَصيبي
وكلهمُ إن تَصَفَّحتُهم صديقُ العِيان عَدُوُّ المغيبِ(١)

وله: [من الخفيف]

حدَّثَتْ عن تغيُّري الأترابا ومشيبي فقُلنَ بالله شابا
نظرتْ نظرةً إليَّ وصدَّتْ كصُدودِ المَخْمور شمَّ الشَّرابا
هي أدهى مُلمَّةٍ نزلتْ بي أنْ تَصُدِّي وقد عَدِمتُ الشبابا(٢)

وله: [من مجزوء الرمل]

[ابْكِ] يا نفسُ وهاتي توبةً قبل المماتِ
قبلَ أن يُفجِعَنا الدَّهْرُ ببَيْنٍ وشَتاتِ
لا تخونيني إذا متُّ وقامتْ بي نُعاتي
إنَّما الوافي بعهدي مَن وَفَى بعد وفاتي

قال المصنِّف رحمه الله: كذا روى الصُّولي هذه الأبيات، ورواها غيرُه:

بحياتي يا حياتي اشربي الكأسَ وهاتي

الأبيات(٣).

وقد أنشدها الحلَّاجُ عند قتله، وزاد فيها: [من مجزوء الرمل]

والذي حيّ قيومٌ غيرُ مَفْقودِ الصِّفاتِ
وأنا منه مقيمٌ(٤) في حُجورِ المُرْضِعاتِ
أين راقٍ لغَرامي وطبيبٌ لشَكاتي

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

ما عابني إلا الحَسُو دُ وتلك من خيرِ المعائبْ

---

(١) ديوان ابن المعتز ص٦٢، والمنتظم ١٣/ ٨٧.

(٢) نسبها الصفدي في الوافي بالوفيات ٦/ ٢٥٩ لأحمد بن أمية الكاتب...

(٣) أشعار أولاد الخلفاء ١٧٩، والمنتظم ١٣/ ٨٨، والبداية والنهاية ١٤/ ٧٥٤.

(٤) ذكر هذين البيتين القزويني في آثار البلاد ص١٦٨ وروايتهما فيه: والذي حي قديم... وأنا منه رضيع....

فــإذا فَــقَــدْتَ الــحــاســديــ ـنَ فَقَدْتَ في الدُّنيا الأطايبْ(١)

وقال: [من السريع]

ســابِــقْ إلــى مــالــكَ وُرَّاثَــه ما المرءُ في الدُّنيا بلبَّاثِ
كم صامتٍ يَخْنُقُ أكياسَه قد صاح في ميزانِ ميراثِ(٢)

وقال: [من السريع]

تطرَّقُ أهلَ الفَضْلِ دونَ الوَرَى مصائبُ الدُّنيا وآفاتُها
كالطير لا يُحبَسُ من جنسِها إلَّا التي تُطرِبُ أصواتُها(٣)

وقال: [من الوافر]

تولَّى الجهلُ وانقطع العِتابُ ولاح الشَّيبُ وافتُضِحَ الشبابُ
لقد أبغَضْتُ في نفسي مَشِيبي فكيف تُحِبُّني الخَوْدُ الكَعَابُ(٤)

وقال: [من الطويل]

وما تنفعُ الآدابُ والعِلْمُ والحِجَى وصاحبُها عند الكمال يموتُ
كما مات(٥) لقمانُ الحكيمُ وغيرُه وكلُّهمُ تحت التُّراب صُمُوتُ

وقال: [من السريع]

يا ذا الغنى والسَّطْوَةِ القاهره والدَّولةِ الناهيَةِ الآمِرَهْ
ويا شياطينَ بني آدم ويا عبيدَ الشَّهوةِ الفاجِرَهْ
انتظرِ الدُّنيا فقد أقْرَبَتْ وعن قليلٍ تَلِدُ الآخِرَهْ(٦)

وقال: [من البسيط]

إنَّ الذين بخيرٍ كنتَ تَذْكُرُهمْ قضَوْا عليكَ وعنهم كنتُ أنهاكا

(١) ديوانه ص٧١، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٤.
(٢) المنتظم ١٣/ ٨٨.
(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٥٤ دون نسبة.
(٤) ديوانه ص٨٢، وأشعار أولاد الخلفاء ص٢٨١.
(٥) في (خ): قال. والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٥.
(٦) أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٤، والمنتظم ١٣/ ٨٨.

لا تَطْلُبنَّ حياةً عند غيرهمُ ... فليس يُحييك إلّا من تَوَفَّاكا

وقال: [من الخفيف]

أترى الجِيرةَ الذين تَداعَوْا ... عند سَيْرِ الحبيبِ قبلَ الزَّوالِ

عَلِموا أنَّني مُقيمٌ وقلبي ... راحلٌ فيهمُ أمامَ الجِمالِ

مثلَ صاعِ العزيزِ في أرحُلِ القو ... مِ ولا يعلمون ما في الرِّحالِ

ما أعزَّ المعشوقَ ما أهونَ العا ... شِقَ ما أقتلَ الهوى للرِّجالِ(١)

وقال: [من المتقارب]

أَطَلْتَ وعَذَّبْتَني يا عَذولُ ... بُليتُ فدَعْني حَديثي يَطولُ

هوايَ هوى باطنٌ ظاهرٌ ... قديمٌ حديثٌ لطيفٌ جليلُ

ألا ما لِذا اللَّيلِ لا يَنقضي ... كذا ليلُ كلِّ محبٍّ يَطولُ

أبيتُ أُساهِرُ نَجْمَ الدُّجى ... إلى الصُّبح وحدي ودَمْعي يَسيلُ(٢)

وقال: [من المنسرح]

يطوفُ بالرَّاح بيننا رَشَأٌ ... مُحَكَّمٌ في القُلوب والمُقَلِ

يكادُ لَحْظُ العُيونِ حين بدا ... يَسفِكُ من خدِّه دَمَ الخَجَلِ

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

اصبِرْ على كَيْدِ الحَسو ... دِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُهْ

كالنَّارِ تأكُلُ بعضَها ... إنْ لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ

وقال في عُبيد الله بن سليمان: [من الطويل]

لآل سليمانَ بنِ وَهْبٍ صنائعٌ ... إليَّ ومعروفٌ لديَّ تقدَّما

هُمُ علَّموا الأيامَ كيف تَبَرُّني ... وهُمْ غَسَلُوا عن ثوبِ والدِيَ الدَّما

وقال وقد افتصد أبوه: [من الخفيف]

يا دماً سال من ذِراع الإمامِ ... أنتَ أزكى من عَنْبرٍ ومُدامِ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٨٧، ٨٨.

(٢) ديوانه ص٣٢٩، والمنتظم ١٣/ ٨٩، وأشعار أولاد الخلفاء ٢٣٩.

قد ظننَّاكَ إذ جريت إلى الطَّسْـ ـتِ دموعاً من مُقْلَتَيْ مُستهام
إنَّما غرَّق الطبيب شَبا المِبْـ ـضَعِ في نَفْسِ صِحَّةِ الإسلامِ[1]

وقال: [من البسيط]

يا نفسُ صَبراً وإلَّا تهلكي جزعاً إنَّ الزَّمانَ على ما تَكرهين بُني
لا تحسبي نِعماً سرَّتْكِ لذَّتُها إلَّا مفاتيح أبوابٍ من الحَزَنِ[2]

قال الصوليُّ: اعتلَّ عبدُ الله بن المعتز، فأتاه أبوه عائداً[3] وقال: ما عَراكِ يا بُنيّ؟ فأنشأ يقول: [من الخفيف]

أيُّها العاذِلون لا تَعْذِلوني وانظروا حُسْنَ وجْهِها تعذُروني
وانظروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها إن رأيتم شَبيهَها فاعذِلُوني

فتتبَّع أبوه الحالَ حتى وقع عليها، فابتاع الجاريةَ التي شغف بها بسبعة آلاف دينار، وبعث بها إليه.

[وقال بعض المتأخِّرين: وابن المعتز هو القائل:

الشمسُ نَمَّامَةٌ والبَدْرُ قَوَّادُ[4]

سرقه المتنبي فقال: [من البسيط]

أزورُكم وسوادُ اللَّيل يَشفعُ لي وأنثني وضياءُ الصُّبح يُغْرِي بي][5]

ومن كلامه[6]:

أنفاسُ الحيِّ خُطاه إلى أجله.

ربَّما أوْرَد الطَّمع ولم يُصْدِر.

ربما شَرِق شارب الماء قبل رِيِّه.

---

(١) انظر المقطعات الأربعة في ديوانه ص٣٣٧، ٣٤٤، ومروج الذهب ٨/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤.

(٢) المنتظم ١٣/ ٨٨.

(٣) في (خ): اعتل عبد الله فأتاه المعتز عائداً، والمثبت من (ف م١). وانظر المنتظم ١٣/ ٨٦.

(٤) صدره كما في ديوانه ص١٤٧: لا تَلْقَ إلا بليلٍ مَن تواصلُه.

(٥) ديوان المتنبي ١/ ٢٩٠، وهذه الزيادة من (ف م١).

(٦) من هنا إلى ذكر مقتله ليس في (ف م١).

مَن تجاوز الكفافَ لم يُغْنِه الإكثار.
كلَّما عَظُمَ قَدْرُ المُنافس فيه عَظُمَت الفَجيعةُ به.
أشقى النَّاسِ أقرَبُهُم من السُّلطان؛ كما أنَّ أقرب الأشياء من النَّار أسرعُها احتراقاً.
ومن شارك السُّلطان في عزِّ الدُّنيا شاركه في ذُلِّ الآخرة.
أهلُ الدُّنيا رَكْبٌ يُسارُ بهم وهم نيام.
الحرصُ يُنْقِص من قَدْر الإنسان ولا يزيد في حظِّه.
يكفيك من الحاسد أنه يغتمُّ في وقت سُرورك.
الفُرصةُ سريعةُ الفَوْت بعيدةُ العَوْد.
الجودُ حارس الأَعراض.
الأسرار إذا كثُر خُزَّانها ازدادت ضَياعاً.
البلاغة بلوغُ المعنى.
[ذلُّ] العَزْل يضحكُ من تِيه الولاية.
تَرِكة الميت عزٌّ للورثة.
لا تَشِنْ وجهَ العَفْوِ بالتَّقريع.
ومن أظْهَر عداوتَكَ فقد أنذرَكَ[1].

اللسانُ تُرجمانُ القلب، وصيقلُ العقل، ومُجلي الشُّبَه، ومُظهِرُ الحُجَج، والحاكم عند مخاصمة الظَّنِّ، والفارق بين الشَّكِّ واليقين.

خيرُ الكلام ما شرُفتْ مبانيه ولطُفَتْ معانيه.

وإذا كان اللَّفظ بليغاً، والمعنى شريفاً، والطبعُ صحيحاً، أثَّر في القلوب تأثيرَ الغيث في التُّربة الكريمة.

ذكر مقتله:

قال الصُّوليُّ: قال عبد الله بن المعتز في الليلة التي قُتل في صَبيحتها[2]: [من البسيط]

---

(١) المنتظم ١٣/ ٨٥ وما بين معكوفين منه. وانظر أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٧.

(٢) في (ف م١) بعدها: الأبيات الطاقية (كذا؟!) قلت: وقد ذكرها الخطيب وقال بإسناده عن أحمد بن محمد بن =

يا نفسُ صَبْراً لعلَّ الخيرَ عُقْباكِ ... خانَتْكِ من بعد طولِ الأمْنِ دنياكِ
مرَّت بنا سَحَراً طَيرٌ فقلتُ لها ... طوباكِ يا ليتني إياكِ طوباكِ
إن كان قصدُكِ شَرْقاً فالسلام على ... شاطي الصَّراةِ ابْلُغي إن كان مَسْراكِ
من مُوثَقٍ بالمنايا لا فكاكَ له ... يبكي الدِّماء على إلْفٍ له باكي
[فرُبَّ آمنة حانَتْ منيَّتُها ... ورُبَّ مُفْلَتَة من بين أشراكِ]
أظنُّه آخرَ الأيام من عُمُري ... وأوشكَ اليوم أن يبكي لي الباكي

فقتله مؤنس آخرَ الليل.

[قلت: لو أراد ابن المعتزِّ أن يكون مُطْلَقاً مثل الطَّير، سليماً من كلِّ آفةٍ ما تعرَّض للخلافة.

وقال الصُّولي:] لَمَّا أرادوا قتلَه قال: [من الوافر]

فقل للشَّامِتين بنا رُويداً ... أمامكُمُ المصائبُ والخُطُوبُ
هو الدَّهْرُ الذي لا بدَّ من أنْ ... يكونَ إليكُمُ منهُ دَبيبُ

قلت: كأنَّه نظر في سِتْر رقيق، فإنَّ المقتدرَ قُتل شرَّ قِتْلة لما نذكر.

قال الصولي: سلَّم المقتدر عبد الله بن المعتز إلى مؤنس الخادم فقتله، وأخرجه ملفوفاً[1] في كساء، فسلَّمه إلى أهله، فدفنوه في خزانةٍ[2] بإزاء داره على الصَّراة، [وكذا قال ثابت بن سنان؛ سلَّمه المقتدر إلى مؤنس يوم الخميس لليلتين خلتا من ربيع الآخر، فصار به مؤنس الخادم إلى منزله، وأخرجه ملفوفاً في زِليٍّ[3]، فسلَّمه إلى أهله فدفنوه].

وقيل: إنَّه مات حتْفَ أنفه، وليس بصحيح، بل خَنَقه مؤنس.

وكان له يومَ قُتل ثمانٌ وأربعون سنة، وقيل: تسعٌ وأربعون سنة.

ومولده سنة ستٍّ وأربعين ومئتين.

= عباس قال: قال عبد الله في الليلة التي قتل في صبيحتها. اهـ. والمثبت من (خ)، والخبر والأبيات في تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٧، وعنه في المنتظم ١٣/ ٨٩ ـ ٩٠، والأبيات فحسب في أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٦.

(١) في (خ): يكون إليكم منه دبيب، وقتله مؤنس الخادم وأخرجه ملفوفاً، والمثبت من (ف م١).

(٢) كذا، ولعلها: خرابة.

(٣) الزِّليَّة بالكسر: البساط. تاج العروس: (زلل). وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

ورثاه جماعةٌ منهم عليُّ بن محمد بن بَسَّام فقال: [من البسيط]

لله درُّكَ مِن مَلْكٍ بِمَضْيَعَةٍ ناهيكَ في العَقْلِ والآداب والحسَبِ
ما فيه لولا ولا ليتٌ فتُنْقِصُهُ وإنَّما أدرَكَتْه حِرْفَةُ الأدَبِ(١)

محمد(٢) بن داود بن الجَرَّاح

أبو عبد الله، الكاتب، عمُّ علي بن عيسى الوزير.

ولد سنة ثلاث وأربعين ومئتين، وكان عالماً بأخبار النَّاس والخلفاء والوزراء، وله المصنَّفاتُ في ذلك، وقد ذكرنا خروجه مع ابن المعتزِّ واختفاءَه عند انحلال أمره، فاستتر محمد عند موسى بن عيسى كاتبِ مؤنس الخازن، فعرض له رقعةً على الوزير ابن الفرات، فلمَّا قرأها قال: يقول له: أمْرك بعدُ طريٌّ، فتوقَّف حتى تَخْلَق القضيةُ، ثمَّ لاطِفْ في أمرك، فلمَّا عاد موسى بالجواب وَقع له أنَّ ابنَ الفرات أشار بإشارة لتستمرَّ نكبته، فقال: أيّ ذنبٍ لي حتَّى أستترَ؟ ومضى إلى دار سَوْسَن الحاجب، فاستأذن عليه فلم يُصدّق، وأذن له، ثمَّ أنهى خبره إلى المقتدر، فأمر بتسليمه إلى مؤنس الخازن، فسلَّمه إليه، فقتله، فلمَّا ورد الخبر إلى ابن الفرات بقتله اغتمَّ غمًّا شديداً، وبكى حتَّى قال جلساؤه: ما كنَّا نظنُّ به ذلك، فقال: كان في عداوته لي عاقلاً، وكان من أقرب أعدائي انقياداً إلى ما أريد، ومع ذلك فكان كاتباً، فاضلاً، عارفاً بالخراج والجيش، والحديث، والأدب، والشِّعر، ظريفاً، شجاعاً، سخيًّا، سَمْحاً، كريماً.

وقال ثابت بن سنان: جاء رجل إلى حاجب ابن الفرات فقال: عندي للوزير نصيحةٌ فاطلب لي الإذنَ عليه، فأخبره فأذن له، فقال: أخرج مَنْ عندك، فأخرجهم، فقال: محمد بن داود بن الجراح في الدَّار الفلانية في المكان الفلاني، والبارحةَ بتُّ عنده، فقال له: إن كنت صادقاً فلك عندنا ألف دينار، وإلا عاقبتُك، ثمَّ قال: احتفِظُوا به في جانب الدَّار حتَّى نجمع الرِّجال.

(١) ما لم ينشر من أوراق الصولي ص٤٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٨، والمنتظم ١٣/ ٨٩، وجاء بعدها في (ف) و(م١): انتهت ترجمة ابن المعتز، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.
(٢) من هنا إلى آخر السنة ليس في (ف) و (م١).

وبعث إلى محمد بن داود فقال له: الأمر كذا وكذا، فانتقل من المكان الذي أنت فيه، واستدعى صاحب الشرطة وقال: اجمع خمس مئة رجل، واذهب مع المتنصح إلى دار فلان ففيها ابنُ الجراح فأحضِرْه، فمضى صاحب الشرطة إلى الدَّار فلم يجد فيها أحداً، وعاد بالمتنصح فضُرب بباب العامَّة مئتي سَوْط، وشهَّره على جمل، ونودي عليه: هذا جزاءُ مَن يسعى بين النَّاس بالباطل، ثمَّ نفاه إلى البصرة.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي: لَمَّا جرى في أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حُبِسْتُ ولم يكن في لحيتي طاقةٌ بيضاء، وحُبِس معي القاضي أبو المثنَّى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن داود بن الجرَّاح، وكنَّا في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة، وكان بيتي في الوسط، وقد يئسنا من الحياة، فكان إذا جنَّنا الليلُ تحدَّثنا من وراء الأبواب، ويوصي كلُّ واحدٍ منَّا صاحبَه، فلمَّا كان في بعض اللَّيالي فُتحت الأقفال، ودخل ناس بالشموع، ففتحوا الباب الذي فيه محمد بن داود [بن] الجرَّاح، وأخرجوه من البيت، وأضجعوه للذَّبح، فقال: يا قوم، ذَبْحاً كالشاة؟ أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فما التفتوا إلى قوله، وذبحوه وأخذوا رأسَه، وألقَوْا جثَّته في بئر وأنا أراه من شقِّ الباب، ومضَوْا وعادوا بعد ساعة، وأخرجوا أبا المثنَّى القاضي، وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين: يا عدوَّ الله، بِمَ استحللتَ نكثَ بيعتي؟ فقال: لعِلْمي أنَّه لا يَصلُح للإمامة، فقالوا: قد أمرنا أمير المؤمنين أن نَسْتَتِيبَك من هذا الكفر، فإن تبتَ وإلَّا قتلناك، فقال: أعوذ بالله من الكفر، فذبحوه، وأخذوا رأسه، وألقَوْا جثَّته في البئر، ولم يبقَ غيري، ومضَوْا وأنا أدعو وأبتهل، ثمَّ عادوا، فأخرجوني إلى صحن الدَّار وقالوا: أمير المؤمنين يقول لك: يا فاعل، ما الذي حملك على خَلْعِ بيعتي؟ قلت: الشَّقاوةُ، وقد أخطأتُ، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى.

فحملوني إلى دار الخلافة، وابنُ الفرات الوزيرُ جالس، فأخذ يوبِّخُني وأنا أتنصَّل وأعتذر، فقال: قد وهب لك أمير المؤمنين دمَك، واشتريتُ حرمَكَ وأهلك منه بمئة ألف دينار، فقلت: والله ما رأيتُ بعضَها مجتمعاً قطُّ، فغمزني الوزير اسكت، وإنَّما أراد أن يخلِّصني، فأدَّيتُ البعضَ، وسومحت بالبعض، وأخذتُ المرآة فنظرتُ فيها؛

وإذا قد شابت لحيتي ورأسي في ليلة(١).

وقال القاضي أبو عمر صاحب هذه الواقعة: ظهر في يد رجلٍ مالٌ جليلٌ بعد فقر طويل، فسُئل عن سببه فقال: كان لي مالٌ فأنفقتُه حتَّى لم يبقَ لي شيء، فرأيت في منامي قائلاً يقول: غِناكَ بمصر فاخرجْ إليها.

قال القاضي: فقال لي الرجل: اكتب لي كتاباً إلى مصر لعلِّي أنصرف، فكتبتُ له كتاباً، وخرج به فأوصله إلى صاحبه، قال الرجل: فلم يُقدِّر الله شيئاً، ونفدت نفقتي، وهممتُ أن أسأل الناسَ في الليل، فخرجتُ وإذا بالطَّوف(٢) رجلٌ قد مرَّ بي، فأنكرني وقال: من أنت؟ قلت: رجل غريب، فلم يصدِّقْني، وأخذ يَضربُني بالمَقارع، فقلت: أنا أصدقُك، أنا رجلٌ من أهل بغداد، ورأيت في المنام كذا وكذا، وحدَّثته الحديثَ، فقال الذي على الطَّوف: ما رأيتُ أحمقَ منك، والله لقد رأيتُ في المنام قائلاً يقول: غِناك في بغداد، في الشارع الفلانيِّ في دارٍ يقال لها: دار فلان، فيها سِدْرةٌ تحتها ثلاثون ألف دينار في قُمْقُمٍ من نحاس، وأنا لا ألتفتُ.

قال الرجل: فذكر شارِعي وداري، وأطلقني وقال: أنت أحمق؛ تمشي من بغداد إلى مصر بسبب منام؟! قال: فخرجتُ من مصر أمشي إلى بغداد، فدخلتُ داري، وحفرتُ تحت السِّدرة فخرج القُمْقُمْ وفيه المال، فأغناني الله تعالى، واشتريت الضِّياع وغيرَها.

أسند محمد بن داود عن عمر بن شبَّة النُّميري وغيره، وروى عنه القاضي عمر بن الحسن وغيرُه، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر(٣).



---

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٣١.

(٢) الطَّوف: هي التي يعبر عليها في الأنهار الكبار، تسوَّى من القصب والعيدان. اللسان: (طوف).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨، والمنتظم ١٣/ ٩١، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٢٣.

السنة السابعة والتسعون بعد المئتين

فيها قال ثابت بن سنان: رأيتُ في بغداد في صَدْر خلافة المقتدر امرأةً بلا ذراعين ولا عَضُدين، ولها كفَّان بأصابع تامَّة معلَّقان في رأس كتفَيْها، لا تعمل بهما شيئاً، وكانت تعمل أعمال اليدين برجليها، تَغْزِل برجليها، وتمدُّ الطاقة وتسوِّيها، وتُسَرِّح المرأةَ برجليها. قال: ورأيت [امرأة أخرى] بعَضُدَين وذراعين وكفَّيْن، إلَّا أنَّ كلَّ واحد من الكفَّين يَنْخرطُ ويدقُّ إذا فارق الزَّنْدين؛ حتى ينتهي إلى رأسٍ دقيق يمتدُّ فيصير أصبعاً واحدة، وكذا رجلَيْها على هذه الصُّورة، ومعها ابنٌ لها كذلك(١).

وفي المحرَّم ولد للمقتدر ابنٌ سمَّاه أحمد، ثمَّ توفي في رجب، وماتت أمُّ المولود في صفر.

وفي صفر أُدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قُبَّة على بغل.

وفيها تمَّ الفداء في بلد الرُّوم على يد مؤنس الخادم.

وفيها ظهر عُبيدُ الله أبو محمد المسمَّى بالمهديِّ، جدُّ الخلفاء المصريِّين على المغرب وبنى المَهْدِيَّة، وأَخرج الأغلب، ودُعي له في رَقَّادة من بلاد القيروان، وخرجت المغربُ في هذه السنة من يد بني العبَّاس.

[وقال ثابت بن سنان: وفي سنة سبع وتسعين ومئتين] ورد الخبرُ بخروج زيادة الله [بن عبد الله بن] الأغلب عن بلده وهو إفريقية والقيروان من المغرب؛ لأنَّ عبيد الله العلويَّ أخرجه منها، وصار إلى مصر، فكتب إليه أن يصير إلى الرقَّة ويقيم بها(٢).

[وقال ثابت:] وفي شعبان مات أبو العبَّاس أحمد بن محمد بن بِسْطام بمصر، وحُمِل تابوتُه إلى بغداد، فدُفن بمقابر باب الكوفة في رمضان، ثمَّ مات عيسى النّوشريُّ بمصر بعد موت ابنِ بسطام بعشرة أيام، وحُمل إلى البيت المقدس، وقلَّد المقتدر تكين

(١) المنتظم ١٣/ ٩٣.
(٢) ذكر هذه الأحداث ابن الأثير في الكامل ٨/ ٢٠ ـ ٥٣ مطولة في أحداث سنة (٢٩٦ هـ).

الخاصَّة أعمال المعاون بمصر في رمضان.

وفي رمضان مات القاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حمَّاد وله سبعٌ وثمانون سنةً[١]، وصلَّى عليه ابنُه أحمد.

وفي رمضان مات أبو بكر محمد بن داود الأصبهانيّ.

وفي شوَّال مات أبو عبد الله جعفر بن محمد بن محمد بن الفرات، وصلَّى عليه أخوه الوزير وكان أسنَّ من الوزير بثلاث سنين، وأقرَّ الوزير ابنَه أبا الفتح الفضل على ديوان المشرق.

وفيها مات محمد بن عبد الله بن عُبيد الله بن طاهر[٢].

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفي

الجُنيد بن محمد [بن الجنيد]

أبو القاسم، القواريريُّ، الخزَّاز[٣].

كان أبوه يبيع الزُّجاج وهو يبيع الخَزَّ، وأصلُه من نَهاوَنْد، إلَّا أنَّ مولده ومنشأه ببغداد.

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء الطريقة: كان الجنيد] سيِّد الطَّائفة، من كبار أئمَّة القوم وساداتِهم، مَقبولاً على جميع الألسُن، فقيهاً على مذهب أبي ثور، أفتى في حلقته وهو ابنُ عشرين سنة، وأخذ الطريقة من خاله سَرِيٍّ السَّقَطي، وسَريٌّ أخذها من مَعْروفٍ الكرخيِّ،

(١) في أوراق الصولي ص٧٠ (ما لم ينشر من الأوراق): وسنه تسعون سنة، وفي الكامل ٨/ ٥٩ : وله تسع وثمانون سنة، وما سلف بين معكوفين من (ف م١).

(٢) في أوراق الصولي ص٧٠ ، والمنتظم ١٣/ ١٠٢ : محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر.

(٣) ترجمه ابن الجوزي ١٣/ ١١٨ ، وابن الأثير ٨/ ٦٢ في وفيات سنة (٢٩٨ هـ)، وصحح ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ٩٢٧ ، وانظر طبقات الصوفية ص١٥٥ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٦٨ ، ومناقب الأبرار ١/ ٣٠٨، والسير ١٤/ ٦٦ وغيرها كثير، وما بين معكوفين من (ف م١) ولن أشير إليه ثانية.

ومَعْروفٌ أخذها من عليِّ بن موسى الرِّضا .

قال الجنيد: ما أخرج[١] الله إلى النَّاس علماً وجعلَ لهم إليه سبيلاً إلَّا وقد جعل لي منه حظًّا ونصيباً.

قال الخُلديُّ: وبلغني أنَّ وِرْدَه كان كلّ يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة.

وقال السُّلَمي: كان يدخل كلَّ يوم حانوتَه، ويُسبلُ السِّتْر، ويصلِّي أربع مئة ركعة.

[وحكى الخطيب عن الخُلديِّ قال:] قال الجنيد: ما نزعتُ ثوبي للفراش منذ أربعين سنة.

[وقال الخُلديُّ:] أقام [الجنيد] عشرين سنةً لا يأكل إلَّا من الأسبوع إلى الأسبوع.

[وحكى الخطيب عن الخُلديِّ قال:] قيل للجنيد: من أين استَفَدْتَ هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدَّرَجة، وأومأ إلى درجة في داره.

[وحكى الخطيب عن] أبي عمرو بن علوان قال: خرجتُ في جنازة بالرَّحْبة، فوقعت عيني على امرأة مُسْفِرة من غير تعمُّد، فألحتُ بالنَّظر إليها، ثمَّ استرجعتُ، ورجعتُ إلى منزلي، فقالت لي عجوزٌ عندي: مالي أرى وجهك أسود؟! فنظرت في المرآة وإذا وجهي أسود، فذكرتُ النَّظرةَ، وأقمتُ أستغفر الله أربعين يوماً، فخطر لي في خاطري: انحدرْ إلى [شيخك] الجنيد، فانحدرتُ وجئتُ إلى بابه، فطرقتُه فقال: نعم يا أبا عمرو، تُذنب بالرَّحبة وأستغفر لك ببغداد، ادخل.

وقال الخلديُّ: رأيت بيد الجنيد سُبحةً، فقلت: أنت مع فضلك وشرفك تحمل سُبحة؟! فقال: نعم، طريقٌ عرفتُ الله به لا أفارقه.

وقال الجنيد: رأيتُ[٢] فقيراً عليه أَثَرُ النُّسُك يسأل النَّاسَ، فقلتُ في نفسي: لو عمل

(١) في (ف م١): قال الخطيب بإسناده عن جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول ما أخرج، والمثبت من (خ).

(٢) في (ف م١): وحكى عنه في المناقب قال رأيت، والمثبت من (خ).

هذا عملاً يصون به نفسَه كان أولى، ونمت تلك الليلة، فرأيتُ ذلك الفقيرَ قد جيء به على خِوان وهو ممدود، فقيل لي: كُلْ لَحْمَه فقد اغتبتَه، فلمَّا أصبحتُ خرجتُ أطوف عليه، وإذا به على دِجلةَ يلتقط أوراقَ البَقْل وما ينفصل منه، فلمَّا رآني قال: يا أبا القاسم، تعود؟ قلت: لا. قال: يغفر الله لنا ولك.

وقال الخلديُّ: جاءه رجل بخمس مئة دينار في أيَّام الموسم فقال: فرِّقها في الفقراء، فقال: ألكَ غيرها؟ قال: نعم، قال: أفترجو الزيادة فوقَ ما تملك؟ قال: نعم، قال: خذها، فأنت أحوجُ منَّا إليها، ولم يقبلها.

وكان يصحب الجنيدَ شابٌّ يتكلَّم على الخاطر، فقال له الجنيد يوماً: إيش هذا الذي يُذكَر عنك؟ فقال له الشابُّ: اعتقدتَ كذا وكذا، فقال الجنيد: لا، ثمَّ فعل ذلك ثانياً وثالثاً، والجنيد يقول: لا. فقال الشابُّ: أنت صدوق، وأنا أعرف قلبي، فما هذا؟ فقال الجنيد: صدقتَ في جميع ما قلتَ، وإنَّما أردتُ أن أمتحنك هل يتغيَّر قلبُك أم لا.

وقال الجنيد: رأيتُ شابًّا في البادية تحت شجرة أمِّ غَيْلان، فقلت له: ما تصنع هاهنا؟ فقال: حالٌ فقدتُه، فمضيتُ وتركتُه، فلمَّا قضيتُ الحجَّ عدتُ، وإذا به قد انتقل من ذلك المكان إلى مكان آخر قريبٍ من الشجرة، فقلت له: ما جلوسك هاهنا؟ قال: وجدتُ الذي كنتُ أطلبه في هذا الموضع فلزمتُه، قال الجنيد: فلا أدري أيّهما كان أشرف، لزومُه للمكان الأوَّل لفقد حاله فيه، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مُرادَه.

وقال جعفر الخلديُّ: دفع إليَّ الجنيدُ درهماً وقال: اشتر لي به تيناً وَزيريًّا، فاشتريتُه له وأتيتُه به، فأخذ واحدةً وجعلها في فيه، ثمَّ رمى بها وبكى، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: هتف بي هاتف: أما تستحي، تركتَ هذا من أجلي ثمَّ تعود إليه؟

وقال الجنيد: جاءني يوماً بعضُ الصالحين فقال: ابعث معي فقيراً أُدخل عليه سروراً، ويأكل عندي شيئاً، قال: وعندي فقيرٌ قد شَهِدت فيه الفاقة، فقلتُ: امضِ معه وأدخل عليه سروراً.

فمضى معه ثمَّ عاد سريعاً، وجاء الرجل فقال: يا أبا القاسم، ما أكل إلا لُقمةً، فقلت له: هلَّا أتممتَ سرورَ الشيخ، فقال: أكلتُ أكلةً في الكوفة، ودخلتُ عليك في

بغداد، وكرهتُ أن يَبدوَ منِّي سوءُ أدب من جَهْد الفاقة في حضرتك، فلمَّا دعوتَني سَرَرْتَني إذ جرى ذلك منك ابتداءً، فمضيتُ معه وأنا لا أرضى له بالجنان، فلما جلستُ على مائدته ما أكلتُ سوى لقمة، وقال: كلْ فهذه أحبُّ إلي من عشرة آلاف درهم، فلمَّا ثمَّن اللقمةَ علمتُ أنَّه دنيُّ الهِمَّة، فتطرَّقتُ عن أكل طعامه.

وقال الخلديُّ: كان شابٌّ يصحب الجنيد، فكان الجنيد كلَّما ذكر شيئاً صاح الشابُّ، فقال له الجنيد: إن فعلتَ هذا مرَّةً أخرى لم تَصْحَبني، فكان الشابُّ إذا سمع بعد ذلك شيئاً تغيَّر وضبط نفسه، فصاح يوماً صيحةً ومات[1].

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى الخطيب عن المرتعش قال:] قال الجنيد[2]: كنتُ يوماً بين يدي السَّرِيّ وأنا ابنُ سبع سنين، وبين يديه قومٌ يتكلَّمون في الشُّكر، فقال لي: يا غلام، ما حدُّ الشُّكر؟ فقلت: أن لا يُعصَى الله بنِعَمِه، فقال السَّريّ: يا غلام، أخشى أن يكون حظُّك من الله لسانُك. قال الجنيد: فأنا أبكي على الكلمة التي قالها السَّري حتَّى ألقى الله تعالى.

وقال: الجنيد: مشى[3] قوم على الماء باليقين، ومات بالعطش مَنْ هو أقوى يقيناً منهم.

[وحكى أبو نعيم[4] عنه أنَّه] قال: لو أقبل مقبلٌ على الله ألف ألف سنة، ثمَّ أعرض عنه لحظةً واحدة كان ما فاتَه أعظمَ مِمَّا ناله.

وقال له رجل: على ما يتأسَّف المحبُّ؟ فقال: على زمانِ بَسْطٍ أَورث قبضاً، وعلى زمانِ أُنْسٍ أورث وَحْشةً، ثمَّ أنشد: [من البسيط]

قد كان لي مَشْرَبٌ يَصفو برؤيتكم فكدَّرتْه يدُ الأيَّام حينَ صفا

قال المصنِّف رحمه الله: وقد مرَّ بي على هذا الوزن والرَّوِيِّ أبياتٌ من هذا الجنس، وهي: [من البسيط]

---

(١) ينظر ما سلف من أخبار في الرسالة القشيرية ص٢٥٣، ٣٢٨، ٣٧٤، ٥١٣.

(٢) ما بين معكوفين من (ف) و (م١)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٧٢.

(٣) في (ف م١): وقال ابن باكويه كان الجنيد يقول مشى، والمثبت من (خ)

(٤) في حلية الأولياء ١٠/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

هـل عـائـدٌ وأحـاديـثُ الـمُـنـى خُـدَعٌ على الـغَـضـا زمـنٌ مـن عـيـشـنـا سَـلَـفـا
هيـهـات أن تُـخْـلِفَ الأيـامُ مـن عُـمُـري شَـبـيـبـةً فـيـكـمُ أنـفـقْـتُـهـا سَـرَفـا[1]

وقال أبو العبَّاس بن مَسْروق: كنتُ أمشي مع الجنيد في بعضِ دُرُوب بغداد، وإذا بمغنٍّ يغني: [من البسيط]

مـنـازلٌ كـنـتَ تـهـواهـا وتـألَـفُـهـا أيّـام أنـت عـلـى الأيّـام مـنـصـورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديداً وقال: يا أبا العبَّاس، ما أطيبَ منازلَ الأُلْفة والأُنْس، وأوحشَ مقاماتِ المخالفات، لا أزال أحنُّ إلى بَدْء إرادتي، وحِدَّة سَعْيي، وركوبي الأهوالَ طمعاً في الاتِّصال، وها أنا ذا في أيَّام الفترة أتأسَّف على أوقاتي الماضية.

وسئل[2] الجنيدُ: مَن العارفُ؟ فقال: مَن يَنطِق عن سرِّك وأنت ساكن[3].

وقال: لا يَصِلُ العبدُ إلى مقام الحريَّة وعليه ذرَّة من حقيقة العبودية.

وقال: المعرفة على رؤوس العارفين أحسنُ من التِّيجان على رؤوس الملوك.

وقال: ما نجا مَن نجا إلَّا بصدق اللَّجا.

وقال: المسير من الدُّنيا إلى الآخرة سهلٌ، ومن النَّفس إلى الله صعبٌ، والصَّبر مع الله أشدُّ.

وقال: حدُّ الصَّبر تجرُّع المرارات من غير تَعْبيس.

وقال: الحكايات جُندٌ من جنود الله تعالى، يقوِّي بها قلوبَ المريدين، قيل له: فما الشاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية [١٢٠ : هود].

وقيل له: ما الفرق بين المريد والمراد؟ فقال: المريد تتولَّاه سياسة العلم، والمُراد تتولَّاه رعايةُ الحقِّ، المريدُ سائر، والمُرادُ طائر، ومتى يلحق السائرُ بالطائر؟

وقال: الصادقُ يتقلَّب في اليوم أربعين مرَّة، والمرائي يثبتُ على حالة واحدة أربعين سنة.

---

(١) هذان البيتان لسبط ابن التعاويذي وهما في ديوانه ص٢٩١ .

(٢) في (ف م١): وحكى في المناقب وقال سئل، والمثبت من (خ).

(٣) طبقات الصوفية ص٢٤٠ ، وحلية الأولياء ص٢١٤ .

وسُئل عمّن خرج من الدُّنيا ولم يبق عليه إلا مقدارُ مصِّ نواة؟ فقال: المكاتَبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم [وهذا الجواب في غاية الجودة] (١).

وقال الفتوَّة بالشام، واللِّسان بالعراق، والصِّدق بخراسان.

وقال: الفتوة كفُّ الأذى وبَذْلُ النَّدى.

وقال: قال لي سريٌّ: تكلَّمْ على النَّاس ـ وكان في قلبي حِشْمةٌ من الكلام عليهم ـ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ليلةَ جُمعة، فقال: يا جنيد، تكلَّمْ على النَّاس، فانتبهتُ، وأتيتُ باب سَرِيّ قبل أن أُصبح، فطرقتُه فقال: لم تصدِّقنا حتَّى قيل لك؟ قال: فجلست في الجامع، واجتمع النَّاس فوقف عليَّ غلام فقال: ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله»؟ ـ [وسنذكر الحديث في آخر ترجمة الجنيد] ـ فوقع في قلبي أنَّه نصرانيٌّ، فقلت: أنْ تُسلمَ فقد آنَ وقتُ إسلامِك، فأسلم(٢).

وقال: إذا رأيتَ الصُّوفي يعنَى بظاهره فاعلم أن باطِنَه خراب.

وقال: علمُ التوحيد علمٌ تَضْمَحِلُّ فيه الرسومُ، وتندرج تحته العلوم، وقد طُويَ اليوم بساطه، وإنَّما يتكلَّم النَّاسُ في حاشيةٍ من حواشيه.

وقال: أشرفُ كلمةٍ في التوحيد قولُ أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ: سبحان مَنْ لم يجعلْ لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلَّا بالعجز عن معرفته.

وقال الكتَّانيُّ: جرت مسألةٌ في المحبَّة في أيَّام الموسم بمكَّةَ، فتكلَّم فيها الشيوخُ، وكان الجنيد أصغرَهم سنًّا، فقالوا: هاتِ ما عندك فيها يا عراقيّ، فأطرق ودَمعتْ عيناه، ثمَّ رفع رأسه وقال: عبدٌ ذاهبٌ بنفسه، متَّصل بربِّه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرقتْ قلبَه أنوارُ [عظمته و] وحدانيته، شرب بكأس ودِّه من صفاء شربه، فإن تكلَّم فبه، [وإن سكت فبه، وإن تحرَّك فبه،] وإن سكن فبه، فهو بالله ومع الله ولله وفي الله، فبكى القوم وقالوا له: أحسنتَ يا تاجَ العارفين.

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٧، والرسالة القشيرية ص١٩١، ٢٩٤، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٩، وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

(٢) الرسالة القشيرية ص٣٦٠ ـ ٣٦١، ٣٧٧. والحديث أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال: هذا حديث غريب.

وقيل له: لم يبكي المحبُّ عند لقاء محبوبه؟ فقال: في الأول سُروراً بلقائه، وفي الآخر خَوفاً من فراقه.

وقال: التقى محبَّان فتعانقا، فقال أحدهما: واشوقاه، وقال الآخر: واوجداه.

وقيل له: ما بالُ الإنسان يكون هادئاً فإن سمع السَّماع اضطرب؟ فقال: لأنَّ الله تعالى لَمَّا خاطب الذَرَّ يوم الميثاق وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغت عُذوبة سماع الكلام الأرواح، فإذا سمعوا ذكره ذكروا العَهْد فاضطربوا.

وقال الجنيد: دخلت يوماً على سَرِيٍّ وعنده رجلٌ مغشيٌّ عليه، فقلت: ما حاله؟ قالوا: سمعَ آيةً من كتاب الله تعالى، فقلت: تُقرأ عليه الآية مرَّةً أخرى، فقال: من أين لك هذا؟ قلت: من قميص يوسف عليه السَّلام؛ فإنَّ بسببه ذهبتْ عينا يعقوب عليه السلام، وبالقميص عادتْ، فاستحسن سريٌّ منِّي ذلك.

[وقال الخلديُّ: قيل للجنيد: أيزلُّ العارف؟ فقال: وكان أمر الله قَدَراً مَقْدوراً.]

وقال: رأيتُ في المنام كأنَّني أتكلَّم على النَّاس، فوقف عليَّ ملكٌ وقال: أقربُ ما تقرَّب به المتقرِّبون إلى الله ماذا؟ فقلت: عملٌ خفيٌّ بميزانٍ وفيٍّ، فولَّى الملكُ وهو يقول: كلامٌ موفَّق والله(١).

وقال: إذا تخلَّى العبد عن الدُّنيا وما فيها فُتحت له أبوابُ المشاهدة، فيستريح من غموم الدُّنيا وما فيها، ويتنزَّه في رياض التَّوفيق، بين يديه قائدُ الحقيقة، فيكتفي بالله عمَّا سواه.

وقال: [مَنْ فتح على نفسه باب نيَّة حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق، و] مَنْ فتح على نفسه بابَ نيَّةٍ سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخُذْلان من حيثُ لا يشعر.

وقال له رجل: العناية قبل البداية؟ فقال: بل قبل خلق الماء والطين.

وسئل عن قوله عليه الصلاة السلام: «حبُّك للشيء يُعمي ويُصمّ»(٢) فقال: يُعمي عن الدُّنيا، ويُصم عن الأخرى.

---

(١) الرسالة القشيرية ص٤٣٠، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٨٨، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٦٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦٩٤) من حديث أبي الدرداء ﷺ، والصحيح أنه موقوف.

وقال: لو علم منك التَّحقيقَ لوسَّع عليك الطَّريقَ، ولو سِرْتَ إليه في أوَّل المصائب لرأيتَ من لُطفه العجائب.

وقال الخلدي: سمعتُه ينشد: [من الطويل]

ولو نَطَقتْ بي ألسنُ الدَّهر خبَّرتْ ... بأنِّيَ في ثوبِ الصَّبابَةِ أرْفُلُ
وما إنْ لها عِلْمٌ بحالي ومَوْضِعي ... وما ذاك مفهومٌ لأنِّي مُثْقَلُ[1]

قال: ودخلتُ يوماً عليه وهو يبكي، فقلت: ما لكَ؟ فقال: فقدتُ أُنسي في الخلوة، وعدمتُ الإخوان الذين كنتُ أستأنِس بهم، ودون هذا مما يُبكي، وأنشد: [من الكامل]

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلةِ الهوى ... والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ[2]

[وحكى الخطيب[3] عن الخُلْدي عن] الجنيد قال: كلَّمتُ الحسنَ المُسُوحي في شيءٍ من الأُنس، فقال: لو مات مَنْ تحت السماء ما استوحشتُ.

ذكر وفاته:

[حكى السُّلميُّ عن الخطيب[4] قال:] دخل أبو العبَّاس بن عطاء عليه وهو في النَّزْع، فسلَّم عليه فلم يردَّ، ثمَّ ردَّ بعد ساعة وقال: اعذُرني فإنِّي كنتُ في وِرْدي السابع، ثمَّ حوَّل وجهَه إلى القبلة وكبَّر وتُوفِّي.

[وحكى السلمي أيضاً عن] أبي محمد الجَريري قال: كنتُ[5] واقفاً على رأس الجنيد وهو في الموت ـ وكان يوم الجمعة ـ وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم، ارفِقْ بنفسك، فقال: يا أبا محمد، ومَنْ أحوجُ منِّي في هذا الوقت إلى ما ترى؟ وهذه صحيفتي تُطوى، فقلت له: لو اضطجعتَ؟ فقال: هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر ومات.

---

(١) ذكر البيتين الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٣٨.
(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٢/ ٩٩٠.
(٣) في تاريخه ٨/ ٣٥٥.
(٤) في تاريخه ٨/ ١٧٣.
(٥) في (خ): وقال أبو محمد الجريري: كنت... ، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١)، والكلام في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٦.

وقال: يا أبا محمد، إذا متُّ فاتَّخِذْ لأصحابنا طعاماً، فإذا انصرفوا من الجنازة أكلوا لئلّا يتشتَّتوا، فبكى الجريريُّ، وقال: والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منَّا اثنان أبداً، فكان كما قال[١].

وقال في «المناقب»: ختم الجنيدُ القرآن عند موته، ثمَّ ابتدأ من سورة البقرة، فقرأ سبعين آيةً ثمَّ مات.

واختلفوا في وفاته على ثلاثة أقوال؛ أحدها: في هذه السنة، قال الخطيب[٢]: توفِّي يوم السبت في شوَّال، وكان نَيروزَ الخليفة هذه السَّنة. والثاني في سنة ثمانٍ وتسعين [ومئتين. والثالث في سنة تسع وتسعين ومئتين[٣].

وغسَّله الجريريُّ، وصلَّى عليه ولدُه.

وقال ابن المنادي: ذكر[٤] لي أنَّه حُزِر الجَمْعُ الذين صلَّوا عليه فكانوا نحواً من ستين ألفاً، ودُفن بمقابر الشُّونيزيَّة، وقبرُه ظاهر يُزار...

وقال الجريري: كان[٥] في جوار الجنيد رجلٌ مُصاب في خَرِبَةٍ، فلمَّا رجعنا من الجنازة تقدَّمَنا ذلك المصاب، ووقف على تلٍّ وقال لي: يا أبا محمد، أتراني أرجع إلى تلك الخَرِبَة وقد فقدتُ ذلك السيِّد؟ ثم أنشأ يقول: [من مخلع البسيط]

واأسفي من فِراقِ قومٍ ... هُمُ المصابيحُ والحصونُ
والمُدْنُ والمُزْنُ والرَّواسي ... والخيرُ والأمنُ والسكونُ
لم تتغيَّر لنا الليالي ... حتَّى توفَّتْهُمُ المنونُ
فكلُّ جَمْرٍ لنا قلوبٌ ... وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

ثمَّ غاب، فكان آخرَ العَهْد به.

(١) ينظر طبقات الشعراني ١/ ٧٤.
(٢) في تاريخه ٨/ ١٧٧.
(٣) في (خ): واختلفوا في وفاته قال الخطيب يوم السبت... وقيل سنة ثمان وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين ومئتين، والمثبت من (ف م١).
(٤) في (ف م١): قال الخطيب: أخبرني الجوهري عن محمد بن العباس عن ابن المنادي قال ذكر، والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٧٧.
(٥) في (ف م١): وحكى في المناقب عن الجريري قال كان، والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٧.

[وحكى الخطيب[(١)] عن] جعفر الخُلْديّ قال: رأيتُ[(١)] الجنيدَ في منامي فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فقال: طاحت تلكَ الإشارات، وذهبتْ تلك العبارات، وفَنِيَتْ تلك العلوم، ونَفِدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلَّا رُكيعات كنَّا نركعها في وقت السَّحَر.

لقي الجنيدُ خلقاً كثيراً من العلماء والشيوخ، فقال: صَحِبتُ خمس طبقات من أكابر النَّاس؛

فأوَّلُهم خالي سَرِيٌّ السَّقَطيُّ، والحارثُ بنُ أسد المحاسبيُّ، وأبو جعفر الخصَّاف، وأبو يعقوب محمد بن الصّباح، ونظراؤهم في السِّنِّ والمكانة.

والطبقة الثانية: أبو عثمان الورَّاق، وأبو الحسين بن الكريبي، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم، وحسن المُسُوحيُّ، ومحمد بن أبي الورد، ونظراؤهم.

والطبقة الثالثة: محمد بن وهب، و[أبو] يعقوبُ الزيَّات[(٢)]، وسعد الدمشقيُّ البزاز، ونظراؤهم.

والطبقة الرابعة: أبو القاسم الواسطيُّ، وأبو العبَّاس الأدَميُّ، وأبو أحمد المغازليُّ، ومحمدُ بن السمَّاك، ونظراؤهم.

والطبقة الخامسة، وهي التي نحن فيها، ما رأيتُ أحداً من هؤلاء زَحَمَتْه حاجةٌ فاحتشم صاحبه[(٣)] منها، وعلى هذا مضى أكابرُ أهلِ هذه الصِّفة.

أسند الجنيدُ الحديثَ عن الحسن بن عَرفة وغيرِه.

وقال الخطيب بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله» ثمَّ قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥][(٤)].

---

(١) في (خ): وقال جعفر الخلدي رأيت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٦.

(٢) في (خ): ويعقوب بن الزيات، والمثبت صفة الصفوة ٢/ ٤١٦.

(٣) في تاريخ دمشق ٧/ ١٢٨، زحمته جارحة عند صاحبه.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٦٩، وسلف تخريج الحديث قريباً، ومن قوله: وقال الخطيب بإسناده إلى هنا من (ف) (م١)، وجاء بعد هذا فيهما: انتهت ترجمة الجنيد والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[وفيها توفي]

عمرو بن عثمان

أبو عبد الله، المكِّي.

سكن بغداد، وكان شيخَ القوم في وقته، [وله الكلام الحسن،] صحب الجنيدَ وأبا عبد الله النِّباجيَّ وأبا سعيد الخراز وغيرَهم.

ذكر المختار من كلامه:

حكى أبو عبد الرَّحمن السلمي عنه أنه قال:

المروءة(١) التغافل عن زَلَل الإخوان.

وقال: العلم قائدٌ، والخوفُ سائقٌ، والنَّفس حَرُونٌ بين ذلك، خدَّاعة روَّاغة، فاحذرها وراعِها بسياسة العِلْم، وسُقْها بتهديد الخوف، يتمُّ لك ما تريد.

[وحكى عنه في «المناقب»(٢) أنَّه] قال: كلُّ ما يتوهَّمه قلبُك، أو يَسْنَح في مجاري فكرك، أو يخطر في معارضات سِرِّك من نورٍ أو بهاءٍ، أو أُنْسٍ أو ضياءٍ، أو شبح أو خيال، فالله تعالى بعيدٌ من ذلك، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الآية [الشورى: ١١].

وقال: واغمَّاه من عَهْد لم تَقُم له بوفاء، ومِن خَلْوةٍ لم تُصحَب بحياء، ومن مسائلَ ما الجوابُ عنها غداً، ومن أيام تَفْنى ويبقى ما كان فيها أبداً.

وحكى عنه [في «المناقب»(٣) أيضاً] أنَّه رأى الحسينَ الحلَّاج يوماً يكتب شيئاً، فقال له: ما تصنع؟ فقال: أعارض القرآن، فدعا عليه وهَجَره، قال الشيوخ: فالذي حلَّ بالحلَّاج إنَّما كان بدعاء عمرو عليه.

---

(١) في (خ): وأبا سعيد الخراز وغيرهم ومن كلامه المروءة، والمثبت من (ف م١) وما يأتي بين معكوفين منهما، وانظر طبقات الصوفية ص٢٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٦، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨١، والمنتظم ١٣/ ٩٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٠.

(٢) ١/ ٣٨٢.

(٣) ١/ ٣٨٤.

[واختلفوا في وفاته؛ فقال قوم:] مات عمرو ببغداد، والأصحُّ أنَّه مات بجُدَّة في هذه السَّنة، وقيل: سنة إحدى وتسعين ومئتين، وقيل: إنَّه وَلِي قضاءَ جُدَّة فهجره الجنيد [وقال: كان يُظهر الزهد في الدنيا ويتولى القضاء!].

أسند عن الرَّبيع بن سليمان [ويونس بن عبد الأعلى] وغيرِهما، وروى عنه الخُلْدي وغيرُه.

[وفيها توفي]

أبو الحارث الفَيْض بن الخَضِر بن أحمد

وقيل: الفيض بن محمد الأوْلاسي الطَّرسوسي.

[قال السُّلَمي: هو] أحد الزُّهَّاد، وكان في صباه يتعانى اللهوَ والغناءَ، فاجتاز يوماً على مريض مطروح على قارعة الطَّريق، فقال له: ما تشتهي؟ فقال: رُمّاناً، فقال: فأتيته برمَّان فوضعتُه بين يديه، فرفع رأسه إلى السَّماء وقال: تاب الله عليك، فما أمسيتُ حتَّى تغيَّر قلبي عن ما كان عليه.

وخرجتُ إلى الحجِّ، فبينا أنا أسير في الليل مررتُ بقوم يشربون، وأجلسوني معهم، وعرضوا عليَّ الشراب، فقلت: أحتاج إلى البول، وذهبتُ في غابة وإذا بسَبُع، فقلت: اللهمَّ إنَّك تعلمُ ما تركتُ، وفيمَ خرجت، فاصرف عنِّي شرَّه، فولَّى وهو يُهَمْهِم.

ودخلت مكَّة فلقيتُ بها من انتفعتُ به، منهم: إبراهيم بن سعد العلويُّ.

وقال(١): رأيت إبليسَ له جُمَّة شَعَر، فأقبلتُ أتملَّق له، وأقول: خَلِّني وربي، فقال: كيف أخلّيك وفي أبيك هلكتُ؟ والله لا أخلِّيكم حتَّى تهلكوا معي، فأخذتُ برأسه، وبركته على حَجَر، وأردت أن أخنِقَه، فذكرتُ أنَّ الله قد أَنْظَره إلى يوم القيامة فتركتُه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: أقمتُ ثلاثين سنةً ما يسمع لساني إلَّا من سِرِّي، ثمَّ أقمتُ بعد ذلك ثلاثين سنةً ما يسمع سِرِّي إلا من ربِّي. وكانت [وفاته] بطَرَسُوس.

---

(١) في (ف م١): وحكى عن ابن جهضم قال: والمثبت من (خ). وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ٥٨/ ٢١٩ ـ ٢٢٦، والمنتظم ١٣/ ٩٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٨.

[وفيها توفي]

محمد بن داود

ابن عليِّ بن خَلَفٍ، أبو بكر، الأصبهانيُّ، الظاهريُّ، صاحبُ كتاب «الزَّهْرة».

كان [على مذهب أبيه داود]، فصيحاً، عالماً، أديباً، فقيهاً، شاعراً، ذا فنون، وكان يُلَقَّب بعصفور الشَّوْك؛ لنحافته وصُفْرة لونه.

قال [الخطيب[١] بإسناده عن] رُوَيم بن محمد [قال:] كنَّا عند داود بن علي [الأصبهاني]، إذ دخل عليه محمد ابنُه وهو يبكي، فضمَّه إليه وقال: ما يُبكيك؟ قال: الصبيانُ يلقِّبوني بعصفور الشَّوك، فضحك داود، فقال له ابنُه: أنت أشدُّ عليَّ من الصِّبيان، فقال داود: لا إله إلا الله، ما الألقاب إلَّا من السماء، ما أنت إلَّا عصفورُ الشوك.

[وروى الخطيب أيضاً بإسناده عن] أبي الحسن الداودي [قال:] لَمَّا جلس[٢] محمد ابن داود بعد وفاة أبيه في حلقته استصغروه عن ذلك، فدسُّوا إليه رجلاً وقالوا: سَلْه عن حدِّ السُّكْر ما هو، فسأله الرجل وقال: متى يكون الإنسان سَكراناً؟ فقال محمد على البديه: إذا عَزَبتْ عنه الهمومُ، وباح بسرِّه المَكْتوم، [وفي رواية: حدُّ السُّكْر أن ترتفع الهموم ويُباح بالمكتوم] فاستحسَنُوا ذلك منه، وعلموا موضعَه من العلم.

وقال محمد: ما انْفَكَكْتُ من هوًى قطُّ منذ دخلتُ الكُتَّاب، وبدأتُ بعمل كتاب «الزَّهْرة» وأنا في الكُتَّاب، ونظر أبي في أكثره.

ودخل محمد يوماً على ثعلب النَّحْويّ، فقال له ثعلب: اذكر لي شيئاً من صَبْوَتك، فقال: [من الطويل]

سقى اللهُ أيَّاماً لنا ولياليا ... لهنَّ بأكنافِ الشبابِ مَلاعِبُ
إذ العيشُ غَضٌّ والزَّمانُ بغِرَّةٍ ... وشاهدُ أوقات[٣] المحبِّين غائبُ

فبكى ثعلب.

---

(١) في تاريخه ٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩ . وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

(٢) في (خ): وقال أبو الحسن الداودي لما جلس، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١). وكلام الخطيب في تاريخه ٣/ ١٥٩ .

(٣) في تاريخ بغداد ٣/ ١٦٠ ، والمنتظم ١٣/ ٩٩ : آفات.

وروى الخطيب عن القاضي [أبي عمر محمد بن] يوسف بن يعقوب قال: كنت[(١)] أُساير أبا بكر بن داود، فسمع جاريةً تغنِّي بشعره وتقول: [من البسيط]

أشكو غَليلَ فؤادٍ أنت مُتْلِفُهُ ... شكوى عليلٍ إلى إلْفٍ يعلِّلُهُ
سُقمي تزيد على الأيَّام كثرتُه ... وأنتَ في عُظْم ما ألقى تُقلِّلُهُ
الله حرَّم قَتْلي في الهوى سَفَهاً ... وأنتَ يا قاتلي ظُلْماً تُحَلِّلُهُ

فقال محمد: يا أبا عمر، كيف السَّبيل إلى ارتجاع مثل هذا؟ فقلت: هيهات، سارت به الرُّكبان.

وساير محمد بن داود ابنَ سُرَيج يوماً في طريق ضيِّق، فقال ابنُ سُريج: الطَّريق يُورثُ العُقوقَ، فقال أبو بكر: ويُوجب الحقوق.

ومن شعر محمد: [من الطويل]

حملتُمْ جِبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لَأَعْجزُ عن حَمْلِ القميصِ وأضعُفُ
وما الحُبُّ من حُسْنٍ ولا من سَماحةٍ ... ولكنَّه شيء به الروحُ تَكْلَفُ

ومن شعره: [من البسيط]

يا يوسفَ الحُسْنِ تمثيلاً وتشبيهاً ... يا طَلْعةً ليس إلَّا البدرُ يَحكيها
مَن شَكَّ في الحُور فلْينظرْ إليك فما ... صِيغتْ مَعانيك إلَّا من معانيها

وقال أيضاً: [من الطويل]

أُكَرِّر في رَوْضِ المحاسنِ مُقْلَتي ... وأمنَعُ نَفْسي أنت تنالَ مُحرَّما
رأيتُ الهوى دَعوى من الناس كلِّهم ... فما إن أرى حُبًّا صحيحاً مسلَّما

ومن شعره وهو أحسن ما قيل[(٢)]: [من الطويل]

وإنِّي لأدري أنَّ في الصَّبْر راحةً ... ولكنَّ إنفاقي على الصَّبْر من عُمري
فلا تُطْفِ نارَ الشَّوق بالشَّوق طالباً ... سُلُوًّا فإنَّ الجَمْرَ يُسْعَر بالجَمْرِ

ذكر وفاته:

---

(١) في (خ): وقال القاضي يوسف بن يعقوب كنت، والمثبت من (ف م١)، وما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٣/ ١٦١، والمنتظم ١٣/ ١٠٠.

(٢) في (خ): وقال أيضاً، والمثبت من (ف م١).

حكى الخطيب وغيره أن محمداً كان يهوى[١] فتًى حَدَثاً من أهل أصبهان يقال له: محمد بن جامع، ويقال: محمد بن زُخْرُف، وكان أبو بكر عفيفاً طاهراً في عِشْقه، وكان ابنُ جامع يُنْفق عليه، وما رأى النَّاسُ معشوقاً يُنفق على عاشقه إلَّا هو، وما زالت محبَّتُه به حتَّى قَتَلَتْه.

ودخل ابنُ جامع الحمَّام يوماً، وخرج فأخذ المرآة، فنظر إلى وجه نفسه، فأعجبه وجهُه فغطَّاه بمنديل، وجاء إلى ابن داود وهو على تلك الحالة، فقال له: ما هذا؟ فقال: نظرتُ في المرآة، فأعجبني حُسْني، فما أحببتُ أن يراه أحد قَبْلَك، فغُشي على ابن داود.

قال الخطيب: ودخل عليه إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة النَّحْويُّ المعروف بنِفْطَويه وقد ضَني[٢] على فراشه، فقال له: يا أبا بكر، ما هذا الضَّنى مع القُدرة والمحبوب مُساعد؟ فقال: أنا في آخر يوم من أيام الدُّنيا، لا أنالني اللهُ شفاعةَ محمد ﷺ إن كنتُ حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قطُّ، حدَّثني أبي بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عَشِق وكَتَم وعَفَّ وصبر، ثمَّ مات مات شهيداً، وأدخله الله الجنَّة»[٣].

قال المصنف رحمه الله: والحديث رواه الخرائطيُّ رفعه إلى ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عَشِق فعفَّ فمات فهو شهيد[٤]».

[قال الخطيب:] توفِّي أبو بكر ابن داود يوم الإثنين لتسعٍ خلون من رمضان سنة ستٍّ، أو سبعٍ، أو ثمانٍ وتسعين ومئتين[٥]، وروى عن أبيه وغيرِه، ولَمَّا مات محمد جلس ابن سُريج في عزائه، وبكى، وجلس على التُّراب وقال: ما أسفي إلَّا على ترابٍ

---

(١) في (خ): ذكر وفاته كان محمد يهوى، والمثبت من (ف م١).

(٢) في (خ): ودخل عليه إبراهيم نفطويه وقد ضني، والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٣/ ١٦٥.

(٣) بعدها في (ف) و(م١): قلت: قاتل الله نفطويه، أما كفى ابنَ داود ما هو فيه من النظر إلى المحرم حتى يزيّن له الفاحشة التي يفضي بها إلى نار جهنم.

(٤) اعتلال القلوب للخرائطي ص٧٩، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٧٧٢: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٦٧، ومن هنا إلى آخر السنة ليس في (ف م١). وانظر مروج الذهب ٨/ ٢٥٤، والسير ١٣/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٢٣.

أكل لسانَ أبي بكر.

محمَّد بن طاهر بنِ عبد الله

ابنِ طاهر بن الحسين، أبو العبَّاس، النَّيْسَابوريُّ.

أميرٌ ابن أميرِ ابنِ أميرٍ ابن أميرٍ، ولَّى المأمون جدَّه طاهراً الجزيرةَ والرَّقَّة، ثمَّ خُراسان، فمات، فولَّاها ابنَه عبد الله، فمات، فوليها ابنُه طاهر، فمات، فوليها ابنُه محمد صاحب هذه الترجمة، فكانت مدَّةُ إمارة بني طاهر من أيَّام المأمون إلى هذه السنة، وكان يعقوب بن الليث الصفَّار قد ظفر بمحمَّد، فكان معه أسيراً يطوف به البلادَ إلى سنة اثنين وستِّين ومئتين، خَلُص من أسره، فلم يزل مقيماً بمدينة السَّلام حتَّى مات.

سمع محمد بن طاهر من إسحاقَ بنِ راهويه وغيره، وروى عنه أحمدُ بن حاتم المَرْوزيّ، ومات ببغداد في أيَّام المقتدر سنة ثمانٍ أو سبعٍ وتسعين ومئتين، ودُفن إلى جانب عمِّه محمد بن عبد الله بن طاهر بمقابر قريش[١].

محمد بن العبَّاس بن محمد

ابن عمرو الجُمَحيُّ، القاضي.

أصلُه من البصرة، وسكن دمشقَ بعد التِّسعين ومئتين.

وكان وَرِعاً، صالحاً، فاضلاً، عَفيفاً، وإذا تقدَّم إليه ذو جاهٍ لا يلتفت إليه.

جاءه ابنُ زُنْبُور الوزير ومعه كيغلغ[٢]، فجلسا عنده، فقال له الوزير: للأمير كيغلغ حكومةٌ، يشتهي أن تقضيَ فيها على اختلاف العلماء، فغمَّض عينيه وقال: والله لا أفتحهما وأنتما جالسان، فما فتحهما حتَّى قاما من مجلسه، وما قام قطُّ لظالم.

وكان له بيتٌ صغير، إذا جاءه أحد من أبناء الدُّنيا قام فدخل البيت، فإذا جلس الرجل قام فخرج.

وكتب إليه محمَّد بن علي ابن الشيخ الماذرائي أبياتاً يعاتبه فيها: [من المتقارب]

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٦١، والمنتظم ١٣/ ١٠٢ - ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٣٠.

(٢) في تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٦٤: أبو زنبور ومعه ابن كيغلغ.

يَعِزُّ على مُشْفِقٍ أن يَراك ... قريباً لِمَن لستَ من شَكْلِهِ
وأنتَ الذي لو تأمَّلْتَه ... لأكْبَرتَ قَدْرَك عن مِثْلِهِ
فَهَبْكَ رضيتَ قضاءَ الشآم ... وصِرْتَ رئيساً على أهله
ألستَ العَليمَ بأنَّ الفَناءَ ... على آدمٍ وبني نَسْلِه
فماذا تقولُ إذا ما دُعِيتَ ... إلى مَجْمَعٍ ماجَ من حَفْلِه
وقيل هلُمُّوا بأشياعِكم ... وبالجُمَحيِّ على رِسْلِه
فهبْكَ اصطَفَيْتَ خراجَ البلاد ... وما كان في الحَزْن أو سَهْلِه
ولستُ أقولُ لما قد جَمَعْتَ ... حراماً ولكنَّ من حِلِّه
فهل فيه فَخْرٌ لذي حِكْمةٍ ... وقَيْدُ المنيَّةِ في رِجْلِه

وكانت وفاتُه بدمشقَ، وبقي البلدُ شاغراً من قاضٍ أيَّاماً، حتَّى وليه أبو زُرْعة محمد ابن عثمان.

يوسف بن يعقوب(١) بن إسماعيل

ابن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو محمد، البَصْريُّ، مولى آل جرير بن حازِم الأَزْدي.

وُلد سنة ثمانٍ ومئتين، وولي قضاءَ البَصْرة سنة ستٍّ وسبعين ومئتين، وضُمَّ إليه قضاءُ واسط، ثمَّ أُضيف إليه قضاء الشَّرقية ببغداد.

وكان حسنَ السِّيرة، جميلَ المذهب، مستقيمَ الطَّريقة، صالحاً، ورعاً، عفيفاً، حاكماً بالحقِّ، مات مصروفاً عن القضاء في رمضان، غير مطعونٍ عليه في شيء.

سمع سليمانَ بن حَرْب وغيرَه، وروى عنه ابنُ قانع وغيره.

ولما احتضر دخل عليه إخوانُه يعودُونَه فقالوا: كيف تجدُك؟ فقال: [من الوافر]

أرانيَ في انتقاصٍ كلَّ يومٍ ... ولا يَبْقى مع النُّقصانِ شيُّ
طَوَى العَصْران ما نَشَراه منِّي ... فأخْلَقَ جِدَّتي نَشْرٌ وطَيُّ

---

(١) في (خ): محمد بن يعقوب، والمثبت من تاريخ بغداد ٤٥٦/١٦، والمنتظم ١٠٣/١٣، وتاريخ الإسلام ١٠٦٩/٦.

السنة الثامنة والتسعون بعد المئتين

فيها قدم القاسمُ بنُ سيما من غزوِهِ الصائفة بالرُّوم، ومعه خَلْقٌ من الأسارى، وخمسون عِلْجاً قد شُهِّروا على الجمال، وبأيديهم أعلامُ الروم، عليها صلبانُ الذَّهب والفِضَّة.

وفيها فُلِجَ القاضي عبد الله بن أبي الشَّوارب، قال [طلحة بن] محمد بن جعفر: لم يزلْ عبد الله بن علي بن [محمد بن] عبد الملك بن أبي الشَّوارب على القضاء بالجانب الشَّرقيِّ من بغداد وعلى الكَرْخ أيضاً من شهر ربيع الأوَّل سنة ستٍّ وتسعين ومئتين إلى أن ضربه الفالجُ فأُسكت، فاستخلف ابنَه محمداً على عمله كلِّه، وذلك في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من جمادى الأولى أو الآخرة، سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين.

وكان محمد جميلاً، واسعَ الأخلاق، ولم يكن فيه خشونة، فاضطربت الأمورُ بنظره، ولُبِّست عليه في أكثر أحواله، ولم يزلْ على خلافة أبيه إلى سنة إحدى وثلاث مئة، فتوفي فيها(١).

وفي ربيع الأول دخل مؤنس الخادم وبين يديه الليث بنُ عليٍّ مشهوراً مغلولاً.

وفيها قدم الحسين بن حمدان من قُم إلى بغداد، فخلع عليه المقتدر وولَّاه ديارَ بكر [وربيعة، وكانت الروم قد وصلت إلى ديار بكر،] واستولت على بعض الحصون.

وقيل: إنَّ في هذه السَّنة قبض المقتدر على وزيره ابنِ الفرات، وقيل: في السَّنة الآتية لما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفي ربيعٍ الآخر مات محمد بن عَمْرَويه بآمِد، [قال ثابت بن سنان:] فَحُمِل تابوتُه إلى بغداد، ودُفن في شارع القَحاطِبة.

وفي شعبان مات صافي الحُرَمي، وقُلِّد مكانه مؤنس الخادم، واستخلف على الحرم

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٧٩، والمنتظم ١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦ وما بين معكوفين منهما، وهذا الخبر ليس في (ف م١).

في دار السلطان بدَيْر الحُرَمي.

وفيها استتر أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقانيُّ؛ لوصول رُقعة له إلى المقتدر يطلب[١] فيها الوزارة، فبعث بها إلى ابن الفرات، واتَّهم ابنُ الفرات عبد الله بن الحسين بن زوران بأنَّه يسعى له في الوزارة، فنفاه إلى الرَّقَّة.

[قال ثابت:] وفي شعبان أُخذ رجل من باب المُحَوَّل يقال له: أبو كثير[٢] ، وآخر يقال له: أبو شاكر، وآخر يعرف بأبي مسلم، وآخر يعرف بالشمري، وذُكر أنَّهم أصحابُ رجلٍ يُعرف بمحمَّد بن بشر يدَّعي الرّبوبيّة.

وجاءت الرُّوم في ذي القعدة إلى اللاذقية.

وهبَّت ريحٌ صفراءُ حارَّة بحديثة الموصل في ذي الحجَّة فمات لشدة حرِّها جماعة.

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن مَسْروق، أبو العبَّاس، الصُّوفي، الطُّوسي[٣] .

أحدُ مشايخ القوم وأصحاب الكرامات، أقام ببغداد وحدَّث بها.

ذكر طرف من أخباره وكراماته ومجاهداته:

حكى ابن جَهْضَم عنه قال[٤] : كانت والدتي تبكي عليَّ يوم الجمعة؛ لأنِّي كنت أنصرف من الجمعة عَليلاً لما أسمعه من الشيوخ، وكنتُ أنظر إلى شيوخي فتكون رؤيتي لهم قوتي من الجمعة إلى الجمعة، وكنتُ ألْبَسُ المُسوح.

[وحكى الخطيب عنه] قال: أردتُ السَّفَر فودَّعتُ والدتي، وخرجتُ فمشيتُ أياماً،

---

(١) في (خ): يخطب، والمثبت من تاريخ الإسلام ٦/ ٨٧٣ ، وهذا الخبر ليس في (ف م١).

(٢) الذي في المنتظم ١٣/ ١٠٦ : أبو كثيرة.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٠ ، وطبقات الصوفية ص٢٣٧ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٢١٣ ، والمنتظم ١٣/ ١٠٧ ، وصفة الصفوة ٤/ ١٢٩ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٩٦ ، والسير ١٣/ ٤٩٤ .

(٤) في (خ): طرف من أخباره قال، والمثبت من (ف م١).

ثمَّ وقفتُ وَقْفةً، فلم أقدر أن أنقل قَدَماً إلى قُدَّام، ولم أعلم ما العِلَّة! فرجعتُ إلى بيتي، فطرقتُ الباب ففُتح، وإذا بأمِّي قاعدة خلف الباب وعليها سوادٌ، فقلت: ما هذا؟ فقالت: منذ خرجتَ وإلى الآن أنا قاعدةٌ هاهنا، وعاهدتُ الله أن لا أزول من هاهنا حتَّى تعود، فقلت: تلك الوقفة كانت لهذا.

[وحكى في «المناقب» عن] الجريري قال: دعانا[١] أبو العبَّاس بن مَسْروق إلى بيته، فاستَقْبَلَنا صديقٌ لنا، فقلنا له: ارجع معنا فنحن في ضيافة أبي العبَّاس، فقال: إنَّه لم يَدْعُني، فقلنا: نحن نستثنيك كما فعل رسولُ الله ﷺ بعائشة ﵂[٢]، فجاء معنا، فدخلنا على أبي العبَّاس فأخبرناه خبرَ الرجل، فخرج أبو العبَّاس إليه وقال له: جعلتَ موضعي من قلبك أن جئتَ إلى منزلي من غير استدعاء، عليَّ كذا وكذا إن مشيتُ إلى الموضع الذي تقعد فيه إلَّا على خدِّي، ووضع خدَّه على الأرض، ووضع رِجْل [الرَّجُل] على وجهه، وجعل يَسْحَب وَجْهَه على الأرض إلى أن بلغ إلى موضع جلوسه[٣].

[وروى الخطيب بإسناده إلى] جعفر الخُلْدي قال: حدَّثني[٤] ابن مسروق قال: دخلتُ إلى الريِّ، فقصدتُ أبا موسى الدُّولابي ـ وكان في ذلك الوقت أشرف مَن يُذْكر ـ فدخلتُ إليه وسلَّمت عليه، وأقمتُ في منزله ثلاثةَ أيَّام، فلمَّا أردتُ الخروجَ أتيتُه لأودِّعه، فقال: يا غلام، الضيافةُ ثلاثة أيام، وما كان فوق ذلك فهو صدقةٌ منك عليَّ.

وقال: دخلتُ على شيخ من أصحابنا، فوجدتُه على حالٍ رثَّة، فقلتُ في نفسي: من أين يرتزق هذا الشيخ؟ فصاح بي: دَعْ عنك هذا الخاطر، فإنَّ لله ألطافاً خفيَّة[٥].

وحكى الخطيب عن الخُلدي قال: سمعتُ أبا العباس بن مَسْروق يقول: قدم[٦] علينا شيخٌ، وكان يتكلَّم بكلامٍ حَسَن، وكان عَذْبَ اللسان، جيِّدَ الخاطر، فقال لنا في

(١) في (خ): وقال الجريري دعانا، والمثبت من (ف م١).
(٢) انظر حديثها في صحيح مسلم (٢٠٣٧).
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٨.
(٤) في (خ): وقال جعفر الخلدي حدثني، والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٠.
(٥) الرسالة القشيرية ص٣٧٢.
(٦) في (خ): ألطافاً خفية، وقال: قدم. والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٢.

بعض كلامه: كلُّ ما وقع في خواطركم فقولوه لي، فوقع في خاطري أنَّه يهودي، وعرَّفت الجريريَّ فكَبُر عليه، وقوي في خاطري ذلك، فقلت له: يا هذا، قد وقع في خاطري أنَّك يهوديٌّ، فأطرق ساعةً، ثمَّ رفع رأسه وقال: صدقتَ، ثمَّ أسلم، وقال: قد مارَسْتُ الأديانَ كلَّها والمذاهب؛ فما رأيتُ مَن هو على الحقِّ إلَّا أنتم، وحَسُن إسلامه.

وقال أبو العباس: كنتُ آوي[1] إلى مسجد فيه سِدْرَة يأوي إليها بُلبُلان، ففقد أحدُهما صاحبَه، وبقي الآخرُ على الغُصْن ثلاثة أيَّام لا ينزل، ولا يلتقط، ولا يشرب ماءً، فلمَّا كان في اليوم الثالث، مرَّ به بلبل آخر فصاح، فذكر البلبلُ الذي كان على الغُصن صاحبَه، فوقع ميتاً.

ذكر نبذة من كلامه:

حكى السُّلمي عنه أنه قال: من راقب الله[2] في حركات قلبه عصمه في حركات جوارحه.

وقال: أنت في هَدْم عمرك منذ خرجتَ من بطن أمِّك.

وحكى في «المناقب» عن جعفر الخلدي قال: سألتُ ابنَ مسروق عن العقل، فقال[3]: مَنْ لم يَحْتَرِز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله.

وقيل له: ما التوكُّل؟ فقال: الاستسلامُ لجَرَيان القضاء والأحكام.

وقيل له: مَن الزَّاهد؟ فقال: الذي لا يَملكُه مع الله سَببٌ.

وقال: كثرةُ النَّظَر إلى الباطل تَذْهب بنور الحقِّ من القلب.

وقال: إنَّ الله وَسَمَ الدُّنيا بالوَحْشَة؛ لئلَّا يأنس المطيعون بها.

وقال: شجرةُ المعرفة تُسْقى بماء الفكرة، وشَجَرةُ المحبَّة تُسقى بماء الاتِّفاق،

---

(١) في (ف م١): وحكى أبو نعيم عن أبي العباس قال كنت آوي، والمثبت من (خ)، ولم نقف على الخبر في حلية الأولياء.

(٢) في (خ): وقال أبو العباس: من راقب الله، والمثبت من (ف م١)، وانظر طبقات الصوفية ص٢٤٠.

(٣) من قوله: وحكى في المناقب... إلى هنا من (ف م١). وانظر مناقب الأبرار ١/ ٤٣٦.

وشجرةُ الغفلة تُسقى بماء الجهل، وشجرةُ التوبة تُسقى بماء النَّدم.

وقال الخُلْديُّ: أنشدني ابن مَسْروق: [من الطويل]

وإنِّي لأهواه مُسيئاً ومُحْسِناً وأقضِي على نفسي له بالذي يَقْضي
فحتَّى متى رُوح الحَيا لا يَنالُني وحتَّى متى أيَّامُ سُخْطِك لا تمضي[١]

ذكر وفاته:

[قال ابن المنادي:] توفي ابن مسروق في صفر، ودُفن بباب حَرْب وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة، وقيل: مات سنةَ تسعٍ وتسعين ومئتين.

حدَّث عن خَلَف بن هشام [البزَّاز] وغيرِه، وروى عنه أبو بكر الشافعيُّ وغيرُه.

واتَّفقوا على فضله، وصِدْقه، وثِقَته، وزُهده، وورعه.

وحكى أبو نُعيم عن الجنيد أنَّه قال: رأيتُ[٢] في منامي قوماً من الأبدال، فقلت لهم: هل ببغداد أحد من الأولياء؟ قالوا: نعم، أبو العبَّاس بن مَسْروق، فإنَّه من أهل الأُنس بالله تعالى.

[وقال الخطيب: كان ابن مَسْروق معروفاً بالخير، مذكوراً بالصَّلاح.][٣]

[وفيها توفي]

أحمد بن يحيى بن إسحاق

أبو الحسين، البغداديُّ، المعروف بابن الرَّاوَنْديّ[٤]، الماجِن، المنسوب إلى الهَزْل والزَّنْدَقة.

كان أبوه يهوديًّا وأسلم، فكان بعضُ اليهود يقول للمسلمين: احذروا أن يُفسد هذا عليكم كتابَكم كما أفسد أبوه علينا كتابنا.

وكان أبوه يحيى يعلِّم اليهودَ ويقول: قولوا عن موسى إنَّه قال: لا نبيَّ بعدي.

---

(١) طبقات الصوفية ص٢٧٣ ـ ٢٤١، والرسالة القشيرية ص٢٧٣، ومناقب الأبرار ١/ ٤٣٧.

(٢) في (خ): وقال الجنيد رأيت، والمثبت من (ف م١)، وانظر حلية الأولياء ١٠/ ٢١٤.

(٣) ما بين معكوفين من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٠.

(٤) في المنتظم ١٣/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٠٢: الرّيوندي.

وروى علي بن المُحَسِّن التنوخيُّ عن أبيه: كان(١) ابن الراوندي يجالس الزَّنادقة وأهلَ الإلحاد، فإذا عوتب، قال: إنَّما أريد أن أعرف مذاهبهم.

ثمَّ كاشف وناظر على الإلحاد، وصنَّف في الزَّندقة كتباً كثيرة، منها كتاب: «نعت الحكمة»، وكتاب «قضيب الذَّهب»، وكتاب «التاج»، وكتاب «الزمرُّد»، وكتاب «الدَّمغ للقرآن»، وكتاب «الفريد»، وكتاب «إمامة المفضول» [، وقد نقض كتابَ الحكمة وغيره أبو عليٍّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائيُّ، ونقض عليه كتاب «الزمرُّد» أبو الحسين عبد الرَّحيم بن محمد الخيَّاط، ونقض عليه كتاب «الزمرُّد» أيضاً أبو علي الجُبَّائي وغيره].

وأزرى في كتاب «الزمرّد» على النبوَّات وقال فيه: إنَّا نجد في كلام أكثم بن صيفي أحسن من ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، وإنَّ الأنبياء وقعوا بِطِلَّسْمات، كما أنَّ المغناطيس يجذبُ الحديد، وقوله عليه الصلاة والسلام لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»(٢) فإنَّ المنجِّم يقول مثل هذا إذا عرف المولد والطَّالع.

وقال أبو علي الجبَّائي: لم أجد في كتاب ابن الراونديِّ الزنديق [الفاجر] إلَّا السَّفَهَ والكذبَ، قال: وقد وضع كتاباً في قِدَم العالَم، ونَفْيِ الصانع، وتصحيحِ مذهب الدَّهْرية، وفي الردِّ على أهل التوحيد، قال: وصنَّف كتاباً سمَّاه «الزمرّد» في الطَّعن على النبيِّ ﷺ، وشتم فيه رسولَ الله ﷺ في مواضعَ، ونسبه إلى الكذب، وطعن في القرآن فادّعى في تسمية هذا الكتاب بالزمرُّد [لأن الزمرد] له خاصيَّة في نظر الأفاعي والحيَّات إذا رأته عَمِيت، فكان قصدُه أنَّ الحُجَجَ التي أودعها فيها تُعمي حججَ المخالفين له.

[وقال أبو علي الجُبَّائيُّ:] ووضع كتاباً لليهود، وكتاباً للنصارى على المسلمين، يحتجُّ لهم فيه على إثبات نبوَّة موسى وعيسى عليهما السلام، ويبطل ما سواهما.

---

(١) في (خ): وقال المحسن التنوخي كان، والمثبت من (ف م١). والخبر في المنتظم ١٣/ ١٠٨ عن المحسن.
(٢) أخرجه أحمد (١١٠١١)، والبخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقال في كتاب [«الفريد»: إن المسلمين احتجوا لنبوَّة نبيّهم بالكتاب] الذي جاء به[(١)]، وأنَّه تحدَّى به العرب فلم يأتوا بمثله، ولا قَدَروا على معارضته، فيقال لهم: لو أتى جالينوس أو أحدُ الفلاسفة بكتابٍ مثلِ هذا، وادَّعى أنَّ الخلقَ يَعْجزون عن الإتيان بمثله؛ أكانت ثبتت نبوَّته؟ وذكر أشياءَ من هذا القبيل تدلُّ على جهله [وكفره] وسخافةِ عقله.

وذكر في «الدامغ» أشياءَ؛ منها أنَّه قال: قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وأيُّ ضعفٍ فيه وقد أخرج آدمَ من الجنَّة، وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] فعذَّب جلوداً لم تَعْصِه. ومنها أنَّه أهلك أمَّة عظيمةً بناقة، وما قَدْرُ ناقة؟ وذكر أشياءَ من هذه الحماقات والخرافات.

وقد أجاب الشيخ أبو الفرج ابن الجوزيِّ رحمة الله عليه عن بعض شبهه[(٢)]، وقد كان الواجب الإعراضَ عنه؛ فإنَّ السفيهَ لا يُقابَل إلَّا بالسكوت، وإنْ فاته العقابُ في الدُّنيا لم يَفُتْه في الآخرة.

قال المصنِّف رحمه الله: والمختارُ عندي في كتبه الغَسْل، وفي نفسه القتل، وأمَّا حكاياتُه في الهَزْل والاعتراض على الله تعالى والسُّخرية والاستهزاء فأشهرُ من أن تخفى [وتذهب آثارها وتعفى].

[واختلفوا في سبب وفاته] قال عليُّ بن عقيل الحنبليُّ: صلبه بعضُ السلاطين، وقيل: إنَّه مات على فراشه ببغداد وهو ابنُ ستٍّ وثمانين سنة، لعنةُ الله عليه وعلى مَن يعمل بعمله آمين.

[وفيها توفي]

أبو عثمان [الحِيْرِيُّ

واسمه] سعيد بن إسماعيل بن سعيد، النَّيْسابوري، الواعظ[(٣)]

---

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ١٣/ ١١١.

(٢) في (ف م١): وقد أجاب جدي عن بعض سفهه.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٥، وطبقات الصوفية ص١٧٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤، والمنتظم ١٣/ ١١٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٤٤.

وُلد بالرّيِّ ونشأ بها، ثمَّ انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات، وكان أوحدَ المشايخ في وقته، ومنه انتشرت طريقة التصوُّف بنيسابور، وقدم بغداد وحدَّث بها، وكان مجابَ الدَّعوة، وكان أبو حفص الحدَّاد قد زوَّجه ابنتَه بنيسابور، وأخذ الطريقةَ عنه.

قال ابنُ المنادي: [ولد بالرَّيِّ] وخرج إلى نيسابور مع شيخه شاه بن شجاع الكرمانيّ يزور أبا حفص النيسابوريّ، فزوَّجه ابنته.

[وحكى في «المناقب» عن] أبي عثمان قال: صحبتُ[1] أبا حفص الحدَّاد وأنا شابٌّ، فطردني وقال: لا تجلس عندي، فقمتُ قائماً ولم أُوَلِّه ظهري، وجعلتُ أمشي إلى ورائي ووجهي إلى وجهه حتَّى غبتُ عنه، وجعلتُ في نفسي أن أحفِرَ على بابه حُفيرةً، ولا أخرج منها حتَّى يرضى عنِّي، فلمَّا رأى ذلك منِّي قرَّبني، وأدناني، وجعلني من خواصِّ أصحابه[2].

وكان بين زكريا النَّخْشَبي وبين امرأةٍ سببٌ قبل توبته على يدي أبي عثمان، فبينا زكريا يوماً قائم على رأس أبي عثمان بعدما صار من خواصِّ تلامذته، فكَّر في شأن المرأة، فرفع أبو عثمان رأسَه إليه، وقال له: أما تستحي[3]؟!

وجاء رجلٌ إلى أبي عثمان[4] فدعاه إلى ضيافة، فمشى معه إلى باب داره، فقال له يا أستاذ، ليس لدخولك اليوم وجهٌ، وقد ندمتُ، فرجع، ثمَّ عاد إليه ثانياً وثالثاً ورابعاً وهو يردّ، ثمَّ أخذ بعد ذلك يعتذر إلى أبي عثمان ويقول: إنَّما أردتُ أن أختبرَك، وأخذ يَمدَحُه، فقال له أبو عثمان: لا تمدحْني على خُلُق تجد في الكلاب مثلَه، فإنَّ الكلب إذا دُعي حضر، وإذا زُجِر انزجر.

واجتاز أبو عثمان يوماً بسكَّةٍ وقتَ الهاجرة، فأُلقي عليه من سطح طشتٌ فيه رماد، فتغيَّر أصحابه، وبسطوا ألسنتهم على الذي ألقاه، فقال أبو عثمان: لا تقولوا شيئاً، مَن استحقَّ النار فصُولح على الرماد حُقَّ له أن لا يغضب.

---

(١) في (خ): وقال أبو عثمان صحبت، والمثبت من (ف م١).

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٤١-٣٤٢.

(٣) الرسالة القشيرية ص٣٧٠.

(٤) في (ف م١): وحكى في المناقب أن رجلاً إلى أبي عثمان، والمثبت من (خ).

[وحكى الخطيب[1] عن امرأة أبي عثمان قالت: كنَّا نؤخِّر اللعبَ والضحك حتى يدخل أبو عثمان في وِرْده.]

وقال أبو عمرو ابن نُجَيد: اختلفتُ إلى أبي عثمان في حال شبابي، وكنت قد حَظِيت [عنده][2]، فاشتغلتُ عنه بما يشتغل به الفتيان، وانقطعتُ عنه، وكنتُ إذا رأيتُه في طريقٍ اختفيتُ منه، فلقيتُه يوماً في سكَّةٍ، فهربت منه، فناداني: يا أبا عمرو، لا تَثِقَنَّ بمودَّة مَن لا يحبُّك إلا مَعصوماً، إنَّما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة، فتاب أبو عمرو ورجع إلى الإرادة.

[وقال الخطيب بإسناده عن محمد بن نعيم الضَّبيِّ قال: سمعت أمي تقول: سمعت] مريم امرأة أبي عثمان [تقول]: صادفتُ[3] من أبي عثمان خلوةً فاغتنمتُها، فقلت: يا أبا عثمان، أيُّ عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم، لما ترعرعتُ وأنا بالرَّي كانوا يريدونني على الزواج و[أنا] أمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتُك حبًّا أذهب نومي وقراري، وأنا أتوسَّل إليك بمقلِّب القلوب أن تتزوَّج بي، قلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخيَّاط في موضع كذا وكذا، فأرسلتُ إليه أن يزوِّجَها منِّي، ففرح بذلك، وأحضر الشهود، فزوَّجني بها، فلمَّا دخلتُ بها وجدتُها عوراءَ عرجاءَ مشوَّهة الخَلْق، فقلت: اللهمَّ لك الحمد على ما قدَّرتَه لي، وكان أهلي يلومونني على ذلك فأزيدُها بِرًّا وإكراماً؛ إلى أن صارت لا تَدَعْني أخرج من عندها، فتركتُ حضورَ المجالس إيثاراً لرضاها وحِفظاً لقلبها، وبقيتُ معها على هذه الحالة خمس عشرة سنةً، وكنتُ على الجَمْر من ذلك، لا أُبدي لها مِمَّا عندي شيئاً إلى أن ماتت، فما شيءٌ أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

[ذكر نبذة من كلامه:]

قال: منذ أربعين سنة[4] ما أقامني الله في حالٍ فكَرِهتُه، ولا نَقَلني إلى غيره فتَسَخَّطْتُه.

---

(١) في تاريخه ١٠/ ١٤٥ . وما بين معكوفين من (ف م١).

(٢) هذه الزيادة من صفة الصفوة ٤/ ١٠٤ .

(٣) في (خ): وقالت مريم امرأة أبي عثمان صادفت، والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٥-١٤٦، والمنتظم ١٣/ ١٢٠ .

(٤) في (ف م١): وقال الخطيب حدثنا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة، =

وقال: الصحبةُ مع الله بالأدب، ومع رسولِه باتِّباع السُّنَّة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الأهل بحُسن الخُلُق، ومع الإخوان بدوام البِشْر، ومع الجُهَّال بالدُّعاء(١) لهم.

وقال [أبو](٢) عمرو بن مَطَر: حضرتُ مجلس أبي عثمان، فخرج فقعد في الموضع الذي يقعد فيه للتَّذكير، فسكت حتى طال سكوتُه، فناداه رجل: نرى أن تقول في سكوتك شيئاً، فقال: [من الطويل]

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ النَّاس بالتُّقى ... طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريضُ

فارتفعت الأصواتُ بالبُكاء والنحيب.

وكان ينشد: [من الطويل]

أسأتُ ولم أُحسِنْ وجئتُكَ هارباً ... وأين لعبدٍ من مَواليه مَهْرَبُ
يؤمِّل غُفراناً فإنْ خاب ظنُّه ... فما أحدٌ منه على الأرض أَخْيَبُ

وقال: لا يَكمُل العبدُ حتَّى يستويَ في قلبه أربعةُ أشياء: المنعُ، والعطاء، والعزُّ، والذُّلُّ.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥] إنَّ معناه: رجوعُهم إلينا وإن تمادَى بهم الجَوَلان في ميادين المخالفات(٣).

وقال: الخوفُ من الله يوصلك إليه، والعُجْب والكِبْر يقطعانك عنه، واحتقار النَّاس في نفسك مرضٌ عظيم لا يُداوى.

وقال: العاقلُ من تأهَّبَ للمخاوفِ قبل وقوعها.

وقال: قطيعةُ الفاجر غُنمٌ(٤).

وقال: حقٌّ لمن أعزَّه الله بالمعرفة أنْ لا يُذِلَّ نفسَه بالمعصية.

= والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٦، والمنتظم ١٣/ ١٢١.

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥، وصفة الصفوة ٤/ ١٠٥.

(٢) هذه الزيادة من تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٦.

(٣) الرسالة القشيرية ١٧٤، ومناقب الأبرار ١/ ٣٤٢.

(٤) من قوله: الصحبة مع الله بالأدب.... إلى هنا ليس في (ف م١).

وقال: الزهدُ في الحرام فريضةٌ، وفي المباح فضيلةٌ، وفي الحلال قُربةٌ.

وقال: الرضا بابُ الله الأعظم.

وقال: اصحب الأغنياءَ بالتعزُّز، والفقراءَ بالتذلُّل، فإنَّ التعزُّزَ على الأغنياء تواضع، والتذلُّل للفقراء شرف[١].

وقال: ثمرة الورع خفَّةُ الحساب[٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]: هذا معونةٌ[٣] للمشتاقين، ومعناه: إنِّي أعلمُ أنَّ اشتياقَكم إليَّ غالب، وقد أجَّلتُ للقائكم أجلاً، وعن قريبٍ يكونُ وصولكم إلى مَن تشتاقون إليه.

وقال: مَن أضرَّ به الرجاءُ حتَّى قاربَ الأمن، فالخوفُ له أفضل، ومن أضرَّ به الخوف حتَّى قارب الأياس، فالرجاء له أفضل[٤].

ذكر وفاته:

[وقال أبو نعيم وغيره:] توفي يوم الثلاثاء لعشرٍ بقينَ من ربيع الآخر بنَيْسابور، وقبره ظاهرٌ يزار[٥].

[قال:] ولما تغيَّر عليه الحال، مَزَّق ابنُه أبو بكر قميصَه، ففتحَ أبو عثمان عينه وقال: يا بنيّ، خلافُ السنَّة في الظاهر علامةُ الرياء في الباطن[٦].

سمع أبو عثمان محمدَ بن إسماعيل الأَحْمَسيّ وغيره[٧].

[وقال السُّلميّ:] وكان لأبي عثمان ابنةٌ صالحةٌ تسمَّى عائشة، وكانت مجابةَ

---

(١) انظر الأقوال السابقة في طبقات الصوفية ص١٧٣ ـ ١٧٥ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥، ومناقب الأبرار ١/ ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الرسالة القشيرية ص١٩٥، ومناقب الأبرار ١/ ٣٤٥.

(٣) في شعب الإيمان (٤٥٨)، والرسالة القشيرية ص٤٩٥، ومناقب الأبرار ١/ ٣٤٧ : تعزية.

(٤) مناقب الأبرار ١/ ٣٤٨، ومن قوله: وقال في قوله تعالى.... إلى هنا ليس في (ف) و (م١).

(٥) انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٤٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ف) و (م١).

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥.

(٧) من قوله: سمع أبو عثمان... إلى هنا ليس في (ف) و (م١).

الدعوة، وكانت تقول: مَن استوحشَ في وحدته[١] فذلكَ لقلَّة أُنسِه بربِّه. وتأخَّر موتها إلى سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مِئة.

[وفيها توفي]

سَمنون بن حمزة

ـ ويقال: [ابن] عبد الله ـ الصوفيّ، أبو القاسم، المُحبّ.

أصلُه من البصرة، و[لكنه] سكنَ بغداد، وكان من ساداتِ المحبِّين، قد غلبَ عليه حبُّ الله تعالى، كثيرَ العبادة، [فروى الخطيب بإسناده إلى أبي أحمد المغازلي قال: كان ورد سمنون] كل[٢] يومٍ وليلةٍ خمس مئة ركعة.

وُسْوِسَ، وكان يتكلَّم في المحبَّةِ أحسن كلام[٣].

[ذكر] طرف من أخباره [وكلامه:

حكى أبو نعيم بإسناده عن أبي أحمد القلانسيّ قال: فرَّق رجلٌ ببغداد أربعين ألف درهم على الفقراء، فقال لي[٤] سمنون: ليس لنا مالٌ نُنفقه، قم بنا إلى المدائن، قال: فخرجنا فصلَّينا أربعينَ ألف ركعة؛ مكانَ كلِّ درهمٍ ركعة، وزُرْنا سلمان[٥] وحذيفة وانصرفنا. وذكرنا هذا فيما تقدم.

وحكى في «المناقب» عن سمنون] قال: دخلتُ عبَّادان فسألتُ عن رجلٍ آنسُ به، فقالوا: ما بقيَ عندنا إلَّا شيخٌ قد نقر لنفسه [في البحر] ساجة، وهو يتعبَّد فيها في البحر منذ ثلاثين سنة، وربَّما ألقتهُ الريح إلى هاهنا في كلِّ سنةٍ مرَّة أو مرَّتين. [قال]: فخرجتُ فوافيته في الساجة، فسلَّمت عليه، وقلت: حدِّثني بأشدِّ ما رأيت في هذا البحر، فقال: هبَّت ليلةً ريحٌ شديدةٌ، وأظلمَ البحر[٦] وخبَّ[٧] حتى ما رأيتُ مثله قطّ، وتداخلني وَحْشَةٌ عظيمةٌ، فطلبتُ شيئاً أُزيل به عنِّي الوَحشة، وإذا بتنينٍ عظيمٍ قد فتح فاه، فألقاني

(١) في (ف) و (م١) وما بين حاصرتين منهما: غربته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). ومكانها في (خ): وِرده كل.... وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦.

(٣) من قوله: وسوس.... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١).

(٤) في (ف) و(م١): له. والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٣١١.

(٥) في (ف) و(م١): سليمان. والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٣١١. والمقصود قبر سلمان الفارسي.

(٦) في (ف) و(م١): الليل.

(٧) في (ف): وجنت. وفي (م١): وحنت؟!

الموجُ إلى فيه وأنا في الساجة، فدخلتُ في فيه، وجلست على نابٍ من أنيابه، وصلَّيتُ ركعتين، فزال عني ما كنت أجدُه من الوحشة[١].

وقال سمنون: أوَّل وصالِ العبدِ للحقِّ هوانُه لنفسه[٢]، وأوَّلُ هجرانِ العبد للحقِّ مواصلتُه لنفسه.

وقال: لا يُعبَّر عن شيءٍ إلَّا بما هو أرقّ منه، ولا شيء أرقُّ من المحبة، فبماذا يُعبَّرُ عنها؟

وقال: الفقيرُ الصادقُ هو الذي يأنسُ بالعدم كما يأنسُ الجاهلُ بالغِنى، ويستوحشُ من الغنى كما يستوحشُ الجاهل من الفقر[٣].

وسئل عن قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٥٤]، فهل يجوز أن يُنسَبَ المكرُ إلى الله تعالى، فأنشد: [من الوافر]

ويقبحُ من سواكَ الفعلُ عندي فتفعلُه فيحسنُ منك ذاكا

فقال له السائل: أسألُك عن تفسيرِ آيةٍ من كتاب الله، تجيبُني ببيتٍ من الشعر، فقال له: يا جافي، إنَّ الله آلى على نفسِه أنْ لا يودِع حكمتَه عند أعجميِّ القلب! [لم] أجبك بشعر عَجْزاً عن البيان، وإنَّما أردتُ أنْ أخبرك أنَّ في أقلِّ الأشياء أدلَّ الدلائل عليه، اسمع، تخليتهم مع المكرِ مكرٌ منه بهم، إذ لو شاءَ منع[٤].

وقال: ذهبَ المحبُّون لله تعالى بشرفِ الدنيا والآخرة؛ أليس النبيُّ ﷺ يقول: «المرءُ مع من أحبّ»[٥]، فهم مع الله تعالى[٦].

[قال:] وقال إبراهيم بن فاتك: رأيتُ سَمنون يتكلَّم على الناس في المسجد[٧]، فجاء طائرٌ صغير، فلم يزل يدنو منه حتَّى جلس على يده، ثُمَّ لم يزل يضرب بمنقاره الأرضَ حتَّى سال منه الدم، ومات الطائر.

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٩٠.

(٢) في حلية الأولياء ١٠/ ٣١١: هجرانه لنفسه.

(٣) طبقات الصوفية ص١٩٦، ١٩٨.

(٤) مناقب الأبرار ١/ ٣٨٦-٣٨٧، وما بين حاصرتين منه.

(٥) أخرجه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٦) من قوله: وقال سمنون: أول وصال العبد.... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١).

(٧) بعدها في (خ): الحرام. والمثبت موافق لما في مناقب الأبرار ١/ ٣٨٩.

وقال: رأيتُه يتكلَّم يوماً في المحبَّة، فاصطفقت[١] قناديلُ المسجد، وكسر بعضُها بعضاً.

قال: وسمعتُه يقول: إذا بسطَ الجليلُ غداً بساط المجد، دخلت ذنوبُ الأوَّلين والآخرين تحت حاشيةٍ من حواشيه، فإذا شاء الجوادُ ألحقَ المسيءَ بالمحسن[٢].

[وحكى عنه أيضاً في «المناقب» أنه أنشد يوماً][٣]: [من مخلع البسيط]

وليس لي في سواك حظٌّ ... فكيفَ ما شئتَ فاختبرني

[فأخذه الأسرُ من ساعته، أي: حصر بوله، فكان يدورُ على المكاتب، ويفرِّق الجوزَ على الصبيان، ويقول: ادعوا لعمِّكم الكذَّاب.

وحكى في «المناقب» أن سمنون لما حُبِسَ بوله] كان[٤] يتجلَّد ويقول:

وليس لي في سواك حظٌّ

البيت.

و[كان] يصبرُ ولا يجزع، فسمعَ يوماً جماعةً من أصحابه يتحدَّثون ويقولون: سمعنا أستاذنا سمنون يسألُ الله ويتضرَّع إليه، وقال واحدٌ: وأنا سمعتُه، وقال آخر: وأنا سمعته، ولم يكن دعا بشيء، فعَلِم [أنَّ] المرادَ منه إنَّما هو إظهارُ الجزع والافتقار إلى الله تعالى تأدُّباً بالعبودية[٥] وستراً للحال، فكان يدورُ على المكاتب، ويفرِّقُ الجوزَ على الصبيان، ويقول: ادْعُوا لعمِّكم الكذاب[٦].

وقال: عليّ بن محمد الصُّوفيّ: كان سَمنون يشطحُ ويقول: [من الكامل]

ضاعِفْ عليَّ بجَهْدِكَ البلوى ... وابلُغْ بجهدي غايةَ الشَّكوى

واجهدْ وبالغ في مُهاجرتي ... واجهرْ بما في السِّرِّ والنَّجْوَى

فإذا بلغتَ الجَهْدَ فيَّ ولم ... تترك لنفسِك غايةَ القُصْوَى

(١) في (ف) و(م١): فاصتكت.

(٢) انظر طبقات الصوفية ص١٩٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٣١١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وأنشد سمنون يوماً.

(٤) في (خ): فحصر بوله من ساعته، فكان....

(٥) في (خ) و(ف) و(م١): بادياً للعبودية. والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ٣٨٨، وطبقات الأولياء ص١٦٧.

(٦) من قوله: ويفرق الجوز.... إلى هنا جاء مكانه في (ف) و(م١): وذكره.

فانظر فهل حالٌ بي انتقلَتْ عمَّا تحبُّ لحالةٍ أُخرى

فعوقبَ على ذلك بقطر البول[١] ، فرأى في منامه كأنَّه يشكو حالَه إلى بعض الصّالحين، فقال له: عليك بدعاء الكتاتيب، فكان يطوفُ على الكتاتيب وبيدِه قارورةٌ يَقطرُ فيها بولُه، ويقول للصبيان: ادعوا لعمِّكُم الكذاب المُبْتَلى بلسانه[٢] .

[وحكى أبو نعيم عن أبي بكر الواسطي قال:][٣] قال سَمنون: يا رب قد رضيتُ بكلِّ ما تقضيه عليَّ، فاحتبس بولُه أربعة عشر[٤] يوماً، فكان يتلوَّى كما تتلوَّى الحيَّةُ على الرمل يميناً وشمالاً، فلمَّا أُطلقَ بولُه قال: يا ربّ، تُبتُ إليك.

وهذا إنَّما هو استعمالُ الرِّضا والتسليم لله تعالى، وتلقِّي ما يَرِدُ من قضائه وقَدره على وفق ما وقع، لا أنَّه يقاوي.

وقال النُّوري: سألتُ سَمنوناً عن المحبة، فقال: عن أيِّ شيءٍ تسأل؛ عن محبة الله إيَّاك، أو عن محبتك الله؟ فقلت: بل عن محبة الله لي، فقال: لا تطيقُ الملائكة سماع ذلك، فكيف أنت؟! لقد تكلَّمت أمس مع الخضر والملائكةُ يسمعون قولي، ويستحسنون قولي وكلامي، والحقُّ حاضرٌ، فلم يعب عليَّ، ولو عاب عليَّ لأخرسني[٥] .

قال المصنف رحمه الله: أمَّا قوله عن الخضر، فقد قدَّمنا الكلام في حياته، وأمَّا سماعُ الملائكة قولَه، فلقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وأما استحسانُهم كلامَه، فإنَّ الكلام الحسن تستحسنه الملائكة وغيرها في الغالب، وأمَّا قوله: والحقُّ سبحانَه وتعالى حاضر، فلقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[٦] [المجادلة: ٧]، أي بالعلم، ومعنى قوله: لو عاب علي لأخْرَسَني: إنَّني أقمتُ الأدلَّة من كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ ، ومن أصول الشريعة وكلام القوم، وتقديره: فكيف يخرسني وأنا أقول الحق[٧] ؟!

---

(١) من قوله: وقال علي بن محمد.... إلى هنا ليس في (ف) و(م١)، وفيهما: وروي أنه رأى في منامه كأنه....

(٢) بعدها في (ف) و(م١): لقوله: وليس لي في سواك حظٌّ.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال أبو بكر الواسطي.

(٤) في (خ): أربعة وعشرين. والمثبت من (ف) و(م١) وحلية الأولياء ١٠/ ٣١٠ .

(٥) مناقب الأبرار ١/ ٣٨٩.

(٦) في (خ): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. والمثبت هو الصواب.

(٧) من قوله: وهذا إنما هو استعمال الرضا... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

وقال السُّلَمي: كان سمنون جالساً[١] على شاطئ دِجلة، وبيده قضيب، وهو يضرب [به على] فخذه حتى تبدَّد اللحم، وهو [ينشد و]يقول: [من المديد]

كـان لـي قـلـبٌ أعـيـشُ بـه ... ضـاعَ مـنِّـي فـي تَـقـلُّـبِـهِ
ربِّ فـارْدُدْهُ عـلَـيَّ فـقـد ... عِـيْـلَ صـبـري فـي تـطـلُّـبـه
وأَغِـثْ مـا دامَ بـي رَمَـقٌ ... يـا غـيـاثَ الـمـسـتـغـيـثِ بـهِ[٢]

[وذكر أبو نُعيم والسُّلميّ والخطيب وابنُ خَميس في «المناقب» طرفاً مِمَّا كان ينشده سَمنون لنفسه ولغيره، فمن ذلك هذه الأبيات:][٣] [من الطويل]

وكـانَ فـؤادي خـالـيـاً قـبـلَ حُـبِّـكُـم ... وكـان بـذكـرِ الـخـلـقِ يَـلْـهُـو ويَـمـرَحُ[٤]
فـلـمـا دعـا قـلـبـي هـواكَ أجـابـهُ ... فـلـسـتُ أُراهُ عـن فِـنَـائـكَ يَـبْـرَحُ
رُمـيـتُ بـبَـيْـنٍ مـنـك إنْ كُـنـتُ كـاذبـاً ... وإنْ كـنـتُ فـي الـدُّنـيـا بـغـيـرِكَ أفـرحُ
وإن كـان شـيءٌ فـي الـبـلاد بـأسـرِهـا ... إذا غـبـتَ عـن عـيـنـي بـعـيـنـي يَـمْـلُـحُ
فإنْ شئتَ واصِلْنِي وإنْ شئتَ لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيركَ يَصْلُحُ[٥]

ومنها: [من البسيط]

أنت الحبيبُ الذي لا شكَّ في خَلَدِي ... منـه فـإنْ فَـقَـدَتْـكَ الـنَّـفْـسُ لـم تـعِـشِ
يـا مُـعْـطِـشـي بـوصـالٍ كـنـت واهـبَـهُ ... هل فيك لي راحةٌ إن صِحْتُ واعَطَشِي

ومنها: [من الطويل]

أحِـنُّ بـأطـرافِ الـنَّـهـارِ صَـبـابـةً ... وفي الليلِ يَدعونِي الهوَى فأُجيبُ
وأيـامُـنـا تـفْـنَـى وشـوقـي زائـدٌ ... كـأنَّ زمـانَ الـشَّـوقِ لـيـسَ يَـغـيـبُ[٦]

ومنها: [من الطويل]

---

(١) في (ف) و(م١): وحكى السلمي أنه كان جالساً.
(٢) طبقات الصوفية ص١٩٧، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨٦.
(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وكان سمنون رحمة الله عليه ينشد أشعاراً لنفسه ولغيره فمنها.
(٤) في طبقات الصوفية: ويمزح.
(٥) طبقات الصوفية ص١٩٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٧، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨٦.
(٦) طبقات الصوفية ص١٩٧، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨٦.
(٧) طبقات الصوفية ص١٩٨، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨٧.

ولو قلتَ طأ[١] في النار أعلم أنَّهُ رضًى لك أو مُدْني لنَا من وصالِكَا
لقدَّمتُ رجلي نحوهَا فوطِئْتُها لعلميَ أنِّي[٢] قد خطرتُ ببالكَا

من أبيات[٣].

توفِّي سَمنون ببغداد، ودُفِن بمقابر الشونيزيَّة قريباً من الجنيد، رحمة الله عليهما.

[فصل:]

صافي الخادم الحُرَمي

كان حاكماً على الدولة، وقد ذكرناه في مواضع، وكانت وفاته في شعبان، واستقلَّ مؤنس بالأمر[٤].

وكان لصافي غلامٌ اسمه قاسم، فلما احتُضر أحضر القاضي والشهود، وأشهدَهم على نفسِه أنَّه ليس له عند غلامه قاسم مالٌ ولا عقارٌ، ولا قليلٌ ولا كثير، فلمَّا مات حملَ قاسمٌ إلى المقتدر مئةَ ألف دينار، وعشرينَ ألف دينار وسبع مئة مِنْطَقة، وقال: هذا كان له عندي، فأعجب المقتدر، وولَّاه مكان صافي، ورفع منزلتَه[٥].

[وفيها توفي

محمدُ بن عليّ بن طَرْخَان

ابن عبد الله بن جَبَّاش، أبو بكر، البَلْخيّ، ثم البيكَنْديّ[٦].

ذكرهُ ابنُ ماكولا وقال: كانَ حافظاً للحديث، حسن التصانيف. رحل إلى العراق والشام وغيرها، فسمع ببَلْخ حَفْصَ بن عمرو العابد وغيره[٧]، وبالشام هشامَ بن عمَّار

(١) في (خ): لظا.

(٢) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨٨: سروراً لأني.

(٣) من قوله: ومنها: أنت الحبيب.... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١).

(٤) قوله: واستقل مؤنس بالأمر. ليس في (ف) و(م١).

(٥) كذا، وفي المنتظم ١٣/ ١٢٢: فأمر أن ينزل القاسم منزلته. وفي الأوراق ص٧٣ (ما لم ينشر منها): فأمر أن يترك القاسم على مرتبته. والله أعلم.

(٦) هذه الترجمة وما بعدها إلى نهاية السنة من (ف) و(م١)، ولم ترد في (خ).

(٧) الإكمال ٢/ ٣٤٨.

وغيره ، وقُتَيْبَةَ بن سعيد وغيره، وخلقاً كثيراً.

وحدَّث عنه ابنه[١] عبد الله بن محمد وغيره.

وماتَ في رجب، وكان ثقةً.

وفيها توفي

محمد بن نَصْر

ابن منصور الصَّائغ، أبو جعفر، البغدادي.

حدَّث عن إسماعيل بن أبي أويس وطبقته، ورَوى عنه الخُطبي، وابنُ المنادي، وابن صاعد[٢] وغيرهم.

وماتَ في رمضان ببغداد[٣]. وكان ثقةً مأموناً.

وفيها توفي

محمد بن يحيى بن سليمان

أبو بكر الورَّاق، مروزيُّ الأصل، سكن بغداد، وكان مكثراً[٤].

وروى عن أبي عبيد القاسم بن سلَّام وطبقته، وروى عنه أحمد بن سليمان النَّجَّاد، والخُطَبي، وابن المنادي، وأبو بكر الشافعي، وغيرهم.

وكانت وفاته ببغداد بالجانب الغربي بدرب الحَبَّاقين في باب الشام، وكان ثقة.

وفيها توفي

---

(١) في (ف) و(م١): وحدث عن أبيه. والتصويب من الإكمال ٢/ ٣٤٨ ، وتاريخ دمشق ٦٣/ ٣٩٥ (طبعة مجمع اللغة).

(٢) كذا في (ف) و(م١). وفي تاريخ بغداد ٤/ ٥١٢ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٩ : ابن قانع.

(٣) في تاريخ بغداد ٤/ ٥١٢ أنه توفي ليلة السبت لسبع خلون من شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومئتين، ومثله في تاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٩ . وفي معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ١/ ٣٩٢ أنه توفي ببغداد سنة ست وتسعين.

(٤) في تاريخ بغداد ٤/ ٦٦٨ : حدث عن عاصم بن علي وكان مكثراً عنه.

عبد السَّلام بن أحمد

ابن إسماعيل[١] بن مالك بن دينار، أبو بكر، البَصْريّ.

نزل مصر، وحدَّث بها عن هشام بن عمَّار[٢] وغيره، ورَوى عنه أبو سعيد بن يونس، والحسن بن رَشيق العَسْكري، وغيرهم.

وكانت وفاته بمصر في ربيع الآخر.

وكان صدوقاً صالحاً ثقةً، وكان قد سمع قديماً بمصر الحسن بن علي القراطيسي، وعيسى بن حماد زُغْبَة، وغيرهما[٣]].



(١) في تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٠: سهيل.

(٢) كذا، وفي تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٠: سمع بدمشق هشام بن عمار.

(٣) بعدها في (م١): والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السنة التاسعة والتسعون بعد المئتين

[قال ثابتُ بن سنان: وفيها ظهرت ثلاثةُ كواكب مُذَنَّبة؛ أحدها ظهرَ ليلة الخميس لخمسٍ بقين من شهر رمضان في برج الأسد، والآخرُ ظهرَ ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلةً بقيت من ذي القعدة في المشرق، والثالثُ ظهر ليلة الأربعاء لعشرٍ بقين من ذي القعدة في برج العقرب.

قال: وطلوعُ هذه الكواكب قبل] قبض المقتدر[١] على الوزير أبي الحسن بن الفرات يوم الأربعاء[٢] لأربعٍ خلون من ذي الحجَّة، ووكَّل بداره، وهتك حُرَمَه أقبح هتك، ونُهبت دوره ودور كتَّابِه وأسبابه، وأخذ كلما وجد له ولأهله.

وقيل: ادُّعي عليه أنَّه كَاتَبَ الأعراب بأنْ يكبِسوا بغداد.

ولَمَّا نُهبت دوره، وقعت الفتنةُ ببغداد، ونهب الناس، وكان مؤنس الخازن متولِّي الشرطة [ببغداد]، فركب، وسكَّنَ الناس فلم يسكنوا، ودامَ النهبُ ثلاثةَ أيام، وكان مؤنس يركبُ كلَّ يوم في تسعة آلاف فارس وراجل[٣].

[قال ثابت:] فكانت [مدة] وزارة ابن الفرات هذه الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً[٤].

[قال:] واستوزرَ المقتدرُ أبا عليّ محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): فيها قبض المقتدر....

(٢) في (ف) و(م١): الأحد. والتصويب من المنتظم ١٣/ ١٢٣ .

(٣) كذا، ووقع في تكملة تاريخ الطبري ص٢٠١ أنه قُبض على ابن الفرات وهتكت حرمه ونهبت دوره ودور أسبابه، فكان صاحب الشرطة مؤنس الخادم تحت يده تسعة آلاف فارس وراجل، وإذا كثر النهب وعظم الخطب يركب، فيسكن المنتهبون عند ركوبه، ويعودون إلى النهب عند نزوله، ودام ذلك ثلاثة أيام بلياليها.وانظر الكامل ٦/ ٦٣ .

(٤) كذا في النسخ والكامل ٦/ ٢٩٩ ، وفي أوراق الصولي (ما لم ينشر) ص٨٢ ، وصلة عريب ص٣٩ : واثني عشر يوماً.

[وفي رواية: وكان قد ضمن لأم ولد المعتضد[١] ـ أو المقتدر ـ مئة ألف دينار، فأشارت على المقتدر بولايته.]

وفيها وردت هدايا [من] مصر، [قال الصولي:] وفيها ضلعُ إنسانٍ طولُه أربعة عشر شِبْراً في عرض شبر، زعموا أنه من قوم عاد، [قال: وفيها] تيسٌ له ضَرْعٌ يحلبُ لبناً، وخمسُ مئة ألف دينار[٢]، قالوا: وُجِدت في كنز.

[قال الصولي:] ووردت رسلُ أحمد بن إسماعيل والي خراسان بهدايا جليلة لم ير مثلها، [فيها] بدنةٌ مرصَّعةٌ بفاخر [الدُّرِّ و] اللؤلؤ، وتاجٌ من ذهبٍ مرصَّعٌ بجوهرٍ له قيمةٌ كبيرةٌ، ومناطق الذهب المرصَّعة، وعنبرٌ كثيرٌ ومسكٌ، وربعةُ ذهبٍ مرصَّعة بالجوهر، وخيلٌ وغيرها.

[وقال ثابت: وفيها وردَ الخبرُ من فارس بأنَّه حدثَ بها طاعونٌ مات فيه سبعةُ آلاف إنسان.

قال:] وفيها وَردتْ هدايا يوسف بن أبي السَّاج، وهي خمسُ مئة رأسٍ من الخيل والبغال والثيابِ والرقيقِ والسِّلاح، [قال الصوليّ:] ومن المال ثمانونَ ألف دينار، و[كان في الهديَّة] بساطٌ رومي أو أرمنيّ[٣]، لم يُر مثلُه، طوله سبعون[٤] ذراعاً في عرض ستين [ذراعاً، وعليه مكتوب أنه عُمِلَ في عشر سنين].

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك [أيضاً][٥].

[فصل] وفيها توفي

---

(١) في أوراق الصولي ص٨٥، وصلة عريب ص٤٠: أم ولد المعتضد.
وما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) أوراق الصولي ص٧٨، وليس فيه ذكر الضلع وانظر المنتظم ١٣/ ١٢٤ وما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) في (ف) و(م١): أو آمدي. والمثبت من (خ) والأوراق ص١٢٥، والمنتظم ١٣/ ١٢٤.

(٤) كذا في النسخ والمنتظم ١٣/ ١٢٤، وفي الأوراق ص٧٩: ستون ذراعاً.

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

أحمد بن نَصْر بن إبراهيم(١)

أبو عمرو، الخَفَّاف، الحافظ.

رحل في طلب الحديث، ولقي الشيوخ، وكان زاهداً مُتعبِّداً، صامَ نيفاً وثلاثين سنةً، وتصدق بألوفٍ سرًّا وعلانية.

[وذكره الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور» وأثنى عليه. وقال الحاكم: سمعت أبا حامد ابن محمد المغربي(٢) يقول:] وقف سائلٌ [على أبي عمرو الخَفّاف](٣)، فأمرَ له بدرهمين، فقال الرجل: الحمدُ لله، فقال لصاحبه: اجعلها خمسة، فقال الرجل: اللهم لك الحمد، فقال: زده خمسة، فلم يزل الرجل يحمدُ الله وهو يزيده(٤) حتى بلغ مئة درهم، فقال الرجل: جعل الله عليك واقيةً باقيةً(٥)، فقال أبو عمرو: والله لو لم يرجع من الحمد إلى غيره لبلغت عشرةَ آلاف درهم.

[قلت: وإمامه في هذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لما جاءته تلك المرأة من العراق، وقالت: لي خمسُ بنات كسلٌ كسد، فقال لها: سمِّي الأولى، ففرضَ لها، وهي تحمدُ الله، وسمت الثانيةَ والثالثة، وهو يفرضُ لهنَّ، فلما ذكرت الرابعة دعت له(٦)، فرمى بالقلم، وقال: مري بناتِك يُفِضْن عليها، فإنِّي لا أفرضُ لها، قالت: ولم؟ قال: لأنِّي كنتُ أفرض لهنَّ لمَّا كنتِ تقولين الحمدَ لمستحقِّه، أمَّا إذا أفضتِ الأمر إليَّ فلا.

وقد ذكرناه في سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وكانت وفاة] أحمد(٧) [بن نصر] في شعبان.

---

(١) في (خ) و(ف) و(م١): إسماعيل. وهو خطأ. والتصويب من المنتظم ١٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٠، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٩٨.

(٢) كذا في (ف) و(م١). وفي المنتظم ١٣/ ١٢٥: المقرئ.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقف عليه سائل.

(٤) بعدها في (خ): خمسة.

(٥) كذا في (خ) والمنتظم ١٣/ ١٢٥، وفي (ف) و(م): ماقية. ولعلها بمعنى: صائنة. فقد جاء في اللسان (مقا): امْقِه مقيتَك مالَك، وامْقُه مقْوَك مالك، ومُقاوتك مالك، أي: صنه صيانتك مالك.

(٦) الصواب: أنه فرض للأربعة، فلما ذكرت الخامسة دعت له.

(٧) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وتوفي أحمد.

وسمع إسحاق بن راهويه، [ومحمد بن رافع، وأبا كُرَيب] وغيره، وروى عنه الخُطَبيُّ وطبقتُه. وكان صدوقاً ثقةً، يذاكرُ بمئةِ ألف حديث.

الحسين بن عبد الله بن أحمد

أبو علي الخِرَقي، والد عمر مصنف كتاب «الخِرَقي» على مذهب الإمام رحمةُ الله عليه.

وكان الحسين خليفةَ المرُّوذيّ، وكان زاهداً عابداً ورعاً.

توفي يوم الفطر، ودُفن عند الإمام أحمد.

حدَّث عن حمَّاد(١) وغيره، ورَوى عنه أبو بكر الشافعيّ وغيرُه.

الحَكَم بن عبد الله

ابن مَسْلَمة بن عبد الرحمن(٢)، أبو مُطيع، البَلْخيّ.

إمامُ أهل خراسان في وقتِه، وكان زاهداً ورعاً عابداً عارفاً بمذاهب الصحابة والتابعين، وكان من الأكابر.

قدم بغداد غير مرة وحدَّث بها، وأقام على قضاء بلخ ستَّ عشرة سنة.

جاء كتابُ الخليفةِ إلى خراسان بولاية العهد، وفيه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] فقُرِئ على المنبر، فقامَ أبو مطيع وبكى، وقال: يا معاشر المسلمين أَنُجَرُّ إلى الكفر؟! إنَّما قال الله تعالى ذلك في حقِّ يحيى بن زكريا، فمن قالها في غيره فقد كفر، فارتجَّ المسجد بالبكاء(٣).

فيقال: إنَّه قام مَقام الأنبياء.

وكان الحاكم(٤) يقول: لأبي مطيع المنَّةُ على الدنيا جميعاً.

---

(١) كذا في (خ)، ولم ترد هذه الترجمة والتي بعدها في (ف) و(م١). وفي المنتظم ١٣/ ١٢٦ : حدث عن جماعة. وانظر تاريخ بغداد ٨/ ٦٠٣ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٣٨ ـ ٩٣٩ .

(٢) كذا وقعت ترجمته في هذه السنة.والصواب أنه توفي سنة ١٩٩ هـ. انظر تاريخ بغداد ٩/ ١٢٢ والمنتظم ١٠/ ٧٧ ، وغيرهما.

(٣) انظر الخبر بتمامه في تاريخ بغداد ٩/ ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٤) هو من قول ابن المبارك، كما في تاريخ بغداد ٩/ ١٢٣ .

وله الكتبُ المشهورةُ والاختياراتُ في مذهب أبي حنيفة، ومات في جمادى الأولى وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة.

حدث عن هشام بن حسَّان وغيره، وروى عنه أحمدُ بن مَنِيع وغيره. وقد تكلَّموا فيه(١).

عبَّاس بن المُهْتَدي

أبو الفَضْل، الصُّوفيّ، البغدادي.

سكن مصر، وصحبَ أبا سعيد الخَرَّاز، وكان من أقران الجنيد، [وكان] كثيرَ السياحة. [وقال أبو عبد الرحمن السلمي: كان] يرجعُ إلى فتوَّةٍ ظاهرة، وفرَاسةٍ حادَّة، وحبٍّ للفقراء وميلٍ إليهم.

[حدثنا غير واحد عن أبي بكر بن حَبيب بإسناده، عن محمد بن عبد الله الفَرْغاني قال:] تزوَّجَ [عباس بن المهتدي] امرأةً، فلمَّا كانت الليلة التي أراد أن يَدخُلَ بها فيها وقعتْ عليه نَدامةٌ، فدخل عليها وهو كارهٌ لها، فلمَّا أراد أن يدنو منها زُجِر عنها، فامتنع من وطئها، وقام فخرج من عندها، فلمَّا كان بعد ثلاثة أيام ظهرَ لها زوجٌ(٢).

عيسى بن محمد

أبو موسى النُّوْشَري .ولي إمرةَ دمشق من قبل محمد المنتصر والمستعين، وشرطةَ بغداد في أيام المُكتفي، ووليَ أصبهان والجبال، وولَّاه المكتفي مصر، فماتَ بها(٣).

محمد بن أحمد بن كَيْسان

أبو الحسن، النحويُّ، اللغويُّ، الإمام الفاضل، أحدُ المذكورين بالعلم، والموصوفين بالفهم.

كان يحفظ مذهب البصريين والكوفيين في النحو؛ لأنَّه أخذ عن المبرِّد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد المقرئ يقول: هو أنحى منهما.

---

(١) انظر الكلام في تضعيفه في تاريخ بغداد ٩/ ١٢٤، وميزان الاعتدال ١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٢، والمنتظم ١٣/ ١٢٧، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٢٥٩، وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) تاريخ دمشق ٥٧/ ٦٣ ـ ٦٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٥. وهذه الترجمة والتي بعدها لم تردا في (ف) و(م١).

وله التصانيفُ والأقوالُ المشهورة في التفاسير ومعاني الآيات، وكان فوقَ الثقةِ، وتوفِّي في المُحَرَّم[١].

[وفيها توفي]

محمد بن إسماعيل

أبو عبد الله، المغربيُّ، الزاهد.

[وهو] أستاذُ إبراهيم الخَوَّاص، وإبراهيم بن شَيبان، وغيرهما، [و] كان كبيرَ الشأن في علم المعاملات والمكاشفات، وحجَّ على قدميه سبعاً وتسعين حجَّةً.

[وحكى عنه ابن باكويه - وقد تقدَّم إسنادنا إليه - وروى عنه إبراهيم بن شيبان قال:][٢] سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: ما رأيتُ ظُلمة منذ سنين كثيرة. قال إبراهيم: وذلك لأنَّه كان يتقدَّمُنا في الليلة المظلمة، ونحنُ نتبعُه، وهو حافٍ حاسر، فكان إذا عثرَ أحدُنا يقول: يميناً وشمالاً، ونحنُ لا نرى ما بين أيدينا، فإذا أصبحنا نظرنَا إلى رجْلِه كأنَّها رجلُ عروسٍ قد خَرَجَتْ من خِدْرِها. قال: وكان يتكلَّم علينا، فتكلَّم يوماً ونحنُ على الطُّور فقال: لا ينالُ العبدُ مرادَه حتى ينفردَ فرداً لفرد، وانزعجَ واضطرب، فرأيتُ الصخورَ قد تَدَكْدكَتْ، وغُشِيَ عليه، ثم أفاقَ كأنَّه نُشِر من قبره[٣].

[وحكى عنه ابنُ خَميس في «المناقب» أنَّه] ما كان يأكلُ مِمَّا تصل إليه يدُ بني آدم، وأقام سنين[٤] على ذلك، بل كان يتناولُ من أصولِ الحشيش أشياءَ تَعوَّد أكلَها.

وكان يُسافرُ مع أصحابِهِ مُحرِماً، فإذا تحلَّلَ من إحرامه أحرَم ثانياً، ولم يَتَّسِخ له ثوبٌ، ولا طالَ له ظُفرٌ أو شعر[٥].

---

(١) في طبقات النحويين للزُّبيدي ص١٥٣ أنه توفي لثمانٍ خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين. وقال الخطيب في تاريخ بغداد ٢/ ١٨٧ : بلغني أنَّه مات في سنة تسع وتسعين ومئتين، وتعقبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٧/ ١٤١ فقال: والذي ذكره الخطيب سهو، فإني وجدت في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذّب المغربي أن ابن كيسان مات في سنة عشرين وثلاث مئة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال إبراهيم بن شيبان.

(٣) المنتظم ١٣/ ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) في (ف) و(م١): ستين سنة: وانظر مناقب الأبرار ١/ ٤٣٢، وطبقات الأولياء ص٤٠٣ .

(٥) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٣.

[وحكى عنه أيضاً أنَّه قال:](١) مررتُ بمَفازةٍ في المغرب، فبقيتُ فيها عشرينَ يوماً لم أر آدميًّا، ولم آكل شيئاً، فبينما أنا أسيرُ إذ لاح لي شيخٌ قائمٌ يصلِّي، فسلَّمتُ عليه، فردّ، فقلت: من أنت؟ فقال: خليلُ خليل الرحمن إبراهيم، كان مسكني في الهواء من حين أُلْقِي إبراهيمُ في النار، فقلت: بم نلت هذه المنزلة؟ فقال: بالتوكُّل، فما في المملكة أعزّ منه. قلت: فما حدُّه؟ قال: النظرُ إليه بلا عينٍ تَطْرِف، ولسان ذاكر بغير حركة، ونفس جوَّالة بغير روح. ثمَّ وثب، فإذا به في الهواء(٢).

[وحكى عن إبراهيم بن شيبان قال:] بعثني أبو عبد الله لأُحضِر له ماء، فأتيتُ إلى عينٍ، فإذا السَّبُعُ قد جاء إليها، فالتقينا في مضيق، فجعلَ السَّبُعُ يزاحمُني وأزاحمُه، حتى سبقتُه إلى الماء، وحملتُ منه في ركوتي والسبع ينظر إليَّ، ثمَّ جئتُ إلى أبي عبد الله، فلمَّا رآني تبسَّم(٣).

[وحكى أيضاً عن إبراهيم بن شيبان قال:] قال أبو عبد الله: خرجتُ حاجًّا، فبينا أنا في بَرِّيَّةِ تبوك، وإذا بامرأةٍ بغير عينين ولا يدين ولا رجلين، فعجبتُ منها، وقلت: يا أمةَ الله، من أين أقبلت؟ فقالت: من عنده، فقلت: وأين تريدين؟ قالت: إليه، فقلت: سبحان الله، بادية(٤) تبوك، وليس فيها مغيث، وأنتِ على هذه الحالة ؟! فقالت: غمِّض عينيك، فغمَّضتُها، فقالت: افتحها، ففتحتُها، وإذا بها متعلِّقةٌ بأستار الكعبة، وقالت: أَتَعْجَبُ من قويٍّ يحملُ ضعيفاً؟! ثم صارت(٥) بين السماء والأرض.

[وحكى الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» عن إبراهيم بن شيبان قال](٦) : خرجتُ مع أبي عبد الله إلى الحجّ على طريق تبوك، فلمَّا أشرفنَا على مَعَان، وكان لأبي عبد الله بها صديقٌ يقال له: أبو الحسن المَعَاني، وما كنتُ رأيتُه قبلَ ذلك، فوقعَ في خاطري أنَّنا إذا نزلنَا عليه أقولُ له يصلح لنا عدساً [بخلّ]، فالتفتَ إليَّ أبو عبد الله وقال: احفظ

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال أبو عبد الله.
(٢) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٣.
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٤.
(٤) في (خ): بادم. والمثبت من (ف) و(م١).
(٥) في (ف) و(م١): عادت. وفي مناقب الأبرار ١/ ٤٣٤: طارت.
(٦) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال إبراهيم بن شيبان.

خاطرك، فلمَّا دخلنا على المَعَاني قال لي ـ وما رآني قط ـ : قد عاد خاطرُك على الجماعة، ما عندنَا إلَّا عدس [بخل[١]].

ذكر نبذة من كلامه:

حكى أبو نعيم أنه قال:][٢] أفضل الأعمال عمارةُ الأوقات في الموافقات.

و: أعظمُ الناس ذلًّا فقيرٌ داهن غنيًّا، أو تواضع له، وأعظم الناس عزًّا غنيٌّ تذلَّل لفقيرٍ أو حفظ حرمته[٣].

[وحكى عنه في «المناقب» أنه قال:][٤] الأبدالُ بالشام، والنُّجباءُ باليمن، والأخيار بالعراق.

وقال: من ادَّعى العبوديةَ وله مُرَادٌ باقٍ فهو كذَّاب، ولا تصحُّ العبودية إلَّا لمن أفنَى مُراداتِه بالكليَّة، وقامَ بمرادِ سيِّده، وأنشد:

لا تـــدعُـــنـــي إلا بـــيَـــا عـــبـــدَهـــا ... فـــإنَّـــه أشـــرفُ أســـمـــائـــي[٥]

وقال: ما رأيتُ أنصفَ من الدنيا، إنْ خَدَمْتَها خدمَتْك، وإن تركْتَها تركَتْك[٦].

ذكر وفاته:

[حكى في «المناقب» عن إبراهيم بن شيبان قال:] توفي أبو عبد الله على جبل الطُّور، فدفنتُه إلى جانب أستاذه عليِّ بن رزين بوصيَّةٍ منه، وعاش كلٌّ واحدٍ منهما عشرينَ ومئة سنة، فهما على جبلِ الطور.

[قال:] وكان ابنُ رزين قد صحب الحسنَ البصريَّ، وكان يشربُ في كلِّ أربعةِ أشهرٍ شربة [ماء]، فقيل له في ذلك، فقال: وإيش في هذا، سألتُ الله أنْ يكفيَني مؤنةَ بطني [ففعل، أو] فكفاني[٧] [والحمد لله وحده].

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٤٦ (مخطوط).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال أبو عبد الله.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال.

(٥) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٢، وانظر طبقات الصوفية ص٢٤٥.

(٦) طبقات الصوفية ص٢٤٣.

(٧) مناقب الأبرار ١/ ٤٣٤.

محمد بن يحيى بن محمد

أبو سعيد، البغدادي [ويعرف بحامل كفنه.

قال الخطيب: بلغني أنَّه] توفي وغُسِّلَ وكُفِّنَ وصُلِّي عليه ودُفِن، فلمَّا كان الليل[١] جاءه نَبَّاشٌ فنبشَ عنه، فلمَّا حلَّ أكفانَه ليأخذَها استوى قاعداً، فخرج النبَّاش هارباً منه، فقامَ وحمل كفنه[٢]، وجاءَ إلى منزلِه، وأهلُه يبكون عليه، فدقَّ البابَ، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا فلان، فقالوا: يا هذا، لا يحلُّ لك أن تزيدنَا على ما نحنُ فيه، فقال: افتحوا، فوالله أنا فلان، فعرفوا صوتَه، ففتحوا له [الباب]، وعاد حزنُهم فرحاً، وسمِّي يومئذٍ حاملَ كفنه.

قال الخطيب: ومثل هذا سُعَير بن الخِمْس الكُوفي، فإنَّه لما دُلِّيَ في قبره اضطربَ فحُلَّتْ عنه أكفانه، فقام ورجعَ إلى منزله، ثمَّ وُلد له بعد ذلك ابنُه مالك.

سكن حاملُ كفنِه دمشقَ، وحدَّثَ بها، وكان ثقةً[٣].

[وفيها توفي]

مِمْشاذ[٤] الدينوري

[قال السُّلميّ:] كان من أولاد الملوك، فتزهَّد وتركَ الدنيا، وصحب أبا تراب النَّخْشَبيّ، وأبا عبيد البُسْريّ، وغيرهما، [وورد نَيْسابور والعراق، وزار بنيسابور أبا حفص النيسابوري]، وكان من كبار المشايخ وجِلَّتهم.

[وحكى عنه في «المناقب» قال:] خرج [ممشاذ] من بيته، فنبحَ عليه كلب، فقال ممشاذ: لا إله إلا الله، فمات الكلب[٥].

وقال [ممشاذ:] مذ علمت أنَّ أحوالَ الفقراء جدٌّ كلُّها لم أمازح أحداً[٦]، وسببُه أنَّه

---

(١) في (ف) و(م١): فلما كان في قبره.

(٢) في (خ): أكفانه.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٦٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٥٢، وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٤) في (خ) و(ف) و(م١)، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، ومناقب الأبرار ٢/ ١٢: ممشاد. وهو في أكثر المصادر بالذال المعجمة. وذكره الزبيدي في تاج العروس (ممشذ)، وضبطه بكسر الميم.

(٥) مناقب الأبرار ٢/ ١٢.

(٦) في المناقب ٢/ ١٣: لم أمازح فقيراً.

قدمَ علي فقير، فقال: أريد عَصيدةً، فجرى على لساني إرادةٌ وعصيدة، وأمرتُ بعملها، وطلبتُ الفقير فلم أجده، فقالوا: خرجَ من عندك، ولم يزل يقول: إرادةٌ وعصيدة حتى مات في البرِّيَّة.

[ثم قال:] ودخل عليَّ يوماً فقيرٌ، فسلَّم وقال: هاهنا مكانٌ طاهرٌ [ونظيف] يمكن الإنسان أن يموتَ فيه؟ قال: فأشرتُ إلى مكان وهناك عين ماء، فجدَّد الوضوءَ، وصلَّى ركعتين، ثمَّ مدَّ يديه ورجليه، ثمَّ مات.

وقال: منذ مُدَّة تعرضُ عليَّ الجنَّة، فما أعيرُها طَرْفي.

وقال: لو جَمَعْتَ حكمَ الأوَّلين والآخرين، وأحوالَ المقرَّبين، لم تصل إلى درجات العارفين حتى يسكنَ سرُّكَ إلى ربِّ العالمين.

[قال:] ولَمَّا احتُضر قيل له: كيف تجدك؟ فقال: اسألوا العلَّة عنِّي، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فحوَّل وجهَهُ إلى الحائط وقال: [من المجتث]

أفنيتُ كلِّي بكلِّك ... هذا جزا من يحبُّك[1]

ثم ماتَ رحمةُ الله عليه.

[ثم] دخلت

سنةُ ثلاث مئة

فيها ظهرَ محمدُ[2] بن جعفر بن عليّ بن محمد بن[3] موسى بن جعفر بن علي[4] بن الحسين بن علي عليهم السلام في أعمال دمشق، فخرج إليه أميرُها[5] أحمد بن كَيْغَلَغ،

(١) الرسالة القشيرية ص٤٦٤، ومناقب الأبرار ٢/ ١٤. وانظر ترجمة ممشاذ في طبقات الصوفية ص٣١٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، وطبقات الأولياء ص٢٨٨، وغيرها. وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) كذا في (خ) و(ف) و(م١) والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٧٤، ووقع في مروج الذهب ٨/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٥٥: مُحسِن. ولعله الصواب.

(٣) بعدها في مروج الذهب ٨/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٥٥: بن علي.

(٤) في مروج الذهب ٨/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٥٥: جعفر بن محمد.

(٥) لفظة: أميرها لم ترد في (م١). وفيها نظر. فقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه ٢/ ٨٥ (مخطوط) في ترجمة أحمد بن كيغلغ أنه ولي إمرة دمشق أول مرة في سنة اثنتين وثلاث مئة وكان قبل ذلك قد ولي غزو الصائفة.

فاقتتلا، فقُتِل محمدٌ في المعركة، وحُمِلَ رأسُه إلى بغداد، فنصبَ على[1] الجسر.

وفيها وقع ببغداد والبادية وباءٌ عظيم وموتٌ جارف، فماتَ الناس على الطرق، وكلبت الذئاب والكلاب في البريَّة، وخالطت الناسَ في البلدان فأهلكتهم. وساخ جبل بالدِّينَوَر في الأرض، ويعرف بالتل[2]، وخرج من تحته ماءٌ كثير غرَّقَ القرى.

ووقعت قطعةٌ عظيمةٌ من جبل لبنان في البحر.

وتناثرت النجومُ في جمادى الآخرة تناثراً عجيباً، وكلُّها إلى ناحية المشرق.

وقبض المقتدرُ على حاشيةِ ابن الفرات، واستترَ أولادُه المحسن والحسين والفضل، وكاتِبه أبو علي محمد بن علي ابن مُقْلة وغيرهم، وهُدِمت دورُ الباقين، ولم يمكِّن المقتدرُ أحداً من أبي الحسن بن الفرات ولا من مناظرته، وكان في دار مكرماً.

وقلَّد الوزيرُ الخاقانيُّ أبا الهيثم العباس بن محمد بن ثَوابة، وكاتب محمد بن أبي الساج[3] ديوانَ المصادرات، وكان ابن ثوابة من الموصوفين بالشرّ، فأسرفَ في مناظرة أصحاب ابن الفرات، وقيَّدهم وغلَّهم بحضرةِ القَهْرَمانة، فردَّ عليه أقبحَ ردٍّ وشتمَه، ونسبَه في نفسه إلى كل قبيح، فكتبَ ابن ثَوابة إلى المقتدر أنَّ ابن الفرات لم يُقْدِم على هذا الأمر إلَّا لكثرة أمواله، واستأذنه في معاقبته، فبسطَ يده فيه، فغلَّ ابنَ الفرات، وقيَّدَه، وألبسَه جُبَّة صوف، وأقامه في الشمس أربعَ ساعات، فكاد يَتلَف، فأنهَى أمرَه إلى المقتدر بدرٌ الحرميّ، فأنكرَ ذلك، وأمرَ بإزالة ذلك عنه، وأفردَ له حُجرةً في دار الخلافة من حَجَر الحرم الخواصّ، ورفع يدَ ابن ثوابة عنه بعد أن حلفَ له أنَّه ما بقيَ عنده مال، ثم صارَ المقتدرُ بعد ذلك يشاورُه في أموره، ويبعث إليه برقاع الوزير والكتاب، فيجيبُ عنها.

قال ثابت بن سنان: وفيها صرف المقتدرُ أبا عليّ الخاقاني من الوزارة، وكان يتقلَّد في وزارة ابن الفرات أعمالَ البريد والمظالم بمَاسَبَذَان، فلمَّا ولي الوزارة تحيَّر لقلة

(١) في (ف) و(م١): عند.

(٢) في (ف) و(م١): يا ليل. وفي (خ): بالليل. والمثبت من: ما لم ينشر من أوراق الصولي ص٨٨، والمنتظم ١٣/ ٣٢.

(٣) كذا في (خ).

الدُّرْبَة والمعرفة بالأعمال، وكانت بينه وبين مؤنس الخادم مباعدةٌ، فشرعَ مؤنس في تقليد علي بن عيسى مكانَه، فتوصَّل الحسنُ بن رَوْح إلى أم موسى القهرمانة، وكتب إليها ورقةً يبذلُ فيها خمس مئة ألف دينار مُعَجَّلةً يستخرجها من أولاد الخاقاني وكُتَّابه ابن ثوابة وغيره، فتقربت القهرمانة إلى الخاقاني بالورقة، وكان ابن روح من أصحاب علي بن عيسى، فقبضَ الخاقانيُّ على ابن روح، وحبسَه وصرفَه عمَّا كان إليه، ثمَّ إن المقتدرَ لَمَّا رأى اضطرابَ الأمور، وفسادَ التدبير، وقلَّة المال، احتاجَ إلى إخراج خمسِ مئة ألف دينار من بيت مال الخاصَّة، ولم يصحَّ ما ضمنه الخاقانيُّ من إثارة الأموال والزيادة فيها، فشاور مؤنساً في تقلُّده الوزارة، وعرَّفه أن الضرورةَ تدعوهُ إلى إعادة ابن الفرات، فقال له مؤنس: يقبحُ أن يقال عنكَ: إنَّك صرفتَ بالأمس وزيراً، ثمَّ اضطررت إلى ردِّه بعد شهور من صرفه، فلا ينسبون ذلك إلَّا إلى الطَّمَع في ماله فقط، وهذا عليُّ بن عيسى لم يبق مَن يَصلح لتدبير المملكة غيره، ووصفه بالثقة والأمانة، والعفَّة والديانة، والبَراعة والصناعة، فأمرهُ المقتدرُ بإنفاذ ما يليقُ إليه؛ ليحمله إلى الحضرة، وكان غائباً[1].

وفيها ولدت بغلةٌ فَلُوًّا.

وحجَّ بالناس الفضلُ بنُ عبد الملك.

وفيها توفي

الأحوصُ بن المُفَضَّل

ابن غسَّان، أبو أميَّة، الغَلَابي.

كان تاجراً في البَزِّ ببغداد، فاستترَ ابنُ الفرات عنده، وقال له: إن أعدتُ إلى الوزارة، فأيُّ شيءٍ تريدُ أن أصنعَ بك؟ فقال: تقلِّدني بعض أعمال السلطان، فقال: لا يجيء منك عاملٌ، ولا قائدٌ، ولا أمير، ولا صاحب شرطة، فإيش أقلِّدُك؟ قال: لا أدري، قال: القضاء، قال: رضيت، فلمَّا أعيد ابنُ الفرات إلى الوزارة ولَّاه قضاء البصرة والأهواز وواسط، وكان قليلَ العلم، إلَّا أنَّ عفَّتَه وتَصَوّنه غَطَّتا على نقصه، فلم

(١) من قوله: وقبض المقتدر على حاشية ابن الفرات... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

يزل قاضياً حتى قَبَضَ عليه ابن كُنْدَاج أميرُ البصرة؛ لوَحْشَةٍ كانت بينهما في بعض نكباتِ المقتدر لابن الفُرات، وما كان الأحوصُ يلتفتُ إلى ابن كنداج ويعارضُه في قضاياه، ولا يركبُ إليه، ويكتب ابن كنداج إلى ابن الفرات يشكوه، فيجيبه بالصواعق، فلمَّا نُكِبَ ابنُ الفراتِ حبسَه ابنُ كنداج وضيَّقَ عليه، فأقام في السجن مدة ثم مات.

قال الخطيب: ولا نَعلمُ قاضياً ماتَ في السجن سواه! روى عن أبيه كتاب «التاريخ»، وروى عنه جماعة[١].

عبد الله بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان والي الأندلس، وأمُّه أم ولد، يقال لها: عشار.

بويع في صفر سنة خمس وسبعين ومائتين في السنة التي توفي فيها أخوه المنذر في أيام المعتمد.

وكان زاهداً عابداً ورعاً تالياً لكتاب الله، قائماً بحدوده، بنى السَّاباط بقُرطُبة، والتزم الصلوات الخمس بالجامع إلى جانب المنبر حتى مات، وكان في أيَّامه المتغلبون من كلِّ ناحية والفتن، وله غزواتٌ مشهورة، منها غزاة بلي التي أنست كلَّ غزاةٍ تقدَّمتها، وذلك لأنَّ المرتد ابن حَفْصون حاصرَ حصنَ بَليّ في ثلاثين ألفاً، وبلغ عبد الله فخرج إليه من قرطبة في أربعة عشر ألفاً من أهلها خاصَّة، وأربعة آلاف من حشمِه وخواصه، فبرزَ إليه ابن حفصون في سفحِ جبلٍ بالأندلس فيه الحصن، فصدمه عبد الله صدمةً ولَّى مدبراً، وتبعه عبد الله قتلاً وأسراً، فلم يفلت منهم أحداً، وكانت وفاته غرَّة ربيع الآخر[٢]، وأيامه خمساً وعشرين سنة وستة أشهر وأياماً، وولي ابنُ ابنه

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٥٢١ـ٥٢٣، والمنتظم ١٣/ ١٣٣، ولم ترد هذه الترجمة والتي بعدها في (ف) و(م١).

(٢) كذا في (خ) وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٦. وفي تاريخ علماء الأندلس ص٦، وجذوة المقتبس ١/ ١٢ أنه توفي مستهل ربيع الأول.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله في اليوم الذي توفِّي فيه جدُّه، وكنيته أبو المظفر[١]، ولقَّبَ نفسَه بالناصر، وتوفي سنةَ خمسين وثلاث مئة[٢].

[وفيها توفي]

عبيد الله بن عبد الله

ابن طاهر بن الحسين، أبو أحمد، الخُزاعي [أخو محمد بن عبد الله بن طاهر][٣].

ولد سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومئتين، وولي إمارةَ بغداد، وكان أديباً فاضلاً شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من السريع]

حَقُّ التَّنائي بين أهلِ الهوى ... تكاتبٌ سَخَّنَ عينَ النَّوى
وفي التَّداني لا انقضَى عمرُه ... تزاورٌ يَشفي عَليلَ الجَوَى

وقال أبو الحسن عليُّ بن هارون بن علي: كان أبي نازلاً في جوار عُبيد الله، فانتقل عنه إلى دارٍ ابتاعَها، فكتب إليه عُبيد الله: [من البسيط]

يا مَن تحوَّلَ عنَّا وهو يألَفُنا ... بَعُدتَ جدًّا على ما[٤] صرتَ تلقانَا
فاعلمْ بأنك إذ بَدَّلت جيرتَنا ... بدَّلت داراً وما بدَّلت إخوانَا

فأجابه أبي: [من البسيط]

بَعُدتُ عنكم بداري دون خالصَتي ... ومَحْضُ ودِّي وعهدي كالذي كانَا
وما تَبَدَّلْتُ مذ فارقتُ قُرْبَكُم ... إلَّا هموماً أعانيها وأحزانا[٥]

[وقال الخطيب:] كان عبيد الله جواداً مُمَدَّحاً، مدحَهُ الشعراءُ، منهم البُحتري، قدم عبيد الله من خراسان إلى بغداد فأنشدَ: [من الطويل]

لقد سرَّني أنَّ المكارمَ أصبحت ... تَحُطُّ إلى أرضِ العراقِ حُمولُها

---

(١) كذا في (خ)، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٠. وهو تصحيف. والصواب أبو المطرف. انظر جذوة المقتبس ١/ ١٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٦٥، و١٥/ ٥٦٢.

(٢) انظر بالإضافة إلى ما سلف من المصادر: الكامل ٨/ ٧٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٤) كذا في (خ). وفي تاريخ بغداد ١٢/ ٥٦: فلأياً. وهو الصواب.

(٥) من قوله: ومن شعره.... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

مـجـيءُ عـبـيـدِ الله مـن شَـرْقِ أرضـه ... سُرَى الدِّيْمَة الوَطْفاء هَبَّت قَبُولها

أضـاءت لـنـا بـغـداد بـعـد ظَـلامـهـا ... فعادَ ضُحَّى إمساؤُها وأصيلُها(١)

ومن شعر عبيد الله: [من الطويل]

ألاَ أيُّـهـا الـدهـرُ الـذي قـد مَـلَـلْـتُـه ... لـتـخـلـيطه حتى ملكتَ حياتي(٢)

فـقـد وجـلالِ الله حَـبَّـبـتَ دائـمـاً(٣) ... إلـيَّ عـلـى بُـغـض الـوفـاةِ وفـاتـي

ولَمَّا قدم بغداد بعثَ إليه أبو الحسن بن الفرات بهدايا ومالٍ طائل، فكتب إليه عبيدُ الله: [من الطويل]

أيـاديـكَ عـنـدي مُـعْـظـمـاتٌ جـلائـلُ ... طـوالَ الـمَـدَى شـكـري لـهـنَّ قـصـيـرُ

فإنْ كنتَ عن شكري غنيًّا فإنَّني ... إلى شُكرِ ما أوليتَني لفقيرُ(٤)

[وحكى القاضي التنوخي عليُّ بن المُحَسِّن، عن أبيه، عن الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي، عن أبي](٥) سُليمان الثَّلَّاج، عن أبيه قال: كان أصلُ نعمتي من خمسة أرطال ثلج، [وذلك] لأنَّ [الثلج] عزَّ ببغداد في بعض السنين، وكان عندي منه شيء فبعته، وبقي [عندي] خمسةُ أرطال، فاعتلَّت جاريةٌ لعبيد الله [بن عبد الله بن طاهر]، كانت روحَه من الدنيا، وهو إذ ذاك أميرُ بغداد، فطلبت(٦) ثلجاً، فجاءَ وكيلُه إلى عندي، فقلت: عندي رطلُ ثلج ما أبيعُه إلَّا بخمسة آلاف درهم، فما جسرَ أن يشتريه حتى يشاورَ عبيد الله، فشتمَه وقال: اشتره بأيِّ ثمن كان، ولا تراجعني، فجاء إليَّ وقال: هذه خمسةُ آلاف درهم، فقلت: ما أبيعُ الرطلَ إلَّا بعشرة آلاف درهم، فما جسرَ أن يخالفَ عبيد الله ولا يراجعه، فأعطاني عشرةَ آلاف درهم، وأعطيتُه رطلاً، فشربت منه الجاريةُ فقويتْ نفسُها، وقالت: أريد رطلاً آخر، فجاءني الوكيلُ بعشرةِ آلاف درهم، فأعطيتُه رطلاً [آخر]، فشربته [الجارية]، فعوفيت، وطلبت رطلاً آخر،

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) في تاريخ بغداد ١٢/ ٥٧: هلّا مللتَ حياتي.

(٣) في تاريخ بغداد ١٢/ ٥٧: دائباً.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٧. ومن قوله: قدم عبيد الله من خراسان... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وحكى أبو سليمان.....

(٦) في (ف) و(م١) ـ وما بين حاصرتين منهما ـ: فطلب.

فجاءني بعشرة آلاف درهم، فأعطيتُه رطلاً، ومضى، فطلبت الجاريةُ شيئاً آخر، فجاءني[(١)] ، فقلت: قد بقي عندي رطلٌ، وما أبيعُه إلَّا بثلاثين ألفاً، فقال: خذ، فاستحييت من الله أن أبيعَ رطلاً من ثلج بثلاثين ألفاً، فقلت: هات عشرين ألفاً، ووالله ما بقيَ عندي غيره، وبرئت الجاريةُ، وبعتُ خمسةَ أرطال ثلجٍ بخمسين ألفاً[(٢)] ، وبلغَ عبيد الله عافيةُ الجارية، وأنَّ الثلجَ كان السبب، فدعاني، وقال: والله أنت رددتَ حياتي بحياة جاريتي، فاحتَكِم، فقلت: أنا خادم الأمير وعبدُه، فاستخدمني على شرابه وكثيرٍ من أمر داره[(٣)] .

[قلت: تذكر هذه الحكاية في الحوادث فيُقال: حكى القاضي التنوخي أنَّ خمسةَ أرطال ثلج بيعت ببغداد بخمسين ألف درهم.

وكانت وفاة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر] في[(٤)] داره بمُرَبَّعة شَبيب ببغداد ليلةَ السبت لاثنتي عشرة ليلةً خَلت من شوّال، وصلَّى عليه أبو العباس ابن عبد الصمد الهاشميّ، ودُفِن بمقابر قريش عند أخيه وأهله، وله من السنِّ ثمان وسبعون سنةً[(٥)] .

[حدَّثَ عن الزُّبير بن بكَّار، وأبي الصَّلْت الهَرَويّ وغيرهما، وروى عنه الصوليُّ، وأبو القاسم الطَّبَراني وغيرهما، والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم][(٦)] .



---

(١) من قوله: فجاءني بعشرة آلاف... إلى هنا. ليس في (ف) و(م١).

(٢) في نشوار المحاضرة ١/ ١٢٦ ، والمنتظم ١٣/ ١٣٧ : وداخلتني رغبة في أن أشرب أنا شيئاً من الثلج؛ لأقول أني شربت ثلجاً سعر الرطل منه عشرة آلاف درهم، قال: فشربت منه رطلاً. اهـ.
قلت: ومع هذا الرطل يكون قد باع خمسة أرطال بخمسة آلاف.

(٣) نشوار المحاضرة ١/ ١٢٥ ـ ١٢٧ ، والمنتظم ١٣/ ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وتوفي عبيد الله في.

(٥) في الأوراق للصولي (ما لم ينشر منها) ص٩٠ أنَّ سِنَّهُ كانت إحدى وثمانين سنة ومولده سنة عشرين ومئتين، وانظر أيضاً صلة تاريخ الطبري لعريب ص٤٢ .

(٦) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١)، وفي (خ): حدث عنه الزبير بن بكار وغيره.

السنة الحادية وثلاث مئة

قال ثابت بن سنان: [و] فيها قبضَ المقتدرُ على وزيره [أبي عليّ، محمد بن عبيد الله ابن خاقان، وحبسه وأهله، وذلك في][(١)] يوم الإثنين لعشرٍ خلون من المحرَّم، ركبَ إلى دار المقتدر، فقُبضَ عليه وعلى ابنيه وأبي الهيثم ابن ثوابة وغيرهم[(٢)]، فكانت مدَّةُ وزارته سنةً واحدةً، وشهراً واحداً، وخمسة أيام. وكان قد مضى بليق المؤنسيّ في ثلاث مئة غلامٍ إلى مكَّة؛ لإحضار عليِّ بن عيسى للوزارة[(٣)].

وفيها قدم [أبو الحسين] علي بن عيسى من مكَّة لعشرٍ[(٤)] خلونَ من المحرم، وخلع عليه في دار السلطنة، وركب معه مؤنس الخادم، وغريب الخال، وسائر القُوَّاد إلى داره، وسُلِّم إليه الخاقانيُّ وابناه وابن ثوابة وغيرهم، فاعتقلَهم في دار الوزارة، وصادرهم مصادرةً قريبة، ثم صرفَ الخاقانيَّ إلى منزله، وصان حرمه، ورفقَ به، ووكَّل به توكيلاً خفيفاً[(٥)] وأحسنَ عليُّ بن عيسى التدبير، ولطفَ بالرعيَّة، وعدل فيهم، وعفَّ عن المال والحريم، فحسنتِ الأحوال واستقامت الأمور، وكتب [بحسن السيرة] إلى الآفاق كتاباً نسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فنِعَمُ أمير المؤمنين عليَّ يَشْفعُ قديمَها حديثُها، ويصل ماضيها مستقبلها، وكان مما جدَّده ـ أيَّده الله تعالى ـ وخصَّني به من إحسانه، وشرَّفني به من تكرِمته وتنزيهه بي، أن استقدمني من حَرَمِ الله تعالى، فلمَّا وافيتُ إلى مدينة السلام، وحضرت في حضرته، قرَّبني وشرَّفني وخاطبني وأكرمني بما يثقُ به منِّي، ويسكن إليه من كفايتي ونهضتي، وقلَّدني ـ أيَّده الله تعالى ـ وزارتَه ودواوينَه وأعماله ومملكته وجيوشه بحضرته وسائر نواحي سلطانه؛ إنعاماً منه عليَّ، ورجاءً لحسنِ الأثر منِّي في تلافي ما وكلته أسبابُ الإهمال والتقصير، واعترضتهُ عوارضُ

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١)، وفي (خ): وزيره الخاقاني.

(٢) من قوله: ركب... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٣) من قوله: وكان قد مضى... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٤) في أوراق الصولي (ما لم ينشر) ص٩٠: لثلاث. والمثبت موافق لما في صلة عريب ص٤٣.

(٥) من قوله: وغريب الخال.. إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

الإضاعة والتفريط مِمَّن تقدَّمني، وأمرني أن أعاملَ كل أحدٍ بحسب ما يقتضيه أثرُه، ويستدعيه مذهبُه، بما أنا ممتثلُه، ومستفرغٌ بإذن الله ومشيئته الوسعَ فيه، فأطال الله بقاءَ أمير المؤمنين، ممتنعاً بالعزِّ والتأييد، ممتدًّا في سوابغِ النعم وجلائل المواهب بصالح المزيد. وذكر كلاماً طويلاً.

وساس الدنيا سياسةً حسنةً، ورسم للعمال بالأعمالِ الجليلة، وأنصف الرعية[1]، وراقبَ الله، وأزال السُّنَنَ الجائرة، [ولازم الصلواتِ في الجماعات وفي الجامع؛ تارةً بجامع المنصور، وتارةً بجامع الرُّصَافة وغيرها]، وأبطلَ المُكوس بمكَّة وفارس والأهواز، وجبايةَ الخمور في البلاد كلِّها[2].

قال ثابت: فحدثني بعد عزله ولزومه منزلَه في خلافةِ الراضي بالله قال: قال لي ابنُ الفرات بعدَ صرفي من الوزارة وتوليته إيَّاها في دار السلطان: أبطلتَ الرسومَ، وهدمتَ الارتفاع، فقلت: أيَّ رسمٍ أبطلت؟ قال: المكس بمكَّة، قلت: هذا وحدَه أبطلت، قد أبطلتُ أشياء كثيرة، وعددتها، ومبلغُ ذلك خمس مئة ألف دينار في السنة، ولم أستكثر هذا القدرَ في جنب ما حططتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار، وغسلتُ عنه من الدَّرن والعار، ولكن انظر مع ما حططتُ وأبطلتُ إلى ارتفاعي وارتفاعك، ونفقاتي ونفقاتك، قلت: فبأيِّ شيءٍ أجاب؟ قال: خروج الخادم، وفرَّقَ بينَنا قبل أن يجيب.

وفي صفر سأل عليُّ بن عيسى المقتدرَ أنْ يقلِّد القضاءَ أبا عمر محمد بن يوسف، وعَرَّفه بفضله وموضعه، فقلَّده القضاء في جانبي مدينة السلام، سوى مدينة المنصور، فإنَّها كانت إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول، ولَمَّا وليَ القضاء أبو عمر لم يمضِ سجلات محمد بن علي بن أبي الشوارب، وكان ابنُ أبي الشوارب قد صرف بأبي عمر.

قال ثابت: ولما صُرِفَ الخاقانيُّ، أكثرَ الناسُ التزويرات عليه، وأُحضرت الكتبُ إلى عليِّ بن عيسى، فأنكرها وجمعَها وقال لرسوله: اذهب إلى أبي علي الخاقانيّ، وقل له ينظر في هذه التوقيعات، ويعرِّفني الصحيحَ منها الذي أمر به، والباطل الذي

(١) من قوله: كتاباً نسخته.... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١).

(٢) من هنا.... إلى خبر وصول هدايا عمان ليس في (ف) و(م١).

زُوِّرَ عليه، فجاء الرسول والخاقانيُّ قائمٌ يصلِّي، فوضع التوقيعات بين يدي أبي القاسم ابن الخاقاني، وأدَّى إليه الرسالةَ، فأخذ يميِّزُ الصحيحَ منها من المزوَّر، فلمَّا فرغَ أبوه من الصلاة أخذَها وتصفحها، ثم خلطها، وردَّه إلى الرسول، وقال له: سلِّم على الوزير وقل له: هذه التوقيعاتُ كلُّها صحيحة، وأنا أمرتُ بها، فما رأيتَ أن تمضيَه أمضيتَه، وما رأيت أن تبطلَه أبطلته، ولَمَّا انصرفَ الرسول قال الخاقاني لابنه: يا بنيّ، أردت أن تُبَغِّضنا إلى الناس، ويكون الوزير قد التقطَ الشوكَ بأيدينا، نحنُ قد صُرِفنا، فلم لا نتحبَّبُ إلى الناس بإمضاء ما زوَّروه، فإن أمضاه كان لنا الحمدُ والضررُ عليه، وإن أبطلَه كان الحمد لنا والذم له[١].

[وقال ثابت:] وفيها وصلت هدايا صاحب عُمَان إلى المقتدر، و[كان] فيها ببغاء بيضاء وغزلان[٢] ونمور وزيادات.

وركب المقتدرُ في شعبان من داره إلى الشماسيّة، ثمَّ عاد في دِجْلة، وهي أولُ ركبة ظهرَ فيها للعامة.

[قال ثابت بن سنان:] وفي يوم الاثنين لستٍّ خلونَ من ربيع [الأول أو][٣] الآخر أدخل الحسين بن منصور الحلَّاج مشهوراً على جمل إلى بغداد، وكان قد قُبِضَ عليه بالسُّوس، وحُمل إلى عليِّ بن أحمد الرَّاسبي، فحمل إلى الحضرة، فصُلِبَ وهو حيّ وصاحبُه ـ وهو خال ولدِه ـ في مجلسِ الشرطة من الجانب الشرقيِّ من بغداد، ثم صُلِبَ وهو حيٌّ في الجانب الغربي وعليه جبة عَوْديَّةٌ، ونودي عليه: هذا أحدُ دعاة القرامطة فاعرفوه، وحُبِسَ وحده في دار السلطان[٤].

[قال ثابت:] وظهر عنه بالأهواز وبمدينة السلام أنَّه ادَّعى أنَّه إلهٌ، وأنَّه يقولُ بحلول اللاهوت[٥] في الأشراف من الناس، وأنَّ له مكاتبات تُشعِر بذلك، وأنَّه يُظهِر العجائب.

(١) من قوله: قال ثابت: فحدثني بعد عزله... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٢) في (ف) و(م١): وغراب أسود. وفي المنتظم ١٣/ ١٤١ : وغزال أسود.

(٣) ما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٤) قوله: وحبس وحده في دار السلطان، ليس في (ف) و(م١)، وما بين حاصرتين منهما.

(٥) في (خ): بحلول المذهب للاهوت. والمثبت من (ف) و(م١).

وفي رواية: وحصلَ في يد عبد الرحمن خليفة [علي بن أحمد] الراسبي رقاعٌ وُجِدت في منزل الحلَّاج فيها رموز، فأحضرَه عليّ بن عيسى وناظرَه، فلم يجد عنده شيئاً من القرآن، ولا من الفقه، ولا من الحديث، ولا من العربية، فقال له عليّ: أنت تعلُّمك الوضوء والفرائض أولى من رسائل لا تدري ما فيها، ثمَّ تدعي - ويلك - الإلهيَّة، وتكتب إلى تلامذتك: من النور الشعشعانيّ! ما أحوجَك إلى الأدب، وأقام محبوساً، فاستمال بعضَ أهل دار السلطان بإظهار السنة[1]، فصاروا يتبركون به، ويسألونه الدعاء. وسنذكرُ أخبارَه فيما بعد إنْ شاءَ الله تعالى.

وفيها أُطلِقَ الخاقانيُّ، وأُزيلَ عنه التوكيل[2].

وفي شعبان خُلع على أبي العباس ابن المقتدر، وقُلِّدَ أعمال الحربِ بمصر والمغرب، وعمرُه أربعُ سنين، واستخلِفَ له مؤنس الخادم، وكتب المقتدر إلى مؤنس كتاباً يخبرُه بذلك منه:

أمَّا بعد، أحسن الله حياطَتك، وأدامَ لأمير المؤمنين الإمتاعَ بك، إنَّ أولى مَن اقتفى سُبلَ أمير المؤمنين، وتَمَّم نهجَهُ واطئاً عقبَه، وسار بسيرته مقتفياً أثرَهُ، واحتذَى مثالَه من كان نجلَ أمير المؤمنين وسليله، وفرعَ دوحته وثمرة نَبْعَته، ومن إلى فخر أبويه يَنمي، وعن قوسِ مجده يَرْمي، وعلى شاكلته يجري، وبيده يَرِيْشُ ويَبْري، ومن سِنْخُ النبوة منشؤه، وفي بيتِ الخلافة مبوَّؤه، وعلى ذِرْوة الشَّرَف مَنْصبُه، وفي بُحْبوحة السَّناء منقلبُه.

وذكر ابنَ المقتدر، وقال: وقد رأى أميرُ المؤمنين - لِمَا بيَّنتُه فيكَ من أماراتِ الكفايات والغَناء، وتوسَّمه لديكَ من جميل الجزالة والبلاء - تقليدَك مصر، والاسكندريَّة، وبَرْقة، وإفريقية، وصِقِلِّية، وأَقْرِيطِش، وذكر بلادَ المغرب وما والاها، ودُنْباوند وقَزْوين وزِنْجان وأبهر وغيرها، وكتب له كتاباً[3].

وفي شعبان أُنفِذَ محمد بن ثَوابة إلى الكوفة، وسُلِّم إلى إسحاق بن عمران، فكان معتقلاً في داره حتَّى مات[4].

---

(١) في (ف) و(م١): من أهل السنة. وانظر المنتظم ١٣/ ١٤٤.

(٢) في (ف) و(م١): التوكل.

(٣) في الكامل ٨/ ٧٦ أن الذي ولي الرَّيَّ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر هو علي بن المقتدر.

(٤) من قوله: وكتب المقتدر إلى مؤنس كتاباً يخبره... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

[وفي شعبان][(١)] ورد الخبرُ إلى بغداد أن غلمان أحمد بن إسماعيل صاحب خُراسان قتلوه على شاطئ نهر بَلْخ[(٢)]، وقام مقامه ابنه [أبو الحسن] نَصْر [بن أحمد]، فبعث إليه المقتدرُ عهدَه على خراسان مكان أبيه.

وفي رمضان وردَ الخبرُ بأنَّ خادماً لأبي سعيد الجَنَّابيِّ القِرمطيّ المتغلِّب على هَجَر قتلَه.

قال ثابت بن سنان: وكان عليُّ بنُ عيسى لَمَّا تقلَّد الوزارة سألَ المقتدرَ في أمر القرامطة، وأشارَ بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجَنَّابيّ والإعذارِ إليه، فتقدَّم إليه بمكاتبته عنه، فكتبَ إليه كتاباً طويلاً حمدَ الله في أوَّله، وصلَّى على رسوله ﷺ، وذكر الآيات المختصَّةَ بالإسلام وشرفه، وحث فيه على طاعة الخلفاء، فقال:

والحمدُ لله الذي شرَّف أمير المؤمنين وآباءَه الخلفاء الراشدين، الأئمَّة المَهديين، وجعلهم لُبابَ عِترته، وصَفوةَ أسرته، وفروعَ أَرومته، وبواسق نعمته، وجَمعَ لهم ما حازوه من ميراث النبوَّة عنه من الخلافة بعدَه، وارتضاهُم لسيرتِه والاقتداءِ بسنَّته، ثم وبَّخه على ما يُحكى[(٣)] عنه وعن أصحابه من ترك الصلاة والزكاة، وإباحة المحظورات، وارتكابِ المُحَرَّمات، ثم توعَّدهُ وهدَّده وقال: وأمير المؤمنين إنْ أقمت على بدعتِك ومذاهبكَ المستبشعة، وأعرضتَ عمَّا دعاك إليه من الدخول في الطاعة والسنَّة والجماعة، وإلَّا قلَّدكَ بغيك وآذنكَ بحربٍ من الله ورسوله، وذكرَ آيات الجهاد، وقال في آخره: واللهُ وليُّ التوفيق والإرشاد، والمطَّلعُ على سرائر العباد، والهادي إلى الخيرِ من أراد، وهو لمن عصاهُ بالمرصاد، وكتب عليُّ بن عيسى في المحرم سنةَ إحدى وثلاث مئة.

ونفذت الرسل من حَضرة المقتدر، فلمَّا وصلوا البصرة بلغَهم مقتلُ أبي سعيد، فكتبوا إلى الوزير فعاد الجوابُ بأن يسيروا إلى من قامَ بعدَه، فساروا ووصَّلُوا الكتابَ

(١) في (خ): وفيها. وما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) كذا في (خ) و(ف) و(م١)، وتكملة تاريخ الطبري ص٢٠٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨. وفي أوراق الصولي (ما لم ينشر منها) ص٩٤، والصلة لعريب ص٤٦ أنه قتل على فراشه. وانظر الخبر في الكامل ٨/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٣) في (خ): تخلي. والمثبت من المنتظم ١٣/ ١٤٢.

إلى أولاده، وأدوا الرسالة، فكتبوا جواباً طويلاً من جنسِ كتاب الوزير، فمنه:

للوزير أبي الحسن علي بن عيسى من أخوته، سلامٌ على الوزير، فإنَّا نحمدُ الله إليه الذي لا إله إلا هو، ونسألُه أن يصلِّيَ على سيدنا محمد عبده ورسوله ﷺ، أما بعد: أطال الله بقاءك، فقد وصلت رسلُ السلطان ـ أعزَّه الله ـ بكتابه، وما حمَّلهُم من رسالته إلى رجلٍ قد مضى لسبيله إلى رحمة الله تعالى، فذكروا أنَّ الوزير أعزَّه الله تعالى أمرهم بالمصير إلينا، وإيصالِ الكتاب وأداء الرسالة، فسمعناها وقرأنا الكتاب، وقد أجبنا الوزير بما يقف عليه، ومع هذا، فنحنُ قومٌ لا نرى مكاتبةَ السلطان؛ لقلَّة معرفتنا بمكاتبته أعزَّه الله، لأنَّا لا نكاتبُ أحداً من السلاطين، وقد كاتبنا الوزير وأحسنَّا الظنَّ والثقةَ به، وأملنا فيه ـ أيَّده الله تعالى ـ أن يُلزِمَ نفسَه القيامَ بأمورنا، والعنايةَ بأسبابنا، إذ كانت الأخبار متواترةً بحسن نظرِه في الرعيَّة، وإصلاح أحوالها، وبسطِ العدل منها.

فأمَّا ما ذكرهُ السلطان ـ أدام الله عزَّه، وزاد شرفه ارتفاعاً وعلواً وامتناعاً ـ من انفرادنا عن الجماعة، وعدولنا عن الجماعة والطاعة، وإيثارنا وحشَةَ الفرقة وظلمتَها، فنحن ـ أيَّد الله الوزيرَ ـ لم ننفرد عن الجماعة، ولم نعدل عن الطاعة، بل أُفرِدنا عنها، وأُخرِجنا من ديارنا، وشُرِّدْنَا عن حُرَمنا وذرارينا، واستحلُّوا دماءَنا بغير حق، ونحن نشرحُ للوزير ـ أيَّده اللهُ ـ حالَنا.

كان قديم[1] أمرنا أنَّا كنا أناساً مستورين، مقبلين على تجارتنا ومعايشنا، ننزِّهُ أنفسَنا عن ارتكاب المعاصي التي حرَّمَها الله تعالى، محافظين على فرائضِ الله تعالى، من إقامة الصلوات، وأداء الزكوات، والصيام، والحج، فنَقَم علينا سفهاءُ الناس وفُجَّارُهم مِمَّن لا يُعْرَفُ بدين، ولا ينسب إلى تقوى ولا يقين، فأكثروا التشنيع علينا حتَّى اجتمعَ الناسُ علينا، وتظاهروا بالإثم والعدوان، وشهدُوا علينا بالزور والبهتان، وأنَّ نساءنا بيننا بالسويَّة، وأنَّنا لا نحرِّمُ حراماً، ولا نحلُّ حلالاً، وسبُّونا في وجوهنا، وأهانونا وأذلُّونا، حتى نادوا في البلد: من أقامَ عندنا بعد ثلاثة أيَّام فلا يلومنَّ إلَّا نفسَه، فخرجنا من البلد هاربين، ومن بقيَ منَّا جعلُوا في رقابهم الحبال، وفي أعناقهم السلاسل، وفعلُوا بهم وفعلوا، وذكروا كلاماً طويلاً، إلى أن قال: فأجلونا إلى جزيرة أو إلى ....[2].

(١) في (خ): قد تم. والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٩.

(٢) في (خ) بياض بمقدار كلمة، وفوقه: كذا وجد.

ثمَّ أرسلنا إليهم نطلبُ أموالنا وأهلنا وحُرَمنا، فمنعونا إيَّاها، وعَزموا على حربنا والبغي علينا، فحاكمناهم إلى الله تعالى، وقد قال: «ومن بغي عليه لينصرنَّه الله»[(١)] فنصرنَا الله عليهم، وأمَّا ما ادُّعي علينا من الكفر وتركِ الصلوات، فنحنُ تائبون مؤمنونَ بالله. وذكر كلاماً طويلاً، فكتب الوزيرُ لهم كتاباً يَعِدُهم فيه الإحسان[(٢)].

وفيها جرت بين ابن جصَّاص وإبراهيم بن أحمد المَاذرائي مُنازعةٌ[(٣)]، فنسبه ابنُ الجصَّاص إلى شيء، فقال الماذرائي: عليَّ مئةُ ألف دينار من مالي صدقةٌ إن كان ما قلتَ صحيحاً، فقال ابنُ الجصَّاص: فعليَّ قفيزُ مال صدقةٌ لقد أبطلتَ في يمينك، فقال له المَاذرائي: أنتَ من جهلك لا تعلمُ أنَّ مئةَ ألف دينار أكثر من قفيز، فاعتبر الحاضرون قولَهما، فكان القفيزُ ستَّةً وتسعينَ ألف دينار [، فكانت المئة ألف دينار تزيدُ على القفيز بأربعة آلاف دينار][(٤)].

وفيها سار العَلَويُّ صاحبُ إفريقية جدّ الخلفاء المصريين يريد مصر في نيِّفٍ وأربعين ألفاً من البَرْبر في البرِّ والبحر، ونزلَ لِبْدَة، وهي من الإسكندرية على أربعة مراحل، [وهذا قول ثابت بن سنان][(٥)]، وكان بمصر تكين الخاصّة، ففجَّر النيل، فحالَ بين العلويِّ ومصر، وولَّى المقتدرُ مصرَ أبا عليّ الحسين بن أحمد، وأبا بكر محمد بن علي الماذرائيين، وأضاف إليهما جندَ فلسطين ودمشق، فساروا إلى مصر، وكانت بينهما وبين العلويين وقعات، وعادَ العلويُّ إلى بَرْقة، وأقام الماذرائيُّ بمصر.

وولى المقتدر أبا القاسم عليّ بن أحمد بن بسطام حمص والعواصم وقِنَّسرين، وولَّى وصيفاً التركيَّ البكتمري آمِد وصُمَيْصات، وولَّى يمن[(٦)] الطولوني الموصل[(٧)].

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك.

---

(١) كذا، وتمام الآية: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

(٢) من قوله: وفي رمضان ورد الخبر بأن خادماً... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٣) بعدها في (خ): نفيسة.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). انظر الخبر في مالم ينشر من أوراق الصولي ص٩٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٦) في (خ): ابن. والمثبت من الكامل ٨/ ٧٦.

(٧) من قوله: وولى المقتدر أبا القاسم... إلى هنا. ليس في (ف) و(م١).

وفيها توفي

جعفر بن محمد

ابن الحسن بن المُسْتَفَاض، أبو بكر، الفِريابي، قاضي الدِّينَوَر.

ولد سنة سبع ومئتين، وطاف الدُّنيا شرقَها وغربها في طلب العلم، وهو أحدُ أوعيته، ولقيَ أعلامَ المحدِّثين في كلِّ بلد، واستوطنَ بغداد وحدَّثَ بها.

قال عمر بن علي الزيَّات[1]: لَمَّا ورد الفريابيُّ بغداد استُقْبِلَ بالطَّيارات والزبازب، ووُعِد الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعُوا منه، فحضرَ الناس، فحزرُوا فكانوا ثلاثين ألفاً، وكان الذين يستملون ثلاث مئة وستة عشر.

وقال ابنه محمد بن جعفر: مات أبي في المحرم وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة، وكانَ قد حفرَ لنفسه قبراً في مقابر أبي أيوب قبلَ موته بخمسين سنة[2]، فكان يمرُّ عليه، فيقفُ عنده، وما قضي له أن يُدْفَن فيه.

ودفن بباب الأنبار ببغداد لأربعٍ بقين من المحرَّم ليلة الأربعاء.

أسند عن ابن المَديني وخلقٍ كثير، ورَوى عنه أحمد النَّجَّاد وغيره، وكان صدوقاً ثقة.

وقال أبو أحمد بن عدي: رأيتُ مجلس الفريابي يُحزر بخمسة عشر ألف مِحْبرة، وكنا نحتاجُ أن نبيت موضع المجلس؛ لنتَّخذَ مكاناً نجلسُ فيه[3].

الحسن بن بَهْرام

أبو سعيد، القِرْمِطيّ، الجَنَّابيُّ، المُتَغَلِّب على هَجَر.

كان كيَّالاً، طُلِبَ بالبصرة فهرب، واسْتَغوَى خلقاً من القرامطة والأعراب، فغلبَ على القَطيف وهَجَر، وجهَّزَ إليه المعتضدُ جيوشاً وهو يهزمها، فكتب إلى المعتضد كتاباً يقول له: ما الذي عليك منِّي؟! فأنا ما أوذيك، فكفَّ المعتضدُ عنه.

---

(١) هو عمر بن محمد بن علي الزيات. انظر تاريخ بغداد ٨/ ١٠٤ .

(٢) كذا! وفي تاريخ بغداد ٨/ ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ١٤٦: بخمس سنين.

(٣) الكامل لابن عدي ٥/ ١٨٧٥ (ترجمة عاصم بن علي بن عاصم الواسطي). وهذه الترجمة لم ترد في (ف) و(م١).

وقيل: شغلَه عنه الموت، ولم يجهِّز إليه المقتدرُ أحداً، وكان بهجر من ناحية البرِّيَّة.

وقتله خادمٌ صَقْلَبيٌّ في الحمَّام، أراده على الفاحشة.

وقال ثابت بن سنان: وردَ الخبرُ من البصرة لتسعٍ بقين من رمضان بأنَّ خادماً لأبي سعيد قتلَه في الحمام، ثمَّ خرج بعد قتله فدعا رجلاً من رؤساء أصحابه، وقال: السيِّدُ يستدعيك، فلمَّا دخل قتلَه، وما زال يفعلُ ذلك بواحدٍ واحد حتى قتل أربعة من رؤسائهم، ثمَّ دعا بالخامس، فلما رأى القتل صاح واطَّلع النساء، فصِحْنَ، واجتمعُوا على الخادم فقتلوه.

وكان أبو سعيد قد عهدَ إلى ابنه سعيد، فلم يضطلع بالأمر، فغلبهُ عليه أخوه الأصغر سليمان بن الحسن، وكنيتُه أبو طاهر، واسم أمه فرحة[١].

[فصل وفيها توفي]

حَمْدَويه بن أسد[٢]

الدِّمَشْقي، المُعَلِّم.

كان من الأبدال، [وذكره الحافظ ابن عساكر وقال: كان][٣] مُجابَ الدَّعوة، أقام بغارٍ في قاسيون إحدى عشرة سنة لم يكلِّم أحداً، وكان يخرجُ إلى صلاة الجمعة[٤]، وكانت تفتحُ له أبواب المدينة والدروب والمساجد، وأقامَ خمسين سنة ما استند ولا مدَّ رجله بين يدي الله تعالى هَيبةً له[٥].

[قال الحافظ:] وجاءه رجلٌ فقال: بلغني أنَّ الخضر يأتي إليك، وأريد أن تجمعَ بيننا، فقال: حتى أشاورَه، فلما جاءه الخضر أخبره، فقال: قل له يقعد [عند] خزانةِ الزَّيت بجامع دمشق، فأخبر الرجل، فقعدَ عندها، فلم ير أحداً، فجاء [الرجل] إلى

(١) هذه الترجمة لم ترد في (ف) و(م١).

(٢) كذا في (خ) و(ف) و(م١). واسمه ـ كما في تاريخ دمشق ٦٠/ ١٥٨ ـ: محمد بن أحمد بن سيد حمدويه.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٤) تاريخ دمشق ٦٠/ ١٦٠.

(٥) في (ف) و(م١): حياءً من الله وهيبة له.

حمدويه فقال: وأين الخضر؟ فقال: جاء إلى خزانة الزيت [وجلس عندك]، وقلت له: قم من عندي، أمَا وجدت في الجامع موضعاً غير هذا؟! فقال الرجل: قد كان ذلك، وما علمتُ أنَّه الخضر واسترجع، فقال حمدويه: بلى.

وقال حمدويه: كنتُ أمشي في اليوم أربعينَ ميلاً، وأختم في كلِّ ميلٍ ختمة[١]، فلمَّا كان في بعض الأيام تعبتُ تعباً شديداً وضَعُفت من الجوع، فأتيتُ في البرية إلى عين ماءٍ في مكانٍ طيِّب، فقعدتُ واسترحت[٢]، وشربتُ من العين، وقلت: لو كان مع الماء شيءٌ من طعام، وإذا بجاريةٍ سوداء واقفة على رأسي فقالت: قد أرسلَ مولاي إليك هديَّةً، وقال: إن قبلهَا فأنتِ حُرَّةٌ لوجه الله، فقلت: ضعيه واذهبي، فوضعته وإذا فرنيتان وبيضٌ مَسْلوق، [قال:] فتركتُه بحاله، ومضيت ولم أتناول منه شيئاً [قال الراوي: كأنه جزع من سرعة الإجابة].

وقال [الحافظ: قال حمدويه:] عطشتُ [ليلةً] وأنا بجامع دمشق، والأبوابُ مغلقةٌ، فقلت: يا إلهي، عطشت، وإذا بكفٍّ قد خرجت من الحائط وفيها كوزٌ من ماء، فقال: اشرب.

[قال ابن عساكر:] مات حمدويه بدمشق [في هذه السنة]. أسند عنه [أبو القاسم[٣] ابن أبي العَقَب، وأبو هاشم المؤدِّب، و] أبو صالح الذي ينسب إليه مسجد أبي صالح بباب شرقي وغيره [انتهت ترجمته[٤]].

وفيها توفي]

عبد الله بن علي

ابن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، القاضي، الفاضل.

كان من سَرَوات الرجال، له قدرٌ وجلالة، [و] استقضاه المكتفي على مدينة المنصور [في] سنة اثنتين وتسعين ومئتين، وما زال كذلك إلى سنة ستٍّ وتسعين، فنقلَه

---

(١) في تاريخ دمشق ٦٠/ ١٦٠: كنت أمشي في اليوم أربعين ميلاً، وأختم ختمةً.

(٢) في (خ): واسترجعت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون!

(٣) في (خ) و(ف) و(م١): عن أبي القاسم... والتصويب من تاريخ دمشق ٦٠/ ١٥٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ١١٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وبعدها في (م١): والحمد لله وحده.

المقتدرُ إلى الجانب الشرقيّ، ففُلِج، وكانت وفاتُه بالسَّكْتة، وقيل: في سنة ثمان وتسعين [ومئتين](١).

محمد بن عبد الله

ابن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، القاضي، الأموي(٢)، ويعرف بالأحْنَف.

كان يخلفُ أباه على القضاء ببغداد، وكان سَريًّا جميلاً، واسعَ الأخلاق، كثير الإحسان، قريباً من الناس.

وتوفِّي يومَ السبت بعد أبيه بثلاثة وسبعين يوماً، ودُفنا بباب الشام(٣).

[وفيها توفي]

محمد بن عثمان

ابن إبراهيم بن زُرْعَة، أبو زُرْعة الثَّقَفيّ مولاهم، قاضي دمشق ومصر.

[ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال:] كانت داره بدمشق بباب البَريد، وليَ قضاءَ مصر [في] سنة أربعٍ وثمانين ومئتين في أيَّام خُمارَويه(٤) [بن أحمد بن طولون].

وكان حسنَ المذهب، عفيفاً عن المال والحريم، شديد التوقُّفِ في إنفاذ الحكم، وأمره أحمدُ بن طولون بخلع أبي أحمد الموفَّق لما حجر على المعتمد، [قال أبو الحسين الرازي:] فقام [أبو زرعة] يوم الجمعة عند مِنْبر دمشق [وقال: نحنُ أهل الشام، أهلُ صفين، اشهدوا أنِّي خَلعتُ أبا أحمق - يعني أبا أحمد - كما خلعتُ خاتمي من أصبعي، ولعنَه.

(١) ما بين حاصرتين في (ف) و(م١). وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/ ١٧٨ ، والمنتظم ١٣/ ١٤٧ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٤٥١ ، والمنتظم ١٣/ ١٤٩ .

(٣) لم ترد هذه الترجمة في (ف) و(م١). ووقع بعدها في (خ) قطعة عنوانها: نبذة من كلامه ذُكر فيها أقوال ليوسف ابن حسين الرازي. وهي مقحمة، وستذكر في موضعها في ترجمة يوسف بن الحسين في وفيات سنة أربع وثلاث مئة.

(٤) كذا في (خ) و(ف) و(م١). والصواب - كما في تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٠٨ : هارون بن خمارويه.

قلت: تبًّا لهذا القاضي، أمَا خاف الله تعالى! يلعنُ الموفَّق وقد جاهد صاحب الزَّنج، وفعل ما فعل، وبذلَ نفسه لله تعالى وأمواله وولدَه، واستنقذ المسلمين والمسلمات من يد الخبيث. عامَّة ما في الباب أنَّه حجرَ على المعتمد لمصلحةٍ رآها توجب ذلك؛ لعنه عليًّا على المنابر شفاهاً، خصوصاً وهو من الشيعة الهاشمية والشجرة العباسية.

قال أبو الحسين الرازي: ولما قدمَ أبو العباس المعتضدُ دمشقَ][1] عند رجوعه من وقعة الطَّواحين في سنة إحدى وسبعين [ومئتين]، قال لأبي عبد الله أحمد بن محمد الواسطي: انظر من كان يبغض دولتنا من الدمشقيين، فاحمله إلى الحضرة، فحمل محمد بن عثمان [صاحب هذه الترجمة، وأبو زُرْعَة] عبد الله[2] بن عمرو، ويزيد بن محمد بن عبد الصمد، مقيَّدين إلى أنطاكية، فرآهم المعتضد يوماً سائرين في المَحامل، فاستحضرَهم وقال: أيكم القائل [قد خلعت] أبا أحمق، فخرسَ القوم، فقال له محمد ابن عثمان [القاضي:] أصلحَ اللهُ الأمير، أشهدكَ أنَّ نسائي طوالق، وعبيدي أحرار، ومالي في سبيل الله، إن كان في هؤلاء القوم من قال هذه المقالة، فقال المعتضد: أطلقوهم[3].

[والعجبُ من ذكاء المعتضد ونظره في دقائق الأمور! والعُجاب، كيف مرَّت عليه هذه التورية التي لا تخفى على صبيان المكاتب؟!

وقال ابن عساكر:] كان محمد بن عثمان من موالي بني أمية، وممَّن كان يُرْمَى بالنَّصْب.

وقيل: إنَّه مات [في] سنة اثنتين وثلاث مئة[4].



(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) كذا في (ف) و(م١) ـ وما بين حاصرتين منهما ـ وفي تاريخ دمشق ٦٣/ ٢١٠: عبد الرحمن.

(٣) بعدها في (خ): فمرت على المعتضد هذه البهرجة.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١)، والخبر في تاريخ دمشق ٦٣/ ٢١٠. وبعدها في (م): والله سبحانه أعلم بالصواب.

السنة الثانية وثلاث مئة

فيها في المحرَّم وردَ كتابُ نَصْر بن أحمد بن إسماعيل صاحب خُراسان أنَّه واقعَ عَمَّهُ إسحاق بن إسماعيل، وأنَّه أسرهُ، فبعث إليه المقتدر بالخِلَع واللواءِ وعهدِه على خراسان(١).

وفيها عاد العلويُّ إلى الإسكندرية ومعه صاحبُه حُباسة، فجرت بينه وبين عسكر المقتدر حروبٌ، قُتِل فيها حباسة، وعاد العلويُّ إلى القيروان.

وفي جمادى الأولى طهَّرَ المقتدرُ خمسةً من أولاده، فبلغ النِّثارُ عليهم والنفقة ست مئة ألف دينار، وطهَّر معهم جماعة من اليتامى، وكساهم وأعطاهم الدنانير الكثيرة.

[قال ثابت: وفي جمادى الأولى] قُبِضَ على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجصَّاص الجوهري، [و] أَنفذ المقتدرُ إلى داره جماعةً من خواصِّه، فأخذوا منه [من] المال و[من] الجوهر ما قيمتُه أربعة آلاف [ألف] دينار(٢)، وكان هو يدَّعي أكثر من ذلك بكثير [وهذا قول ثابت بن سنان].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي(٣) رحمه الله [في «المنتظم»]: أُخِذَ منه ما مقداره ستَّةَ عشر ألف ألف دينار عيناً وورقاً وآنيةً وثياباً وخيلاً وخدماً.

[قلت: وقد ذكرنا أنَّ أموالَ(٤)] ابن الجصَّاص من قَطْر النَّدى بنت خُمارَويه، فإنَّه لَمَّا حملَها من مصر إلى المعتضد كان معها أموالٌ عظيمةٌ، وجواهر [لها قيمة]، فقال لها ابنُ الجصَّاص: الزمانُ لا يدوم على حال [واحد]، والدهر لا يؤمنُ، دعي عندي بعضَ هذه الجواهر تكون ذخيرةً لك، فماتت قطرُ الندى، فأخذَ الجميع [ابنُ الجصَّاص].

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٥٠ . ولم يرد هذا الخبر في (ف) و(م١).

(٢) في (م١): ما قيمته ألف ألف دينار.

(٣) في (ف) و(م١): وقال جدي، والخبر في المنتظم ١٣/ ١٥٠.

(٤) في (خ): قال المصنف رحمه الله: وأموال. والمثبت من (ف) و(م١).

وقال أحمد بن الحسين بن المنذر: دخلتُ يوماً على ابنِ الجصَّاص، وبين يديه سفط منطق بالحرير، [و] فيه جوهرٌ قد نَظَم منه عشرين سُبحة وأكثر، وزنُ كلِّ حبَّةٍ بمقدار صاحبتها لا تزيد ولا تنقص، وهي مثل بيض الدجاج[١]، وبين يديه سبائك ذهب تُوزن بالقبَّان كما يوزن الحطب، ثم صادره المقتدر، وأخذَ الجميع، ثمَّ قتلَه المقتدر، وتقاسمَه الموالي، وتفرَّقَ شذَرَ مَذَر[٢].

[وسنذكرُ ابن الجصَّاص في سنة خمس عشرة وثلاث مئة.

وقال ثابت بن سنان:] وفي جمادى الآخرة وقع بين الحنابلة وبين أصحاب ابن القاص [كلامٌ غليظٌ، فتوسَّط بينهم عليُّ بن عيسى الوزير، ومنع ابن القاص] من الكلام.

وفي رمضان أُدخِل أولادُ المقتدر الكُتَّاب، وكان المؤدِّبَ أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزَّجَّاج النحويّ.

وفيها خرج الحسنُ بن عليٍّ العلويّ، وتغلَّب على طَبَرِسْتان، ولقِّب بالداعي[٣].

وهو قول ابن ثابت، وأمَّا غيره فقال: هذا العلويُّ اسمه: الحسنُ بن عليّ بن الحسن بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، ويُعرف بالأطروش[٤].

ودعا الدَّيْلَمَ إلى الله تعالى، وكانوا مجوساً فأسلموا، وبنى لهم المساجد، وأقامَ شعائر الإسلام، وكان فاضلاً صالحاً عاقلاً، وله سيرةٌ مُدَوَّنةٌ، وأقام عند الديلم سنين، فأصلحهم [الله] على يديه.

وفي ذي القعدة خلعَ المقتدر على أبي الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان، وقلَّدَه الجزيرةَ وأعمالها والموصل.

---

(١) في (خ): مثل البيض. والمثبت من (ف) و (م١)، وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) من قوله: ثم قتله المقتدر . . . إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٣) قال ابن الأثير في الكامل ٨/ ٨٦ : وقد ذكره ابن مسكويه في كتاب «تجارب الأمم» فقال: الحسن بن علي الداعي. وليس به، إنما الداعي عليُّ بن القاسم، وهو ختن هذا.

(٤) وقع الخبر في (خ) مختصراً مع تداخل في الروايات. وهذا نصه: وفيها خرج الحسن بن علي بن الحسن بن عمر ابن علي بن أبي طالب العلوي ويعرف بالأطروش ولقب بالداعي. والمثبت من (ف) و (م١).

وفيها بنى عليُّ بن عيسى [الوزير] المارَسْتان بالحَرْبية مَحلَّة الحَنابلة غربي بغداد، وأنفقَ عليه أمواله.

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك، فلما عادوا خرج عليهم [رجل علويٌّ يقال له:] الحسن بن عمر[1] الحسنيّ في خلقٍ من طيىء وبني صالح بن مُدْرك الشَّيباني، فأخذوا ما كان مع الحاجِّ من الأموال والأمتعة والجمال، وأخذُوا من النساء مئتين وثمانين امرأةً من الحرائر سوى المملوكات والمماليك، وبلغ الخبرُ إلى بغداد، ومات الباقون بالعطش والجوع، فلمَّا دخلَ من سلم منهم بغداد ضجُّوا، واجتمعت معهم العامَّة، وشَغَبوا[2] على السلطان، فوعدهم الوزير عليُّ بن عيسى أن يكتب كتاباً إلى العلويّ، فكتبَ إليه كتاباً يتهدَّدُه فيه ويتوعده، ويأمره بردِّ ما أخذ، فلم يلتفت [لقوله].

وفيها توفي

أحمد بن يونس

ابن عبد الأعلى بن موسى، أبو الحسين.

ولد في ذي القعدة سنةَ أربعين ومئتين، وكان من الخائفين البكَّائين. روى عنه الأئمة[3].

[فصل وفيها توفيت

بدعة

جاريةُ عَريب، مولاة المأمون.

ذكرها ثابتُ بن سنان فقال: وفي سنة اثنتين وثلاث مئة توفيت][4] بدعة الكبيرة جاريةُ عَريب توفيت لستٍّ بقينَ من ذي الحجة، وصلَّى عليها أبو بكر ابن المُهْتدي.

وقد كان إسحاق بن أيوب بذلَ فيها لعَريب مولاتها مئةَ ألف دينار على يدي أبي

---

(١) كذا في (خ) وتاريخ الإسلام ٧/ ١١ . وفي (ف) و(م١): الحسن بن عمرو .

(٢) في (خ): وشنعوا. والمثبت من (ف) و(م١).

(٣) المنتظم ١٣/ ١٥١ .ولم ترد ترجمته في (ف) و(م١).

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

الحسن علي بن يحيى المُنَجِّم، وللمنجِّم عشرين ألف دينار لسفارته، فلمَّا خاطب عَريباً في ذلك، دعت بدعة وعرَّفتها ذلك، وسألتها: هل تحبُّ وتختار البيع، فقالت: لا أختارُ البيع، فردَّتِ المالَ وأعتقتها من وقتها، وكانت بدعة مغنِّيةً، وخلَّفت مالاً عظيماً، وضياعاً كثيرة[1].

[قلت: وينبغي أن تُذكر هذه المَنْقَبة في ترجمة عَريب.][2]

العباس بن محمد

ابن ثَوابة أبو الهَيْثم، كاتبُ المقتدر[3].

وكان يطمعُ في الوزارة، ولَمَّا ولي عليُّ بن عيسى الوزارة اعتقلَه بالكوفة عند إسحاق ابن عمران، فماتَ يوم الأحد سَلْخَ ذي الحجَّة، وأوصى أنْ يصلِّي عليه أبو عيسى الطَّلْحي، وأن يكبِّر عليه أربعاً، وأن يُسَنِّم قبرَه، وكان الوزراءُ يخافونَه لشرِّه، فيقال: إنَّ إسحاق دسَّ إليه سمًّا، فأكله فمات[4].

قال المصنف رحمه الله[5]: وإلى هنا انتهى تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري، وقيل: إلى سنة ثلاثٍ وثلاث مئة[6].



(١) انظر أوراق الصولي (ما لم ينشر منها) ص١٠٢، وصلة تاريخ الطبري ص٥٢، وتكملة تاريخ الطبري ص٢٠٦، والمنتظم ١٣/ ١٥٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) ذكر الصوليُّ في الأوراق (ما لم ينشر منها) ص١٠٥، وعريب في صلة تاريخ الطبري ص٥٧ أن أبا الهيثم مات سنة ثلاث وثلاث مئة.

(٤) هذه الترجمة لم ترد في (ف) و(م١).

(٥) في (ف) و(م١): قلت.

(٦) بعدها في (ف) و(م١): والحمد لله وحده.

السنة الثالثة وثلاث مئة

[قال ثابت بن سنان: و] فيها وَقفَ المقتدر أوقافاً كثيرةً من المُسْتَغَلَّات السُّلطانيَّة، وأشهدوا عليه القضاةَ والعدول، وكتبوا السجلَّات وثبتت على الحكام، وليس لها اليومَ أثر.

[قال ثابت بن سنان:] وفيها حُمَّ المقتدر أيَّاماً، فاحتجم، ولم يمرض في خلافته غيرَ هذه المرضة، وكان يحتجمُ كلَّ وقت، أمَّا دواء الإسهال فلم يشربه قطّ.

وفيها راسلَ عليُّ بن عيسى الوزيرُ القرامطة وكاتبهم وهاداهم، وأطلق لهم ما أرادوا من البيع والشراء بسيراف، فنسبَه الناسُ إلى موالاتهم، وإنَّما قصدَ أن يتلافاهم خوفاً على الحاجِّ منهم، فلما فعلُوا بالحاجِّ ما فعلوا [بعد ذلك]، استصوبَ الناسُ رأيَه وعلمُوا أنَّه إنَّما فعل ذلك نظراً للحاجّ(١).

وفي يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجَّة ولد عليُّ بنُ عبد الله بن حمدان.

وفيها تواترتِ الأخبارُ أنَّ الحسينَ بن حمدان قد خالفَ وخرج عن الطاعة، وكان مؤنس الخادم مشغولاً بحرب العلويِّ بمصر، فندبَ عليُّ بن عيسى رائقاً الكبير لمحاربته، وخَلَعَ عليه في جمادى الأولى، وكتبَ إلى مؤنس يعرِّفُه ويأمُره أن يصيرَ إلى ديار مضر، ويأخذ معه من مصر أعيانَ القوَّاد ومن يخاف منهم، مثل أحمد بن كيغلغ، وعلي بن أحمد بن بسطام، والعباس بن عمرو، فشخصَ مؤنس بهؤلاء معه، وأمَّا رائق فالتقى بابن حمدان، فهزمَه ابنُ حمدان، فصار إلى مؤنس، وسار مؤنس مُجِدًّا، وعبرَ الحسينُ دجلة إلى ديار ربيعة في أربع مئة فارس، ولَمَّا قرب منه مؤنس بعثَ الحسينُ إليه بكاتبه مروان، وجرت بينه وبين مؤنس خطوب. وقال: إنَّ السببَ في خروج الحسين عن الطاعة عدولُ الوزير عليِّ بن عيسى عمَّا كان عليه في أمره، فأوحشَه ذلك، وأنَّه ضمن له ضمانات وما وفى له، ويسألُه المقام بحرَّان ويكاتب الوزيرَ فيه، ويتركه

---

(١) بعدها في (ف) و(م١): وفيها عصى الحسين بن حمدان على المقتدر، فخلع المقتدر على رائق الكبير وجهزه لمحاربته. وسنذكر عصيان أحمد بن حمدان.

مقيماً في منزله، ويقلِّد أخاه أعمالَ ديار ربيعة، وذَكرَ أنَّه قد اجتمعَ له من القبائل ثلاثون ألف رجل، فأغلَظَ له مؤنس وقال: لا سبيلَ إلى هذا حتى يدخلَ في الطاعة، وأمَّا القبائل فنحن نفرِّقُهم عنه، وكتبَ إلى الوزير يعرِّفه.

وسار مؤنس فنزل بإزاء جزيرة ابن عمر في شعبان، ورَحل الحسين إلى ناحية البادية، وانتقلَ عسكرُه إلى مؤنس أولاً أولاً، فأحسنَ إليهم مؤنس، وخلعَ عليهم، وكانوا سبعَ مئة فارس.

ثم سار مؤنس وراءَ الحسين منصوباً على جمل[١] ، وابنُه عبد الوهَّاب على جملٍ آخر، وأصحابه على الجمال، وبين يديهم الأميرُ أبو العباس بن المقتدر، والوزيرُ عليّ ابن عيسى، والأستاذ[٢] مؤنس الخادم، وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وإبراهيم بن حمدان، وجميع القواد والجيوش، وأُدخل الحسينُ إلى المقتدر، وأوقَفَه بين يديه، فأمرَ بحبسِه عند زيدان القَهْرَمانة في دار السلطان، ثمَّ قبضَ على أبي الهيجاء وعلى جميع إخوته، وحُبِسوا في دار السلطان عند نصر الحاجب، وذلك في ذي القعدة.

[وفي هذه السنة][٣] ورد الخبرُ إلى بغداد أنَّه وجد في خُراسان بالقندهار[٤] أزَجٌ[٥] فيه ألفُ رأس[٦] في برج، [من هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً][٧]، في أذن كلِّ واحد خيطٌ من إبريسم، فيه رقعةٌ مكتوبٌ فيها اسمُ صاحبه، وكان من جملتها هانئ بن عروة، وحاتم بن حَسَنة، وطَلْق بن معاذ وغيرهم، وتاريخهم من سنة سبعين من الهجرة.

وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك.

---

(١) يعني بعد أسر الحسين.

(٢) كذا.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٤) في (خ): بالعهدار. وفي (ف) و(م١): بالقصران. والمثبت من أوراق الصولي (ما لم ينشر منها) ص١١٠ ، وصلة تاريخ الطبري ص٥٩ ، والمنتظم ١٣/ ١٦٧ ، وجميعهم أورد الخبر في حوادث سنة أربع وثلاث مئة.

(٥) الأزَجُ: بيت يبنى طولاً، والجمع آزُج وآزاج.

(٦) في أوراق الصولي (ما لم ينشر منها) ص١١٠ ، وصلة تاريخ الطبري ص٥٩ : خمسة آلاف رأس.

(٧) ما بين حاصرتين من أوراق الصولي ص١١٠ ، وصلة تاريخ الطبري ص٥٩ ، والمنتظم ١٣/ ١٦٧ .

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن عليّ

ابن شُعيب[١] بن علي بن سِنان بن بَحْر، أبو عبد الرحمن، النَّسَائيّ، الإمامُ الحافظ.

ولد بنَسَا سنة خمس عشرة ومئتين، وقيل: سنة أربع عشرة [ومئتين]، وسافرَ إلى العراق والشام والحجاز [ومصر]، واستوطن مصر، فأقام بزُقَاق القناديل، وصنَّفَ كتاب «السنن» المشهور، و«الضعفاء والمتروكين».

وأثنَى عليه الأئمَّة، فقال الحاكم أبو عبد الله: كان إمامَ أهل الحديث، وكان يصومُ الدهرَ، ويختمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلة، فإذا جاءَ رمضان ختمَه في كلِّ يوم [وليلةٍ] مرَّتين، وكان يجاهدُ ويرابط.

وقال الدارقطني: النسائيُّ مقدَّمٌ على كلِّ من يُذْكَر بهذا[٢] العلم في أهل عصره.

[كان أول رحلته إلى نَيْسابور، فسمع إسحاقَ بن إبراهيم الحَنْظليّ، والحسين بن منصور، ومحمد بن رافع، وأقرانهم، ثم خرج إلى بَغْلان[٣]، فأكثرَ عن قتيبة، وانصرفَ إلى طريق مَرْو، وكتب عن عليِّ بن حجر وغيره، ثمَّ توجَّه إلى العراق فكتب عن أبي كُرَيب وأقرانه، ثمَّ دخل الشام ومصر فأقام بهما.]

وكان إماماً في الحديث، [ثقة] ثبتاً حافظاً فقيهاً.

[وحكى الحافظ ابن عساكر عن محمد بن المُظَفَّر الحافظ أنه كان يقول: سمعت مشايخنا][٤] بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن [النسائي] بالتقدُّم والإمامة، ويصفون من

---

(١) كذا في النسخ، والمنتظم ١٣/ ١٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٧٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٨. وفي غيرها من المصادر: أحمد بن شعيب بن علي، وهو المشهور. انظر الكامل في التاريخ ٨/ ٩٦، وتهذيب الكمال ١/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٩، والوافي بالوفيات ٦/ ٤١٦، وطبقات الشافعية ٣/ ١٤، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٦، وغيرها.

(٢) في (ف) و(م١): هذا. وليست في (خ). والمثبت من تهذيب الكمال ١/ ٣٤٤.

(٣) بفتح الباء وسكون الغين المعجمة. قال السمعاني في الأنساب ٢/ ٢٥٧: هي بلدة بنواحي بلخ، وظني أنها من طخارستان.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

اجتهاده في العبادة بالليل والنهار، ومُواظبته على الحج والجهاد، وإضرابه عن مجالس السلطان، وأنه لم يزل على ذلك حتى استُشهد بدمشق[١].

وصنَّفَ الكتبَ المشهورة، وإليه تشدُّ الرِّحال في علل الأخبار ومعرفةِ الرجال[٢].

ذكر وفاته:

[واختلفوا في أي مكان تُوفِّي، فحكى الحاكم أبو عبد الله قال: حدثني] محمد بن إسحاق[٣] الأصبهاني، [قال: سمعت مشايخنا بمصر يذكرون أن أبا عبد الرحمن] فارق مصر[٤] في آخر عمره، وخرج إلى دمشق، فسُئِل عن معاوية وما روي في فضائله، فقال: أما يَرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يُفَضَّل؟! وفي رواية: ما أعرف له فضيلةً إلا: «لا أشبعَ اللهُ بطنه»[٥]. وكان يتشيَّع، فما زالوا يدفعون في خُصْيَيه[٦] حتى أخرجوه من المسجد [وفي رواية: يدفعون في خصيه][٧] وداسوه، ثمَّ حُمِل إلى الرَّمْلَة فمات بها [في هذه السنة.

قال الحاكم: وحدثني علي بن عمر الحافظ ـ يعني الدارقطني ـ قال:] لما امتُحِنَ النسائيُّ بدمشق قال: احملُوني إلى مكَّة، فحُمِل إليها فتوفِّي بها[٨]، وهو مدفونٌ بين الصفا والمروة، [وكانت وفاتُه في شعبان من هذه السنة].

وقال أبو نعيم: لَمَّا داسُوه بدمشق مات بسبب ذلك الدَّوْس، فهو مقتول.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٠٢.

(٢) بعدها في (م١): والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).وفي (خ): قال محمد بن إسحاق...

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): فارق النسائي مصر....

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٠٤).

قال الذهبي في السير ١٤/ ١٣٠ : لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية لقوله ﷺ: «اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة». أخرجه مسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/ ١٥٦.

(٦) في (خ): خصيته. وفي تهذيب الكمال ١/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٢ : حِضنيه.

(٧) ما بين حاصرتين من (ف). وفي الوافي بالوفيات ١/ ٧٧ : حضنه.

(٨) بعدها في (خ): في شعبان.

[قال:] وكان قد صنَّف كتابَ «الخصائص» في فضل عليٍّ عليه السلام وأهل البيت ﷺ، وأكثرُ رواياته فيه عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، فقيل له: ألَا تصنِّفُ كتاباً في فضائل الصحابة، فقال: دخلتُ دمشق والمنحرفُ عن عليٍّ رضوان الله عليه فيها كثير، فأردت أن يهديهم اللهُ بهذا الكتاب.

وكان يصومُ يوماً ويفطر يوماً، وكان موصوفاً بكثرة الجماع، قال ابن عساكر: وكان له أربع زوجات يقسم لهنَّ، وسراري.

وقال أبو سعيد بن يونس: خرج من مصر سنة اثنتين وثلاث مئة، وتوفِّي بفلسطين سنة ثلاث وثلاث مئة[١]. وقيل: بالرملة.

وقال الدارقطني: امتحن بدمشق، وأدركَ الشهادة.

وأسند عن خلقٍ كثير، منهم الإمام أحمدُ بن حنبل، وهشام بن عمار، وغيرهما، وأجمعوا عليه.

[وفيها توفي]

الحسن بن سفيان

ابن عامر بن عبد العزيز بن النُّعمان بن عطاء، أبو العباس، الشَّيباني، النَّسَويّ، الحافظ، مُحدِّث خُراسان في عصره، وإليه كانت الرِّحلة بخراسان.

وهو من قريةٍ [يقال لها:][٢] بالُوز، على ثلاثة فراسخ من نَسَا.

رحل إلى البلاد، وسمعَ الكثير، ولقيَ الشيوخ، وأخذ الأدبَ عن أصحاب النَّضْر ابن شُمَيل، وتفقه على أبي ثور [إبراهيم بن خالد]، وكان يُفتي على مذهبه، وصنَّفَ «المسند»، و«المعجم»، و«الجامع»، و«التاريخ»، وغير ذلك، ورَوى مصنفات ابن المبارك وغيرها، [وكان الحاكم أبو عبد الله يقول عن أبي بكر الرازي:][٣] ليس للحسن ابن سفيان في الدنيا نظير.

---

(١) ورجحه الذهبي في السير ١٤/ ١٣٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال أبو بكر الرازي.

[ذكر حكايته وحكاية جماعة من الطلبة للعلم مع أحمد بن طولون:

وروى أبو الفضل بن ناصر السَّلامي بإسناده عن أبي الحسين الصفَّار قال:][١] كنا عند الحسن بن سفيان، وقد اجتمعَ إليه طائفةٌ من أهل الفضل، ارتحلوا إليه من البلاد البعيدة لكتابة الحديث، فخرجَ يوماً إلى مجلس إملائه، فقال: اسمعوا ما أقولُ لكم قبل أن نشرع في الإملاء، وقد علمنَا أنَّكم طائفةٌ من أبناء[٢] النِّعم، هجرتُم أوطانكم، وفارقتم ديارَكم وأصحابكم في طلب العلم، فلا يخطرنَّ ببالكم أنَّكم قضيتم بهذا التجشُّم للعلم حقًّا، ولا أدَّيتم له من المشقَّة فرضاً، وأنا أحدِّثكم ببعض ما تحمَّلتُه من المَشَقَّة:

ارتحلنَا إلى شيخٍ من أهل مصر، فأقمنَا نسمعُ عليه الحديثَ، فنَفِدَت نفقاتُنا، وبعنَا جميع ثيابنا، وأفضَى بنا الحالُ إلى أنْ طوينَا ثلاثةَ أيامٍ بلياليهن، وأصبحنَا في اليوم الرابع وليس بنا حَرَاكٌ من الجوع، ولم يبقَ حيلةٌ إلَّا الخروجَ إلى [سؤال] الناس، فكتبنا رقاعاً فيها أسامينا، واقترعنَا على من يتولَّى السؤال، فخرجتِ القرعةُ على اسمي، فتحيَّرتُ ولم تسمح نفسي بذلك، فعدلتُ إلى زاويةٍ في المسجد الذي كنَّا فيه، وصلَّيتُ ركعتين، وسألتُ الله بأسمائه العظام وكلماته الرفيعة، فلم أستتمَّ دعائي حتَّى دخل المسجد خادمٌ في يده منديل، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعتُ رأسي من السجدة وقلت: أنا، فقال: إنَّ الأمير [أحمد] بن طولون صاحبي يقرئكُم السلام، ويعتذرُ إليكم من الغفلة عن تفقُّد أحوالكم والتقصيرِ في حقوقكم، وهو زائرُكم غداً بنفسه.

ووضع بين يدي كلِّ واحدٍ منَّا صُرَّةً فيها مئة دينار، وكنَّا ثلاثة، فقلت له: فما سببُ هذا؟ ومن أين يعرفنا الأمير؟! فقال: حدَّثني أنَّه أتاهُ البارحة في المنام فارسٌ وبيده رمحٌ، فوضعه على خاصرته، وقال: قم فأدرك الحسنَ بن سفيان وأصحابَه، فإنَّهم منذ ثلاث ما أكلوا، وهم في المسجد الفلانيّ، قال ابن طولون: فقلت: من أنت؟ قال: رضوان خازنُ الجنان، قال: فلمَّا أصبح [ابن طولون] دعاني وأخبرني الخبر، وقال: منذُ وَضعَ الرمحَ على خاصرتي أصابني وجعٌ شديد، فعجِّل بإيصال المال إليهم ليزولَ الوجع عنِّي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): قال أبو الحسن الصفار: كنا عند.

(٢) في (ف) و(م١): أهل.

قال الحسن: فتعجَّبنا من ذلك، وخرجنا [من] تلك الليلة من مصر؛ لئلَّا يزورنا ابنُ طولون، فيكون ذلك سبباً لارتفاع اسمنا وانبساط جاهنا، ويتَّصل بذلك [نوع] رياءٍ وسُمعةٍ، فلمَّا أصبحَ ابن طولون جاء إلى [ذلك] المسجد ليزورنا، فلم يرنا، فابتاعَ تلك المحلَّة [بأسرها]، وأوقفَها على المسجد وعلى من ينزلُ به من الغرباء وطلبة العلم؛ لئلَّا يصيبهم من الخَلل ما أصابنا، وذلك كلُّه لقوَّة الدين، وصفو الاعتقاد، وأصبحَ كلُّ واحدٍ منَّا أوحدَ عصره وفريدَ دهره في العلم والفضل[١]. [وهي حكايةٌ طويلةٌ اختصرتها.

قال الخطيب: وكانت وفاة الحسن في هذه السنة، وقيل: بنيسابور.]

سمع الحسنُ الإمامَ أحمدَ رحمة الله عليه، وابنَ مَعين، وهشام بن عمَّار وغيرهم.

وروى عن[٢] إسحاق بن راهَويه، والقَواريري، وغيرهما.

واتفقوا على فضله وزهده وصدقه وثقته[٣].

[وفيها توفي]

رُوَيْم بن أحمد

وقيل: ابن محمد بن يزيد[٤]، أبو محمد، وقيل: أبو الحسن، وقيل: أبو الحسين، البغدادي، الصُّوفي.

قرأ القرآن [على جدِّه يزيد بن رويم وغيره]، وكان عارفاً بمعانيه، وتفقَّه على مذهب داود بن علي الظَّاهري.

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٥٨ ـ ١٦١، وتاريخ دمشق ٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٥ (مخطوط) وأوردها الذهبي في السير ١٤/ ١٦١ مختصرة والأمير عنده طولون، ثم قال: فالله أعلم بصحتها، ولم يلِ طولون مصر، وأمَّا ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية، ولا أعرف ناقلها، وذلك ممكن. اهـ.
وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) في (خ): عنه. وهو خطأ. انظر المنتظم ١٣/ ١٥٧، وتاريخ دمشق ٤/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٧.

(٣) هذا نص الكلام فيمن روى عنه الحسن بن سفيان في (خ)، ووقع في (ف) و(م١): سمع بخراسان حِبَّان بن موسى، وإسحاق بن إبراهيم، وقتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وآخرين، وسمعَ ببغداد أحمد بن حنبل وغيره، واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقته.

(٤) في (ف) و(م١) والمنتظم: وقيل: ابن محمد بن رويم بن يزيد. وفي تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٤: وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد.
وقال ابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٣٦٨: رويم بن أحمد. أصح.

وكان مُجرَّداً من الدنيا، ثمَّ ترك ذلك.

وقال أبو عمرو الزَّجَّاجي: نهاني الجنيدُ أن أدخلَ على رُويم، فدخلتُ عليه يوماً، وكان قد دَخلَ في شيءٍ من أمور السلطان، فدخل الجنيدُ فرآني عنده، فلمَّا خرجنا قال لي: كيف رأيت؟ قلت: لا أدري، قال: إنَّ الناس يتوهمون أن هذا نقصانٌ في حالهِ ووقته، وما كان رويم أعمرَ وقتاً منه في هذه الأيَّام، ولقد كنت أصحبه بالشُّونيزيَّة في حالة الإرادة، وكنت معه في خرقتين، وهو الساعة أشدُّ فقراً منه في تلك الحالة وتلك الأيام[١].

[وحكى القاضي التنوخي بإسناده إلى جعفر الخُلْدي قال:][٢] من أراد أن يستكتم سرًّا، فليفعل كما فعل رويم[٣]، كتم حبَّ الدنيا أربعين سنة [فقيل له: وكيف يتصور ذلك؟ قال:] وَلِيَ إسماعيلُ بن إسحاق [القاضي] قضاءَ بغداد، وكانت بينهما مودَّةٌ أكيدة، فجذبه إليه [وجعله وكيله على بابه][٤]، فترك لبس الصوف، ولبس الخزَّ والقَصَبَ والدَّبيقيّ، وأكلَ الطيبات، وبنى الدور، وإذا هو كان يكتمُ حبَّ الدنيا ما لم يجدها، فلمَّا وجدَها أظهرَ ما كان يكتم من حبها.

[ويقال: إنَّه وليَ القضاء ببغداد. وهو وهم. والأصحُّ أنه كان وكيلاً كما ذكر الخطيب.

وذكر ابن خَميس في «المناقب» قال][٥]: لَمَّا دخلتُ بغداد قَصدتُ رُويماً وقد وَلِيَ القضاء، فدخلتُ عليه، فرحَّب بي وأدناني وقال: ما تقول الصوفيَّة فيّ؟ قلت: لا أدري، فقال: بلى، يقولون: رجعَ إلى الدنيا، فبينا هو يحدِّثني إذ دخلَ ابنٌ له صغير، فقعد في حجره، فقال رويم: لو كنتُ أرى [فيهم] من يكفيني مؤونة هذا الطفل ما دخلتُ فيما دخلتُ فيه، ولكن شُغْل قلبي بهذا وأمثاله هو الذي أوقعني فيما وقعتُ فيه.

---

(١) من قوله: وقال أبو عمرو الزجاجي... إلى هنا ليس في (ف) و(م١). وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٠، والمنتظم ١٣/ ١٦٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال جعفر الخلدي.

(٣) في نشوار المحاضرة ٣/ ١٢٠: فليستكتم رويم.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١)، وفي (خ): وقال رويم.

وقال في «المناقب»: صلَّى رويم صلاةَ الغداة بوضوء العشاء الآخرة عشرينَ سنة[١].

[قلت: ولرويم الواقعاتُ الحسنة والكلامُ المليح، فمن ذلك ما حَكى عنه في «المناقب» أنَّه قال:][٢] اجتزتُ ببغداد في وقت الهاجرة في بعض السِّكَك وأنا عطشان، فاستسقيتُ ماءً من دار، ففتحت الباب صبيَّةٌ وبيدها كوز، فلمَّا رأتني قالت: يا أمَّاه صوفيٌّ يشرب[٣] بالنهار. فما أفطرتُ بعد ذلك.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً أنه قال:][٤] قف على البساط، وإيَّاك والانبساط، واصبر على ضرب السِّياط، [حتى] تجوز الصّراط، وأنشد: [من المنسرح]

صَبْراً جميلاً ما أقربَ الفَرَجا ... مَن صَدقَ اللهَ في الأمورِ نَجَا

مَن خشيَ الله لم يَنَلْهُ أذًى ... ومن رَجا اللهَ كان حيثُ رجَا

وأنشد أيضاً يقول: [من الكامل]

لو كُنْتِ عاتبةً لَسَكَّن عبرتي ... أملي رضاكِ وزُرْتُ غيرَ مُرَاقَبِ

لكن صددتِ[٥] فلم يكن لي حيلةٌ ... صدُّ المَلولِ خلافُ صدِّ العاتبِ[٦]

[وحكى الخطيب عنه أنه قال:] منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي ذكرُ الطَّعام حتى يحضر.

[وحكى الخطيب عنه أنه قال][٧]: الفقر له حُرمة، وحُرْمَتُه سترُه وإخفاؤُه والغيرةُ عليه، فمن كشفَه وأظهرَه فليسَ هو من أهله، ولا كرامة[٨].

[وحكى ابن باكويه عنه أنَّه قال][٩]: إذا وهبَ اللهُ لك مقالاً وفعالاً، فأخذَ منك

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٧٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال رويم.
(٣) في (ف) و(م١): يفطر. وانظر مناقب الأبرار ١/ ٣٦٩.
(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال.
(٥) في طبقات الصوفية ص١٨٣: مللت. وفي مناقب الأبرار ١/ ٣٧٠: ملكت.
(٦) من قوله: وأنشد أيضاً... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).
(٧) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال.
(٨) تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٩.
(٩) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال......

المقال، وأبقى [عليك] الفعال فلا تبالي، فإنَّها نعمةٌ، وإن أخذ [منك] الفعالَ وترك عليك المقال فإنَّها مصيبة[١]، وإن أخذهما منك فاعلم أنَّها نقمة.

توفي رويم ببغداد، ودُفِنَ بالشونيزيَّة. أسند الحديث عن يزيد بن سنان البصري وغيره[٢].

زُهير بن صالح

ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، توفِّي وهو حَدَث[٣] في شعبان[٤]، روى عن أبيه صالح، وروى عنه أبو بكر النَّجَّاد[٥].

عليُّ بن محمد

ابن نَصْر[٦] بن بسَّام، الشاعر، البغدادي[٧].

قال في أبيه أبي جعفر محمد بن نصر: [من البسيط]

بنى أبو جعفر داراً فشيَّدَها ... ومثلُهُ لخيارِ الدُّورِ بنَّاءُ
فالجوعُ داخلها والذُّلُّ خارجها ... وفي جوانبِها بؤسٌ وضرَّاءُ
ما ينفعُ الدارَ من تشييد حائطِها ... وليسَ داخلها خبزٌ ولا ماءُ[٨]

وقال في الوزير ابن مَخْلَد: [من الوافر]

سَجَدْنَا للقرودِ رجاءَ دُنيا ... حَوَتْها دونَنا أيدي القرودِ

(١) تحرفت في (ف) و(م١) إلى: معصية.
(٢) انظر ترجمته أيضاً في حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٢، وطبقات الأولياء ص٢٢٨.
(٣) قوله: وهو حدثٌ. وهمٌ تابع فيه المصنف جدَّه ابن الجوزي في المنتظم ١٣/ ١٦٣، لأن صالحاً أباه توفي سنة ٢٦٥هـ، وزهير حدَّث عن أبيه ـ كما ذكر المصنف ـ فإن كان سماعه منه لأقل سنِّ السماع، فيكون سماعه منه حوالي سنة ٢٥٥هـ.
(٤) في تاريخ بغداد ٩/ ٥١٤، والمنتظم ١٣/ ١٦٣ أنه توفي في ربيع الأول.
(٥) هذه الترجمة لم ترد في (ف) و(م١). وانظر ترجمته أيضاً في طبقات الحنابلة ٢/ ٤٩.
(٦) اسمه كما في تاريخ بغداد ١٣/ ٥٢٩: علي بن محمد بن منصور بن نصر.
(٧) وكذا أورده في وفيات هذه السنة المسعودي في مروج الذهب ٨/ ٢٥٧. وفي تاريخ بغداد ١٣/ ٥٣٠، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١١٣ أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاث مئة.
(٨) مروج الذهب ٨/ ٢٥٧.

فمـا رجـعَ الـسـجـودُ لـنـا بـشـيءٍ ربـحـنـاهُ سـوى ذلِّ الـخـدودِ[١]

وكان الغالبَ على شعره الهجو[٢].

محمد بن عبد الوهاب

أبو عليّ، الجُبَّائي، المُتَكَلِّم مولى عثمان بن عفان ﷺ[٣] إمام المُعتزلة.

ولد سنة خمس وثلاثين ومئتين، وتوفِّي في شعبان[٤].

[وفيها توفي]

محمد بن خالد الآجُرِّيُّ البغداديُّ

[و] كان عبداً صالحاً [حكى الخطيب عنه أنَّه] قال: هيّأتُ اللَّبِن لأطبخه من الغد آجُرًّا، فسمعت لَبِنَةً تقول لأختها: يا أختي السلام عليك، غداً ندخل النار، فانظري كيف تكونين. فهامَ الآجريُّ على وجهه[٥].

قال المصنف رحمه الله[٦]: وقد وقع هذا الاسم ـ وهو الآجري ـ في [الحكايات و] الروايات كثيراً من غير فصل [بين رجل ورجل]، والحاصلُ أنَّهم أربعة؛ أحدهم [صاحب هذه الترجمة][٧]، والثاني: أبو إسحاق إبراهيم الآجُريُّ، [ولا يعرف اسم أبيه]، وهو الذي كان ليهوديٍّ عليه دينٌ، فجاءه يتقاضاه، وهو يوقدُ أتون الآجُرّ، فقال له: ويحك! أسلم لئلَّا تدخل النار[٨]، فقال اليهودي: أنا رأيتُ لا بدَّ لنا من دخولها،

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٦٥.

(٢) لم ترد هذه الترجمة في (ف) و(م١).

(٣) كذا في (خ). وهو اختصار مخل. والصواب ـ كما في المنتظم ١٣/ ١٦٤ ـ: محمد بن عبد الوهاب بن سلام ابن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، أبو علي الجبائي المتكلم.

(٤) لم ترد هذه الترجمة في (ف) و(م١).

(٥) انظر سياق الخبر في تاريخ بغداد ٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣، والمنتظم ١٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥. وهو فيهما مغاير لما ذكره المصنف هاهنا. وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٦) في (ف) و(م١): قلت.

(٧) في (خ): هذا. والمثبت وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٨) بعدها في (ف) و(م١): فقال: أنا وأنت، قال: ولمَ؟ قال: لأنكم تقرؤون...

قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّكم تقرؤون في كتابكم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فإنْ أحببتَ أن أسلم فأرني شيئاً أعرفُ به شرفَ الإسلام، فقال: هات رداءك، فأخذه ولفَّه في رداء نفسه، وألقاهُ في النار ساعةً، ثمَّ قام [الآجُرِّيُّ] باكياً واجداً، ودخل الأتون وهو يتأجَّج ناراً، فأخرج الرداءين وقد احترق رداءُ اليهوديّ، ورداؤه لم يحترق، فقال: هكذا يكون الدخول، أسلم أنا وتحترق أنت، فأسلم اليهودي [وهذا الآجُرِّيُّ لم أقف على تاريخ وفاته][(١)].

والثالث: الآجُرِّيُّ الكبير، واسمُه محمد بن الحسين، وكنيتُه أبو بكر، مات [في] سنة ستين وثلاث مئة، وكان من كبار القوم[(٢)].

والرابع: [أبو بكر] الآجريّ، مُحَدِّث مشهور[(٣)] [نذكره إن شاء الله تعالى، والحمد لله وحده][(٤)].

مَحْفوظ بن محمود النَّيْسابوري

أحد المشايخ الصالحين. صحب أبا حَفْص النيسابوري وغيره.

وقال: من أبصر محاسنَ نفسه ابتُلِي بمساوئ الناس.

وقال: التائبُ الذي يتوبُ من غَفَلاته وطاعاته.

وقال: أكثرُ الناس خيراً أسلمُهم صدراً للمسلمين.

وقيل: مات سنة أربع وثلاث مئة، ودُفن إلى جانب أبي حَفْص بنَيْسَابور، وكان جليلاً[(٥)].



(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ١٧١، وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٣٥.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٥) طبقات الصوفية ص٢٧٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، وطبقات الأولياء ص٣٧٠.

السنة الرابعة وثلاث مئة

فيها عاد نصر الحاجب من الحج في المحرم، ومعه العلويُّ الذي كان يقطعُ الطريقَ على الحج مأسوراً، فحُبس في المُطْبِق.

وفي ربيع الآخر غزا مؤنسٌ الخادم بلادَ الروم من ناحية مَلَطْية، وكتب إلى أمراء الأطراف يوافونَه إلى الدَّرْب، فوافاه عليُّ بن أحمد بن بسطام من طَرَسُوس، ففتحَ مؤنسٌ حصوناً كثيرة، وأثر آثاراً جميلة، وعاد إلى بغداد، فخَلَع عليه المقتدر.

وفي جمادى الأولى توفِّي عبد الوهاب بن علي بن عيسى [الوزير، وأخو الوزير داود بن عيسى، ومات زيادةُ الله بن الأغلب والي إفريقية].

وفي شوال ماتَ محمد بن إسحاق بن كُنداجيق بالدِّينوَر، وكان متقلِّداً لها، وصادر عليُّ بن عيسى ورثتَه على ستين ألف دينار مُعَجَّلة(١).

وفيها فزع الناس ببغداد من حيوان يسمى الزَّبْزَب، ذكروا أنَّهم يرونه في الليل على أسطحتهم، وأنَّه يأكُل أطفالهم، وربما قطعَ يدَ الإنسان وهو نائم، وثديَ المرأة، فيأكله، وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون، ويضربون [الطُّسوت و] الصواني والهواوين؛ ليُفزعوه فيهرب، وارتجَّت بغداد من الجانبين، وأصلحَ الناسُ لأطفالهم مكابّ من سَعَفٍ يُكِبُّونَها(٢) عليهم بالليل، ودام ذلك عدَّة ليال، فأخذَ السلطانُ حيواناً أبلق كأنَّه من كلاب الماء، وذكر أنَّه الزبزب، وأنَّه صِيْدَ فصلب عند الجسر الأعلى بالجانب الشرقي، فلم يغن ذلك شيئاً إلى أن انبسطَ القمر، وتبيَّن للناس أنه لا حقيقة لما توهَّموه، فسكنوا، إلَّا أنَّ اللصوصَ وجدوا فرصةً بتشاغل الناس [في سطوحهم]، فكثُرت النُّقوب والعملات(٣).

(١) انظر أوراق الصولي ص١١١ (ما لم ينشر منها)، وصلة تاريخ الطبري ص٦٠ ـ ٦١ .

(٢) في (ف) و(م١): يكفونها.

(٣) المنتظم ١٣/ ١٦٧ ، وانظر تكملة تاريخ الطبري ص٢١٠ ، والكامل ٨/ ١٠٥ . وما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

وفي ذي الحجَّة قبضَ المقتدرُ على أبي الحسن عليِّ بن عيسى الوزير.

[قال ثابت بن سنان: كان علي بن عيسى] قد ثقُل[١] عليه أمر الوزارة، وتضجَّر [في الأوقات] من سوء أدب الحاشية، وكثرة المطالبة، واستعفَى من الوزارة مراراً، [فيخاطب المقتدر، فينكر][٢] عليه ذلك؛ لعدله، ودينه، وحسن سياسته [للرعيَّة]، واستقامة الأمور في أيامه، إلى أن اتفقَ أنَّ أمَّ موسى القَهْرَمانة جاءت إليه في آخر ذي القعدة[٣] لتوافقه على ما يطلق[٤] في عيد الأضحى للحرم والحاشية، فوجدتهُ مُحْتَجِباً، فلم يجسر عليه حاجبه [أن يستأذنه لها]، فصرفَها صرفاً جميلاً، فغضبت، وعلم الوزير فأرسلَ خلفَها من يردُّها، فأبت، وصارتْ إلى السيدةِ والمقتدر فأغرتهما به، وتخرَّصت عليه الكذب، فصرفَه يوم الاثنين لثمانٍ خلونَ من ذي الحجَّة عند ركوبه إلى دار الخلافة، ولم يتعرَّض لشيءٍ من أسبابه وأمواله وضياعِه، ولا لأحدٍ من أصحابه[٥]، واعتُقِلَ عند زيدان القهرمانة، فكانت وزارتُه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وأُعيد أبو الحسن عليُّ بن الفرات إلى الوزارة، وخُلِع عليه يوم التروية سبعُ خلع، وحُمل إليه من دار الخلافة ثلاثُ مئة ألف درهم، وعشرونَ خادماً، وثلاثون دابَّة لركوبه، وخمسونَ لغلمانه، وخمسون بغلاً لثقله، وعشرة تخوت من ثياب وغيرها، وركبَ مؤنس الخادم بين يديه والقواد والخاصة، فصار إلى داره بسوق العَطَش، ورُدَّت عليه ضياعُه وأسبابُه، وأقطع الدار التي بالمخرِّم، [فسكنها].

وسقي الناسُ في داره في ذلك اليوم والليلة أربعونَ ألف رطلٍ من الثلج، وكان بين اعتقاله و[بين] رجوعه إلى الوزارة خمسُ سنين وأربعةُ أيام.

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وكان قد ثقل...
(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): فتنكر المقتدر.
(٣) في (ف) و(م١): في آخر عمره. وما سلف بين حاصرتين منهما.
(٤) في (ف): يصلح. وفي (م١): يطلب.
(٥) سيذكر المصنف في الصفحة التالية مصادرة أخوي عليٍّ بن عيسى، ومصادرة بعض أصحابه.

وسمع بعض العوام يقول: والك، خذ إليك، أخذوا منَّا مُصحفاً، وأعطونا طُنبوراً، وبلغ ذلك المقتدر، فكان ذلك سبباً للإحسان إلى عليٍّ بن عيسى، حتى أُطلِق من الحبس[١].

[قال ثابت بن سنان:] وكتب عن المقتدر إلى الأطراف كتباً يخبرهم [فيها] بإعادةِ ابن الفرات إلى الوزارة بألفاظٍ أنشأها أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثَوابة، منها: ولَمَّا لم يجد أميرُ المؤمنين بدًّا منه، ولم يكن للملك غنًى عنه، انتضاه من غِمده، فعاودَ ما عرف من حدِّه، [ودبَّر الأمور كأن لم يخلُ منها، وأمضاها كأن لم يزل عنها، إذ كان][٢] الحُوَّل القُلَّب[٣]، والمُحَنَّك المُجَرَّب، الدَّرِب الخبير بِدَرَّة المال كيف تُحلب، ووجوهه من أين تُطلب، وكان الكُتَّاب على اختلاف طبقاتهم، وتباينِ مقاديرهم، يحتكمون إليه إذا اختلفوا، ويقفون عنده إذا استبقوا، وكان هذا الأمر حقًّا من حقوقه، استعير منه، ثم رُدَّ إليه[٤]. وكلاماً هذا معناه.

وقبضَ ابنُ الفرات على إبراهيم وعبيد الله ابني عيسى لَمَّا قبض على أخيهما عليٍّ بن عيسى، فصادر إبراهيم على ستين ألف دينار، وعبيد الله على خمسين ألف دينار[٥]، من غير أن ينالهما بمكروه، ثمَّ صرفهُما إلى منازلهما، وصادر بعضَ أصحاب علي بن عيسى مصادرةً جميلة.

وفيها عصَى يوسفُ بن أبي السَّاج على المقتدر، واستولى على بلاد إرمينية وأَذْرَبيجان، فبعث إليه مؤنس الخادم، فظفر بيوسف فأخذهُ أسيراً بعد حرب طويلة[٦].

[قال ثابت بن سنان:] وخرج أمر المقتدر إلى [أبي الحسن] ابن الفرات في أوَّل

(١) المنتظم ١٣/ ١٦٧.

(٢) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة ٢/ ٥١.

(٣) الحُوَّل القُلَّب: أي المحتال البصير بتقليب الأمور. انظر مختار الصحاح (حول)، (قلب).

(٤) انظر الفرج بعد الشدة ٢/ ٥١، وطبقات الأدباء ١٨/ ٩٧ ـ ٩٨.

(٥) في تكملة تاريخ الطبري ص٢١٠: أن إبراهيم صودر على خمسين ألف دينار، وعبيد الله صودر على ستين ألف دينار.

(٦) من قوله: منها: ولما لم يجد أمير المؤمنين بدًّا... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

وزارته أن يقلد سنان بن ثابت الطبيب أمرَ جميع المارستان بمدينة السلام، وكانت خمسةً من الجانبين، ومارستان مكة والمدينة وطَرَسُوس، وقيل: كان ببغداد أربعُ مارستانات سوى مارستان عليِّ بن عيسى الوزير[١].

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك [أيضاً].

وفيها توفي

زيادة الله بن عبد الله

ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، أبو نَصْر، وقيل: أبو منصور، صاحبُ القيروان.

[ذكره الحُميدي في «تاريخ المغرب» قال:][٢] ويقال له: زيادةُ الله الأصغر، وجدُّ جدِّه [يقال له:] زيادة الله الأكبر.

[و] قال الصوليّ: وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازنيّ، وكان عمرو من أهل البصرة، ولَّاه الرشيدُ المغربَ بعد موت إدريس بن عبد الله بن حسن، فأقامَ بها حتى توفي وخلف ابنُه الأغلب بن عمرو، ثمَّ وليها أولاده صاغراً عن كابر، حتَّى صار الأمرُ إلى زيادة الله هذا، [وهو الأصغر].

وقال الحميدي: [و] لهم بإفريقية آثارٌ عظيمةٌ، حتى قيل إنَّهم بنوا بأرضها ثلاثينَ حصناً، وبنى إبراهيمُ جدُّ زيادة الله المَحَارِسَ على سواحل البحر، حتى كانت النيران توقدُ في ليلةٍ واحدةٍ من طنجة فتصلُ إلى الإسكندرية، [وذكر][٣] الصولي: كان العباس ابن الحسن وزير المكتفي قد كاتب زيادةَ الله الأصغر وراسله، ورغَّبَه في الطاعة، فأجاب، وبعث إلى المكتفي بهدايا وخدمٍ وخيلٍ وطِيبٍ وثيابٍ [ودراهم] ودنانير، [في] كل دينار عشرة دراهم[٤]، [وفي كل درهم عشرة دراهم][٥]، وكتب على الدينار

---

(١) بعدها في (ف): المحارمات محول. وفي (م١): المحار بباب محول.
ومارستان علي بن عيسى بناه في الحربية كما في المنتظم ١٣/ ١٥١.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): قال الحميدي.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال.

(٤) كذا، وفي تاريخ دمشق ٦/ ٤٦٤ (مخطوط)، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٩ : في كل دينار عشرة دنانير.

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): ودراهم كل درهم عشرة دراهم.

والدرهم من الجانبين؛ أمَّا الجانب الواحد: [من الكامل]

يا سائراً نحوَ الخليفةِ قل له ... أنْ قد كفاكَ اللهُ أمرك كلَّه
بزيادةِ الله بن عبدِ الله سيـ ... ـفِ الله من دونِ الخليفةِ سَلَّهُ

وعلى الجانب الآخر: [من الكامل]

لا يَنبري لك بالشِّقاقِ مُنافقٌ ... إلَّا أباحَ حَريمَه وأذلَّهُ
من لا يرى لك طاعةً فالله قد ... أعماه عن سُبلِ الهُدى وأضلَّهُ

فاتَّفقَ موتُ رسوله ببغداد.

ثمَّ ورد زيادةُ الله إلى مصر مُنهزماً من عبيد الله العلوي الخارج بالمغرب، فكتبَ العباسُ بن الحسن إلى ابن بسطام بأن يكرمه ويقيم له الأنزال[1]، ويقيمَ عنده، فأقامَ [عنده] شهوراً، ثمَّ توفِّي في هذه السنة [وهذا قولُ الصولي].

وأمَّا في تواريخ المغاربة؛ فإنَّ زيادة الله إنَّما دخلَ الشام [في] سنة اثنتين وثلاث مئة، حين غُلِب [على] ملكه بإفريقية، وقَصدَ بغداد، فردّ [من] دمشق إلى مصر، فمات بالرملة في هذه السنة.

وقال ثابت: نزلَ بالرقَّة وماتَ بها [والأصح: بالرملة].

وقال الصوليّ: كان لزيادةِ الله ولدٌ اسمه خَطَّاب [وكان من أحسن ما يكون من الشباب، ومن جماله أنهم كتبوا اسمه على السِّكَك][2]، بلغَ أباه عنه ما يكره، فقيَّده بقيدٍ ثقيلٍ من ذهب وحبسَه، وكان يحبُّه، وكان عبدُ الله بن الصائغ على البريد، [دخل يوماً على الغلام][3]، فرآه مقيَّداً، فكتب إلى أبيه زيادةِ الله يقول: [من البسيط]

يا أيُّها الملكُ المَيْمون طائرُه ... رفقاً فإنَّ يدَ المَعْشوقِ فوقَ يدكْ
كم ذا التجلُّد والأحشاءُ واجفةٌ ... أعيذُ قلبكَ أنْ يسطو على كبدِكْ

فطربَ زيادةُ الله، وفكَّ القيدَ من رجلِ ولده، وأعطى القيدَ لعبد الله بن الصائغ، ورضيَ عن ولده.

---

(١) الأنزال: جمع نُزُل، وهو ما يهيّأ للنَّزيل. لسان العرب (نزل).

(٢) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): من أجمل الشباب وأحسنهم.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): فدخل عليه.

يَموت بن المُزَرِّع

ابن يَموت، أبو بكر، العَبْديّ، من عبد قيس، أبو بكر.

بصريٌّ رحلَ عن البصرة، وقدم بغداد سنةَ إحدى وثلاث مئة، وهو شيخٌ كبير، ثمَّ خرجَ إلى دمشق، وأقام بطَبَرِيّة، ومات بها سنة ثلاث وثلاث مئة، وقيل: هذه السنة(١).

وكان صاحب مُلَحٍ وآداب، وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ. وقيل: اسمه محمد، والغالبُ عليه يموت، وكان إذا عادَ مريضاً يُسْقِطُ يموت، ويقول: ابن المُزَرِّع.

حدَّث عن المازنيّ وغيره، وروى عنه الخرائطي وغيره.

ومن رواياته عن ابن عباس قال: ما صرفَ الله سليمانَ عن الهُدهد إلا ببرِّ الهُدهد لأمِّه.

وكان ثقةً. وفيه يقول الشاعر: [من مجزوء الرمل]

أنــت تَــحــيــى والــذي يــكــ ـرهُ أنْ تــحــيــى يــمــوتُ
أنــتَ صِــنْــو الــنــفــس بــل أنــ ـتَ لــروحِ الــنــفــسِ قــوتُ
أنــتَ لــلــحــكــمــة بــيــتٌ لا خــلــت مــنــكَ الــبــيــوتُ(٢)

[وفيها توفي]

يوسف بن الحسين بن عليّ

أبو يعقوب، الرَّازي، شيخُ الرَّيّ والجبال في وقته.

[و] كان أوحدَ زمانه في طريقته، عالماً ديِّناً، وطريقته إسقاط الجاه، وتركُ التصنُّع، واستعمال الإخلاص.

أثنى عليه الأئمَّة، فقال السُّلمي: هو إمامُ وقتِه، لم يكن في المشايخ مثلُ طريقته في تذليلِ النفس وإسقاطِ الجاه.

---

(١) هو قول أبي سعيد بن يونس المصري. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٥٢٥ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٢٣ ، ووفيات الأعيان ٧/ ٥٣ ، والمنتظم ١٣/ ١٧٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٦٤ . ولم ترد هذه الترجمة في (ف) و(م١).

[و] قال القشيريّ: كان نسيجَ وحده[١] في إسقاط التصنُّع، وهو القائل: لأن ألقَى الله بجميع المعاصي أحبُّ إليَّ من أن ألقَاه بذرَّةٍ من تصنُّع[٢].

[وأثنى عليه ابن باكويه، وابن جهضم، وأبو نعيم، وصاحب «المناقب»، وغيرهم]، وكان كثيرَ السياحة، قد كتب على عُكَّازه: [من السريع]

سر في بلاد الله سيَّاحا وابك على نفسِك نوَّاحَا
وامشِ بنورِ الله في أرضِه كفَى بنورِ الله مِصْباحَا

وهو صاحب واقعةِ الفأرة مع ذي النون، وقد سألَه يعلِّمه الاسمَ الأعظم، وقد ذكرناها[٣].

[وحكى في «المناقب» عن أبي حسين الدرَّاج قال:][٤] خرجتُ من بغداد إلى الرَّيِّ قاصداً زيارة يوسف بن الحسين، [قال:] فدخلتُ الرَّيّ، فسألتُ عن منزله، فكلٌّ من سألتُه عنه يقول: إيش تصنعُ بذلك الزنديق؟ [قال:] فضيَّقوا صدري، وعزمتُ على أن أنصرفَ ولا أراه، فبتُّ بمسجدٍ، ثم أفكرت وقلت: وصلتُ إلى هنا ولا أراه! فأتيتُه وهو قاعدٌ في محراب مسجده، وبين يديه مصحف وهو يقرأ فيه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ وقال: من أين أنت؟ قلت: من بغداد، أتيتُ لزيارة الشيخ، فقال [لي:] لو قال لك أحدٌ في بعض البلدان: أقم عندي حتَّى أشتريَ لك داراً وجاريةً، أكان يمنعُك ذلك من زيارتي؟ فقلت: ما امتحنني اللهُ بشيءٍ من ذلك، ثم قال: أتحسنُ أن تقول شيئاً؟ قلت: نعم، فقال: [قل]، فقلت: [من الطويل]

رأيتُك تبني دائباً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدَّمتَ ما تبنِي

فأطبقَ المصحفَ وبكى حتَّى بلَّ ثوبَه ولحيته، فرحمتُه من كثرةِ بكائه، ثمَّ قال: تلومُ أهلَ الرَّيِّ إذا قالوا عني: [إني] زنديق، وأنا من وقت صلاة الصبح أقرأ في المصحف، إلى [هذه] الساعة لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت عليَّ القيامة بهذا البيت[٥].

---

(١) في (ف) و(م١): كان شيخ وقته.
(٢) الرسالة القشيرية ص٩٧.
(٣) من قوله: وهو صاحب واقعة... إلى هنا، ليس في (ف) و(م١). وما سلف بين حاصرتين منهما.
(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقال أبو الحسين الدراج.
(٥) مناقب الأبرار ١/ ٤٠٥، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٦.

[قلت: لا بأس على يوسف في هذا، فإنَّ الرِّقَّةَ تحصلُ تارةً بسماع القرآن، وتارةً بسماع الشعر، على قدر الأحوال والأوقات، والقلوب بيد الله تعالى يقلبها كيفما شاء، والقرآن جدٌّ كله فيحتاج إلى حال وقت.

ذكر](١) نبذة من كلامه(٢):

[حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: أكثرُ الناسِ حبًّا للدنيا أكثرُهم لها ذمّا عند أبنائِها؛ لأنَّ ذمَّهم لها حرفةٌ عندهم(٣).

وقال: لو طرقتِ التوبةُ بابي ما أذنتُ لها، عَلى أنِّي(٤) أنجو بها من ربِّي، ولو أنَّ الصدقَ والإخلاصَ كانا عبدين لي لبعتُهما؛ لأنِّي إن كنت في علم الله سعيداً لم أتضرَّر مع السعادة، وإنْ كنتُ عنده شقيًّا محروماً لم تنفعني توبتي ولا صِدقي، فاعتمادي على الله أولَى من اعتمادي على صفاتي المدخولة، وأفعالي المعلولة(٥).

[قال:]وسُئِل عن معنى قوله عليه السلام: «يا بلالُ، أرحنا بها»(٦)، فقال: معناه: أرحنا بالصلاة من أشغال الدنيا وحديثها؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام كانت قرَّةُ عينه في الصلاة(٧).

وقال: عينُ الأمل عوراء، [وفي رواية: عين الهوى].

وسئل عن السماع فقال: أودع الله الأسرار والعقول لطائف الإقرار يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وتلك اللطائف تنيل كلَّ نعمةٍ طيبةٍ وشيءٍ مُسْتَحسَنٍ، فإذا سمعته أو رأته اضطربت(٨).

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٢) وقعت هذه الفقرة: (ذكر نبذة من كلامه) في النسخة (خ) مرتين، الأولى أقحمت فيها خطأً إثر ترجمة محمد ابن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، والثانية هنا، فأثبتها هنا، وحذفتها من الموضع الأول، وقد جاء في الموضع الأول أقوالٌ لم ترد هنا فزدتها ولم أشر إليها، وما سيرد بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) مناقب الأبرار ١/ ٤٠١.

(٤) في (خ) و(ف) و(م١): علي أن. والمثبت من طبقات الصوفية ص١٨٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٣٩، ومناقب الأبرار ١/ ٤٠١.

(٥) مناقب الأبرار ١/ ٤٠١-٤٠٢.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٢٣٠٨٨).

(٧) مناقب الأبرار ١/ ٤٠٣.

(٨) مناقب الأبرار ١/ ٤٠٥، ومن قوله: وسئل عن السماع... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

[قال:] وكان يقول: إلهي، [توبةٌ] أو مغفرة، فقد ضاقت بي أبواب المعذرة.

[قال:] وكان ينشد [ويقول:] [من البسيط]

وأذكركم في السِّرِّ والجَهْر دائماً[1] وقلبي لديكُم في الوثاقِ أسيرُ
لتعرف نفسي قُدرةَ الربِّ إنَّه يُدبِّرُ أمرَ الخلقِ وهو قديرُ

وقيل [له:] ما بال المحبِّ يتذلَّلُ لمحبوبه، ويجد الذل عزًّا؟! فأنشد:

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مَكرُمةٌ وخضوعه لحبيبه شَرفُ[2]

[وروي عن يوسف بن الحسين الرازي أنه] قال: كلَّما رأيتموني أفعلُه فافعلوه، إلا صحبة الأحداث، فإنَّها أفتنُ الفتن، ولقد عاهدتُ الله أكثر من مئة مرة ألا أصحبَ حدثاً فيفسخها عليَّ حسنُ الخدود[3]، وقوامُ القدود، وغنجُ العيون، وما يسألني الله تعالى معهم عن معصيةٍ قط، وأنشدَ لصريع الغواني: [من الخفيف]

إنَّ وَرْدَ الخدودِ والحدقَ النُّجْـ ـلَ وما في الثُّغورِ من أقحوانِ
واعوجاجَ الأصداغِ في ظاهر الخدّ وما في الصدورِ من رُمَّانِ
تركتني بين الغَواني صَريعاً فلهذا أُدْعَى صَريعَ الغواني[4]

[وذكر في «المناقب» عنه أنه لَمَّا] مات[5] رآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال [له:] ما فعلَ الله بك؟ قال: غفر لي، قال: بماذا؟ قال: ما خلطت جدًّا بهزل.

[ذكر وفاته:

واتفقوا على أنه مات في هذه السنة] في بعض[6] أسفاره وسياحاته.

وقال [الخطيب بإسناده عن] أبي خَلَف الوَزَّان [قال:] رُئي يوسف [بن الحسين] في

---

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٤٠٦: دائباً.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٤٠٦.

(٣) في طبقات الصوفية ص١٩١: ففسحها على حسن الخدود.

(٤) من قوله: فيفسخها.. إلى هنا ليس في (ف) و(م١). وانظر مناقب الأبرار ١/ ٤٠٢-٤٠٣، والأبيات في شرح ديوان صريع الغواني ص٣٤٣ (ذيل الديوان).

(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): ولما مات.

(٦) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): ومات في بعض.

المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني، قيل: بماذا؟ قال: بكلماتٍ قلتُها عند الموت، قلت: اللهمَّ إنِّي نصحتُ خلقَك ـ [أو الناس] ـ قولاً، وخُنْتُ نفسي فعلاً، فهب خيانةَ فعلي لنصح قولي[١].

وفي رواية: اللهمَّ إنِّي نصحتُ خلقَك ظاهراً، وغششتُ نفسي باطناً، فهب لي غشِّي لنفسي لنُصحي لخلقك[٢].

أسند [يوسف] الحديثَ عن جماعةٍ منهم الإمام أحمد رحمه الله[٣]، قال: قلت لأحمد رحمة الله عليه: حدِّثني، فقال: ما تصنعُ بالحديث يا صوفيّ؟ فقلت: لا بدّ، فقال: حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاريّ، عن هلال بن سويد أبي المُعَلَّى، عن أنس بن مالك قال: أُهديَ إلى النبيِّ ﷺ طائران، فقُدِّم إليه أحدُهما، فلمَّا أصبح قال: «هل عندكم من غداء؟» فقُدِّمَ إليه الآخر، فقال: «من أين هذا يا بلال؟» فقال: خبأتُهُ لك، فقال: «أنفق يا بلال، ولا تخفْ من ذي العرش إقلالاً، إنَّ الله يأتي برزق كلِّ يوم»[٤].



(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٧.

(٢) هذه الرواية ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٦، لكن ليس فيها حكاية رؤيا، بل قيل له ـ وهو يجود بنفسه: قل شيئاً. فقال: اللهم إني نصحت...

(٣) بعدها في (ف) و(م١): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وسلم.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ وإسناده ضعيف لضعف أبي المعلى. وانظر مسند أحمد (١٣٠٤٣).

السنة الخامسة والثلاث مئة

[و] فيها قدمت رُسُلُ ملك الروم إلى بغداد على طريق الفرات بهدايا [عظيمة وتُحَف.

واختلفت الروايات فيها، فقال ثابت بن سنان: ورد رسولان [لملك الروم على طريق الفرات] بهدايا عظيمةٍ، وألطافٍ كثيرة، يلتمسان الهُدنة، فأقاما بهِيْت[1] مُدَّةً حتى استُؤذِن لهما، فدخلا بغداد يوم الإثنين لليلتين خلتا من المحرم، فأُنزلا في الدار المعروفة بصاعد بن مَخْلَد، وحُمل إليهما ما يحتاجان إليه من سائر الآلات والأواني، وأقيمت لهما الأنزال والضيافاتُ، والتمسَا الوصولَ على المقتدر؛ ليبلغا الرسالة [التي معهما]، فأُعلِما أنَّ ذلك [متعذِّر] لا يمكن إلا بعد لقاء الوزير، [وتقرير الأمر معه]، وهو يخاطبُ الخليفة، فأُرسلا إلى الوزير، فجلسَ لهما واحتفل، وأقام غلمانَه ومماليكَه والعساكرَ في طريقهما، وفرشَ داره ـ وتعرف بدار البستان ـ وعَلَّق فيها من السُّتور ما يساوي ثلاثينَ ألف دينار، وجلس مجلساً لم يجلسه وزير، والخدمُ بين يديه وخلفه، [و] القوَّاد والأولياء عن يمينه وشماله، ودخل عليه الرسولان، وأحدُهما شيخٌ قد نيَّفَ على السبعين، والآخر [شاب له] نحو من أربعين سنة، فشاهدا من الجَمْع[2] والفَرْشِ والسُّتُور والزينة ما هالهما، وكان معهما أبو عمر بن عبد الباقي يترجمُ لهما، فذكرا ما وصلا بسببِه من الفداء والصلح، وسألاه أن يسألَ المقتدر [في] ذلك، فوعدهما [أن يخاطب الخليفة][3] وخرجا [من عنده على تلك الحال].

ثم خاطب المقتدر [فيهما]، فأجابه إلى إحضارهما [وما سألا]، وتقدَّم بأن تُشحن رحابُ الدار والدهاليز والممرَّات بالرجال والسلاح، وأن تفرشَ سائرُ القصور بأحسنِ الفرش، ثمَّ [أمر بإحضار الرسولين، فأحضرا][4]، والمقتدرُ [جالسٌ] على سرير، والأولياء على مراتبهم، وأبو الحسن بن الفرات قائمٌ بالقرب منه، ومؤنس الخادم

---

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٤١٩ أنهما احتبسا شهراً بتكريت.

(٢) في (م١): الجميع.

(٣) في (خ): بمخاطبته. والمثبت من (ف) و(م١).

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١) وفي (خ): ثم أحضرا.

دونه، والخدمُ عن يمينه ويساره، فلمَّا دخلا قبَّلا الأرض[1]، وأدَّيا [الأمانة و] الرسالة إلى الوزير، والوزيرُ يعيدها على المقتدر، ثمَّ خرجا وخُلِعَ عليهما، وأمر مؤنساً أن يتجهَّز للمسير معهما ليحضر الفداء [هذا حاصل ما ذكره ثابت بن سنان][2].

و[قد] ذكر الصولي وغيرُه احتفالَ المقتدر [بالرسل] فقالوا[3]: أقام المقتدرُ العساكرَ، وصفَّهم بالسلاح، وكانوا مئةً وستينَ ألفاً، وأقامَهم من باب الشماسيَّة إلى دار الخليفة، وبعدَهم الغلمان الحُجَريَّة، والخدمُ الخاصَّة بالثياب الحرير والمناطق المحلَّاة، وكانوا سبعةَ آلاف خادم، منها أربعةُ آلاف بيض، وثلاثة آلاف سود، [وكان الحجَّابُ] سبع مئة حاجب، وفي دجلة الطيَّارات والسمَّاريَّات والزبازب[4] مزيَّناتٍ [بأفضل زينة].

وأُدخِل الرسولان من باب الشماسيَّة، فمرا بدار نصرٍ الحاجب، فشاهدا من الزينة والغلمان والسلاح ما هَالهما، فظنَّا أنَّها دارُ الخلافة، فقيل لهما: هذه دارُ الحاجب، ثمَّ دَخلا دارَ الخلافة فشاهدَا أمراً عظيماً، وكانت السُّتورُ ثمانيةً وثلاثين ألفَ ستر من الديباج المذهب، ومن البُسُط الفاخرة اثنانِ وعشرون ألفَ بساط، وكان في الدار قطعانٌ[5] من الوحش تأنسُ بالناس وتأكلُ من أيديهم، وكان فيها مئةُ سَبُع، كلُّ سَبُعٍ بيد سبَّاع.

ثمَّ أُدخلا دار الشجرة، وكان في وسطها بركةٌ، والشجرةُ فيها، وكان لها ثمانية عشر غصناً، لكل غصنٍ منها شاخات[6] كثيرةٌ، عليها الطيور والعصافير من كلِّ نوعٍ، مذهبةٌ

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٤٢٣ أن الرسول وترجمانه مثلا بين يدي المقتدر بالله، فكفَّرا له. أي أنهما أومأا برأسَيهما من غير سجود.

(٢) ما سلف بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٣) في (ف) و(م١): فقال.

(٤) هذه الثلاثة المذكورة من أنواع القوارب المستعملة ببغداد ـ كما ذكره محقق تاريخ بغداد ١/ ٤١٨.
وقال مصطفى عبد الكريم الخطيب في معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص٢٥٧: السمارية من أنواع المراكب التي عرفها العرب منذ العصر العباسي، شبهها البعض بالعوامة.

(٥) كذا في (خ) والمنتظم ١٣/ ١٧٥. وفي (ف) و(م١): قطيعان.

(٦) في (خ): ساجات. وفي (ف) و(م١): سياجات. والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٤٢٢، والمنتظم ١٣/ ١٧٥.
ووقع في المغرب في ترتيب المعرب ص١٢٩: فراخ الزرع: شاخاته. وفي المعجم الذهبي ص٣٦٠: شاخ: فرع غصن.

ومفضَّضةٌ، وأكثرُ قضبان الشجرة عليها ذهبٌ وفضَّةٌ؛ وهي تتمايل[١] ، ولها ورقٌ مختلفُ الألوان، وكلُّ طائرٍ من هذه الطيور يَصفر، ثم أُدخلا إلى الفِرْدوس، وفيه من الفَرْشِ والآلات ما لا يُحْصَى، وفي دهاليزه عشرةُ آلاف جوشنٍ مُذْهبَة معلَّقة.

ووصل[٢] الرسولان إلى المقتدر وهو جالسٌ على سرير من الأبنوس، مطعَّمٌ بالذهب والفضَّة، وعن يمين السرير تسعةُ عقودٍ من أفخر الجوهر معلَّقة، وعن يساره مثلها، [وهي من أفخر الجواهر التي تضيء]، وضوءها يغلبُ على ضوء النهار.

ووقفَ الرسولان من الخليفة على نحو مئةِ ذراع، وابن الفرات قائمٌ بين يديه، والترجمان يترجم عنهما، ثم أُخرجا وطِيف بهما في الدار، وعلى الشط، والفيول[٣] مزيَّنةٌ قائمةٌ، والزرافة والسباع والفهود وغيرها.

ثمَّ خلع عليهما، وحُمل إلى كلِّ واحدٍ منهما خمسون ألف درهم[٤] ، وثيابٌ وغيرها.

[وفي غير رواية الصولي وثابت بن سنان أنه][٥] كان من باب الشماسية إلى قريبٍ من سوق الثلاثاء دربٌ يقال له: درب المنائر، فيه ألفُ منارةٍ، ومُرَّ بالرسولين فيه[٦] وقت الظهر، وأُمِر المؤذنون فأذنوا جملةً، فكادت الدنيا أن تتزلزل، وخاف الرسولان، ولما عادا إلى قيصر أخبراه بما شاهدا[٧]، وكان في عزمه غزو العراق، فرجعَ عن ذلك، وأطلقَ المقتدرُ لمؤنس مئةَ ألفٍ وسبعين ألف دينار للطريق، فسار مع الرسولين، وتمَّ الفداء على يديه، فيقال: إنَّه استنقذَ من المسلمين خمسة آلاف وخمس مئة.

وفيها وردت هدايا أحمد بن هلال صاحب عُمان، [و] فيها طائر أسود يتكلَّم

(١) في (خ) و(ف) و(م١): تماثيل. والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٤٢٢ ، والمنتظم ١٣/ ١٧٥ .
(٢) في (خ): ودخل.
(٣) وفي المنتظم ١٣/ ١٧٥ : وطيف بهما في الدار حتى أُخرجا إلى دجلة، وقد أُقيمت على الشطوط الفيلة.
(٤) في تاريخ بغداد ١/ ٤٢٤ : وحمل إليهما خمسون بدرةً ورقاً، في كل بدرة خمسة آلاف درهم.
(٥) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١). وفي (خ): وقيل.
(٦) في (ف) و(م١): في الدرب.
(٧) في (ف) و(م١): بما شاهدوا بالمنائر والأذان.

بالفارسية والهنديَّة أفصحَ من الببغاء، وظباء سود[١].

وكان على البصرة الحسنُ بن الخليل بن ريمال الفَرْغاني، فثارت فتنةٌ عظيمة، وثار العوامّ، وأحرقُوا جامعَ البصرة[٢]، فركبَ الفرغانيُّ وقتلَ منهم مقتلةً عظيمة، ثم ضعفَ عن قتال العوام، فخرجَ إلى واسط ومعه وجوهُ أهل البصرة، ثمَّ صرفَه المقتدرُ، وولَّى مكانَه أبا دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعي، فأقامَ على ولايتها سنةً، ثمَّ صُرِفَ وأقام بالبصرة بعدَ عزله لم يحدِّث، فكان مستمليه يقول: حدَّثكم أبو دلف هاشمُ بن محمد الخزاعي، أمير البصرة كان[٣].

[وفي جمادى الآخرة توفي غريب خال المقتدر][٤].

وفيها خُلِعَ على أبي الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان وإخوته خِلَع الرِّضا.

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك [أيضاً].

وفيها توفي

سليمان بن محمد بن أحمد

أبو موسى النَّحْوي، ويعرف بالحامِض.

صحب ثعلباً أربعينَ سنة، وأخذ عنه نحو الكوفيين، وجلس مكانه بعد موته، وله التصانيف الكثيرة منها «خلق الإنسان»، وكتاب «الوحوش» و«النبات» و«غريب الحديث» وغيره، وكان ديِّناً صالحاً.

توفي في ذي الحجَّة، ودفن بباب التِّبن، رحمَه الله[٥].

---

(١) في (ف) و(م١): وظبياً أسود. والمثبت من (خ) والمنتظم ١٣/ ١٧٦.

(٢) في أوراق الصولي (ما لم ينشر) ص١١٣، وصلة تاريخ الطبري ص٦٣ أنَّ الحسن بن خليل هو أحرق السوق التي حول الجامع، وركضت خيله في المسجد، وقتلوا جماعة من العامة ممن كان في المسجد. وفي المنتظم ١٣/ ١٧٦: وأُحرِق الجامع....

(٣) من قوله: وكان على البصرة... إلى هنا ليس في (ف) و(م١).

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) و(م١).

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٨٥، والمنتظم ١٣/ ١٧٦. وهذه الترجمة وما بعدها من تراجم إلى آخر هذه السنة لم يرد في (ف) و(م١).

عبد الله بن أحمد

ابن أبي الحَواري، أبو محمد، الزَّاهد ابن الزاهد.

كان على طريقة أبيه حتى صار من أعيانِ المشايخ بالشام، وكان له رياضات وسياحات.

أسند عن أبيه وغيره، وروى عنه محمد[١] بن سليمان الرَّبَعي وغيره، وأجمعوا على دينه وصدقه وثقتِه وزهدِه وورعِه.

عبد الصَّمد بن عبد الله

أبو محمد، القُرَشيّ، قاضي دمشق.

حدَّث عن هشام بن عمار وغيره، وكان ثقةً[٢] .

غَريب

خال المُقتدر، أخو السيِّدة.

كان مُقدَّماً في الدولة محترماً، وكان فيمن قاتل ابن المعتز، وقرَّر أمر المقتدر.

ومرض بعلَّة الذَّرَب والشَّخخ، ومات ليلة الخميس لتسع بقين من ذي الحجة، وقيل: في جمادى الأولى[٣] .

وصلَّى عليه الوزير ابنُ الفرات[٤] وأربابُ الدولة، وله عقبٌ ببغداد بالحريم.



(١) في (خ): أحمد. والتصويب من تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٢٥ (طبعة مجمع اللغة)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٦٦ .

(٣) تقدم قريباً أنه توفي في جمادى الآخرة، وانظر الأوراق (ما لم ينشر) ص١١٧ ، وصلة تاريخ الطبري ص٦٥ .

(٤) في الأوراق (ما لم ينشر) ص١١٧ ، وصلة تاريخ الطبري ص٦٥ أن أحمد بن العباس الهاشمي أخو أم موسى هو الذي صلى عليه. وفي تكملة تاريخ الطبري ص٢١٢ : وحضر ابن الفرات جنازته بداره.

السنة السادسة وثلاث مئة

[قال ثابت بن سنان:] وفي أول يوم من المحرَّم فتح والدي سنانُ بن ثابت مارَستان السيدة أمّ المُقتدر الذي بنته بسوق يحيى على دجلة، ورتب[١] فيه الأطباء، وكان مَبلغُ النَّفقةِ عليه في كل شهر ست مئة دينار، وأشار سنان بن ثابت على المقتدر ببناء مارستان، فبناه بباب الشام وولاه سناناً، فكانت النفقة عليه في كل شهر مئتي دينار.

وفي ربيع الأول مات محمد بن خلف وكيع القاضي[٢]، وولّى المقتدر أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البُهلول ما كان يتولاه وكيع من القضاء بالأهواز؛ مضافاً إلى ما كان يتولاه إليه من القضاء بمدينة أبي جعفر.

وفي جمادى الأولى أمر المقتدر بقتل الحسين بن حَمْدان في حبسه، فقُتل وقت المغرب لثلاث عشرة بقين منه، وحُمِل[٣] ابنه إلى حبس الجرائم.

وفي يوم الخميس لليلة بقيت منه[٤] قبض على الوزير أبي الحسن بن الفُرات فكانت مدة وزارته الثانية سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

[وقال ثابت بن سنان:] وكان السبب في صرفه [في هذه المرة] أنه أخَّر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القُوّاد، واحتجَّ بضيق الأموال، والتمس من المقتدر إطلاق مئتي ألف دينار من بيت مال الخاصة، فغضب عليه[٥] المقتدر وقال: فأين ما ضمنتَ من القيام بالنَّفقات في الجند وغيرهم؟ فاحتج بكثرة الخَرْج، فلم يقبل عُذره وتنكَّر له.

وكان المقتدر يميل إلى حامد بن العباس ضامن واسط وتلك النواحي، وكذا أم المقتدر ونصر الحاجب؛ لأنه كان يُهاديهم ويحمل إليهم، فأشاروا على المقتدر بتقليده

---

(١) في (ف): ورتبت، وما سلف ويأتي مما هو بين معكوفات منها ومن (م١).

(٢) في المنتظم ١٣/ ١٧٨ أنه مات في ربيع الآخر.

(٣) في (ف م١): ونقل، والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م١): لثلاثة بقيت من جمادى الأولى، وفي: ما لم ينشر من أوراق الصولي ص١٢٠ ، وصلة تاريخ الطبري ص٦٨ : لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر.

(٥) في (خ): فصعب على، والمثبت من (ف م١).

الوزارة، فكتب إليه فقدم، وعزل ابن الفُرات، ودخل حامد في زِيٍّ عظيم إلى بغداد، وخلفه أربع مئة غلام يحملون السلاح، وخدم وحشم، فخلع عليه وجلس في الديوان أياماً، فظهر منه قلَّةُ معرفة، وسوءُ تدبير مع حدة وغضب، وبلغ المقتدر فأراد عزلَه، فقيل لحامد: اطلب عليَّ بن عيسى من المقتدر يكون معك، وكان حامد صديقاً لعلي أيام وزارته، فطلبه فأطلقه المقتدر، وباشر الأمور بنفسه، فاستقامت الأحوال، وقوي أمر علي بن عيسى حتى بلغ أعلى من مرتبة الوزارة[١]، ولم يبق لحامد غير الاسم، ويحضر عند المقتدر فلا يشاوره في شيء، والحلُّ والعقد لعلي بن عيسى.

وكان أبو علي بن مُقلة يكتب بين يدي حامد بن العباس ويوقّع، ولم يبق لحامد إلا لُبسُ السَّواد وحضوره دار الخلافة[٢]، فقال شاعر فيهما: [من مخلع البسيط]

هـــذا وزيـــرٌ بـــلا ســـوادٍ وذا سَـــوادٌ بـــلا وزيـــرِ

وقال ثابت بن سنان[٣]: كان علي بن محمد بن الحَواري قد أشار على المقتدر بتولية حامد، فلما قدم بغداد ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة أقام تلك الليلة في دار السلطان عند نصر الحاجب في دار الحِجْبة، وجلس يتحدَّث، فبان للقُوَّاد وخواص المقتدر ما فيه من الحدَّة وقلَّة الخبرة بأمور الوزارة، وبلغ المقتدر فعتب على ابن الحَواري حيث أشار به، فوصفه باستخراج الأموال، والهيبة عند العمال والسَّراة[٤]، وكثرة الغلمان ونحو ذلك، وأشار في عرض كلامه بإطلاق علي بن عيسى وتقليده الدواوين نيابة عن حامد، فامتنع المقتدر من ذلك إلا أن يسأله حامد، فاحتال ابن الحواري على حامد بذلك، وعرَّفه سوء أدب الخاصة، وحوائج الحاشية، وأوهمه أنه [إن] لم يسأل ذلك فعل مُراغمة له.

فلما دخل حامد على المقتدر سأله إطلاق علي، وأن يكون خليفته على الدَّواوين، وأثنى عليه، فقال له: ما يجيب علي إلى ذلك، ولا يرضى أن يكون تابعاً بعد أن كان

(١) في (م١): من مرتبته في الوزارة، وفي (خ): أعلى مرتبة الوزارة، والمثبت من (ف)، وانظر المنتظم ١٣/ ١٨٠ .
(٢) في (ف) و(م١): الخليفة.
(٣) من هنا إلى قوله: وفيها أمرت أم المقتدر؛ ليس في (ف) و(م١).
(٤) في النسخ الخطية (السار)، ولعل الصواب: السَّراة، وهم السادة والأشراف. تاج العروس: (سرى).

مَتبوعاً، فقال حامد بحضرة الناس: ولِمَ لا يجيب، وإنما مثل الكاتب كمثل الخيَّاط؛ يَخيط ثوباً قيمته ألف دينار يوماً، ويوماً يَخيط ثوباً بعشرة دراهم ؟! فضحك المقتدر والناس منه.

ومما عيب عليه: أن أم موسى القَهْرَمانة خرجت إليه يوماً برُقْعَة من المقتدر، فقرأها ووضعها بين يديه، وكان قد شرع يتحدَّث في بَثْق انفجر بأرض واسط، والقهرمانة واقفة تستعجله بالجواب، فما أجاب عن الرُّقعة حتى فرغ من حديث البَثْق.

وخلع المقتدر على ابن عيسى خِلْعَةً دون خلعة الوزارة، وبعث به إلى حامد مع نَصْر الحاجب وشَفيع المقتدري، فأكرمه حامد ورفعه عليهما؛ حتى أجلسه على بساط الدّست، وانصرف إلى منزله، وكان يتردَّد إلى دار حامد.

وفيها عَزل علي بن عيسى أبا القاسم علي بن أحمد بن بسطام من جند قِنَّسرين والعواصم، وقلّد الشام ومصر أبا علي الحسين بن أحمد الماذَرائي، وقرَّر عليه في كل سنة عن خراج الشام ومصر ثلاثة آلاف ألف دينار خارجاً عن نفقات الجيوش وغيرهم تُحمل إلى المقتدر[١].

وفيها أمرت أمُّ المقتدر ثَمَل القَهْرَمانة أن تجلس[٢] بالتُّرْبة التي بنتها بالرُّصافة للمظالم، وتنظر في رِقاع الناس في كل جمعة، فكانت تجلس في كل جمعة، وتُحضر القضاةَ والفقهاء والشهود والأعيان، وتَبرز التواقيع وعليها خطها، وكان القاضي في هذه السنة أبو الحسين الأُشناني، فكانت القهرمانة تنظر في القصص وتدفعها إلى القاضي، فيقف عليها ويستدعي الأجوبة.

[قال القاضي علي بن أحمد: وهذا شيء لم يَجْرِ في دولة أبداً.

واختلفوا فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة؛ فذكر جدي في «المنتظم» وقال: حج بالناس الفضل بن عبد الملك أيضاً.

---

(١) انظر تكملة تاريخ الطبري للهمذاني ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٢) في (ف) و(م١): وفي هذه السنة أمرت أم المقتدر قهرمانة لها ثمل أن تجلس، والمثبت من (خ)، وانظر صلة تاريخ الطبري ص٦٧ ، والمنتظم ١٣/ ١٨٠ .

وقال ثابت بن سنان: حج بالناس أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة[١].

فصل وفيها توفي

أحمد بن حسن بن عبد الجبَّار

أبو عبد الله، الصُّوفي، سمع يحيى بن مَعين وغيره، وروى عنه محمد بن المُظَفَّر وغيره.

وكان ثقة إلا أنه روى حديثين لا يَصحّا عن رسول الله ﷺ؛ قال: «مَن لَقم أخاه لُقمة حَلْوى صرف الله عنه سبعين بَلْوى».

أما الحديث الأول ففي إسناده ابن الفَرُّخان؛ ذاهب الحديث، إلا أن الحمل فيهما على مَن ذكرنا لا على صاحب هذه الترجمة لأنه كان ثقة][٢].

وفيها توفي

أحمد بن عمر بن سُرَيج

أبو العباس، القاضي، صاحب مسألة الدَّور في الطلاق.

قال الدارقطني: كان فاضلاً لولا ما أحدث في الإسلام من المسألة.

وقال الخطيب: انتهت إليه رياسة أصحاب الشافعي، وشرح المذهب ولخّصه، وصنّف المسائل في الفروع.

[وحكى الخطيب عنه بإسناده] قال: رأيت في المنام كأنا مُطرنا كبريتاً أحمر، فملأتُ أكمامي وجيبي وحِجْري، فعُبِّر لي أني أُرزق علماً عَزيزاً كعِزّة الكبريت الأحمر[٣].

---

(١) من قوله: قال القاضي علي بن أحمد... إلى هنا، من (ف) و(م١)، وجاءت في (خ) مختصرة. وانظر صلة تاريخ الطبري ص٦٧، والمنتظم ١٣/ ١٨٠ ـ ١٨١، وما لم ينشر من الأوراق ص١٢٣.

(٢) هذه الترجمة من (ف) و(م١)، وليست في (خ)، وقد اختُصرت من تاريخ بغداد ٥/ ١٣٢ اختصاراً مخلاً، وانظر المنتظم ١٣/ ١٨٢. ولعل الحديث الثاني: أن النبي ﷺ أهدى جَملاً لأبي جهل. ينظر لسان الميزان ١/ ٦٣.

(٣) بعدها في (ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣، والمنتظم ١٣/ ١٨٣.

[ذكر وفاته :

حكى الخطيب بإسناده إلى] عثمان بن السِّندي قال: قال لي أبو العباس بن سُرَيج في علّته التي مات فيها: أُريت البارحة في المنام كأن قائلاً يقول: هذا ربك تعالى يُخاطبك، قال: فسمعت: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، قلت: بالإيمان والتَّصديق، ووقع في قلبي أنه يُراد مني زيادة في الجواب، فقلت: بالإيمان والتصديق غير أنا قد أصبنا من هذه الذُّنوب، فقال: أما إني سأغفر لكم.

[وقال بعض الفضلاء: إنما قصد الخطيب بهذا المنام مَدْحَه، وإنما هو تهديد لما أحدث في الإسلام من المسألة، فكأنه يقول: ليس مما جاء به المرسلون ما أتيتَ به، ألا ترى أنه أخر عنه الغفران وأحاله على المستقبل؟! ولو كان ما أحدث مرضياً لقال له: قد غفرت لك، وكذا لو كان ما أتى مما جاء به المرسلون لكان كرّر عليه القول.

قال الخطيب:] وكانت وفاته ببغداد في جمادى الأولى وله سبع وخمسون سنة، ودُفن بسُوَيقة أبي غالب.

[قال الخطيب:] وحدَّث ابن سُرَيج يسيراً عن [الحسن بن محمد الزَّعْفَراني، وعباس الدوري، و] أبي داود السِّجِسْتاني وغيرهم، وروى عنه سليمان بن أحمد وغيره[1].

[وفيها توفي

أحمد بن يحيى

أبو عبد الله، الجَلَّاء، الصُّوفي، وقيل: محمد بن يحيى، [وأحمد أصح].

وهو بغدادي ولكنه انتقل إلى الشام، وأقام بدمشق والرَّمْلة، وهو أحد مشايخ الشام زهداً وورعاً، وهو أستاذ محمد بن داود الدُّقِّي.

ذكر طرف من أخباره:

[قد ذكرنا في ترجمة أبيه يحيى في رواية أبي نعيم عن أحمد أنه] قال: قلت لأبي وأمي: أحبُّ أن تَهَباني لله تعالى، فقالا: قد وَهَبناك، قال: فغبتُ عنهما مدة طويلة،

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧١ ـ ٤٧٢، وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

ثم رجعتُ من غَيبتي وكانت ليلة باردة مَطيرة، فطَرقتُ عليهما الباب فقالا: مَنْ؟ قلتُ: وَلَدُكما أحمد، فقالا: كان لنا ولد اسمه أحمد فوهبناه لله؛ ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه، ولم يفتحا الباب.

وقال الدُّقِّي: رأيتُ ابن الجلاء يمشي في الهواء.

[وقد ذكرنا أنما سمي أبوه الجلاء لأنه كان يجلو القلوب بكلامه.

وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: كنت أمشي يوماً مع أستاذي، فرأيتُ غلاماً حَدَثاً جميلاً فقلت: يا أستاذ أترى يُعذّب الله هذه الصورة بالنار! فقال: أَوَ نَظرتَ؟! سوف ترى غِبَّها، قال: فنسيتُ القرآن بعد عشرين سنة.

[وحكى عنه أيضاً في «المناقب» أنه] قال: أعرف مَن أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من زمزم إلا برِشائه وركوته، ولم يتناول من طعامٍ جُلب من مصر.

[قال:] وسأله محمد بن ياسين عن الفقر فلم يُجبه، وقام فخرج، ثم عاد فأجابه فقال: لِمَ أخَّرتَ الجواب؟ فقال: كان عندي أربعة دَوانيق، فاستَحْيَيْتُ من الله تعالى أن أتكلَّم في الفقر وهي عندي، فأخرجتُها ثم أجبتُك.

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: اشتهت أمي على أبي سَمَكاً، فمضى إلى السُّوق وأنا معه، فاشترى سمكةً، ووقف ينظر مَن يحملها معه، فرأى غلاماً واقفاً فقال: أتحملها؟ قال: نعم، فحملها، وإذا بمؤذّن يقيم الصلاة في مسجد، فترك الغلام طَبَقه على الدُّكّان ودخل يصلي، فقال أبي: هذا قد هان عليه طبقه وله قيمة، أفلا تهون علينا سمكتنا!؟ فدخلنا وصلينا جميعاً، ثم خرجنا والسمكةُ بحالها، فلما وصلنا إلى دارنا حكى أبي لأمي حديثَ الغلام فقالت: سَلْه أن يقيم عندنا حتى نُصلحها فيأكل معنا منها، فسأله أبي فقال: أنا صائم، قال: تقيم عندنا إلى الليل، فأقام وأفطر معنا، وأفرَدْنا له بيتاً لخلوته ونمنا.

وكان لنا بنت زَمِنَة لها مدّة مُقْعَدة، وهي مُنفردة في بيت، فلما كان وقت السَّحَر وإذا بها قد جاءت تمشي على رجليها، فدُهشنا لها، وقلنا لها: ما هذا؟ فقالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا الليلة بخير، فتوسَّلتُ به إلى الله تعالى، فقمتُ أمشي، قال: فأتينا بابَ

البيت الذي كان فيه الغلام فلم نجده؛ والأبواب مُغْلَقة على حالها، فقال أبي: نعم فيهم صغار وكبار.

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: قدمت المدينة وبي فاقة، فتقدَّمتُ إلى القبر وقلت: السلام عليك يا رسول الله أنا ضيفك، ونمت فرأيته في المنام، فناولني رغيفاً فأكلتُ نصفَه، وانتبهتُ وفي يدي النصف الآخر.

[قال الدّقي: مرض ابن الجلاء، فدخل عليه قوم فأطالوا وقالوا: ادع لنا، فرفع يديه وقال: اللهم عَلِّمنا عيادة المَرْضى.

ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: مَن استوى عنده المَدْح والذَّمُّ فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو مُوحّد.

وسئل عمَّن دخل البادية بغير زاد ولا راحلة فقال: هذا من الرجال، قيل له: فإن مات؟ فقال: الدية على القاتل(١).

وقال: اهتمامك بالرِّزق يُبعدك عن الحقِّ، ويُفقرك إلى الخَلْق.

وقال: الخائف مَن تأمنه المخاوف(٢).

وقال: مَن عَلت هِمَّته عن الأكوان وصل إلى مُكوِّنها، ومَن وقف بهِمَّته على شيء سوى الحق فاته الحق؛ لأنه أعزُّ من أن يَرضى معه بشريك.

وكانت وفاته يوم السبت لاثنتي عشرة ليلةً خلت من رجب في هذه السنة بالرَّملة، وقيل: بدمشق.

صحب ذا النون المصري، وأبا تُراب النَّخْشَبي، وأبا عبيد البُسْري وغيرهم(٣).

(١) في (ف) و(م١): على العاقلة.

(٢) في مناقب الأبرار ١/ ٣٦٤: المخلوقات. وهي الأصح.

(٣) بعدها في (ف) و(م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر في ترجمة ابن الجلاء: تاريخ بغداد٦/ ٤٥٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، طبقات الصوفية ص١٧٦، تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣ (مخطوط)، مناقب الأبرار ١/ ٣٦٢، والمنتظم ١٣/ ١٨١، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٢، السير ١٤/ ٢٥١.

الحسين[1] بن حَمْدان

ابن حَمْدون التَّغْلبيّ، عم سيف الدولة.

كان من وجوه الأمراء، وهو الذي بعثه المكتفي لقتال بني طولون، وولاه المكتفي[2] ديار بكر وربيعة، وغزا الصّائفة سنة إحدى وثلاث مئة، وفتح حصوناً كثيرة، ثم خالف المقتدر فبعث إليه رائقاً ومؤنساً فأسراه، ودخلا به بغداد على جمل، وقد ذكرناه، ثم قتله في الحَبْس، وأطلق أهله، وقيل: مات في الحبس، والله أعلم.

عبد الله بن أحمد

ابن موسى بن زياد، أبو محمد، الجَواليقيّ، القاضي، ويعرف بعَبْدان.

من أهل الأهواز ولد سنة ست عشرة ومئتين، وكان أحد الحفّاظ الأثبات، جمع الأبواب والشيوخ، وحدَّث عن الأئمة، وكان يحفظ مئةَ ألف حديث، وتوفي في ذي الحجة بعَسْكَر مُكْرَم.

حدّث عن هُدْبَة بن خالد وغيره، وروى عنه المَحامِليّ وغيره، وكان ثقةً[3].

عبد الله بن الحسين

ابن حَسنون، أبو أحمد، المقرئ.

توقّفوا فيه، قال عبد الغني بن سعيد: سلوه متى سمع من الوكيعي، فسألوه فقال: سمعتُ منه بالموسم بمكة سنة ثلاث مئة، فقال عبد الغني: مات الوكيعي في [أول] سنة ثلاث مئة، فكيف يسمع منه في آخرها؟!

ومات بمصر هذه السنة، وقيل: سنة سبع وثلاث مئة.

وأنشد لعبد الله بن المعتز: [من الخفيف]

جَسَّ نَبْضي فقال عِشقاً طبيبي وَيْحَه من أخي علاجٍ مُصيبِ

(١) من هنا إلى ترجمة أبي نصر المحب؛ ليس في (ف) و(م١).

(٢) في تاريخ دمشق ٤/ ٦٦٧ (مخطوط): المقتدر.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ١٦ ، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٣٤٥ (مجمع اللغة)، والمنتظم ١٣/ ١٨٤ ، والسير ١٤/ ١٦٨ .

فزَجَرْتُ الطَّبيبَ لَمْحاً بعيني ... ثم ناجيتُه بحقّ الصَّليب
لا تقل لَوعة الهوى قتلتْه ... فينالون بالدُّعاء حبيبي(١)

محمد بن خَلَف

ابن حيّان بن صَدَقة، أبو بكر، القاضي، الضَّبِّي، ويعرف بوَكيع.

كان عالماً، فاضلاً، نبيلاً، فصيحاً، عارفاً بالسير وأيام الناس وأخبارهم، وله تصانيف كثيرة في أخبار القضاة، وعدد آيات القرآن، والرَّمي، والنِّصال، والمَكاييل والمَوازين، وكتاب الطريق، وكتاب الشريف.

وكان يتقلَّد القضاء بالأهواز وكُوَرها، وكان العلماء يعترفون له بالفضل؛ قيل لابن مجاهد: ألا تُصنّف كتاباً في العدد؟ فقال: قد كفانا ذلك وكيع.

توفي في ربيع الأول. حدّث عن الزبير بن بكّار وغيره، وروى عنه أحمد بن كامل وغيره، وكان يسكن بدَرْب أمّ حكيم ببغداد.

وأنشد لنفسه: [من الطويل]

إذا ما غَدتْ طَلّابة العلم تبتغي ... من العلم يوماً ما يُخلَّد في الكُتْبِ
غدوتُ بتَشميرٍ وجِدٌّ عليهم ... ومَحبرتي أذني ودَفْتَرُها قلبي(٢)

[وفيها توفي]

أبو نَصْر المُحبّ

من كبار مشايخ الصوفية، كان جواداً سَمْحاً زاهداً عابداً صاحب مروءة.

[حكى الخطيب عن أبي] العباس بن مَسْروق قال: اجتزتُ أنا وأبو نصر بالكَرْخ، وعليه إزارٌ له قيمة، فإذا بسائل يقول: شفيعي إليكم محمد ﷺ، فشق أبو نصر إزارَه، وأعطى نصفه للسائل، ومشى خطوات ثم قال: هذا نَذالة، ورجع فأعطاه النصف الباقي(٣).

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٠٤، وما بين معكوفين منه.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٦، والمنتظم ١٣/ ١٨٦، والسير ١٤/ ٢٣٧.

(٣) بعدها في (ف، م): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر ترجمة المحب في تاريخ بغداد ١٦/ ٦٠٣، والمنتظم ١٣/ ١٨٧.

السنة السابعة وثلاث مئة

فيها في المحرم خلع المقتدر على أبي منصور بن أبي دُلَف، وولاه أعمال آمِد وسُمَيساط.

وفي صفر توفّي الفضل بن عبد الملك الهاشمي صاحب الصلاة بمدينة السلام ومكة[١]، فولي ابنه عمر مكانه.

وفي جمادى الأولى خلع المقتدر على نازوك، وولّاه دمشق، فسار إليها، وأجْدَبَت العراق، فخرج أبو العباس أخو أم موسى القهرمانة والناس معه فاستسقوا.

وفيها انقضَّ كوكبٌ عظيم غالب الضوء، وتقطّع ثلاث قطع، وسُمع بعد انقضاضه هدَّةٌ عظيمة هائلة من غير أن يكون ثَمَّ غيم.

وفيها دخلت القرامطة البصرة، فنهبوها وقتلوا وسَبَوا.

وفيها ضَمِن حامد بن العباس الوزير السّواد والأهواز وأصبهان بخمس مئة ألف دينار، مئتي ألف عن السواد، ومئتي ألف عن الأهواز، ومئة ألف عن أصبهان.

وسببه[٢] انفرادُ علي بن عيسى بتدبير أمور المملكة، وإبطال أمر حامد وانقطاعه عنه. وشاور حامد أصحابه، فقال له بعضهم: لا تفعل تسقط هَيبتك من عيون الناس، وأشار عليه بعضهم بذلك وقالوا: تتعطّل أمور علي بن عيسى، فخاطب حامد علي بنَ عيسى بحضرة المقتدر وقال له: تفرَّدتَ بتدبير الأمور دوني، ولا ترضى أن تُشاورني، ولا بدَّ من صدق أمير المؤمنين، قد أضَعْتَ بالسواد والأهواز وأصبهان في سنة ست وثلاث مئة أربع مئة ألف دينار، وأنا أضمن هذه الأعمال أربع سنين بكذا وكذا، فقال له علي بن عيسى: إن مَذهبك في خَبْط الرَّعية، وإحداث السُّنن الجائرة، والظلم والضرب معروف، وقد كنتَ تقلَّدت في أيام المعتضد ديار بكر وربيعة والمشرق، فأخربت الجميع بظُلمك وعَسْفك، وطال الحديث بينهما، فقال المقتدر لعلي بن

(١) في (ف): بالمدينة بالشام ومكة.

(٢) من هنا إلى قوله: وحج بالناس أحمد، ليس في (ف) و(م١).

عيسى: هذا توفير من حامد لا يجوز تركه، فإن ضمنتَ هذه النواحي ضمَّنتُك، فقال: أنا كاتب، ولست بضامن ولا عامل، وحامد أولى بالضَّمان لأنه يليق به، وأنا فقد عَمَرتُ البلاد، ورَفَقْتُ بالرعية، وقد تناهت عمارة البلاد على يدي، وسوف ترى، فضمَّنها حامداً بما بذل.

وخرج حامد إلى الأهواز، وصادر العمال، وبسط يده في عذاب الرعية، وضاقت النَّفقات على المقتدر، وشَغَب الجند، وغلت الأسعار، فأشرفت بغداد على الهَلاك والخَراب، والدولة على الزَّوال، ووردت الكتب من الأهواز وغيرها يسبون حامداً، ويدعون لعلي بن عيسى.

وحج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام، ويعرف بأخي أم موسى القهرمانة.

[فصل] وفيها توفي

علي بن سهل

ابن الأزْهَر، أبو الحسن، الأصفهاني.

كان سيداً فاضلاً، من أبناء الدنيا المُتْرَفين، فتزهّد وخرج عما كان فيه، وكان من أحسن الناس إشارة، وكان يكاتب الجنيد فيقول الجنيد: ما أشبه كلامه بكلام الملائكة.

[وقال السُّلمي:] كان يقيم أياماً لا يأكل ويقول: الشوق قد استولى عليَّ فألهاني عن الأكل.

وقال: المُبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من علامة حُسن الرِّعاية، ومُراعاةُ الأسرار من علامات التَّيقُّظ، وإظهار الدَّعاوى من رُعونات البشرية، ومَن لم تَصحّ مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه.

[وقال أبو نعيم الأصفهاني: سمعت أبي وغيره من أصحاب ابن سهل يقولون:] كان علي يقول لأصحابه دائماً: أتظنّون موتي يكون بإعلال وأسقام؟! لا إنما هو دعاء وإجابة، أُدعى فأجيب، فكان يوماً قاعداً في جماعة فقال: لبيك، ووقع ميتاً[(١)].

(١) أخبار أصبهان ٢/ ١٤، وطبقات الصوفية ص٢٣٣، ومناقب الأبرار ١/ ٤٤٠، المنتظم ١٣/ ١٩٢، وصفة الصفوة ٤/ ٨٥.

[محمد بن سليمان

ابن بابويه بن فِهرويه، أبو بكر العَلَّاف.

سمع يعقوب الدَّوْرَقي وغيره، وروى عنه أبو بكر القَطيعي وغيره.

وهو الذي روى عن علي بن أبي طالب أنه قال: النساء أربع: القَرْثَع، والوَعْوَع، والغِلُّ الذي لا يُنْزَع، والجامعة التي تَجمع.

فأما القرثع فالسَّمْجة، وقيل: البَلْهاء، وحكى الجوهري في «الصحاح»[(١)] عن بعض الأعراب أنه قيل له: ما القرثع؟ قال: التي تكحَل إحدى عينيها وتترك الأخرى، وتلبس قميصاً مقلوباً.

وأما الوعوع فالسَّخَّابة، وهو نعت قبيح.

وأما الغل الذي لا ينزع فالمرأة السُّوء، للرجل منها أولاد ولا يقدر على الخلاص منها.

وأما الجامعة فهي التي تجمع الشَّمْل، وتلمّ الشَّعث[(٢)] .

وفيها توفي

موسى بن سهل

ابن عبد الحميد، أبو عمران، الجَوْني، البَصْري.

رحل إلى البلاد، وسمع فأكثر، ثم استوطن بغداد، ومات بها في رجب[(٣)] .

وفي الرواة رجل آخر يكنى أبا عمران الجوني، واسمه عبد الملك بن حبيب، أقدم من هذا.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة[(٤)] .

---

(١) (قرثع ٣/ ١٢٦٥).

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١ .

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٥٨ ، والسير ١٤/ ٢٦١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٣٧ .

وكان يقصّ على الناس، وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: تصعد الملائكة إلى الله تعالى بالأعمال، فينادي الملك: ألق تلك الصَّحيفة، فيقول الملك: يا ربّ، قد قالوا خيراً، وحفظناه عليهم، فيقول الله تعالى: إنه لم يُرِدْ به وجهي. قال: وينادي الملك: اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول: يا رب، إنه لم يعمله، فيقول الله عز وجل: إنه نواه إنه نواه.

وروى أبو الحسين بن المُنادي عنه قال: وعظ موسى يوماً، فشقَّ رجل ثوبَه، فأوحي إلى موسى: لا يشق ثوبه، ولكن ليشرح عن قلبه.

ولم يذكر ابن سعد تاريخ وفاته، يعني أبا عمران، وقد رأى الصحابة وحدّث عنهم. فالظاهر أن وفاته تقدَّمت، والله أعلم[1].]



(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٠٩، وصفة الصفوة ٣/ ٢٦٤، وتهذيب الكمال، والسير ٥/ ٢٥٥، وفيهما أنه توفي سنة ١٢٣، أو ١٢٨، أو ١٢٩ هـ. وهاتان الترجمتان من (ف) و(م١).

السنة الثامنة وثلاث مئة

فيها غلت الأسعار ببغداد، فشَغَبت العامة، ووقع النَّهْب ببغداد، وركبت العساكر فظهرت عليهم العامة ـ وكان سببه ضمان حامد بن العباس السَّواد ـ وقصدوا باب حامد، فخرج إليهم غلمانه فحاربوهم، ودام القتال أياماً، ثم انكشف الحال عن جماعة من القتلى بين الفريقين، ثم صار من العامة إلى الجسرين عشرة آلاف فأحرقوهما، وفتحوا السجون من الجانبين، ونَهبوا دور الناس، فأمر المقتدر هارون ابنَ غريب الخال فركب في العساكر، وركب حامد في طَيَّار فرجموه، واختلّت الأمور، وتغيرت أحوال الدولة العباسية من هذه السنة، وكانت أمورها مُنْتَظمة من أول ولاية السفاح [سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فدامت] إلى هذه السنة، وكانت مدة أمرهم ونفاذه في الدنيا مئة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مئة وسبعة وسبعين.

ومن هذه السنة ظهرت الفتن، واستولى المُتَغَلّبون، وفرغت الخزائن والذخائر، [وكان مبدأ الهَرْج في هذه السنة،] واستولى عُبيد الله العَلَوي على القَيْروان وإفريقية وعامة بلاد المغرب، وجهز الجيوش إلى بَرْقَة والإسكندرية، وكان عبد الرحمن بن محمد الأموي بالأندلس، وحج بالناس أحمد بن العباس أيضاً.

[فصل] وفيها توفي

جعفر بن محمد

ابن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن [بن الحسن] بن علي بن أبي طالب.

كان فاضلاً ورعاً عاقلاً، سمع الحديث الكثير، ولزم مسجده يُقرئ القرآن ويتعبد، وتوفي ببغداد في ذي القعدة.

[سمع الفَلّاس وطبقته، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيره] وكان ثقة(١).

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٠٩، والمنتظم ١٣/ ١٩٦.

عبد الله بن ثابت

ابن يعقوب، أبو عبد الله التَّوَّزي بزاي معجمة.

ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وسكن بغداد، وتوفي بالرُّمَيْلَة غريبها[1] .

حدَّث عن أبيه وغيره، وروى عنه محمد بن سليمان الرَّبَعي وغيره.

وقال محمد بن الهيثم: أنشدنا عبد الله بن ثابت: [من المتقارب]

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فعِلْمُك في البيت لا ينفعُ
وتَحْضُر بالجَهل في مجلسٍ ... وعلمك في الصُّحْف مُستودَعُ
ومن يكُ في دهره هكذا ... يكن دهرَه القَهْقَرى يرجعُ

[وفيها توفي]

محمد بن هارون

ابن العباس، بن عيسى بن أبي جعفر المنصور.

ولي إقامة الحج في سنة ثمان وثمانين ومِئتين، وأقام خمسين سنة يصلي بجامع المنصور إماماً، وكان من أهل السِّتر والصِّيانة والفضل، وتوفي وهو ابن خمس وسبعين سنة، وولي ابنه جعفر مكانه، فأقام تسعة أشهر بعد أبيه، ثم توفي في سنة تسع وثلاث مئة[2] .



(١) في النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٩ : ومات غريباً بالرملة. اهـ. قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٦٩ : والرملة محلة خربت نحو شاطئ دجلة، مقابل الكرخ ببغداد. وفي تاريخ بغداد ١١/ ٨٣ ، والمنتظم ١٣/ ١٩٨ : ودفن بالرملية. وانظر إنباه الرواة ٢/ ١١١ ، وغاية النهاية ١/ ٤١١ . وهذه الترجمة ليست في (ف، م) .

(٢) بعدها في (ف) و(م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ٥٦٥ .

السنة التاسعة وثلاث مئة

فيها وصل جيش عُبيد الله صاحب المغرب إلى مصر، والتقاه مؤنس فردّه إلى بَرْقَة، وعاد إلى بغداد فخلع عليه المقتدر، ولقّبه بالمُظَفَّر، وقيل: إن هذا كان في السنة الماضية.

وجرى بين أبي جعفر الطَّبَري صاحب التاريخ وبين الحَنابلة كلام، فحضر أبو جعفر عند علي بن عيسى في داره لمناظرتهم فلم يحضروا.

وكان أمر حامد قد اضْمَحَلّ، وعزم المقتدر على عزله، فأهدى له بستاناً يقال له: النَّاعورة، بنى له فيه مجالس وزخرفها، وغَرِم عليها مئة ألف دينار، [وعَلَّق على المَجالس السُّتور، وفرشها بالفُرُش الفاخرة، فقبله المقتدر، ووقف أمره.

وفيها قتل الحَلَّاج لما نذكر].

وحجَّ بالناس إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد[1].

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن [محمد بن] سَهْل

ابن عطاء، أبو العباس، الصُّوفي، البغدادي، الأدَمي[2].

كان من ظِراف المشايخ، له لسان في علم القرآن يختصّ به.

وكان أحد شيوخهم[3] الموصوفين بالعبادة والاجتهاد وكثرة الدَّرس للقرآن.

وكان ينام من النهار والليل ساعتين، ويختم في كل يوم خَتْمة، وفي رمضان تسعين

---

(١) في صلة تاريخ الطبري ص٩٤، وما لم ينشر من أوراق الصولي ص١٢٨ أن الذي أقام الحج أحمد بن العباس.

(٢) في (ف) و(م١): وفيها توفي أبو العباس بن عطاء الصوفي واسمه أحمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي. والمثبت من (خ)، وكلمة: بن محمد؛ من مصادر ترجمته.

(٣) في (ف) و(م١): وقال أبو نعيم: كان أحد شيوخهم... وهذا القول للخطيب في تاريخه ٦/ ١٦٤ لا لأبي نعيم.

ختمة؛ ثلاث ختمات في كل يوم، وبقي يستنبط مُوْدَع القرآن بضع عشرة سنة في ختمة، فمات قبل أن يُتمَّها؛ ومعناه: أنه يريد فهم ما أودعه الله فيها من المعاني.

[ذكر نبذة من كلامه في القرآن وغيره:

حكى عنه في «مناقب الأبرار» أنه قال: في اسم الله هَيْبته، وفي الرحمن عَوْنه ونُصْرته، وفي الرحيم صُحْبته ومَوَدَّته، ثم قال: سبحان مَن فرَّق بين هذه المعاني في لطافتها، وهذه الأسامي في غوامضها.

قال: وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] على انفراد القلب بالله تعالى.

قال: وسئل عن قول الله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فقال: اقترب إلى بساط الرُّبوبية، فقد أعتقناك من رِقِّ العبودية.

قال: وسئل عن قول الله تعالى: ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة: ٨٩] فقال: الرَّوح: النَّظَر إلى وجهه الكريم، والرَّيحان استماع كلامه، وجنة نعيم: أنه لا يُحْجَب عنه.

قال: وقال: في البيت مقام إبراهيم، وفي القلب آثار الله، وللبيت أركان، وللقلب أركان، فأركان البيت من الصَّحن، وأركان القلب من مَعادن أنوار المعرفة.]

وقال: التوبة توبتان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته، والاستجابة أن يتوب العبد حَياءً من كرمه.

وقال: مَن تأدّب بآداب الأولياء صلح لبساط المؤانسة، ومَن تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط الكرامة.

[وقال: لما خرج آدم من الجنة بكى عليه كلُّ شيء إلا الذهب والفضة. وقد ذكرنا تمامه في قصة آدم عليه السلام، وفي آخره: فقال الله: وعزَّتي لأجعلن بني آدم خَوَلاً لكما][(١)].

وقال: أصحُّ العقول عقلٌ وافق التوفيق، وشرُّ الطاعات طاعة أورَثَتْ عُجباً، وخير

(١) ما بين معكوفين من (ف) و(م١).

الذُّنوب ذنب أعقب توبة ونَدَماً.

وقال: السكون إلى مألوفات الطَّبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق.

وقال: المحبّة أغصان تُغْرَس في القلوب فتُثْمِرُ على قدر العقول، وأنشد: [من الطويل]

غَرَسْتُ لأهل الحبّ غُصْناً من الهوى ... ولم يك يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
[فأوْرَقَ أغصاناً وأيْنَعَ نَشوةً ... وأعْقَبَ لي قُوتاً من الثَّمَرِ الأزلي]
فكلُّ جميع العاشقين هواهم ... إذا نَسبوه كان من ذلك الأصل

وقال: مكتوب في بعض الكتب القديمة: يقول الله تعالى: يا ابن آدم إن أعطيتك الدنيا اشتغلتَ بها عني، وإن منعتُك إياها اشتغلتَ بطلبها، فمتى تتفرّغ لي.

وقال: كيف يوعى الإيمان في سرٍّ من هو عَبْدُ لُقمة(١).

وبلغه أن بعض الفقراء مرَّ بصبيان يلعبون وعندهم شيوخ، فقال لهم الفقير: ألا تستحيون من هؤلاء الشيوخ؟ فقال صبي: لا ما نستحي، هؤلاء شيوخ قلَّ وَرَعُهم فقلّت هَيبتهم، فقال ابن عطاء: صدق الصبي، الهَيْبَةُ مَقرونة بالوَرَع.

وقال: لما قُبض النبي ﷺ قام أبو بكر رضي الله عنه، فساس الناس بقَضيب مع قُوَّة نَسيم النبوة، فلما قام عمر رضي الله عنه لم يقدر على سياستهم بالقضيب فساسهم بالدِّرة، فلما قام عثمان رضي الله عنه جرَّد فيهم السَّوط فلم يَستقم له الأمر كما استقام لصاحبيه، فلما قام علي رضي الله عنه لم يقدر سياستهم إلا بالسيف فبذله فيهم.

وسئل: لِمَ بُلي الخلق بالفراق؟ فقال: لئلا يكون لأحد سكون إلى غير الله تعالى، أو مع غيره.

وسئل عن معنى الطَّهارة فقال: معنى غسل الوجه الإعراض عن الدنيا، ومعنى غسل اليدين يميناً وشمالاً إلقاء الخلق يَمنَةً ويَسْرةً، ومعنى مسح الرأس التَّبرُّؤ عن النَّفْس، ومعنى غسل القدَمين التَّخلي عن الموجودات ليقوم بها إلى المناجاة، فإذا كبَّر خرج عن الكائنات، فالطهارة للنفوس، والصلاة بالقلوب.

---

(١) كذا في النسخ، وفي (م١): في قلب، بدل: في سر. وفي مناقب الأبرار ١/ ٤٥٩: كيف يرى الإيمان في سره من يكون عبد لقمة.

وتكلم يوماً فقال: أين المحبة والرِّضى، فإن لم يكن فأين الصِّدق والصَّفا، فإن لم يكن فأين الانتباه[(١)] والحيا، فإن لم يكن فأين التوبة[(٢)] والوفا، فإن لم يكن فأين التَّضرُّع والبُكا، فمن عري عن ذلك فلْيَبْك على نفسه أيام الدنيا.

وبكى باك في مجلسه وأكثر، فأنشد ابن عطاء: [مجزوء الرمل]

قال لي حين رُمتُه ... كل ذا قد علمتُه
لو بكى طولَ دهره ... بدَمٍ ما رَحِمتُه

وأنشد يوماً[(٣)]: [من الطويل]

أُجِلُّك أن أشكو الهوى منك إنني ... أُجِلُّك أن تُومي إليك الأصابعُ
وأُطرِق طَرْفي نحو غيرك عامداً ... على أنه بالرّغم نحوك راجع

وأنشد لنفسه: [من الطويل]

ومُسْتَحْسِنٌ للهَجر والوصلُ أعذبُ ... أُسائلُه وُدِّي فيأبى ويَهربُ
إذا جُدتُ مني بالصَّفا أظهر الجَفا ... ولستُ بمُرْتابٍ ولا أنا مُذنبُ
تعلَّمتُ ألوانَ الرِّضى خوفَ هَجره ... وعلَّمه حُبِّي له كيف يَغضبُ
ولي ألفُ باب قد عرفتُ طريقها[(٤)] ... ولكن بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ

[وقال في «المناقب» أيضاً:] كان له أخ يحبّه فمرض، فكتب إليه ابن عطاء: [من البسيط]

يا ليت حُمّاه كانت بي مُضاعفةً ... يوماً بشَهْر وأنَّ الله عافاهُ
فيُصبح السُّقْم من قَرْني إلى قدمي ... ويَجعل الله منه البُرْءَ عُقباه
كم قلتُ للسُّقم كم ذا قد لَهجتَ به ... فقال لي مثلَ ما تهواه أهواهُ

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها؛ حكى السُّلمي أنه] توفي في ذي القعدة ببغداد ودفن بها، وقيل: في

---

(١) في (خ): الإساءة، تصحيف. وانظر مناقب الأبرار ١/ ٤٦٥-٤٦٦.

(٢) في (ف) و(م١): السنة.

(٣) من قوله: فأنشد ابن عطاء... إلى هنا من (ف) و(م١).

(٤) (خ): طريقه، والمثبت من (ف، م١)، والمناقب ١/ ٤٥٥.

سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

أسند الحديث عن جماعة ، منهم الفضل بن موسى صاحب الإمام أحمد رحمة الله عليه، وصحب الجُنيد وأقرانه[١] .

وفيها توفي

الحَلَّاج

واسمه الحسين بن منصور بن مَحْميّ، وكنيته أبو مُغيث، وقيل: أبو عبد الله.

وقد ذكر أخباره جماعة من أرباب السير كالقاضي أبو يوسف القَزويني الحَنَفيّ، وابن حَوْقَل، وثابت بن سنان، والخطيب وغيرهم، ونحن نأتي على معظم أقوالهم.

فأما أبو يوسف القزويني فقد جمع أخباره في مجلد، وقد وقفتُ عليه قال: كان جده مَحْمي مَجوسياً[٢] من أهل بيضاء فارس، ونشأ الحسين بواسط، وقيل: بتُسْتَر، وتَلْمَذ لسهل بن عبد الله التُّسْتَري، ثم قدم بغداد وخالط الصوفية، ولقي الجُنَيد، والنُّوري، وابن عطاء وغيرهم، وجالسهم، وكان في وقت يَلبس المُسوح، وفي وقت يلبس الثياب المُصَبَّغة، وفي وقت الأقبية.

[ذكر طرف من أخباره:]

واختلفوا لم سمّي الحلاج على أقوال:

أحدها أن أباه منصوراً كان حلاجاً بواسط.

والثاني أنه تكلم على الناس وعلى ما في قلوبهم فقالوا: هذا حَلَّاج يَحْلُج الكلام.

والثالث ذكره السُّلَمي قال[٣] : مرَّ على حلاج وقال له: اذهب في شغل كذا وكذا، فقال: أنا مَشغول بصَنْعتي، فقال: اذهب وأنا أُعينك على شُغلك، فذهب الرجل وعاد، فإذا جميع ما في دكانه من القطن مَحْلوجاً، فسمي الحلاج.

---

(١) انظر ترجمته وأقواله في: تاريخ بغداد ٦/ ١٦٤ ، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢ ، طبقات الصوفية ص٢٦٥ ، مناقب الأبرار ١/ ٤٥١، المنتظم ١٣/ ٢٠٠ ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤ ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥ .

(٢) من قوله: وفيها توفي الحلاج... إلى هنا، من (ف، م)، وجاء في (خ) بدلها: الحسين بن منصور بن محمي، أبو مغيث وقيل أبو عبد الله الحلاج كان جده مجوسياً.

(٣) في (خ): واختلفوا لم سمي الحلاج، فقيل كان أباه... وقيل إنه تكلم... وقيل إنه مر، والمثبت من (ف) و(م١).

[وقال أبو يوسف: ثم] طاف الدنيا، ودخل الهند، وعبر النَّهر، وكان قد تلمذ له جماعة في البلاد؛ فبعضهم يُكاتبه بالمُغيث، وبعضهم بالمُقيت، ويسميه أقوام المُصْطَلم، وقوم المُحَيّر، وحج وجاور ثم أقام بمكة.

[وقال الخطيب: ذكر عن أبي يعقوب النَّهْرَجوري قال: دخل الحسين إلى مكة وذلك] أول دخوله إليها، فجلس في صَحْن المسجد سنةً لا يَبْرَح من موضعه إلا للطهارة والطواف، ولا يبالي بحرِّ الشمس ولا المطر، وكان يُحمل إليه في كل عشية قرص من أقراص مكة وكوز من ماء، فيعضُّ منه أربع عَضَّات ويردُّ الباقي، ويصعد على أبي قُبَيْس وقت الهاجرة، فيقعد على صخرة والعرق يسيل منه، فرآه أبو عبد الله المغربي فقال: سوف يبليه الله ببلاء لا يطيقه؛ قعد بحُمْقِه يتصبّر على الله تعالى[١].

وقيل: إنه[٢] لما أقام بمكة حسده أبو يعقوب النَّهْرَجوري، فتكلّم فيه فخرج إلى البصرة، ثم دخل إلى الهِنْد وتُرْكسْتان والصِّين[٣]، وصنف الكتب، ودعا إلى الله، وكوتب من البلاد ما ذكرنا.

ثم قدم بغداد فبنى بها داراً، واشترى عقاراً، واختلف إليه الناس، وسمعوا كلامه فوثب عليه محمد بن داود الفقيه والجنيد.

واختلف الناس فيه، فقوم يقولون: إنه ساحر، وقوم يقولون [: له كرامات، وقوم يقولون:] مُنمّس، حتى أخذه السلطان فحبسه.

وقال أبو بكر الصُّولي: رأيتُ الحَلَّاج وجالستُه، فرأيته جاهلاً يتعاقل، وعَيِيًّا يتبالغ، وفاجراً يتزهّد، وكان ظاهره أنه ناسك صوفي، فإذا علم أن أهل بلده يرون الاعتزال صار معتزلياً، أو يرون الإمامة صار إمامياً، أو رآهم سنة صار سنياً، وكان يعرف الشَّعْبَذة والكيمياء والطب، وكان مع جهله خبيثاً، ينتقل في البلدان، ويدَّعي الربوبية.

وكان يقول لواحد من أصحابه: أنت آدم، ولآخر: أنت نوح، ولآخر: أنت إبراهيم، ولآخر: أنت موسى، ولآخر: أنت عيسى، ولآخر: أنت محمد، ويدّعي

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٦٩٦.

(٢) في (ف) و(م١): وفي رواية أنه.

(٣) في تاريخ بغداد ٨/ ٦٩٠ : وماصين.

التناسخ، وأن أرواح الأنبياء انتقلت[١] إلى أجسامهم.

وحكى الخطيب بإسناده إلى علي بن أحمد الحاسب قال: حدثني أبي[٢] قال: وجَّهني المعتضد إلى الهند، وكان معنا في السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور، فقلت[٣] له: في أي شيء جئت إلى هاهنا؟ فقال: جئتُ لأتعلم السِّحر، وأدعو الخلق إلى الله تعالى.

وقال الخطيب: لما افتُتن الناس بالأهواز وكُوَرها بالحلاج، وما يُخرجه لهم من الأطعمة والأشربة في غير حينها[٤]، والدَّراهم التي سماها دراهمَ القُدرة، حُدّث أبو علي الجُبَّائي بذلك، فقال لهم: هذه الأشياء محفوظة في أماكن تمكن الحِيل فيها، ولكن أدخلوه إلى بيت من بيوتكم، وكلّفوه أن يُظهر لكم منها شيئاً، فإن فعل فصدّقوه، وبلغ الحلاج قوله، وأن قوماً عملوا على ذلك؛ فخرج من الأهواز.

وحكى الخطيب، عن محمد بن يحيى الرَّازي قال: سمعت[٥] عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول: لو قدرتُ عليه لقتلتُه بيدي؛ قرأت يوماً آية من كتاب الله تعالى فقال: أقدر أن أؤلّف مثلها.

وحكى أيضاً عن أبي زُرعة الطبري قال: [سمعت أبا يعقوب الأقطع يقول:] زوّجت ابنتي من الحسين بن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر مُحتال خَبيث كافر[٦].

وقال الصولي: أول من أوقع بالحلاج أبو الحسين[٧] علي بن أحمد الرَّاسبي، فأدخله بغداد وغلاماً له على جَملين قد شهرهما، وذلك في ربيع الأول[٨] سنة إحدى

(١) في (ف) و(م١): انقلبت.
(٢) في (خ): وقال علي بن أحمد الحاسب حدثني أبي، والمثبت من (ف) و(م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ٦٩٨.
(٣) في (ف) و(م١): فقيل.
(٤) في (ف) و(م١): من غير جنسها.
(٥) في (خ): وقال محمد بن يحيى الرازي سمعت، والمثبت من (ف) و(م١).
(٦) تاريخ بغداد ٨/ ٦٩٩، والمنتظم ١٣/ ٢٠٣ وما بين معكوفين منهما.
(٧) في المنتظم ١٣/ ٢٠٤: أبو الحسن.
(٨) في ما لم ينشر من أوراق الصولي ص١٢٦، والمنتظم ١٣/ ٢٠٤: ربيع الآخر.

وثلاث مئة، وكتب معهما كتاباً يذكر فيه أنه قامت البيّنة عنده بأن الحلاج يدّعي الربوبية، ويقول بالحُلول، فأحضره علي بن عيسى، وأحضر الفقهاء فناظروه، فأَسقط في لفظه، ولم يجده يُحسن شيئاً من القرآن ولا من غيره، فحبسه في دار الخليفة.

[وقال الصولي:] قيل: إنه كان يدعو في أول أمره إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فسُعي به فضرب، وكان يُري الجاهل شيئاً من شَعْبَذَته، فإذا وثق به دعاه إلى أنه إله، فدعا فيمن دعا أبا سَهْل بن نُوبَخْت، ثم ترقّت به الحال إلى أن دافع عنه نصر الحاجب، لأنه قيل له: إنه سُنّي، وإنما تُريد الرافضة قتلَه، ووُجد في رقاعه وكتبه: إني مُغرق قوم نوح، ومُهلك عاد وثمود، وإن الإنسان إذا صام ثلاثة أيام ولياليها ولم يفطر، وأخذ في اليوم الرابع ورقات هِنْدَباء وأفطر عليها أغناه عن صوم رمضان، وإذا صلى ركعتين في ليلة أغناه ذلك عن الصلوات، وإذا بنى بيتاً وصام أياماً ثم طاف حوله عُرياناً أغناه عن الحج، وذكر جملة من هذه الحماقات.

وذكر ابن حَوْقل في كتاب «الأقاليم» وقال: ظهر[1] من إقليم فارس الحسين بن منصور، من أهل البيضاء، كان حَلّاجاً ينتحل النُّسُك والتصوف، فما زال يترقّى طبقاً عن طبق حتى انتهى به الحال إلى أنه زعم: أن مَن هذَّب في الطاعة جسمَه، وشغل بالأعمال الصالحة قلبَه، وصبر على مُفارقة اللذّات، وملك نفسه بمنعها عن الشَّهَوات؛ ارتقى إلى مقام المُقَرَّبين، ومنازل الكرام الكاتبين، ثم لا يزال يترقّى في درج المصافاة حتى يصفو عن البشريّة طبعُه، فإذا صفا حلّ فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم، فيصير مُطاعاً يقول للشيء كن فيكون.

فكان الحلاج يتعاطى ذلك، ويدعو إلى نفسه، حتى استمال جماعةً من الوزراء، وحاشية السلطان والأُمراء، وملوك الجزيرة والعراق والجبال، وما كان يمكنه الرجوع إلى فارس خوفاً من أهلها، حتى أُخذ وحُبس بدار الخلافة ثم صُلب[2].

ذكر مقتله:

قد ذكرنا أنه حُبس في سنة إحدى وثلاث مئة بدار الخلافة، فأقام إلى هذه السنة

(١) في (خ): وقال ابن حوقل ظهر، والمثبت من (ف) و(م١)، وانظر صورة الأرض لابن حوقل ص٢٥٧.
(٢) في (ف) و(م١): بدار الخليفة حتى صلب.

وهي سنة تسع وثلاث مئة، قال الشيخ أبو الفرج[١] في «المنتظم»: قد كان هذا الرجل يتكلَّم بكلام الصوفية، فتَبْدُر له كلمات حِسان، ثم يخلطها بأشياء لا تجوز، وكذلك أشعاره، فمن المنسوب إليه: [من السريع]

سُبحان مَن أظهر ناسوتَه سِرّ سَنا لاهوته الثَّاقبِ
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشّاربِ
حتى لقد عاينه خلقُه كلَحْظَةِ الحاجبِ بالحاجب

قال: ولما حُبس استغوى جماعةً فكانوا يستشفون بشُرب بَوله، ويقولون: إنه يُحيي الموتى.

وقال الصُّولي: لما وقف حامد بن العباس الوزير على شيء من كتبه دعا القُضاة والفقهاء والأشراف، وجرت بينهم مُناظرات، فقال لهم حامد: ما تقولون في قتله؟! فنطق بالشهادتين[٢]، فقالوا: لا يمكن قتله بعدها، فأحضروا الرِّقاع والدفاتر التي أُخذت من عنده، وفيها: أن مَن أراد الحجَّ ولم يُمكنه انفرد في بيت طاهر، وصام وصلى، وفعل أفعال المناسك؛ أجزأه ذلك عن الحج [وذلك من جنس ما ذكرنا من حماقته]، فقال له حامد: أتعرف هذا وتدين به؟ قال: نعم، قال: فمن أي كتاب نقلتَه؟ فقال: من كتاب «الإخلاص» للحسن البَصْري[٣]، وكان القاضي أبو عمر حاضراً، فقال له: كذبتَ يا حَلال الدَّم، قد سمعنا كتاب الإخلاص بمكة منه وليس فيه شيء من هذا، فقال حامد للقاضي: قد أفتيت بأنه حلال الدم، فضع خَطَّك بهذا، فدافع القاضي ساعة، فمدَّ حامد يده إلى الدَّواة، وقدَّمها إلى القاضي، وألحَّ عليه إلحاحاً لم يمكنه مدافعتُه، فكتب بأنه حلال الدم، وكتب الفقهاء والعلماء خطوطهم بذلك؛ والحلاج يقول: يا قوم، لا يحلّ لكم إراقة دمي، دمي عليكم حرام، أتستحلُّونه بالتأويل؟! فلم يلتفتوا إليه، وردّه حامد إلى الحبس، وبعث بخطوطهم إلى المقتدر، واستأذنه في قتله، فتأخر عنه الجواب[٤]، فخاف أن يبدو للمقتدر فيه رأيٌ لما قد استمال من الخواصِّ، وما كان يُظهر من الزُّهد والنُّسك والرِّياضة والصيام والعبادة في

(١) في (ف) و(م١): وقال جدي.
(٢) في (ف) و(م١): في قتله وقد نطق بالشهادتين.
(٣) في (ف) و(م١): من كتاب الحسن البصري ويسمى كتاب الإخلاص.
(٤) في (ف) و(م١): فأبطأ عليه الجواب.

الحبس، فكتب حامد إلى المقتدر: قد أفتى الفقهاء والقضاة بقتله، وشاع أمرُه ومَخْرَقَتُه وسحره، وادعاؤه الربوبية، وإن لم يفعل أمير المؤمنين ما أفتى به القاضي والفقهاء افتُتن الناس، وتجرّأ أقوام على الله والرسل.

وبالغ حامد في نُصرة ما دبّره خوفاً أن ينعكس عليه أمره، فأذن له المقتدر في قتله، فأحضر حامد بن العباس محمد بنَ عبد الصمد صاحب الشرطة، وأمره أن يضربه ألف سَوْط، فإن مات وإلا قطع يديه ورجليه، فأخرجه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة، وقيل: لست بقين منه، مقيَّداً إلى باب الطَّاق وهو يَتَبَخْتر في قَيده ويقول: [من الهزج]

حبيبي غير منسوبٍ ... إلى شيءٍ من الحَيْفِ
سقاني مثل ما يَشْرَ ... بُ فِعْلَ الضَّيف بالضَّيفِ
فلما دارتِ الكأسُ ... دعا بالنِّطْعِ والسَّيفِ
كذا مَن يشربُ الرَّاحَ ... مع التنِّين في الصَّيفِ[1]

[وقال أبو يوسف القَزويني: قد ظنّ قوم أن هذه الأبيات للحلاج، وإنما هي لأبي نُواس، كان يُنادم الأمين محمد بن زُبَيدة، فنادمه ليلة ـ وكان محمد من أحسن الناس ـ فغلب عليه الشراب، فقال له: يا أبا نواس، ما تقول، أتشتهيني نفسك؟ فقال: أوَ تُعفيني؟ فقال: لا بدّ، فقال: من الذي يَراك ولا يَشتهيك؟! فغضب الأمين وأمر بقتله، وقال: قل فيما نحن فيه شيئاً، فعمل هذه الأبيات، فضحك الأمين وعفا عنه.][2]

وقال ثابت بن سنان [في «تاريخه»]: انتهى إلى حامد بن العباس في أيام وزارته أمرُ الحلاج، وأنه قدَّموه على جماعة من الخَدَم والحَشَم وأصحاب المقتدر، وعلى خدم نصر الحاجب، وحَمد بن محمد[3] الكاتب، وأن حمد كان يشرب بوله ويقول: إنه مَرض فشربه فعُوفي[4]، وكان مَحبوساً بدار الخلافة، فسأل حامد المقتدر أن يسلمه

(١) المنتظم ١٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) ما بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٣) في (خ): نصر الحاجب بأنه يحيي الموتى وأن الجن يخدمونه ويحضرون إليه ما يريد وأن أحمد بن محمد. والمثبت من (ف) و(م١).

(٤) في (ف) و(م١) زيادة: فجرد حامد بن العباس منه.

إليه فأجابه إلى ذلك، وسُعي إلى حامد برجل يعرف بالسّمري أنه من أصحاب الحلاج وبجماعة، فقبض عليهم حامد وناظرهم، فاعترفوا أن الحلاج إله، وأنه يُحيي الموتى، وأوقفوا الحلاج وكاشفوه، فأنكر وقال: أعوذ بالله من ذلك، واستحضر حامد القاضي أبا عمر، والقاضي أبا جعفر بن البهلول، وجماعة من الشهود، واستفتاهم فيه فقالوا: لا يحلُّ لنا أن نُفتي فيه بشيء حتى يُقرّ، أو تقوم عليه البَيِّنة[، فأقام على ذلك حتى وجدت له كتب من جنس ما ذكرنا].

وكانت ابنة السمري صاحب الحلاج قد أقامت عنده في دار السلطان مدة، وكانت عاقلة حَسنةَ العبارة، فدعاها حامد فسألها عن بعض أمره فقالت: قال لي يوماً: قد زوَّجتُك من سليمان ابني، وهو مقيم بنيسابور، وليس يخلو أن يقع بين المرأة وزوجها خلاف، فإن جرى منه ما تكرهينه فصومي يومَك، واصْعَدي آخر النهار إلى السَّطح، وقومي على الرَّماد، وأفطري عليه وعلى الملح الجَريش، واذكري لي ما أنكرتيه من زوجك؛ فإني أسمع وأرى.

قالت: وكنت نائمة ليلة وهو قريب مني وابنته عندي، فما حسستُ به إلا وقد غَشيني، فانتبهتُ فَزِعةً فقلت: مالك؟ فقال: إنما جئتُ لأوقظك للصلاة.

قالت: وقالت لي ابنته يوماً: اسجدي له، فقلت: أو يسجد أحدٌ لغير الله ـ وهو يسمع كلامنا ـ فقال: نعم، إله في السماء وإله في الأرض.

وذكر [العجائب والغرائب، وذكر] حديث تسليمه إلى صاحب الشرطة [وهو محمد ابن عبد الصمد] وأن حامداً قال له: اضربه ألفَ سَوط، فإن مات فحُزَّ رأسَه، وأحرق جثَّته، وإن لم يَتلَفْ بالضَّرب فاقطع يده ثم رجله، ثم يده ثم رجله، وأحرق جسدَه، وانصِبْ رأسَه على الجسر، ففعل به محمد ذلك، وبعث برأسه إلى خُراسان فطيف به، وأقبلت أصحابه يَعدُّون أربعين يوماً ينتظرون رجوعَه.

واتفق أن دجلة زادت زيادة عظيمة، فزعموا أن ذلك من رماده(١) ، وبعض أصحابه

(١) في (ف) و(م١): زيادة عظيمة، فادعى أصحابه أن الرماد خالط الماء.

زعم أنه لم يُقتل، وأن عدواً له أُلقي عليه شَبَهه؛ كما جرى لعيسى بن مريم عليه السلام. وبعضهم ادّعى أنه رآه في غد ذلك اليوم في طريق النَّهْرَوان راكباً على حمار وهو يقول: قولوا لهؤلاء البقر الذين ظنوا أنني أنا الذي قتلت: ما أنا ذاك.

وأحضر حامد الورَّاقين، واستحلفهم أن لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ولا يشترونها [، وهذا معنى ما ذكر ثابت].

وقال في «المناقب»: لما رُفع على الجِذْع بعد أن ضُرب ألف سَوط ولم يتأوَّه؛ غير أنه لما ضُرب ست مئة قال لمحمد صاحب الشرطة: ادْنُ مني فلي معك حديث، فقال: قد حُذِّرت مثل هذا، ثم لما رفع على الجذع قال: [حسب الواجد إفراد الواحد، ثم قال:] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّۗ﴾ [الشورى: ١٨] ولم يبق ببغداد إلا من شهد قتله[(١)].

وقيل له وهو على الجِذْع: ما حَدُّ التصوف؟ فقال: ما ترون.

وروي أنه التفت إلى الناس وقال: مَن حضر بطلت شهادته، ومن غاب عنا قُبلت عدالتُه.

وروي أن بعض الصوفية ناداه وهو مَصْلوب: مَن طَلَّق الدنيا كانت الآخرة زوجته، ومَن فارق الحق كان الجِذْع راحِلَته.

ويُروى أنهم لما قطعوا يده كتب الدَّمُ على وجه الأرض: الله الله، وليس بصحيح [ومعناه ظاهر؛ لأن الدَّم نَجِس، والنجس لا يكتب الطاهر.

قلت:] وقد اختلف مشايخ الصوفية فيه، [قال الخطيب:] فأكثرهم نفاه وأباه، وبعضهم قبله، وممن قبله: أبو العباس بن عَطاء، ومحمد بن خَفيف الشِّيرازي، وإبراهيم بن محمد النَّصْراباذي، وصحَّحوا حالَه، ودوَّنوا كلامَه.

قال: ومَن نفاه من الصوفية نسبه إلى الشَّعْبَذة والزَّنْدَقة، وله إلى الآن أصحاب يُنسبون إليه، ويَغْلون فيه.

وقال ابن خميس في «المناقب»: صحب الجُنَيد، والنُّوري، وعَمرو بن عثمان

---

(١) لم أجدها في ترجمته في مناقب الأبرار ٢/ ٦٨-٨٠.

المكّي، والمشايخ في أمره مختلفون، ردّه أكثرهم كالجنيد وأقرانه، وأنكروا أن يكون له قَدَمٌ في التصوُّف، وقبِلَه بعضهم، ودوّنوا كلامَه، وجعلوه أحد المحقّقين[١].

[وذكر في «المناقب» جملة من كلامه، فقال الحسين بن منصور:][٢] حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علومَ القُدْرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقائق لماتوا.

وقال: إذا وصل العبد إلى مَقام المعرفة أوحى الله إلى خاطره، وحرس سرَّه أن يَسْنَح فيه غيره، وعلامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة.

وقال: مَن طلب الحقَّ بنور الإيمان كان كمَن طلب الشمس بنور الكواكب.

وكتب إلى أبي العباس بن عطاء: أطال الله حياتَك، وأعدَمَني وَفاتَك، على أحسن ما جرى به خاطر، أو تحرك به قلب، مع ما أن لك في قلبي من لواعج الاشتياق، ومن أسرار مَحبتك، ودَفائن[٣] ذخائر مَوَدَّتك، ما لا يُترجمه لسان، ولا يُحصيه كتاب، ولا يُفنيه عِتاب، وفي ذلك أقول: [من الطويل]

كتبتُ ولم أكتب إليك وإنما ... كتبتُ إلى روحي بغير كتابِ
وذاك لأن الرُّوح لا فَرْقَ بينها ... وبين مُحبِّيها بفَصْل خطابِ
فكلُّ كتابٍ صادر منك وارد ... إليك بلا ردّ الجَواب جَوابي

ومن شعره: [من الطويل]

مواجيد حقٍّ أوجد الحقُّ وجدها[٤] ... وإن عَجَزت عنها فُهومُ الأكابرِ
وما الوَجْدُ إلا خَطْرةٌ ثم نَظرةٌ ... تُثير لَهيباً بين تلك السَّتائر

وسئل عن حال موسى عليه السلام عند سماع الكلام فقال: بدا بادٍ لموسى من الحق، فلم يبق له أثرٌ [، ثم فني] موسى عن موسى[٥]، وأنشد: [من الكامل]

وبدا له من بعد ما انْدَمَل الهوى ... بَرْقٌ تألَّق موهناً لَمَعانُه

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ٧١.

(٢) ما بين معكوفين من (ف) و(م١)، جاء بدله في (خ): فمن كلامه، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٧٥.

(٣) في مناقب الأبرار ٢/ ٨٠: وأفانين، وهي الأشبه.

(٤) في طبقات الصوفية ص٣١٠: أوجد الحق كلها، وفي مناقب الأبرار ٢/ ٧٦: أوجد الحق كلها.

(٥) ما بين معكوفين من المناقب ٢/ ٧٨.

يَبدو كحاشية الرِّداء ودُونَه صَعْبُ الذُّرى مُتَمَنِّعٌ أركانُه
فأتى ليَنْظُرَ كيف لاح فلم يُطِقْ نَظَراً إليه وصَدَّه سُبحانه
فالنارُ ما اشتملتْ عليه ضُلوعُه والماء ما سَمَحتْ به أجفانُه

وقال أيضاً: [من الرمل]

مُزِجَتْ روحُك في روحي كما تُمزَج الخَمْرةُ بالماء الزُّلال
فإذا مَسَّك شيءٌ مَسَّني فإذا أنت أنا في كلِّ حال

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

قد تحققتُك في سِرِّي فناجاك لساني
فاجتمعنا لمَعانٍ وافترقْنا لمعاني
إن يكن غَيَّبَك التَّعظيم عن عَين العِيان
فلقد صَيَّرك الوَجْدُ من الأحشاء دانِ

وقال أيضاً: [مجزوء الكامل]

دُنيا تُغالِطُني كأنـ ـني لستُ أعرفُ حالَها
حَظَر الإلهُ حَرامَها وأنا اجتَنَبْتُ حلالَها
ورأيتُها مُحتاجةً فوهَبْتُ جُملتَها لها

وقال الخطيب: حدثنا أبو العلاء قال: لما أُخرج الحلاج ليُقتل أنشد: [من الوافر]

طَلَبتُ المُسْتَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلم أر لي بأرضٍ مُستَقَرّا
أطَعْتُ مَطامعي فاستَعْبَدَتْني ولو أني قَنِعْتُ لعِشْتُ حُرّا

[قلت: وقد جمع جدي أخبارَه في كتاب، جمعها من كتاب أبي يوسف القزويني، والصُّولي، وثابت بن سنان، والخطيب وغيرهم، وسماه: «القاطع لمحال اللجاج بحال الحلاج»[1]، وذكره في مواضع من كتب وعظه فقال: انكسر مِغْزل رابعة، وبقي قطن الحلاج.

وسأله سائل عن الحلاج فقال: ما يسأل عن الحلاج إلا الحائك، وغير ذلك. وهذا

(١) سماه في المنتظم ١٣/ ٢٠٤: القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج.

ما انتهى إلينا من ترجمة الحلاج، والله أعلم][1] .

وفيها توفي

عبد الله بن محمد

أبو محمد، الخَرَّاز، الرَّازي.

[من كبار مشايخ أهل الرَّيّ] جاور بمكة سنين كثيرة، وكان ورعاً قوَّالاً بالحق، مُتَحرِّياً للصدق.

[ذكره في «المناقب» وقال:] خرج من أصحابه عشرون نَفْساً من الرَّي يريدون الحج، فقالوا: يا أستاذنا، ألا تُودّعنا؟ فقال: بلى، فخرج معهم إلى بطن مَرْو، وقال: أستودعكم الله، فقالوا: يا أستاذنا، قد بقي بينك وبين مكة ثمانية عشر ميلاً وترجع من هاهنا؟ فقال: ما خرجتُ إلا مودِّعاً لكم وأنا راجع إلى الرَّي أعقد الحج وألحقكم، وكان قد بقي للموسم خمسة أشهر، فعاد إلى الري، فأعقد الحج ولحق الموسم معهم.

من كلامه:

وقال: العبارات يَفهمها العلماء، والإشارات تعلمها الحكماء، واللطائف لا يقف عليها إلا السادات.

وقال: صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار من علامات الإقبال على الله.

[صحب أبا حَفْص النَّيسابوري وغيره][2] .

وفيها توفي]

محمد بن خَلَف

ابن المَرْزُبان بن بَسَّام، أبو بكر المُحَوَّلي، والمُحَوَّل قرية غربي بغداد كان يسكن بها.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف) و(م١)، وانظر في ترجمة الحلاج: ما لم ينشر من أوراق الصولي ص١٢٦، وحكاية حال الحلاج لابن باكويه ص٦٥١ (مجلة مجمع اللغة)، وصلة تاريخ الطبري ص٧٩، وتكملة تاريخ الطبري ص٢١٩، وطبقات الصوفية ص٣٠٧، وتاريخ بغداد ٨/ ٦٨٨، والمنتظم ١٣/ ٢٠١، ومناقب الأبرار ٢/ ٦٨، والسير ١٤/ ٣١٣.

(٢) قوله: صحب أبا حفص... من (ف) و(م١) وجاء بعدها فيهما: والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف =

له التصانيف الحِسان، وقيل: هو مصنف كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» [، وهو كتاب مشهور].

حدّث عن الزبير بن بكار، [وابن أبي الدنيا] وغيرهما، وروى عنه ابن الأنباري وغيره، وكان صدوقاً ثقة.

كتب إلى صديق له هَجَره: [من الخفيف]

أجَميلٌ بالمَرْءِ يُخْلِفُ وَعْدا ... أو يُجازي المُحِبَّ بالقُرْبِ بُعدا
ما مَلِلْناك إذ مللتَ ولم نَنْـ ... ـفَكّ نزدادُ مُذْ عَرَفْناك وُدًّا
لك مُذْ دام صَرْفُ وَجْهِك أيَّا ... مٌ طِوالٌ أعُدُّها لك عَدًّا
وتناهى إليَّ أمسِ حديثٌ ... كاد يقضي عليَّ حُزْناً ووَجْدا
أدرك الحاسِدُ الشَّماتَ وقد كا ... ن قديماً لهَجْرنا يَتَصَدَّى[1]

محمد بن راشد[2] بن مَعْدان

أبو بكر، الثَّقَفيّ مولاهم، الحافظ، مُحدِّث بن محدث.

طاف الدنيا، ولقي الشيوخ، وصَنَّف الكتب، وتوفي بكَرْمان.

حدّث عن يونس بن حَبيب وغيره، وروى عنه ابن المُنادي وغيره، وكان صدوقاً صالحاً ثقة[3].



= خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر ترجمة الخراز في طبقات الصوفية ص٢٨٨، ومناقب الأبرار ١/ ٤٨٢.

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٨ ، والمنتظم ١٣/ ٢٠٧ .

(٢) في أخبار أصبهان ٢/ ٢٤٣ ، والسير ١٣/ ٤٠٤ : محمد بن أحمد بن راشد. وهذه الترجمة ليست في (ف) و(م١).

(٣) بعدها في (خ): آخر الجزء التاسع من مرآة الزمان، غفر الله لكاتبه ومالكه آمين. يتلوه في الجزء العاشر: السنة العاشرة والثلاث مئة فيها مرض علي بن عيسى فعزم المقتدر على عيادته.

السنة العاشرة وثلاث مئة

فيها مرض عليٌّ بن عيسى، فعَزَم المقتدرُ على عِيادته، وبعث إليه ولده هارونَ [بن المقتدر]، ومؤنساً [الخادم]، وجميعَ الخاصَّة، وأخبره مؤنسٌ [الخادم] أنَّ المقتدر عَزَم على عيادته، فانزعج، وسأل مؤنساً أن يُعفى من ذلك، ثم أصبح وركب إلى دار الخليفة على ضَعْفٍ فيه؛ خوفاً لأن يعوده المقتدر.

وفيها قبض المقتدرُ على أمِّ موسى القَهْرَمانة وأهلها وأسبابها في رمضان، واختلفُوا في السبب، فذكر ثابت بن سنان أنَّ أمَّ موسى زوَّجَت[1] ابنةَ أخيها أبي بكر محمدَ بنَ إسحاق بن المتوكِّل على الله، وكان محمد من وجوه بني هاشم [وأولاد الخلفاء، وكانت له نعمة، وكان] حسنَ المروءة، كثيرَ النِّعمةِ والغلمان والمواكب، وكان يُرشَّح للخلافة، [فلما وقعت المصاهرةُ بين أمِّ موسى وبينه مُكِّنَ] أعداؤها من السَّعْي عليها، وكانت [قد] أسرفَت في نَثْر المال على صهرها، وبلغ المقتدر أنَّها تريد أنْ تسعى له في الخلافة، فكاشفَتها السيدةُ أمُّ المقتدر وقالت: قد دبَّرْتِ على الخليفة، وصاهَرْتِ ابنَ المتوكل حتى تُقْعِديه في الخلافة، وجَمعْتِ له الأموال؟!

وسلَّمَتها وأخاها وأختَها إلى ثَمَل القَهْرَمانة، وكانت ثَمَل موصوفةً بالشرِّ، قاسيةَ القلب، تُعاقب بأشدِّ العقوبات، فبسطَت على أمِّ موسى وأهلها العذابَ، فاستخرجت منهم أموالاً عظيمةً وجواهرَ نفيسة، ومن الطيب والثياب والفُرُش والكسوة ما يَعظُم مِقدارُه، فيقال: إنَّه حصل من جهتهم ما مقدارُه ألفُ ألفِ دينار.

[وهذا قول ثابت بن سنان وأما غيره فقال:] إنَّ المقتدر اعتَلَّ، فبعثَت أمُّ موسى إلى بعض أهله ليقرِّرَ له الأمرَ، فكان ذلك سببَ القبض عليها، والأول أصحّ[2].

وفي هذه السنة صرف المقتدرُ [أبا جعفر] أحمد بنَ إسحاق بن البُهْلُول عن القضاء

---

(١) في (خ): وأسبابها في رمضان وسببه أنها زوجت، والمثبت من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٦، والأوراق للصولي ١٢٨، وتكملة الطبري ٢٢٧، وصلة الطبري ٩٥، والكامل ٨/ ١٣٧.

(٢) مابين معكوفين من (ف م١) ولن أشير إليه دائماً.

بمدينة السلام، واستقضى [أبا الحسين] عمر بن الحسن الشَّيْباني، المعروف بابن الأُشْناني، فجلس يوم السبت للحكم لسبعٍ بقين من ربيع الآخر، وصرف يوم الأحد، ولم يُرَ قاضياً ولي يوم الخميس وصرف يوم الأحد غيره، أقام ثلاثة أيام بعد أن خلع عليه المقتدر(١).

[قال الخطيب:] وكان من جِلَّة الناس، ومن أصحاب الحديث، والحُفَّاظ المُجَوِّدين، وكان قد وَلي القضاء بالشام، والحِسْبَةَ ببغداد(٢). وسنذكره في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة إن شاء الله تعالى.

وفي النصف من رمضان استقضى المقتدر عمرَ بنَ محمد بن يوسف بن يعقوب، وكان قبل ذلك يَخْلُفُ أباه على القضاء بالشرقية، ثم ولي قضاءَ مدينة أبي جعفر في حياة أبيه.

وفيها قلَّد المقتدرُ نازوكَ الشرطةَ بمدينة السلام مكانَ محمد بن عبد الله بن طاهر(٣).

وفيها بعث الحسين بن أحمد الماذرائي من مصر إلى المقتدر هدايا، وفيها بغلةٌ معها فلُوٌّ يتبعُها ويَرضَعُ منها، وغلامٌ طويل اللسان يضربُ لسانُه طرفَ أنفه.

وفي يوم الفطر ركب الأميرُ أبو العباس بن المقتدر إلى المصلَّى، ومعه حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، ومؤنس المُظَفَّر، وصلى بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي(٤)، و[كان] إسحاق [قد] حج بالناس [في هذه السنة] أيضاً.

وفيها توفي

بدرٌ الحَمَاميّ الكبير

أبو النَّجم، المُعْتَضِديّ(٥).

---

(١) في (خ): المعروف بابن الأشناني، فجلس ثلاثة أيام، ثم صرف بعد أن خلع عليه المقتدر، والمثبت من (ف م١).

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٩٢، وعنه المنتظم ١٣/ ٢١٠-٢١١.

(٣) في تكملة الطبري ٢٢٦، والمنتظم ١٣/ ٢١٠: مكان أبي طاهر محمد بن عبد الصمد. وهذا الخبر والذي قبله ليسا في (ف م ١)

(٤) من قوله: وفي يوم الفطر...إلى هنا، ليس في (ف م ١)

(٥) ذكر مترجموه وفاته في سنة (٣١١هـ)، انظر تكملة الطبري ٢٢٨، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٠٢، والمنتظم ١٣/ ٢٢٨، والكامل ٧/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٤، ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٧٣. وأشار المؤلف إلى وفاته في سنة (٣١١هـ) نقلاً عن ثابت بن سنان آخر ترجمته.

كان في بدايته مع أحمد بن طولون بمصر، فولّاه الأعمالَ الجليلة، ومات أحمد، فأقام عند ابنه خُمارَويه، ولمَّا حاصر القِرْمِطيُّ دمشق في خلافة المكتفي، كان بها طُغْج [بن جُفّ الفَرْغاني] من قِبَل ابن طولون، جهَّز ابنُ خمارويه بدراً [الحَمامي] في العساكر إلى دمشق مَدَداً لطُغْج [بن جُفّ]، فلقي بدرٌ القرمطيَّ على كُناكِر من حَوران فقتله، ثم انصرف بدرٌ راجعاً إلى مصر، فرُدَّ من الطريق والياً على دمشق من قبل هارون ابن خُمارويه، فقدمها في سنة تسعين ومئتين، فلما قتل هارون بن خمارويه قدم العراق ـ وقد ذكرناه ـ وقدم أصبهانَ[1] سنةَ ثلاث وثمانين ومئتين لإخراج عمرَ بن عبد العزيز، وقدمها والياً عليها سنةَ خمسٍ وتسعين، فتولَّاها إلى سنة ثلاث مئة.

وكان عادلاً، حسنَ السيرة، مُحبًّا للعلم وأهله، ومنعَ الجندَ أنْ ينزلوا دورَ الناس بأصبهان، وكان يُقرِّب العلماء، ويرفَعُ منهم[2].

ولما قدم من الشام إلى بغداد ولّاه السلطان فارسَ، فأقام بها إلى أنْ مات.

[قال أبو نعيم:] وكان صالحاً مُستجابَ الدعوة، وطالَت أيامُه فتمهَّدَت به البلاد، ويقال: إنَّه مات بشِيراز، وحُمِل إلى بغداد.

ووقع يوماً من فرسه، فقال المُعوَّج الأنطاكي: [من البسيط]

لا ذَنْبَ للطِّرْفِ إنْ زَلَّت قوائمُه ... وليس يَلحقُهُ من عائبٍ دَنَسُ
حَملتَ بأساً وجوداً فوقَه وندًى ... وليس يَقوى على ذا كلِّه الفَرَسُ

أسند الحديث عن هلال بن العلاء الرَّقِّي وغيره، وروى عنه ابنُه محمد بن بدر الأصبهاني[3].

ولمَّا مات ولَّى المقتدرُ ابنَه محمداً مكانَه.

[وقال ثابت بن سنان:] مات سنة إحدى عشرةَ وثلاثَ مئة في صفر، [وكان على فارس وكَرْمان،] ودُفن بشيراز، ثم نُبِش وحُمل في تابوت إلى دار السلام.

---

(١) في (خ): والياً على دمشق من قبل هارون بن خمارويه، ثم قدم العراق وقدم أصبهان، والمثبت من (ف م ١)

(٢) في (ف م ١): ويرفع منزلتهم.

(٣) من قوله: ووقع يوماً من فرسه ... إلى هنا؛ ليس في (ف م ١).

محمد بن جَرير

ابن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر، الطَّبَريّ، صاحبُ التاريخ وغيره[(١)].

وُلد في آخر سنة أربع وأوَّل سنة خمس وعشرين ومئتَين، وكان أسمرَ، مَديدَ القامة، أعينَ، مُلتَفَّ الجسمِ، فصيحَ اللسان، حسنَ الوجه.

ولد بآمُل[(٢)]، ثم نزل بغداد فاستوطنها، وأقام بها، وهو أحدُ أئمة العلم، يُحكَم بقوله، ويُرجَع إلى رأيه لفضله ومعرفته.

وكان قد جمَعَ من العلوم ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره.

وكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بمعانيه، عالماً بالسُّنَن وطُرقها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بالفقه وأقوالِ الصحابة والتَّابعين، عالماً بالأحكام والحلال والحرام، وأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في التاريخ، وله كتاب التفسير لم يُصنَّف مثلُه، وكتاب «تهذيبُ الآثار» لم يُتَمِّمْه، وكتاب «أصول الفقه وفروعه»، وغيرُ ذلك، وتفرَّد بمسائلَ حُفِظَت عنه.

وأقام أربعينَ سنةً يكتبُ كلَّ يوم أربعينَ ورقةً.

وقال يوماً لأصحابه: أتَنْشَطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم مقدارُه؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا شيءٌ تفنى الأعمارُ قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثةِ آلافِ ورقة، ثم قال: أتَنْشَطون لتاريخ العالَم من آدمَ إلى وقتنا؟ قالوا: وكم مقدارُه؟ فذكر نحواً مما ذَكَر في التفسير، فأجابوا بمثل ذلك، فقال: إنا لله، ماتَت الهِمَمُ. ثم اختصره في نحو ما اختصر به التفسير.

وأثنى عليه ابنُ عساكر وقال: صفّف[(٣)] بضاعةً فسُرِقت، فاحتاج، وأفضى به الحال

---

(١) ترجمة الطبري ليست في (ف م ١)، وانظرها في: تاريخ بغداد ٢/ ٥٤٨، وتاريخ دمشق ٦١/ ١٩٣، والمنتظم ١٣/ ٢١٥، والكامل ٨/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ١٦١، وفي حواشيها مصادر أخرى.

(٢) في (خ): بآمد، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٨، ١٩٩.

(٣) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٨: وكانت معه بضاعة.

حتى باع كُمَّي قميصِه، فقال له بعض أصدقائه: أَتَنْشَطُ لتأديب بعضِ ولد الوزير أبي الحسن عُبيد الله بنِ يحيى بن خاقان؟ قال: نعم.

فمضى الرجل، وأحكم أمْرَه، وعاد إليه، فأوصلَه إلى الوزير بعد أنْ أعارَه ما يَلبَسُه، فلما رآه عُبيد الله قرَّبه، ورفع مجلسَه، وأجرَى عليه في كلِّ شهرٍ عشرةَ دنانير، فلما جلس الولدُ بين يديه كتَّبه في اللوح، فكتب من ساعته، فأخذ الخادمُ اللوحَ ودخل مُستبشراً، فلم تَبْقَ جاريةٌ إلا وأهدَت له صينيَّةً فيها دنانير ودراهم، فردَّ الجميعَ وقال: قد شُورِطْتُ على شيءٍ، فما آخُذُ غيرَه.

وبلَغَ الوزيرَ، فأحضره وعاتَبه على ردِّه، فقال: هؤلاء عبيدٌ، والعبيدُ لا يَملكون، والشَّرطُ أملَكُ. فعَظُم في عينه.

وقال ابن عساكر: عزم المكتفي على أنْ يُوقِفَ وقفاً يجمع أقاويلَ العلماء[1]، فجمعهم وفيهم ابنُ جرير، فكتب كتاب الوقف، وسَلِمَ من الخلاف على ما أراد المكتفي، فأعجبه، فأرسَلَ إليه بجائزة فردَّها، فقال له صافي الحرمي: أنتَ عند ستر أمير المؤمنين، وهو يسمعُك، ومَن وصل إلى هاهنا لم يخرج إلا بجائزة أو حاجة مَقضيَّة، فقال له: أما الجائزةُ فلا أقبلها، وأما الحاجةُ فأسألُ أنْ يَتقدَّمَ إلى صاحب الشُّرطة بمنع السُّؤَّال يوم الجمعة من دخول المقصورة التي في الجامع حتى تنقضيَ الجمعةُ، فتقدَّم الخليفةُ بذلك، وعَظُم في نفوسهم.

وكان ابن جرير يميلُ إلى مذهب الظاهرية، واختارَ له مذهباً، وكان يمسَحُ على قدمَيه ولا يغسلهما عملاً بظاهر الآية، فنُسِبَ إلى الرِّفْض.

وقال محمد بن إسحاق بن خُزَيمة: التمس العباسُ بنُ الحسنِ ابنَ جرير أن يُؤلِّفَ له كتاباً في الفقه، فألَّفه وبعَثَ به إليه، فأرسل إليه العباسُ ألفَ دينار، فردَّها وقال: معاذَ الله أنْ آخُذَ على العلم أجراً.

وقال الفَرْغانيّ: كان الطبري قد وقَفَ على علم الشافعيِّ، ثم أدَّاه اجتهادُه ودينُه ونُصحه للمسلمين بأن اختارَ لنفسه قولاً لم يجد فيه نصًّا[2].

---

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٩ : أريد أن أوقف وقفاً تجتمع أقاويل العلماء على صحته.

(٢) أي: لم يجد فيه نصاً عند عالم يجب التسليم له بعلمه. انظر تاريخ دمشق ٦١/ ٢٠٥ .

ومن شعره: [من الوافر]

إذا أعْسَرْتُ لم يعلمْ رفيقي وأستَغني فيَستغني صديقي
حَيائي حافظٌ لي ماءَ وَجهي ورِفْقي في مُطالبتي رفيقي
ولو أنِّي سمَحْتُ ببَذْل وَجْهي لكنتُ إلى الغِنى سهلَ الطريقِ

وقال أيضاً: [من الكامل]

خُلُقانِ لا أرضَى طريقَهما بَطَرُ الغِنى ومَذلَّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيْتَ فلا تكن بَطِراً وإذا افْتَقرْتَ فَتِهْ على الدَّهرِ

ذكر وفاته:

لما كان يوم الاثنين وقتَ الظهر طلبَ ماءً ليُجدِّدَ الوضوءَ، فقيل له: أخِّر الظهرَ لتجمع بينها وبين العصر، فأبى، وصلَّى الظهرَ في وقتها، والعصرَ في وقتها، وقيل: كان ذلك يوم الأحد ليومين بقيا من شوال، فتوفِّي عَشيَّةَ الأحد، ودُفِنَ في داره برَحْبة يعقوب بباب خراسان، ولم يُؤذَن به أحدٌ، فلمَّا علم الناسُ اجتمع خَلْقٌ عظيم، وصلَّوا على قبره شهراً ليلاً ونهاراً.

وقال أبو الفرج رحمه الله في «المنتظم»: كان أبو بكر بن أبي داود قد كتب في حقِّه ورقةً إلى نصر الحاجب شنَّع عليه بأشياءَ، منها: أنَّه يرى رأيَ جَهْمٍ، وأنَّه تَأوَّلَ قولَه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: نعمتاه، ومنها ما روى ابنُ جرير أنَّ روحَ النبيِّ ﷺ لمَّا خرجَت سالَتْ في كفِّ علي بن أبي طالب فحَساها، قال: وإنَّما الحديثُ فمَسَح بها وجهَه[1].

وقد رثى الطبريَّ أبو بكر بن الحسن بن دريد فقال: [من البسيط]

لن تستطيعَ لأمر الله تعقيبا فاستَنْجدِ الصَّبرَ أو فاستشعرِ الحُوْبا
وافزعْ إلى كَنَفِ التَّسليمِ وارْضَ بما قضى المُهيمنُ مَكروهاً ومَحبوبا
إن العَزاء إذا عزَّته جائحةٌ ذَلَّت عَريكتُه فانْقاد مَجنوبا
فإنْ قَرنْتَ إليه العَزْمَ أيَّده حتى يعودَ إليه الحُزْنُ مَغلوبا

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢١٧.

أودى أبو جَعفرٍ والعلم فاصطحبا أعظِمْ بذا صاحباً أو ذاك مَصحوبا

ومنها:

أهوى الرَّدى للثَّرى إذ نالَ مُهجَتَه نجماً على مَن يُعادي الحقَّ مَضْبوبا[1]
إنَّ المنيَّةَ لم تُتْلِف به رجلاً بل أتْلَفَتْ عَلماً للدين مَنصوبا
كان الزمانُ به تَصفو مشاربُه فالآن أصبح بالتَّكدير مَقْطوبا
ودَّت بِقاعُ بلادِ الله لو جُعِلَت قبراً له فحَباها جسمُه طِيْبا
دامت حياتُك للدُّنيا وساكِنها نوراً فأصبح عنها النُّورُ مَحجوبا
لو تعلمُ الأرضُ مَن وارَت لقد خشَعَت أقطارُها لك إجلالاً وتَرْحيبا

وقال الخطيب: عاش خمساً وثمانينَ سنةً، وكان السَّوادُ في رأسه ولحيته أكثرَ من البياض، وما غيَّر شيبَه قطُّ[2]، وسمع خلقاً كثيراً، منهم: محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، وأحمد بن مَنيع البَغَويّ، ويعقوب الدَّوْرَقيّ وغيرهم، وروى عنه أحمد بن كامل، وسليمان بن الأتم الطَّراري[3]، وأبو محمد الفَرْغاني وغيرهم.

ورثاه أبو سعيد بن الأعرابي فقال: [من الخفيف]

حَدَثٌ مُفْظِعٌ وخَطْبٌ جَليلُ دقَّ عن مثله اصطبارُ الصَّبورِ
قام ناعي العلومِ أجْمَع لمَّا قام ناعي محمد بنِ جريرِ
فهَوَتْ أنجمٌ لها زاهِرات مُؤذِناتٌ رُسومُها بالدُّثور
يا أبا جعفرٍ مضَيْتَ حَميداً غيرَ وانٍ في الجدِّ والتَّشْميرِ



(١) في (خ): منصوبا، والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٥٥٥، وتاريخ دمشق ٦١/ ٢١٢، والسير ١٤/ ٢٨١.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٣٣-٥٥٤.
(٣) كذا في (خ)، ولعلها تحريف عن سليمان بن أحمد الطبراني، انظر تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ١٦١.

السنة الحادية عشرة وثلاث مئة

فيها خُلِع على مُؤنس المُظَفَّر، وخرج في صفر من بغداد يريد الغزو، وخُلع على أبي الهَيجاء عبد الله بن حمدان، وقُلِّد فارس وكَرْمان، ثم عُدِل عنه إلى [إبراهيم بن][1] عبد الله المِسْمَعي.

وفي يوم الخميس لسبعٍ بقين من صفر - وقيل: ربيع الآخر - صُرِفَ حامد بنُ العباس عن الوزارة، وعلي بن عيسى عن الدواوين، فكانَت مدَّتُهما أربعَ سنين وعشرة أشهر وأربعة عشر يوماً، واستَوزر المقتدرُ أبا الحسن عليَّ بنَ محمد بن الفرات يومَ الخميس لسبعٍ بَقين من ربيع الآخر، وهذه الدفعة الثالثةُ من وزارته، وخلع عليه وعلى ابنه المُحَسِّن، وشُرِط على ابن الفرات أنْ لا يُنْكِب حامداً، وأنْ يُناظرَه على فَضْلِ الضَّمان بمَحْضرٍ من القضاة والشهود والكتَّاب، فإذا وَجَب عليه شيءٌ أخذ بعضَه، وسامحَه بالبعض، وقال المقتدر: هذا خَدمني مدةَ سنين، ولم يَصل إليه منِّي سوى رزق سنة واحدة، فلم يَطِب ذلك لابن الفرات، ولا هان عليه سلامةُ حامد وقد أمكنَتْه الفرصةُ منه.

وكان حامدٌ لمَّا وَلِيَ الوزارةَ أحضر ابنَ الفرات وأسمعَه ما يكره من الشَّتْم القبيح، فقال له ابن الفرات: أنت في دار المملكة، وعلى بساط أمير المؤمنين، فانظر ماذا تقول، فليس هذا بَيْدر تقسمه، ولا أنا عاملٌ تشتمُه وتلاطِمُه.

ثم التفَتَ إلى شَفيع اللؤلؤي وكان حاضراً فقال: عرِّف أميرَ المؤمنين أنَّ الحامل لحامد على الدخول في الوزارة - وليس مِن أهلها - أنِّي أوجبتُ عليه ألفَ ألف دينار[2] من فَضْل ضمانه لأعمال واسط، فدخل في الوزارة ظنًّا منه أن يَنجوَ من المطالبة، وقد كان الأولى لمَّا دخل في الوزارة أنْ يدعَ ضمانَ واسط؛ فَضْلاً عن أن يضمنَ السَّواد وغيرَه، فأما وزيرٌ وضامنٌ فهذا أوَّلُ خيانته.

---

(١) ما بين حاصرتين من تكملة تاريخ الطبري ١١/ ٢٢٨ .
(٢) في الكامل ٨/ ١١٢ : ألفي ألف دينار.

فلمَّا سمع حامد ذلك أمر أن يُؤخَذَ بلحيته، فما قام إليه أحدٌ، فقام حامدٌ بنفسه فأخذ بلحيته وأهانَه. وبلغ المقتدر، فبعَث خادماً، فأقام ابنَ الفرات من المجلس، وردَّه إلى مَحبسه، وبقي في قلبه.

فلمَّا عُزِل حامد وَوُلِّي ابنُ الفرات كان حامدٌ بواسط، فأودع أموالَه وذخائرَه عند الناس، وأظهرَ أنَّ الخليفةَ قد استدعاه، ثم هرب من واسِط إلى حيث يأمَنُ على نفسه، وبلغ ابنَ الفرات فأخبر المقتدرَ، فأمر نازوكَ صاحبَ الشُّرطة بالمَسير إليه، فخرج من بغداد، فلقي جماعةً من غلمان حامد وكُتَّابه بدَيْر العاقول، فقبض عليهم، وأخذ ما كان معهم من الأثقال. وأحسَّ حامد فحاد عن الطريق واستَتَر، ودخل نازوك بغداد بما أخذ، فأخذ المقتدرُ المال والدوابَّ، وردَّ الضّالات إلى ابن الفرات.

وأما حامد فإنَّه لبس كساءً على زيِّ الرُّهبان، وقَصَد بابَ الخليفة مستجيراً به، وسأل أن يكون مُعتَقَلاً في دار السلطان إلى حين مناظرته على وجهٍ جميل، وشفَعَت فيه أمُّ الخليفة، فقال مُفْلح الخادم ـ وكان بينه وبين حامد عداوةٌ ـ : لئن فعلتُم هذا لم يتمَّ لابن الفرات أمرٌ وتَبطل الأموال، فبعث المقتدر بحامد إلى ابن الفرات، فأحسَنَ إليه، وأكرمه، وخاطبَه بالوزارة، وأفرد له داراً كبيرةً، ونقل إليها الفُرُش والأمتعةَ، وكان يحمل إليه من الطعام والشراب مثلَ ما كان يُحمَل إليه وهو وزير.

ثم إنَّ ابن الفرات خلا به ولاطَفَه، وقال له: قد علمتَ طَمعَ هذا الرَّجل ـ يعني المقتدر ـ وقد عزم على أنْ يُسلِّمك إلى ابني المحسِّن فيعذِّبك، وقد علمتَ جراءةَ المُحَسّن، فأطلعني على أموالك وما أودعتَه فإنَّ إنكارك لا يفيد، فقال: احلِف لي أنَّني متى أقررتُ بذلك لا تنالُني بمكروه، ولا تُسلمني إلى ابنك، فحلف له، فأطلعه على أمواله وذخائرِه ودفائنه وودائعه، فبلغ ذلك ألفَ ألف دينار ومئتي ألف دينار، فرفع ابن الفرات ذلك إلى الخليفة، فقال: هذه الأموال بالنسبة إلى نعمة حامد يسيرةٌ، سلِّمه إلى ابنك المحسِّن، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يحلُّ لي ذلك بدون اليمين، فكيف وقد حلفتُ له، وضمنتُ أنَّه لا ينالُه مكروهٌ، وما أبقى حامد[1] بقية، فبعث المقتدرُ فسلَّمه

---

(١) في (خ): خالد.

إلى المحسن، فعذَّبه بأنواع العذاب وأهانَه أقبح هَوان، فلم يقرَّ بدرهم، فقال المحسن لخادمه القاسمي: اذهب به إلى واسط فعذِّبه هناك، فخرج به، فمات في الطريق، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إنَّ ابن الفرات كاتب المقتدر في تسليم عليٍّ بن عيسى إليه، فلم يمكنه، فكتب المحسِّن إلى المقتدر يقول: سلِّمه إلي وما أوذيه، بل أستخرجُ منه المال، فبعث به إليه، فقيَّده، وألبسه جُبَّةَ صوفٍ، وأهانه كما فعل بحامد، فقال: والله ما أملكُ سوى ثلاثة آلاف دينار، وما أنا من أهل الخيانة.

وحضر نازوك يوماً والمُحسِّن قد أحضره وعليه الجُبَّة الصُّوف، فشرع يَشتمُه ويتهدَّده ويُهينه، فقام نازوك، فقال له المحسن: إلى أين؟ فقال: قد قبَّلْنا يدَ هذا الشيخ سنينَ كثيرة، فما يَطيبُ لي أنْ أراه على هذا الحال، ودخل على المُقتدر فأخبَرَه، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، وبعث ابنُ الفرات إلى ابنه المحسِّن فشتمه شتماً قبيحاً ونال منه، وبعث إلى علي بن عيسى بمالٍ، وحمله مكرَّماً إلى داره، ولم يؤخذ منه شيء، فسأَلَ الخروج إلى مكة، فأذن له المقتدر، فخرج إليها[1].

وفيها نكب ابنُ الفرات أبا علي بن مُقْلَة، وكان كاتباً بين يدَي حامد، وضيَّق عليه، وقيَّده، وطالبه بمالٍ كثير، فكتب ابنُ مُقْلَة إلى أبي عبد الله زنجي[2] كاتب ابن الفرات يقول: [من الطويل]

تُرى حُرِّمَت كُتْبُ الأخلاء بينهم ... أبِنْ لي أم القرطاسُ أصبح غاليا
فما كان لو ساءلْتَنا كيف حالُكم ... وقد دَهَمَتْنا نَكبَةٌ هيَ ماهيا
صديقُك مَن راعاك عند شديدةٍ ... وكُلًّا تراه في الرَّخاء مُراعيا
فهَبْكَ عدوِّي لا صديقي وربَّما ... رأيتَ الأعادي يَرحمون الأعاديا

فأُوقِفَ ابنُ الفرات عليها، فرقَّ له وخَفَّف مُصادرته.

---

(١) ينظر تكملة الطبري ١١/ ٢٢٩ وما بعد، والمنتظم ١٣/ ٢١٩، والكامل ٨/ ١٤٠-١٤١-١٤٢. ومن بداية السنة إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٢) في النسخ (خ ف م ١): أبي عبد الله بن نجا، والمثبت من الفرج بعد الشدة ١/ ٣٢٢، وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٣٧٩.

وفيها عمل ابن الفرات على إخراج مؤنس من بغداد، وكان مؤنس لمَّا وليَ ابنُ الفرات الوزارةَ غائباً في الثَّغْر، فقدم بغداد في رمضان، والتقاه المُحَسِّن والقوَّادُ والخاصُّ والعامُّ، واجتمع بالمُقتدر فرفع منه.

وكَثُرت الأراجيف بإنكار مؤنس ما جرى على حامد وابن عيسى والكُتَّاب، وأنَّ أكثر العساكر يريدون أنْ ينضمُّوا إلى عسكر مؤنس، فعزَّ على ابن الفرات، واجتمع بالمقتدر، وأغراه بمؤنس وقال: قد عَزم على التحكُّم على الخلافة، وأن يصير الأمر إليه، وجميع العساكر معه.

فلمَّا دخل مؤنس على المقتدر قال له: ما شيءٌ أحبَّ إليَّ من أنْ تقيمَ ببغداد لآنَسَ بك، ولكن قد قلَّت الأموال بالعراق، وعسكرُكَ يحتاجون إلى الأرزاق، ومالُ الشام والمغرب ومصر كثيرٌ، وأرى أن تقيمَ بالرقَّة، والأموال تُحمَل إليك من كلِّ جهة، ورسم له بالخروج من وقته بعسكره.

فعلم مؤنس أنَّه رأيُ ابن الفرات ـ وكان بينهما عداوةٌ شديدة ـ فسأل مؤنسٌ من المقتدر أنْ يُمْهِلَه إلى العيد بقيةَ شهر رمضان، فأجابه، وأقام إلى نصف شوال، فلمَّا أراد المسير دخل على ابن الفرات مودِّعاً له، فقام له قائماً، فاستعفاه فلم يُعْفِه، وكذا عند خروجه، وسأله في أشياء فأجابه، منها: تسليمُ الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيين، وكانا في مصادرة ابن الفرات، فسلمهما إليه، وقضى حوائجَه، وودَّع الخليفةَ وخرج في ذي القعدة إلى الرقَّة، واستوحش مؤنس(١).

وفيها شرع ابن الفرات في نَكبة نصر الحاجب، لمَّا فرغ من أمر مؤنس تجرَّد له ولشَفيع المُقْتَدريّ، وكثَّر عليهما عند المقتدر وخاصَّةً نصر، ووَصَف أموالهما وضياعَهما وذخائرهما، فأجابه إلى تسليم نصر دون شفيع، فعلم نصر فلجأ إلى السيدة، فعَنِيَت به وقالت للمقتدر: قد أبعد ابنُ الفرات مؤنساً عنك، وهو سيفك، ويريدُ أنْ ينكب حاجبَك ليتمكَّن منك، فيُجازيك على حسب ما عاملتَه به من إزالة نعمتِه وهَتْك حُرَمه، فليت شعري فبمَن تستعينُ على ابن الفرات والمُحَسِّن مع ما قد ظهر من

(١) تكملة تاريخ الطبري ١١/ ٢٤٠، والكامل ٨/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٠٦.

شرِّهما واستحلالهما الدماءَ أن يخلعاك؟ فوعدها بالكفِّ عن نصر.

وكان نصر قد استتر، فبعثَت إليه السيدة: ارجع إلى خدمتك، فرجع، وأقام ابن الفرات يُغري به المقتدر ويقول: ضيَّع عليك في أمر ابن أبي السَّاج خمسة آلاف ألف دينار، ولو كانت باقية لأرضيت بها الجُند، فكان المقتدر مرةً يَستحي من والدته وخدمةِ نصر، ومرةً تَشْرَه نفسُه للمال.

واتَّفق أنَّه وُجد في دار الخليفة رجلٌ أعجميٌّ، دخل مع الصنَّاع وخرجوا، وأقام أياماً، فأُخذ وضُرب، وقُرِّر فلم يُقرَّ شيئاً، ولم يزد: ندانم[1]، وصُلب وأُحرق.

وقيل: إنَّ ابن الفرات قال لنصر بحضرة المقتدر: ما أحسبُك ترضى لنفسك أن يجريَ في دارك ما جرى في دار أمير المؤمنين وأنت حاجبُه، وما تمَّ هذا على أحد من الخلفاء قديماً وحديثاً: أنَّ عدوًّا يدخل دورَهم، ولو أراد بأمير المؤمنين سوءاً لقدر عليه، وكثَّر على نصر، فقال له نصر: ليت شعري، كيف أُدبِّر أنا على أمير المؤمنين؟ لأنَّه أخذ أموالي وَهَتك حريمي، وقبض ضياعي، وحبسني عشر سنين[2]! وجَرَت بينهما فصول، ويقال: إنَّ ابن الفرات فعل هذا ليتمكَّن من نصر، واندفع المكروه عن نصر[3].

وفي شعبان أمر المقتدر برفع المَواريث، وردِّها إلى ما كانت عليه في زمان المُعْتَضد، وتوريث ذوي الأرحام، وأُظهِرَت نسخةٌ كتبها القاضي أبو خازم في أيام المعتضد يقول: قد اختلف الناس في توريث الأقارب، فرُوي عن زيد بن ثابت أنَّه جعل التركةَ إذا لم يكن للميت مَن يَرثُه من عَصَبة أو سهم لجماعة المسلمين ولبيت مالهم، وخالفَه عمرُ بن الخطاب، وعليٌّ، وابنُ مسعود، وابنُ عباس، وغيرُهم من الصحابة، ورَدَّ ما يَفضل من السُّهمان على أصحاب السِّهام من القرابة وذوي الأرحام،

(١) (ندانم) كلمة بالفارسية تعني: لا أعرف أو: لا أدري، وانظر تكملة الطبري ١١/ ٢٤٠-٢٤١، والكامل ٨/ ١٤٦.

(٢) في الكامل ٨/ ١٤٦: لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعني من الثرى إلى الثريا؟ إنما يسعى في قتله مَن صادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه. وانظر تكملة الطبري ١١/ ٢٤١.

(٣) من قوله: وفيها عمل ابن الفرات على إخراج مؤنس ... إلى هنا ليس في (ف م١).

والسنةُ تُعاضدهم في ذلك والكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]، ولو كان هذا القول في المسألة لا يدلُّ عليه شاهدٌ من الكتاب والسنة لكان الواجبُ تقليدَ الأفضل والأكبر من السابقين الأولين، وتركَ قول مَن سواهم ممَّن لا يَلحَق بدرجتهم بسابقته وسِنِّه، وقد روى المقدامُ بن مَعدي كَرِب أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الخالُ وارثُ مَن لا وارثَ له، ويَخْلُفُه في عياله»، وروت عائشة وأبو هريرة عن النبيِّ ﷺ مثل ذلك[١]، وهو قولُ عامة التابعين ... وذكر كلاماً طويلاً[٢].

وفيها دخل أبو طاهر سليمان بن الحسن الجَنَّابي القِرمطي إلى البصرة في ربيع الآخر لخمس بقين منه وقتَ السَّحَر في ألف وسبع مئة فارس، ونَصب السَّلالم، وصعدَ على الأسوار، ثم نزل البلدَ، وقتَلَ البوَّابين الذين كانوا على الأبواب، وفتح الأبواب، وطرح بين كلِّ مِصراعَين منها حصىً ورملاً كان معه على الجمال؛ لئلَّا يمكن غَلْق الأبواب، ووَضَع السيفَ في أهل البصرة، وأحرَقَ المِرْبَد والجامعَ ومسجدَ طلحة، وهرب الناس، وألقَوا نفوسَهم في الماء فغرِق معظمُهم، [وأقام القِرمطي بالبصرة سبعة عشر يوماً ينقل على جماله كلَّ ما قدر عليه من الأمتعة والنساء والصبيان] وخرج عنها [بما أخذه][٣] يوم الخميس لاثنتَي عشرة ليلة من جمادى الأولى، وانصرف إلى بلده، واشتغل ابنُ الفرات بذلك عن نصر وغيرِه [، وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك][٤].

وفيها توفِّي

إبراهيم بن السَّري بن سَهْل

أبو إسحاق، الزَّجَّاج، الإمام الفاضل، مصنِّف كتاب «معاني القرآن» وغيره.

(١) أخرج حديث المقدام: أحمد (١٧١٧٥)، وأبو داود (٢٨٩٩) و(٢٩٠٠)، والدارقطني (٤١١٦).
وأخرج حديث عائشة: الترمذي (٢١٠٤)، والدارقطني (٤١١٢) و(٤١١٣).
وأخرج حديث أبي هريرة ﷺ: الدارقطني (٤١٢١) و(٤١٢٢). وليس فيها: «ويخلفه في عياله».
(٢) من قوله: وأظهرت نسخة كتبها القاضي أبو خازم... إلى هنا ليس في (ف م١).
(٣) ما بين معكوفين من (ف م١).
(٤) في صلة تاريخ الطبري ١١/ ١٠٢ أن الذي حج الفضل بن عبد الملك.

قال: كنتُ أخرِطُ[(١)] الزُّجَاج، فاشتهيتُ النحو، فلزمتُ المبرِّد لتعلُّمه، وكان لا يُعلِّم مجَّاناً، ولا يعلِّم بأُجرة إلا على قدرها، فقال لي: أيُّ شيءٍ صناعتُك؟ قلتُ: أخرُطُ الزُّجاج، وكسبي كلَّ يومٍ درهمٌ، وأشترطُ أنْ أعطيَك إيَّاه إلى أن يُفرِّقَ الموتُ بيننا إن استغنَيتُ عن التعليم أو احتجْتُ إليه.

ولزمتُه، وكنتُ أخدمُه في أموره، ومع ذلك فأُعطيه الدِّرهم، فينصحُني في العلم حتى استقلَلتُ، فجاءه كتابُ بعض بني مارية[(٢)] من الصَّرَاة يلتمسون معلِّماً نحويًّا لأولادهم، فقلت له: أَسْمِني لهم، فسمَّاني، فخرجتُ فكنتُ أعلِّمهم، وأُنفذ إليه كلَّ شهر ثلاثينَ درهماً، وأتفقَّده بعد ذلك بما أقدرُ عليه، ومضت مدةٌ، فطلب منه عبيد الله ابن سليمان[(٣)] الوزير مؤدِّباً لابنه القاسم، فقال: لا أعرف لك إلا رجلاً زجَّاجاً بالصَّراة مع بني مارية.

فكتب إليهم عبيد الله فاستَنْزَلهم عنِّي، فأحضرني، وسلَّم إليَّ القاسم ابنَه، فكنتُ أعطي المبرِّد كلَّ شهر ثلاثينَ درهماً إلى أن مات، وأتفقَّدُه مع ذلك بحسب طاقتي.

وقال الزجَّاج: كنتُ أؤدِّبُ القاسم بنَ عبيد الله فأقول له: إنْ بَلَّغك الله منازلَ أبيك، ووَليتَ الوزارةَ، ما تصنع بي؟ فيقول: مهما أحببتَ، فأقول: تُعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غايةَ أُمنيّتي.

فما مضت إلا سِنون حتى وَلي القاسمُ الوزارة، وأنا على مُلازمتي له وقد صرتُ نَديمَه، فدعتْني نفسي إلى إذكاره بالوَعْد ثم هِبْتُه، فلمَّا كان اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أَذكرتَني بالنَّذر! قلتُ: عوَّلتُ على رعاية الوزير أيَّده الله، وأنَّه لا يحتاج إلى إذكارٍ في أمرِ خادمِهِ واجبِ الحقِّ، فقال: إنه المعتضد، ولولاه ما

---

(١) في (خ): أخرج، وهذه الترجمة والتثنان بعدها ليست في (ف م١)، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر: تكملة الطبري ١١/ ٢٣٦-٢٣٧، وتاريخ بغداد ٦/ ٦١٤، ومعجم الأدباء ١/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٣، والسير ١٤/ ٣٦٠ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٢) في معجم الأدباء ١/ ١٣١ : بني مارقة، وفي سائر المصادر: بني مارمة، بميمين، والمثبت موافق لنشوار المحاضرة ١/ ٢٧٥ .

(٣) في (خ): أبو عبد الله بن سليمان، والمثبت من المصادر.

تعاظَمني ذلك أن أدفعَه من مالي، ولكن أخافُ أنْ يصيرَ لك معه حديث؛ فاسمح لي بأخذها متفرِّقةً، قلتُ: أفعل، فقال: اجلس للناس وخُذ رِقاعَهم في الحوائج الكبار، واستَجْعِلْ عليها، ولا تَمنع من مسألتي شيئاً صحيحاً كان أو مُحالاً، إلى أنْ يَحصُل لك غرضُك من مال النَّذْر.

فكنتُ أعرِضُ عليه كلَّ يوم رِقاعاً، فيُوقِّع فيها، وربما قال: كم ضُمِنَ لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا، فيقول: غُبِنْتَ، هذا يُساوي كذا وكذا فاستزِدْ، فلا أزالُ أماكِسُهم ويَزيدونني حتى أبلغَ الرسمَ الذي رسمه، فحصل عندي أكثرُ من عشرين ألف دينار في مُدَيدة، فقال بعد شهور: يا أبا إسحاق، حصل مالُ النَّذْر؟ فقلتُ: لا، فسكَتَ.

ثم كان يَعرِض لي في كلِّ شهرٍ أو نحوه فأقول: لا؛ خوفاً من انقطاع الكَسْب، وقد حصل لي أضعافُ ذلك، فسألني يوماً، فاستَحْيَيتُ من الكذب المتَّصل فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال: فَرَّجْتَ والله عنِّي، فقد كنتُ مشغولَ القلب إلى أن تحصَّل لك غَرضُك.

ثم وقَّع لي من ماله بثلاثة آلاف دينار صِلةً، فأخذتُها، وامتنعتُ أن أعرضَ عليه شيئاً، ولم أَدْرِ كيف أصنعُ، ولا كيف أقعُ منه، فلمَّا كان من غدٍ حيَّيتُه وجلستُ، فقال: هات ما معك، فقلت: ما أخذتُ من أحدٍ رقعة لأنَّ الغَرَض قد حصل، فقال: سبحان الله، أتُراني كنتُ أقطعُ عنك شيئاً قد صار لك به عادة، وعلم الناسُ به، وصار لك عندهم جاهٌ ومنزلةٌ، وغُدوٌّ ورَواح إلى بابك، أفأقطعُ ذلك عنك فيظنُّوا أنَّ جاهَك قد ضعُف عندي، أو تغيَّرت رتبتُك؟! اعرض عليَّ رَسْمَك وخُذْ بغير حساب، فقبَّلتُ يدَه وباكرتُه بالرِّقاع، فكنتُ أعرض عليه كلَّ يوم إلى أن مات.

قال المصنف رحمة الله عليه: وهذه الحالة هي التي أسقطَت حُرمةَ الزجَّاج من عين القاسم، حتى كان يُباسِطُه بالعَظائم.

وحكى الخطيب عن الزجَّاج أنَّه كان جالساً عند القاسم، فجاء خادمٌ فسارَّه بشيءٍ، فقام القاسم فدخل، ثم خرج وهو واجِمٌ، فقال له: ما الذي بالوزير؟ فقال: كانت تتردَّدُ إلينا جاريةٌ لبعض المُغَنِّيات فعشقتُها، وسألتُ مولاتَها بيعَها فأبت، ثم أُشير عليها تُهديها إليَّ رجاء أن أُضاعفَ لها ثمنَها، فأرسلَتْها الساعة، فجاء الخادم وسارَّني

بحديثها، فقمتُ فَرِحاً لأفتضَّها فوجدتُها حائضاً، فضاق صدري لهذا، فأخذ الزجَّاج الدَّواة وكتب: [من المديد]

فـارسٌ مـاضٍ بـحَـرْبـتـه حـاذِقٌ بـالـطَّـعْـنِ فـي الـظُّـلَـمِ
رامَ أن يُـدمـي فَـريـسَـتَـه فـاتَّـقَـتْـهُ مـن دَمٍ بـدمِ

واجتاز الزجَّاج يوماً ببغداد، وكان النَّيروز، فرشَّ عليه بعضُ الصبيان الماءَ، فنفضَه من ثيابه وقال: [من الطويل]

إذا قـلَّ مـاءُ الـوَجـهِ قـلَّ حـيـاؤُه ولا خـيـرَ فـي وجـهٍ إذا قـلَّ مـاؤُهُ

وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل العلم شرٌّ، فشتَمَه الزجَّاج، فكتب إليه الرجلُ: [من الوافر]

أبـى الـزجَّـاجُ إلَّا شَـتْـمَ عِـرضـي لـيَـنْـفَـعَـه فـآثَـمَـهُ وضَـرَّهْ
وأُقـسِـمُ صـادقـاً مـا كـان حُـرٌّ لـيُـطـلِـقَ لـفـظـةً فـي شَـتْـمِ حُـرَّهْ
فـلـو أنِّـي كـرَرْتُ لـفـرَّ مـنِّـي ولـكـنْ لـلـمَـنـونِ عـلـيَّ كَـرَّهْ
فـأصـبـحَ قـد وقـاه الـلـه شَـرِّي لـيـومٍ لا وَقـاهُ الـلـه شَـرَّهْ

وبلغَ الزجَّاجَ، فمشى إليه راجلاً واسترضاه، وسأله الصَّفْحَ فصفح عنه.

وتوفي الزجَّاج يوم الجمعة في جُمادى الآخرة ببغداد، وأخذ النحوَ عن المبرِّد وغيره، ولم تظهَر له روايةُ حديث.

أحمد بن حَمْدان

ابن علي بن سِنان، أبو جعفر، الحِيْريُّ، الزَّاهد، النَّيسابوري(١).

كان من الأبدال، مُجابَ الدَّعوة، وصنَّف كتاب «الصحيح» على شرط مسلم، فعَازَه أحاديثَ ليتِمَّه، فسافر إلى البلاد بهذا السبب، وعاد إلى نيسابور فتوفِّي بها.

روى عنه ابناه محمد وأبو عمرو، وأبو عليّ الحافظ وغيرُهم، وحديثه بنيسابور، ولقي أبا حَفْص وغيرَه.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٨٥، وطبقات الصوفية ٣٣٢، والمنتظم ١٣/ ٢٢٣، والسير ١٤/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٩.

وحكى عنه الحاكم أنَّه قال: أنت تُبغِض[١] أهلَ المعاصي بذَنبٍ واحد تظنُّه، ولا تُبغضُ نفسَك مع ما تَتيَقَّنُهُ من ذنوبك.

أحمد بن محمد بن هارون

أبو بكر، الخَلَّال، صاحبُ الإمام أحمد رحمه الله[٢].

جمع من علومه مالم يجمعه أحدٌ، ودوَّنها، وسافر لأجلها، ولم يكن في أصحابه مَن اعتنى بها مثلُه، وكلُّ مَن تَمَذْهب للإمام أحمد رحمة الله عليه يأخذُ من كتبه.

وتوفي يوم الجمعة لليلتَين خلَتَا من ربيع الأول، ودُفن قريباً من الإمام أحمد إلى جانب المَرُّوذي، وصلَّى عليه أبو عمر حمزة بن القاسم القاضي.

سمع الحسنَ بن عَرَفة وغيرَه، وروى عنه عبد العزيز بنُ جعفر وغيرُه، وكان لا يفرِّق بين قوله: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، فقيل له في ذلك فقال: قَولي في كتبي كلِّها: حدثنا.

[فصل:

أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان، أبو الطَّيِّب، البَغَويّ، ويُعرف بابن أبي القاسم[٣].

تُوفِّي في حياة أبيه، وحدَّث عن أبيه، وعن الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزَّعْفَراني وغيره.

وأخرج له الخطيبُ حديثاً رواه عن أبي إشْكاب ـ واسمه محمد بن الحسين ـ بإسناده إلى ابن عباس: أنَّ رجلاً سأله عن عمل التَّصاوير وقال: إنِّي رجل أُصوِّرُها، فقال ابن عباس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ يُعذِّبُ المُصَوِّرين»[٤]، فقال: إنَّ لي عيالاً، فقال: صَوِّر، ولا تُصَوِّر شيئاً فيه روح.

(١) في (خ): أذنب بعض، والمثبت من طبقات الصوفية والمنتظم.
(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٠، والمنتظم ١٣/ ٢٢٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٢، والسير ١٤/ ٢٩٧.
(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٠، وهذه الترجمة من (ف م١)، وليست في (خ).
(٤) أخرجه بنحوه أحمد (١٨٦٦) و(٢١٦٢)، والبخاري (٢٢٢٥) و(٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

وفيها توفي]

حامد بن العباس الوزير

كان يَنظر قديماً بفارس، ثم انتقل إلى النَّظَر بواسط والبصرة والأهواز، وكان موسراً، له أربعُ مئة مملوك يحملون السلاحَ، ولكلِّ مملوك مماليك، وكان يخدمُه ألف وسبع مئة حاجب، واستوزَرَه المقتدر سنةَ ستٍّ وثلاث مئة، وقد ذكرناه.

وكان ظاهر المروءة، جواداً، سَمْحاً، كثيرَ العطاء، [فحكى الصُّولي أنه] شكا إليه شفيع المُقتدري فَناءَ شعيره، فكتب له بمئة كُرٍّ، وكذا لنصر الحاجب، ولابن الحَواري، ولأمِّ المقتدر(١)، ولمؤنس الخادم.

وحكى القاضي التنوخي عن بعضِ الكُتَّاب(٢): حضرتُ مائدةَ حامد، وكنتُ أسمع أنَّه يُنفقُ عليها في كلِّ يوم مئتي دينار، فحضرت بين يدَيْ حامد مائدةٌ عليها ألوانُ الأطعمة، فاستَقْلَلْتُها بالنسبة إلى ما كان يُقال عنه، ثم خرجتُ من عنده وإذا في الدار نيِّفٌ وثلاثون مائدةً منصوبةً، على كلِّ مائدةٍ عشرون نفساً، وفي مجالس أخرى عليها ثلاثون نفساً، فرأيت ما هالني(٣).

وذكر القاضي التَّنوخي: أنَّ حامداً رأى في دِهليزه يوماً قِشرَ باقِلاء، فأحضر وكيله وقال: ويلك يُؤكَلُ في داري الباقلاء؟ فسأل وإذا به من فِعْل بعضِ البوَّابين، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: نبعثُ بجِراياتِنا من اللَّحم إلى عيالنا، ولا يطيبُ لنا أنْ نأكلَها دونَهم، فنحن نأكلُ الباقلاء. فقال: أجروا لعيالهم اللحم، وأطعموا البوَّابين من الموائد.

[وقال التنوخي:] رفعَت له امرأةٌ رُقْعةً تذكر فيها فَقْرَها، فوقَّع عليها بمئتَي دينار، فأنكرها الجِهْبِذ، وعرَّفه فقال: والله ما كان في نفسي إلا أنْ أُطلقَ لها مئتَي درهم، ولكنَّ الله أجرى لها، فأعطِها فإنِّي لا أرجع عن ذلك، فلمَّا كان بعد أيامٍ وقف له رجلٌ بقصَّة وقال: أيها الوزير، إنَّك أطلقْتَ لزوجتي مئتي دينار، وقد استطالت عليَّ وطلبَت

---

(١) كذا في النسخ، وفي المنتظم ١٣/ ٢٢٩، وصلة تاريخ الطبري ٧٣: وكتب لأم موسى، وانظر ما لم ينشر من أوراق الصولي ١٢٥.

(٢) في (خ): وقال بعض الكتاب، والمثبت من (ف م١).

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٢٩.

الطلاق، فضحك حامدٌ، وأطلَقَ له مئتي دينار، وقال: قد صار لك الآن مثلَ ما لها، فهي لا تُطالبُك بالطلاق(١).

[وقال المُحَسِّن:] كان إذا سافر ومعه حُرَمُه نزلوا في حَرَّاقة، والملَّاحون الذين فيها خِصيان ليس فيهم فحل.

[وحكى المحسن أيضاً أنَّ حامداً] خرج يوماً إلى بستانه، فرأى في طريقه داراً مُحترقةً، وشيخاً قائماً يبكي، وحولَه صبيانٌ ونساءٌ يُوَلْولون، فسأل عنهم فقيل له: هذا رجلٌ تاجرٌ احترَقَت دارُه وافتقر، فوَجَم ساعةً، ودعا وكيلَه وقال: [أريد أنْ أندُبَك لأمر، إنْ فعلتَه كما في نفسي أحسنتُ إليك وفعلتُ معك كذا، وإنْ تجاوزتَ فيه رَسْمي فعلتُ بك وصنعتُ، فقال: مُرْ بأمرك، فقال:] قد اجْتَزْتُ بهذه الدار، وقد ضاق صدري على الشيخ، وآلمني قلبي، وتنغَّصَت عليَّ نُزهتي بسببه، وما تسمحُ نفسي بالتوجُّه إلى بستاني إلا بعد أنْ تضمَن لي أنِّي إذا عدتُ [العشيةَ] من البستان أن أجدَ الشيخ في داره، وهي كما كانت مبنيَّةً نظيفةً، وفيها صنوف المتاع والفُرُش مثل ما كانت وأكثر، وتحضر إليها كسوةُ الشتاء والصيف للشيخ ولعياله، فقال: تقدَّم إلى الخازن(٢) بأنْ يُطلِق ما أُريده، وإلى صاحب المَعونة أنْ يقفَ معي، ويُحضرَ ما أطلبه من الصُّنَّاع والآلات.

فأمر بذلك ـ وكان الزَّمان صيفاً ـ فأحضر الصُّنَّاع والفَعَلة، وشرعوا، وأقاموا الدار كما كانت، وسُقِفَت وبيِّضَت، وبقيت الطوابيقُ، فكتب الوكيلُ إلى حامد يسألُه أنْ يلبَثَ في البستان إلى العِشاء الآخرة، فأقام، وكتَبَ الوكيلُ جميع ما ذهب للشيخ حتى المِقْدَحَة والمِكْنَسَة، وأُحضِرَت الصَّناديق، وامتلأت الخزائنُ بالأمتعة، وكمُلَت الدارُ، واجتاز حامد بها وقد اجتمع الناس كأنَّه يومُ عيد، والناس يَضجُّون بالدعاء له، وحمل حامد إلى الشيخ خمسةَ آلاف درهم يزيدُها في بضاعته، ثم سار حامدٌ إلى داره.

---

(١) الخبران في نشوار المحاضرة ١/ ٢٢ ، ٤١ ، وعنه في المنتظم ١٣/ ٢٢٩-٢٣٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٥ ، والسير ١٤/ ٣٥٧ .

(٢) في (ف م ١): تأمر الخازن، وما سلف بين معكوفين منهما، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٣١ ، وصلة تاريخ الطبري ٢٣٥-٢٣٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٧ .

قد ذكرنا أنَّ المقتدر لمَّا نُكِبَ حامدُ أمر ابنَ الفرات أنْ [لا يُعارضَه ولا] يناظره [إلَّا] بمحضرٍ من القُضاة والكتَّاب، [وحضور] مُفْلح الخادم وكان بينهما عداوةٌ، فأغلظ له مفلح، فقال حامد: والله لأبتاعنَّ مئة أسودَ مثلِك وأجعلهم قوَّاداً، وأسمِّي كلَّ واحدٍ مفلحاً، فنقل مفلح إلى الخليفة عن حامد ما لم يَقُلْه، فسلَّمه إلى المُحَسِّن بن الفرات، فعذَّبه، ثم بعَث به إلى واسط مع خادمه القاسميِّ[1] ليعذِّبَه هناك، وكان في رمضان، وأخذ حامدٌ بيضاً يتحسَّاه نِيْم رُسْته[2] في الطريق، فتحيَّل الخادمُ حتى سمَّه في بعضه، فلَحِقَه ذَرَبٌ عظيمٌ، ودخل واسطاً وهو مُثْقَل، فسلَّمه إلى محمد بن علي البَزَوْفَري، وكان ينظُر في واسط من قبل حامد.

وأسرع الخادمُ إلى بغداد، فأراد البَزَوْفَري أن يحتاط لنفسه، فأحضر قاضيَ واسط وشهودها ليَشهدوا عليه أنَّه مات حَتْفَ أنفه، وأنَّه لا صُنْعَ للبزوفري فيه، وكتبوا كتاباً وقالوا: نشهدُ عليك، فقال حامد: اشهدوا أنَّ ابنَ الفرات الكافرَ الفاجرَ الرافضيَّ الزنديق عاهدني إن أقرَرتُ بأموالي لا ينالُني بمكروه، فأقررتُ له بها، فسلَّمني إلى ابنه الفاجر، فعذَّبني بأنواع العذاب، وأخرجني إلى هذا البلد مع خادم القاسم بن عبيد الله، وكان [هذا الخادم] يتولَّى قتلَ النفوس للقاسم، فغافلني وسقاني سُمًّا في بيضٍ فقتلني، ولا ذَنْب للبزوفري في دمي إلى وقتنا هذا، ولكنَّه كفر إحساني إليه، فاشهدوا عليَّ بما قلتُ.

وكتَبَ صاحبُ البريد إلى المقتدر بذلك، ومات حامدٌ لثلاث عشرة ليلة خَلَت من رمضان، فكان بين وفاته ومقتل الحَلّاج تسعة أشهر وعشرة[3] أيام.

وقيل: إنَّ الذي سمَّه في البيض المُحَسِّن، وخرج من بغداد مَسْموماً[4]

---

(١) في (م١) و(ف): مع خادمٍ له يقال له القاسمي.

(٢) نيم رسته: كلمة فارسية تعني: نصف ناضج (نيم: نصف، رسته: نامٍ)، ينظر المعجم الذهبي ص٢٣٦ و٥٨٢.

(٣) في (م١) و(ف): وسبعة.

(٤) صلة الطبري ١١/ ٢٣٥، والمنتظم ١٣/ ٢٣٢، والكامل ٨/ ١٤٠.

محمد بن إسحاق

ابن خُزَيمة بن المُغيرَة، أبو بكر، الحافظ، السُّلَميُّ، النيسابوريُّ، مولى مُجَشِّر بن مُزاحم.

طاف الدنيا في طلب الحديث، وصار مُبرِّزاً فيه، وتوفي بنيسابور ليلةَ السبت ثامن ذي القعدة، ودفن بداره، ثم صارت مَقْبُرَة.

سمع إسحاق بن راهويه، وأحمد بن مَنيع، وبشر بن معاذ وغيرهم.

وروى عنه جماعةٌ من مشايخه، منهم: البخاريُّ، ومسلم، وغيرهما، وأجمعوا على صدقه وأمانته وفضله[١].

أبو محمد الزَّاهد

الجُريري، بضمِّ الجيم[٢]. واسمه: أحمد بن محمد بن الحسين، وقيل: الحسن بن محمد، وقيل: عبد الله بن يحيى، والغالبُ أنَّ اسمه كنيتُه.

وهو أحدُ المشايخ الصوفية[٣]، ولمَّا مات الجنيدُ أقعدوه مكانه لحُسْن طريقته، وفضله، وقدمه.

[وفي رواية:] قيل للجنيد: مَن نُقعِدُ بعدك؟ فقال: الجريري [، وصحب سهل بن عبد الله أيضاً.

ذكر طرف من أخباره:

روى عنه أبو عبد الرحمن أنه قال:] ما مَدَدتُ[٤] رجلي منذ عشرين سنة عند جلوسي

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٣٣، والسير ١٤/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٤٣. وهذه الترجمة ليست في (ف م١).

(٢) ضبطه الذهبي في المشتبه ١٥٠ بفتح الجيم على أنه من أولاد جَرير بن عبد الله البجلي، قال ابن ناصر الدين في توضيحه ٢/ ٢٨١: وضبطه أبو القاسم القشيري بفتح الجيم كما تقدم، وقد قيده بعض المؤرخين بضم الجيم.

(٣) في (ف م١): وفيها توفي أبو محمد الجريري، واختلفوا في اسمه على أقوال أحدها ... والثاني ... والثالث: عبد الله بن يحيى... وهو أحد مشايخ القوم. والمثبت من (خ).

وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٥٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧، وتاريخ بغداد ٦/ ١١٦، والرسالة القشيرية ١٠٠، والمنتظم ١٣/ ٢٢١، ومناقب الأبرار ١/ ٤٤٣، والسير ١٤/ ٤٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣١.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١)، بدله في (خ): قال الجريري: ما مددت.

في الخَلْوة، فإنَّ استعمال الأدب مع الله أولى.

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: أقام الجريريُّ بمكةَ في سنة اثنتين وتسعين ومئتين سنةً لم يأكل ولم يَشرب ولم يَنَم، ولم يستند إلى شيء، ولم يمدَّ رجليه، وكان مُقامه في المسجد الحرام، فقيل له: بم قَدَرْتَ(١) على هذا؟ فقال: علم الله صِدْق باطني فأعانني على ظاهري.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: حَججْتُ وقَدِمتُ منزلي، فأتيتُ الجنيدَ لئلَّا يتعنَّى [لزيارتي]، فسلَّمتُ عليه ثم انصرفتُ، فلمَّا كان في اليوم التالي صلَّيتُ الفجر في المسجد، فلمَّا سلمتُ إذا بالجنيد خلفي، فقلتُ: يا أبا القاسم، إنَّما بدأتُ بك أمس لئلَّا تتعنَّى، فقال: ذاك فضلُك وهذا حقُّك.

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: كنتُ في مسجد مدينة النبي ﷺ، فانكسَفَ القمرُ ليلةَ جمعة، فنظرتُ فإذا به أسودُ، مكتوبٌ في وسطه بالنور: أنا الله وحدي، فغُشِيَ عليَّ حتى أصبحتُ.

وقال لأصحابه: هل فيكم مَن إذا أراد اللهُ أنْ يُحدِثَ حدثاً في المملكة أبدى علمه إليه قبل إبدائه إلى الكون؟ قالوا: لا، قال: فمُرُّوا وابكوا على قلوبٍ لم تَجِد من الله شيئاً من هذا.

وقال: مَن رَضِيَ بدون قَدْره رفَعَه الله فوق غايته.

وقال: عَبيدُ النِّعم كثيرٌ، وعبيدُ المنعم يَعِزُّ وجودُهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾[آل عمران: ٧٩] قال: سامعين من الله، قائلين بالله.

وقال: إنَّ الذي يقرأُ القرآن لينالَ بقراءته جزاءً، ثم أُعطي الجنة فقد رضي بالقليل؛ لأنَّ الجنة مَخلوقةٌ والقرآن قديمٌ.

وقال: مَن تحلَّى بشاهد الحقِّ عُصِمَ، ومَن تحلَّى بشاهد نفسه قُصِمَ.

(١) في (ف م١): وفي رواية فقيل له كيف قدرت. والمثبت من (خ).

وقال: قال لي الجُنيد: يا أبا محمد، ما معنى قوله عليه السلام: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فَخْر»؟[١] قلتُ: معناه: أنَّني لا أفتخرُ بالعطاء، بل أفتخر بالمعطي، فقال: أحسنتَ.

وسئل الجريري عن قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم: ٢٣] فقال: الخواصُّ لهم إشْراف على ما يَتَجَدَّد من الحوادث، فلمَّا ولدت مريمُ عيسى أشرفَت على ما سيكون، فغمَّها أنْ يكونَ منها ما يُنسَب إلى الربوبية، فقالت: يا ليتني متُّ قبل أنْ أحملَ بمَن يتَّخذُه الناس إلهاً، فأنطق الله عيسى فقال: إنِّي عبد الله آتاني الكتاب، والعبدُ لا يكونُ إلهاً.

ومما أنشد الجريري: [من الكامل]

قِفْ بالدِّيار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبَّةَ حَسْرةً وتَشَوُّقا
كم قد وقفتُ بها أسائلُ مُخبِراً ... عن أهلها أو صادقاً أو مُشْفِقا
فأجابني داعي الهوى في رَسْمها ... فارقْتَ مَن تَهوَى فعَزَّ المُلتقى

وأنشد أيضاً: [من الطويل]

شكرتُكَ لا أنِّي أُجازيك مُنْعِماً ... بشُكري ولكن كيْ يقالَ له شُكْرُ
فأذكرُ أيَّامي لديك وحُسْنَها ... وآخرُ ما يبقى على الذَّاكرِ الذِّكْرُ

ذكر وفاته[٢]:

حكى الخطيبُ، عن السُّلَمي، عن أبي سعيد الرَّازي قال: تُوفِّي الجريري في سنة وقعة الهَبِيْر، وكانت في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

قلتُ: وقد اختلفوا في وقعة الهبير على قولَين: أحدهما: أنَّ القِرمطي عارضهم في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، والثاني: في سنة اثنتي عشرة.

وحكى الخطيب عن أحمد بن عطاء الرُّوذَباري أنَّه قال: مات الجريري سنة الهَبِير، فاجتَزْتُ به بعد سنة، وهو مستندٌ جالسٌ ورُكبتُهُ إلى صدره، وهو يشير إلى الله تعالى بأُصبعه[٣].

---

(١) أخرجه أحمد من حديث ابن عباس ﵄ (٢٥٤٦).

(٢) جاءت وفاة الجريري في (خ) مختصرة، فأثبت سياق (ف م١) لوضوحه وتمامه.

(٣) بعدها في (ف): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الثانية عشرة وثلاث مئة

فيها في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم عارض أبو طاهر بن أبي سعيد الجَنَّابي قافلةَ الحاج قريباً من الهَبير، وسنُّه يومئذٍ سبع عشرة سنة، وهو في ألف فارس وألف راجل، وكان في القافلة أبو الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان ـ وطريق مكة وبَذْرَقةُ[1] الحاجِّ إليه ـ وأحمد بنُ بدر عمُّ السيدة والدةِ المقتدر، وشقيق[2] خادم السيدة، وجماعة من الأعيان، فأسَرَهم أبو طاهر، وأخذ الأموال والجمال، والنساء والرجال والصبيان، وسار بهم إلى هَجَر، وترك باقي الحاجِّ مواضعَهم بغير زادٍ ولا رَواحل، فمات أكثرُهم بالعطش والحفاء.

وبلغَ الخبرُ إلى بغداد فانقلبَت من الجانبَين، وخرج النساءُ مُنشرات الشعور، مُسَوِّدات الوجوه، يَلْطِمْنَ ويَصْرُخن في الشوارع، ثم انضاف إليهم حُرَمُ الذين نكبَهم ابنُ الفرات، فكانت صورةً شَنِعةً لم يُرَ مثلُها.

وبلغ المقتدرَ الخبرُ، فضعُفَ أمرُ ابن الفرات، واستدعى نصراً الحاجب فأدخله في المُشاورة، وتمكَّن منه نصرٌ وقال له: السَّاعةَ تقول أيُّ شيءٍ ترى، بعدَ أنْ زَعزعت أركانَ الدولة وعرَّضْتَها للزَّوال بإبعادك لمؤنس الذي كان يُناضلُ الأعداءَ، ويدفعُ عن الدولة، ومَن لنا الآن بدَفْع هذا الرجل عن الحَضْرة؟ ومَن الذي أسلَم رجالَ السلطان وخَدَمَه وقُوَّادَه إلى القرمطيِّ سواك؟ وقد ظهر الآن أمرُ الرجل الأعجميِّ الذي وُجد في دار السلطان، أنَّه كان صاحباً للقرمطيِّ [وأنت أوصلْتَه][3].

ثم التفت نصر إلى المقتدر، وأشار عليه بمكاتبة مؤنس، والتَّعجيلِ به إلى الحضرة، فأمر أن يُكتب إليه بالقدوم، فلمَّا خرج مِن عند المقتدر سألَ ابنُ الفرات نصراً أن لا

---

(١) البذرقة: الخُفَارة، والمبذرق الخفير. القاموس المحيط (بذرقة).

(٢) في (م١) و(ف): وسبعين.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من الكامل ٨/ ١٤٨ ، وانظر مالم ينشر من أوراق الصولي ١٤٠ ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ٤٢ ، وصلة الطبري ١٠٣ ، وتكملة الطبري ٢٤٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٣٩ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٠٧-٢٠٨ .

يكتبَ إلى مؤنس حتى يكون هو الذي يكتب، فأوهمه أنَّه يتوقَّف، وبادر وكتب إلى مؤنس من يومه، وأنفذ الرُّسلَ، وأمره بالمُبادرة إلى الحضرة، وكتب ابنُ الفرات بمثل ذلك عن المقتدر.

ووثبت العامةُ على ابن الفرات، ورجمَت طيَّارَه بالآجُرّ، ورجمَت ابنَه المحسِّن أيضاً، وما زالت العامةُ تَضِجُّ في الطرقات بأنَّ ابنَ الفرات القرمطيُّ الكبير، وأنَّه ليس يُقنعُه إلا إتلاف أُمَّة محمد ﷺ، وامتَنَع الناسُ من الصَّلوات في الجوامع والمساجد.

وأشار ابنُ الفرات بإخراج ياقوت الكبير إلى الكوفة ليضبطَها من القرمطيِّ، فتقدَّم المقتدرُ إليه بالخروج في الغلمان الحُجَريَّة[1] ووجوه القُوَّاد، وأزاح عِلَلَهم، وأنفق فيهم خمسَ مئة ألف دينار.

وسار القرمطيُّ إلى هَجَر ولم يَقْرُب الكوفةَ، فرجع ياقوتُ مِن بعض الطريق، وأصلح المقتدر بين نصر وابنِ الفرات.

وقَدِم مؤنس بغدادَ غرَّةَ ربيع الأول، ودخل على المقتدر من وقته، وعاد إلى داره، فركب إليه ابنُ الفرات بسبب السلام عليه، ولم يَجْرِ بذلك عادةٌ، ولا لأحد من وزراء المقتدر قبلَه، فخرج مُؤنس إلى باب داره، وتلقَّاه، وسأله الانصرافَ، فلم يفعل، وصعد من طيَّاره، ودخل دار مؤنس، وهنَّأه بالسلامة، ثم خرج وخرج معه مؤنس إلى أنْ نزلَ في طيَّاره، وقبَّل يدَه.

ولمَّا اضطرب أمرُ ابنِ الفرات خاف المحسِّن ابنُه أنْ يظهر عليه ما أخذه من الذين نكبهم لنفسه، فسلَّمهم إلى محمد بن علي الشَّلْمَغاني، ويُعرف بابن أبي العَزاقِر نائبِهِ على العقوبات، وفيهم عبد الوهاب بن ماشاء الله، ومؤنس خادمُ حامد، فذبحَهم كما يُذبَح الغَنَم، وذهب بإبراهيم بن عيسى أخي عليِّ بن عيسى إلى البصرة بعد أن استأصله، وسلَّمه إلى عاملها، فسمَّه فمات، وكَثُر حُرَم المقتولين على باب ابن الفرات وابنه المُحسِّن.

---

(١) نسبة إلى حُجْرة، وهي الثكنة أو دار العسكر في بغداد ومصر، كان قرب قصر الوزير مكان واسع يطلق عليه اسم الحُجَر يسكنه الغلمان الذين يخدمون الخلفاء، لكل واحد منهم فرس وسلاح، ينفذون ما يصدر إليهم من أوامر دون تردد. انظر تكملة المعاجم ٣/ ٨٢ .

ولما اشتد الإرجافُ بعزل ابن الفرات، بعث رسالةً إلى المقتدر يقول: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أنَّني عاديتُ في استيفاء حقوقك الكبيرَ والصغير، واستخرجتُ لك الأموالَ من الدَّنيِّ والشريف، وبلغتُ غايةَ ما أمكنني في طاعتك، فلا تقبل فيَّ مَن يريد إبعادي عن خدمتك، ويُغريك بما لا فائدةَ لك فيه، ويحملُك على ما تُذَمُّ عواقبُه، وبعدُ، فطالعي وطالعُك واحد، وليس يَلحقُني شيءٌ إلا لَحِقَك مثلُه، فلا تَلتفت إلى ما يُقال لك، وقد علمَت الخاصَّةُ والعامةُ أنِّي أطلقتُ للرجال النَّافذين إلى مكة ما لم يُطلقه أحدٌ مِمَّن تقدَّمني، واخترتُ رؤساءَ القوَّاد وشجعانَ الرجال، وأزحتُ العلَّة في كل ما التُمِس منِّي، فحدَث من قضاء الله تعالى على الحاجِّ ما قد حدث في أيام المكتفي مثلُه فما أَنْكرَه على وزيره، ولا أكبر به جرره، ولا أفسدَ عليه وزارَتَه.

وأتبع هذه الرسالة ما شاكَلَها. ثمَّ بعد أيام بعث المقتدر فقبض عليه وأخرجَه إلى طيَّار فيه مؤنس، فرفَعَه مؤنس، وخاطبه بخطابٍ جميل وعاتبه، فتذلَّل له وخاطبه بالأستاذ، فقال مؤنس: الساعةَ تُخاطبني بالأستاذ وبالأمس تُخرجني على سبيل النَّفْي إلى الرَّقة والمطرُ على رأسي، وتذكر لمولانا أميرِ المؤمنين أنَّني أسعى في فساد دولته.

ثم انحدر به إلى دار السلطان، ومعه أولادُه وكتَّابُه، والمُحسّن قد استتر، ورَجَمت العامةُ طيَّار مؤنس، وكثُر ضجيجُهم على ابن الفرات، ويقولون: قد قُبِضَ على القِرمطيِّ الكبير وبقي القرمطيُّ الصغير، واعتُقِل وأولادُه في دار الخليفة، وسلَّمهم نصراً الحاجب، فكانت مدَّة وزارته الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

ولمَّا كان يوم الخميس لتسعٍ خلَون من ربيع الأول[1] استوزَر المقتدرُ عبد الله بن محمد الخاقاني، وخَلَع عليه، وشافَهَه بالوزارة، وركب إلى داره ومعه مؤنسٌ الخادم، وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب والأعيانُ.

ذكر ما جرى على ابن الفرات:

لمَّا حُبس في دار الخلافة شَغَبت العامة وقالوا: لا نرضى إلَّا أن يُخرج منها، ويُسلَّم إلى شَفيع اللؤلؤي، فقبض عليه شفيع، وحمله إلى داره.

---

(١) من قوله: وبلغ المقتدر الخبر فضعف أمر ابن الفرات ... إلى هنا ليس في (ف م١).

ولمَّا وَلي الخاقاني راسل شفيع ابنَ الفرات فيما يَبذله من المُصادرة عن نفسه؛ لئلَّا يُسلَّم إلى الخاقاني، وكان الخاقاني قد استتر أيام وزارة ابن الفرات خوفاً منه، فقال ابن الفرات: أريد أمان المقتدر، وما عندي سوى مئة وستين ألف دينار، فأمر المقتدرُ بتسليم ابنِ الفرات وأولاده إلى الخاقاني، فحُملوا إليه، فسلَّمهم إلى رجل يُعرَف بأبي العباس بن بعد شَرّ[1]، فعذَّبهم حتى استصفى أموالَهم، فبلغت ألفي ألف دينار.

وكان ابنُه المُحَسِّن قد استتر بالكَرْخ عند امرأة فغُمز عليه، فأخذه نازوك ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، فضُربت الدَّبادِبُ نصف الليل فَرَحاً بأخذه، فارتاع الناسُ، وظنُّوا أنَّ القِرمطيَّ قد كَبَس بغداد، وكان المحسن في زِيِّ امرأةٍ قد خَضَب يديه ورجليه بالحِنَّاء، فسُلِّم إلى ابن بعد شر، فأوقع به مكروهاً، وأخذ خطَّه بثلاثة آلاف ألف دينار، ولم يقرَّ بشيءٍ، ولم يؤخذ منه درهم.

واتَّفق هارون بن غريب الخال، ومؤنس، ونصر الحاجب على قتل ابن الفرات وولدِه، وكاشفوا المقتدرَ فقال: دعوني أنظر. فقالوا: نخافُ أن يَشغَب[2] القوَّاد والناس، واستشار الخاقاني فقال: لا أدخل في سَفْك الدِّماء، والمصلحةُ حملُهما إلى دار الخليفة، فإذا أمِنا أظهرا المالَ [، ولا ينبغي أن يَسْهُلَ على الملوك قتلُ أحدٍ من الحواشي، فكيف يسهل عليهم قتلُ خواصِّهم؟].

ولمَّا كان يوم الأحد لاثنتي عشرة خلَت من ربيع الأول قُدِّم إلى ابن الفرات طعامٌ فقال: إنِّي صائمٌ، فلمَّا كان عند المساء قُدِّم إليه فقال: لستُ أفطرُ الليلةَ، وأنا غداً مقتولٌ، فقيل له: نُعيذُك بالله، فقال: [بلى] رأيتُ أخي أبا العباس البارحة في النوم وهو يقول: أنت تُفطر عندنا يوم الاثنين بعد غدٍ، وما قال لي شيئاً في النوم قطُّ إلا وصَحَّ.

فلمَّا كان يوم الاثنين انحدر الرؤساء والقوَّاد إلى دار المقتدر، فلم يصلوا إليه، فكتبوا رقعةً: إنْ تأَخَّرَ قتلُ ابنِ الفرات وابنه اليوم جرى على المملكة ما لا يُتَلافى.

---

(١) كذا في النسخ، وتحفة الأمراء ٤٥ ، وتكملة الطبري ٢٤٤ ، وفي أوراق الصولي ١٤١ ، وصلة الطبري ١٠٤ : يعرف بابن نقد الشر.

(٢) في (ف م١): دعوني أفكر، فقالوا: نخاف شغب.

فأرسل إلى نازوك، فأمر بقتلهما، فقال نازوك: هذا أمرٌ عظيم، لا يُقنعني[١] فيه رسالةٌ، فأمر المقتدرُ بإدخاله إليه، فشافهه بذلك، [فخرج إلى ابن الفرات،] فقتل المحسِّن، وجاء برأسه إلى أبيه، فارتاع وقال لنازوك: راجع أميرَ المؤمنين فأنا أُقرُّ بأموالي وودائعي، وعندي مالٌ عظيم وجواهر جليلة[٢]، فلم يلتفت، وضرب عُنقه، وبعث برأسيهما إلى المقتدر، فأمر بأن يُرميا في دجلة، فغُرِّقا.

وكان سنُّ أبي الحسن بن الفرات حين قُتل إحدى وسبعين سنةً وشهوراً، إلا أنه ولد سنة إحدى وأربعين ومئتين، وسنُّ ابنه المُحسِّن ثلاثاً وثلاثين سنةً، فكان بينهما وبين وفاة حامد [بن العباس] الوزير ستةُ أشهرٍ وأياماً.

ولمَّا قُتل ابن الفرات جاء هارون بن غريب إلى الخاقاني فهنَّأه، فغُشي عليه حتى ظنَّ هارون أنَّه قد مات، وصرخ عليه أهلُه وغلمانُه، وقال مؤنس: أليس قد قُتل ابنُ الفرات؟ والله لنقتلَنَّ كلُّنا [كما قتل].

وقيل: إن كاتبَ ابن الفرات ويقال له: أبو الطَّيِّب رأى في منامه كأنَّه دخل إلى مكان وفيه مؤنس، وفي يده عشرُ خواتيم فُصوصُها ياقوتٌ أحمر، ومؤنسٌ يقول: قد قُتل ابن الفرات، والله لنقتلن كلُّنا، أوَّلُنا المقتدرُ، وأنا والله ما أردتُ قتلَه، وإنما قتله نصر الحاجب، فكان كما قال، قُتل مؤنس بعد عشر سنين[٣].

وكان أبو نَصْر وأبو عبد الله ابنا أبي الحسن بن الفرات مُعْتَقَلَين، وكان قد أُخذ خطُّهما بأربع مئة ألف دينار، فقال مؤنس للمقتدر: إنهما قد أُصيبا بأبيهما، وما كان لهما مع المحسن مدخلٌ، وأسأل أن يُطلَقا ولا يؤخذ منهما شيءٌ، فأجابه المقتدر، فخلع عليهما مؤنسٌ، وأعطى كلَّ واحدٍ عشرة آلاف درهم.

وفيها أطلق القرمطيُّ أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان، فوصل إلى بغداد، وبعث القرمطيُّ يطلب من المقتدر البصرةَ والأهوازَ، وذكر ابنُ حمدان أنَّ القرمطيَّ قتل من الحاجِّ من الرجال ألفَين ومئتين، ومن النساء ثلاث مئة، وبقي عنده بهجر ألفان ومئتان

(١) في (ف م١): لا تنفعني.
(٢) في (ف م١): وجوهر جليل.
(٣) تحفة الأمراء ٥١ .

من الرجال، وخمس مئة امرأةٍ.

وفيها فُتحت فَرْغانة على يد والي خُراسان.

وحجَّ بالناس الحسين بن عبد العزيز الهاشمي[١].

وفيها توفِّي

علي بن محمد

أبو الحسن، ابن الفُرات، الوزير.

وزر للمُقتدر ثلاث مرَّات، وملك أموالاً عظيمةً تزيد على عشرة آلاف ألف دينار، وأودع الأموالَ عند وجوه الناس ببغداد، فلم يبقَ قاضٍ ولا عَدْلٌ إلا أودعه، وكذا عند التجَّار والأشراف، بحيث إنَّه لم يبقَ أحدٌ إلا وله عنده وَديعةٌ.

وكان جبَّاراً، فاتكاً؛ إلا أنَّه كان يَرقُّ في بعض الأوقات.

ولمَّا قُلِّد الوزارة قَلَّد سليمان بن الحسن بن مَخْلَد الدِّيوانَ بأسره، فأقام نحواً من سنتين، فقام يوماً من دار ابن الفرات، فسقطت من كُمِّه ورقةٌ ولم يعلم، فأخذها بعضُ الغلمان، فقرأها، وإذا بها سعايةٌ إلى المقتدر بابن الفرات، وسَعيٌ لعبد الحميد[٢] كاتب السيدة في الوزارة، فتقرَّب بها الغلام إلى ابن الفرات، فقبض على سليمان، وعذَّبه واستصفى أموالَه، ونفاه إلى واسط، فكانت أمُّه تبكي عليه ليلاً ونهاراً، فيقال: إنَّها ماتت بحَسْرته، فرَقَّ له بعد ذلك، وتذكَّر المَوَدَّةَ التي كانت بينه وبين أبيه الحسن بن مَخْلَد، فكتب إليه كتاباً بخطِّه يقول فيه:

أما بعد، فإني مَيَّزْتُ بين حقِّك وجُرْمِك، فوجدتُ الحقَّ يوفي على الجُرم، وتذكَّرتُ من سالف خدمتك في المنازل التي فيها رَبيت، وبين أهلها دَبَبْتَ ما ثناني إليك، وعَطَفني عليك، وأعادني لك إلى أفضل ما عَهِدتَ، وأجمل ما أَلِفْتَ، فثِقْ بذلك، واسكُنْ إليه، وعَوِّل على صلاح ما اختلَّ من أمرك عليه، واعلم أنَّني أُراعي فيك حقوقَ أبيك التي تقوم

(١) كذا، وفي صلة الطبري ١٠٧ : وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

(٢) في تحفة الأمراء ٨٠ : لابن عبد الحميد، وهو الصواب، فهو أحمد بن محمد بن عبد الحميد صرح باسمه في ص٧٦ من التحفة.

بتوَكُّد(١) السبب مقام اللُّحمة من النَّسَب، ولن أدع مُحافظتَها ومراعاة جانبها بمشيئة الله تعالى، وقد قَلَّدتُك دَسْتُمِيسان لسنة ثمان وتسعين ومئتين، وأمرتُ لك بعشرة آلاف دينار تُحمَل إليك من مالي، ويُردُّ جميعُ ما أُخذ منك، فتقلَّد هذه الأعمال، وأَثِّر بها آثاراً جميلةً تُبيِّن حسنَ كفايتك، وتؤدِّي إليَّ ما أحبُّه من زيادتك، والسلام.

وزوَّر رجلٌ كتاباً عن ابنِ الفرات إلى ابن زنبور عاملِ مصرَ لِيُولِّيه مكانةً، فلمَّا وقف عليه ابن زنبور أنزل الرجل، وأكرمَه، وأعطاه جائزةً يَسيرةً، ووعده، ثم أنكر ابن زنبور الكتاب، واستراب بالخطاب، وقال للرجل: سوف أنظر في أمرك.

ثم أرسل الكتابَ إلى ابن الفرات، فقرأه وقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ فقال بعضهم: تُقطع يده لتزويره على الوزير، وقال بعضهم: يُقطع إبهامُه، وقال بعضهم: يُضرب ويُحبس، وقال بعضهم: يُكشَف أمره لابن زنبور لِيَطْرُدَه، فقال لهم ابن الفرات: بئس ما قلتم، وما أبعدَ طباعَكم من فعل الجميل، رجلٌ توسَّل بنا، وتحمَّل المشاقَّ إلى مصر يُريد جاهَنا، ولعلَّه ما وصل إلينا، فخفَّف عنا بأن طلب جهةً أخرى؛ يكون حظُّه منا الخيبةَ؟! وكان في الكتاب عن لسان الوزير: أنَّ للرجل حُرْمةً وَكيدةً عند الوزير، وسابقَ خدمةٍ قديمة.

فكتب ابنُ الفرات على الكتاب المزوَّر: هذا كتابي، ولا أعلمُ السببَ الذي أنكرتَه واسترِبْتَ به ما هو، وحرمةُ صاحبه عندي وكيدةٌ، وسببُه أقوى ما يكون، فأجزِلْ عطيَّتَه، وتابع برَّه، وزِدْ في الإحسان إليه.

فلمَّا وقفَ على الكتاب فعل ما أمره الوزير، فلمَّا كان بعد مدةٍ طويلة دخل على ابن الفرات رجلٌ جميل الهيئة، فأخذ يدعو لابن الفرات، ويبكي ويُقبِّل الأرض، وابن الفرات لا يعرفه ويقول: بارك الله عليك، مالك؟ فقال: أنا صاحبُ الكتاب الذي زوَّرتُه على الوزير إلى ابن زنبور، فضحك ابنُ الفرات وقال: فبكم وَصَلك؟ فقال: صَرفني ووَصَلَني عشرون ألف دينار، فقال: الزَمْنا ننفعْك بأضعافها، واستخدَمَه فأكسبه مالاً عظيماً(٢).

(١) في (خ): تكون توكيد، والمثبت من تحفة الأمراء ٨٠.

(٢) انظر تحفة الأمراء ٨٧، والمنتظم ١٣/ ٢٤٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢٨.

وابن الفرات أوَّلُ مَن حلَّ نظام السياسة ببغداد، فإنَّه ضَعْضَع أمر القَضاء، فولاه أجهلَ الناس، وقد ذكرنا مقتلَه ومقتل ولده[١].

[فصل: وفيها توفيت]

فاطمة بنت عبد الرحمن

ابن أبي صالح [الحَرَّاني، واسم أبي صالح] عبد الغَفَّار بن داود.

[قال الخطيب: كنيتُها] أم محمد الصوفية[٢]، وُلِدت ببغداد، وحُملت إلى مصر وهي حَدَثة. وكانت من الصالحات المُتعبّدات، طال عُمُرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تُعرف بالصوفية لأنَّها أقامت تَلبس الصوفَ ولا تنام إلا في مصلَّاها بغير وِطاء فوق ستينَ سنة.

سمعت من أبيها [عبد الرحمن]، وروى عنها ابنُ أخيها عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن[٣].

محمد بن جُمُعة بن خَلَف

أبو قُرَيش، القُهُسْتاني، الحافظُ، الوَرِع، صاحبُ الرحلة[٤].

صنَّف «المسند»، وانتشر حديثُه بخُراسان، وسمع خلقاً كثيراً، منهم: محمد بن حُميد الرَّازي وغيرُه، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيرُه، واتَّفقوا على فضله وصدقه وثقته.

محمد بن محمد

ابن سليمان بن الحارث، أبو بكر، الأَزْديّ، الواسِطيّ، ويُعرف بالباغَنْدي[٥].

---

(١) من قوله: وقيل إن كاتب ابن الفرات ويقال له أبو الطيب... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٦٣٠، والمنتظم ١٣/ ٢٤٤.

(٣) بعدها في (م١): والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٥٥٦، والمنتظم ١٣/ ٢٥٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٧٢، والسير ١٤/ ٣٠٤ ووفاته عندهم في سنة (٣١٣هـ).

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٣٤٣، والمنتظم ١٣/ ٢٤٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٥٧، والسير ١٤/ ٣٨٣.

رحل في طلب الحديث إلى الأمصار البعيدة، وعُني به العناية العظيمة، وأخذ عن الحفَّاظ والأئمة.

وكان حافظاً فقيهاً يقول: أنا أُجيبُ في ثلاث مئة ألف مسألة من حديث رسول الله ﷺ، وسكن بغداد وحدَّث بها، وكان عامةُ ما يرويه من حفظه.

وكان حريصاً على حفظ الحديث وروايته، يَسرُد الحديث من حفظه مثلَ تلاوة القرآن، وكان يقول: حدثنا فلان، وحدثنا فلان، وهو يحرِّك رأسَه حتى تسقط عمامتُه. وقال عمر بن أحمد الواعظ: قام الباغَندي يُصلِّي، فكبَّر ثم قال: حدثنا محمد بن سليمان، فسبَّحنا به، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد روى مثلَها ابنُ شاهين فقال: صلَّينا خلف الباغندي، فافتتح الصلاةَ ثم قال: حدثنا لُوَين، فقلنا: سبحان الله، فقال: حدثنا هلال، فقلنا: سبحان الله، فقال: حدثنا شَيبان بن فَرُّوخ الأُبُلِّي، فقلنا: سبحان الله، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ الفاتحة.

توفي يوم الجمعة، ودُفن يوم السبت لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة.

سمع [محمد بن] عبد الله بن نُمَير(١)، وشَيبان بن فَرُّوخ، وابن المَديني، وخلقاً كثيراً من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد.

وروى عنه القاضي المَحامِلي، وابن مَخْلَد، وابن الصَّوَّاف، ودَعْلَج بن أحمد، وخلقٌ كثير.

وقال الدارقطني: كان يُدلِّس ويحدِّث بما لم يَسمع، وربَّما سرق(٢).

وقال الخطيب: لم يثبُت من أمر الباغندي ما يُعاب به سوى التَّدليس، ورأيتُ كافَّة شيوخنا يحتجُّون بحديثه، ويُخرِّجونه في الصحيح.

(١) ما بين معكوفين من مصادر ترجمته، وهذه الترجمة والتي قبلها ليستا في (ف م١).
(٢) سؤالات حمزة ٩١ .

السنة الثالثة عشرة وثلاث مئة

فيها أمر المقتدر بنَقْض جامع براثا غربي بغداد وجَعْلِه مقابر، وكان يجتمع إليه قومٌ على مَذهب القَرامطة[(١)] يسبُّون الصحابة ﷺ، ومُقدَّمُهم رجلٌ يُعرف بالكَعْكي، فبعث المقتدرُ نازوك في صفر، فقَبَض عليه وعلى الجماعة، ووجد معهم خواتيمَ من طينٍ عليها مكتوبٌ: محمد بن إسماعيل الإمام المهدي، فكتب [المقتدر فتوى في] المسجد أنَّه مسجد ضِرار يجب هدمُه، فنُقِضَ وأُحرق جانبٌ منه [وذلك في صفر.

وفيها] في ذي القعدة خرج الحاجُّ من بغداد ومعهم جعفر بن وَرْقاء في ألف فارس من بني شَيبان ليُبَذْرِقهم[إلى مكة][(٢)].

فلَقي القِرمطيَّ بزُبالة، فناوشه قليلاً، واضطرب الناس، ورجعوا إلى بغداد، وجاء القرمطيُّ فنزل بظاهر الكوفة، فقاتلوه فغلبَهم، وأقام بظاهرها ستَّة أيام، يدخل البلد نهاراً، ويخرج فيَبيتُ في عسكره ليلاً، وأخذ من الثِّياب والمَتاع ما لا يوصَف، ثم رحل إلى بلده، ودخل جعفر بغداد [، ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ خوفاً من القرمطيّ]، وندب المقتدر مؤنساً الخادم لقتال القرمطيِّ، وجهَّزَه بألف ألف دينار[(٣)].

[وفيها انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ قبل مَغيب الشمس من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال، فأضاءت الدُّنيا منه إضاءةً، وكان له صوتٌ مثل صوت الرَّعد الشَّديد.][(٤)]

وفيها صُرِف الخاقاني الوزير، وكانت وزارتُه سنةً وستَّة أشهر وأياماً، واستوزر المقتدر أحمد بنَ عُبيد الله بن أحمد بن الخَصيب، وخلع عليه، وكان [الخصيبي] قد استخرج مالاً وجواهر من زوجة المُحَسِّن بن الفُرات، فصارَت له بذلك عند المقتدر

(١) في (ف م١): وسببه أنه رفع إلى المقتدر أنه يجتمع إليه أقوام على مذهب القرامطة. والمثبت من (خ).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م١)، ومعنى يبذرقهم: يخفرهم ويحميهم حتى يصلوا مكة. وهذه الحادثة أوردها صاحب الأوراق ١٤٦، وصلة الطبري ١٠٧، والكامل ٨/ ١٥٥-١٥٦ في أحداث السنة الماضية (٣١٢هـ).

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٠٩.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١). وانظر المنتظم ١٣/ ٢٤٧، والكامل ٨/ ١٦٠.

منزلةٌ، فاستوزره، وسلَّم إليه الخاقاني[١]، فصادره، وصادر كُتَّابَه، وأخذ أموالهم.

وفيها [حُمل التَّمر من بغداد إلى البصرة، كان قد] كَثُر الرُّطَب ببغداد، فبيع كلّ ثمانية أرطال بحَبّة، فعمل تمراً، وبعث منه إلى البصرة [، وصحَّ المثل: حُمل التَّمر إلى هَجَر[٢].

فصل:] وفيها توفي

علي بن عبد الحَميد

ابن عبد الله بن سليمان، أبو الحسن، الغَضائري، نزيلُ حلب[٣].

حجَّ [أربعين حجة في] أربعين سنة من حلب على رجليه ذاهباً وراجعاً.

[وحكى عنه الخطيب] قال: طرقتُ باب السَّرِيّ السَّقَطي، فسمعتُه يقول: اللهم اِشْغَل مَن شَغلني عنك بك، وتوفِّي في شوّال.

[وفيها توفي]

علي بن محمد بن بشَّار

أبو الحسن، الزّاهدُ، العابد، البغداديُّ، صاحبُ الكرامات[٤].

كان من الأبدال، وكان يَعِظُ الناس فيفتح مَجلسَه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فقال له رجل: فما الذي تُريد؟ فقال: هو وعزَّته يعلم أني ما أريد من الدنيا والآخرة سواه[٥].

---

(١) في (ف م١): فاستوزره وعزل الخاقاني وسلمه إلى الخصيبي.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٤٩، والكامل ٨/ ١٦٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٠٩، ورواية المثل الذي أورده: كمستبضع التمر إلى هجر؛ انظر مجمع الأمثال ٢/ ١٥٢، والمستقصى ٢/ ٢٣٣، وفصل المقال ٤١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٨٠، والمنتظم ١٣/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٦٧، والسير ١٤/ ٤٣٢.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١)، وانظر في ترجمته: تاريخ بغداد ١٣/ ٥٣٤، والمنتظم ١٣/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٦٧، وتكملة الطبري ٢٤٨.

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

[وروى الخطيب عن ابن مِقْسَم قال: كان ابن بشار] إذا أراد أن يُخبر عن نفسه شيئاً قال: أعرف رجلاً حالُه كذا وكذا، فقال ذات يوم: أعرف رجلاً منذ ثلاثين سنةً يشتهي أن يشتهي ليَتْرُكَ ما يشتهي، فما يجدُ شيئاً يشتهي.

وقال: منذ ثلاثين سنةً ما تكلَّمتُ بكلمةٍ أحتاج أن أعتذرَ منها.

[وقال الخطيب:] قال له رجل: كيف الطريقُ إلى الله عز وجل؟ فقال: كما عَصيتَه سرًّا فأطِعْه سرًّا حتى يوصلَك إليه.

وكانت وفاتُه ليلةَ الخميس لسبع خلون من ربيع الأول، وحضره الوزراءُ والأمراء وأربابُ الدولة، ودُفن غربي بغداد بمَشْرَعة السَّاج، وقبرُه [اليوم] ظاهرٌ يُزار ويُتَبَرَّك به[١].

حدّث عن صالح بن الإمام أحمد وغيرِه، وروى عنه [أحمد بن][٢] محمد بن مِقْسَم وغيره، واشتغل بالتعبُّد عن الرواية.

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن مِهْران بن عبد الله، أبو العباس، السَّرَّاج، النَّيْسابوري مولى ثقيف[٣].

وُلد سنة ثمان عشرة ومئتين، ورحل في طلب الحديث إلى الأمصار: بغداد، والكوفة، والبصرة، والحجاز، وصنَّف كُتُباً كثيرةً، وكان مُجابَ الدعوة، وتوفي بنيسابور.

قال: رأيتُ في المنام كأنَّني أرقى في سُلَّم طويلٍ، فصَعِدتُ تسعاً وتسعين درجةً، فعاش تسعاً وتسعين سنةً.

قال الحاكم: ولد له أبو عمر بن محمد وهو ابنُ ثلاث وثمانين سنة.

(١) بعده في (ف م١): ويقال له اليوم القربة.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١٣/ ٥٣٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٥٦ ، والمنتظم ١٣/ ٢٥٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٧٠ ، والسير ١٤/ ٣٨٨ . وهذه الترجمة ليست في (ف م١).

سمع إسحاق بن راهَويه، وخلقاً كثيراً، وروى عنه البخاري، ومسلم وغيرهما، واتَّفقوا على صدقه وفضله وثقته ووَرَعه.

[وفيها توفي

يحيى بنُ محمد

ابن محمد بن زياد الكَلْبي.

سكن دقَانِيَة وبيت سَوا، قريتين من قرى دمشق في الغوطة.

حدَّث عن الحسن بن عَرَفة، وروى عنه شيوخُ الشامِ، وكان ثقةً][1].



(١) ما بين معكوفين من (ف م١) وبعده فيهما: والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه. وانظر ترجمة يحيى في تاريخ بغداد ١٦/ ٣٤٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٧٦، وتاريخ دمشق ١٨/ ١٨٣ (مخطوط).

السنة الرابعة عشرة وثلاث مئة

فيها خرج أهل مكة بأموالهم وأهاليهم منها خوفاً من قُرب القِرمطيّ منهم، ودخلت الرومُ مَلَطْيَة، فأسروا وقتلوا وسَبَوا، وأقاموا فيها أياماً كثيرةً، فورد أهلُها بغداد في جمادى الأولى مُسْتَصرِخين.

وفيها جَمَدت دجلةُ عند الموصل، وعبرت عليها الدوابُّ، وجلس ابنُ أبي بَكْرة[1] المحدِّث على الجَمْد في وسط دِجْلة، وسُمع عليه الحديث.

وفي رمضان هبَّت ريحٌ عظيمة، فقلعت شجر نَصِيبين، وهَدَمت منازلَها.

وفي شوال سقط ثلجٌ كثير ببغداد أتلف أكثر النَّخْل، وشجر الأُتْرُجِّ والنَّارَنْج وغيرها، ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة، ورُدَّ حاجُّ خُراسان من بغداد خوفاً من القرمطي، وقيل: حجَّ بالناس عبد السَّميع بن أيوب.

وفي ذي القعدة قبَضَ المقتدرُ على وزيره الخَصيبي[2] لاشتغاله باللَّهو واللذات، واختلال الأمور في أيامه، وأعاد علي بن عيسى بن الجَرَّاح إلى الوزارة[3]، وكان مجاوراً بمكة، فأمر المقتدرُ نازوك فقبض على الخصيبي وأسبابه، وحُبس في دار الخليفة عند زيدان القَهْرَمانة، فكانت مدةُ وزارته سنةً وشهرَين.

وكان أبو القاسم عُبيد الله بن محمد الكَلْوذاني بدمشق قد قلَّده إياها علي بنُ عيسى في المرة الثانية من وزارته، فأحضره المقتدر من دمشق، وقال له: تَنوبُ عن علي بن

---

(١) في (ف): ابن أبي زكرة، وفي المنتظم ١٣/ ٢٥٦ : المعروف بأبي زكرة، ولعله يزيد بن محمد بن إياس، المعروف بابن زكرة، مؤلف تاريخ الموصل، الحافظ، انظر السير ١٥/ ٣٨٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٥١ .

(٢) في النسخ: الخاقاني، وهو خطأ، وسيرد بعد سطرين على الصواب، وانظر الأوراق ١٥٤ ، وصلة الطبري ١١٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٥٦ ، والكامل ٨/ ١٦٣ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٠ .

(٣) في (ف م١): وسببه أن الأمور اختلفت في أيامه؛ لأنه كان مشغولاً باللذات واللهو، وأشار مؤنس على المقتدر فعزله وأعاد علي بن عيسى بن الجراح إلى الوزارة، وانفردت (ف) بزيادة: والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، السنة الخامسة عشر وثلاث مئة.

عيسى حتى يَحْضُر، وبعث المقتدرُ سلامة الطُّولوني إلى مكة ليُحضِر علي بن عيسى[١]، وأُطلق الخاقاني من حبس الخصيبي، وحُمل إلى منزله فمات في رجب.

وفيها توفِّي

أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار

أبو العباس، الثَّقَفي، الكاتب، وكان يُعرف بحمار العُزَير.

له مصنفات في مَقاتل الطالبيين وغير ذلك، وكان يتشيَّع، ويميلُ إلى القول بالقَدَر.

وفيه يقول ابنُ الرُّومي الشاعر: [من السريع]

وفي ابنِ عمارٍ عُزَيريَّةٌ ... يُخاصِمُ الدَّهرَ بها والقَدَرْ
ما كان لِمْ كان وما لم يكن ... لِمْ لم يكن فهو وَكيلُ البَشَرْ

توفي ببغداد في ربيع الأول[٢].

الحسين بن أحمد بن رُسْتُم

أبو علي، الكاتب، ويُعرف بابن زُنْبور[٣]، الماذرائي، من كتَّاب آل طُولون.

كان من الفُضلاء، أحضره المقتدر لمُناظرة ابن الفرات، ثم قلَّده خراج مصر في سنة ستٍّ وثلاث مئة، ثم سَخِط عليه وأحضره إلى بغداد، وأخذ خطَّه في رمضان هذه السنة بثلاثة آلاف ألف دينار وست مئة ألف دينار، ثم أُخرج إلى مصر مع مؤنس الخادم فمات بدمشق، وقيل في سنة سبع عشرة وثلاث مئة.

---

(١) كذا ورد الخبر في (خ)، والذي في المصادر أن علي بن عيسى كان بدمشق أو المغرب، فأرسل إليه المقتدر سلامة الطولوني، وأمر المقتدر عبيد الله الكلوذاني بالنيابة عن علي إلى أن يحضر. انظر الأوراق ١٥٤، وصلة الطبري ١١٢، وتحفة الوزراء ٢٢٧، وتكملة الطبري ٢٤٩، والمنتظم ١٣/ ٢٥٦، والكامل ٨/ ١٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٤١٧، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٧٨. وانظر ديوان ابن الرومي ٣/ ٩١٣.

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٦٤٦، وورد في المصادر: ويعرف بأبي زنبور، انظر الأوراق ١١١، ١١٣، وصلة الطبري ٦٢، ٦٣، وتحفة الأمراء ٣٨، ٧١، ٧٣-٧٦، وسيرة محمد بن طغج ٢٢٧ (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة)، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٢١، والمقفى ٣/ ٤٦٦، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢١٥.

حدث عن أبي حَفْص العَطَّار وغيره، وروى عنه الدارقطني.

نَصْر بن القاسم

ابن نصر بن زيد، أبو اللَّيث، الحَنَفيّ[1].

كان فاضلاً، فقيهاً، قَيِّماً بالفرائض، جليلاً، نَبيلاً، ثقة، ثبتاً.

حدَّث عن القَواريري وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره، وله مُصنَّفات.



(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٠٢، والمنتظم ١٣/ ٢٥٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٨٧.

السنة الخامسة عشرة وثلاث مئة

فيها في صفر قدم علي بنُ عيسى بغدادَ، فتلقَّاه الناس من الأنبار، ودخل على المقتدر فقرَّبه وأدناه، وخاطَبَه بالجميل، وصرفه إلى منزله، وبعث إليه بكسوة فاخرةٍ، وفُرُش، ودوابّ، وعشرين ألف دينار، فلمَّا كان من الغد خَلَع عليه خِلْعةَ الوزارة، فأنشد علي بن عيسى: [من البسيط]

ما الناسُ إلا مع الدُّنيا وصاحِبِها فكيف ما انقلبتْ يوماً به انقلبوا
يُعظِّمون أخا الدنيا فإن وثَبَتْ يوماً عليه بما لا يَشتهي وَثَبوا

وفي ربيع الآخر خلَع المقتدرُ على مؤنس، وأمره بالخروج إلى الثُّغور؛ لأنَّ الروم وصلوا سُمَيْسَاط، وأخذوا جميعَ ما كان فيها، وضربوا بالنَّاقوس في الجامع، وتجهَّز مؤنس للخروج، ولم يبْقَ إلا وداعُه للمقتدر، فجاءه خادمٌ من خواصِّ المقتدر فقال لمؤنس[1]: إنَّ الخليفة قد حفر لك زُبْيَةً بدار الشَّجرة، وأمر أن تنفردَ إذا دخلتَ ممَّن معك، ويُمرَّ بك على الزُّبْيَة، وتُلقى فيها وتُدفَن، ويظهر أنَّك وقعتَ في سِرْداب فمتَّ، فامتنع من وداع المقتدر، وركب إلى مؤنس القوَّادُ والغلمان بأسرهم، ولم يبْقَ في باب الخليفة أحدٌ، ولبسوا السلاحَ، وقال له أبو الهيجاء عبد الله بنُ حمدان: أيُّها الأستاذ، لا تخَفْ؛ فلنقاتلَنَّ بين يديك حتى تَنْبُتَ لك لِحْية.

فبعث إليه المقتدرُ رُقعةً بخطِّه مع نسيم الشرابي، يحلفُ له فيها بالأيمان المُغَلَّظة على بُطلان ما بلغه، ويُعرِّفه أنَّه صائرٌ إليه الليلة ليحلفَ له مُشافهةً، فصرف مؤنس جميع مَن صار إليه من الجيش إلى دار الخليفة، ولزم أبو الهيجاء دار مؤنس ليلاً ونهاراً، وبعث المقتدر نصراً الحاجب وخواصَّه، فأحضروا مؤنساً إلى حضرته، فقبَّل الأرض، وقبَّل يدَي الخليفة وقدميه، فحلف له المقتدرُ أنَّه على صفاء نيَّةٍ له، وأنَّ ما نُقِل إليه ليس له أصل، وودَّعه مؤنس، وسار من بغداد في ربيع الآخر، وشيَّعه الأمير أبو العباس بن المقتدر، والوزيرُ، والخواصُّ، وتوجَّه إلى الثغور فأوقع بالروم، وقتل منهم مَقْتَلَةً

---

(١) في (خ): فقال له مؤنس، وليس في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٦١.

عظيمة.

وقال ثابت: لمَّا وصل خبرُ القِرمطيِّ ردَّه المقتدرُ من تكْريت إلى بغداد، فبعث جيشاً إلى الروم[١].

وفيها ظهرت الدَّيْلَم على الرَّيِّ والجبال، وأول مَن غلب لنكي بن النعمان، فقتل من أهل الجبال مقتلةً عظيمة، وذبح الأطفالَ في المُهود، ثم غلب على قَزْوين [رجلٌ دَيْلَميّ يقال له:] أسفار بن شيرويه، وألزم أهلَها مالاً وعَسَفهم، فخرج الشيوخ والأطفال والنساء والصبيان إلى المصلَّى يدعون الله عليه.

وكان له قائد اسمه مرداويج [بن زيار، فوثب مرداويج] على أسفار، فقتَلَه وملك مكانه، وأساء السيرة في أصبهان، وانتهك الحُرمات، وجلس على سرير من ذهب، دونه سريرٌ من فضة يجلس عليه مَن يرفع منه ويقول: أنا سليمان بن داود، وهؤلاء الشياطين أعواني، وكان يسيءُ السيرةَ في أصحابه وخصوصاً الأتراك، فدخل الحمَّام يوماً، فدخل عليه الأتراك فقتلوه ونهبوا خزائنَه، ومشى الديلمُ بأجمعهم حُفاةً تحت تابوته أربعة فراسخ.

وفيها جاء أبو طاهر القرمطيُّ إلى الكوفة في شوال، فنزل قريباً منها في ألف فارس وخمسة آلاف راجل، فجهَّز المقتدر إليه يوسف بن أبي السَّاج في عشرين ألفاً ما بين فارسٍ وراجلٍ مُقاتلة سوى الأتباع، وأخذ القرمطيُّ من الكوفة ما كانوا أعدُّوه من الميرة والعُلوفات ليوسف [فتَقوَّى بها]، وكان القرمطيُّ قد سبق يوسفَ [إلى الكوفة] بيومٍ، وذلك يوم الخميس لسبع خلون من شوال، وبعث يوسفُ إلى القرمطي يدعوه إلى الطاعة، فلم يُجب، والتقوا يوم السبت، فنظر يوسفُ إلى عسكر القرمطيِّ فاحتقره وقال: ومَن هؤلاء الكلاب حتى أُفكِّر فيهم، هؤلاء بعد ساعة في يدي، ثم كتب[٢] إلى المقتدر كتاب الفتح قبل اللقاء [تهاوناً به]، وأمر بدقِّ الدَّبادب والبوقات، فقال القرمطيُّ: هذا فشلٌ، ولم يكن في عسكره دَبادب ولا بوقات.

---

(١) من قوله: وتجهز مؤنس للخروج... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٢) في (ف م١): ثم أمر فكتب.

والتقوا، فثبت ابن أبي السَّاج، وقاتل قتالاً شديداً، وخرج من القرامطة خمسُ مئة بالنُّشَّاب المَسموم، والقرمطيُّ في عَمَّاريَّة في نحو مئتي فارس من ثقاته، فنزل من العَمَّاريَّة[١] وركب فرساً، وحمل هو ومن معه من أصحابه على يوسف، وحمل عليه يوسف في غلمانه، واشتبكت الحربُ بينهم، فلمَّا كان في آخر النهار أُسر يوسف وفي جَبينه ضَرْبة، بعد أن اجتهد به غلمانُه أن ينصرف فامتنع [عليهم، وصار أسيراً في يد القرمطي بعد أن] قتل من أصحابه عِدَّةٌ كثيرةٌ، وانهزم أصحابُه، وحُمل إلى القرمطي فضُربت له خيمةٌ، وفُرِش له فيها، وداوَوْا جراحتَه.

وبلغ الخبرُ إلى بغداد في ثالث عشر شوال، فانزعج المقتدر وأهلُ بغداد، وعزموا على النُّقْلَة إلى شرقي بغداد، وخرج مؤنس بعساكره إلى باب الأنبار فأقام به، وجاء القرمطيُّ إلى الأنبار فنزل غربيها، فقطعوا الجسرَ بينهم وبينه على الفرات، وأقام غربي الفرات يتحيَّل في العبور إلى الجانب الشرقي، ثم عبر، وقتل أصحابَ السلطان بالأنبار.

وخرج نصر الحاجب والرجَّالة وجميع مَن ببغداد من القوَّاد وغيرهم، واجتمعوا بمؤنس بباب الأنبار، وكانوا أربعين ألفاً من الفُرسان والمُقاتلة والرَّجَّالة وزيادةً على ذلك، وخرج أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوتُه أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السَّرايا في أصحابهم وأعوانهم.

وتقدَّم نصر الحاجب فنزل على نهر زبارا عند عَقْرَقُوف[٢]، على نحو فَرْسَخين من بغداد، ولحق به مؤنس [واجتمعوا على النهر]، وأشار أبو الهَيْجاء [على نَصْر] بقطع القَنْطَرة، فتثاقل مؤنس عن قطعها فقال له: أيُّها الأستاذ، اقطعها واقطع لحيتي[٣] معها، فقطعها لإحدى عشرة ليلة خلَت من ذي القعدة.

ولمَّا أصبحوا جاءهم القرمطيُّ في عسكره فحاذاهم، وبعث بين يديه أسود ينظر إلى

(١) في (ف م١): وخرج من أصحاب القرمطي خمس مئة رجل بالنشاب المسموم وأكثر، فلما رأى القرمطي ذلك وكان في عمارية مع من يثق به من أصحابه في نحو من مئتي فارس ونزل من العمارية. والمثبت من (خ).

(٢) في (ف م١): فنزل على النهر الذي عند عقرقوف ويعرف ببارا، والمثبت من (خ).

(٣) في (ف م١): واقطع الجسر، وانظر تكملة الطبري ٢٥٤ .

المَخاض، فرَمَوه بالنُّشاب حتى جعلوه كالقُنْفُذ، وبينهم النهر، فلم يزل حتى رأى القنطرة مقطوعةً، فعاد وأخبر القرمطي، فرجع، ولم يجد مَخاضةً يَعبر فيها، وكان مؤنس قد بَثَق البُثوق.

وأقام القرمطيُّ بإزائهم يومين، ثم سار نحو الأنبار، فلم يتجاسر أحدٌ من عسكر مؤنس يتبعُه.

وقال ثابت: وكان ما أشار به أبو الهيجاء من توفيق الله، فإنَّها لو كانت القنطرةُ صحيحةً لعبر عليها أبو طاهر، وانهزم[١] عسكر الخليفة، وملك أبو طاهر بغداد.

[قلتُ:] فانظروا إلى هذا الخِذْلان، فإنَّ مؤنساً كان في أربعين ألفاً من الفرسان، والقرمطيُّ في ألف فارس [من سائر الألوان]، وقيل: ثمان مئة فارس وسبع مئة راجِل.

وقال ثابت [ابن سنان: لقد حدثني جماعة] أنَّ مُعْظَم عسكر المقتدر انهزموا إلى بغداد قبل أن تقع عيونُهم على القرمطي [ولا رأوا جيشَه]، مع علمهم بقطع القنطرة، لعِظَم ما دخل في قلوبهم من الرُّعب.

ووصل أبو طاهر الأنبار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وظنَّ أصحابُ السلطان الذين كانوا بالأنبار أنَّ القرامطة رجعوا مُنهزمين[٢]، فقاتلوهم، فقُتِل منهم نحوٌ من مئة فارس، وانهزم الباقون، وخرج إليه شيوخ الأنبار ومعهم أمان كان أعطاهم إياه، فلم يتعرَّض لهم.

وكان ابن أبي الساج أسيراً في ثَقَل القرمطي غربيّ الفرات، وكان مؤنس قد بعث بليق[٣] في ستة آلاف فارس ليُخَلِّص [ابن أبي الساج من ثقل القرمطي]؛ ظناً منه أنَّ القرمطي لا يقدر على عبور الفرات، فجاء بليق [فوجده قد عبر إلى ثقله، فانهزم بليق]،

---

(١) في (خ): فلم يتجاسر أحد ببغداد وكان قطع القنطرة من توفيق الله تعالى وإلا كان عبر القرمطي عليها وهزم. والمثبت من (ف م١).

(٢) في (ف م١): قد عادوا منهزمين.

(٣) كذا ورد هذا الاسم هنا وفي بعض المصادر، وورد بتقديم الياء (يلبق) في مصادر أخرى، ولم أقف على مَن صحح أحدهما. انظر أوراق الصولي ١٥٨، وصلة الطبري ١١٥، وتكملته ٢٥٤، والمنتظم ١٣/ ٢٦٥، والكامل ٨/ ١٧٣.

وأخرج ابن أبي الساج رأسَه من الخيمة لينظر حديث الوقعة، فوقع [إلى] القرمطي أنَّه أراد الهرب، فدعاه إلى حضرته وقال: أردتَ أن تهرب، وزعمتَ أنَّ غلمانك يُخلِّصونك، وأمر به فضُربت عنقُه، وقتل جماعةً من أصحابه، وعمل أطوافاً من القصب والخشب وكان يعبر عليها.

وكان علي بن عيسى قد أقام من باب الأنبار إلى زبارا مقدار فرسخين مئة رجل، مع كلِّ واحدٍ طَيْر يكتبون على أجنحتها خبرَ العدوِّ في كل ساعة، وهرب معظم أهل الجانب الغربي إلى الشرقي، ومضى بعضهم إلى حُلْوان [والبَنْدنيجَيْن، ولم يشكُّوا أن القرمطي يملك بغداد].

وسار القرمطي إلى هِيت، ورحل[1] مؤنس بالعساكر إلى الأنبار، وقدَّم مؤنس هارون بن غَريب وسعيد بن حَمْدان إلى هِيْت برجالهما، فسبقا القرمطيَّ، وصَعِدا على سورها، وقَوِيت قلوبُ أهلها، ونصب[2] أهلُ هيت المناجيقَ على الأسوار والعَرَّادات، وعمل القرمطيُّ سلالم، وزَحَف إليها فلم يقدر على نَقْبها، وقتلوا من أصحابه جماعةً، فرحل عنها.

وتصدَّق المقتدر بمال عظيم [لما رحل أبو طاهر من زبارا والأنبار وهيت، فكان] مبلغُه مئتي ألف درهم، وتصدَّقَت أمُّه بمئة ألف درهم، وعلي بن عيسى بخمسين ألف درهم.

وورد كتاب مؤنس يُحصي الذين اجتمعوا في عسكر السلطان بزبارا [فكانوا] نيفاً وأربعين ألفاً سوى الغلمان والأتباع.

ولمَّا وصل الخبر بقتل ابن أبي الساج دخل علي بن عيسى على المقتدر وقال [له:] يا أمير المؤمنين، إنَّما جمع الخلفاء [المتقدِّمون] الأموالَ ليَقْمعوا بها أعداءَ الدِّين والخوارجَ، ويَحفظوا بها [الإسلام و] المسلمين، ولم يلحق المسلمين منذ قُبض رسول الله ﷺ شيءٌ أعظم من هذا الكافر؛ لأنَّه قد أوقع بالحاجِّ، وجرى عليهم منه

(١) في (ف م١): وعجل.
(٢) في (ف م١): قلوب أهلها، وعقد مؤنس على الفرات جسر الأنبار، ونصب.

مالم يَجْرِ [على أحد] مثلُه، وقد تمكَّنَت هيبتُه في قلوب الأولياء و الخاصِّ والعامِّ، فاتَّقِ الله يا أمير المؤمنين؛ فإنَّه لم يبق في بيت المال شيءٌ، فخاطِب السيدةَ في مالٍ تُنفقه في العساكر، فإنَّها دَيِّنة فاضلةٌ، فإن كان عندها مالٌ قد ذَخَرَتْه لشدَّةٍ تَلْحقُها فهذا وقتُه، وإن يكن الأخرى فمالك ولأصحابك إلا أقاصي خُراسان.

فدخل على والدته، وأخبرها بما قال الوزير، فأخرجت خمس مئة ألف دينار، وأخرج المقتدر ثلاث مئة ألف دينار، وجرَّد علي بن عيسى العنايةَ في استخدام العساكر والحاشية وأصحاب مؤنس وبني حَمدان.

وورد من هِيت صاحبُ نصر الحاجب ومعه ثلاثة عشر[1] من القرامطة مأسورين كانوا تخلَّفوا عن القرمطي، فأمر المقتدر بإطلاقهم، وأعطى كل واحدٍ منهم خمس مئة درهم، وثوبَ دِيباج، وعمامةَ خَزٍّ.

وبلغ الوزير أنَّ رجلاً ببغداد يُعرف بالشِّيرازي[2] يُكاتب القرمطيَّ، ويطالعه بالأخبار، وأنَّه من خواصِّ أصحابه، [فتقدم الوزير إلى نازوك بالقبض عليه، فبعث إلى مُرَبَّعة الخُرْسِيّ، فأخذه][3] فأحضره بين يديه، وسأله عن ذلك فقال: نعم، أنا صاحبُ السيِّد، وما صحبتُه إلا لأنَّه على حقٍّ، وأنت وصاحبك وجميع مَن معكم على الباطل، وأنتم كفارٌ، ولا بدَّ لله من إمامٍ عادل وهو المهديُّ صاحبنا، فقال له الوزير: عرِّفني مَن يُكاتبه من ها هنا؟ فقال: أُخبرك بإخواننا المؤمنين حتى تُسلِّمهم إلى صاحبك الكافر؟ فأمر بضَرْبه بالمَقارع والدِّرة، وغُلَّ وقُيِّد وسُلِّم إلى نازوك، فحبسه في المُطْبِق، وامتنع عن الأكل والشرب، فمات بعد ثلاثة أيام.

واستدعى المقتدر مؤنساً [المُظَفَّر] ونصراً الحاجب إلى حضرته فقدما، ووَلَّى [أبا] الهَيجاء [بن حَمْدان] المَوْصل والجزيرة.

واجتمع الجند فشَغبوا على المقتدر، وطلبوا الزّيادةَ، وشتموه أقبحَ شتمٍ، ونهبوا القصر المعروف بالثُّريَّا، وأحرقوا بعضه، وصاحوا: بَطَّلتَ حجَّنا، وأخذتَ أموالنا،

---

(١) في (ف م١): ومعه عشرين. وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٣ : وورد من هيت نصر الحاجب...

(٢) في تكملة الطبري ٢٥٥ ، والكامل ٨/ ١٧٤ : أن رجلاً من شيراز.

(٣) ما بين معكوفين من (م١).

وجَرَّأتَ علينا عدوَّنا، وتنامُ نومَ الأمَة، فبذل لهم المالَ فسكتُوا.

وجُدِّدَت الخنادق على بغداد، وأُصلحت الأسوار، ولم يحجَّ أحدٌ من العراق [خوفاً من القرمطي]. وقيل: حجَّ بهم عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الأزرق(١).

وفيها توفي

الحسين بن مسلم

ابن محمد بن عُفَير(٢) بن محمد بن سَهْل بن أبي حَثْمَة الصحابي، أبو عبد الله.

ولد سنةَ تسع عشرة ومئتين، وتوفي في صفر بالجانب الشرقي من بغداد عن سبعٍ وتسعين سنة وأيام.

حدَّث عن أبي بكر بن أبي شَيْبة وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره، وكان ثقة.

[فصل: وفيها توفي]

الحسين بن عبد الله

أبو عبد الله، الجَوْهَري، ويُعرف بابن الجَصَّاص، صاحبُ الأموال والجواهر التي ذكرناها.

وكانت بدايةُ أمره أنَّ أحمد بن طولون قال: لا يُباعُ لنا شيءٌ إلا على يده، فكَسِب الأموال.

قال: كان بدوُّ إكثاري(٣) من الأموال أنِّي كنتُ جالساً في دهليز حُرَم [أبي الجَيْش]

(١) في صلة الطبري ١١٦ : وحج بالناس في هذه السنة أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن سليمان من بني العباس.

(٢) كذا في (خ ف)، وهذه الترجمة ليست في (م١)، والذي في المصادر: الحسين بن محمد بن محمد بن عفير، انظر سؤالات السهمي للدارقطني (٢٦٧)، وتاريخ بغداد ٨/ ٦٦٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩١ .

(٣) في (م١): وقد ذكر القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه بإسناده عن محمد بن أبي طاهر البزار أخباره عن التنوخي قال ابن الجصاص كان بدو إكثاري. =

خُمَارويه بن أحمد بن طولون، وكنتُ أبتاعُ لهم الجوهرَ وغيره، وما كنتُ أفارق الدِّهليز، فخرجت إليَّ قَهْرَمانةٌ لهم في بعض الأيام ومعها عِقْدُ جوهرٍ، فيه مئة حبَّة لم أر قبله أحسن منه، تساوي كلُّ حبةٍ ألف دينار، فقالت: نحتاج تَخْرِط هذا حتى يَصْغُر، فأخذتُه [وقلتُ: السمعُ والطاعة]، وخرجتُ في الحال، فجمعتُ التجار، ولم أزل أشتري ما أقدر [عليه]، حتى حصَّلتُ مئةَ حبةٍ من النوع المطلوب، وأتيتُ بها إلى القهرمانة وقلتُ: قد خَرَطْنا اليوم ما قَدَرْنا عليه، والباقي نخرُطه، وحملتُ إليهم مئتَي حبة وقلت: هذا تمامُه، وتُقُوِّم عليَّ ذلك بمئة ألف درهم.

وقال: نَكَبني المقتدر وحَبَسني، فأقمتُ مدةً، وأصبحتُ يوماً وأنا آيَسُ ما كنتُ من الفَرَج، فجاءني خادمٌ فقال: البشارة لي، قلتُ: وما الخبر؟ قال: شفعَت فيك السيدة وقالت: شيخٌ، وغريبٌ، وله خدمةٌ، وقد استأصَلْتَه، فما تريدُ منه؟! فشفَّعَها فيه.

قال: فلمَّا خرجتُ مررتُ بدار السيدة، فرأيتُ هناك أحمالاً من الخَيْش في أعْدالٍ، مئةُ عِدْل، فعرفتُها[1]، وكانت قد أُخِذت في المصادرة ولم يعلموا ما فيها، وكان وكيلي قد بعث بها إليَّ من مصر، وجعل في باطن كلِّ خيشٍ ألفَ دينار كانت لي هناك، ولاستغنائي عن المال لم أفتح الأعدال، وألقيتُها في بيتٍ، فلمَّا نُكبت ونُقل جميعُ ما في داري أُخذت، فلمَّا رأيتُها بحالها قلت للخادم: قَبِّل الأرضَ بين يدي السيدة وقل لها: قد أحسنْتِ إليَّ، وقد خرجتُ من الحَبس كما ترين، وهذا الخَيْش لا يُنتَفع به، فإن رأيتِ أن تُطلقيه لي لأبيعَ منه ما أُنفقُه عليَّ، فإنَّكم لا تنتفعون به، فأطلقَتْه، فأخذْتُه وفتحتُ الأعدال، وأخرجتُ من كلِّ خَيشٍ ألفَ دينار، وبعتُ الخيش.

قال المُحَسِّن: ولمَّا صُودِرَ كان في داره سبعُ مئة مُزَمَّلَة خَيزُران ـ فما ظنُّك بدار يكون فيها هذا ـ وبلغت مصادرتُه ستة آلاف ألف دينار، غير المَتاع والأثاث والدَّواب والغِلمان[2].

= وهذا النص فيه أخطاء، صوابه ما في المنتظم ١٣/ ٢٦٧، قال ابن الجوزي: أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزاز، عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله الجصاص قال: قال لي أبي: كان بدء إكثاري، وانظر نشوار المحاضرة ٢/ ٣١٢.

(١) وقع في (م١) خرم ينتهي في منتصف أحداث سنة (٣٢٠هـ).

(٢) نشوار المحاضرة ١/ ٢٥، والمنتظم ١٣/ ٢٦٨.

وقال جعفر بن وَرْقاء الشَّيباني: اجتزتُ بدار ابن الجَصَّاص بعد إطلاقه من المُصادرة، وإذا به في رَوْشَن داره يَعدو من أوله إلى آخره في يوم شديد الحرِّ كالمجنون، فصَعِدتُ إليه وقلتُ: ما الذي أصابك؟ فوقَع ساعةً كالمَغْشيِّ عليه، ثم أفاق فغسل وجهَه ورجليه وقال: أوَلا يحقُّ لي أن يذهب عقلي وقد أُخِذ مني كذا وكذا، وجعل يَعدُّ، فذكر شيئاً كثيراً، فقلتُ له: يا هذا، إنَّ نهايات الأموال غيرُ مُدرَكةٍ، وإنَّما يجبُ أن تعلمَ أنَّ النفوسَ لا عِوَضَ لها، فكذا العقولُ والأديانُ، فما سلم لك من ذلك فالفضلُ معك، وإنَّما يَقلَقُ هذا القلق مَن يَخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس، أو يخاف ذهابَ الجاه، فاصبر حتى أُوافقك على أنَّه ليس ببغداد اليوم بعد الذي خرج عنك أيسرُ منك من أصحاب الطَّيالِس، فقال: هات.

قلتُ: أليس دارك هذه التي كانت قبل المصادرة [ولك فيها من الفُرُش والأثاث ما فيها؟ قال: بلى. قلت: وعَقارك] بالكَرْخ يُساوي خمسين ألف دينار؟ قال: نعم، قلت: وبستانك الفلاني وضيعتك الفلانية وقيمتها كذا وكذا؟ [ولك] بالبصرة عقارٌ وملك قيمتُه مئةُ ألف دينار[1]، وأحصيتُ له ما قيمتُه سبعُ مئة ألف دينار، وقلتُ: اصدُقْني عمَّا سلم لك من الجواهر والعبيد والأثاث، فقال: قيمتُه ثلاثُ مئة ألف دينار.

فقلتُ: ما ببغداد اليوم مَن له ما يساوي ألف ألف دينار غيرك، وجاهُك قائمٌ، وهم يظنُّون أنَّك قد بقي لك أضعافُ ما أُخذ منك، فلمَ تَغْتمُّ؟!

فسجد شُكراً، وبكى وقال: قد غَلَب عليَّ الفكرُ حتى خفتُ على عقلي، فالله أنفذك إليَّ، ولو لم تجئني الساعة لزاد الفكر، وما عزَّاني أحدٌ أنفعَ لي من تعزيتك، وما أكلتُ منذ ثلاثٍ شيئاً، وأُحبُّ أن تقيمَ عندي، فأقمتُ عنده يومي.

وكان فيما أُخِذ لابن الجصاص خمسُ مئة سَفَط من مُرتفع ثياب مصر، ووجدوا في بستانه جِراراً خُضْراً فيها أموالٌ عظيمةٌ، وقَماقِمُ مُرَصَّعة مُرَصَّصَة والمال فيها.

وكان مع هذه الثروةِ فيه نوعُ بَلَهٍ وغَفْلة، ويُحكى عنه الحكاياتُ العجيبة، منها:

أنَّه قرأ يوماً في المصحف: «دِرْهم يأكلوا ويَتَمتّعوا ويُلْهِهم الأمل» فجعل يقول:

(١) في (خ ف): قيمته مئة ألف ألف دينار، والمثبت من المنتظم ١٣/ ٢٦٩، ونشوار المحاضرة ١/ ٢٨.

والله رخيصٌ، آكلُ وأتمتَّع بدرهم، هذا من إنعام الله تعالى.

وكان يُسبِّح كلَّ يوم بعد صلاة الصبح ويقول: أعوذ بالله من نِعمه، وأتوبُ إليه من كرمه، وأستقيلُه عافيته، وأسأله عوائق الأمور، حسبي الله وأنبياؤه وملائكتُه، اللهم وأدخل من بَركة دعائنا على أهل القصور في قصورهم، وعلى أهل البِيَع في بِيَعهم، وعلى أهل الكنائس في كنائسهم، سبحان الله قبل الله وبعد الله.

ومرض بالحمَّى فقيل له: كيف تَجِدُك؟ فقال: الدنيا كلُّها مَحمومة.

ونظر يوماً في المرآة وعنده رجلٌ فقال له: ترى لحيتي قد طالت؟ فقال: المرآة في يدك! فقال: الشاهد يرى ما لا يراه الحاضر[1].

ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال: أيُّها الوزير، عندنا كلابٌ ما تَدَعُنا ننام، فقال: لعلَّهم جراء، فقال: لا والله إلا كل كلب مثلي ومثلك.

وجلس يوماً يأكل معه، فلمَّا فرغ من الأكل قال: الحمد لله الذي لا يُحلَف بأعظم منه.

ونزل يوماً مع الوزير الخاقاني في زَبْزَبِه وبيده بِطّيخة كافورٍ، فأراد أن يَبصُقَ في دجلة ويعطي الوزير البِطّيخة، فبصق في وجه الوزير وألقى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير وقال له: ويحك ما هذا؟ فقال: غَلِطتُ، أردتُ أنْ أبصُقَ في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة، فقال له الوزير: كذا فعلتَ أيْ جاهل، فغَلِط في الفعل وأخطأ في الاعتذار.

ومن هذا الباب شيءٌ كثير، وقيل: إنَّه كان يَتغافل، والصَّحيحُ أنَّه كان مُغفَّلاً[2].

عبد الله بن محمد بن جعفر

أبو القاسم، القَزْويني، الفقيه، الشافعي[3].

---

(١) كذا في (خ ف)، وفي أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ٥١: الغائب، وهذه الحكايات كلها فيه.

(٢) نقل التنوخي في نشوار المحاضرة ١/ ٣٠ عن ابن أبي عبد الله الجصاص قصة تردُّ مزاعم غفلة أبيه ابن الجصاص، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٧٠، وأخبار الحمقى والمغفلين ٥٣-٥٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٤-٢١٦، والسير ١٤/ ٤٧٢.

(٣) تاريخ دمشق ٣٢/ ١٦٩ (طبعة دار الفكر)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٣، وميزان الاعتدال (٤٣٣٧).

وَلي قضاءَ [دمشق] نيابة عن محمد بن العباس الجُمَحي، وولي قضاء الرَّمْلة، وسكن مصر، وكانت له بها حَلْقة، وكان محمود السيرة فيما ولي.

وكانت له عبادةٌ ونُسُك ووَرع، ثم خَلَّط في آخر عمره فافتُضِح، ومُزِّقَت كُتبه في وجهه، وهَجَره الناس فلم يَقْرَبْه أحدٌ، فمات بعد ذلك بيسير.

حدَّث عن الربيع بن سليمان وغيره، وروى عنه ابن أبي العَقَب وغيره، ثم تركوه.

وقال الطحاوي: قدم علينا مصر، فكتب عنه شيوخُها، أمَّا نحن فما كتبنا عنه لأنَّنا نُناظره. معناه: أنَّنا نعرف الحديث ومن يُتَّهم به.

وقال الدارقطني: كان القزويني يضع الحديث[1].

عليُّ بن سليمان بن الفَضْل

أبو الحسن، البغداديّ، النَّحْوي، ويُعرَف بالأخْفَش الصغير[2].

كان عالماً فاضلاً يُضاهي الأخفشَ الكبير في فضله، وتوفِّي ببغداد في ذي القعدة، وقيل: في شعبان فجأةً.

وكان فقيراً من الدنيا، وكان أبو علي بن مُقْلَة يَبَرُّه، وكلَّم في شأنه الوزير علي بنَ عيسى ليخرج له رزقاً فلم يفعل، وزَبَر ابنَ مُقلة، وعلم أبو الحسن فاغتمَّ، وانتهت به الحال إلى أن أكل السَّلْجَم[3] النِّيْء، فقبض على قلبه فمات فجأة. وكان مُفتياً.

سمع ثعلباً، والمُبرِّد، واليَزيديّ وغيرَهم، وروى عنه المعافى بن زكريا وغيره.

ومن شعره يرثي قريباً له: [من البسيط]

يا ليتني كنتُ ممَّن كان شاهدَه ... إذ ألْبَسوه ثيابَ الغُرْبَة الجُدُدا
وطيَّبوه فما ضَنُّوا بطيبهم ... طِيْباً لَعَمْرُك لم تمدد إليه يدا
حتى إذا صَيَّروه دون صَفِّهِمُ ... وأمَّهم قارئٌ صلَّى وما سجدا

(١) سؤالات الحاكم للدارقطني ص١٢٠ وص١٧٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٨، وتاريخ دمشق ٤٩/ ٢٣٨، والمنتظم ١٣/ ٢٧١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٥، والسير ١٤/ ٤٨٠.

(٣) هو اللفت كما في المعجم الوسيط.

قـالـوا وهـم عُـصَـبٌ يَـسْـتـغـفـرون لـه   قـولَ الأحـبَّـة لا تَـبْـعَـد وقـد بَـعِـدا

وقال المعافى: كان إذا هجاه إنسانٌ ترك ذلك الهَجْوَ في أماكنه، فيستحي الذي هجاه فلا يعودُ إلى ذلك.

محمد بن إسماعيل

ابن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، أبو عبد الله، العَلَوي(١).

وإنَّما سُمِّي جدُّه طباطبا لأنَّ أمَّه كانت تُرَقِّصُه وتقول: كبا كبا يعني: نم.

سكن مصر، وكان سيداً فاضلاً جَوَاداً مُمَدَّحاً، وكان له بمصر جاهٌ ومنزلةٌ جليلة عند السلطان والعامة، وبها تُوفِّي، وقبرُه بالقَرافَة ظاهرٌ يُزار ويُتبرَّك به.

حدَّث عن أبيه وغيره، وروى عنه المصريُّون، وقدم الشام صُحبةَ خُمارَوَيه بن طولون.

محمد بن المُسيّب بن إسحاق

أبو عبد الله، النَّيسابوري ثم الأَرْغِياني(٢).

ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وطاف البلاد، وكان زاهداً، خائفاً، بكَّاءً حتى ذهب بصرُه، وكان يقول: ما بقي مِنْبَرٌ من منابر الإسلام لم أدخله لسماع الحديث.

وكان يمشي وفي كُمِّه مئةُ ألف حديث في مئة جزءٍ صغار.

وتوفِّي يوم السبت منتصف جمادى الأولى وهو ابن اثنتين وتسعين سنةً.

سمع خلقاً كثيراً منهم أبا سعيد الأشَجَّ، وروى عنه أبو حامد [بن] الشَّرقي وغيره، وأجمعوا عليه.



(١) تاريخ دمشق ٦١/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٦، والوافي بالوفيات ٢/ ٢١١.

(٢) تاريخ دمشق ٦٤/ ٤٧٣، والسير ١٤/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٩٩.

السنة السادسة عشرة وثلاث مئة

فيها في المحرَّم دخل أبو طاهر الرَّحبةَ بعد حربٍ جرت بينه وبين أهلها، ووضع فيها السيف، وبعث إليه أهلُ قَرْقِيْسيا يطلبون الأمانَ، فأمَّنهم، وبثَّ سراياه في الأعراب، فقتلوا وسَبَوا ونَهَبُوا، وجعل على الباقين إتاوةً في كلِّ شهر ديناراً من كلِّ واحد، ثم دخل قَرْقيسيا ونادى: لا يظهرَنَّ أحدٌ من أهلها نهاراً، فلم يظهر أحدٌ، وقصد الرَّقة، وكان في تسع مئة فارس وثلاث مئة راجل، فدخل الرقة، وقتل من أهل الرَّبَض جماعةً، ثم دفعه أهلُها، وتبعوه فنهبوا من دوابِّه وسَواده، وانصرف عنها، وبلغ مؤنساً فسار من بغداد إلى الرقَّة، فوصلها بعد انصراف أبي طاهر الهَجَري عنها.

واجتاز الهَجَري بهيت وقد حمل معه مَتاعَ أهلِ الرحبة في الزَّواريق، وكان أهل هِيت قد نصبوا عليها المَجانيق والعَرَّادات، فحاربهم، فرَمَوه بالحجارة، فقتلوا واحداً من أصحابه، فارتفع الصُّراخ والبكاء حتى ظنَّ الناسُ أنَّ الهجريَّ قُتل، ثم ظهر أنَّه أبو الرَّوَّاد من خواصِّ أصحابه، ثم سار، فأخذوا ما رماه أصحابُه من المتاع.

وجهَّز المقتدر نصراً الحاجب إلى الكوفة بالعساكر في شهر رمضان، فلمَّا بلغ سُورا مرض واشتدَّت عِلَّتُه، فاستخلف أحمد بن كَيْغَلَغ، وبعث معه بالجيش، فانصرف الهَجَريُّ قبل أن يلقاه، ومات نصر ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رمضان، وحُمل تابوتُه إلى بغداد، ودُفن يوم الفطر، وبعث المقتدر شفيعاً إلى الجيش يُخبرهم أنَّه قد استخلف عليهم هارون بن غريب، وانصرف الهَجَري إلى بلده، وعاد هارون إلى بغداد.

ولما رأى علي بن عيسى أنَّ الهجري قد استولى على البلاد استعفى من الوزارة، فكانت مدَّةُ وزارته سنةً وأربعة أشهر ويومين.

وقيل: إنَّ المقتدر لم يوافقه وقال: أنت عندي بمنزلة المعتضد، ولامه مؤنس وقال: لا تفعل، فقال: أنت تمضي إلى الرقة، ولو كنتَ مُقيماً لاستعنتُ بك، وكان نصر الحاجب مُنحرفاً عنه، فأشار بأبي علي بن مُقلَة، فاستوزره المقتدر في ربيع الأول، وخلع عليه، ولم يكن من بيت الوزارة وإنَّما ألجأت الضرورة إليه.

ولمَّا رجع الهجري إلى بلده بنى داراً سمَّاها دار الهجرة، ودعا إلى المهدي، وتفاقم أمرُه، وكثُر أتباعُه، وهرب عمَّالُ الكوفة من بين يديه، وبثَّ السرايا في السَّواد وغيره فأخربوه، فبعث المقتدر هارون بن غَريب إلى واسط، وصافي إلى الكوفة، فوقع هارون على جماعة منهم فقتلهم، وبعث بجماعة منهم أُسارى إلى بغداد مشهورين على الجمال، ومعهم مئةٌ وسبعون رأساً وأعلامٌ بيضٌ مُنكَّسة عليها مكتوبٌ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] فقُتلوا، واستقام أمرُ السواد وطابت قلوبُ الناس.

وفيها استوحش نازوك، ووقع بينه وبين هارون حربٌ في ذي القعدة، وسببه: أن سُوَّاس نازوك وهارون تغايروا على غلام أمرد، فأخذ نازوك سُوَّاس هارون فحبسهم بعد أن ضربهم، فوثب أصحاب هارون وانتزعوهم، فدخل نازوك على المقتدر فشكا هارونَ، فلم يكن من المقتدر إنكار، فخرج نازوك مُحْفَظاً، وجمع رجاله، وجمع هارون أصحابه، وزحف نازوك إلى دار هارون، فخرج إليه أصحابه واقتتلوا، وقُتل من الفريقين جماعةٌ.

وركب الوزير ابنُ مُقْلَة ومُفلح الأسود وأدَّيا إليهما رسالةَ المقتدر بالكفِّ فكفَّا. وأقام نازوك في داره يتمرَّض، وجاء إليه هارون بن غريب، واصطلحا وزال ما كان بينهما.

وكَثُر الإرجافُ بأنَّ هارون يتولَّى إمرة الأمراء، وكان مؤنس بالرَّقَّة، فكتب إليه أصحابُه من بغداد بذلك، فسار على طريق الموصل، فقدم بغداد لثلاث بقين من ذي الحِجَّة يوم الأربعاء، ولم يدخل على المقتدر، فبعث إليه ولدَه والوزيرَ ابنَ مُقْلَة، فسلَّما عليه ووصفا شوقَ المقتدر إليه، فاعتل بعلَّةٍ شكاها، وظهرت الوَحْشةُ بينه وبين المقتدر.

وأقام هارون في دار السلطان مُنابذاً لمؤنس، وأقامت الرسلُ تتردَّد بين مؤنس والمقتدر، وسنذكر في سنة سبع عشرة ما آل الأمر إليه إن شاء الله تعالى.

ولم يحجَّ أحدٌ بالناس خوفاً من الهَجَري.

وفيها توفي

بُنان بن محمد بن حَمدان

أبو الحسن، الزاهد، ويُعرف بالحمَّال[(١)].

أصلُه من واسط، ونشأ ببغداد وسمع الحديثَ بها، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها حتى مات.

وكان من جِلَّة المشايخ الورعين، الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر، وله المقامات والكرامات، وكان لا يقبل عطيَّةَ السلطان، ويُضرَب المثلُ بعبادته وزُهده وورعه.

قال: لقيتُ امرأةً بطريق مكة وقد حملتُ زاداً على ظهري، فقالت: أنت حمَّال تحمل الزَّاد على ظهرك وتتوهَّمُ أنَّه لا يَرزُقُك؟! فرميتُ ما كان على ظهري، ومشيتُ ثلاثة أيامٍ لم آكل، فلقيتُ في الطريق خَلْخالاً من ذهب، فقلتُ في نفسي: أحملُه حتى يجيءَ صاحبُه فآخذ منه شيئاً وأعطيه إيَّاه، فعارضتْني تلك المرأة وقالت: أنت تاجرٌ تقول في نفسك كذا وكذا، ثم رَمَت إليَّ بدراهم وقالت: يا قليلَ اليقين، أنفقها إلى مصر، فسمِّيتُ الحمَّال لهذا.

وأنكر على ابن طولون، فأمر به أن يُلقى بين يدي السَّبُع، قال: فجعل يَشمُّه ولا يضرُّه، فلمَّا خرج قيل له: ما الذي كان في قلبك حيث شمَّكَ السبع؟ قال: كنتُ أتفكَّر في سُؤر السباع ولُعابها، واختلاف العلماء في نجاسة سُؤرها وطهارته.

وقال [عمر بن] محمد بن عِراك: إنَّ رجلاً كان له على رجل وثيقةٌ بمئة دينار، فطلبها فلم يجدها، فجاء إلى بُنان فسأله الدعاء وقال: مالي غيرها، فقال له بنان: أنا أحبُّ الحَلوى، فاذهب فاشترِ لي حلوى في قِرطاس، وجاءه بها، فقال له: افتح القِرطَاس. ففتحه، فإذا هو الوثيقة، فقال لبنان: هذه والله وثيقتي! قال: خذها وخُذِ المعقود فأطعِمْه صبيانك، فقال: وأنت؟ فقال: لا حاجةَ لي فيه[(٢)].

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩١ ، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤ ، تاريخ بغداد ٧/ ٥٩١ ، الرسالة القشيرية ١٠٣ ، المنتظم ١٣/ ٢٧٣ ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٨ ، مناقب الأبرار ١/ ٤٨٤ ، السير ١٤/ ٤٨٨ ، تاريخ الإسلام ٧/ ٣٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٥٩٣ ، والمنتظم ١٣/ ٤٧٤ ، وصفة الصفوة ٢/ ٤٥٠ ، وما بين معكوفين منها.

واحتاج إلى جارية تخدُمُه، فجمع له أصحابه ثمنَ جاريةٍ، فقدم تجّارٌ من خُراسان ومعهم جارية، فساوموا صاحبها فقال: ليست للبيع، هذه لبُنان الحمّال، أهدتها إليه امرأةٌ من أهل سَمَرْقَند، فحملوها إليه.

وقال: لَحِقَتْني ضائقةٌ، فخرجتُ وإذا بقطعةٍ من ذهب مُلقاة، فأخذتُها، وجعلتُها في فِيَّ، ومشيتُ غير بعيد، وإذا صبيانٌ بينهم صبيٌّ على شيء مرتفع يتكلَّم عليهم في التصوُّف، فوقفتُ أسمع، فقال له واحدٌ منهم: متى يجدُ العبد حَلاوةَ الصِّدق؟ فقال: إذا رمى القِطعة من الشِّدْق، فأخرجتُها من فمي ورميتُ بها.

نبذة من كلامه:

قال: الحرُّ عبدٌ ما طَمِع، والعبدُ حرٌّ ما قَنِع.

وقال: الخائنُ خائفٌ، والبريءُ جريء، ومَن أساء استوحش، ومَن كان يسُرُّه ما يضرُّه متى يُفلح؟

وقال: خلق الله سبعَ سماوات، وله في كلِّ سماء جنود، وطاعتُهم له على سبع مَقامات، فطاعةُ أهل السماء الدنيا على الخَوف والرَّجاء، وطاعةُ أهل السماء الثانية على المحبَّة والحياء، وطاعةُ أهل السماء الثالثة على المِنَّة والدُّعاء، وطاعةُ أهل الرابعة على الشَّوق والهَيبة، وطاعةُ أهل الخامسة على المُناجاة والإجلال، وطاعةُ أهل السادسة على الإنابَة والتَّعظيم، وطاعةُ أهل السابعة على المِنَّة والقُربة[1].

وقال: أنشدني بعضُ أصحابنا وقد دعوتُه: [من مجزوء الرمل]

مَن دعانا فأبَيْنا ... فله الفَضْلُ علينا
فإذا نحن أجَبْنا ... رَجَعَ الفضلُ إلينا

وأنشد بُنان: [من الوافر]

لَحاني العاذِلون فقلتُ مَهْلاً ... فإنّي لا أرى في الحُبِّ عارا
فقالوا قد خَلَعْتَ فقلتُ لسنا ... بأوّل خالعٍ خَلَعَ العِذارا

وتوفِّي بمصر في شهر رمضان، ولم يتخلَّف عن جنازته أحدٌ، ودُفن بالقَرَافة، وقبرُه

(١) طبقات الصوفية ٢٩٣، ومناقب الأبرار ١/ ٤٨٤ وفيهما بعض الاختلاف.

بها ظاهرٌ يُزار. وقيل: مات سنة عشر وثلاث مئة.

وكانت له منزلةٌ رفيعةٌ بمصر عند الخاصِّ والعامِّ، وصحب الجُنيد وأصحابه، وهو أستاذ أبي الحسين النُّوري، سمع الحسن بن عَرَفة وغيره، وروى عنه الحسن بن رَشِيق وغيرُه.

داود بن الهَيْثم

ابن إسحاق ابن البُهْلُول، أبو سعد[1]، التَّنوخي.

ولد بالأنبار، وبها تُوفِّي وله ثمانٌ وثمانون سنة.

وكان إماماً، فاضلاً، مُفتياً، عارفاً باللغة وغيرها من العروض والنحو والآداب، وصنَّف كُتُباً في النحو واللغة على مذهب الكوفيين، وله كتابٌ كبير في خلق الإنسان، وكان شاعراً فصيحاً، وأخذ العلم عن يعقوب بن السِّكِّيت وغيره، وحدَّث عن عمر بن شَبَّه وغيره، وروى عنه محمد بن المظفَّر وغيره، وكان ثقةً.

عبد الله بن سليمان بن الأشعث

أبو بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني[2].

الحافظ ابن الحافظ، محدِّثُ العراق وابنُ إمامها في عصره.

ولد بسِجِسْتان سنة ثلاثين ومئتين، ورحل به أبوه فطوَّف به الدنيا شرقاً وغرباً، وأسْمَعه من علماء خُراسان، والجبال، وأصبَهان، وفارس، والبصرة، والكوفة، وبغداد، ومكة، والمدينة، والجزيرة، والشام، ومصر.

واستوطن بغداد وصنَّف «المسند» و«السُّنن» و«السِّير» و«التفاسير» و«القراءات» و«الناسخ والمنسوخ» وغيرَ ذلك.

وكان فهماً، عالماً، حافظاً، ونصب له السلطان مِنبراً فكان يحدِّثُ عليه، وكان في

---

(١) في (خ ف): سعيد، والمثبت من: تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٥، والمنتظم ١٣/ ٢٧٤، والسير ١٤/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٠٤.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ١٣٦، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٦٨ (مخطوط)، والمنتظم ١٣/ ٢٧٥، والسير ١٣/ ٢٢١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٠٥، وميزان الاعتدال (٤١٥٥).

وقته مشايخُ علماءُ، لكنَّهم لم يبلغوا في الإتقان ما بلغ.

وكان عليُّ بن عيسى الوزير يحدِّثُ في داره فيقول: حدَّثنا البغويُّ في ذلك المَوضع، ويُشير إلى بُقعةٍ من الدار، وحدَّثنا ابن صاعد في ذلك المكان، فيذكر جماعة، ويشير إلى مواضعهم، فقيل له: مالك لا تذكر ابنَ أبي داود؟ فقال: ليتَه إذا مَضينا إلى داره يأذنُ لنا في الدُّخول.

وخرج إلى سِجِستان في أيام عمرو بن اللَّيث، فاجتمع إليه أصحابُ الحديث، وسألوه أن يُحدِّثَهم، فأبى وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود [وكتاب؟!] فأملى[1] عليهم ثلاثين ألفَ حديث من حفظه، فلمَّا قدم بغداد قال البغداديون: مضى ابنُ أبي داود إلى سِجِستان ولعب بالناس، ثم فيَّجوا فَيْجاً[2] اِكْتَرَوْه بستَّة دنانير إلى سِجستان ليكتبَ لهم نسخةً، فكتب، وجاء بها إلى بغداد، وعُرِضَت على الحفَّاظ فخَطَّؤوه في ستَّة أحاديث، قال: منها ثلاثةٌ حَدَّثتُ بها كما حُدِّثتُ، وثلاثة أحاديث أخطأتُ فيها.

وقال: مررتُ يوماً بباب الطَّاق، فإذا رجلٌ يُعَبِّر الرؤيا، فمرَّ به رجلٌ، فأعطاه قطعةً وقال له: رأيتُ البارحة في منامي كأنِّي أُطالَبُ بصَداق امرأةٍ ولم أتزوَّج قطُّ؟ فردَّ عليه القطعة وقال: ليس لهذه جواب، قال: فتقدَّمتُ إليه وقلت: خُذ منه القطعةَ وأنا أعبره، فأخذها، فقلتُ للرجل: أنت تطالَبُ بخَراج أرضٍ ليست لك، فقال الرجل: صدقتَ، هذا التَّوكيل معي على الخراج.

وقال أبو حفص بن شاهين: أملى علينا ابنُ أبي داود نحواً من عشرين سنةً، ما رأيتُ بيده كتاباً، وإنَّما كان يُملي من حفظه، وكان أحفظَ من أبيه.

ذكر وفاته:

مات ليلة الإثنين ودُفن يوم الإثنين وقت الظهر لثماني عشرة خلت من ذي الحجة

---

(١) في (خ ف): إن أبي داود فأملي، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ١٣٧، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٧١، والمنتظم ١٣/ ٢٧٥.

(٢) أرسلوا رسولاً.

ببغداد، وصلَّى عليه المُطَّلب الهاشمي صاحب الصلاة في جامع الرُّصافة، وصلَّى عليه زُهاء ثلاث مئة ألف، وصلّوا عليه ثمانين مرةً في أربعة مَواضِعَ، وما وصل إلى قبره حتى أرسل المقتدرُ إلى نازوك الوالي فخلَّصه منهم، ودُفن بمَقبرة باب البُستان وهو ابنُ سبعٍ وثمانين سنةً قد مضى منها ثلاثة أشهر، وقيل: ابنُ ستٍّ وثمانين سنة وثمانية أشهر وأيام.

حدَّث عن أبيه، ومحمد بن يحيى الذُّهْلي، وخلق كثير.

وروى عنه [أبو] محمد بن أبي حاتم، وابن شاهين، والدارقطني، وابن سَمْعون، وابن زَبْر، وابن مُجاهد، وابن قانع، وابن حَبابَة، وعلي بن عيسى الوزير، وخلق كثير(١).

وقد تكلَّموا فيه، فقال الخطيب: كان مُنحرفاً عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه مائلاً عنه(٢).

وقال ابن عساكر: قال ابن أبي داود: إنْ صحَّ حديثُ الطير الذي يقال: إنَّ عليًّا أكل مع النبيِّ ﷺ منه، فنُبوَّة النبيِّ ﷺ باطلة(٣).

وكان أبو ليلى الحارث(٤) بن عبد العزيز قد أمر بضرب عُنقه لمّا شاع عنه هذا، ثم شفعوا فيه فنفاه(٥).

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٩.

(٢) نقله عن الخطيب ابنُ عساكر في تاريخه ٩/ ٣٧٤، والذي في تاريخ بغداد ١١/ ١٣٩ أن أبا بكر بن أبي داود قال غير مرة: كلُّ مَن بيني وبينه شيء فهو في حِلّ، إلا مَن رماني ببغض علي بن أبي طالب.

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٤ بإسناده إلى ابن عدي قال: سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول: سألت ابن أبي داود عن حديث الطير... وهو في الكامل ٤/ ١٥٧٨.

وحديث الطير أخرجه الترمذي (٣٧٢١) عن أنس ﷺ قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي فأكل معه. وانظر كلام الذهبي على الخبر في السير ١٣/ ٢٣٢.

(٤) في (خ ف): الحسن، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، انظر التعليق التالي.

(٥) الخبر في أخبار أصبهان ٢/ ٢١٠-٢١١، وعنه في تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٤-٣٧٥، والسير ١٣/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٠٨ وفيه: أن ابن أبي داود قدم أصبهان، فحسده جماعة من الناس لحفظه، وأجرى في مذاكرته ما قالته الخوارج ـ قبحهم الله ـ في أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه من أن أظافيره حفيت من كثرة تسَلُّقه على أم سلمة زوج النبي ﷺ، ونسبوا الحكاية إليه، وتقوَّلوا عليه، وأقاموا بعض العلوية خصماء له، فأُحضر مجلس =

قال ابن عساكر: قال أبو داود: ابني أبو بكر كذَّاب[١].

محمد بن السَّرِيّ

أبو بكر، السَّرَّاج، النَّحوي، مصنِّف كتاب «الأصول في النحو»[٢].

أحدُ العلماء المذكورين بالأدب وعلم العربية، صَحِب المبرِّد وأخذ عنه العلم في العربية[٣]، وقرأ عليه كتاب «الأصول» الذي صنَّفه، فاستحسنه بعضُ الحاضرين وقال: هذا والله أحسنُ من كتاب «المقتَضب»، فأنكر عليه ابن السراج وقال: لا تقل هذا، ثم تمثَّل: [من الطويل]

ولكن بَكَتْ قبلي فهيَّجَ لي البُكا بُكاها فكان الفَضْلُ للمُتَقدِّمِ

وحضر بين يديه صبيٌّ له صغير، فقيل له: أتُحبُّه؟ فأنشد: [من الرجز]

أحبُّه حُبَّ الشَّحيحِ مالَه قد كان ذاقَ الفقرَ ثمَّ نالَه

توفي ببغداد يوم الأحد ثالث ذي الحجة.

نَصْر حاجبُ المقتدر

كان عاقلاً ديِّناً شُجاعاً، ولمَّا جهَّزه المقتدرُ إلى القِرمطيّ تبرَّع من ماله بمئة ألف دينار مُضافاً إلى ما أعطاه المقتدر، وخرج يَقصدُ قتالَ القرمطي، فمات، وحُمل إلى بغداد في تابوت، رحمه الله تعالى[٤].

= الوالي أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز، وأقاموا عليه الشهادة، فأمر الوالي بضرب عنقه، فحضر محمد بن عبد الله الهمذاني الذكواني، وجرَّح الشهود، وقدح في شهادتهم، وخلص ابن أبي داود من القتل.

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٣ ونقله عن ابن عدي، وهو في الكامل ٤/ ١٥٧٨.
قال ابن عدي: وهو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه فلا أدري أيش تبين له منه.
وقال الذهبي رحمه الله في السير ١٣/ ٢٣١: لعل قول أبيه فيه ـ إن صح ـ أراد الكذب في لهجته لا في الحديث، فإنه حجة فيما ينقله.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٣، والمنتظم ١٣/ ٢٧٧، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٣، والسير ١٤/ ٤٨٣ وفي حواشيه مصادر أخرى. وقد طبع كتاب الأصول بتحقيق عبد الحسين الفتلي في ثلاثة أجزاء بمؤسسة الرسالة.

(٣) في (ف): وأخذ عنه علم العربية.

(٤) انظر المنتظم ١٣/ ٢٧٨.

يعقوب بن إسحاق

ابن إبراهيم بن يزيد، أبو عَوانة، الإسْفَرايِيْني النَّيسابوري، الحافظ[(١)].

طاف الدنيا، وصنَّف «المسند الصَّحيح المُخَرَّج على كتاب مسلم»، ولقي خلقاً من العلماء لا يُحصَون، وحجَّ عدَّة حجَّاتٍ.

وكان زاهداً، عابداً، وَرِعاً، صَدوقاً، ثبتاً.

كتب إليه بعضُ أصدقائه[(٢)]: [من الوافر]

فإن نحن التَقَينا قبل موتٍ ... شَفَينا النفس من مَضَضِ العِتابِ
وإن سَبقَتْ بنا أيدي المَنايا ... فكم من عاتبٍ تحت التُّرابِ

وتوفي بنَيْسابور.

سمع عمر بن شَبَّه، ومحمد بنَ يحيى الذُّهْليّ، ومسلم بن الحجاج وغيرهم، وروى عنه خلقٌ كثير، وأجمعوا عليه.



(١) تاريخ جرجان ٤٩٠ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٣٧ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٥ ، والسير ١٤/ ٤١٧ .
(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٣٨ : كتب إليه أخوه محمد بن إسحاق.

السنة السابعة عشرة وثلاث مئة

فيها خُلِع المقتدر، قال ثابت بن سنان: لمَّا كان يوم السبت لثمانٍ خلَون من المحرَّم خرج مؤنس إلى باب الشَّمَّاسية، ومعه جميعُ الجيش، وركب نازوك الوالي في جيشه من داره بالجانب الغربي وغلمانه في السلاح، فأتى دجلة ليعبر إلى مؤنس، فوجد الجسر مقطوعاً، فأقام إلى أن أُصلِح، وعَبر عليه، وخرج أبو الهيجاء بن حمدان إلى مؤنس أيضاً، فردَّ عليه الدِّيْنَوَر، وكان المقتدر عزله عنها، وكذلك جميع القواد صاروا إلى مؤنس، وانتقلوا إلى المصلَّى.

وشَحن المقتدرُ دارَه ومعه هارون بن غريب، وأحمد بن كيغلغ، والحُجَرية والرَّجَّالة، فلما كان آخر النهار انفَضَّ أكثرُ مَن كان في دار الخليفة من الرَّجالة وصاروا إلى مؤنس، ولما كان من الغد انفَضَّ الباقون إليه أيضاً.

وراسل مؤنسٌ المقتدرَ بأنَّ الجيشَ عاتبٌ منكرٌ لما يُصرَف من الأموال إلى الحُرَم والخَدَم، وأنَّهم يطلبون إخراجَ الحُرَم والخدم من الدار، وإبعادَهم، وأخْذَ ما في أيديهم، فكتب إليه رُقعةً بخطِّه منها:

أمْتَعَني الله بك، ولا أخلاني منك، ولا أراني فيك سوءاً، وإنِّي تأملتُ الحالَ التي خرج الأولياءُ إليها وتمسَّكوا بها، فوجدتُهم لم يُريدوا إلا صيانةَ نفسي ووَلَدي، وإعزازَ أمري ومُلكي، واجتلابَ الخير والمنفعةِ لي، فبارك الله عليهم، وأحسنَ إليهم، وأعانَني على صالح ما أنويه فيهم.

فأما أنت يا أبا الحسن المظفَّر ـ لا خَلَوتُ منك ـ فشيخي وكبيري، ومَن لا أحولُ عن المَيل إليه والتوفُّرِ عليه، اعترض بيننا هذا الحادث أو لم يَعْترِض، وانتقضَ الأمرُ الذي يجمعُنا أو لم يَنْتقِض، وأرجو ألا تَشُكَّ في ذلك إذا صدقْتَ نفسَك وحاسبْتَها، وأزَلْتَ الظُّنونَ السيئةَ عنها، أدام الله حِراستَها والقُوَّةَ بها.

والذي خاض أصحابُنا فيه من أمر الحُرَم والخَدَم الذين يُخرَجون من الدار ويُباعَدون عنها، وتسقط رُسومهم في الخدمة ويُمنَعون منها، وتُبْتَزُّ نعمتُهم ويُحال بينهم

وبينها؛ فقولٌ إذا تَبَيَّنوه حقَّ تبيُّنِه، وتَصفَّحوه حقَّ تَصَفُّحِه: علموا أنَّه قول جافٍ، والبَغْيُ عليَّ فيه غيرُ مُستَترٍ ولا خافٍ... وذكر كلاماً طويلاً ثم قال:

فأمَّا أنتم فمُعْظم نِعمتكم منِّي، وما كنتُ لأعودَ عليكم في شيءٍ سمحتُ لكم به، ونازوك فلا أدري من أيِّ شيءٍ عَتَبَ، ولا لأيَّةِ حالٍ استوحشَ واضطَرَب، فإنِّي لم أمنعْه من مُحاربة هارون ولا الانتصار منه، ولا أمرتُ بمَعونة هارونَ عليه، ولا أخذتُ له مالاً، ولا كفَفْتُ يده عما كان إليه.

وأما عبد الله بن حمدان فالذي أحفظه صَرْفُه عن الدِّيْنَوَر، فقد كان يَتهيَّأ إعادته إليها، أو تعويضُه من الأعمال ما هو أعظمُ منها، وما عندي لجميعكم إلا التَّجاوزُ والإغضاءُ، والرِّعايةُ والإبقاء.

وقبل هذا وبعده فلي في أعناقكم بيعةٌ قد وَكَّدتُموها على أنفسكم دفعةً بعد دفعة، ومَن بايعني فإنَّما بايع الله، ومَن نكث فإنَّما يَنكُثُ عهدَ الله، ولي عليكم أيضاً نِعمٌ وأياد، وصنائعُ وعَوارفُ آمَلُ أن تعترفوا بها، وتشكروها ولا تكفروها.

فإن رجعتُم إلى الحَسَن الجميل، وتلافيتُم هذا الخَطْب الجَليل، وفرَّقتُم جُموعَكم، وعدلتُم إلى منازلكم، وجريتُم في الخدمة على عوائدكم: كنتُم[1] بمنزلة مَن لم يَبْرَح من موضعه، ولم يأتِ بما أتى به، وإن أبَيْتُم إلا المُكاشَفةَ والمُخالَفةَ، وإيثارَ الفتنة وتجديدَ المِحْنَة؛ فقد ولَّيتُكم ما تولَّيتُم، وأغمَدْتُ سيفي عنكم، ولم أخرج من منزلي، ولم أُسلِّم الحقَّ الذي لي إلا كما خرج عثمانُ بن عفان عن داره، لمَّا خَذَله أعوانُه وأنصارُه وعامَّةُ ثِقاته، وكان ذلك فيما بين الله وبيني، والله بصيرٌ بالعباد، وللظالمين بالمِرصاد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فلمَّا وقفوا على الورقة عَدَلوا إلى مطالبته بإخراج هارون بن غريب عن بغداد، فأجابهم إلى ذلك، وقلَّده [الثغور] الشامية والجزيرة، وخرج من يومه إلى قُطْرَبُّل فأقام بها.

فلمَّا كان يوم الخميس لعشرٍ خلَون من المحرَّم نزل مؤنس والجيش معه وعدلوا

(١) في (خ ف): على عوائدكم كما كنتم، والمثبت من تكملة الطبري ٢٦٠ .

كراهية لثغر الجيش(١)، ثم اتَّفقَ مؤنس ونازوك على خَلْع المقتدر.

ولمَّا كان يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلةً خلت من المحرَّم خرج مؤنس دفعةً ثانية إلى الشَّمَّاسِيَّة، وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وجميعُ القواد والجيوش، فلمَّا كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت منه بعد صلاة الجمعة جاؤوا إلى دار الخليفة، فهرب المُظَفَّر بن ياقوت الحاجب وجميعُ الحُجَّاب، والحَشَمُ والخدمُ، والوزيرُ ابن مُقْلَة، ودخل مؤنس من باب الميدان، ونازوك من باب الخاصة، وأبو الهيجاء من باب العامة، وأحرق صافي البصريُّ بابَ الزاوية ودخل منه، وحصل الجيش كلُّه في دار الخليفة.

فلمَّا كان بعد العشاء بساعة أُخرج المقتدر ووالدته وخالته وحُرَمه وجواريه من الدار، وأُصْعِد بهم إلى دار مؤنس، ودخل هارون من قُطْرَبُّل إلى بغداد فاستتر بها.

وأحضروا محمد بن المعتضد من الحريم من دار ابن طاهر وكان محبوساً بها، والموكَّل عليه كافور أبو الحجاج، فوصل محمد إلى دار السلطان في الثُّلُث الأخير من ليلة السبت نصف المحرم، وسُلِّم عليه بالخلافة، وبايعوه، ولُقِّب القاهر بالله.

وأطلق مؤنس [عليَّ بن عيسى من دار السلطان](٢) فمضى إلى منزله وكان محبوساً، فأحضر أبا علي بن مقلة(٣)، وقلَّده الوزارة للقاهر، وقلَّد نازوك الحِجبة مضافاً إلى ما كان بيده من شرطة بغداد، وأضاف إلى أبي الهيجاء ولايةَ حُلْوَان والدِّيْنَوَر وهَمَذان ونَهاوَند وغيرها، مع ما كان بيده من المَوصل والجزيرة ومَيَّافارِقين.

ووقع النَّهبُ في دار السلطان وبغداد، وكان لأمِّ المقتدر بالرُّصافة ستُّ مئة ألف دينار فأُخذت، وحُملت إلى دار الخليفة.

وخُلع المقتدرُ يوم السبت منتصف المحرم، وأَشهد على نفسه بالخَلْع القضاةَ، وسُلِّم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فسلَّمه القاضي إلى ابنه أبي

(١) كذا ؟! وفي (ف) بعدها: وأرجف شديدة، وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٨ : ودخل في عاشر محرم مؤنس والجيش، فأرجف بالمقتدر أراجيف شديدة. وانظر تكملة الطبري ٢٦٠-٢٦١ ، والكامل ٨/ ٢٠١ .

(٢) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٦١ .

(٣) الذي أحضره هو مؤنس كما في تكملة الطبري.

الحسين وقال له: يا بُنيّ، احفظ هذا الكتاب واستُره، ولا يقف عليه أحدٌ من خلق الله تعالى غيرك، فقال له: فما الفائدةُ في كتمانه وقد علم به الخلق؟! فقال له أبوه: وما الفائدةُ في إظهاره، ومن أين تعلمُ ما يكون؟

فلمَّا أُعيد المقتدرُ إلى الخلافة بعد يومين دخل القاضي أبو عمر عليه، فسلَّم إليه الكتاب من يده إلى يده، وحلف له أنَّه ما رآه أحدٌ من خلق الله غيرُه وغيرُ ولده، فحَسُن مَوقعُ ذلك من المقتدر.

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت، ولمَّا كان يوم الأحد [حضر] بين يديه[١] الوزير ابنُ مُقْلَة، وكتب إلى البلاد والعمَّال بتقليد القاهر الخلافةَ كتاباً، منه بعد حمد الله تعالى: وقد اختصَّ أمير المؤمنين القاهر بالله محمد بن المعتضد بالخلافة، وأفضى إليه بالإمامة؛ لكماله، وشريفِ أفعاله، وكبيرِ فضائله، وعظيم رأفته ... وذكر كلاماً آخر.

وتقدَّم نازوك إلى الرَّجالة ـ ويُسمَّون المصافيَّة ـ بقلْع خيمهم من دار السلطان، وأمر رَجَّالته بأن يقيموا مكان المصافية، فاضطربت المصافية من ذلك، وتقدَّم إلى خلفاء الحُجَّاب والبوَّابين أن لا يَدخل دار السلطان إلَّا مَن كانت[٢] له مَرتبة، فاضطرب الحُجَرية من ذلك وتكلَّموا فيه.

فلمَّا كان يوم الإثنين سابع عشر المحرَّم بكَّر الناسُ إلى دار السلطان؛ لأنَّه يومُ موكبٍ ودولة جديدةٍ، فامتلأت الدهاليزُ والرِّحابُ وشاطئ دجلة منهم، وحضر الرَّجَّالة المصافية بالسلاح يطلبون مالَ البيعة ورزقَ سنة، ولم ينحدر مؤنس في ذلك اليوم إلى دار السلطان، وارتفعت أصواتُ المصافية، فخاف نازوك، فوقع بينهم وبين أصحابه قتال، فبعث إلى أصحابه أن لا يعرضوا لهم، فزاد الشَّغَب من المصافية، وفتحوا الدَّهاليز يريدون الصَّحْن التِّسعينيّ، فلم يمنعهم أحدٌ لما كان من تَقدُّمِ نازوك لأصحابه.

---

(١) يعني بين يدي القاهر كما في المنتظم ١٣/ ٢٨٠ وما بين معكوفين منه.

(٢) في (خ ف): دار السلطان وإذا رجالته بأن يقيمون... وتقدم إلى خلفاء الحجاب والبوابين... أنه من كانت، والمثبت من الكامل ٨/ ٢٠٢-٢٠٣ ، وتكملة الطبري ٢٦١ .

وكان القاهرُ جالساً في التِّسعيني وابنُ مُقْلَة بين يديه ونازوك وأبو الهَيجاء، فبعث نازوك إليهم يُخوِّفُهم ـ وكان مَخموراً قد شرب طول ليلته ـ فقام إلى الرَّوْشَن، فلمَّا رأوه أسرعوا إليه فهرب منهم، فطمعوا فيه فتبعوه، فانتهى به الهَرَب إلى بابٍ كان قد سدَّه أمس ذلك اليوم بالآجرِّ والجصّ، فلم يُمكنه النُّفوذ فيه، فلَحقوه فقتلوه، وقد كانوا قتلوا قبله خادمَه عجيباً، وصاحوا للمقتدر: يا منصور، فتهارب كلُّ مَن في دار السلطان: الوزيرُ والحُجَّابُ والجُندُ وسائرُ الناس، حتى بقيت الدَّار والشُّطوط والمَمرَّات خاليةً، وصاروا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدرَ ليَرُدُّوه إلى الخلافة، وبادر الخدم فأغلقوا باب دار السلطان، وكانوا جميعهم خدمَ المقتدر وحاشيتَه.

وأراد أبو الهيجاء الخروجَ، فتعلَّق به القاهر وقال له: يا أبا الهيجاء، تُخلِّيني وتخرج؟ فتداخلَتْه الحَميَّةُ والأَنَفَة فقال: لا والله. ورجع معه، فوجد الأبواب مُغلقةً، فقال له أبو الهيجاء: امضِ فوالله لا أُفارقك أو أقتل دونك. فمضيا حتى دخلا الفردوسَ، وخرجا إلى الرَّحبة التي يُسلَك منها إلى باب النُّوبي، ونزع أبو الهيجاء سَوادَه ومِنْطَقتَه ودفعها إلى غلامٍ له، وأخذ جُبَّتَه وكانت من صوف، وركب فرسه وانصرف، ووقف القاهرُ مع خدمٍ له، وعاد إليه ابن حمدان فقال للقاهر: قُتِل نازوك وثارت العامَّةُ من جانبي بغداد. وسُدَّتْ على أبي الهيجاء والقاهر المَسالك، فقال أبو الهيجاء: هذا أمرٌ من السماء، فارجع بنا إلى الدار، فدخلا من الفردوس، وجعل مَن معهما من الخدم يتسلَّلون أوَّلاً أولاً.

وبقي من خدم المقتدر جماعةٌ فجرَّدوا السيوف، ورآهم أبو الهيجاء فرهقهم فوقفوا، ثم رجع القَهْقَرى، فدخل في بيتٍ من ساجٍ مُفرَداً، وجاء خماجور ـ أحدُ الغلمان الأكابر الحُجْرية ـ فقال للخدم يُحرشونه حتى يخرج[1]، فشتموه، فغضب وخرج كالجمل الهائج وصاح: يالَتغلب، أأُقْتَل بين الحيطان؟ أين الكُمَيتُ؟ أين الدّهماءُ؟ فرماه خماجور بسهم فأصاب ثَدْيَه، وأتبعه بآخر فأصاب تَرْقُوَته، ورماه بثالث فشكَّ فَخِذَيه، فضرب أبو الهيجاء الذي شكَّ فخذيه فقطعه، وجذب السَّهم الذي أصاب ثديه

(١) انظر صلة الطبري ١٢٤، وتكملته ٢٦٢، والكامل ٨/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩.

فانتزعه ورمى به، وكان مع خماجور أسودان فبادرا إليه، فحَزَّ أحدهما رأسه، فانتزعه خادمٌ منه ومضى به يريد المقتدر.

وكان الرجال قد حملوا المقتدرَ على أعناقهم من دار مؤنس إلى قصر الخلافة، فلمَّا دخل قال: ما فعل أبو الهيجاء؟ قيل: هو في دار الأبرجة[١] في بيت السَّاج، فقال: عليَّ بدَواة وبَيْضاء لأكتبَ له أماناً قبل أن يَحدثَ به حادث، فأبطؤوا عليه، وجاء الخادم برأسه إلى المقتدر فقال: مَن قتله؟ قالوا: لا ندري.

فاسترجع المقتدرُ وجعل يُكرِّرها ويقول: ما كان يدخلُ عليَّ في دار مؤنس في هذه الأيام ويُسلِّيني سواه، هذا مع ما لأهله علينا من الحقوق السَّالفة، وظهر عليه من الكآبة أمرٌ عظيم، فبينا هو على ذلك سمع ضجَّةً عظيمة، وجاءه خادمٌ يعدو فقال: هذا محمد قد أُخذ يعني القاهر.

وجيء به فأُجلس بين يديه، فاستدناه وقبَّل جَبينه وقال له: يا أخي، أنت والله لا ذنبَ لك، قد علمتُ أنَّك قُهرتَ على أمرك، والقاهر يبكي ويقول: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين في نفسي، فقال: والله وحقِّ رسوله لا جَرى عليك منِّي سوءٌ أبداً، ولا وصل إليك أحدٌ بمكروه وأنا حيٌّ، فطِبْ نفساً ولا تجزع، والليلةَ أُوصلكَ إلى منزلك.

وكان الرَّجالة لما انتهوا إلى مؤنس وصاحوا قال مؤنس: ما الذي تُريدون؟ قالوا: الخليفةَ، فقال: سلِّموه إليهم، فحملوه إلى داره، وأُخرجَ رأسُ نازوك ورأسُ أبي الهيجاء، وشُهِرا في شوارع بغداد، ونُودي عليهما: هذا جزاء مَن عصى مولاه وكَفر نعمتَه.

وسكن الهَيْج، وعاد أبو علي بن مُقلة إلى وزارته، وكتب كتاباً عن المقتدر برجوعه إلى الخلافة إلى أهل المشرق والمغرب.

وقال الصولي: سعى مؤنس ونازوك في خلع المقتدر، ثم عاد مؤنس إلى نُصرته والذبِّ عنه لأنَّه استمالَه، واستمال نازوكاً فلم يرجع، وعزم على الفَتْك بالمقتدر، وجاء في الفُرسان والرَّجَّالة، وقصد دار الخليفة فنَهبها، وهتَك الحَريم، ومَحا رُسومَ

(١) في تكملة الطبري ٢٦٢ : سأل عن أبي الهيجاء فقيل له: هو في الأترجة.

الخلافة، ونهب من الخزائن والجواهر والكتب والأمتعة ما لا يُحصى، وجالَت الخيلُ في المجالس والقصور، ونُهبت بغداد طول الليل.

ثم طلَبَ الرَّجالةُ من نازوك مالَ البيعة فلم يُعطهم شيئاً، فثاروا به، وقالوا للمقتدر: يا منصور، وقصدوا نازوكاً، فدخل هو وغلامُه عجيب بيتاً في التِّسعيني بدار الخلافة لا مَنفذَ له، فدخل خلفه سعيد ومُظَفَّر من شُطَّار بغداد، فقتلوه وقتلوا غلامَه، وصلبوهما على دَقَلٍ، ونهبوا دورَه.

وقيل: إنَّ الرَّجالة تواطؤوا مع مؤنس على قتل نازوك؛ لأنَّه كان قد استولى على بغداد.

ثم دخل مؤنس على المقتدر وسلَّم عليه بالخلافة، وبايعه بيعةً جديدة، وفعل القوَّادُ والقضاة والخواصُّ ذلك، وركب المقتدرُ في طيَّار، ورآه الناسُ، فخاطَبَهم مُخاطبةً جميلةً، ووعدهم، وضَمِن لهم كلَّ ما أرادوا، فرضوا وسكنوا.

وقال محمود الأصبهاني: لمَّا علم المقتدرُ أنَّهم خالِعوه صَرف العساكرَ عن بابه، وجمع أمَّه وخالتَه والقَهرمانة وحُرَمه في مكان، وجلس على سريره، ونشر المصحف بين يديه، وجعله في حِجْره وقال: أنا فاعل ما فعل عثمان بن عفان رضوان الله عليه، ولا أسلِّم حقًّا خَصَّني اللهُ به، ولا أنزِعُ قميصاً ألبسني الحقُّ إياه، فلمَّا بلغهم سكنُوا.

ثم أصبح نازوك إلى مؤنس، فأخرجه كُرْهاً من داره وكان قد غلب عليه، واجتمع القوَّادُ وأبو الهيجاء، وأتَوا إلى دار الخلافة وهي مُغلقة، فأحرقوا بابَها، ودخلوها - وكانوا خمسين ألفاً ما بين فارسٍ وراجل - فنهبوها، وأخذ مؤنس المقتدرَ وأمَّه وأهلَه، وبعث بهم إلى داره، وبايعوا القاهر.

ثم ثارت الرَّجالة بعد يومين، وقتلوا نازوك وابنَ حمدان، قتلهما سعيد والمظفَّر، وأجلسوا المقتدرَ في الخلافة، فأحسن إلى الرَّجالة المصافية والفرسان وغيرهم، حتى نَفِدت الأموالُ من الخزائن، وبيعت الأمتعةُ والثيابُ والعقاراتُ والضِّياعُ، ودُفع الجميعُ إلى الجند.

وكان عليُّ بن عيسى إذا دخل على ابن مُقْلَة قام له، وأكرمَه، وأجلَسه معه في دَسْته،

فدخل عليه يوماً وهو يبيعُ الضياع بأوكَس ثمنٍ فقال: ما هذا؟ فقال: هذه ضِياع بخْتَيْشوع المُتَطبِّب، اشتراها ببضع عشرة ألف ألف درهم، آلَ أمرُها أن تُباعَ بالثَّمن اليَسير[1].

قال ثابت بن سنان: وكان قد وصل إلى بختيشوع في مدَّة خدمته للرشيد ـ وهي عشرون سنة ـ ستَّةٌ وخمسون ألف درهم، وفي رواية سبعةٌ وسبعون ألف درهم من الرشيد والبرامكة.

وظهر هارون بن غريب، ودخل[2] على مؤنس وسلَّم عليه، وقُلِّد الجبل، وخرج إلى عمله في صفر.

وقلَّد المقتدرُ إبراهيم ومحمد ابنَي رائق الشرطةَ ببغداد، والمظفَّر بن ياقوت الحَجَبة، وكان بفارس، فقدم ودخل على المقتدر فخلع عليه فطوَّقَه وسوَّره.

وفي رجب ماتت ثملُ القَهْرَمانة.

وفي شوال قَبض المقتدرُ على أبي أحمد بن المكتفي واعتقلَه في دار الخلافة؛ لأنَّه بلغه أنَّ جماعةً سَعَوا له في الخلافة، وحُبسوا أيضاً.

قال ثابت: بَذْرَقَ المقتدرُ الحاجَّ[3] في هذه السنة مع منصور الدَّيْلَمي، ووصلوا مكة سالمين، فوافاهم أبو طاهر القِرمطي يومَ التَّروية، فقتل الحاجَّ في المسجد الحرام قَتْلاً ذَريعاً، وفي فِجاج مكة، وفي البيت، واقتلَعَ الحجرَ الأسود، وقلع قُبَّة زَمْزَم، وقتل ابنَ محارب أمير مكة، وعَرَّى البيت، وقلع بابه، وأَصعَدَ رجلاً من أصحابه ليقلَع الميزاب فوقع الرجل على رأسه فمات، وأخذ أموالَ الناس، وطرح القتلى في بئر زمزم، وانصرف إلى بلده هَجَر، وحمل معه الحجر الأسود.

وقال محمود الأصفهاني: كان الناس يطوفون حول البيت والسُّيوف تأخُذُهم، وامتلأت فِجاجُ مكة من القتلى، ودخل رجلٌ من القرامطة وهو راكبٌ سكران، وبيده

(١) انظر تكملة الطبري ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩.

(٢) في (خ ف): وخلع، والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩.

(٣) سيَّر معهم حارساً وخفيراً.

سيفٌ مَسلول، فصَفَر لفرسه عند البيت فبال، وقتل جماعة، ثم ضرب الحَجَر الأسود بدَبُّوس فكسره وقلَعه.

وأقام القرمطيُّ بمكة أحد عشر يوماً، وبقي حول البيت ثلاثُ مئة جِيْفَة، وقُتلَت جماعةٌ من الأعيان.

وقيل: إنه حُمِل إلى هَجَر فهَلَك تحته أربعون جَمَلاً، فلمَّا أُعيدَ إلى مكة حُمِل على قَعود هَزيل فَسَمِن، وكان بجكم التركي قد دفع فيه خمسين ألف دينار، فلم يَردُّوه وقالوا: أخذناه بأمر وما نردُّه إلا بأمر.

وقال عبد الله بن أحمد بن عَيَّاش القاضي: أخبرني بعضُ أصحابنا أنَّه كان بمكة، وأنَّ الذي ضرب الحَجَر وقلعه صاح: يا حمير، أنتم قلتم: ومَن دخله كان آمناً، فأين الأمنُ وقد فعلْنا ما فعلنا؟! فأخذْتُ بلجام فرسه، وتيقَّنتُ القتلَ، وقلتُ له: اسمع، إنَّ الله تعالى أراد: ومَن دخله فأَمِّنوه. وتوقَّعتُ أن يقتلَني، فلوى رأسَ فرسه وخرج ولم يكلِّمني.

وقد غلط السِّمْناني فقال في تاريخه[1]: الذي قلع الحجرَ أبو سعيد الجَنَّابي، وحمله إلى الكوفة، وعلَّقه في الأُسْطُوانة السابعة ممَّا يلي صحنَ الجامع من الجانب الغربي، اعتقاداً منه أنَّه يَنقلُ الحجَّ إلى الكوفة.

قال: ثم قصد أبو سعيد نهرَ الملك في خمس مئة فارس، فجهَّز إليه المقتدرُ ابنَ أبي السَّاج في ثلاثين ألفاً، فتقاتلا وبينهما النَّهر، فاستقلَّ ابنُ أبي السَّاج عَسكرَ القرمطي، وأمره المقتدرُ بقطع الجسر فلم يفعل.

وكان ابنُ أبي الساج قبلَ ذلك بزمان قد نزل على أبي سعيد فأكرمه، فأرسل إليه يقول: لك عليَّ حقٌّ قديم، وأنت في قِلَّة وأنا في كثرة، والمَصلحة أن تَنصرفَ سالماً.

فلمَّا دخل الرسول على القرمطي وأدَّى الرسالة قال له: كم مع صاحبك؟ قال: ثلاثون ألفاً، فقال: ما معه ولا ثلاثة، ثم دعا بعبدٍ أسود وقال له: خرِّق بَطْنَك بهذه السّكين، ففعل، وقال لآخر: غَرِّق نفسَك في هذا النهر، ففعل، وقال لآخر: اصعد على هذا الحائط وأَلْقِ نفسَك على رأسك، ففعل، ثم قال للرسول: إنْ كان معه مَن يفعل مثل هذا وإلا فما معه أحدٌ.

---

(١) نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢١، والسير ١٥/ ٣٢٢.

وكان على باب خيمة القرمطي كلبٌ مربوط في سلسلة، فقال: كأنِّي غداً بصاحبك مربوطٌ مع هذا الكلب، فطلب منه الرسولُ أماناً له ولكلٍّ مَن لجأ إليه فأعطاه.

فلمَّا كان وقت المغرب عبر القرمطيُّ النَّهرَ، والتقَوا عند الفجر، فهزمه القرمطي، وأخذ ابنَ أبي السَّاج فربطَهُ مع الكلب في سلسلة.

وجاء فنزل غربيَّ بغداد، وأفنى خلقاً عظيماً، وباع الحَجَرَ للمقتدر بثلاثين ألف دينار، وأشهد جماعةً من أهل الكوفة على رسول المقتدر أنَّه قد سلَّمه إليه، منهم: عبد الله بن عُلَيم المحدِّث، فقال أبو سعيد للجماعة: من أين علمتُم أنَّ هذا هو الحَجَرُ الأسود، لعلَّنا أحضرْنا حَجَراً من البرية وقلنا: هو هذا؟ ـ وكان قد انكسر ـ فقال ابن عُلَيم: لنا فيه علامةٌ، فقال: وما هي؟ فقال: حدثنا فلان، عن فلان ورفعه إلى النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الحَجَرُ الأسود يُحشَرُ يوم القيامة وله عينان يَنظُر بهما، ولسانٌ يتكلَّم به، يَشهدُ لمَن اسْتَلمَهُ بالإيمان والنِّفاق، وأنَّه حجرٌ يطفو على رأس الماء، ولا يحترق بالنار»[1].

قال: فأحضر القرمطيُّ طَشتاً فيه ماء، فألقاه فيه، فطَفا على رأس الماء، ثم أحضر ناراً وألقاه فيها فلم يحترق، فعجب القرمطيُّ وقال: هذا دينٌ مضبوط، ثمَّ ردَّ المقتدرُ الحَجَرَ إلى مكة.

وهذا غلط فإنَّ أبا سعيد هَلَك سنة إحدى وثلاث مئة، وابن أبي السَّاج جهَّزه المقتدرُ سنة خمس عشرة وثلاث مئة إلى أبي طاهر، والحديث الذي رواه ابن عُليم لا يصح.

وفيها توفي

إبراهيم بن نَصْر الكِرْماني

أحد الأبدال[2].

كان مُقيماً بجبل لبنان، قال ابن عساكر: قال محمد بن مانك[3] السِّجِسْتاني:

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج أحمد (٢٢١٥)، والترمذي (٩٦١)، وابن ماجه (٢٩٤٤)، وابن خزيمة (٢٧٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يُبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحقّ».

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٥٥٤ (مخطوط).

(٣) في (خ ف): فاتك، والمثبت من تاريخ دمشق.

خرجتُ من دمشق مع جماعة إلى جبل لبنان نَلْتمسُ مَن فيه من العُبَّاد، فمشينا ثلاثةَ أيام فلم نجد أحداً، فجلسنا تحت شجرة، ومضى أصحابي يَطلبون أحداً من الزهَّاد، فنمتُ، فلمَّا طلع الفجرُ نزلتُ إلى الوادي أطلبُ الماء، وإذا بعين صغيرة تخرجُ من كهف، فتوضَّأتُ وصلَّيتُ، وسمعتُ صوتَ قراءةٍ فقَصَدتُه، وإذا بكهفٍ في جانب الجبل، فدخلتُه وفيه مَغارة، وإذا بشيخٍ ضَرير جالس، فسلَّمتُ عليه فقال: إنسيٌّ أم جنِّيٌّ؟ قلتُ: إنسي، فقال: لا إله إلا الله، ما رأيتُ إنسيًّا منذ ثلاثين سنة غيرَك.

قال: وكنتُ مَتْعوباً، فنمتُ في جانب الكهف، فلمَّا جاء وقتُ الظهر أيقظَني، فخرجتُ فتوضَّأتُ وصليتُ معه، ودعا وقال: اللهم ارحَم أمةَ محمدٍ ﷺ وأصلحهم وفرِّج عنهم.

فلمَّا صلينا العشاء الآخرة قال: تأكل؟ قلتُ: نعم، قال: قم فادخل المَغارةَ، فدخلتُ، فوجدتُ أنواعَ الفاكهة: زبيباً، وجوزاً، وتفاحاً، وفستقاً، وحبَّةَ الخضراء، وكلُّ صِنْفٍ مَعزولٌ ناحيةً، وإذا بثلاثة قبور مُصْطَفَّة، فتقدَّمتُ وأكلتُ، ثم خرجتُ فقلتُ: من أين هذه الفاكهة؟ فقال: سوف ترى، وإذا بطائرٍ قد أقبل، وله جناحان أبيضان وصدره أخضر، وفي مِنقاره حَبَّةُ زَبيب، وفي رجليه جَوزة، فدخل فوضع الزَّبيبةَ على الزَّبيب والجَوزةَ على الجوز، قال: أرأيت؟ قلت: نعم، قال: هذا قوتي منذُ ثلاثين سنة.

قال: وعليه ثوبٌ من التَّوَّز بغير كُمَّين، فقلتُ: مَن يأتيك بهذا؟ قال: الطائر، وعنده مِسَلَّةٌ يَخيطُه بها.

فلمَّا كان في الليل دخل علينا سبعةُ أنفسٍ، ثيابُهم شُعورهم، وعيونُهم مُشَقَّقة حُمر، فخفتُ منهم فقال: لا تخف، هؤلاء الجن، فقرأ عليه واحد سورة طه، وآخر سورة الفرقان، وآخر سورة الرحمن، وتلقَّن بعضهم، ومضوا.

فقلتُ: كم لك هاهنا؟ فقال: أربعين سنةً، أقمتُ منها عشرَ سنين أَجني المُباحَ، فذهب بصري منذ ثلاثين سنة، فقيَّضَ الله لي هذا الطائر يحملُ ما ترى.

ثم قال: أخبرني هؤلاء القوم ـ يعني الجنَّ ـ أنَّ القرمطيَّ دخل مكة فقتل الحاجَّ قَتْلاً ذَريعاً وفعل وفعل، وكان ذلك في سنة سبع عشرة وثلاث مئة، فقلتُ: قد كثُرَ دُعاء

الناس عليهم، فلم مُنعوا الإجابة؟ فقال: منعهم من ذلك خصال: أقرُّوا بالله وتركوا أمرَه، وقالوا: نؤمن بالرُّسُل وخالفوا شَرْعَه[١]، وقرؤوا القرآن ولم يعملوا به، وقالوا: نحبُّ الجنةَ وتركوا طريقها، وقالوا: نكره النارَ وسلكوا طريقها، وقالوا: إبليسُ عدوُّنا ووافقوه، ودفنوا موتاهم ولم يَعتبروا، واشتغلوا بعيوب الناس وتركوا عيوبَ أنفسهم، وجمعوا المالَ ونَسُوا يوم الحساب، ونقضوا القبورَ وزيَّنوا القصور[٢].

قال: فأقمتُ عنده أياماً، فقال لي: حدِّثني كيف وصلتَ إلى هاهنا؟ فحدثتُه، فقال: أخطأتَ حيث فارقتَ أصحابك، وتركتَ قلوبَهم متعلِّقةً بك، ارجع إليهم، فقلتُ: ما أعرفُ الطريق، فقال: قم، فقمتُ وقام معي، فخرجنا وإذا بسبُعٍ واقف على باب الكهف فقال: لا تخف واتْبَعْه، وإذا حججْتَ فاطلُب بين المقام وزمزم رجلاً أشقرَ خفيفَ العارِضَين، فسَلْه أن يدعو لك فإنَّك تنتفعُ بدعائه.

ثم فارقتُه والسبع يمشي بين يدي إلى عَقَبة دمشق فغاب عنِّي.

ودخلتُ دمشق، فأتيتُ أصحابي ففرحوا بي وقالوا: شغلتَ قلوبَنا، فأخبرتُهم خبري، فقالوا: قوموا بنا، فخرجنا من دمشق نحو عشرين رجلاً إلى لبنان، فأقمنا أياماً نطوف فلم نَقَع على المَغارة، فقالوا: هذا شيءٌ كُشِفَ لك دوننا فرجعنا.

وخرجتُ إلى الحجِّ، وقصدتُ بين الركن والمقام وزمزم، وإذا بذلك الشخص الذي وصفه جالسٌ، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، فقلت: إبراهيم الكرماني يُسلِّم عليك، قال: وأين رأيتَه؟ قلت: في مغارة لبنان، قال: إنَّه تُوفيِّ إلى رحمة الله، قلتُ: مات؟ قال: نعم، قلتُ: متى؟ قال: الساعة، دفنَّاه في المغارة عند إخوانه، وكنَّا جماعةً، فلمَّا دفنَّاه إذا بذلك الطائر الذي رأيتَ قد جاء، فما زال يضرب بمِنقاره وجناحَيه الأرض حتى مات، فدفنَّاه تحت رجليه، ثم قال لي: طُفْ بالبيت، فشرعتُ في الطَّواف وغابَ الرجل عنِّي.

(١) في تاريخ دمشق ٢/ ٥٥٦: قالوا نحب الرسول ولم يتبعوا سنته.
(٢) في تاريخ دمشق: وبنوا القصور.

أحمد بن الحسين

أبو سعيد، البَرْدَعيُّ[(١)]، الإمام، شيخ الحنفية في زمانه.

دخل بغداد ودخل الجامعَ، فوقف على حَلْقة داود بن علي الظاهري وهو يُناظرُ رجلاً من أصحاب أبي حنيفة، وقد ضعُف الحنفيُّ في يده، فجلس البردعيُّ في حلقته وقال لداود: ما تقول في بيع أُمَّهات الأولاد؟ قال: يجوز، قال: ولم؟ قال: لأنَّا أجمعنا على جواز بَيْعهنَّ قبل العُلوق، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماع مثله، فقال البردعيُّ: أجمعنا على أن بعد العُلوق قبل الوَضْع لا يجوز بيعُهنَّ حتى يضَعْنَ، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماعٍ مثله، فانقطع داود وقال: نَنظر في هذا.

وعزم أبو سعيد على المقام ببغداد والتَّدريس بها لما رأى من غَلَبة أصحاب الظاهر، فلمَّا كان بعد مُديدة رأى في المنام قائلاً يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧] فانتبهتُ، وإذا بالباب يُدقُّ وقائلاً يقول: مات داود الظَّاهري، فإن أردتَ أن تُصلي عليه فاحضُر.

وأقام أبو سعيد ببغداد يُدرِّس سنين كثيرةً، فخرج في هذه السنة إلى الحجِّ، فقتلته القرامطةُ وهو يطوف بالبيت.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن حَفص، أبو عمرو، الحِيريّ، النَّيسابوري[(٢)].

شيخ نَيسابور في عصره في الرِّئاسة والعَدالة والعلم والمال، وكان نبيلاً.

سمع الحديث، وروى عنه العلماء، وتوفي بنيسابور في ذي القعدة رحمه الله.

---

(١) قال القرشي في الجواهر المضية ١/ ١٦٥ : والبردعي؛ بالباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى بردعة، وهي بلدة من أقصى بلاد أذربيجان. اهـ. قلت: وذكر ياقوت هذه المدينة في الذال المنقوطة ١/ ٣٧٩ وقال: وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة، وانظر الأنساب ٢/ ١٣٧ ، ١٤٣ ، وتاريخ بغداد ٥/ ١٦٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٦ .

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٨٣ ، والسير ١٤/ ٤٩٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٧ .

أحمد بن مَهدي بن رُسْتم[1]

كان ذا مالٍ كثير نحو ثلاث مئة ألف درهم، أنفقه كلَّه على العلم، ولم يُعرَف له فراش أربعين سنة.

وقال: جاءتني امرأةٌ ببغداد ليلةً من الليالي، فذكرَت أنَّها من بنات الناس، وقد امتُحِنَت بمِحْنة وقالت: أسألك بالله أن تَستُرني، فقلتُ: وما مِحنتُك؟ قالت: أُكرِهتُ على نفسي وأنا حُبلى، وذكرتُ للناس أنَّك زوجي، وأنِّي حبلى منك، فلا تفضحني واستُرني ستَرَك الله، فسكتُّ عنها.

ومضت فلم أشعر حتى وَضعت غلاماً، وجاء إمام المَحلَّة وجيرانُ المَحلَّة يُهنِّؤونني بالولد، فأظهرتُ [لهم التَّهَلُّل]، فدفعتُ إلى الإمام دينارين وقلتُ: ادفعهما إلى المرأة فإنَّه سبق منِّي ما فرَّق بيننا، وكنتُ أدفع إليها في كلِّ شهر دينارين على يد الإمام وأقول: هذه نَفَقة ابنك، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم تُوفِّي المولود، فجاءني الناس يُعزُّونني، فأظهرتُ لهم الرِّضى والتَّسليم، وجاءتني المرأةُ ليلةً بعد شهر ومعها الدَّنانير التي كنتُ أبعث بها، فردَّتْها وبَكَت وقالت: جزاك الله عنِّي خيراً، وسَترك كما سترتَني، فقلت: هذه الدنانير كانت صِلةً للمولود، وهي لك فاعملي بها ما تُريدين.

بدر بن الهَيْثم بن خَلَف

أبو القاسم، اللَّخْمي، القاضي، الكوفي[2].

نزل بغداد وحدَّث بها، وسمع الحديث وقد مضى من عمره أربعون سنة، وعاش مئةً وسبع عشرة سنة، ومات ببغداد في شوال وحمل إلى الكوفة.

حدث عن أبي كُرَيْب وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره، وكان ثقةً نبيلاً.

عبد الله بن محمد

ابن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه، أبو القاسم، البَغَويّ، وهو ابن

(١) أخبار أصبهان ١/ ٨٥، والمنتظم ١٣/ ٢٨٤.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٦٠٢، والمنتظم ١٣/ ٢٨٥، والسير ١٤/ ٥٣٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٩.

بنت أحمد بن مَنيع[1].

قال أحمد بن مَنيع: وُلد ابن ابنتي أبو القاسم يوم الإثنين في رمضان سنة أربع عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين ببغداد.

وهو بغويُّ الأصل، وأول ما كتب سنة خمس وعشرين ومئتين، وسافر، ولقي الشيوخَ، وسمع الكثيرَ، وروى عنه الأئمةُ، وتوفي ببغداد ليلة الفطر، ودُفن يوم الفطر بمقبرة باب التِّبْن وله مئةٌ وثلاثُ سنين وشهر واحد وهو صحيحُ الجَوارح والسَّمع والبَصر.

وسمع الإمام أحمد بن حَنبل، ويحيى بن مَعين، وابن المَديني، وعلي بن الجَعْد، وخَلَف بن هشام، وعبد الله بن محمد بن عائشة التَّيْمي، وأبا نَصْر التمَّار، وحاجب بن الوليد، وشَيبان بن فَرُّوخ، وزهير بن حَرْب وغيرهم.

وكان يقول: أحصيتُ المشايخَ الذين لا يروي عنهم اليوم أحدٌ غيري فكانوا سبعةً وثمانين شيخاً.

وقال الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد: لا يُعرف اليوم في الإسلام من يُوازي البغوي في قِدَم السماع؛ فإنَّه توفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وسمعناه يقول: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطَّالْقاني في سنة خمس وعشرين ومئتين.

وقال الخطيب: سمع البغوي جزءاً على الإمام أحمد بن حنبل وابن مَعين وابن المَديني، فأخذه موسى بن هارون، فألقاه في دجلة وقال: أتُريد أن تَجمع بين الثلاثة الرواية.

وروى عنه يحيى بن محمد بن صاعد، وابن شاذان، وابن شاهين، والدارقطني، وخلقٌ كثير.

وقال الخطيب: اجتاز البغويُّ بنهر طابَق، فسمع مُسْتَملٍ فقال: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ صاعد، فقال: ذاك الصبيُّ؟ قالوا: نعم، فقال: والله لا أبرحُ من مَوضعي حتى أُملي

---

(1) الكامل لابن عدي ٤/ ١٥٧٨، وسؤالات السهمي ٢٣٧، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٢٥، والمنتظم ١٣/ ٢٨٦، وميزان الاعتدال (٤٣٣٣)، والسير ١٤/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٢٣.

ها هنا، فصعد الدِّكَّة وجلس، ورآه المُحدِّثون فقاموا وتركوا ابن صاعد، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل الشَّيباني قبل أن يُولَد المحَدِّثون، حدثنا طالوت بن عبَّاد قبل أن يولد المحدثون، حدثنا أبو نصر التمَّار قبل أن يولد المحدثون، فأملى ستة عشر حديثاً عن ستة عشر شيخاً، ما كان في الدنيا مَن يروي عنهم غيره.

واتَّفقوا على صدقه وثقته ودينه ووَرَعه.

سئل عنه موسى بن هارون فقال: ثقةٌ صدوق، لو جاز أن يقال فوق الثقة لقيل له، فقيل له: فإنَّ هؤلاء يتكلَّمون فيه؟! فقال: يحسدونه، ابنُ بنتِ مَنيع لا يقولُ إلا الحقَّ.

وسئل ابن أبي حاتم عنه: أيدخل حديثه في الصحيح؟ قال: نعم.

وقال الدارقطني: كان أبو القاسم ابنُ بنت مَنيع قلَّ ما يتكلَّم على الحديث، فإذا تكلَّم كان كلامُه كالمِسمار في السَّاج.

وعابه ابن عديٍّ وقال: كان وَرَّاقاً[1]. وذلك لا يَقدَح فيه؛ لأنَّه كان يُوَرِّقُ على عمِّه وجدِّه.

عبد الرحمن بن عبد الله بن الزُّبير

أبو بكر، الرُّهاوي[2].

من بيت العلم والفضل، حدَّث عن أبيه وغيره، وروى عنه أبو الحسين وغيره، وكان ثقةً، قتلته القرامطةُ بمكة.

علي بن بابويه الصُّوفي[3]

كان يطوف بالبيت، وهجم القرمطيُّ مكة، فأوقع بالناس في الطَّواف وابن بابويه يطوف، فما قطع طوافَه والسيوفُ تأخُذُه وهو يُنشد يقول: [من البسيط]

تَرى المُحبِّين صَرْعى في ديارهم ... كفِتيةِ الكهف لا يَدرون كم لَبِثوا

(١) تراجع ابن عدي عن الحطّ عليه، وعطف وأنصف، انظر كلامه في الكامل ٤/ ١٥٧٩، وميزان الاعتدال، والسير ١٤/ ٤٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣، ٣٢٧، والعقد الثمين ٥/ ٣٧٠.

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣، والعقد الثمين ٦/ ١٤٣.

وهذا من أبيات منها:

والــلــه لــو حَـلَـف الـعُـشَّـاقُ أنَّـهـم سَكرى من البَيْن يومَ البَيْن ما حَنَثوا
قـومٌ إذا هُـجِـروا مـن بـعـد مـا وُصِـلـوا مـاتـوا وإن عـاد مَـن يَـهْـوَوْنـه بُـعِـثـوا

نازوك

صاحبُ شرطة بغداد(١).

كان شُجاعاً، فاتكاً، غَلَب على التَّدبير، وحكم على الدولة، وعلم مؤنس أنَّه متى وافقه على خَلْع المقتدر ازداد تَحكُّمه، فأجابه ظاهراً، وواطأ الرَّجَّالة على قتله، وقد ذكرنا مَقتلَه.

وقال الخطيب(٢): غضب نازوك على بعض مَماليكه وكان غلاماً حَدَثاً، فخرج من الدار، فمرَّ برجلٍ يَكتبُ كتاب العَطْف، فقال له: إنَّ مولاي قد غضب عليَّ، وما أعرفُ أحداً، وقد دلُّوني عليك، فاكتب لي كتابَ عَطْفٍ.

قال الرجل: فكتبتُ له كتاباً فيه آيةُ الكرسي، والمعوذتين، و﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة [الحشر: ٢١] و﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [٦٣: الأنفال] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم دفع الورقةَ إلى الغلام وقال: علِّقها في عَضُدك الأيمن، فأخذها ودفع إليه ديناراً.

قال الرجل: فدعوتُ الله أن يَردَّ عليه قلبَ مولاه.

ومضى، فلمَّا كان بعد ساعتين إذا بغلمان نازوك يطلبونني، فأدخلوني عليه وهو في دَسْت عظيم، بين يديه نحوٌ من ثلاث مئة غلام وأكثر سِماطَين، وكاتبُه أبو القاسم جالس، فأهويتُ لأُقبِّلَ الأرض فقال: مَهْ، عافاك الله، هذه من سُنن الجَبَّارين، اجلس لا بأس عليك، فجلستُ، فقال: جاءك اليوم غلامٌ فكتبتَ له كتاباً فيه عطف؟ فقلت:

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣.

(٢) لا توجد ترجمة لنازوك في تاريخ بغداد، والخبر أخرجه التنوخي في الفرج بعد الشدة ١/ ٢٢٤ عن أحمد بن يوسف الأزرق، عن أبي الحسين بن البواب المقرئ.

نعم، جاءني وبكى وقال: طَردَني مولاي، وما أعرفُ أحداً ألتجئُ إليه، فرقَّ له قلبي وبكيتُ، وكتبتُ له كتاباً فيه آياتٌ من القرآن، فأعطاني هذا الدينار، فقال: قم عافاك الله، هذه الدار وما فيها بحُكمك، ومهما كان لك من الحوائج قضيتُها.

قال: فخرجتُ، وإذا بالغلام واقفٌ ينتظرني، فسألتُه ما الخبر فقال: لما علَّقتُ عليَّ الورقة إذا بالغلمان يطلبونني، فدخلتُ على الأمير فقال لي: أين كنتَ؟ فحدَّثتُه الحديث، فقال: قد رضيتُ عنك، وهذا الرجل شيخٌ صالح، إيش أعطيتَه؟ قلتُ: ديناراً، قال: ما أنصفتَه، أعطِهِ خمس مئة درهم، فأخذتُها. وصار الغلامُ من خواصِّ نازوك.



فهرس الموضوعات

